كتاب الذيل على

طبقات الحنابلة

لابن رجب

الشيخ الإمام العالم الحافظ الحجة الفقيه زين الدين أبى الفرج
عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد
البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى

٧٣٦ — ٧٩٥ هـ

رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمؤمنين

الجزء الأول

وقف على طبعه وصححه
محمد حامد الفقي

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبى
ت ٧٩٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات ، أمهات المؤمنين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال الشيخ الإمام ، العالم المقرىء ، العامل الزاهد ، الحافظ المحدث ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد ، الإمام العالم المقرىء ، شهاب الدين ، أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب ـ رحمهم الله تعالى برحمته ـ :

هذا كتاب جمعته ، وجعلته ذيلا على كتاب « طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد » للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى . رحمهم الله تعالى .

وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى . وجعلت ترتيبه على الوفيات والله المسئول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

وفيات المائة الخامسة

من سنة ٤٦٠ هـ — إلى سنة ٥٠٠ هـ

١ - على بن أبي طالب بن زِبِيبْا البَغدادى ، أبو الغنائم .

من قدماء أصحاب القاضى أبى يعلى ، تفقه عليه .

قال القاضى أبو الحسين : كان يدرس فى الحريم بالمسجد المقابل لباب بدر ، وله أيضاً حلقة بجامع المهدى . وقرأ عليه أبو تراب بن البقال ، وأبو الحسين ابن الفاعوس وغيرهما . ونسخ بخطه كثيراً من تصانيف القاضى ، كالخلاف الكبير ، نسخه مرتين ، والعدة ، وأحكام القرآن ، والجامع الصغير . وغير ذلك .

وهو أول من توفى من أصحاب القاضى أبى يعلى بعده بنحو سنة . ودفن قريباً منه . رحمه الله .

ذكره ابن النجاد قال : كان من أعيان أصحاب القاضى أبى يعلى ، وله حلقة بجامع المهدى للمناظرة . روى عن أبى الحسين بن بشران ، ونصر بن محمد بن على الآمدى . روى عنه القاضى عزيزى بن عبد الملك الجيلى . ثم أرّخ وفاته يوم الخميس ثانى عشرين شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربعمائة . وصُلى عليه من الغد بجامع القصر . وكان له جمع كثير .

و « زِبِيبْيَا » قيّده ابنُ نقطة : بكسر الزاى ، وكسر الباء المعجمة بواحدة بعدها باء أخرى مثلها ساكنة ، وياء مفتوحة معجمة من تحتها باثنتين .

وقال ابن عقيل : كان من أصحاب القاضى أبى يَعْلَى أرباب الحلق : ابن البازكردى ، وابن زِبِيبْا ، فقيهان مفتيان ، ولهما حلقتان بجامع الرصافة ، يقصّان الفقه شرحاً للمذهب على وجه ينتفع به العوام .

٢ - علىّ بن الحسن القرميسينى أبو منصور . ذكره أبو الحسين ، وقال : أحد من علق عن الوالد من الخلاف والمذهب . وسمع منه الحديث ، وزوّج ابنته لأبى على بن البناء ، وأولدها أبا نصر .

وتوفى فى رجب سنة ستين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

٣ ـ عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن توبة العكبرى ، الخياط الأديب الكاتب ، أبو محمد .

روى عن الأحنف العكبرى من شعره . روى عنه الخطيب .

وتوفى يوم الثلاثاء سابع عشر محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة .

ذكره ابن البناء فى تاريخه ، وقال : هو صاحب الخط والأدب .

٤ ـ عبد الله البردانى ، أبو محمد الزّاهد .

كان منقطعاً فى بيت بجامع المنصور ، يتعبد خمسين سنة .

قال ابن البناء : كان من خيار المسلمين ، لا يقبل من أحد شيئاً ، مع الزهادة والعبادة . روى عنه أبو بكر المَزْرَفِىّ الفرضى أنه قال : رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى : ياعبد الله ، مَنْ تمسَّك بمذهب أحمد فى الأصول سامحته فيما اجترح ـ أو فيما فرَّط ـ فى الفروع .

وذكر ابن البناء ، عمن يثق به : أنه رأى فى منامه ، فى حياة البَرَدانى ـ هذا ـ مَلَكَيْنِ قد نزلا من السماء ، فقال أحدهما لصاحبه : فيم جئتَ ؟ قال : جئتُ أخسف بأهل بغداد ، فإنّه قد عمَّ فيها الفساد ! فقال له الملك الآخر : كيف تفعل هذا ، وفيها عبد الله البردانى ؟

قال ابن البناء : توفى عبد الله البردانى الزاهد الحنبلى يوم السبت سادس ربيع الأول ، سنة إحدى وستين وأربعمائة . وصلى عليه بجامع المنصور . وكان خلقاً عظيماً . ودُفن فى مقبرة الإمام أحمد ، وتولّى غسلَه والصلاةَ عليه الشريفُ أبو جعفر . رحمه الله تعالى .

٥ ـ علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادى ، أبو الحسن المعروف بالآمدى

و يعرف قديماً بالبغدادى . نزل ثغر آمد . وهو أحد أكابر أصحاب القاضى أبى يعلى .

قال ابن عقيل فيه : بلغ من النظر الغاية ، وكانت له مروءة . يحضر عنده الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وأبو الحسن الدَّامَغانى ـ وكانا فقيهين ـ فيضيفهما بالأطعمة الحسنة ، وكان يتكلم معهما إلى أن يمضى من الليل أكثره .

وذكر أنه كان هو المتقدم على جميع أصحاب القاضى أبى يعلى .

قال ابن عقيل : وسمعتُ المتولى لما قَدِم : يذكر أنه لم يشهد فى سفره أحسن نظراً من الشيخ أبى الحسن البغدادى بآمد .

قال القاضى أبو الحسين ، وتبعه ابن السَّمعانى : أحد الفقهاء الفضلاء ، والمناظرين الأذكياء . وسمع الحديث من أبى القاسم بن بشران ، وأبى إسحاق البرمكى ، وأبى الحسن بن الحرانى ، وابن المذهب وغيرهم . وسمع من القاضى أبى يعلى ، ودرس عليه الفقه ، وأجلس فى حلقة النظر والفتوى بجامع المنصور فى موضع ابن حامد . ولم يزل يدرّس و يفتى و يناظر إلى أن خرج من بغداد ، ولم يحدّث ببغداد بشىء ، لأنه خرج منها فى فتنة البَسَاسِيرِى ، فى سنة خمسين وأربعمائة إلى آمد ، وسكنها واستوطن بها ، ودرس بها الفقه إلى أن مات فى سنة سبع ـ أو ثمان ـ وستين وأربعمائة . وقبره هناك مقصودٌ بالزيارة . وكان يدرس فى مقصورة بجامع آمد .

وله هناك أصحاب يتفقهون عليه . و برع منهم طائفة .

وله كتاب : «عمدة الحاضر وكفاية المسافر» فى الفقه ، فى نحو أربع مجلدات ، وهو كتاب جليلٌ يشتمل على فوائد كثيرة نفيسة . و يقول فيه : ذكر شيخنا ابن أبى موسى فى الإرشاد ، فالظاهر : أنه تفقه عليه أيضاً . وسمع منه بآمد : أبو الحسن ابن الغازى السُّنَّة للخلاَّل عن أبى إسحاق البرمكى ، وعبد العزيز الأزَجى .

٦ ـ محمد بن عمر بن الوليد الباجِسرائى ، الفقيه ، أبو عبد الله

قال أبو الحسين : كانت له حلقة بجامع المنصور ، تردد إلى مجلس الوالد السعيد الزمان الطويل ، وسمع منه الحديث والدرس .

ومات سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان قد بلغ من السنّ خمساً وتسعين سنة . رحمه الله تعالى .

٧ - محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر، أبو بكر الخيّاط ، المقرئ البغدادي .

ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وقرأ على أبي أحمد الفرضي ، وأبي الحسين السَّوسَنْجِرْدي ، وبكر بن شاذان ، وأبي الحسن الحمامي ، وغيرهم . وسمع الحديث من ابن الصَّلت المُجبِّر ، وأبي عمر بن مهدى ، وخلق مِنْ طبقتهما . ورأى أبا عبد الله بن حامد . وكان يتردَّدُ إلى القاضي أبي يَعلى ، ويَسمَعُ درسه ، ويحضر أماليه ، واشتغل بإقراء القرآن ، ورواية الحديث في بيته ومسجده وجامع المنصور . وكان يحضره خلق كثير .

وقرأ عليه خلق ، منهم : القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يَعلى ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو بكر المزْرفي ، وهبة الله بن الطبرى .

وحَدّث عنه جماعةٌ كثيرون ، منهم: أبو بكر الخطيب في تاريخه ، وأبو منصور القزاز ، ويحيى بن الطراح ، وغيرهم . وانتهى إليه إسناد القراءة في وقته .

قال ابن الجوزى : مايوجد في عصره في القراءات مثله . وكان ثقة صالحاً .

وقال المؤتمن الساجي : كان شيخاً ثقةً في الحديث والقراءة ، صالحاً ، صبوراً على الفقر .

وقال أبو ياسر البرداني : كان من البكائين عند الذكر ، أثّرت الدموع في خدّيه .

وقال ابن النجار : كان شيخ القراء في وقته ، تفرد بروايات ، وكان عالماً ، ورعاً متديناً .

وذكره الذهبي في طبقات القُرَّاء، فقال : كان كبير القدر ، عديم النظير ، بصيراً بالقراءات ، صالحاً عابداً ، ورعاً ناسكاً ، بكاء قانتاً ، خشن العيش ، فقيراً متعففاً ، ثقةً فقيهاً على مذهب أحمد . وآخر من روى عنه بالإجازة : أبو الكرم الشهرزوري .

قال ابن الجوزى : تُوفى ليلة الخميس ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ودفن فى مقبرة جامع المدينة — يعنى مدينة المنصور — وقال غيره : صلىَّ عليه أبو محمد التميمى فى الجامع .

٨ - على بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن جَدَا ، أبو الحسن العكبرى .

ذكره ابن شافع فى تاريخه ، فقال : هو الشيخ الصالح ، الزاهد ، الفقيه ، الأمّار بالمعروف ، والنّهاء عن المنكر .

سمع : أبا على بن شاذان ، والبرقانى ، وأبا القاسم الخِرَقى ، وأبا القاسم بن بُشْران . وكان فاضلاً ، خيراً ثقة ، مستوراً صيناً ، شديداً فى السنة على مذهب أحمد . رضى الله عنه .

وقال القاضى أبو الحسين ، وابن السمعانى : كان شيخاً صالحاً ، ديناً كثير الصلاة ، حسن التلاوة للقرآن ، ذا لَسَن وفصَاحة ، فى المجالس والمحافل ، وله فى ذلك كلام منثور ، وتصنيف مذكور مشهور .

وذكره أبو الحسين وابن الجوزى وقالا : سمع من أبى على بن شهاب ، وأبى على بن شاذان ، وكان فقيهاً صالحاً فصيحاً .

قال أبو الحسين : قرأ الفقه على الوالد السعيد ، وله مصنف فى الأصول . وتوفى فجأة فى الصلاة فى رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ودفن فى مقبرة أحمد .

وذكر ابن شافع وغيره : أنه توفى يوم الأحد سابع عشر رمضان المذكور .

وقال ابن شافع : جَدَا — بفتح الجيم — كذا سمعتهُ من أشياخنا ، ورأيته مضبوطاً بخط أسلافنا .

وروى عنه القاضى أبو بكر ، وأبو منصور القزاز ، وسمع منه مكى الرُّميلى الحافظ وجماعة .

وقال ابن خيرون : حدث بشىء يسير ، كان مستوراً صيناً ثقة .

وروى عنه الخطيب فقال : حدثنى على بن الحسين بن جَدَا العكبرى قال : رأيتُ هبة الله الطبرى فى المنام ، فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قلت : بماذا ؟ قال : كلمة خفيفة : بالسنة .

قال الحافظ عبد القادر الرهاوى : أنبأنا أبو موسى المدينى الحافظ قال : رَأيتُ بخط ابن البناء ـ وقرأته على ابن ناصر بإجازته من ابن البناء ـ قال : حكى أبو الحسن على بن الحسين بن جَدا العكبرى قال : سمعت أبا مسعود أحمد بن محمد البجلى الحافظ قال : دخل ابن فَورك على السلطان محمود ، فتناظرا .

قال ابن فورك لمحمود : لايجوز أن تصف الله بالفوقية ، لأنه يلزمك أن تصفه بالتحتية . لأنه من جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت .

فقال محمود : ليس أنا وصفته بالفوقية ، فتُلزِمنى أن أصفه بالتحتية ، وإنما هو وَصَفَ نفسه بذلك . قال : فبهت .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الصوفى ـ بالقاهرة ـ أخبرنا عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى أخبرنا أبو على بن الحريف أخبرنا القاضى أبو بكر بن عبد الباقى أخبرنا أبو الحسن بن جدا أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبرى الحافظ قال : ذكر أن فتى من أصحاب الحديث أنشد فى مجلس أبى زرعة الرازى هذه الأبيات ، فاستُحسنت منه :

دين النبى « محمد » أختارُ ... نعم المطيــة للفتى الآثار
لا تغفلنَّ عن الحديث وأهـله ... فالرأىُ ليلٌ ، والحديثُ نهارُ
ولَرُبَّما غلط الفتى إثْرَ الهـدى ... والشمسُ بازغةٌ لهـا أنوارُ

٩ ـ عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء ، أبو القاسم بن القاضى أبى يعلى .

ذكره أخوه فى الطبقات ، وأنه ولد يوم السبت سابع شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وقرأ بالروايات على أبى بكر الخياط ، وابن البناء ، وأبى الخطاب الصوفى ، وأحمد بن الحسن اللحيانى ، وغيرهم . وسمع الحديث من والده ، وجده لأمه جابر بن ياسين ، وأبى محمد الجوهرى ، وغيرهم ، وابن المهتدى وابن النَّقُّور ، وابن الآبنوسى ، وابن المسلمة ، وابن المأمون ، والصَّرِيفينى ، وغيرهم .

ورحل فى طلب الحديث والعلم إلى : واسط ، والبصرة ، والكوفة ، وعكبرا ، والموصل ، والجزيرة ، وآمد ، وغير ذلك .

وقرأ بآمِد من الفقه على أبى الحسن البغدادى قطعة صالحة من الخلاف والمذهب . وكان قد علق قبل سفره على الشريف أبى جعفر ، وكان قد حضر قبل ذلك درس والده وعلق عنه .

وكان يحضر مجالس النظر فى الُجمَع وغيرها ، ويتكلم فى المسائل مع شيوخ عصره . وكان والده يأتم به فى صلاة التراويح إلى أن تُوفى . وكان أكبر ولد القاضى أبى يعلى ، وهو الذى تولى الصلاة عليه بجامع المنصور . وكان ذا عفة ، وديانة وصيانة ، حَسَن التلاوة للقرآن ، كثير الدرس له ، مع معرفته بعلومه . وله معرفة بالجرح والتعديل ، وأسماء الرجال والكنى ، وغير ذلك من علوم الحديث ، حسن القراءة ، وله خط حسن .

ولما وقعت فتنة ابن القشيرى : خرج إلى مكة ، فتوفى فى مضيه إليها بموضع يُعرف بمعدن النقِرة ، أواخر ذى القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة ، وله ست وعشرون سنة وثلاثة أشهر ونيف وعشرون يوماً تقريباً . رحمه الله وعوضه الجنة .

١٠ — محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن على بن الحسين بن هارون ، أبو الحسن البَرَدانى الفرضى الأمين . والد الحافظ أبى على ، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وُلد بالبردان سنة ثمان وثمانين — وقيل : سنة ثمان وسبعين — وثلاثمائة . ونشأ بها

ثم انتقل إلى بغداد سنة ست وأربعين وأربعمائة واستوطنها . وسمع الكثير من أبي الحسن بن رزقويه ، وأبي الحسين بن بشران ، وأخيه أبي القاسم ، وأبي الفضل التميمي ، وأخيه أبي الفرج ، وأبي الحسن بن مخلد ، وأبي علي بن شاذان ، البرقاني ، وخلق .

وروى عنه ولداه : أبو علي ، وأبو ياسر ، والقاضي أبو بكر بن عبد الباقي وغيرهم.

قال القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى : صحب الوالد ، وتردد إلى مجالسه في الفقه وسماع الحديث ، وكان رجلا صالحاً .

قال ابن النجار : وكان رجلا صالحاً صدوقاً ، حافظاً لكتاب الله تعالى ، عالماً بالفرائض وقسمة التركات . كتب بخطه الكثير ، وخَرَّج تخاريج ، وجمع فنوناً من الأحاديث وغيرها . وخطه ردىء كثير السقم . وكان أمين القاضي أبي الحسين بن المهتدى . ثم ذكر عن ابنه أبي ياسر عبد الله : أن أباه أبا الحسن سرد الصوم ثلاثين سنة .

وذكر عن السلفي : أنه جرى ذكر ابنه أبي علي ، فقال الحافظ أبو محمد السمرقندي : لو رأيت أباه وصلاحه لرأيت العجب . روى لنا عن ابن رزقويه وطبقته . وكان فقيهاً ، وضيئاً محدثاً ، مرضياً .

وذكر عن ابن خيرون : أن البرداني كان رجلا صالحاً ثقة .

وقال ابن الجوزي : كان له علم بالقراءات والفرائض . وكان ثقة ، عالماً صالحاً أميناً .

توفي يوم الخميس ثامن عشرين ذي القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة . ودفن يوم الجمعة بباب حرب . كذا ذكره ابن النجار .

وذكر ابن شافع : أنه توفي ليلة الجمعة تاسع عشرين ذي القعدة ؛ ثم قال : قرأتُ بخط ابنه أبي علي: أن أباه توفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة من السنة . قال : وصليتُ عليه يوم الجمعة في المقصورة . وتبعه خلق عظيم . رحمه الله تعالى

قلتُ: له كتاب « فضيلة الذكر والدعاء » رواه عنه ابنه أبو علي .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأيوبي الصوفي ـ بالقاهرة ـ أخبرنا عبد العزيز ابن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو علي الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي أخبرنا أبو الحسن البرداني أخبرنا أبو الحسن بن مخلد أخبرنا إسماعيل الصفار حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا المعتمر بن سليمان : سمعتُ عاصماً الأحول يقول : حدثني شرحبيل أنه سمعَ أبا سعيد ، وأبا هريرة ، وابن عمر يُحدّثون أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذَّهَبُ بالذَّهَبِ وَزْناً بوزنٍ ، مِثلاً بمثلٍ . مَن زاد أو ازداد فقد أربى » .

وأنبأناه عالياً أبو الفتح الميدومي أخبرنا عبد اللطيف بن عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا أبو القاسم بن بيان أخبرنا ابن مخلد ـ فذكره .

١١ ـ عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي العباسي .

و « أبو موسى » هو كنية جده الأعلى : عيسى بن أحمد بن موسى .

هذا هو الصحيحُ في نسبه . وهو الذي ذكره صاحباه القاضيان : أبو بكر الأنصاري ، وأبو الحسين بن القاضي ، وابن الجوزي ، وابن السمعاني ، وغيرهم . فإن الشريف أبا جعفر هو ابن أخ الشريف أبي علي محمد بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن أحمد بن موسى صاحب « الإرشاد » .

ووقع في تاريخ ابن شافع وغيره : عبد الخالق بن أحمد بن عيسى بن أبي موسى عيسى بن أحمد ، وهو وَهَمٌ .

ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

قال ابن الجوزى : كان عالماً فقيهاً ، ورعاً عابداً ، زاهداً ، قوالاً بالحق ، لا يحابى ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ».

سمع أبا القاسم بن بشران ، وأبا محمد الخلال ، وأبا إسحاق البرمكى ، وأبا طالب العُشارى ، وغيرهم .

وتفقه على القاضى أبى يعلى ، وشهد عند أبى عبد الله الدامَغانى ، ثم ترك الشهادة قبل وفاته . ولم يزل يدرس بمسجده بسكة الخرقى من باب البصرة و بجامع المنصور . ثم انتقل إلى الجانب الشرقى ، فدرس فى مسجدٍ مقابلٍ لدار الخلافة ، ثم انتقل ـ لأجل ما لحق نهر المعلّى من الغرق ـ إلى باب الطاق ، وسكن درب الديوان من الرُّصَافة ، ودرس بمسجد على باب الدرب ، و بجامع المهدى .

وذكر القاضى أبو الحسين نحو ذلك ، وقال : بَدَأَ بِدَرسِ الفقه على الوالد من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسين ، يقصد إلى مجلسه ويعلق ، ويعيد الدَّرس فى الفروع وأصول الفقه . و برع فى المذهب ، ودَرَّس ، وأفتى فى حياة الوالد .

وكان مختصر الكلام ، مليح التَّدريس ، جيد الكلام فى المناظرة ، عالماً بالفرائضِ ، وأحكام القرآن والأصول . وكان له مجلسٌ للنظر فى كل يوم اثنين ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين . وكان شديد القول واللسان على أهلِ البدع ولم تزل كلمته عالية عليهم ، ولا يَردُّ يَده عنهم أحد . وانتهى إليه فى وَقتهِ الرحلة لطلب مذهب الإمام أحمد .

وذكره ابن السمعانى فقال : إمام الحنابلة فى عصره بلا مدافعة . مليح التدريس ، حسن الكلام فى المناظرة ، ورع زاهد ، متقن عالم بأحكام القرآن والفرائض ، مَرْضِى الطريقة . ثم ذكر بعضَ شيوخه ، وقال : روى لنا عنه أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار ، ولم يحدثنا عنه غيره .

وقال ابن خيرون : مُقدم أهل زَمانه شرفاً ، وعلماً وزهداً .

وقال ابن عَقيل : كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم فى علم الفرائض . وكان عند الإمام ـ يعنى الخليفة ـ معظماً حتى إنه وَصَّى عند مَوته بأن يغسله ، تبركاً به . وكان حول الخليفة ما لوكان غيره لأخذه . وكان ذلك كفايةَ عُمره فوالله ما التفتَ إلى شىء منه ، بل خرج ونَسِىَ مئزره حتى حُمل إليه . قال : ولم يُشهد منه أنه شرب ماء فى حلقة على شدة الحر ، ولا غمس يده فى طعام أحدٍ من أبناء الدنيا .

قلتُ : وللشريف أبى جعفر تصانيفُ عِدّة ، منها « رؤوس المسائل » وهى مشهورة ، ومنها « شرح المذهب » وصل فيه إلى أثناء الصّلاة ، وسلك فيه مسلك القاضى فى الجامع الكبير . وله جزء فى أدب الفقه ، و بعض فضائل أحمد ، وترجيح مذهبه . وقد تفقه عليه طائفةٌ من أكابر المذهَب ، كالحلوانى ، وابن المُخَرِّمى ، والقاضى أبى الحسين .

وكان معظماً عند الخاصة والعامة ، زاهدًا فى الدنيا إلى الغاية ، قائماً فى إنكار المنكرات بيده ولسانه ، مجتهدًا فى ذلك .

قال أبو الحسين ، وابن الجوزى : لما احْتُضِر القاضِى أبو يعلى أوصى أن يُغَسله الشريف أبو جعفر ، فلما احتضر القائم بأمر الله قال : يغسلنى عبد الخالق ، ففعل ، ولم يأخذ مما هُناك شيئاً . فقيل له : قد وصى لك أميرُ المؤمنين بأشياء كثيرة ، فأبى أن يأخذَ . فقيل له : فقميص أمير المؤمنين تتبرك به ! فأخذ فوطة نفسه ، فنشفه بها ، وقال : قد لَحِقَ هذه الفوطَة بركةُ أميرِ المؤمنين . ثم استدعاه فى مكانه المقتدى ، فبايعه منفردًا . قال : وكان أولَ من بايع ، وقال الشريف : لما بايعتهُ أنشدتهُ :

« إذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قَام سَيِّدٌ

ثم أُرْتِجَ عليَّ تمامه ، فقال هو :

قَؤُولٌ لِما قَالَ الكِرَامُ فَعولُ

قال : وأنبأنا ابن عبد الله عن أبي محمد التميمي قال : ما حسدتُ أحدًا إلَّا الشريف أبا جعفر ، في ذلك اليوم ، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك ، ورواية الأحاديث ، والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام . فلمَّا كان ذلك اليوم خرج الشريفُ علينا ، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك . ثم لم يقبل شيئاً من الدنيا ، ثم انسل طالباً لمسجده ، ونحنُ كلٌّ منا جالسٌ على الأرض متحَفّ ، متغيرٌ لونُه ، مخرقٌ لثوبه ، يهوله ما يَحدث به بعد مَوت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم ، فعرفت أن الرجل هو ذلك .

قال القاضي أبو الحسين ـ أي ابن أبي يعلى ـ : قلتُ له — أي قلتُ لعبد الخالق — بعد اجتماعه معه : أينَ سهمنا مما كان هناك ؟ فقال : أحْيَيْتُ جَمالَ شيخنا والدك الإمام أبي يعلى . يُقال : هذا غلامُهُ ، تنزه عن هذا القدر الكثير، فكيف لو كان هو ؟

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة : اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر ، وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه . وطلبوا من الدولة قلع المواخير ، وتتبع المفسدين والمفسدات ، ومنْ يبيعُ النبيذ ، وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة . فتقدم الخليفة بذلك . فهرب المفسدات ، وكُبِسَت الدور ، وأريقت الأنبذة . ووعدوا بقلع المواخير ، ومكاتبة عضد الدولة برفعها ، والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها . فلم يقنع الشريف ولا أبو إسحاق بهذا الوعد . وبقي الشريف مدة طويلة متعتباً مهاجرًا لهم .

وحكى أبو المعالي صالح بن شافع عمن حدَّثه : أن الشريف رأى محمدًا وكيل الخليفة حين غرقت بغداد سنة ست وستين ، وجرى على دار الخلافة العجائب ، وهم في غاية التخبط . فقال الشريف أبو جعفر : يا محمد ، يامحمد ، فقال له : لبيك يا سيدنا ، فقال له : قل له : كتبنا وكتبتم ، وجاء جوابنا قبل جوابكم ، يشير إلى قول الخليفة : سنكاتب في رفع المواخير ، ويريد بجوابه : الغرق وماجرى فيه

وفى سنة ستين وأربعمائة كان أبو على بن الوليد ـ شيخ المعتزلة ـ قد عزم على إظهار مذهبه لأجل موت الشيخ الأجل أبى منصور بن يوسف ، فقام الشريف أبو جعفر ، وعبر إلى جامع المنصور ، هو وأهل مذهبه ، وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث ، و بلغوا ذلك . ففرح أهل السنة بذلك ، وقرأوا كتاب التوحيد لابن خزيمة . ثم حضروا الديوان ، وسألوا إخراج الاعتقاد الذى جمعه الخليفة القادر . فأجيبوا إلى ذلك . وقرىء هناك بمحضر من الجميع ، واتفقوا على لعن من خالفه ،وتكفيره . و بالغ ابن فَورك فى ذلك .

ثم سأل الشريف أبوجعفر ، والزاهد الصحراوى : أن يسلم إليهم الاعتقاد ، فقال لهم الوزير : ليس هٰهنا نسخة غير هـذه . ونحن نكتب لكم به نسخة لتقرأ فى المجالس . فقالوا : هكذا فعلنا فى أيام القادر ، قرئ فى المساجد والجوامع . فقال : هكذا تفعلون ، فليس اعتقاد غير هـذا ، وانصرفوا . ثم قرئ بعد ذلك الاعتقاد بباب البصرة ، وحضره الخاص والعـام .

وكذلك أنكر الشريف أبو جعفر على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليـد وغيره ، فاختفى مدة ثم تاب وأظهر توبته . وسنذكر مضمون ذلك فى ترجمـة ابن عقيل ، إن شاء الله تعالى .

وآخر ذلك كله : فتنة ابن القشيرى، قام فيهـا الشريف قياماً كلياً ، ومات فى عقبها .

ومضمون ذلك : أن أبا نصر بن القشيرى ورد بغداد ، سنة تسع وستين وأربعمائة ، وجلس فى النظامية . وأخذ يذم الحنابلة ، وينسبهم إلى التجسيم . وكان المتعصب له أبو سعد الصوفى ، ومال إلى نصره أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة ، و يسأله المعونة . فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبى جعفر فى مسجده ، والإيقاع به ، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إن وقعت . فلما وصل أولئك إلى باب المسجد

رماهم هؤلاء بالآجر . فوقعت الفتنة ، وقتل من أولئك رجل من العامة ، وجرح آخرون ، وأخذت ثياب .

وأغلق أتباع ابن القشيرى أبواب سوق مدرسة النظام ، وصاحوا : المستنصر بالله ، يامنصور ـ يعنون العُبَيدى صاحب مصر ـ وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسى ، وأنه ممالئ للحنابلة ، لاسيما والشريف أبو جعفر ابن عمه .

وغضب أبو إسحاق ، وأظهر التأهب للسفر . وكاتب فقهاء الشافعية نظام الملك بمـا جرى ، فورد كتابه بالامتعاض من ذلك ، والغَضَب لتسلط الحنـابلة على الطائفة الأخرى . وكان الخليفة يخـاف من السلطان ووزيره نظام الملك ويداريهما .

وحكى أبو المعالى صالح بن شافع ، عن شيخه أبى الفتح الحلوانى وغيره ، ممن شاهد الحال : أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند النظام أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة . فاستدعى الشريف أبا جعفر بجماعة من الرؤساء منهم ابن جردة ، فتلطفوا به حتى حضر فى الليل ، وحضر أبو إسحاق ، وأبو سعد الصوفى ، وأبو نصر بن القشيرى . فلما حضر الشريف عظَّمه الوزير ورفعه ، وقال : إن أمير المؤمنين ساءه ماجرى من اختلاف المسلمين فى عقائدهم ، وهؤلاء يصالحونك على ما تريد ، وأَمَرهم بالدنوّ من الشريف . فقـام إليه أبو إسحاق ، وكان يتردد فى أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ ، فقال : أنا ذاك الذى تعرف ، وهذه كتبى فى أصول الفقه ، أقول فيها : خلافاً للأشعرية ، ثم قبل رأسه .

فقال له الشريف : قد كان ماتقول ، إلاَّ أنك لما كنت فقيراً لم تُظهِر لنا مافى نفسك ، فلمـا جاء الأعوان والسلطان وخواجا بُزُرْك [1] ـ يعنى النظام ـ أبديتَ ما كان مخفياً .

---

(١) معناه : العظيم . وكان لقب الوزير نظام الملك

ثم قام أبو سعد الصوفى ، فقبَّل يد الشريف ، وتَلطف به ، فالتفت مغضباً وقال : أيها الشيخ ، إنّ الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلهم فيها مدخل ، وأما أنت : فصاحبُ لهو وسَماع وتغبير ومَنْ ، زاحمك على ذلك حتى داخلتَ المتكلمين والفقهاء ، فأقمتَ سوق التعصب ؟

ثم قام ابن القشيرى ـ وكان أقلَّهُم احتراماً للشريف ـ فقال الشريف : من هـذا ؟ فقيل : أبو نصر بن القشيرى ، فقال لو جاز : أن يشكر أحـد على بدعته لـكان هذا الشاب ؛ لأنه باد هنا بما فى نفسه ، ولم ينافقنا كما فعل هذان . ثم التفت إلى الوزير فقال: أى صلح يكون بيننا ؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية ، أو دنيا ، أو تنازع فى ملك . فأما هؤلاء القوم : فإنهم يزعمون أنَّا كفار ، ونحن نزعم أن من لايعتقد ما نعتقده كان كافراً ، فأىُّ صلح بيننا ؟ وهـذا الإمام يصدع المسلمين، وقد كان جدَّاه ـ القائم والقادر ـ أَخرجا اعتقادهما للنـاس ، وقرىء عليهم فى دواوينهم ، وحمله عنهم الخراسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض ، ونحن على اعتقادهما .

وأنهى الوزير إلى الخليفة ماجرى ، فخرج فى الجواب : عرف ما أنهيته من حضور ابن العم ـ كَثّر اللهُ فى الأوليـاء مثلَه ـ وحضور من حضر من أَهل العـلم . والحمد لله الذى جمع الـكلمة ، وضم الألفة ، فليؤذن للجماعة فى الانصراف ، وليقل لابن أَبى موسى : إنه قد أفرد له موضع قريبٌ من الخدمة ليراجَع فى كثير من الأمور المهمة ، وليتبرك بمكانه .

فلما سمع الشريف هذا قال : فعلتموها .

فحُمل إلى موضع أفرد له بدار الخلافة . وكان الناس يدخلون عليه مدة مديدة . ثم قيل له : قد كثر استطراق الناس دار الخلافة ، فاقتصر على من تُعيِّن دخوله ، فقال : مالى غرض فى دخول أحد علىّ . فامتنع الناس .

ثم إن الشريف مرض مرضاً أَثّر فى رجليه فانتفختا . فيقال : إن بعض المتفقِّهة من الأعداء ترك له فى مداسه سماً . والله تعالى أعلم .

ثم إن أبا نصر بن القشيرى أخرج من بغداد ، وأمر بملازمة بلده لقطع الفتنة . وذلك نفى فى الحقيقة .

قال ابن النجار : كوتب نظام الملك الوزير بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه ، وقطع هذه الثائرة ، فبعث واستحضره ، وأمرَه بلزوم وطنه ، فأقام به إلى حين وفاته

قال القاضى أبو الحسين : أخذ الشريف أبو جعفر فى فتنة أبى نصر بن القشيرى ، وحُبِس أياماً ، فسَرَد الصوم وما أكل لأحد شيئاً .

قال : ودخلتُ عليه فى تلك الأيام ورأيته يقرأ فى المصحف ، فقال لى : قال الله تعالى : (٢:٤٥ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ) تدرى ما الصبر ؟ قلت : لا ، قال : هو الصوم . ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضج الناس من حبسه . وأخرج إلى الحريم الطاهرى بالجانب الغربى[1] فمات هناك .

وذكر ابن الجوزى : أنه لما اشتد مرضه ، تحامل بين اثنين ، ومضى إلى باب الحجرة ، فقال : جاء الموت ، ودنا الوقت ، وما أحبُّ أن أموتَ إلا فى بيتى بين أهلى . فأذن له . فمضى إلى بيت أخته بالحريم .

قال : وقرأتُ بخط أبى على بن البناء قال : جاءتْ رقعة بخط الشريف أبى جعفر ، ووصيته إلى أبى عبد الله بن جردة فكتبها . وهذه نسختها :

« مالى — يشهد الله — سوى الحبل والدلو ، وشىء يخفى علَىَّ لاقدر له . والشيخ أبو عبد الله ، إن راعاكم بعدى ، وإلاَّ فالله لكم . قال الله عز وجل : (٤:٩ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللهَ) ومذهبى : الكتابُ ، والسنة ، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد ، ومالك والشافعى ، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم ، والصلاة : بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم .

(١) نسبة إلى طاهر بن الحسين . وبه كانت منازلهم . وسمى «الحريم» لأن من لجأ إليه أمن .

ولا يعقد لى عزاء ، ولا يشق علىَّ جيب ، ولا يُلطم خد . فمن فعل ذلك فالله حسيبه » .

وتُوفى رحمه الله تعالى ليلة الخميس سحراً ، خامس عشر صفر سنة سبعين وأربعمائة ، وغسله أبو سعيد البردانى ، وابن الفتى بوصية منه ، وكانا قد خدماه طول مرضه .

وصُلى عليه يوم الجمعة ضحى بجامع المنصور ، وأمَّ الناس أخوه الشريف أبو الفضل محمد . ولم يَسع الجامع الخلق وانضغطوا ، ولم يتهيأ لكثير منهم الصلاة ، ولم يبقَ رئيس ولا مرؤوس من أرباب الدولة وغيرهم إلا حضره ، إلا من شاء الله ، وازدحم الناسُ على حَمْله . وكان يوماً مشهوداً بكثرة الخلق . وعظم البكاء والحزن . وكانت العامة تقول : ترحَّموا على الشريف الشهيد ، القتيل المسموم ؛ لما ذكر من أن بعض المبتدعة : ألقى فى مداسه سماً . ودفن إلى جانب الإمام أحمد .

قال ابن السمعانى : سمعت أبا يعلى بن أبى حازم بن أبى يعلى بن الفراء الفقيه الحنبلى ــ يوم خرجنا إلى الصلاة على شيخنا أبى بكر بن عبد الباقى ، ورأى ازدحام العوام ، وتزاحمهم لحمل الجنازة ــ فقال أبو يعلى : العوام فيهم جهل عظيم. سمعتُ أنه فى اليوم الذى مات فيه الشريف أبو جعفر حملوه ودفنوه فى قبر الإمام أحمد ، وما قدر أحد أن يقول لهم : لاتنبشوا قبر الإمام أحمد ، وادفنوه بجنبه . فقال أبو محمد التميمى ــ من بين الجماعة ــ كيف تدفنونه فى قبر الإمام أحمد بن حنبل و بنت أحمد مدفونة معه فى القبر ؟ فإن جاز دفنه مع الإمام لايجوز دفنه مع ابنته . فقال بعض العوام : اسكتْ ، فقد زوجنا بنت أحمد من الشريف ، فسكت التميمى ، وقال : ليس هذا يوم كلام .

ولزم الناس قبره ، فكانوا يبيتون عنده كل ليلة أربعاء ، و يختمون الختمات ، و يخرج المتعيشون ، فيبيعون الفواكه والمأكولات ، فصار ذلك فرجة للناس . ولم

يزالوا على ذلك مدة شهور ، حتى دخل الشتاء ومنعهم البرد . فيقال إنه : قرىء على قبره فى تلك المدة عشرة آلاف ختمة .

ورآه بعضهم فى المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : لما وضعتُ فى قبرى رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب ، وقائل يقول : هذه لك ، أُدخل من أى أبوابها شئتَ .

ورآه آخر فى المنام ، فقال : مافعل الله بك ؟ قال : التقيتُ بأحمد بن حنبل فقال لى : يا أبا جعفر ، لقد جاهدتَ فى الله حق جهاده ، وقد أعطاك الله الرضى رضى الله عنه .

وقع لى جملة من حديث الشريف أبى جعفر بالسماع ، فمنها : ما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الصوفى ـ بالقاهرة ـ أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى أخبرنا أبو على بن أبى القاسم ابن الحريف أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبدالباقى البزار أخبرنا أستاذى أبو جعفر عبد الخالق ابن عيسى الهاشمى ـ بقراءتى عليه ـ قلت له : حدثكم أبو القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران أخبرنا أبو على محمد بن أحمد بن الصواف حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبى ، حدثنا يزيد بن هرون وأبوعبد الرحمن قالا : أخبرنا المسعود عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبى طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا يلجُ النار أحدٌ بكى مِنْ خشية الله ، حتى يعودَ اللبنُ فى الضرع ، ولايجتمع غُبارٌ فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى امرىء أبدًا » .

وقرأت بخط ابن عقيل فى الفنون قال : مما استَحسنتهُ من فقه الشريف الإمام الزاهد أبى جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أبى موسى الهاشمى رضى الله عنه وتدقيقه ـ وإن كان أكثر من أن يُحصى ـ : ما قاله فى أوائل قدوم الغزالى بغداد ، وجعلوا يأخذون من أموال الناس فى الطرقات ، وتقصر أيدى العوام عنهم ، فقال : الذى نسبه من مذهب أبى حنيفة : أن تجرى عليهم أحكام

قطَّاع الطريق ، وإن كان ذلك فى الحضر . لأنهم عللوا بأن فى الحضر يلحق الغوث ، فلا يكون لهم حكم قطاع الطريق فى الصحارى والبرارى . وهذا التعليل موجود فى الحضر ؛ لأنه لا مغيث يغيث منهم ، لقوتهم واستطالتهم على العوام .

قلتُ : هذا قريب من قول القاضى أبى يعلى : إن أصحابنا اختلفوا فى المحاربين فى الحضر : هل تجرى عليهم أحكام المحاربين ؟ فظاهر كلام الخرقى : أنها لا تجرى عليهم . وقال أبو بكر : بل أحكام المحاربين جاريةٌ عليهم . وفَصَّل القاضى بين أن يفعلوا ذلك فى حَضَر يلحق فيه الغوث عادة أو لا . فإن كان يلحق فيه الغوث عادة : فليسوا بمحاربين ، وإلّا فهم محاربون . ومعلوم أن السلطان إذا امتنع من دفعهم — إمَّا لضعفه وعجزه ، وإما لكونه ظالماً يسلط أعوانه على الظلم — تعذَّر لحوق الغوث مع ذلك عادة . فيثبت لهم — على قوله — أحكام المحاربين والله أعلم .

ونقلت من بعض تعاليق الإمام أبى العباس أحمد بن تيمية رحمه الله . مما نقله من الفنون لابن عقيل : حادثة رجل حلف على زوجته بالطلاق الثلاث : لا فعلتِ كذا ، فمضى على ذلك مدة ، ثم قالت : قد كنتُ فعلتُه . هل تصدق مع تكذيب الزوج لها ؟ أجاب الشريف الإمام أبو جعفر بن أبى موسى: تُصَدَّق ولا ينفعه تكذيبه . وأجاب الشيخ الإمام أبو محمد : لا تصدق عليه ، والنكاح بحاله .

قلتُ : أبو محمد : أظنه التميمى .

ومن الفنون أيضاً : مسألة ، إذا وجد على ثوبه ماء واشتبه عليه : أمَذْىٌ أم منى ؟ إن قلتم : يجب حمله على أقل الأحوال ، من كونه مَذياً ، لأن الأصل سقوط غسل البدن : أو جبتم غسل الثوب . لأن المذى نجس ، والأصل سقوط غسل الثوب متقابلاً . فقال الشريف أبو جعفر بن أبى موسى رضى الله عنه : لا يجب غسل الثوب ولا البدن جميعاً ، لتردد الأمر فيهما . وأوجب غسل أربعة الأعضاء . لأن الخارج — أىَّ خارج كان — يوجب غسل الأعضاء .

وقد ذكر هذه المسألة ابن تميم فى كتابه ، من الفنون ، وعزاها إلى ابن أبى موسى ، فربما توهم السامع أنه ابن أبى موسى صاحب الإرشاد ، وليس كذلك .

وهذه المسألة تشبه مسألة الرجلين إذا وجدا على فراشهما منيًّا ولم يعلما مَنْ خرج منه ، أو سمعا صوتاً ولم يعلما صاحبه . وفى وجوب الغسل والوضوء عليهما روايتان ؛ لكن أرجحهما لا يجب . وعلى القول بانتفاء الوجوب ، فقالوا : لا يَأْتَمُّ أحدهما بصاحبه ، ولا يُصافُّه وحده ، لأنه يظهر حكم الحدث المتيقن باجتماعهما ، ويعلم أن صلاة أحدهما باطلة . فتبطل الجماعة والمصافَّة .

ونظير هذا : ماقلنا فى المختلفين فى جهة القبلة : إنه لا يأتمُّ أحدهما بصاحبه فإنه يتيقن باجتماعهما فى الصلاة خطأ أحدهما فى القبلة ، فتبطل جماعتهما .

وكذلك ما ذكره أكثر الأصحاب : فى رجلين علّق كل منهما عتق عبده على شرط ، ووُجد أحد الشرطين يقيناً ، ولا يعلم عينه أنه لا يحكم بعتق عبد واحدٍ منهما ، ويستصحب أصل ملكه . فإن اشترى أحدهما عبد الآخر : أخرج المعتق منهما بالقرعة على الصحيح أيضاً .

فكذلك يقال ههنا : يستصحب أصل طهارة الثوب والبدن من النجاسة والجنابة ، ولكن ليس له أن يصلى بحاله فى الثوب ؛ كأنّا نتيقن بذلك حصول المفسد لصلاحيته ، وهو إما الجنابة وإما النجاسة .

ومن غرائب الشريف : مانقله عنه ابن تميم فى كتابه : أن المتوضىء إذا نوى غسل النجاسة مع الحدث : لم يجزه ، وأن طهارة المستحاضة لا ترفع الحدث .

وذكر الشريف فى رءوس مسائله : أنَّ القدر المجزِىء مسحه من الخفين : ثلاثة أصابع ، وأن أحمد رجع إلى ذلك فى مسح الخف ومسح الرأس . قال : وكان شيخنا ينصر أولا مسح الأكثر ، ثم رأيته مائلا إلى هذا . وهذا غريب جداً .

١٢ ــ عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم ابن الوليد بن مَنْدَه بن بطَّة بن أُسْتَنْدَار ــ واسمه الفيرزان ــ بن جهَارْبَخت ،

العبدى الأصبهانى الإمام الحافظ ، أبو القاسم ابن الحافظ الكبير أبى عبد الله بن مَنْده . ومَنْدَه لقب إبراهيم جده الأعلى .

ذكره أبو الحسين ، وابن الجوزى فى طبقات الأصحاب فى آخر المناقب .

وترجمه ابن الجوزى فى تاريخه ، فقال : وُلد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . وسمع أباه وأبا بكر بن مَردويه ، وخلقاً كثيراً . وكان كثير السماع ، كبير الشأن ، سافر فى البلاد ، وصنف التصانيف ، وخرّج التخاريج . وكان ذا وقار وسَمْت ، وأتباع فيهم كثرة . وكان متمسكا بالسنة ، مُعرضاً عن أهل البدع ، آمرًا بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

وكان سعد بن محمد الزِّنجانى يقول : حفظ الله الإسلام برَجُلين ، أحدهما بأصبهان ، والآخر بهرَاة : عبد الرحمن بن منده ، وعبد الله الأنصارى .

وقال ابن السمعانى : كان كبير الشأن ، جليل القدر ، كثير السماع ، واسع الرواية . سافر إلى الحجاز و بغداد وهمَذان ، وخراسان ، وصنف التصانيف .

وقال القاضى أبو الحسين : لم يكن فى عصره و بلده مثله فى ورعه وزهده وصيانته ، وحاله أظهر من ذلك . وكانت بينه و بين الوالد السعيد مكاتبات .

وقال غيره : سمع أبو القاسم من أبيه ، و إبراهيم بن خرشيد قوله ، و إبراهيم ابن محمد الجلاب ، وأبى جعفر بن المرزبان ، وأبى ذر بن الطبرانى ، وخلق بأصبهان ، ومن أبى عمر بن مهدى ، وهلال الحفار ، وغيرهما ببغداد . ومن ابن خزيمة الواسطى بها ، ومن ابن جهضم بمكة ، ومن أبى بكر الحيرى ، وأبى سعيد الصَيرفى بنيسابور ، لكنه لم يروِ عن الحيرى كما فعل الأنصارى ، وأجاز له زاهر السَّرخسى ، وتفرد بذلك ، ومحمد بن عبد الله الجوزقى ، وعبد الرحمن ابن أبى شريح .

وقال أبو عبد الله الدقاق الحافظ : فضائل ابن منده ومناقبه أكثر من أن تعد ــ إلى أن قال : ومَنْ أنا لنشر فضله ؟ كان صاحب خُلق وفتوة ، وسخاء

وبهاء ، والإجازة كانت عنده قوية ، وله تصانيف كثيرة ، ورُدُودٌ جَمَّة على المبتدعين والمنحرفِين فى الصفات وغيرها .

قال : وكان جذعاً فى أعين المخالفين ، لا يخاف فى الله لومة لائم - إلى أن قال : ووصفه أكثر من أن يُحصى .

وقال يحيى بن مندَه : كان عمى سيفاً على أهل البدع ، وهو أكبر من أن يثنى عليه مثلى ، كان والله آمرًا بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، وفى الغدوّ والآصال ذاكرًا ، ولنفسه فى المصالح قاهرًا ، أعقب اللهُ مَنْ ذكره بالشرِّ الندامة . وكان عظيم الحلم كثير العلم ، قرأتُ عليه قول شُعبة « من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد » فقال « من كتب عنى حديثاً فأنا له عبدٌ »

قلتُ : قد ذكر عن شيخ الإسلام الأنصارى أنه قال : كانت مضرته فى الإسلام أكثر من منفعته . وعن إسماعيل التيمى أنه قال : خالفَ أباه فى مسائل، وأعرض عنه مشايخ الوقت ، وما تركنى أبى أسمع منه . وكان أخوه خيرًا منه .

وهذا ليس بقادحٍ - إن صح - فإن الأنصارى والتيمى وأمثالهما يقدحون بأدنى شىء ينكرونه من مواضع النزاع ، كما هجر التيمىُّ عبدَ الجليل الحافظَ كُوباه على قوله « ينزل بالذات » وهو فى الحقيقة يُوافقه على اعتقاده ، لكن أنكر إطلاقَ اللفظ لعدم الأثر به .

قال ابن السمعانى : سمعتُ الحسين بن عبد الملك يقول : سمعتُ عبد الرحمن ابن منده يقول : قد تعجبتُ من حالى مع الأقربين والأبعدين ، فإنى وَجدتُ بالآفاق التى قصدتها أكثر من لقيتهُ بها — موافقاً كان أو مخالفاً — دعانى إلى مساعدته على مايقوله ، وتصديق قوله ، والشهادة له فى فعله على قبولٍ ورضى . فإن كنت صَدَّقته : سمانى مُوافقا ، وإن وقفت فى حَرْفٍ من قوله ، أو فى شىء من فعله : سمانى مخالفاً . وإن ذكرتُ فى واحدٍ منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك : سمانى خارجياً . وإن روَيتُ حديثاً فى التوحيد : سمانى مشبهاً . وإن كان

فى الرؤية : سمانى سالمياً . وأنا متمسك بالكتاب والسنة ، مُتَبرئ إلى الله من التشبيه ، والمثل والضد والند ، والجسم والأعضاء والآلات ، ومن كل ما ينسب إلىّ ويُدَّعى علىّ ، من أن أقول فى الله تعالى شيئا من ذلك أو قلته ، أو أراه ، أو أتوهمه ، أو أتخذه ، أو أنتحله .

قال ابن السمعانى : وسمعتُ الحسن بن محمد بن الرضى العلوى يقول : سمعتُ خالى أبا طالب بن طَباطبا يقول : كنتُ أَشتم أبداً عبد الرحمن بن منده ، فرأيتُ عمر رضى الله عنــه فى المنام ، ويده فى يد رجل عليه جبة صوف زرقاء ، وفى عينيه نــكتة ، فسلمتُ عليه ، فلم يردّ علىّ ، وقال لى : لَم تشتم هذا إذا سمعتَ اسمه ؟ فقيل لى : هذا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وهذا عبد الرحمن بن منده . فانتبهتُ ، فأتيتُ أصبهان ، وقصدتُ الشيخ عبد الرحمن ، فلما دخلتُ عليــه صادفتهُ على النعت الذى رأيتُ فى المنام ، وعليه جبة زرقاء . فلما سلمتُ عليه قال: وعليك السلام يا أبا طالب ، وقبلها ما رآنى ولا رأيتهُ ، فقال قبل أن أنطق : شىء حرمه الله ورسوله يجوز لنا أن نُحِلّه؟ فقلت : اجعلنى فى حلّ ، وناشدتهُ الله وَقَبلَّتُ بين عينيه . فقال : جعلتك فى حل مما يرجع إلى .

حدَّث عن الحافظ أبى القاسم خلق كثير من الحفاظ ، والأئمة ، وغـيرهم ، مثل : ابن أخيه يحيى بن عبد الوهاب ، وأبى نصر الغازى ، وأبى سعد البغدادى ، والحسين الخلال ، وأبى عبد الله الدقاق ، وأبى بكر الباغبان ، وروى عنه بالإجازة مسعود الثقفى .

وله تصانيف كثيرة ، منهـا : كتاب « حُرْمَةُ الدين » وكتاب « الرد على الجهمية » بين فيه بطلان ما روى عن الإمام أحمد فى تفسير حديث « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » بكلام حسن . وله كتاب « صيام يوم الشك » .

وبأصبهان طائفة من أهل البدع ينتسبون إلى ابن منده هذا ، وينسبون إليه أقوالاً فى الأصول والفروع ، هو منها برىء .

منها : أن التيمم بالتراب يجوز مع القدرة على الماء .

ومنها : أن صلاة التروايح بدعة ، وقد ردّ عليهم علماء أصبهان من أهل الفقه والحديث ، و بيّنوا أن ابن منده برىء مما نسبوه إليه من ذلك .

تُوفى فى شوال سنة سبعين وأربعمائة بأصبهان ، وشيّعه خلق كثيرٌ لايحصيهم إلاّ الله تعالى .

أخبرنا أبوالفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بمصر ، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبدالرحمن بن على الحافظ أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان حدثنا محمد بن إبراهيم الحرانى ، حدثنا محمد بن سليمان لُوَين ، حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن محمد بن عجلان عن سعيد ابن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن امرىء يتصدق بصدقة من كسب طيّب ـ ولا يقبل الله إلاّ طيّباً ـ حتى ولو بتمرة ، إلاّ أخذها الله بيمينه ، ثم ربّاها له كما يُربِّى أحدكم فَلُوَّه أو فصيله ، حتى يوافيه يوم القيامة مثل الجبل العظيم » .

قرأتُ بخط الإمام أبى العباس أحمد بن تيمية رحمه الله : أن أبا القاسم بن منده كان من الأصحاب ، وكان يذهب إلى الجهر بالبسملة فى الصلاة .

وذكر أيضاً فى مسائله الماردانيات : أن طائفة من الأصحاب لم يذهبوا إلى صيام يوم الغيم ، منهم أبو القاسم بن منده .

وذكر أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده قال: قال عمى الإمام ـ يعنى أبا القاسم رحمه الله ـ علامة الرضا : إجابة الله تبارك وتعالى من حيث دعا بالكتاب والسنة . وعلامة الورع : الخروج من الشبهات بالأخبار والآيات . وعلامة القناعة السكوت على الكتاب والسنة فى الوقوف عند الشبهة . وعلامة الإخلاص :

زيادة السرّ على الإعلان فى إيثار قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم على الأقاويل كلها بالإيمان والاحتساب . وعلامة الصبر : حبس النفس فى استحكام الدرس بالكتاب والسنة . وعلامة التسليم : الثقة بالله الحكيم فى قوله ، والسكون إلى الله العليم بقول رسوله صلى الله عليه وسلم فى جميع الأشياء .

وقال أبو القاسم بن منده فى كتاب « الرد على الجهمية » : التأويلُ عند أصحاب الحديث : نوع من التكذيب .

١٣ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الرزّاز ، المقرىء الزاهد ، أبو بكر المعروف بابن حُمّدوه . ذكره ابن الجوزى فى الطبقات والتاريخ .

وُلد يوم الأربعاء لثمانى عشرة خلت من صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

وحدّث عن خلق كثير . منهم : أبو الحسين بن بشران ، وابن القواس ، وهو آخر من حدّث عن أبى الحسين بن سَمْعُون . وتفقه على القاضى أَبى يعلى ، وكان ثقة ، زاهداً ، متعبداً ، حسنَ الطريقة .

وقال القاضى أبو الحسين : تفقه على الوالد مع الشريف أبى جعفر ، وكانا يصطحبان إلى المجلس . وكان كثير القراءة للقرآن والإقراء له ، ختّم خلقاً كثيراً . وحدّث عنه الخطيب فى تاريخه . وقال : وكان صدوقاً . وأبو الحسن بن مرزوق فى مشيخته ، وأبو القاسم بن السمرقندى ، والقاضى أبو الحسين فى طبقات الأصحاب ، وغيرهم .

تُوفى ليلة السبت رابع عشرين ذى الحجة سنة سبعين وأربعمائة . ودفن من الغد بباب حرب .

قال السلفى : سألتُ أبا على البردانى عن ابن حُمُّدُويه صاحب ابن سمعون فقال : هو بضم الحاء وتشديد الميم وضمه أيضاً ، يعنى وبالياء .

ذكره ابن نقطة . قال : وغيره يقول بخلاف قوله . منهم من يقول : حُمَّدُوَه بضم الحاء ، وتشديد الميم وفتحها ، بغير ياء بعد الواو .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم ـ بمصر ـ أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا عبد الوهاب بن على الأمين ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى ، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدويه الرزاز ، حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون ، حدثنا أحمد بن سليمان بن ريان ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أَبى العشرين الأوزاعى ، حدثنا الزهرى ، حدثنى سالم عن ابن عمر أنه حدَّثه « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تصدَّق على رجل بفرس له ، ثم وَجَدها تباع فى السُوق ، فأراد عمر أن يشتريها ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترتد فى صدقتك »

قال الزهرى : فكان ابن عمر يصنع فى صدقته إن رَدَّها عليه الميراث يوماً لا يَحبسُها عنده .

١٤ ـ الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادى ، الإمام ، أبو على المقرىء ، المحدِّث الفقيه الواعظ ، صاحب التصانيف .

ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

وقرأ القراءات السبع على أبى الحسن الحمامى وغيره . وسمع الحديث من هلال الحفار ، وأبى محمد السكرى ، وأبى الحسن بن رزقويه ، وأبى الفتح بن أبى الفوارس ، وابن رزقويه ، وأبى الحسين بن بشران ، وأخيه أبى القاسم ، وأبى على بن شهاب ، وأبى الفضل التميمى ، وخلق كثير .

وتفقه أولاً على أبى طاهر بن الغبارى ، ثم على القاضى أبى يعلى ، وهو من قدماء أصحابه . وحضر عند أبى على بن أبى موسى وناظر فى مجلسه . وتفقه أيضاً على أبى الفضل التميمى ، وأخيه أبى الفرج .

وقرأ عليه القرآن جماعة ، مثل أبى عبدالله البارع ، وأبى العز القلانسى ، وأبى بكر المزْرَفِىّ .

وسمع منه الحديث خلق كثيرٌ . وقرأ عليه الحافظ الحميدى كثيراً .

حدَّث عنه ولداه أبو غالب أحمد و يحيى ، وأبو الحسين بن الفراء ، وأبو بكر ابن عبد الباقى ، وابن الحصين ، وأبو القاسم بن السمرقندى وغيرهم .

ودرس الفقه كثيراً وأفتى زماناً طويلاً .

قال القاضى أبو الحسين : تفقه على الوالد ، وعلق عنه المذهب والخلاف ، ودَرس بدار الخلافة فى حياة الوالد و بعد وفاته . وصنف كتباً فى الفقه والحديث والفرائض ، وأصول الدين ، وفى علوم مختلفات . وكان متفنناً فى العلوم . وكان أديباً شديداً على أهل الأهواء .

وقال ابن عقيل : هو شيخ إمام فى علوم شتى : فى الحديث ، والقراءات ، والعربية ، وطبقة فى الأدب والشعر والرسائل ، حسن الهيئة ، حسن العبادة . كان يؤدب بنى جردة .

وقال ابن شافع : كان له حلقتان ، إحداهما : بجامع المنصور ، وسط الرواق . والأخرى: بجامع القصر ، حيال المقصورة ، للفتوى والوعظ وقراءة الحديث . وكان يفتى الفتوى الواسعة ، و يفيد المسلمين بالأحاديث والمجموعات ومايقرئه من السنن .

وكان نقى الذهن ، جيد القريحة ، تدل مجموعاته على تحصيله لفنون من العلوم ، وقد صنف قديماً فى زمن شيخه الإمام أبى يعلى فى المعتقدات وغيرها ، وكتب له خطه عليها بالإصابة والاستحسان .

ولقد رأيتُ له فى مجموعاته من المعتقدات ما يوافق بين المذهبين : الشافعى ، وأحمد . ويقصد به تأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، مما قد استقر له وجود فى استنباطه ، مما أرجو له به عند الله الزلفى فى العقبى . فلقد كان من شيوخ الإسلام النصحاء ، الفقهاء الألباء . ويبعد غالباً أن يجتمع فى شخص من التفنن فى العلوم ما اجتمع فيه .

وقد جمع من المصنفات فى فنون العلم فقها وحديثا ، وفى علم القراءات والسير ،

والتواريخ والسنن ، والشروح للفقه ، والكتب النحوية إلى غير ذلك مجموعاً حسنة ، تزيد على ثلاثمائة مجموع . كذا قرأته محققاً بخط بعض العلماء .

وقال ابن الجوزى : ذكر عنه أنه قال : صنفتُ خمسمائة مصنف .

وقال أبو نصر بن المُجْلى ، مما ذكره ابن شافع عنه : له مجموعات ومؤلفات فى المذهب ، وفيما سواه من المذاهب ، وفى الحديث وغيره . وتراجم كتبه مسجوعة على طريقة أبى الحسين بن المنادى .

قال : وكتبت الحديث عن نحو من ثلاثمائه شيخ لم أر فيهم من كتب بخطه أكثر من ابن البناء .

قال : وقال لى هو رحمه الله : ما رأيت بعينى من كتب أكثر منى .

قال : وكان طاهر الأخلاق ، حسن الوجه والشيبة ، محباً لأهل العلم مكرماً لهم .

توفى رحمه الله ليلة السبت خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة . وصلى عليه فى الجامعين : جامع القصر ، وجامع المنصور . وكان الجمع فيهما متوفراً جداً . أمَّ الناس فى الصلاة عليه : أبو محمد التميمى ، وتبعه خلق كثير ، وعالم عظيم . ودفن بباب حرب .

وقد غمزه ابن السمعانى ، فقال : سمعت أبا القاسم بن السمرقندى يقول : كان واحد من أصحاب الحديث إسمه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابورى . وكان قد سمع الكثير . وكان ابن البناء يكشط من التسميع بِوَرْيِ ، ويَمُدّ السِّين ، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله البناء ، كذا قيل إنه يفعل هذا .

قال أبو الفرج بن الجوزى : وهذا القول بعيد الصحة ؛ لثلاثة أوجه . أحدها : أنه قال « كذا قيل » ولم يحك عن علمه بذلك . فلا يثبت هذا . والثانى : أن الرجل مكثر ، لا يحتاج إلى استزادة لما يسمع . والثالث : أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبى على بن البناء . فأين ذكر هذا الرجل ، الذى يقال له : الحسن بن أحمد ابن عبد الله النيسابورى ؟ ومن ذكره ؟ ومن يعرفه ؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لايخفى ، فمن هذا الرجل ؟ فنعوذ بالله من القدح بغير حجة . اه .

وذكر السلفى عن شجاع الذهلى ، والمؤتمن الساجى : أنهما غمزاه أيضاً . ولم يفسرا . وفسره السلفى بأنه كان يتصرف فى أصوله بالتغيير والحك .

وذكر ابن النجار : أن تصانيفه تدل على قلة علمه ، وسوء تصرفه ، وقلة معرفته بالنحو واللغة . كذا قال . وابن النجار أجنبى من هذه العلوم فما باله يتكلم فيها ؟ وقد وقع لنا الكثير من حديثه عالياً .

فمن ذلك : ما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم ـ بفسطاط مصر ـ قال : أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ، أخبرنا أبو المعالى أحمد بن محمد بن الحسين المدارى ، أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن البناء ، أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو على بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد القرشى حدثنى الوليد ابن سفيان ، حدثنا ابن أبى عَدِىّ عن شُعبة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر » .

ذكر ما وقفت عليه من أسماء مصنفات ابن البناء :

شرح الخرقى فى الفقه ، الكامل فى الفقه ، الكافى المحدد فى شرح المجرد . الخصال والأقسام ، نزهة الطالب فى تجريد المذاهب ، آداب العالم والمتعلم ، شرح كتاب الكرمانى فى التعبير ، شرح قصيدة ابن أبى داود فى السنة ، المنامات المرئية للإمام أحمد : جزء ، أخبار الأولياء ، والعُبَّاد بمكة : جزء ، صفة العباد فى التهجد والأوراد : جزء ، المعاملات والصبر على المنازلات : أجزاء كثيرة . الرسالة فى السكوت ولزوم البيوت : جزء ، سلوة الحزين عند شدة الأنين: جزء ، طبقات الفقهاء ، أصحاب الأئمة الخمسة ، التاريخ ، مشيخة شيوخه ، فضائل شعبان ، كتاب اللباس ، مناقب الإمام أحمد ، أخبار القاضى أبى يعلى : جزء ، شرف أصحاب الحديث ، ثناء أحمد على الشافعى ، وثناء الشافعى على أحمد ، وفضائل الشافعى ،

كتاب الزكاة وعقاب من فرط فيها : جزء ، المفصول فى كتاب الله : جزء ، شرح الإيضاح فى النحو الفارسى، مختصر غريب الحديث لأبى عبيد ، مرتب على حروف المعجم .

ومن فوائد ابن البناء الغريبة : أنه حكى فى شرح الخرقى عن بعض الأصحاب أنه يعفى عن يسير يغيّر رائحة الماء بالنجاسة ، كقول الخرقى فى التغير بالطاهرات .

وذكر فى شرح المجرد : أن من أخر الصلاة عمداً فى السفر وقضاها فى الحضر له القصر كالناسى .

قال : ولم يفرق الأصحاب بينهما. وإنما يختلفان فى المأثم وعدمه . وهذا النقل غريب جداً .

وقد ذكر نحوه القاضى أبو يعلى الصغير فى شرح المذهب ، ولا يعرف فى هذه المسألة كلام صريح للأصحاب ، إلا أن بعض الأئمة المتأخرين ذكر : أنه لا يجوز القصر للعامد ، واستشهد على ذلك بكلام جماعة من الأصحاب فى مسائل ، وليس له فيما ذكره حجة . والله تعالى أعلم .

وذكر فى هذا الكتاب : أن حكم اقتداء بعض المسبوقين ببعض فيما يقضونه من صلاتهم : لا فرق فيه بين الجمعة وغيرها . وأن الخلاف جارٍ فى الجميع . وهذا خلاف ماذكره القاضى وأصحابه موافقة للشافعية : أن الجمعة لايجوز ذلك فيها وجهاً واحداً ؛ لأنها لا تقام فى موضع واحد فى جماعتين .

قال ابن البناء : وفى هذا عندنا نظر ؛ لأنه يجوز إقامتها مرتين ، يعنى للحاجة.

ومما أنشده السلفى عن ابن أبى الحسين الطيورى : أن ابن البناء أنشده لنفسه على البديهة :

إذا غُيِّبَتْ أشباحنا كان بيننا رسائل صدقٍ فى الضمير تراسلُ
وأرواحنا فى كل شرق ومغرب تلاقَى بإخلاص الوداد تواصل
وثَمَّ أمورٌ لو تحققتَ بعضَها لكنتَ لنا بالعذر فيها تُقابل

وكم غائب والقلب منه مسالم وكم زائرٍ فى القلب منه بلابل
فلا تجزعن يوماً إذا غاب صاحب أمين ، فما غاب الصديق المجامل

١٥ ـ حمزة بن الكيال البغدادى ، أبو يعلى الفقيه الزاهد .

ذكره أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه وعلق عنه ، وسمع منه .

وقال فى ترجمته : كان رجلا صالحاً ، تردد إلى الوالد زمانا مواصلا ، وسمع منه علماً واسعا ، وكان عبداً صالحاً . وقيل : إنه كان يحفظ الاسم الأعظم .

وقال ابن خيرون : كان صالحاً زاهداً ، ملازماً لبيته ومسجده ، معتزل الخصومات والمراء .

وقال ابن شافع فى تاريخه : كان رجلا صالحاً ، ملازماً لبيته ومسجده ، حافظاً للسانه ، معتزلا عن الفتن .

توفى يوم الأربعاء سابع عشر من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ودفن بمقبرة باب الدير .

١٦ ـ أبو بكر بن عمر الطحان

قال أبو الحسين : حضر درس الوالد ، وعلق عنه . ومات فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

١٧ ـ عبد الباقي بن جعفر بن شَهْلَى ، الفقيه الحنبلى ، أبو البركات .

قال ابن السمعانى : أحد المقلِّين . حدَّث بشىء يسير عن أبى إسحاق البرمكى ، وروى عنه هبة الله السَقَطى فى معجمه . وذكر القاضى أبو الحسين ، فى أسماء من تفقه على أبيه وعلق وسمع الحديث : أبا البركات بن شهلى ، وهو هذا . رأيت ذلك فى طبقة سماعه .

قال القاضى أبو يعلى : وهو ابن شَهلِى بالياء .

١٨ ـ علي بن محمد بن الفرج بن إبراهيم البزاز ، المعروف بابن أخى نصر

العكبرى . ذكره ابن الجوزى فى الطبقات ، وقال : سمع من أبى على بن شاذان والحسن بن شهاب العكبرى . وكان له تقدم فى القرآن والحديث ، والفقه والفرائض ، وجمع إلى ذلك النسك والورع .

وذكر ابن السمعانى نحو ذلك ، وقال : كان فقيه الحنابلة بعكبرا ، والمفتى بها. وكان خيّراً ، ورعاً متزهداً ، ناسكا كثير العبادة . وكان له ذكر شائع فى الخير، ومحلٌّ رفيع عند أهل بلدته .

وتوفى فى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

وذكر ابن شافع وغيره : أنه حدث بشىء يسير ، وأن وفاته كانت يوم الإثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة بعكبرا .

روى عنه إسماعيل بن السمرقندى ، وأخوه عبد الله وغيرهُما . وسمع منه مكى الرُّميلى وجماعة . ومما أنشده لنفسه :

اعجبْ لمحتكر الدنيا وبانيها ... وعن قليل على كرهٍ يُخلّيها
دارٌ عواقب مفروحاتها حَزَنٌ ... إذا أعارت أَساءت فى تقاضيها
يا من يُسرُّ بأيامٍ تسيرُ بهِ ... إلى الفناء وأيام يُقَضّيها
قف فى منازل أهل العز معتبراً ... وانظرْ إلى أى شىءٍ صار أهلوها
صاروا إلى جدث قَفرٍ ، محاسنهم ... على الثرى ودَوِىُّ الدُود يَعلوها

١٩ — طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن القواس البغدادى ، الفقيه الزاهدُ الوَرِعُ ، أبو الوفاء .

وُلِد سنة تسعين وثلاثمائة . وقرأ القرآن على أبى الحسن الحمامى ، وسمع الحديث من هلال الحفار ، وأبى الحسين بن بشران ، وأبى نصر بن الزينبى ، وأبى الحسين ابن الفضل القطان ، وأبى سهل العكبرى وغيرهم .

وتفقه أولاً على القاضى أبى الطيب الطبرى الشافعى ، ثم تركه وتفقه على

القاضي أبي يعلى، ولازمه حتى برع في الفقه، وأفتى ودرس. وكانت له حلقة بجامع المنصور للفتوى والمناظرة. وكان يلقي المختصرات من تصانيف شيخه القاضي أبي يعلى درساً، ويلقي مسائل الخلاف درساً. وكان إليه المنتهى في العبادة والزهد والورع.

ذكر ابن ناصر: أنه كان زاهد وقته في الطبقة الثانية عشرة.

وذكره ابن السمعاني في تاريخه، فقال: من أعيان فقهاء الحنابلة وزهادهم. كان قد أجهد نفسه في الطاعة والعبادة، واعتكف في بيت الله خمسين سنة، وكان يواصل الطاعة ليله بنهاره، وكان قارئاً للقرآن، فقيهاً ورعاً، خشن العيش انتهى كلامه.

وكانت له كرامات ظاهرة.

ذكر ابن شافع في ترجمة صاحبه أبي الفضل بن العالمة الإسكافي المقرىء: أنه كان يحكي من كرامات الشيخ أبي الوفاء أشياء عجيبة.

منها: أنه قال: كنت أحمل معي رغيفين كل يوم، فأعبر - يعني في السفينة - برغيف، وأمشي إلى مسجد الشيخ فأقرأ، ثم أعود ماشياً إلى ذلك الموضع، فأنزل بالرغيف الآخر. فلما كان يوم من الأيام، أعطيتُ الملاح الرغيف، فرمى بهَ واستقله، فألقيتُ إليه الرغيف الآخر، وَتشوش قلبي لما جرى، وجئت الشيخ، فقرأت عليه عادتي، وقمتُ على العادة، فقال لي: - قف - ولم تجر عادته قط بذلك - ثم أخرج من تحت وطائِه قرصاً، فقال: اعبُر بهذا. فلحقني من ذلك أمرٌ بانَ عليَّ، ومضيتُ فعبرتُ به. وكان ابن العالمة - هذا - قد قرأ على الشيخ أبي الوفاء القرآن بالروايات.

وقال أبو الحسين، وابن الجوزي في الطبقات: كانت له حلقة بجامع المنصور يفتي ويعظ، وكان يدرس الفقه، ويقرىء القرآن. وكان زاهداً أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، أقام في مسجده نحواً من خمسين سنة، وأجهد نفسه في العبادة وخشونة العيش.

قال ابن السمعانى : سمعتُ عبد الوهاب بن المبارك الحافظ يقول : سأل واحدٌ أبا الوفاء بن القواس عن مسألة فى حلقته بجامع المنصور ، وكان الشيخ ممن قد رأى السائل فى الحمام بلا مئزر ، مكشوف العورة ، فقال له : لا أجيبك عن مسألتك حتى تقومَ ههنا فى وسط الحلقة ، وتخلع قميصك وسراويلك ، وتقف عريانًا ، فقال السائل : ياسيدنا ، أنا أستحيي ، وهذا مما لا يمكن ، فقال له : يافلان ، فهؤلاء الحضور ، أو جماعة منهم الذين كانوا فى الحمام ، ودخلتَ مكشوفًا بلا مئزر ، إيش الفرق بين جامع المنصور والحمام ؟ فاستحيي الرجل من ذلك . ثم ذكر فصلاً طويلاً فى النهى عن كشف العورة ، وأجاب عن سؤاله .

وقال ابن عقيل : كان حسن الفتوى ، متوسطاً فى المناظرة فى مسائل الخلاف إماماً فى الإقراء ، زاهداً شجاعاً مقداماً ، ملازماً لمسجده ، يهابه المخالفون ، حتى إنه لما توفى ابن الزوزنى ، وحضره أصحاب الشافعى ـ على طبقاتهم وجموعهم ـ فى فورة أيام القشيرى وقوتهم بنظام الملك حضر ، فلما بلغ الأمر إلى تلقين الحفار قال له : تنحّ حتى ألقنه أنا ، فهذا كان على مذهبنا ، ثم قال : ياعبد الله وابن أمته ، إذا نزل عليك ملكان فظّان غليظان ، فلا تجزع ولا تُرَعْ ، فإذا سألاك فقل : رضيتُ بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، لا أشعرى ولا معتزلى ، بل حَنبلى سُنِّى . فلم يتجاسر أحد أن يتكلم بكلمة ، ولو تكلم أحد لفَضَخ رأسَه أهلُ باب البصرة ، فإنهم كانوا حوله قد لَقّن أولادهم القرآن والفقه ، وكان فى شوكة ومنعَة ، غير معتمد عليهم ، لأنه أمة فى نفسه .

حدّث عن الشيخ أبى الوفاء جماعة ، منهم : عبد الوهاب الأنماطى ، وأبو القاسم ابن السمرقندى ، وعلىّ بن طِراد الزينبى ، والقاضى أبو بكر الأنصارى ، وغيرهم .

وتوفى يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة . ودفن إلى جانب الشريف أبى جعفر بدكة الإمام أحمد رضى الله عنه ، ليس بينه و بينه غير قبر الشريف رحمه الله تعالى .

قرىء على أبى عبد الله محمد بن إسماعيل الأيوبى ـ بالقاهرة وأنا أسمع ـ : أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو على بن أبى القاسم ابن الحريف ، أخبرنا القاضى أبو بكر بن محمد بن عبد الباقى ، أخبرنا أبو الوفاء ابن القواس ، أخبرنا أبو سهل العكبرى ، حدثنا إبراهيم بن أحمد الخرقى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن سابور ، حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، حدثنا الفضل بن حرب البجلى ، حدثنا عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء حلية ، وإنَّ حليةَ القرآن : الصوتُ الحسن » .

ذكر أبو الحسن بن البناء فى كتاب «أدب العالم والمتعلم» : أنه حدث فى زمانه مسألة ، وهى: هل يجوز أن يقرأ على المحدِّث الثقة كتاب، ذكر أنه سماعه ، وليس هناك خط يشهد به من شيخ ولا غيره ؟ وأن فقهاء عصرهم اتفقوا على جواز ذلك وكتبوا به خطوطهم ، وذكر خلقاً ممن أفتى بذلك . أولهم : أبو محمد التميمى من أصحابنا . وقال : الخط عادة محدثة ، استظهرها المحدثون من غير إيجاب لها .

وكتب أبو إسحاق الشيرازى تحت خطه : جوابى مثله .

قال ابن البناء : وكتبتُ أنا : المحدث الثقة : القول قوله فى ذلك ، ولو رأوا سماعه فى كتاب ، حتى يقول المحدّث : « ماسمعته » لم يجز أن يقرأ عليه والسلف رضى الله عنهم ، على هذا كانوا يحدثون بالأحاديث ، وأكثرهم يذكرها من حفظه ، ويسمعونها منهم ، وإن لم يظهروا خط من حدّثهم به .

قال : وبلغنى أن الشريف الأجل أبا جعفر بن أبى موسى كذلك أفتى .

وذكر أجوبة كثيرة ، منها : جواب ابن القواس . ولفظه : الظاهر العدالة ، يقنع بمجرد قوله ، ولا يطالب بخط من أسند عنه من شيوخه ، وكتبه ابن القواس الحنبلى .

وذكر مثل ذلك عن قاضى القضاة أبى عبد الله بن الدامغانى ، وأبى نصر ابن الصباغ ، وأبى بكر الشامى وغيرهم .

وذكر أن مثل هذه المسألة وقع مرتين فيما تقدم ، وأن الفقهاء والمحدثين اتفقوا على السماع بذلك ، منهم : الحافظ أبو عبد الله الصورى قال : وامتنع من السماع بذلك نفر ، لا يعتد بخلافهم . قال : ولا أعلم أحداً يخالف فى هذه المسألة من فقهاء العصر والمتقدمين قبلهم ، من أئمة أصحاب الحديث : المتقدمين العلماء ، والمتأخرين البلغاء .

قلتُ : وقد وقع فى المائة السابعة مثل هذه المسألة فى صحيح مسلم لما قالَ القاسم الإربلى : سمعته من المؤيد الطوسى ، فقُبِل ذلك منه . وسُمع عليه الكتاب غير مرة ، وسمعه منه الحفاظ والفقهاء . وأفتى بالسماع عليه جماعة ، منهم : قاضى القضاة شمس الدين بن أبى عمر المقدسى .

٢٠ ـ عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن جلبة ، البغدادى ثم الحرانى الجزار ، أبو الفتح قاضى حرّان .

اشتغل ببغداد ، وتفقه بها على القاضى أبى يعلى ، وسمع الحديث من البرقانى ، وأبى طالب العشارى ، وأبى على بن شاذان ، وأبى على بن شهاب العكبرى ، والقاضى أبى يعلى ، وغيرهم . ثم استوطن حران ، وصحب بها الشريف أبا القاسم الزيدى ، وأخذ عنه ، وتولى بها القضاء .

قال ابن السمعانى : بغدادى سكن حران ، وولي بها القضاء ، وعمل المظالم ، وكان فقيهاً واعظاً فصيحاً .

وذكره أبو الحسين فى الطبقات ، ونسبه إلى حران .

ورأيت بخط نفسه فى نسبه « الحرانى » .

قال أبو الحسين : وقدم بغداد من ثغر حران قاصداً لمجلس الوالد ، وطالباً لدرس الفقه عليه ، فتفقه عليه ، وكتب كثيراً من مصنفاته . وكان يلى قضاء حرّان من

من قبل الوالد ، كتب له عهداً بولاية القضاء بحران ، وكان ناشراً للمذهب ، داعياً إليه . وكان مفتي حران ، وواعظها وخطيبها ومُدَرسها .

قلتُ : وله تصانيف كثيرة ، قال أبو عبد الله بن حمدان : اختصر المجرد ، وله : « رءوس مسائل » و « أصول فقه » و « أصول دين » . وله أيضاً ـ مما لم يذكره ابن حمدان ـ : « كتاب النظام بخصال الأقسام » .

وسمع منه الحديث جماعة ، منهم : هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى ، ومكى الرُّمَيْلى ، وغيرهما . وفى زمانه كانت حران لمسلم بن قريش صاحب الموصل ، وكان رافضياً ، فعزم القاضى أبو الفتح على تسليم حرّان إلى «جبق» أمير التركمان لكونه سُنياً ، فأسرع ابن قريش إلى حران وحصرها ، ورماها بالمنجنيق ، وهدم سورها وأخذها ، ثم قتل القاضى أبا الفتح وولديه ، وجماعة من أصحابه ، وصلبهم على السور سنة ست وسبعين وأربعمائة . وقبورهم ظاهرة بحران تُزار رحمة الله عليهم .

أنبأتنى زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسى عن عبد الرحمن بن مكى الحاسب ، أخبرنا جدى أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى قال : أخبرنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن حامد الأسدى الحرانى ـ بما كِسينَ ، وكان قد ولى قضاءها ـ قال : كتب إلىَّ أبو طالب محمد بن على بن الفتح العشارى من بغداد . وحدثنا عنه أبو الفتح عبدالوهاب بن أحمد بن جلبة القاضى ـ بحران إملاء ـ حدثنا أبوالحسين محمد بن عبد الله الدقاق ، حدثنا الحسين بن صفوان البرذعى حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى ، حدثنا محمد بن بشير ، حدثنا عبد الرحمن بن جرير حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله تعالى كَلَّ لسانُه ولم يشف غيظه »

ذكر أبو العباس أحمد بن تيمية فى أول « شرح العمدة » : أن أبا الفتح بن جَلَبة كان يختار استحباب مسح الأذنين بماء جديد ، بعد مسحهما بماء الرأس . وهو غريب جداً .

وذكر ابن حمدان عنه أنه قال : الحق أن الحروف كلها قديمة ، وتركيبها في غير القرآن محدث ، إن قلنا : اللُّغة اصطلاح ، وإن قلنا : توقيف ، فقديمة.

قال يحيي بن منده في مناقب الإمام : وَجَدْتُ بخط المؤتمن البغدادي الشيخ الصالح الثقة المتدين رحمه الله ، قال : قال أبو يعلى الحنبلي البغدادي : أخرج إليَّ أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد الحراني صاحبنا هذه الأبيات ، قال : وجدتها في كتاب المصباح ، قال : أنشدني أبو منصور الفقيه لأحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله :

يا طالبَ العلم ، صارمْ كلَّ بطال ... وكل غادٍ إلى الأهواء ميَّالِ
واعملْ بعلمك سراً أو علانية ... ينفعك يوماً على حال من الحال
ولا تميلنَّ — يا هذا — إلى بدع ... تضل أصحابها بالقيل والقال
خذ ما أتاك به ماجاء من أثر ... شِبهاً بشبه وأمثالا بأمثال
ألا فكنْ أثريًّا خالصاً فهماً ... تعشْ حميداً ودَعْ آراء ضلال

« جَلَبَة » بفتح الجيم واللاَّم والباء الموحدة — قيده ابن نقطة وغيره .

وقد روى هذه الحكاية ابن النجار من طريق أبي منصور الخياط ، عن القاضي أبي يعلى ، قال : أخرج إليَّ أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد هذه الأبيات قال : وجدتها في كتاب المصباح .

قال : أنشدني على بن منصور ، ولم يذكر أحمد . وهذا هو الصحيح .

٢١ — عبد الله بن عطاء بن عبد الله بن أبي منصور بن الحسن بن إبراهيم الإبراهيمي ، الهروي ، المحدث الحافظ ، أبو محمد .

أحد الحفاظ المشهورين الرحالين ، سمع بهراة من عبد الواحد المليحي وشيخ الإسلام الأنصاري ، وببوشنج من أبي الحسن الداودي ، وبنيسابور من أبي القاسم القشيري ، وأبي عثمان النيري وجماعة ، وببغداد من أبي الحسين ابن النقور

وطبقته ، و بأصبهان من عبد الرحمن وعبد الوهاب ابنى منده ، وجماعة

وكتب بخطه الكثير ، وخرج التخاريج للشيوخ ، وَحَدث .

وروى عنه أبو محمد سبط الخياط، وأبو بكر ابن الزعفرانى . وآخر من روى عنه : أبو المعالى ابن النحاس ، ووثقه طائفة من حفاظ وقته فى الحديث ، منهم : المؤتمن الساجى .

وقال شهردار الديلمى عنه : كان صدوقاً حافظاً ، متقناً واعظاً ، حسن التذكير.

وقال يحيي بن منده : كان أحد من يفهم الحديث و يحفظ ، صحيح النقل ، كثير الكتابة ، حسن الفهم ، وكان واعظاً حسن التذكير .

وقال خميس الجوزى : رأيته ببغداد ملتحقاً بأصحابنا ، ومتخصصاً بالحنابلة ، يُخرّج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات ، و يرويها لهم . وأضداده من الأشعرية يقولون : هُو يضعها . وما علمتُ فيه ذلك . وكان يعرفه . انتهى.

وقد تكلم فيه هبة الله السقطى ، والسقطى مجروح ، لايقبل قوله فيه مقابلة هؤلاء الحفاظ . وقد رد كلامه فيه ابن السمعانى وابن الجوزى وغيرهما

وخرّج الإبراهيمى شيوخ الإمام أحمد وتراجمهم .

وتوفى فى طريق مكة بعد عوده منها ، على يومين من البصرة ، سنة ست وسبعين وأربعمائة . رحمه الله تعالى .

٢٢ ـ أحمد بن على بن عبد الله المقرىء ، الصوفى المؤدب ، أبو الخطاب البغدادى .

وُلد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائه . قرأ على أبى الحسن الحمامى وغيره . تلا على الحمامى المذكور بالسبع . وقرأ عليه خلق كثير، منهم: أبو الفضل بن المهتدى ، وهبة الله بن المُجْلى ، وغيرهما .

وروى عنه الحديث أبو بكر بن عبد الباقى وغيره . وله مصنف فى السبعة ، وقصيدة فى السنة ، رواها عنه عبد الوهاب الأنماطى وغيره ، وقصيدة فى عدد

الآى . وكان من شيوخ الإقراء ببغداد المشهورين بتجويد القراءة وتحسينها .

توفى يوم الثلاثاء سادس عشرين رمضان سنة ست وسبعين وأربعمائة . ودفن بباب حرب .

أُنبِئتُ عن القاضى أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى عمر المقدسى ، أنبأنا عمر ابن محمد بن طَبَرْزَد ، أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن على المقرىء قال : أنبأنا أبو الخطاب الصوفى قال : كنت على مذهب الإمام الشافعى ، وكان عادتى : أن لا أرجّعَ فى الأذان ، ولا أقنت فى صلاة الفجر ، غير أننى أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم . وكان عادتى أيضاً ليلة الغيم : أنوى من رمضان كما جرت عادة أصحاب أحمد ، فلما كان فى بعض الليالى : رأيت كأننى فى دار حسنة جميلة ، وفيها من الغلمان والخدم والجند خلق كثير ، وهم صغار وكبار ، والدخل والخرج ، والأمر والنهى . فإذا رجل بهى شيخ على سرير ، والنور على وجهه ظاهر ، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالجوهر ، وثياب خضر تلمع . وكان إلى جنبى رجل ممنطق يشبه الجند ، فقلت له : بالله هذا المنزل لمَن ؟ قال لمن ضرب بالسوط حتى يقول: القرآن مخلوق . قلت أنا فى الحال : أحمد بن حنبل ؟ قال : هو ذا . فقلت : والله إن فى نفسى أشياء كثيرة ، أشتهى أن أسأله عنها ، وكان على سرير ، وحول السرير خلق قيام . فأومأ إلىّ أن اجلسْ ، وسَلْ عما تريد . فمنعنى الحياء من الجلوس . فقلت: ياسيدى، عادتى لا أرجِّع فى الأذان، ولا أقنت فى صلاة الفجر ، غير أنى أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأخشع . فقال بصوت رفيع عال: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقى منك وأخشع ، وأكثرهم لم يجهروا بقراءتها . فقلت: عادتى ليلة الغيم أصوم ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل . فقال اعتقد ماشئت من أى مذهب تدين الله به ، ولا تكن مَعْمَعِيًّا . وأنا أرعدُ . فلما أصبحتُ أعلمتُ من يصَلّى ورائى بما رأيتُ ، ولم أجهر بعدُ ، ودعانى ذلك إلى أن قلتُ هذه القصيدة وهى :

حقيقة إيمانى : أقول لتَسمعوا لعلى به يوماً إلى الله أرجع

بأن لا إله غير ذى الطول وحده ... تعالى ، بلا مثل ، له الخلق خضع
وليس بمولود ، وليس بوالد ... يرى ماعليه الخلق طرا ، ويسمع

وذكر أبياتاً إلى أن قال :

وإن كتاب الله ليس بمحدثٍ ... على ألسن تتلو ، وفى الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ فى كلّ مصحفٍ ... كذلك إن أبصرتَ ، أو كنت تسمعُ
وللجبـل الرحمن لما بدا له ... تدكدك خوفاً كالشظى يتقطع
وكلّمَ موسى ربه فوق عرشـه ... على الطور تـكليماً ، فما زال يخضعُ

وذكر بقية الاعتقاد إلى أن قال :

وعن مذهبى — إن تسألوا — فابنُ حنبلٍ ... به أقتدى مادمتُ حياً أمتّعُ
وذاك لأنى فى المنـام رأيته ... يروحُ ويغدو فى الجنان ويرتعُ
وفى منزلٍ بنيانه غير مشبهٍ ... لبنيان ذى الدنيا وفى العين أوسعُ
وفيه من الأصحاب مالا أعدهم ... وحور وولدان بهم يتمتّعُ
وفيه بيوت ما استدارت منيرة ... زرابيُّها مبثوثةٌ فيـه تلمعُ
وكان إلى جنبى نقيبٌ ممنطق ... عليه ثيابٌ مسكها يتضوّعُ
فقلتُ له : بالله ذا المنزل الذى ... أراه لمن ؟ قل لى ، فإنى مروّعُ
فقال : ولا تدرى ؟ فقلت : وكيف لى ... بعلم إليه ، أنتَ أهدى وأسرعُ
فقال : لمن بالسوط يُضْرب تارةً ... ليرجعَ فى الأخرى ، وما فيه مطمعُ
يقولُ : كلام الله ليس بمحدَثٍ ... وليس بمخلوق ، فما شئتم اصنعوا
فقلت له فى الحال : ذاك ابنُ حنبلٍ ... إمامٌ ، تقىٌ ، زاهدٌ ، متورعُ
وإنى لمشتاقٌ إليه ، فـدلّنى ... ففى النفس حاجات إليه تسرّعُ
فأوما إليه ، فالتفتُ إذا به ... على سُدةٍ من وجهه النور يسطعُ
ومن سندسٍ أثوابه فى اخضرارها ... على رأسه تاجٌ بدرّ مرصّعُ
ومن حوله وُلْدٌ صِباحٌ وغلمةٌ ... تُواصل بالـكاسات قوماً وتقطعُ

أشار بأطراف البنان تعطفاً : أن اقرب ، فقل ماشئتَهُ منك نسمعُ
وأوما : أن اجلس ، فامتنعتُ مهابة وداخلنى رعبٌ وعينـاىَ تَدمعُ
فقلت له : يا أزهدَ الناس كلهم ، عليك اعتمادى ، دلَّنى كيف أصنعُ ؟
طُبعتُ على أشياء هُنّ ثلاثةٌ وكلٌّ على ما قدَّر اللهُ يُطبعُ
فنها : إذا غُمَّ الهـلالُ لليلة صبيحتها عشرٌ وعشرون تتبعُ
أصومُ ، كما قال الإمام ابنُ حنبلٍ فَللصوم خيرٌ من سواه وأنفعُ
وعند صلاة الصبح لستُ بقانت وعند ندائى عادتى لا أُرجِّعُ
ولـكن إذا ما قمتُ لله طائعاً أُبَسْمِلُ جهراً فى الصـلاة وأخضعُ
فقال بصوت جهوريٍ ، سمعته : صحابُ رَسول الله أتقى وأخشعُ
وأكثرهم لم يجهروا بقراتها وهم قدوةٌ فى الدين أيضاً ومفزعُ
وأن تعتقد ماشئتَ من أىّ مذهبٍ به الله يرضى والنبيُّ المشفعُ
ولا تكُ فيه معمعياً كلاعبٍ يدينُ بما يهوى ، وللغرم يدفعُ
فقلتُ له : فى النفس شىء أقولهُ أنا فى صفـات الحق أيضاً متعتعُ
فقال تعالى اللهُ (ليس كمثله ـ كما قال ـ شىء) ثم للذكر فاتبعوا
فما كان فيه من صفات مليكنا على الرأسِ والعينين ، ماعنه مدفعُ
وما جاء فى الأخبار عن سيد الورى روته ثقاتٌ عنـه لا يتمنعُ
فليس لترك الحق عندى رخصة إذا كان جهالٌ له قد تبعوا
فـكن حنبلياً تنجُ من كل بدعةٍ « فأحمدُ » عندَ الله فى الزهد أبرعُ

وذكر باقى القصيدة .

٢٣ ـ أحمد بن مرزوق بن عبد الله بن عبد الرزاق الزعفرانى ، المحدث أبو المعالى .

سمع الـكثير ، وطلب بنفسه . وكتب بخطه .

قال أبو على البردانى : كان همه جمع الحديث وطلبه . حدّث باليسير عن أحمد بن محمد بن عمر بن الأخضر ، وأبى الحسين أحمد بن محمد بن الحسن العكبرى ، وأبى الفضل هبة الله بن محمد الأزدى .

روى عنه أبو على البردانى ، وقال : إنه مات ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . ودفن من الغد بباب حرب . وكان شاباً . انتهى .

وهو أخو أبى الحسن محمد الشافعى الذى هو من أصحاب الخطيب أبى بكر .

٢٤ ـ شافع بن صالح بن حاتم بن أبى عبد الله الجيلى ، أبو محمد .

قدم بغداد بعد الثلاثين وأربعمائة . وسمع من أبى على بن المذهب ، والعشارى ، وابن غيلان ، والقاضى أبى يعلى ، وعليه تفقه .

وكتب معظم تصانيفه فى الأصول والفروع . ودرس الفقه بمسجد الشريف أبى جعفر بدرب المطبخ شرقى بغداد ، وكان يؤم به أيضاً . وخلفه أولاده من بعده فى ذلك ، حتى عرف المسجد بهم .

قال أبو الحسين ، وابن الجوزى : كان متعففاً متقشفاً ذا صلاح .

قال ابن السمعانى : كان ذا دين وصلاح ، وتعفف وتقشف ، حسن الطريقة ، صحيح الأصول . كتب التصانيف فى مذهب الإمام أحمد كلها . ودرس الفقه ، وروى لنا عنه عبد الوهاب الأنماطى .

وتوفى يوم الثلاثاء سادس عشرين صفر سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى .

٢٥ ـ عبد الله بن نصر الحجازى ، أبو محمد الزاهد .

قال ابن الجوزى : سمع الحديث ، وصحب الزهاد ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وكان خشن العيش متعبداً . وحج على قدميه بضع عشر حجة .

وتوفى فى ربيع الأول سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن بباب حرب .

٢٦ - محمد بن على بن الحسين بن القيم الخزاز الخريمى أبو بكر الحنبلى .

طلب الحديث . وسمع من أبى الغنائم بن المأمون ، والجوهرى ، والعشارى ، وغيرهم . وكتب بخطه الحديث والفقه . وأظنه جالس القاضى أبا يعلى .

وحدّث باليسير . سمع منه أبو طاهر بن الرحبى القطان ، وأبو المكارم الظاهرى .

توفى يوم الأحد سلخ ذى الحجة آخر يوم من سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

٢٧ - عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن على بن جعفر بن منصور بن مَتّ الأنصارى ، الهروى ، الفقيه المفسر الحافظ ، الصوفى الواعظ ، شيخ الإسلام أبو إسماعيل .

وهو من ولد أبى أيوب زيد بن خالد الأنصارى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد فى شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

ذكره عبد القادر الرهاوى فى كتاب « المادح والممدوح » وهو مجلد ضخم يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصارى وما يتعلق بها ، قال : رأيته فى تاريخ أبى عبد الله الحسين بن محمد الهروى الكتبى ، الذى ذيل به على تاريخ إسحاق القرّاب الحافظ ، وذكر : أنه سأل أبا إسماعيل عن سنه؟ فأخبره بذلك . وكذا ذكر ابن نقطة .

وهذا أصح مما ذكره ابن الجوزى : أنه وُلد فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين .

وذكر عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى فى ذيل تاريخ نيسابور : أنه ولد سنة ست وتسعين .

وسمع الحديث بهراة من يحيى بن عمار السجزى ، وأخذ منه علم التفسير ،

وأبى منصور الأزدى ، وأبى الفضل الجارودى الحافظ ، وأخذ منه علم الحديث ، وشعيب البوشنجى وغيرهم . و بنيسابور من أبى سعيد الصيرفى ، وأبى نصر المفسر المقرئ ، وأبى الحسن الطرازى ، وجماعة من أصحاب الأصم . ورأى القاضى أبا بكر الحيرى ، وحضر مجلسه ، ولم يسمع منه . وكان يقول : تركتُه لله . وكان قد سمع منه فى مجلسه ما ينكره عليه من مخالفة السنة . ذكره الرهاوى عن السلفى ، عن المؤتمن الساجى ، عنه .

وسمع بطوس و بسطام ، من خلق يطول ذكرهم . وصحب الشيوخ ، وتأدّب بهم . وخرج الأمالى والفوائد الكثيرة لنفسه ولغيره من شيوخ الرواة . وأملى الحديث سنين .

وصنف التصانيف الكثيرة ، منها : كتاب «ذم الكلام» وكتاب «الفاروق» وكتاب « مناقب الإمام أحمد » وكتاب « منازل السائرين » وكتاب « علل المقامات » وله كتاب فى «تفسير القرآن» بالفارسية جامع ، و « مجالس التذكير » بالفارسية حسنة ، وغير ذلك .

وكان سيداً عظيما ، و إماماً عالماً عارفاً ، وعابداً زاهداً ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام فى نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها . وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة . وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد .

قال ابن السمعانى : سمعت أبا طاهر أحمد بن أبى غانم الثقفى ، سمعت صاعد ابن سيار الحافظ ، سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الإمام يقول : « مذهبُ أحمد . أحمدُ مَذْهَب » .

وقال محمد بن طاهر الحافظ فى كتابه «المنثور من الحكايات والسؤالات » : سمعت عبد الله بن محمد الأنصارى يقول : لما قصدت الشيخ أبا الحسن الجركانى

الصوفى ، وعزمت على الرجوع وقع فى نفسى أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالرى ، وألتقى به . وكان مقدم أهل السنة بالرى .

وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الرىّ قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق الكلام على المنابر غير أبى حاتم . وكان من دخل الرى من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فإن رضيه أذن له فى الكلام على الناس وإلا منعه ، فلما قربت من الري كان معى فى الطريق رجل من أهلها ، فسألنى عن مذهبى ؟ فقلت : أنا حنبلى ، فقال : مذهبٌ ما سمعتُ به ، وهذه بدعة . وأخذ بثوبى ، وقال : لا أفارقك حتى أذهب بك إلى الشيخ أبى حاتم . فقلت: خيرة ؛ فإنى كنت أتعب إلى أن ألتقى به ، فذهب بى إلى داره .

وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم ، فقال : أيها الشيخ ، هذا الرجل الغريب سألتُه عن مذهبه، فذكر مذهباً لم أسمع به قط . قال : ما قال ؟ قال : أنا حنبلى . فقال : دعْهُ ، فكلُّ من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم ، فقلت : الرجل كما وُصفَ لى . ولزمته أياماً ، وانصرفت .

وإنما عُنى أبو حاتم فى الأصول .

وذكر عبد القادر الرهاوى : أخبرنا أبو سعد الصايغ : سمعت عبد الجبار ابن أبى الفضل الصيرفى ، سمعت جماعة من أصحاب شيخ الإسلام الأنصارى يقولون : سمعنا شيخنا شيخ الإسلام أبا إسماعيل يقول : فذكر أبياتاً بالفارسية تفسيرها بالعربية :

إلٰهنا مَرْئِىٌّ على العرش مُستوٍ
كلامُه أزلىٌّ رَسُوله عَربىّ
كل من قال غير هذا أشْعَرِىّ
مَذهبُنا مَذهَبٌ حنبلىّ

قال عبد القادر : سمعت أبا عروبة عبد الهادى بن محمد الزاهد بسجستان

يقول : سمعت شيخ الإسلام أبا نصر هبة الله بن عبد الجبار بن فاخر يقول : قال لى شيخ الإسلام — يعنى الأنصارى — كيف تفعلون فى القنوت ؟ قلت : أوصانى أبى أن أقنت فى الوتر . قال : وما قال لك : لا تقنت فى الصبح ؟ قلت: لا . قال : فما أنصفك .

وذكر ابن طاهر الحافظ فى كتابه المذكور قال: سمعت الإمام عبد الله بن محمد الأنصارى يُنشد على المنبر فى يوم مجلسه بهراة :

أنا حنبلىٌّ ما حييتُ وإن أمت فوَصِيّتي للناس أن يتَحَنْبَلُوا

وَلشيخ الاسلام قصيدة نونية طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة ومدح أحمد وأصحابه . وقد أنبأتنى بها زينب بنت أحمد ، عن عجيبة بنت أبى بكر ، عن أبى جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلانى . قال : أنشدنا شيخ الإسلام فذكر القصيدة إلى أن قال :

وإماميَ القَوّام لله الّذِى دفنوا حَميدَ الشأن فى بغدان
جمع التقى والزهد فى دُنياهم والعلم بعد طهارة الأردانِ
خطمُ النبى ، وصيرفىُّ حديثه ومُفلِّقٌ أعرافَها بمعانِ
حبرُ العراق ، ومحنةٌ لذوى الهوى يدرى ببغضته ذَوُو الأضغانِ
عرفَ الهدى فاختار ثوبَى نُصرَة وشجى بمُهجتِهِ عُرَى عِرفانِ
عُرِضَتْ له الدنيا فأعرض سالماً عنها كفعل الراهب الخُمصانِ
هانت عليه نفسُه فى دِينِهِ ففدى الامامُ الدينَ بالجثمانِ
لله ما لقى ابن حنبلَ صابراً عزماً وينصره بلا أعوانِ
أنا حنبلى ما حييت وإن أُمت فوصيّتى ذاكم إلى إخوانى
إذْ دِينه دينى ودينى دينُه ما كنت إمَّعَةً له دينانِ

وقال ابن طاهر : سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصارى بهراة يقول : عرضت

على السيف خمس مرات ، لايقال لى : ارجع عن مذهبك ، لـكن يقال لى : اسكت عمن خالفك ، فأقول : لا أسكت .

قال : وحكى لنا أصحابنا أن السلطان « ألب أرسلان » حضر هراة ، وحضر معه وزيره أبو على الحسن بن على بن إسحاق ، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعى ، وأصحاب أبى حنيفة ، للشكاية من الأنصارى ، ومطالبته بالمناظرة . فاستدعاه الوزير . فلما حضر قال : إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك : فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك ، وإن يكن الحق معهم : إما أن ترجع ، وإما أن تسكت عنهم . فقام الأنصارى وقال : أنا أناظر على ما فى كُمِّيَّ . فقال له : وما فى كميك ؟ فقال : كتاب الله ، وأشار إلى كمه اليمين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى كمه اليسار ، وكان فيه الصحيحان . فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم ، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق .

قال : وسمعت أحمد بن اميرجه القلانسى خادم الأنصارى يقول : حضرت مع الشيخ للسـلام على الوزير أبى على الطوسى ، وكان أصحابه كلفوه بالخروج إليه ، وذلك بعد المحنة ، ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وبَجَّلَه ، وكان فى العسكر أئمة من الفريقين فى ذلك اليوم ، وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدى الوزير : فإن أجاب بما يجيب به بهراة سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه . فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعى ، يعرف بالعلوى الدبوسى ، فقال : يأذن الشيخ الإمام فى أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل ، فقال : لِمَ تَلعَنُ أبا الحسن الأشعرى ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لِمَا عَلِمَ من جوابه . فلما كان بعد ساعة ، قال له الوزير : أجبه ، فقال: لا أعرف الأشعرى . وإنما ألعنُ من لم يعتقد أن الله عز وجل فى السماء ، وأن القرآن فى المصحف ، وأن النبى اليوم نبى . ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحـد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته .

فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا : وما عسى أن أفعل به ؟ ثم بعث خلفه خلعاً وصلة فلم يقبلها . وخرج من فوره إلى هراة ولم يلبث .

قال ابن طاهر : وسمعت أصحابنا بهراة يقولون : لما قدم السلطان « ألب أرسلان » هراة فى بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ، ودخلوا على الشيخ أبى إسماعيل الأنصارى ، وسلموا عليه ، وقالوا : قد ورد السلطان ، ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الإمام ، ثم نخرج إلى هناك . وكانوا قد تواطأوا على أن حملوا معهم صنما من الصُّفْر صغيراً ، وجعلوه فى المحراب تحت سجادة الشيخ . وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته .

ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصارى ، وقالوا له : إنه مجسم . فإنه يترك فى محرابه صنما ، ويقول : إن الله عز وجل على صورته . وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم فى قبلة مسجده . فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلاما ومعه جماعة . ودخلوا الدار ، وقصدوا المحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدى السلطان . فبعث السلطان بغلمان ، وأحضر الأنصارى : فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين يدى السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه . فقال له : ماهذا ؟ قال : هذا صنم يعمل من الصفر شِبه اللُّعبة . فقال : لستُ عن هذا أسألك ، فقال : فعن ماذا يسأل السلطان ؟ قال : إنَّ هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم ، وأنك تقول : إن الله عز وجلَّ على صورته ، فقال الأنصارى : سبحانك ! هذا بهتان عظيم . بصوتٍ جَهورى وصولة . فوقع فى قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرجَ إلى داره مُكرَّماً . وقال لهم : اصدقونى القصة ، أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً ، فقالوا : نحنُ

فى يد هـذا الرجل فى بلية من استيلائه علينا بالعامة ، وأردنا أن نقطع شرّه عنا . فأمر بهم ، ووكل بكل واحد منهم ، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال يؤديه إلى خزانة السـلطان جناية ، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم .

وقد جرى لشيخ الإسلام محن فى عمره ، وشرد عن وطنه مدّة

فمن ذلك : أن قوماً من المتصوفة بهراة عاثوا وأفسـدوا بأيديهم على وجه الإنـكار ، فنسب ذلك إلى الشيخ ، ولم يكن بأمره ولا رضاه . فاتفق أكابر أهل البلد على إخراج الشيخ وأولاده وخدمه ، فأخرجوه يوم الجمعة عشرين رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الصلاة ، ولم يمهل للصلاة . فأقام بقرب البلد ، فلم يرضوا منه بذلك فخرج إلى بوشنج ، وكتب أهلُ هراة محضراً بما جرى ، وأرسلوه إلى السلطان ، فجاء جواب السلطان ووزيره « نظام الملك » بإبعاد الشيخ وأهله ، وخدمه إلى ماوراء النهر . وقرىء الـكتاب الوارد بذلك فى الجامع على منبر يحيى بن عمار ، وفيه حطٌّ على الشيخ ، فأُخرج الشيخ ومن كان يعقد المجلس من أقاربه خاصّة إلى مَرْوَ ، ثم ورد الأمرُ بردّه إلى بلخ ، ثم إلى مرو الرُّوذ . ثم أذن له فى الرجوع إلى هراة ، فدخلها يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة ثمانين وأربعمائة . وكان يوما مشهوداً .

قال الرهاوى : سمعت شيخنا أبا طاهر السلفى بالاسكندرية يقول : لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلد : لايحمل على الدواب إلا على رقاب الناس . فجعل فى محفـة . وكان يتناوب حملها أربعـة رجال ، حتى وصل بلخ . فخرج أهلها وهمُّوا برجمه . فردَّهم ابن نظام الملك ، وقال : تريدون أن تـكونوا مسبة الدهر ؛ ترجمون رجلاً من أهل العلم ؟ ! ثم سألوه أن يعظ ، فقرأ : (٣٩ : ٢٣ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ، الآية) ثم قال : كلُّ المسلمين يقولون هذا ، إلاَّ أهل غُورجَه وغرجِسْتان وفلانة وطالقان . لعنهمُ الله لعنةَ عادٍ وثمود ، والنصارى واليهود . قُولوا : آمين ، فقالوا : آمين .

قال الرهاوى : و إنما همَّ أهل بلخ بما همُّوا به ؛ لأنهم معتزلة شديدة الاعتزال . وكان شيخ الإسلام مشهورًا فى الآفاق بالحنبلة والشدة فى السنَّة .

قال : وسمعتُ السلفى يقول : لما أمر نظام الملك بإخراج الشيخ من هراة سمع بذلك الشيخ مَعْمَر اللُّنْبانى[1] ، فمضى إلى نظام الملك فى أمره ، فقال له نظام الملك : قد صار لذلك الشيخ عليَّ منة عظيمة ؛ حيث بِسَبَبِهِ دخلتَ عليَّ . ثم كتب فى الحال بردّه إلى بلده .

وذكر الرّهاوىّ : أن الحسين بن محمد الكتبى ذكر فى تاريخه : أن مسعود ابن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة ، فاستحضر شيخ الإسلام ، وقال له : أتقول: إن الله عزَّ وجل يضع قَدَمَه فى النار ؟ فقال ــ أطال اللهُ بقاء السلطان المعظم ــ إن الله عز وجل لا يتضرر بالنار ، والنار لا تضره ، والرسول لا يكذب عليه ، وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يَرْوُون عنه ويسندون إليه . فاستحسن جوابه ، وردَّه مكرَّمًا .

قال : وعقد أهل هراة للشيخ مجلساً آخر ، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وعملوا فيه محضراً ، وأخرجوه من البلد إلى بعض نواحى بوشنج ، فحبس بها وقيِّد ثم أعيد إلى هراة سنة تسع وثلاثين ، وجلس فى مجلسه للتذكير . ثم سعوا فى منعه من مجلس التذكير عند السلطان « ألب أرسلان » سنة خمسين .

قال : وفى شهور سنة اثنتين وستين ، خلع على الشيخ من جهة الإمام القائم بأمر الله خلعة شريفة ، وفى شهور سنة أربع وسبعين خلعة أخرى فاخرة من جهة الإمام المقتدى مع الخطاب واللقب بشيخ الإسلام ، شيخ الشيوخ زين العلماء أبى إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى ، وخلعة أخرى لابنه عبد الهادى .

قال : وكان السبب فى هذه الخلع الوزير « نظام الملك » شفقةً منه على أصحاب الحديث ، وصِيَانةً عن لحوق شين بهم .

---

(١) نسبة إلى « لنبان » وهى قرية كبيرة بأصبهان .

وكان الشيخ رحمه الله آيةً فى التفسير ، وحفظ الحديث . ومعرفته ، ومعرفة اللغة والأدب . وكان يُفسِّر القرآن فى مجلس التذكير .

فذكر الكتبى فى تاريخه : أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ فى تفسير القرآن ، ففسره فى مجالس التذكير ، سنة ست وثلاثين . وفى سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً فى مجالس التذكير .

قال : وكان الغالب على مجلسه القول فى الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وَجَلَّ (٢ : ١٦٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله) فافتتح تجريد المجالس فى الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، و بنى عليها مجالس كثيرة . وكذلك قوله تعالى : (٢١ : ١٠١ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلسًا . فلما بلغ قوله تعالى (٢٤ : ٤٣ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ) كُفَّ بَصَرُه سنة ثلاث وسبعين ، ولما بلغ إلى قوله عز وجل : (٣٢ : ١٧ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : فى كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفى . وَأَخَذَ يُفَسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ المميت ، فأُخرجَ من البلد فى الفتنة الأخيرة . فلما عاد سنة ثمانين ، عقد المجلس على أمر جديد ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى . وأخذ يستعجل فى التفسير ، و يفسر فى مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، يريد أن يختم فى حياته ، فلم يقدر له على ذلك وتوفى ، وقد انتهى إلى قوله عزَّ وجل : (٣٨:٦٧،٦٨ قُل : هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)

وقال ابن طاهر الحافظ . سمعتُ شيخنا الأنصاريَّ يقول : إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير قال : وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلامٌ ، فقال : أنا أحفظ اثنى عشر ألف حديث أسردها سرداً ، قال : وقطّ ما ذكر فى مجلسه حديثاً إلا بإسناده . وكان يشير إلى صحته وسقمه .

وقال الرهاوى : سمعت أبا بشر محمد بن محمد بن هبة الله الهمذانى بهمذان يقول : سمعتُ بعض الأدباء يقول : سُئل شيخ الإسلام الأنصارى عن تفسير آية ؟

فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية ، فى كل بيت منها لغة تلك الآية .

قال ابن الجوزى : أخبرنا ابن ناصر عن المؤتمن بن أحمد الحافظ ، قال : كان عبدالله الأنصارى لايشذ على المذهب شيئاً ، و يتركه كما يكون ، و يذهب إلى قول رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم : «لاَ تُوكِ فَيُوكَأ عليك» وكان لايصوم شهر رجب ، و ينهى عن ذلك ، و يقول: ماصح فى فضل رجب وفى صيامه شىء عن رسول‌الله صلى الله عليه وسلم . وكان يملى فى شعبان وفى رمضان ، ولا يملى فى رجب .

وقال ابن طاهر الحافظ : سمعتُ أبا إسماعيل الأنصارى يقول : كتابُ أبى عيسى الترمذى عندى أفيدُ من كتاب البخارى ومسلم ، فقلتُ : لِمَ ؟ قال : لأن كتاب البخارى ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة . وهذا كتاب قد شرح أحاديثه و بينها ، فَيَصِلُ إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم . قال : وسمعتُه يقول : المحدّث يجب أن يكون سريعَ المشى ، سريع الكتابة ، سريعَ القراءة .

قال الرُّهاوى : سمعتُ السلفى يقول : سمعتُ أبا الخير عبد الله بن مرزوق الهرَوىَّ يقول : سمعتُ أبا إسماعيل الأنصارى الحافظ بهراة يقول : ينبغى لمن يكون من‌أهل الفقه أن يكون له أبداً ثلاثة أشياء جديدة : سراويله ، ومداسُه ، وخرقةٌ يُصلى عليها .

قال الرُّهاوى : وسمعتُ بعض الناس بهراة يحكى : أن شيخ الإسلام دخل يوماً على القاضى أبى العلاء صاعد بن سيار ، وعلى يمينه رجل من البُوسَعْدِيَّة ، فجلس شيخ الإسلام على يسار القاضى ، فغضب البوسعدى ، وقال : أجلسُ عن يمينك ويجلسُ عن يسارك ؟ فوثب شيخ الإسلام ، وجلس ناحيةً ، وقال : الحِدَّةُ ينبغى أن تكون فى أكل البصل ، والشدّة فى تشقيق الحطب . وأما الجلوس فى المجالس فإنما يكون بالعلم . وغضب القاضى من كلام الرجل ، وقال : إيش تنكر من حاله ؟ حيث لم يكن له مركوب ولا ثياب ، وأمر له بثياب ومركوب ، وجعل له فى الجامع موضعاً يعظُ فيه .

قال الرُّهاوى : وقد رأيتُ كرسى شيخ الإسلام قليل المراقى فى زاوية من جامع هراة ، والناس يتبركون به .

وقال ابن طاهر : سألت الأنصارى عن الحاكم أبى عبد الله ؟ فقال : ثقة فى الحديث ، رافضى خبيث .

وذكر ابن السمعانى عن يحيى بن منده عن عبد الله بن عطاء الإبراهيمى قال : سمعتُ شيخ الإسلام الأنصاريّ قال : سألتُ أبا يعقوب الحافظ عن قول البخارى فى الصحيح : قال لى فلان ؟ قال : هو راوية بالإجازة ، ثم قال شيخ الإسلام : عندى أن ذاك الرجل ذاكر البخارى فى المذاكرة : أنه سمع من فلان حديث كذا ، وكتاب كذا ، أو مسند كذا ، أو حديث فلان ، فيرويه بين المسموعات وهو طريق حسن ، طريق مليح . ولا أحد أفضل من البخارى .

وقال المؤتمن الساجى : كان يدخل عليه الجبابرة والأمراء ، فما كان يبالى بهم . ويرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء فيكرمه إكراماً يعجب منه الخاصُ والعامّ رحمه الله .

قال صاعد بن سيار الهرَوى فى أماليه : سمعتُ شيخ الإسلام الأنصارى يقول : إلٰهى عصمة أو مغفرة ، فقد ضاقت بنا طريق المعذرة .

وقد أثنى على الشيخ الإمام أبى إسماعيل شيوخُهُ وأقرانه . ومن دونه من الفقهاء ، والمحدثين ، والصوفية ، والأدباء وغيرهم . وقد سبق فى ترجمة عبد الرحمن ابن منده قول سعد الزنجانى فيه : إنّ الله حفظ به الإسلامَ ، وبابن منده .

وقال الرُّهاوى : سمعتُ بهراة : أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة ، ووصل إلى مرو ، وأذن له فى الرجوع إلىٰ هراة ، رجع ووصل إلى مرو الروذ ، قصده الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الفرّاء صاحب التصانيف . فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام : إن الله قد جمع لك الفضائل ، وكانت قد بقيت فضيلة

واحدة ، فأراد أن يكملها لك ، وهى الإخراج من الوطن ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الرُّهاوى : وسمعتُ أبا عبد الله سفيان بن أبى الفضل الحرقى السفيانى وكان من أهل الحديث والفضل والدّين ، وكان سفيانى المذهب يقول : سمعتُ الحافظ أبا مسعود كوتاه يقول : سمعتُ أبا الوقت عبد الأَول بن عيسى يقول : دخلتُ على الجوينى — يعنى أبا محمد عبد الله بن يوسف الفقيه — فسألنى عن شيخ الإسلام ؟ فقلت : أنا خادمُه . فقال : رضى اللهُ عنه .

قال الرُّهاوى : وذكر الحسين بن محمد الكتبى الهروىّ فى تاريخه : أنّ شيخ الإسلام الأنصارى سافر إلى نيسابور سنة سبع عشر وأربعمائة ، طالباً للحديث والفقه ، ورؤية المشايخ ، والاستفادة منهم ، والتبرك بصحبتهم . ورجع فى تلك السنة . ثم سافر ثانيا للحج مع الفقيه الإمام أبى الفضل بن أبى سعد الزاهد الواعظ ، ومعهما خلقٌ كثير سنة ثلاث وعشرين . فلما وردوا نيسابور أخرج الإمام أبو عثمان الصابونى لخاله الإمام أبى الفضل بن أبى سعد الزاهد مجلساً فى الحديث ليمليه بنيسابور ، فنظر فيه الأَنصارى ونبَّه على خلل فى رجال الحديث وقع فيه . فقبل الصابونى قوله ، وعاد إلى ماقال ، وأحسن الثناء عليه ، وأظهر السرور به ، وهنأ أهل العصر بمكانه ، وقال : لنا جمال ، ولأهل السنة مكانة ، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه . وكان ذلك بمشهد من مشايخ فيهم كثرة ، وشهرة و بصيرة .

قال صاحب التاريخ : وكنتُ حاضراً يومئذٍ . قال : وسمعتُ الإمام عبدالله الأنصارى بنيسابور يقول : دخلتُ على الإمام ناصر المروزى بنيسابور ، وكان مجلسه غاصًّا بتلامذته ، واحتفَّ به الفقهاء ، وكان يدرّس ويقول : رُوى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أنه كان يقرأ فى الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (٢٠:١١٤ رب زِدْنِى عِلْماً) فقلت — أيد الله الشيخ الإمام — : أحديثُ عهد أنت

بهذا الحديث وهو على ذكرك ؟ فقال : لا ، فقلتُ : كان يقرأ فى الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (٣ : ٨ ربَّنا لاَ تُزِغْ قلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا) فقال : صدقتَ ورجع إلى قولى ، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه . ثم بكرتُ إليه من غد هذا اليوم ، فرحب بى ، وأعلى محلّى ، وأجلسنى فوق جماعة زهاء سبعين ، كنتُ بالأمس جالساً دونهم ، ومدحتُه بقصيدةٍ ، وَواظبْتُ على الاختلاف إليه وأخذ الفقه عنه مدة .

قال صاحب التاريخ : ورجع الشيخ من حرقات ، والريّ عن زيارة الشيخ أبى الحسن الحرقانى ، وكان الحرقانى أحسن الثناء عليه ، ولاَطَفه فى المخاطبة سنة أربع وعشرين .

قال : ولقى الشيخ بنيسابور الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الشيرازى ، وتكلم بين يديه . فرضى ابن باكويه قوله ، واستحسن فى الحقيقة كلامه ،و بشر بأيامه ، فلما عزم على الخروج من عنده قال : إلى أين ؟ قال : نَويتُ سفراً . قال : لست من بابة السفر ، بل بابتُكَ أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق .

قال صاحب التاريخ : وكان إسحاق القرَّاب الحافظ يتأمل ما كان يخرجه الأنصارى ، وكذلك إسماعيل الصابونى . قال : وكلهم تعجبوا من تخريجه ، وأعجبوا به ، وأثنوا على الشيخ عبد الله الأنصارى ، واغتبطوا بمكانه ، ودعوا له بالخير . وكان من عادة إسحاق القراب الحافظ الحث على الاختلاف إلى الأنصارى ، والبَعث على القراءة عليه ، واستماع الأحاديث بقراءته ، والاستفادة منه ، والمواظبة على مجلسه ، والاختيار له على غيره . وكان يقول : لايمكن أن يكذب على النبى صلى الله عليه وسلم كاذب من الناس ، وهذا الرجل فى الإحياء .

قال : وكلٌّ من لقيت من أهل هراة وفى سائر البلدان ، حين خرجت مسافراً ، ومن سمعت يخبر منهم فى الآفاق من القضاة والأئمة والأفاضل ، والمذكورين ، كانوا يحسنون الثناء عليه ، ولا ينكرون فضله .

وقال الرُّهاوى : سمعتُ أبا بشر محمد بن محمد الهمذانى يقول : سمعتُ شيخى عبد الهادى الذى أخذت عنه العلم يقول : عبدُ الله الأنصارى يُعدُّ فى العبادلة . قال الرُّهاوى : عبد الهادى هذا من أئمة همذان .

وقد ذكر أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامى[(١)] فى تاريخ هراة شيخ الإسلام الأنصارى ، فقال : كان بكر الزمان ، وزناد الفلك ، وواسطة عقد المعانى والمعالى ، وصورة الإقبال فى فنون الفضائل ، وأنواع المحاسن .

منها : نصرة الدين والسنة ، والصلابة فى قهر أعداء المِلّة، والمتحلين بالبدعة . حيِي على ذلك عمره ، من غير مداهنة ومراقبة لسلطانٍ ولا وزيرٍ ، ولا ملاينةٍ مع كبير ولا صغير . وقد قاسى بذلك السبب قصد الحساد فى كل وقتٍ وزمان ، ومُنى بكيد الآعداء فى كل حين وأوان ، وسعوا فى روحه مِراراً ، وعمدُوا إلى هلاكه أطواراً ، مقدرين بذلك الخلاص من يده ولسانه ، وإظهار ما أضمروا فى زمانه . فوقاه الله شرهم ، وأحاط بهم مكرهم ، وجعل قصدهم لارتفاع أمره ، وعلوشأنه ، أقوى سبب . وليس ذلك من فضل الله تعالى ببدع ولا عجب (٧:٤٧ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

وأما قبوله عند الخاص والعام ، واستحسان كلامه ، وانتشاره فى جميع بلاد الإسلام ، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان ، أو يختلف فى سَبقه وتَقدمه فيها من الأئمة اثنان . ولقد هذَّب أحوال هذه الناحية عن البدع بأسرها ، ونقح أمورهم عما اعتادوه منها فى أمرها ، وحَمَلهُم على الاعتقاد الذى لامطعن لمسلمٍ بشىء عليه ، ولا سبيل لمبتدع إلى القَدح إليه .

ومنها : تصانيفه التى حاز فيها قصب السبق بين الأضراب ، وذكرها فى باب المصنفين من الكتاب .

وذكره أيضاً الإمام أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى ، خطيب نيسابور فى تاريخ نيسابور ، فذكر اسمه ونسبه ، وقال : أبو إسماعيل الإمام شيخ

(١) نسبة إلى « فامية » قرية من قرى واسط بناحية فم الصلح .

الإسلام بهراة ، صاحب القبول فى عصره ، والمشهور بالفضل وحُسن الوَعظ والتذكير فى دهره . لم ير أحد من الأئمة فى فنه حلماً ماراَه عياناً من الحِشْمَة الوافرة القاهرة ، والرونق الدائم ، والاستيلاء على الخاص والعام ، فى تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع ، والغالين فى حقه ، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه ، ونواب المجالس ، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح .

وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتواريخ ، إماماً كاملا فى التفسير والتذكير ، حَسَن السيرة والطريقة فى التصوف ومباشرة التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية . مظهر السنة ، داعياً إليها ، محرضاً عليها . غير مشتغلٍ بكسب الأسباب والضياع والعقار ، والتوغل فى الدنيا . مكتفياً بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه فى السنة مرة أو مرتين . حاكماً عليها حكماً نافذاً بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملأ . فيحصل على ألوف من الدنانير بها ، وأعداد جمة من الثياب والحلى وغير ذلك . فيجمعها ويفرقها على الخبَّاز ، والبقّال ، والقصّاب ، وينفق منها موسعاً فيها من السنة إلى السنة ، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة والأعوان وأركان الدولة شيئاً . وقلّما يراعيهم . ولا يدخل عليهم ولا يبالى بهم . فبقى عزيزاً مقبولا ، قبولا أتم من الملك على الحقيقة ، مطاع الأمر قريباً من ستين سنة ، من غير مزاحمة ولا فتور فى الحال .

ومن خصائصه : أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة ، وركب الدواب الثمينة ، والمراكب المعروفة ، وتكلّف غاية التكلف ، ويقول : إنما أفعلُ هذا إعزازًا للدِّين ، ورغماً لأعدائه ، حتى ينظروا إلى عزِّى وتجملى ، فيرغبوا فى الإسلام إذا رأوا عزّه . ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقّعة والقعود مع الصوفية فى الخانقاه ، يأكل معهم ما يأكلون ، ويلبسُ مايلبسون ، ولايتميز فى المطعوم والملبوس عن آحادهم . على هذا كان يزجى أيامه . وكلُّ مانقل عنه من سيرته محمود .

ومن جملة ماأخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته : التبكيرُ بصلاة الصبح ، وأداء الفرائض فى أوائل أوقاتها ، واستعمالُ السّنن والأدب فيها .

ومن ذلك : تسميةُ الأولاد فى الأغلب بالعبد ، المضاف إلى اسم من أسماء الله تعالى : كعبد الخالق ، وعبد الخلاق ، وعبد الهادى ، وعبد الرشيد ، وعبد المجيد ، وعبد المعز ، وعبد السلام . و إلى غير ذلك مما كان يحثهم ، و يدعوهم إلى ذلك ، فتعوّدوا الجرىَ على تلك السنة ، وغير ذلك من آثاره .

ثم ذكر بعضَ شيوخه ، ثم قال : أنشدَنى أبو القاسم أسعد بن علي البارع الزوزنى لنفسه فى الإمام ، وقد حضر مجلسه :

وقالوا : رأيتَ كعبد الإلٰهِ إماماً إذا عَقَد المجلسا ؟
فقلتُ : أما إننى ما رأيـْ تُ ولم يلق قبلى ممن عسى
فقالوا : يجىء نظيرٌ له فقلت : كمستقبلٍ مِنْ عَسى

قال عبد الغافر : وقرأتُ فى « دمية القصر لأبى الحسن الباخرزى » فصلاً فى الإمام عبد الله الأنصارى ، وذلك أنه قال :

هو فى التذكير فى الدرجة العليا ، وفى علم التفسير أوحد الدنيا . يعظ فيصطاد القلوب بحسن لفظه ، و يمحص الذنوب بيمن وعظه . ولو سمع قسُّ بن ساعدة تلك الألفاظ ، لما خطب بسوق عُكاظ .

ثم ذكر بيتين للإمام عبد الله فى نظام الملك ، وهما :

بجاهك أدْرَكَ المظلومُ ثارَهْ ومَنَّك شَادَ بَانى العدلِ دارَهْ
وقبلَك هُنِّىء الوُزراء حتَّى نهضتَ بها فهُنِّئتِ الوزارَهْ

ثم قال : وحضرتُ يوماً مجلسه بهراة ، مع أبى عاصم الحسين بن محمد ابن الفضيلى المروىّ شيخ الأفاضل بهراة . فلما طاب فؤادُه ، وعرق جوادُه وطنّت نقراتُ العازفين فى جو السماء ، ودنت الملائكة فتدلّت للإصغاء .

قال أبو العاصم :

عيونُ النَّاسِ لم تلـ ـق ولا تلقى كعبـد الله
ولا يُنكر هـذَا غَيـ ـر من مالَ عن الله

قال الباخرزى : فقلتُ أنا :

مجلسُ الأستاذِ عبد الله روضُ العارفينا
ألحق الفخَـر بنا بعـد حكم العارِفينا

قال عبد الغافر : وفى المنقولات من أخباره وآثاره ، وما قيل فيه من الأشعار ، وما نقل عنه من العبارات كثير . وفى هذا القدر دليل على أمثالها .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية فى كتاب « الأجوبة المصرية » : شيخ الإسلام مشهور ، معظم عند الناس . هو إمام فى الحديث ، والتصوف ، والتفسير . وهو فى الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظّم الشافعى ، وأحمد . و يقرن بينهما فى أجو بته فى الفقه ما يوافق قول الشافعى تارة وقول أحمد أخرى . والغالبُ عليه اتباعُ الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه .

قال : وقال الشيخ أبو الحسن الكرخى ، شيخ الشافعية فى بلاده ، فى كتابه «الفصول فى الأصول» : أنشدنى غير واحدٍ من الفضلاء للإمام عبد الله ابن محمد الأنصارى ، أنه أنشد فى معرض النصحية لأهل السنة :

كُنْ إذا ما حَادَ عَن حدِّ الْهدى أشْعرىّ الرأى شيطان البَشرْ
شافعىّ الشَّرع ، سنّى الحُـلى حنبلىَّ العقد ، صوفىَّ السِّيَرْ

ومن شعر شيخ الإسلام مما أنشده الرهاوى بإسناده عنه :

سُبحان من أجملَ الحسنى لطالبها حتى إذا ظهرتْ فى عبده مُدِحَا
ليس الكريمُ الذى يُعطى لتمدَحه إنَّ الكريمَ الَّذى يُثنى بما منحا

وأنشد له :

نهواكَ نحن ونحن منك نهابُ أهَوًى وخوفًا إنَّ ذاكَ عُجابُ !
شخص العقول إليك ثم استحسرتْ وتحيّرتْ فى كنهك الألبابُ

قلتُ : ولشيخ الإسلام شعر كثير حَسَنٌ جدًّا . ولأجل هذا ذكره الباخرزى الأديب فى كتابه « دمية القصر فى شعراء العصر » وله كلام فى التصوف والسلوك دقيق .

وقد اعتنى بشرح كتابه « منازل السائرين » جماعةٌ . وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء فى توحيد الربوبية ، واضمحلال ما سوى الله تعالى فى الشهود لا فى الوجود . فيتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد حتى انتحله قوم من الاتحادية ، وعظموه لذلك . وذمَّه قومٌ من أهل السنة ، وقدحوا فيه بذلك . وقد برأه الله من الاتحاد . وقد انتصر له شيخُنا أبو عبد الله بن القيم فى كتابه الذى شرح فيه « المنازل » وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل .

تُوفى رحمه الله تعالى يوم الجمعة بعد العصر ثانى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . ودُفن يوم السبت بِكَازِيَارِگاه ـ مقبرة بقرب هَراة ـ وكان يوماً كثير المطر ، شديد الوحل . وقد كان الشيخ يقول فى حياته : إن استأثر الله بى فى الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر ، فصدق اللهُ ظنه فى ذلك

حدَّث عنه جماعة من الحفاظ وغيرِهم ، كالمؤتمن الساجى ، ومحمد بن طاهر ، وأبى نصر الغازى ، وأبى الوقت السجزى ، وأبى الفتح الكروخى .

قرأتُ على أبى حفص عمر بن علي القزوينى ببغداد : أخبركم أبو عبد الله محمد ابن أبى القاسم المقرىء ح وأخبرنا الربيع عليّ بن عبد الصمد بن أحمد البغدادى بها قراءة عليه ، وأنا فى الخامسة ، أخبرنا والدى أبو أحمد عبد الصمد قالا : أخبرنا أبو الحسن على بن أبى بكر بن رُوزَبَه ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى السجزى ، أخبرنا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العالى البوشنجى ، أخبرنا أبو أحمد الغطريفى ، ومنصور بن العباس الفقيه قالا : أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو صالح الحكم بن موسى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان

— وليس بالنهدى — عن معقل بن يسار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوها عَلَى مَوْتَاكُمْ » يعنى : يس .

و بالإسناد الأول إلى شيخ الإسلام ، أنشدنا يحيى بن عمار أنشدنى أبو المنذر محمد بن أحمد بن جعفر الأديب ، أنشدنى الصولى لأبى العباس ثعلب :

رُبَّ ريحٍ لاناسٍ عَصَفَتْ ثمَّ ما إنْ لبثت أن رَكَدتْ
وكذاكَ الدَّهرُ فى أفعاله قَدمٌ زلَّتْ وأُخرى ثبتتْ
بالغٌ ما كان يرجو دونه ويَدٌ عما استقلت قَصُرَتْ
وكذا الأيامُ من عاداتها أنَّها مُفسِدةٌ ما أصلحتْ
ثمَّ تأتيكَ مقاديرُ لها فترى مُصلِحة ما أفسدتْ

٢٨ ـ عبد الواحد بن محمد بن على بن أحمد الشيرازى ثم المقدسى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الزاهد ، أبو الفرج الأنصارى ، السعدى العُبادى الخزرجى . شيخ الشام فى وقته .

قرأتُ بخط بعض طلبة الحديث فى زماننا قال : أخرج إلىَّ شيخُنا يوسف ابن يحيى بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبى الفرج نسب جده : وهو أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن يعيش ابن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة . كذا رأيته . و يوسف هذا أدركته . وسمعتُ منه جزءا عن أبيه عن الخشوعى .

ولكن قرأتُ بخط جده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال : كتبتُ إلى الشريف النسَّابة ابن الجوانى كتاباً إلى مصر أسأله : هل نحن من ولد قيس بن سعد أو من أخيه ؟ فجاءنى خطه فى جزء يقول : قيسُ بن سعد انقرض عقبه . وحكاه عن جماعة من النسابين ، مثل ابن شجرة وابن طباطبا وغيرهما . وقال : إنما أنتم من ولد أخيه عبد العزيز بن سعد بن عبادة . ورفع نسب سعد بن عبادة إلى آدم عليه السلام .

وهذا يدل على أن « الناصح » لم يكن يعرف نسبهم إلى سعد ، ولا ذكر أن النسابة كتب له ذلك ، و إنما كتب له نسب سعد إلى آدم ، وأيضاً فقد قال له : أنتم من ولد عبد العزيز بن سعد بن عبادة . وفى هذا النسب المذكور : عبد العزيز ابن سعيد بن سعد بن عبادة . وهذا مخالف لما قال ابن الجوانى .

لكن ذكر «الناصح» أن أباه وجماعة من العلماء اجتمعوا ليلةً عند السلطان صلاح الدين فى خيمة ، مع الشريف الجوانى هذا ، فقال السلطان : هذا الفقيه ـ يشير إلى والد «الناصح» ـ ليس فى آبائه وأجداده صاحب صنعة إلا أمير أو عالم إلى سعد بن عبادة . وهذا يدل على أنه كان يعرف نسبهم إلى سعد بن عبادة . والله أعلم .

ثم رأيت الشريفَ عز الدين أحمد بن محمد الحسينى الحافظ صاحب « صلة التكملة فى وفيات النقلة » ذكر نسب الشيخ أبى الفرج إلى سعد مثل ما أخرجه شيخنا يوسف سواء ، إلا أنه قال عبد العزيز بن سعد بن عبادة ، بلا واسطة بينهما ولقّب أباه محمداً بالصافى .

تفقه الشيخ أبو الفرج ببغداد على القاضى أبى يعلى مدة ، وقدم الشام فسكن ببيت المقدس ، فنشر مذهب الإمام أحمد فيما حوله . ثم أقام بدمشق فنشر المذهب وتَخَرج به الأصحاب ، وسمع بها من أبى الحسن السمسار ، وأبى عثمان الصابونى ووعظ ، واشتهر أمره ، وحصل له القبول التام .

وكان إماما عارفا بالفقه والأصول ، شديداً فى السنة ، زاهداً عارفاً ، عابدا متألها ، ذا أحوال وكرامات . وكان « تتش » صاحب دمشق يعظِّمه .

قال أبو الحسين فى الطبقات : صحب الوالد من سنة نيف وأربعين وأربعمائة وتردد إلى مجلسه سنين عدة ، وعلق عنه أشياء فى الأصول والفروع ، ونسخ واستنسخ من مصنفاته . وسافر إلى الرحبة والشام وحصل له الأصحاب والأتباع والتلامذة والغلمان . وكانت له كرامات ظاهرة ، ووقعات مع الأشاعرة ، وظهر

عليهم بالحجة فى مجالس السـلاطين ببلاد الشام . ويقال : إنه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين .

وكان يتكلم فى عدة أوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزوينى الزاهد . فبلغنى : أن « تتشا » لما عزم على المجىء إلى بغداد فى الدفعة الأولى لما وصلها السلطان سأله الدعاء ؟ فدعا له بالسلامة ، فعاد سالماً . فلما كان فى الدفعة الثانية استدعى السلطان وهو ببغداد لأخيه « تتش » فَرُعِب وسأل أبا الفرج الدعاء له . فقال له : لا تراه ولا تجتمع به . فقال له « تتش » : وهو مقيم ببغداد ، وقد برزت إلى عنده ، ولا بد من المصير إليه . فقال له : لا تراه ، فعجب من ذلك ، وبلغ « هِيتَ » فجاءه الخبر بوفاة السلطان ببغداد ، فعاد إلى دمشق وزادت حشمة أبى الفرج عنده ومنزلته لديه .

وبلغنى أن بعض السلاطين من المخالفين كان أبو الفرج يدعو عليه ، ويقول : كم أرميه ولا تقع الرمية به ؟ فلما كان فى الليلة التى هلك ذلك المخالف فيها ، قال أبو الفرج لبعض أصحابه : قد أصبت فلاناً وقد هلك ، فورِّخَت الليلة ، فلما كان بعد بضعة عشر يوما ورد الخبر بوفاة ذلك الرجل فى تلك الليلة التى أخبر أبو الفرج بهلاكه فيها .

قال : وكان أبو الفرج ناصراً لاعتقادنا ، متجرداً فى نشره ، مبطلا لتأويل أخبار الصفات . وله تصنيف فى الفقه والوعظ والأصول .

وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبى الفرج قال : حدثنا الشريف الجوانى النسّابة عن أبيه قال : تكلم الشيخ أبو الفرج ـ أى الشيرازى الخزرجى ـ فى مجلس وعظه ، فصاح رجل متواجداً ، فمات فى المجلس . وكان يوماً مشهوداً . فقال المخالفون فى المذهب : كيف نعمل إن لم يمت فى مجلسنا أحدٌ ، وإلا كان وهناً . فعمدوا إلى رجل غريب ، دفعوا له عشرة دنانير ، فقالوا : احضر مجلسنا ، فإذا طاب المجلس فصح صيحة عظيمة ،

ثم لا تتكلم حتى نحملك ونقول : مات . ونجعلك فى بيت ، فاذهب فى الليل ، وسافر عن البلد . ففعل ، وصاح صيحة عظيمة ، فقالوا : مات ، وحُمل . فجاء رجل من الحنابلة ، وزاحم حتى حصل تحتَه ، وعَصَرَ على خُصاه ، فصاح الرجل فقالوا : عاش ، عاش . وأخذ الناس فى الضحك ، وقالوا المحال ينكشف .

قال الناصح : وكان الشيخ موفق الدين المقدسى يقول : كلُّنا فى بركات الشيخ أبى الفرج . قال : وحدثنى ونحن ببغداد قال : لما قدم الشيخ أبو الفرج إلى بلادهم من أرض بيت المقدس تسامع الناس به ، فزاروه من أقطار تلك البلاد قال : فقال جَدِّى قدامة لأخيه : تعال نمشى إلى زيارة هذا الشيخ لعله يدعو لنا . قال : فزاروه ، فتقدم إليه قدامة فقال له : يا سيدى ، ادع لى أن يرزقنى الله حفظَ القرآن . قال : فدعا له بذلك ، وأخوه لم يسأله شيئاً ، فبقى على حاله . وحَفِظَ قدامة القرآن . وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبى الفرج .

وللشيخ أبى الفرج تصانيف عدة فى الفقه والأصول .

منها : « المبهج » و «الإيضاح» و « التبصرة فى أصول الدين » و « مختصر فى الحدود ، وفى أصول الفقه ، ومسائل الامتحان » .

وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ قال : سمعت والدى يقول : للشيخ أبى الفرج « كتاب الجواهر » وهو ثلاثون مجلدة يعنى : فى التفسير . قال : وكانت بنت الشيخ تحفظه ، وهى أم زين الدين على بن نجا الواعظ ، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

قال أبو يعلى بن القلانسى فى تاريخه فى حق الشيخ أبى الفرج : كان وافر العلم ، متين الدين ، حسنَ الوعظ ، محمود السمت .

توفى يوم الأحد ثامن عشرين ذى الحجة ، سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق . ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وقبره مشهور يزار .

وللشيخ رحمه الله ذرية . فيهم كثير من العلماء ، نذكرهم إن شاء الله تعالى فى مواضعهم من هذا الكتاب ، يعرفون ببيت ابن الحنبلى .

وقد ذكر الشيخ موفق الدين فى المغنى ، والشيخ مجد الدين بن تيمية فى شرح الهداية ، عن أبى الفرج المقدسى : أن الوضوء فى أوانى النحاس مكروه وهو هذا .

وذكرا عنه أيضاً : أن التسمية على الوضوء يصح الإتيان بها بعد غسل بعض الأعضاء ، ولا يشترط تقدمها على غسلها . وقد نسب أبو المعالى بن المنجا هذا فى كتابه « النهاية » إلى أبى الفرج بن الجوزى . وهو وَهمٌ .

وله غرائب كثيرة .

فنها : أنه نقل فى الإيضاح رواية عن أحمد : أن مس الأمرد لشهوةٍ ينقض

ومنها : أن المسافر إذا مسح فى السفر أكثر من يوم وليلة ، ثم أقام ، أوقدم: أتم مسح مسافر .

ومنها : أن الجنب يكره له أن يأخذ من شعره وأظفاره . ذكره فى الإيضاح وهو غريب . مخالف لمنصوص أحمد فى رواية جماعة .

ومنها : حكى فى وجوب الزكاة فى الغزلان روايتين .

ومنها : أنه خرّج وجهاً : أنه يعتبر لوجوب الزكاة فى جميع الأموال : إمكان الأداء ، من رواية اعتبار إمكان الأداء لوجوب الحج .

ومنها : ما قاله فى الإيضاح : إذا وقف أرضاً على الفقراء والمساكين : لم يجب فى الخارج منها العشر ، وإن كان على غيرهم : وجب فيها العشر . وللامام أحمد نصوص تدل على مثل ذلك . وهو خلاف المعروف عند الأصحاب .

ومنها : ما قاله فى الإيضاح أيضاً، قال: والصداق يجب بالعقد ويستقر جميعه بالدخول ، ولو أسقطت حقها من الصداق قبل الدخول : لم يسقط ؛ لأنه إسقاط حق قبل استقراره ، فلم يسقط كالشفيع إذا أسقط حقه قبل الشراء . هذا لفظه وهو غريب جداً .

ومنها : أنه ذكر فى المبهج فى آخر الوصايا : إذا قال لعبده : إن أدّيتَ

إلىَّ ألفًا فأنت حرٌ ، ثم أبرأه السَّيِّد من الألف . عتق فجعل التعليق كالمعاوضة ولأحمد فى رواية أبى الصقر مايَدُلّ عليه .

وذكر فى كتاب الزكاة من المبهج أيضاً : أنه يجوز دفع الزكاة إلى من علّق عتقه بأداء مال ، وهو يرجع إلى هذا الأصل ، وأنّ التعليق معاوضة تثبت فى الذمة .

وذكر أيضاً فى المبهج : إذا باع أرضاً فيها زرع قائم قد بدا صلاحه : لم يتبع قولا واحداً ، وإن لم يبد صلاحُه : فهل يتبع أم لا ؟ على وجهين ، فإن قلنا : لا يتبع : أخذ البائع بقطعه ، إلا أن يستأجر الأرض من المشترى إلى حين إدراكه وأما إذا بدا صلاحه : فإنه يبقى فى الأرض من غير أجرة إلى حين حصاده .

وذكر فيه أيضاً : أنه إذا اشترى شيئاً فبان معيباً ونما عنده نماء متصلاً ، ثم رَدَّه : أخذ قيمة الزيادة من البائع ، وقد وافقه على ذلك ابن عقيل فى كتاب الصداق من فصوله .

وقد نقل ابن منصور عن أحمد ، فيمن اشترى سلعةً فنمت عنده ، وبان بها داء : فإن شاء المشترى حبسها ورجع بقدر الداء ، وإن شاء رَدّها ورجع عليه بقدر النماء . وهذا ظاهر فى الرجوع بقيمة النماء المتصل ، لأن النماء المنفصل مع بقائه إما أن يستحقه المشترى أو البائع . وأما قيمته فلا يستحقها أحد منهما مع بقائه ولا تلفه .

٢٩ - يعقوب بن إبرهيم بن أحمد بن سطور ، العكبرى البَرْزَبِيني ، القاضى أبو على ، قاضى باب الأزج .

قدم بغداد بعد الثلاثين والأربعمائة . وسمع الحديث من أبى إسحاق البرمكى وتفقه على القاضى أبي يعلى ، حتى برع فى الفقه ، ودرس فى حياته ، وشهد عند ابن الدامغانى ، هو والشريف أبو جعفر فى يوم واحد ، سنة ثلاث وخمسين . وزكَّاهما شيخُهما القاضى .

وتولى يعقوب القضاء بباب الأزج مدة ، ورأيت فى تاريخ القضاة لابن

المنذرى[١] : أن القاضى يعقوب عزل نفسه عن قضاء باب الأزج والشهادة ، سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وقال أبو الحسين : ولى القضاء بباب الأزج من جهة الوالد ، ثم عزل نفسه عن القضاء والشهادة سنة اثنتين وسبعين ، ثم عاد إليهما سنة ثمان وسبعين ، واستمر إلى موته . قال : وكان ذا معرفة تامة بأحكام القضاء ، وإنفاذ السجلات متعففاً فى القضاء ، متشدداً فى السنة .

وقال ابن عقيل : كان أعرف قضاة الوقت بأحكام القضاء والشروط . سمعتُ ذلك من غير واحدٍ . ولم يكن أحد من الوكلاء يهاب قاضيامثل هيبته له . وله المقامات المشهورة « بالديوان » حتى يُقال : إنه كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة من الصحابة ، فى قوة الرأى .

وذكره ابن السمعانى ، فقال : كانتْ له يدٌ قوية فى القرآن والحديث ، والفقه والمحاضرة . وقرأ عليه عامة الحنابلة ببغداد ، وانتفعوا به . وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، جرت أموره فى أحكامه على سدادٍ واستقامة .

وحدَّث بشىء يسير عن أحمد عمر بن ميخائيل العكبرى ، وغيره .

قال : وذكر لى شيخُنا الجنيد بن يعقوب الجيلى الفقيه بباب الأزج : أنه سمع الحديث من القاضى أبى على يعقوب ، ولم يكن له أصل حاضر بما سمع منه . وقال : عَلَّقتُ عنه الفقه ، وكان لجماعة من شيوخنا الأصبهانيين منه إجازة ، مثل أبى عبد الله الخلال ، وغانم بن خالد ، وأبى نصر الغازى ، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ ، وغيرهم .

وقال ابن الجوزى : حدَّث وروى عنه أشياخنا .

قلتُ : قال أبو الحسين : صنف كتباً فى الأصول والفروع . وكان له غلمان كثيرون ــ يعنى تلامذة ــ قال : وكان مبارك التعليم ، لم يَدْرسْ عليه أحدإلاأفلح وصار فقيها . وكانت حلقته بجامع القصر .

---

(١) فى خطية إدارة الثقافة « لابن المندائى »

وعليه تفقه القاضى أبو حازم ، وأبو الحسين بن الزاغونى ، وأبو سعد المخرّمى ، وطلحة العاقولى ، وغيرهم .

وله تصانيف فى المذهب . منها : «التعليقة فى الفقه» فى عدّة مجلدات ، وهى مُلخصة من تعليقة شيخه القاضى .

وممن روى عنه القاضى أبو طاهر بن الكرخى ، وأخوه أبو الحسن .

وتوفى يوم الثلاثاء ثاني عشرين شوال سنة ست وثمانين وأربعمائة . كذا نقله ابن السمعانى من خط شجاع الذهلى . وذكره أيضا ابن المندائى — وذكر الشهر والسنة — وأبو الحسين ، وابن الجوزى فى تاريخه .

وقال ابن الجوزى فى الطبقات : تُوفى فى شوال سنة ثمان — وقيل : سنة ست وثمانين — وكان عمره سبعا وسبعين سنة . ودفن من الغد بباب الأزج ، بمقبرة الفيل إلى جانب أبى بكر عبد العزيز غلام الخلال . رحمهم الله تعالى .

قال أبو الحسين : وصلَّى عليه أكابر أولاده بجامع القصر ، وحضر جنازته خلق كثير من أرباب الدين والدنيا ، وأصحاب المناصب: نقيب العباسيين ، ونقيب العلويِّين ، وحجاب السلطان ، وجماعة الشهود . وغيرهم .

و « بَرْزَبِين » بفتح الباء وسكون الراء وفتح الزاى وكسر الباء الثانية ، ثم بياء ساكنة ونون — قرية كبيرة على خمسة فراسخ من بغداد . بينها و بين أَوَانَا .

وذكر القاضى يعقوب فى تعليقته ، قال: إذا نذر عتق عبده ولا مال له غيره : يحتمل أن يعود فيه ، كما لو نَذَر الصدقة بماله كله فعتق ثلثه . و إن سلَّمنا فالعتاق آكد . ولهذا يفترقان فى نذر اللجاج والغضب . وهذا الاحتمال الأول مخالفٌ لما ذكره القاضى وابن عقيل وغيرهما من أهل المذهب .

لكن منهم من يعلل بأن العتق لا يتبعَّض فى ملك واحد ، كالقاضى فى خلافه . وهذا مُوافقة على أن الواجب بالنذر عتق ثلثه لا غير . وإنما الباقى يعتق بالسراية .

ومنهم من يعلل بقوة العتق وتأكيده، كما ذكره القاضي يعقوب هنا. وعلى هذا فالواجب عتق العبد كله بالنذر.

وذكر القاضي يعقوب أيضا: فيما إذا حلف ليقضينَّه دراهمه التي عنده فأحاله بها، وقال: يحتمل أن يبرأ؛ لأن ذمته قد برئت بالحوالة. وهذا مخالف لقول القاضي والأصحاب؛ فإن الحوالة نقلت الحق من ذمة إلى ذمة، ولم يحصل بها الاستيفاء.

ورأيت بخط أبي زكريا بن الصيرفي الفقيه: أن القاضي أبا على يعقوب اختار جواز أخذ الزكاة لبني هاشم، إذا مُنعوا حقهم من الخُمس.

وقرأت بخط الجنيد بن يعقوب الجيلي الفقيه «فرع: تملك الأم الرجوع في الهبة» وهو اختيار القاضي يعقوب بن إبراهيم. وفيه رواية أخرى: لا تملك. اختارها بقية الأصحاب. وذكر القاضي يعقوب الخلاف بين أصحابنا في أن الحروف: هل هي حرف واحد قديم، أو حرفان: قديم ومحدث؟ وقال: كلامُ أحمد يحتمل القولين. ولكنه اختار أنها حرف واحد. وحكاه عن شيخه القاضي وذكر أنه سمع ابن جَلبة الحراني يحكيه عن الشريف الزيدي، وجماعة من أهل حران.

والتزم القاضي يعقوب: أن كل ما كان موافقا لكتاب الله من الكلام في لفظه ونظمه وحروفه، فهو من كتاب الله، وإن قصد به خطاب آدمي، حتى إنه لا يبطل الصلاة.

قال أبو العباس بن تيمية: وهذا مخالف للاجماع. وهو كما قال. فإنه إذا جرّدَ قصده للخطاب، فهو يتكلم بكلام الآدميين. وأما إن قصد التنبيه بالقرآن، فمن الأصحاب من قال: لا يحنث، ومنهم من بناه على الخلاف في بطلان الصلاة بذلك.

٣٠ — عبد الوهاب بن طالب بن أحمد بن يوسف بن عبد الله بن عنبسة ابن عبد الله بن كعب بن زيد بن بهم ، أبو القاسم التميمي الأزجي البغدادي ، المقرىء الفقيه .

نزيل دمشق . أقام بها مدة يؤم بمسجد درب الريحان. حدّث بها بالإجازة من الطناجيري . سمع منه ابن صابر الدمشقي المحدث وأخوه .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير . رحمه الله تعالى .

٣١ — رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله التميمي ، البغدادي المقرئ ، المحدث الفقيه الواعظ ، شيخ أهل العراق في زمانه ، أبو محمد بن أبي الفرج بن أبي الحسن .

ولد سنة أربعمائة — وقيل: سنة إحدى وأربعمائة — وفي الطبقات لابن الجوزي : سنة أربع .

وقال السلفي : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن سلامة الروحاني بمصر يقول: سمعت رزق الله التميمي ببغداد يقول : مولدي سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن الحمامي . وسمع الحديث من أبي الحسين بن التميم ، وأبي عمر بن مهدي ، وابني بشران ، وأبي علي بن شاذان ، وغيرهم .

وأجاز له أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي ، وتفقه على أبيه أبي الفرج ، وعمه أبي الفضل عبد الواحد ، وأبي عليّ بن أبي موسى صاحب الإرشاد .

قال أبو الحسين : وقرأ على الوالد السعيد قطعة من المذهب .

وأدرك من أصحاب ابن مجاهد رجلاً يقال له : أبو القاسم عبد الله بن محمد

الخفاف ، وقرأ عليه سورة البقرة . وقرأها على ابن مجاهد ، وأدرك من أصحاب أبى بكر الشبلى رجلاً ، وهو عمر بن تعويذ . وحكى عنه حكاية عن الشبلى

قال ابن الجوزى : وشهد عند أبى الحسين بن ماكولا قاضى القضاة . فلما توفى وولى ابن الدامغانى ترك الشهادة ؛ ترفعاً عن أن يشهد عنده . فجاء قاضى القضاة إليه مستدعياً لمودّته وشهادته عنده ، فلم يخرج له عن موضعه ، ولم يصحبه مقصوده .

قال : وكان قد اجتمع للتميمى القرآن ، والفقه والحديث ، والأدب والوعظ . وكان جميل الصورة ، فوقع له القبول من الخواص والعوام . وأخرجه الخليفة رسولاً إلى السلطان فى مهام الدولة . وكان له الحلقة فى الفقه ، والفتوى والوعظ بجامع المنصور . فلما انتقل إلى باب المراتب كانت له حلقة بجامع القصر يروى فيها الحديث ، ويفتى . وكان يمضى فى السنة أربع دفعات : فى رجب ، وشعبان ، ويوم عرفة ، وعاشوراء ، إلى مقبرة أحمد ، ويعقد هناك مجلساً للوعظ .

وقال فى الطبقات : كانت له المعرفة الحسنة بالقرآن والحديث ، والفقه والأصول ، والتفسير ، واللغة والعربية ، والفرائض . وكان حسن الأخلاق .

وحكى عن ابن عقيل قال : كان سيد الجماعة من أصحاب أحمد بيتاً ورئاسة وحشمة أبا محمد التميمى . وكان أحلى الناس عبارة فى النظر ، وأجراهم قلماً فى الفتيا ، وأحسنهم وعظاً .

وقال ابن عقيل فى فنونه ـ والكلام أظنه فى تاريخ بغداد ـ : ومن كبار مشايخى : أبو محمد التميمى شيخ زمانه . كان حسنة العالم ، وماشطة بغداد .

وذكر عن التميمى أنه كان يقول : كلُّ الطوائف تدّعينى .

وقال شجاع الذهلى ـ فيما حكاه عن السلفى ـ كان له لسان وعارضة ، وحلاوة منطق . وهو أحد الوعاظ المذكورين ، والشيوخ المتقدمين . وقد سمعتُ منه .

وقال السلفى : سألت المؤتمن الساجى عن أبى محمد التميمى ؟ فقال : هو الإمام علماً ونفساً وأبوة ، وما يذكر عنه فتحامُلٌ من أعدائه .

وقال شيرويه الديلمى الحافظ : هو شيخ الحنابلة ، ومقدمهم . سمعتُ منه . وكان ثقةً صدوقاً ، فاضلاً ذا حشمة .

وقال أبو عامرٍ العبدرى : رزق الله التميمى كان شيخاً بهياً ، ظريفاً لطيفاً ، كثير الحكايات والملح ، ما أعلمُ منه إلّا خيراً .

وقال أبو على بن سكرة فى مشيخته : ما لقيتُ فى بغداد مثله — يعنى التميمى — قرأتُ عليه كثيرًا . وإنما لم أُطل ذكره لعجزى عن وصفه لكماله وفَضِله

وقال ابن ناصر ما رأيتُ شيخاً ابن سبع وثمانين سنة أحسن سمتاً وهدياً ، واستقامة منه ، ولا أحسن كلاماً ، وأظرف وعظاً ، وأسرع جواباً منه ؛ فلقد كان جمالا للاسلام كما لقب ، وفخراً لأهل العراق خاصة ، ولجميع بلاد الإسلام عامة ، وما رأينا مثله . وكان مقدماً على الشيوخ والفقهاء وشهود الحضرة ، وهو شاب ابن عشرين سنة ، فكيف به وقد ناهز التسعين سنة ؟ وكان مكرماً وذا قدر رفيع عند الخلفاء ، منذ زمن القادر ومَنْ بعده من الخلفاء إلى خلافة المستظهر .

وله تصانيف . منها « شرحُ الإرشاد » لشيخه ابن أبى موسى فى الفقه والخصال والأقسام .

قرأ عليه بالروايات جماعة ، منهم : أبو الكرم الشهرزورى ، وغيره . وأملى الحديث . وسمع منه خلق كثير ببغداد وأصبهان ، لما قدمها رسولا من جهة المقتدى .

وممن سمع منه الحفاظ : إسماعيل التميمىّ ، وأبو سعد بن البغدادى ، وأبو عبد الله الحميدى ، وابن الخاضبة ، وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم ، وأبو نعيم ابن الحداد ، وأبو علي البردانى ، وأبو نصر الغازى ، وإسماعيل بن السمرقندى ، وابن ناصر ، ومحمد بن طاهر ، وعبد الوهاب الأنماطى .

وسمع منه أيضاً : نصر الله المصيصى ، وهبة الله بن طاوس ، وعلىّ بن طراد ، والقاضى أبو بكر ، والقاضى أبو الحسين ، وأخوه أبو حازم ، وابنُ البطّى ، وخلق كثير .

وقد روى ابن السمعانى : حديث « مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا » عن أربعة وسبعين ، سماعاً له ، سمعوه من التميمى .

وروى عنه من أهل أصبهان أزيد من مائة راوٍ . وآخر من روى عنه : السلفى بالإجازة .

وذكر ابن النجار فى أول تاريخه بإسناده عن خميس الجوزى الحافظ : سمعتُ طلحة بن على الرازى ، قال : رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ببغداد ، كأنه فى مسجد عتاب ، جالس فى القبلة ، وعليه برد كَحِل [1] ، وهو متقلد بسيف ، والمسجد غاص بأهله . وفى الجماعة أبو محمد التميمى وهو يقول له : يا رسول الله ، ادعُ الله لنا فرفع يديه ، فقال ـ وأنا أقول معه ـ : اللهم إنَّا نسألُك حسن الاختيار فى جميع الأقدار ، ونعوذُ بك من سوء الاختيار فى جميع الأقدار .

قال أحمد بن طارق الكركى : سمعتُ أبا الكرم الشهرزورى يقول : سمعتُ التميمى يقول : لما دخلتُ سمرقند برسالة المقتدى إلى «ملكشاه» رأيتهم يروون الناسخ والمنسوخ لهبة الله عن خمسة رجال إليه ، فقلت لهم : الكتابُ معى ، والمصنِّفُ جدى لأمى ، ومنه سمعتهُ ، ولكنْ ما أُسمع كل واحد منكم إلا بمائة دينار . فما كان الظهر حتى جاءنى كيس فيه خمسمائة دينار والجماعة فسمعوا علىَّ ، وسلموا إلىَّ الذهب . قال : ولما عدنا من سمرقند ودخلنا أصبهان ، وأمليتُ الحديث يوم جمعة ، فقام الجماعة ومدحونى ، وقالوا : ما سمعنا أحسن من هذا .

ولأبى محمد التميمى شعرٌ حسن . قال ابن السمعانى : أنشدنا هبةُ الله ابن طاوس بدمشق ، أنشدنا التميمى لنفسه :

وما شنآنُ الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى البين مسرعُ

---

(١) فى خطية إدارة الثقافة « كحلىّ »

إذا ما بدتْ منه الطليعة آذنتْ بأنّ المنـايا خلفهـا تتطلعُ
فإن قصَّها المقراض صاحت بأختها فتظهر تتـلوها ثلاثٌ وأربعُ
وإن خضبتْ حالَ الخضابُ لأنَّهُ يغالبُ صُنعَ الله ، والله أصنعُ
فيُضْحِى كريش الديك فيه تلمُّعٌ وأقطع ما يُكساه ثوبٌ ملمَّعُ
إذا ما بلغت الأربعين فقل لمن يودك فيما تشتهيه وتسرعُ
هَلمـوا لنبـكى قبل فرقة بيننا فما بعـــدها عيش لذيذ ومجمعُ
وخَلِّ التصابى، والخلاعة ،والهوى وأمَّ طريق الحق ، فالحقُّ أنفعُ
وخُذ جُنَّةً تُنجى وزاداً من التقى وصحبة مأمون ، فقصدك مفزع

قال : وأنشدنا إسماعيل بن السمرقندى ، أنشدنا التميمى لنفسه :

مررْنا على رسم الديار فسـلّمنا وقلنا له : يار بعُ أين نَأوْا عَنَّا ؟
وجُدنا بدمع كالرذاذ على الثّرى فَصُمَّ المنادَى ، فانصرفنا كما كنّا
وما ذاك إلاَّ أنَّ رسم ديارهم به كالذى نلقى فقــد زادنا حزنا
فلمـا أيسنا من جواب رُسُومِهم نزلنا فقبلنا الثرى قبل أن رُحنا

ومن شعره :

ياويح هــذا القلب ما حَـالُه مشـتغلاً فى الحى بلبـالُه
سـكران لو يصحو لعـاتبه وكيف بالعتب لمن حالُه
دمع غزير ، وجوى كامنٌ يرحمـــــه من ذاك عُذَّالُه
ما ينثنى باللوم عن حُبِّـــــه تغيّرتْ فى الحب أحوالُه

قال : وأنشدنا لنفسه :

ولم أستَطع يومَ الفراقِ وداعَــه بلفظى فنابَ الدمعُ مِنِّي عن القول
وَشيّعهُ صبرى ونومى كلاهما فعدتُ بلا أنسٍ نهارى ولا ليلى
فلمـا مضى أقبلتُ أسعى مُوَلَّهـا يَدىَ على رأسى وناديتُ : ياويلى
تَبَدَّلتُ يوم البين بالأنس وحشة وجرَّرتُ بالخسران يوم النوى ذَيْلى

وله أيضا :

لا تسألاني عن الحيّ الذى بانا فإننى كنتُ يوم البين سكرانا
يَا صاحِبِيّ على وجدى بنُعمانا هل راجعٌ وصلُ ليلى كالذى كانا ؟
أم ذاك آخر عهدٍ للّقاء بهـا فنجعل الدهر ما عشناه أحزانا
مَا ضرَّهم لو أقامُوا يَوم بينهم بقَدْر ما يلبس المحزون أكفانا
ليتَ الجمال التى للبين ما خُلقت وَلَيت حادٍ حَدَا للبين حيرانا

تُوفى أبو محمد التميمى رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . وصلى عليه ابنه أبو الفضل من الغد . ودُفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة المستظهر . ولم يُدفن بها أحد قبله .

ثم لما توفى ابنه أبو الفضل سنة إحدى وتسعين ، نقل معه إلى مقبرة باب حرب ، فدُفِن إلى جانب أبيه وجده وعمه ، بدكة الإمام أحمد عن يمينه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحى ، أخبرنا أبو المعالى أحمد بن إسحاق الهمدانى ، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور ، أنبأنا عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازى ح وأنبأتنـا زينب بنت أحمد عن عبـد الرحمن بن مكى عن جده أبى الطاهر بن أحمد بن محمـد الأصبهانى ، قالا : أنبأنا أبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود ابن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله التميمى ـ قال الأول : سماعا ، وقال الثانى : إجازة ـ قال : سمعتُ أبى أبا الفرج عبد الوهاب يقول : سمعت أبى أبا الحسن عبد العزيز يقول : سمعتُ أبى أبا بكر الحرث يقول : سمعتُ أبى أسداً يقول : سمعتُ أبى الليثَ يقولُ : سمعتُ أبى سليمانَ يقولُ : سمعتُ أبى الأسودَ يقول : سمعتُ أبى سفيانَ يقول : سمعت أبى يزيد يقولُ : سمعت أبى أُكَينَةَ يقول : سمعت أبى الهيثمَ يقول : سمعتُ أبى عبدَ الله يقول :

سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : « ما اجتمعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ الله إلاّ حفتْهمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهمُ الرَّحْمَةُ » .

« أُكَيْنَةُ » بضم الهمزة وفتح الكاف وبالياء والنون المفتوحة قيَّده ابنُ ماكولا وغيرُه . وعبد الله هذا هو ابن الحرث بن سيدان بن مُرَّة بن سفيان بن مجاشع ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمى . كذا نسبه ابن ماكولا .

وقال ابن الجوزى : كان عبدُ الله هذا إسمه عبد اللات ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله ، وعلمه . وأرسله إلى اليمامة والبحرين ؛ ليعلمهم أمر دينهم ، وقال : « نزع الله من صدرك وصدر ولدك الغل والغش إلى يوم القيامة » .

قرأتُ بخط الإمام أبى العباس بن تيمية : أن أبا محمد التميمى وافق جده أبا الحسن على كراهة الماء المسخن بالشمس .

ونقل بعضُ الأصحاب عن أبى محمد التميمى : أنه اختار أن خروج المنى بغير شهوة يوجب الغسل .

وذكر ابن الصيرفى فى نوادره قال : نقل أبو داود عن أحمد : المرأة تعدم الماء ، ويكون عنده مجتمع الفساق ، فتخاف أن تخرج : أتتيمم ؟ قال : لا أدرى . قال أبو محمد التميمى فى شرح الإرشاد : يتوجه أن تتيمم لأنه ضرورة . وهل تعيد الوضوء إذا قدرت على الماء ؟ على وجهين . أصحهما : لا إعادة عليها . قال : وكان عبدُ العزيز يقول : تُعيد الوضوء والصلاة إذا قَدَرتْ ، فإن لم تُعد فلا جناح .

وقال غيره من أصحابنا : لا إعادة . قال : وهو الصحيح . وبه يقول شيخنا ـ يعنى : ابن أبى موسى .

قلتُ : فحقيقة الوجهين فى الإعادة إنمـا هى فى الاستحباب وعدمه ؛ فإن أبا بكر قد قال : فإن لم تُعد فلا حرج .

وقد ذكر الأصحاب : أن أحمد نصَّ فى رواية أخرى على أنها لاتمضى وتتيمم بل قالوا : لايجوز لها المضى إذا خافت على نفسها منهم .

وفى النوادر أيضاً : أن أبا محمـد التميمى حكى رواية عن أحمد : بصحة الصلاة عن يسار الإمام مع الـكراهة .

وفى المنثور لابن عقيل : ذكر شيخنا فى الجامع الـكبير : إذا فصد ، وشد العصابة : مسح عليها وتيمم . فاعترض عليه أبو محمد التميمى بأنه لايخلو : إما أن يكون جرحاً فيتيمم له ، أو مثل الجبيرة فيمسحه فقط . فقال القاضى : وجدتُه عن أحمد كذلك ـ يعنى : جواب التميمى .

وذكر ابن الجوزى فى تاريخه : أن جلال الدولة أمره أن يكتب شاهنشاه(١) الأعظم ملك الملوك ، وخطب له بذلك . فنفر العامة ، ورجموا الخطباء ، ووقعت فتنة . وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة . فاستفتى الفقهاء فكتبَ الصَّيْمرى : أنَّ هذه الأسماء يُعتبر فيها القصد والنية . وكتب أبو الطيب الطبرى : أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض . وإذا جاز أن يُقال : قاضى القضاة ، وكافى الـكفاة ، جاز أن يُقال : ملك الملوك . وكتب التميمى نحو ذلك وذكر محمد بن عبد الملك الهمذانى : أن القاضى المـاوردى مَنع من جواز ذلك .

قال ابن الجوزى : والذى ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك الدنيا ، إلا أنى لا أرى إلا مارآه الماوردى ؛ لأنه قد صحَّ فى الحديث مايدل على المنع لـكنهم عن النقل بمعزل . ثم ساق حديثَ أبى هريرة الذى فى الصحيحين . وابن الجوزى وافق على جواز التسمية بقاضى القضاة ونحوه . وقـد ذكر شيخنا أبو عبد الله بن القيم قال : وقال بعض العلماء : وفى معنى ذلك ـ يعنى : ملك الملوك ـ كراهية التسمية بقاضى القضاة ، وحاكم الحـكام ؛ فإنَّ حاكم الحـكام

(١) فى خطية إدارة الثقافة « شاه شاه » .

فى الحقيقة هو الله تعـالى . وقد كان جماعةٌ من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضى القضاة ، وحاكم الحـكام ، قياساً على مايبغضه اللهُ ورسولُه من التسمية بملك الأملاك . وهذا محض القياس .

قلتُ : وكان شيخنا أبو عمر عبـد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الـكنانى الشافعى ـقاضى الديار المصرية ، وابن قاضيهاـ يمنع الناس أن يخاطبوه بقاضى القضاة ، أو يكتبوا له ذلك ، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بقاضى المسلمين . وقال : إنَّ هذا اللفظَ مأثورٌ عن على رضى الله عنه .

يوضح ذلك : أن التقليب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم . وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم « موبَذ مُوبَذان » يعَنُون بذلك : قاضى القضاة . فالـكلمتان من شعائرهم ، ولا ينبغى التسمية بهما . والله أعلم .

٣٢ ـ عبد الوهاب بن رزق الله بن عبد الوهاب التميمى ، أبو الفضل بن أبى محمد المذكور قبله .

ذكره ابن السمعانى ، فقال : كان فاضلا ، متقناً ، واعظاً ، جميل المحيا .

سمع أبا طالب بن غيلان . وحدثنا عنه عبد الوهاب الأنماطى . ثم ساق له حديثاً ، ثم قال : سمعتُ أبا الفضل بن ناصر يقول : مات أبو الفضل عبد الوهاب ابن أبى محمد التميمى يوم الإثنين لليلتين بقيتـا من جُمادى الآخرة ، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . ودُفن من الغد بمقبرة باب حرب .

وقد قدمنا أن أباه نُقل معه إلى باب حرب فى هذا اليوم .

وذكر أبو الحسين فى الطبقات : أنه كان يحضر بين يدى أبيه فى مجالس وعظه بمقبرة الإمام أحمد ، وينهض بعد كلامه قائمـاً على قدميه ، ويورد فصولاً مسجوعة .

٣٣ ـ عبد الواحد بن رزق الله بن عبد الوهاب التميمى ، أبو القاسم ، أخو المذكور قبله .

ذكره ابن السمعاني أيضاً ، فقال : من أولاد الأئمة والمحدثين ، قرأ القرآن والحديث والفقه . وكان من محاسن البغداديين فى الوعظ . ختم به بيته ، ولم يعقب .

سمع أبا طالب بن غيلان ، وحدث بشىء يسير .

قلتُ : وسمع هو وأخوه عبد الوهاب من القاضى أبى يعلى . ثمَّ قال : سألتُ عبد الوهاب الأنماطى عنه ؟ فقال : كان صَدعاً[1] . وكان يلبس الحرير .

وذكر ابن النجار : أنه كان يُراسل به إلى الملوك فى أيام المستظهر ، وأنه كان شديد القوة فى بدنه ، وأنه حدَّث بأصبهان .

وسمع منه محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ .

وتُوفى يوم الأحد سابع عشر جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . ودُفِن من الغد بمقبرة باب حرب عند أخيه أبى الفضل . رحمهم الله تعالى .

٣٤ - علي بن عمرو بن على بن الحسن بن عمرو الحرانى ، أبو الحسن بن الضرير ، الفقيه ، الزاهد .

صحب الشريف أبا القاسم الزيدى الحرّانى وأخذ عنه ، وسمع منه . وتفقه ببغداد على القاضى . وكان من أكابر شيوخ حَرَّان .

ذكره أبو الفتح بن عبدوس ، وغيره . وحدَّث بالإبانة الصغرى لابن بطّة ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بحران ، بسماعه من الشريف الزيدى ، بسماعه من ابن بطّة .

قرأتُ بخط بعض أصحابه أنه أنشدهم لغيره :

ولاتمشِ فوق الأرض إلاَّ تواضعاً ... فكم تحتها قومٌ هُمُ منك أرفعُ

فإنْ كنتَ فى عزٍّ ، وحرزٍ ، وَمَنعةٍ ... فكم مات مِن قومٍ هُمُ منك أمنع

وذكره أبو الحسين ، فقال : الصالح التقى ، صاحب الوالد السعيد .

توفى بسروج ، فى شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وحكى لى ابنه خليفة ، قال : حكى لى رجل من أهل سُروج من الصالحين :

---

(١) فى خطية إدارة الثقافة « صداعا » .

أنه رأى فى تلك الليلة قائلا يقول له : يا فلان ، إلى متى تنام ؟ قم ، قد انهدم ربع الإسلام . قال : فانتبهتُ ، وانزعجتُ ، ثم عدت نمتُ ، فرأيت القائلَ يقولُ : كم تنامُ ، قد انهدم ربع الإسلام . قال : فقعدتُ واستغفرتُ الله تعالى . وقلتُ : إيش هذا ؟ قال : ثمَّ نمتُ ، فقال لى يافلانُ ، قد انهدم ربع الإسلام . قد مَات عليّ بن عَمرو . قال : فأصبحتُ وقد مات رحمه الله تعالى .

٣٥ ـ علي بن المبارك الكرخي النهريّ ، الفقيه أبو الحسن .

وقال ابن نقطة : هو عليُّ بن محمد الفقيه ، من أقران ابن عقيل .

قال أبو الحسين : تفقه على الوالد ، ودرس فى حياته و بعد مماته . وكان كثير الذكاء ، قيماً بالفرائض .

سمع من الوالد الحديث الكثير .

وتوفى فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وصليتُ عليه إماماً ودُفن بمقبرة جامع المنصور .

قال : وسمعت أبا الحسن النهرى قال : كنتُ فى بعض الأيام أمشى مع القاضى الإمام والدك ، فالتفت ، فقال لى : لا تلتفتْ إذا مشيتَ ؛ فإنه يُنسب فاعل ذلك إلى الحمق .

قال : وقال لى يوماً آخر ـ وأنا أمشى معه ـ : إذا مشيتَ مع من تعظمه ، أين تمشى منه ؟ قلت : لا أدرى ، قال: عن يمينه ، تقيمه مقام الإمام فى الصلاة ، وتخلى له الجانب الأيسر ، فإذا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله فى الجانب الأيسر .

٣٦ ـ عبد الله بن جابر بن ياسين بن الحسن بن محمد بن أحمد بن مَحْمُويَهْ ابن خالد العسكريّ ، الحنائى ، العطار ، الفقيه ، المحدث ، أبو محمد ابن أبى الحسن .

ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة . وسمع الحديث من أبى على بن شاذان ، وأبى القاسم بن بشران ، وغيرهما وتفقه على القاضى أبى يعلى ، واستملى عليه الحديث

قال ابن السمعانى : تفقه على القاضى أبى يعلى . وكان خال أولاده . وكان صدوقاً ، مليح المحاضرة ، حسن الخط ، بهىّ المنظر . وكان يستملى للقاضى أبى يعلى بجامع المنصور .

وقال القاضى أبو الحسين : علق عن الوالد قطعة من المذهب والخلاف . وكتب أشياء من تصانيفه . وكان صادق اللهجة ، حسن الوجه ، مليح المحاضرة ، كثير القراءة للقرآن ، مليح الخط ، حسن الحساب .

وذكر القاضى عياض : أنه سأل أبا على بن سكرة عنه ؟ فقال : كان شيخاً مستوراً ، فاضلا .

روى عنه القاضى أبو الحسين ، وأبو القاسم بن السمرقندى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وعمر بن ظفر ، وجماعة .

قال القاضى أبو الحسين : مات خالى يوم الأربعاء عشرين شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، وصليتُ عليه إماماً . ودُفن بمقبرة باب حرب . قريبا من قبر الإمام أحمد .

قال شجاع الذهلى : مات يوم الخميس حادى عشرين شوال .

قال ابن السمعانى : والأول هو الصواب ؛ وإنما دُفن يوم الخميس . وكان أبوه أبو الحسن جابر بن ياسين ثقة ، من أهل السنة .

سمع من أبى حفص الكنانى ، والمخلص ، وجماعة . وحدّث .

روى عنه القاضى أبو بكر الأنصارى .

وتوفى سنة أربع وستين وأربعمائة فى شوال .

و « مَحْمُويَه » فى نسبه : ـ بميم مفتوحة ، ثم حاء مهملة ، ثم ميم مضمومة . هذا هو الصحيح . وذكره ابن السمرقندى : «حمويه» بلا ميم فى أوله . والحنائى أظنه منسوب إلى بيع الحناء .

٣٧ - زياد بن علي بن هرون أبو القاسم الحنبلي الفقيه .

نزيل بغداد . سمع بها من أبي مسلم عمر بن علي اللّيثي البُخاريّ . وحدّث عنه بكتاب الوَجيز لابن خزيمة . سمعه منه أبو الحسن بن الزاغوني ، وأبوالحسين ابن الأبنوسي ، ورواه عنه .

وذكر هبة الله السقطي : أن زياداً الفقيه الحنبلي توفي في طاعون ، سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . رحمه الله تعالى .

٣٨ - إسماعيل بن أحمد بن محمد بن خيران البزّار الهمذاني(١) ، أبو محمد الحافظ .

مكثر . سمع بنيسابور عبد الغافر الفارسي ، وأبا عثمان الصابوني ، وأخاه أبا يعلى ، وأبا حفص بن مسرور . و بأصبهان أبا عمر بن منده ، وغيره . وسمع ببلدان شتى . وحدّث ببغداد .

سمع منه أبو عامر العبدري . وروى عنه ابن السقطي في معجمه . وقال شيرويه الديلمي عنه . وهو الذي وصفه بالحنبلي

سمع عليه مشايخ الوقت بخراسان والجبل، وكان حافظاً مكثراً ، قديم الحديث.

وذكر ابن النجار : أنه تُوفي ببغداد يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالمارستان . ودُفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

٣٩ - محمد بن علي بن الحسين بن جدا العكبري ، أبو بكر بن أبي الحسين المتقدم .

ذكره ابن الجوزي في التاريخ ، وقال : كان من العُلماء . نزل يتوضأ في دجلة فغرق ، في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

وقال شُجاع الذهلي : يوم الخميس خامس ربيع الأول .

---

(١) في خطية إدارة الثقافة «البزاز الهمداني »

قال ابن النجار : سمع مع والده من أبى الحسين بن المهتدى حضوراً سنة ست وستين وأر بعمائة . ومات شاباً . وما أظنه روى شيئاً .

٤٠ـ عبد الباقي بن حمزة بن الحسين الحدّاد ، الفرضى ، أبو الفضل .

وُلد سنة خمس وعشرين وأر بعمائة .

وذكره ابن السمعانى ، فقال: شيخٌ صالح ، خيّر . كان قد قرأ الفقه . وكانت يد فى الفرائض والحساب .

سمع أبا محمد الجوهرى وغيره .

وروى لنا عنه أبو الغنائم سرايا بن هبة الله الحرانى ، وأبو الفضل بن ناصر الحافظ . سألته عنه ؟ فأحسن الثناء عليه ووثّقه ، وقال : ثقة خَيّر .

وذكر ابن النجار : أنه سمع أيضاً من أبوى الحسين بن المهتدى ، وابن حسنون ، وأبى علىّ المبارك ، وهناد النسفى ، وغيرهم . وأنه حدّث باليسير .

وروى عنه سعيد بن الرزاز الفقيه ، وأبو محمد المقرئ المعروف بسبط الخياط ، وأبو بكر محمد بن خذاذاد الحداد .

توفى يوم السبت رابع عشر شعبان سنة ثلاث وتسعين وأر بعمائة . ودفن فى مقبرة باب أبرز .

قلتُ : له كتاب « الإيضاح فى الفرائض » . رأيتُ منه المجلد الأول . وهو حسن جداً . صنفه على مذهب الإمام أحمد . وحرّر فيه نقل المذهب تحريراً جيداً

ومما ذَكَر فيه ، فى باب توريث ذوى الأرحام ، فى عمة لأبوين وعمة لأب وعمة لأم : المال بينهن على خمسة : للعمة من الأبوين ثلاثة أسهم ، وللعمة من الأب سهم ، وللعمة من الأم سهم . هذا إذا نزلناهن أباً ، فأما إذا نزلناهن عمّاً ، ففى ذلك خلاف بين أصحابنا . فمنهم من قال : الأشبهُ بمذهبنا : أن يكون المال للعمة مع الأبوين ، بمنزلة الأعمام المفرقين . ومنهم من قال : الأشبه أن يجعل

المال بينهن على خمسة ، كأنَّ العم مات وترك ثلاث أخوات مفترقات ، كما قلنا في الأب .

قال : وهذا هو المنصوص عن أحمد . وجدتُه في كتاب الشافي لأبي بكر عبد العزيز ، من رواية حرب بن إسماعيل .

سمعتُ أحمد قيل له في ثلاث عمَّات مفترقات ؟ قال : على النصف والسدس . قيل له : أليس المال للعمة من الأب والأم ؟ قال : لا . وهذا نص .

قلتُ : لم يبين أحمد الأصلَ الذي تفرع عنه هذا الجواب ، وهل هو تنزيل العمات أبًا أو عمًّا ؟ وعنه في ذلك روايات معروفة . لكنه لما أنكر أن يكون المال تختص به العمة للأبوين ، ولم يفصل بين أن يقال: بتنزيلهن أبًا أو عمًّا ، ظهر منه : أنه لا فرق في ذلك بين تنزيلهن أبًا أو عمًّا . وهذا هو الصواب الذي عليه جمهور الأصحاب . والأول الذي ذكره ابن الحداد عن بعض الأصحاب ، قد قاله الشيرازي في المبهج وغيره ، وجعلوا العمات بمنزلة الأعمام المفرقين .

وهذا مع مخالفته لنص أحمد ، فهو ضعيف في القياس أيضاً ؛ فإنّا لا ننزل العمات أعماماً متفرقين بمنزلة إخوتهن حتى ننزل العمة لأم عمًّا لأم . فإنه يلزم من ذلك سقوطها ألبتة ؛ لأنه غير وارثٍ . وإنما ننزلهن كلهن أعماماً لأبوين بمنزلة أخيهن العم من الأبوين .

ولا يقال: فيلزم من ذلك أن يقتسموا المال بينهن بالسَّوِيَّة كالأعمام المتفقين ؛ لأنّا نجعل المدلى به وهو العم كمَيِّتٍ ورثه أخواته ، وهن العمات الثلاث ، فيقتسمون المال على خمسة ، كما قلنا مثل ذلك في تنزيلهن أباً . ولا فرق بينهما . فإن القاعدة : أنه إذا أدلى جماعة بوارثٍ واحد ، ولم يتفاضلوا بالسبق إليه فنصيبُه بينهم على حسب ميراثهم منه لو ورثوه ، سواء اختلفت منازلهم منه كالإخوة والأخوات المفترقين ، أو تساوت كأولاده وإخوته المتفقين .

٤١ — محمد بن الحسن بن جعفر الراذاني ، المقرئُ الفقيه الزاهد ، نزيل أوانا أبو عبد الله .

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة .

قال القاضي أبو الحسين: صحب الوالد . وكان زاهداً ، ورعاً ، عالماً بالقراءات وغيرها . وعدّه أيضاً ممن تفقه على أبيه ، وعلق عنه .

وذكر ابن النجار : أنه سمع من القاضي أبي يعلى ، ومن أبي الغنائم بن المأمون ، وأبي بكر بن حمدويه ، وخلق . وأنه حدّث باليسير .

وروى عنه الحافظ أبو نصر اليُونارتى فى معجمه ، وقال : أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو عبد الله الراذانى .

وقال ابن السمعانى : كان فقيهاً ، مقرئاً ، من الزهاد المنقطعين ، والعباد الورعين ، مجاب الدعوة ، صاحب كرامات . سمع من القاضي أبي يعلى وغيره . سمعتُ الحسن بن حريفا الشيخ صالح باللجمة يقول : دخلتُ على أبي عبد الله الراذانى ، واعتذرتُ عن تأخرى عنه ، فقال : لا تعذرْ ؛ فإن الاجتماع مقدّر .

وسمعت ظافر بن معاوية المقرئ بالحربية[1] يقول : سمعتُ أن أبا عبد الله الراذانى أراد أن يخرج إلى الصلاة ، فجاء ابنه إليه ، وكان صغيراً ، وقال : يا أبى أريد غزالاً ألعبُ به . فسكت الشيخ ، فلحَّ الصبى ، وقال : لا بدَّ لى من غزال ، فقال له الشيخ : اسكت يا بنى ، غداً يجيئك غزال . فمن الغد كان الشيخ قاعداً فى بيته ، فجاء غزال ووقف على باب الشيخ ، وكان يضرب بقرنيه الباب إلى أن فتحوا له الباب ودخل ، فقال الشيخ لابنه : يا بنى ، جاءك الغزال .

وذكر ابن النجار بإسناده : أن رجلاً حلف بالطلاق أنه رآه بعرفة ، ولم يكن الشيخ حج تلك السنة ، فأخبر الشيخ بذلك فأطرق ، ثم رفع رأسه ، وقال : أجمعت الأمة قاطبة على أن إبليس عدو الله يسيز من المشرق إلى المغرب ، فى إفتان مسلم أو مسلمة ، فى لحظة واحدة ، فلا ينكر لعبد من عبيد الله أن يمضى فى

---

(١) فى خطية إدارة الثقافة « بالحربية »

طاعة الله بإذن الله فى ليلة إلى مكة ويعود . ثم التفت إلى الحالف ، وقال : طبْ نفساً ؛ فإن زوجتك معك حلال .

قال ابن الجوزى : كان الراذانى كثير التهجد ، ملازماً للصيام .

تُوفى رحمه الله يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى ، سنة أربع وتسعين وأربعمائة . ودفن بأَوَانا .

٤٢ - أبو الحسن بن زفر العكبرى

ذكره القاضى أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه ، وعلق عنه ، وسمع منه . وقال فى ترجمته : صحب الوالد ، وسمع درسه . وكان صالحاً ، كثير التلاوة والتلقين للقرآن . وبلغنى أنه سرد الصوم خمساً وسبعين سنة .

ومات قبل أبى عبد الله بن الراذانى بأيام يسيرة وله تسعون سنة رحمه الله تعالى .

٤٣ - محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البردانى ، الفقيه الزاهد ، أبو سعد .

أحد الفقهاء من أصحاب القاضى أبى يعلى . سمع منه .

قال ابن النجار : وما أظنه روى شيئاً .

قال ابن الخشاب: أنشدنى أبو بكر هبة الله بن أحمد الحفار ، أنشدنى أبو سعد البرداني عند موته :

إنَّ من يأمُر بالصــ ـبر من الصـــبر نفر
إنَّ فى الصدّْر من الصَّـ ـبْر كأَيْناتٍ تصرّْ

قال : أنشدنيهما ، ثم فاضتْ نفسُه رحمه الله .

توفى يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة ست وتسعين وأربعمائة . ودُفن فى مقبرة باب حرب .

ذكر ابن عقيل فى فنونه قال : وجدتُ روايةً عن أحمد بخط أبى سعد البردانى : أن عبدة الأوثان يقرون بالجزية .

قال : وذكر ابن السمعانى : أنه مذهب أبى حنيفة . وهذا النقل عام فى العرب وغيرهم . وليست هذه الرواية المشهورة : أن الجزية تؤخذ من كل الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب ؛ فإن هذه الرواية مشهورة عن أحمد ، وهى معروفة فى كتب القاضى وغيرها ، فلا يحتاج مَنْ دون ابن عقيل – فضلًا عن ابن عقيل – فى نقلها إلى أن يجدها فى تعليق أبى سعد البردانى

٤٤ – محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن كادش العكبرىّ ، المحدث ، المستملى ، أبو ياسر .

مفيد أهل بغداد . وُلد سنة سبع وعشرين وأربعمائة : وسمع ، وكتب الكثير وأفاد الناس . وسمع الطلبة والغرباء بقراءته و إفادته الكثير .

سمع قديماً من الجوهرى ، والقاضى الماوردى ، والقاضى أبى يعلى ، وأبى الحسن ابن حسنون . وقرأ بنفسه الكثير على طراد ، وابن البطى ، وطبقتهما . وحدَّث باليسير .

روى عنه السمرقندى ، والسلفى وقال عنه : كان قارىء بغداد ، والمستملى بها على الشيوخ ، ثقة ، كثير السماع ، ولم يكن له أنس بالعربية . وكان حنبلى المذهب ، جهورى الصوت عند قراءة الحديث والاستملاء .

توفى فى يوم الاثنين رابع صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة . ودفن بمقبرة باب حرب .

٤٥ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن البردانى ، المستملى، أبو على الحافظ . وقد سبق ذكر والده أبى الحسن .

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة . وسمع من العُشَارى سنة ثلاث وثلاثين . وهو أول سماعه . ومن أبى القاسم الأزجى ، وأبى الحسن القزوينى ، وابن غيلان ، والبرمكى ، والخطيب ، وغيرهم . وكتب الكثير وخرّج ، وانتقى ، واستملى . وتفقه على القاضى أبى يعلى .

قال أبو الحسين فى الطبقات : سمع درس الوالد سنين ، وسمع منه الحديث الكثير . وكان أحد المستملين عليه بجامع المنصور .

قال ابن السمعانى : كان أحد المتميزين فى صنعة الحديث .

وقال ابن الجوزى : كان ثقة ، ثبتاً ، صالحاً ، له معرفة تامة بالحديث .

وقال غيره : كان بصيراً بالحديث ، محققاً حجة . سمع منه جماعة ، وحدَّث عنه علىّ بن طرّاد ، وإسماعيل التميمى ، والسلفى ، وسأله عن أحوال جماعة ؟ فأجاب وأجاد .

قال السلفى : كان أبو علىّ أحفظ وأعرف من شجاع الذهلى . وكان ثقة ، نبيلًا ، له تصانيف .

قال الذهبى : جمع مجلداً فى المنامات النبوية .

قلتُ : وله جزء فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر الصديق .

ونقل السلفى عن خميس الجوزى الحافظ قال : كان أبو على بن البردانى أحد الحفاظ الأئمة الذين يعلمون مايقولون .

توفى ليلة الخميس حادى عشرين شوال ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب .

وفى الطبقات لأبى الحسين : أنه توفى عشية الأربعاء عاشر شوال .

٤٦ ـ محمد بن أحمد بن على بن عبد الرزاق ، الشيرازى الأصل، البغدادى، الصَّفَّار ، المقرىء ، الزاهد ، المعروف بأبى منصور الخياط .

وُلد سنة إحدى وأربعمائة ، فى شوال ـ أو ذى القعدة ـ وقرأ القرآن على أبى نصر أحمد بن عبد الوهاب بن مسرور ، وغيره . وسمع الحديث فى كبره من أبى القاسم ابن بشران ، وأبى منصور بن السواق ، وأبى طاهر عبد الغفار بن محمد المؤدب ، والحسين بن محمد الخلال ، وأبى الحسن القزوينى وغيرهم .

وتفقه على القاضى أبى يعلى . وصنف كتاب «المهذب فى القراءات» وروى الحديث الكثير .

وروى عنه سبطه أبو محمد عبد الله بن على المقرىء وأخوه أبو عبد الله الحسين ، وعبد الوهاب بن الأنماطى ، وابن ناصر ، والسلفى ، وسعد الله بن الدجاجى ، وأبو الفضل خطيب الموصل وغيرهم .

وكان إماماً بمسجد ابن جرده ببغداد ، بحريم دار الخلافة . اعتكف فيه مدة طويلة ، يعلّم العميان القرآن ، لوجه الله تعالى ، ويسأل لهم ، وينفق عليهم . فختم عليه القرآن خلق كثير ، حتى بلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفاً .

قال ابن النجار : هكذا رأيته بخط أبى نصر اليونارتى الحافظ . وقد زعم بعض الناس أن هذا مستحيل ، وأنه من سبق القلم . وإنما أراد : سبعين نفساً . وهذا كلام ساقط ؛ فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير فى السنين الطويلة .

قال ابن الجوزى : أقرأ السنين الطويلة . وختم عليه القرآن ألوف من الناس

وقال القاضى أبو الحسين : أقرأ بضعاً وستين سنة ، ولقن أمماً . وهذا موافق لما قاله أبو نصر . وهذا أمر مشهور عن أبى منصور ، فيكون جميع من ختم عليه القرآن سبعين نفساً . وهذا باطل قطعاً . ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفساً . وإنما كان الشيخ أبو منصور يُقرىء هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة ، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير .

قال ابن الجوزى : كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين . كان له ورد بين العشاءين ، يقرأ فيه سبعاً من القرآن قائماً وقاعداً ، حتى طعن فى السن .

وقال ابن ناصر عنه : كان شيخاً صالحاً ، زاهداً ، صائماً أكثر وقته ، ذا كراماتٍ ظهرتْ له بعد موته .

قال أبو الحسين : كان الوالد السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم بمسجده و يصلى خلفه .

قال عبد الوهاب الأنماطى : تُوفى الشيخ الزاهد أبو منصور ، فى يوم الأربعاء ، وقت الظهر ، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة . وصلى عليه يوم الخميس فى جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله . وكان الجمع كثيراً جداً . وعُبر به إلى جامع المنصور ، فَصُلى عليه أيضاً ، وحضرتُ ذلك . وكان الجمع وافراً عظيماً . وكانت الصلاة عليه فى داخل المقصورة عند القبلة . ومضيتُ معه إلى باب حرب . ودفن فى الدكة بجنب الشيخ أبى الوفاء بن قواس .

وقال ابن الجوزى : مات وسنه سبع وتسعون سنة ، ممتعاً بسمعه و بصره وعقله . وحضر جنازته ما لا يحد من الناس ، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون : ما رأينا جمعاً قط هكذا ، لا جمع ابن القزوينى ، ولا جمع ابن الفراء ، ولا جمع الشريف أبى جعفر . وهذه الجموع التى تناهت إليها الكثرة ، وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش ، فلم يقدر أحدٌ من نقاد الباعة فى ذلك الأسبوع على تحصيل نقده .

وقال أبو منصور بن خيرون : ما رأيتُ مثل يوم صُلى على أبى منصور الخياط ، من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة .

وقال السلفى : ذكر لى المؤتمن فى ثانى جمعة من وفاة الشيخ أبى منصور : أن اليوم ختموا على رأس قبره مائتى و إحدى وعشرين ختمة .

قال السلفى : وقال لى على بن محمد بن الأيسر العكبرى ــ وكان رجلاً صالحاً ــ : حضرت جنازة الشيخ الاجل أبى منصور بن يوسف ، وأبى تمام بن أبى موسى القاضى ، فلم أر قط خلقاً أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبى منصور . قال : واستقبلنا يهوديّ فرأى كثرة الزحام والخلق ، فقال : أشهدُ أن هذا الدين هو الحق ، وأسلَمَ .

وذكر ابن السمعانى : سمعتُ أبا حفص عمر بن المبارك بن سهلان ، سمعت الحسين بن خسرو البلخى ، قال : رُئِى الشيخ أبو منصور الخياط فى النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بتعليمى الصبيان فاتحة الكتاب .

قرأتُ على أبى حفص عمر بن حسن المزى : أخبركم إسماعيل بن عبد الرحمن الفراء أنبأنا الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسى قال : قرأت على أبى عبد الله مظفر بن أبى نصر البواب ، وابنه أبى محمد عبد الله بن مظفر ببغداد ، قلت لهما : حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر قال : كنتُ أسمع الفقهاء فى النظامية يقولون : فى القرآن معنى قائم بالذات ، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات ، فحصل فى قلبى شىء من ذلك حتى صرتُ أقولُ بقولهم موافقةً . وكنتُ إذا صليتُ أدعو الله تعالى أن يوفقنى لأَحَبِّ المذاهب والاعتقادات إليه ، و بقيت على ذلك مدة طويلة أقول : اللّهم وفقنى لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك .

فلما كان فى أول ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيت فى المنام كأنى قد جئت إلى مسجد الشيخ أبى منصور الخياط ، والناس على الباب مجتمعون ، وهم يقولون : إن النبى صلى الله عليه وسلم عند الشيخ أبى منصور ، فدخلتُ المسجد ، وقصدتُ إلى الزاوية التى كان يجلس فيها الشيخ أبو منصور ، فرأيتهُ قد خرج من زاويته ، وجلس بين يدى شخص ، فما رأيت شخصاً أحسن منه على نعت النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى وُصِف لنا . وعليه ثيابُ ما رأيت أشد بياضاً منها ، وعلى رأسه عمامة بيضاء . والشيخ أبو منصور مقبـل عليه بوجهه ، فدخلتُ فسلمتُ ، فردَّ علىّ السلام ، ولم أتحقق مَنِ الرادُّ علىَّ ؛ لدهشتى برؤية النبىّ صلى الله عليه وسلم . وجلستُ بين أيديهما ، فالتفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن أسأله عن شىء ، أو أستفتحه بكلام أصلًا ، وقال لى : عليك بمذهب هذا الشيخ . عليك بمذهب هذا الشيخ . عليك بمذهب هذا الشيخ .

قال الحافظ أبو الفضل : وأنا أُقسم بالله ثلاثاً ، وأشهد بالله لقد قال لى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً . ويشير فى كل مرةٍ بيده اليمنى إلى الشيخ أبى منصور .

قال : فانتبهتُ وأعضائى ترعد ، فناديتُ والدتى رابعة بنت الشيخ أبى حكيم الحبرى ، وحكيتُ لها ما رأيت ، فقالت : يا بنى ، هذا منامُ وحى ، فاعتمد عليه.

فلما أصبحت بكرت إلى الصلاة خلف الشيخ أبى منصور . فلما صلينا الصبح قصصتُ عليه المنام ، فدمعت عيناه ، وخشع قلبُه ، وقال لى : يا بُنى ، مذهبُ الشافعى حسنٌ ، فتكون على مذهب الشافعى فى الفروع ، وعلى مذهب أحمد وأصحاب الحديث فى الأصول ، فقلت له : أى سيدى ، ما أريد أكون لونين . وأنا أشهد الله وملائكته وأنبيائه ، وأشهدُك على أنى مُنذ اليوم لا أَعتقد ولا أَدين الله ولا أَعتمدُ إلاَّ على مذهب أَحمد فى الأصول والفروع . فقبَّل الشيخ أبو منصور رأسى ، وقال : وفقك الله ، فقبَّلتُ يدَه .

وقال لى الشيخ أبو منصور : أنا كنتُ فى ابتدائى شافعياً . وكنت أتفقه على القاضى الإمام أبى الطيب الطبرى ، وأسمع الخلاف عليه . فحضرتُ يوماً عند الشيخ أبى الحسن علىّ بن عمر القزوينى الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن ، فابتدأت أقرأ عليه القرآن ، فقطع على القراءة مرة أو مرتين ، ثم قال : قالوا وقلنا ، وقلنا وقالوا . فلا نحن نرجع إليهم ، ولاهم يرجعون إلى قولنا ، ورجعنا إلى عادتنا . فأىّ فائدة فى هذا ؟ ثم كرر علىّ هذا الكلام ، فقلت فى نفسى : واللهِ ماعنى الشيخ بهذا أحداً غيرى ، فتركتُ الاشتغال بالخلاف . وقرأتُ مختصر أبى القاسم الخرقى على رجل كان يُقرئ القرآن .

قال الحافظ : ورأيتُ بعد ذلك ما زادنى يقيناً ، وعلمتُ أنَّ ذلك تثبيتٌ مِن الله ، وتعليمٌ لأعرف حق نعمة الله علىَّ وأشكره ، والله المسئولُ الخاتمةبالموت على الإِسلام والسنة . آمين .

٤٧ ـ جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، المقرىء ، المحدث ، الأديب أبو محمد .

وُلد سنة سبع عشرة وأربعمائة فى آخرها ـ أو فى أول سنة ثمان عشرة ـ ذكره السلفى عنه .

وقال شجاع الذهلى : سنة ست عشرة .

وقرأ القرآن بالروايات . وأقرأ سنين .

وسمع أبا على بن شاذان ، وأبا محمد الخلال ، وأبا القاسم بن شاهين ، والبرمكى والقزوينى ، وخلقاً كثيراً .

وسافر إلى مكة ، وسمع بها ، ودخل الشام ، وسمع بدمشق من عبد العزيز الكنانى والخطيب وغيرهما . وسمع بطرابلس ، وتوجه إلى الديار المصرية ، فسمع بها من أبى إسحاق الحبال وأبى محمد بن الضراب . وخرّج له الخطيب خمسة أجزاء معروفة ، تسمى السراجيات .

وكان أديباً شاعراً ، لطيفاً صدوقاً ، ثقة . وصنف كتبا حسانا ، منها : كتاب « مصارع العشاق » وكتاب « حكم الصبيان » وكتاب « مناقب السودان » . وشعره مطبوع . وقد نظم كتبا كثيرة شعراً ، فنظم كتاب « المبتدأ » وكتاب « مناسك الحج » وكتاب « الخرق » وكتاب « التنبيه » وغيرها .

ذكر ذلك ابن الجوزى ، وقال : حدثنا عنه أشياخنا . وآخر من حدثنا عنه شهدة بنت الإِبَرى ، قال : وقرأتُ عليها كتابه المسمى « بمصارع العشاق » بسماعها منه .

قال : ومن أشعاره :

بان الخليط فأدمعى وجداً عليهم تستهلُّ
وحدا بهم حادى الفرا ق عن المنازل فاستقلوا

قــل للذين ترحّلوا عن ناظرى والقلب حلوا
ودمى بلا جرم أتيـ ت غداة بينهم استحلّوا
ما ضرَّهم لو أنهلُو من ماء وصلهم وَعلوا

قال : وأنبأنا أبو المعمر الأنصارى ، أنشدنا جعفر السراج لنفسه :

قــل للذين بجهلهم أضحوا يَعِيبُون المحابر
والحاملين لهــا من الأ يدى بمجتمع الأساوِرْ
لولا المحــابر والمقــا لم والصحائف والدفاتر
والحــافظون شريعة الم بعوث من خير العشائر
والنــاقلون حديثــه عن كابرٍ ثَبْت وكا بِر
لرأيت من شيع الضلا ل عسا كراً تتلو عسا كر
كل يقول بجهــله والله للمظــلوم ناصر
سميتمُ أهل الحــد يث:أولى النهى وأولى البصائر
حشــو ية فعليكم لعن يزيركم المقــابر
هم حَشْو جنات النعـ يم على الأسرة والمنابر
رفقــاء أحمــد كلهم عن حوضه ريان صادر

أنبأنا أحمد بن على الجزرى ، عن محمد بن عبد الهادى ، عن أبى طاهر السلفى أنشدنا أبو محمد جعفر بن محمد السراج لنفسه :

سقى الله قبراً حلَّ فيه ابنُ حنبلٍ من الغيث وَسْمِيًّا على إثره وَلِى
على أن دمعى فيه روَّى عظــامه إذا فاض مالم يبل منها ومابلى
فلله رب النــاس مَذْهَبُ أحمد فإنَّ عليه مــا حييتُ مُعوَّلى
دَعَوْهُ إلى خلق القرآن كما دعوْا سواه فــلم يسمع ولم يتــأوَّلِ
ولا ردَّه ضربُ السياط وسجنه عن السُّنَّة الغراء والمذهب الجلى
ولما يزدهم ، والسياق تنوشه فشلَّتْ يمــينُ الضارب المتبتل

على قوله : القرآنُ ، وليشهد الورى كلامك ياربَّ الورى ، كيفما ماتُلى
فمن مبلغ أصحابه أننى بـه أفاخرُ أهلَ العـلم فى كل محفلِ
وألقى به الزهـاد كلَّ مطلِّقٍ من الخوف دنيـاه طلاق التبتلِ
منـاقبه إن لم تـكن عالمًا بها فـكشفاً طروس القوم عنهن واسألِ
لقد عاش فى الدنيا حميداً موفقاً وصار إلى الأخرى إلى خير منزلِ
وإنى لراج أن يكون شفيعَ من تولاَّه من شيخ ومن متـكهلِ
ومِنْ حَدثٍ قد نوَّر اللهُ قلبَـه إذا سألوا عن أصله . قال : حنبلى

وقد روى هذه الأبيات عن جعفرٍ الحافظان : محمد بن ناصر ، ويحيى بن منده . وساقها فى كتابه « مناقب أحمد » .

وقد أثنى عليه شجاع الذهلى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وابن ناصر ، وقال : كان ثقة ، مأموناً عالمـاً ، فهماً صالحاً .

كتبَ الـكثيرَ . وصنَّف عدَّة مصنفات وكان قديماً يستملى على أبى الحسن القزوينى ، وأبى محمد الخلال ، وغيرهما .

قال القاضى عياض : سألتُ أبا على بن سكرة عن جعفر السراج ؟ فقال : شيخ فاضل جميل وسيم مشهور يفهم . عنده لغة وقراءات . وكان الغالب عليه الشعر .

وذكره القاضى أبو بكر بن العربى ، فقال : ثقة ، عالم ، مقرىء . له أدبٌ ظاهر ، واختصاص بالخطب .

وقال السلفى : كان ممن يفتخر برويته وروايته لديانته ودرايته . وله تواليف مفيدة . وفى شيوخه كثرة . وأعلاهم إسناداً ابن شاذان .

وقال ابن النجار : كتبَ بخطه الـكثير ، وكانت له معرفة بالحديث والأدب وحدَّث بالـكثير على استقامة وسداد ، ببغداد ، والشام ، ومصر .

وسمع منه الأئمةُ الكبار والحفاظ . وكان متديناً حسن الطريقة ، مع ظرفه ولطف أخلاقه .

روى عنه أبو القاسم بن السمرقندى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وابن ناصر ، والسلفى ، وغيرهم .

ومن شعر جعفر السراج :

لله دَرُّ عصابة يسعَوْنَ فى طلب الفوائدْ
يدعون أصحاب الحديـ ـث بهم تجلتِ المشاهدْ
طوراً تراهم بالصعيـ ـد وتارةً فى ثغرِ آمدْ
يتَتبعون من العلو م بكل أرضٍ كلَّ شاردْ
فهُمُ النجومُ المُهتدَى بهمُ إلى سُبُلِ المقاصدْ

وله :

إذا كنتمُ تكتبونَ الحديـ ـثَ ليلًا وفى صبحكم تسمعون
وأفنيتمُ فيه أعماركم فأىّ زمانٍ به تعملون ؟

قال ابن الجوزى : كان جعفر السراج صحيح البدن ، لم يعتوره فى عمره مرض يُذكر ، فمرض أياماً .

وتوفى ليلة الأحد العشرين من صفر سنة خمسمائة . ودُفن بالمقبرة المعروفة بالأجمة من باب أبرز .

وقيل : مات ليلة الأحد ، حادى عشرين صفر . كذا قال ابن ناصر والذهلى .

وفيات المائة السادسة

من سنة ٥٠١ هـ — إلى سنة ٥٤٠ هـ

٤٨ ـ رجب بن قحطان بن الحسن بن قحطان الأنصارى، الضرير أبو المعالى المقرىء الأديب .

سمع من أبى الحسين بن النقور . وحدّث باليسير . سمع منه هزارسب ابن عوض وغيره .

وقال أبو الفضل بن عطّاف : كان من مجوّدى القرآء ، والمحسنين فى الآداء ذا فضل وعقلٍ وأدبٍ .

توفى سنة اثنتين وخمسمائة .

ومن شعره أنشده عنه أبو بكر المزْرَفى :

إنما المرء خلاص جائز فإذا جربته فهو شبه
وتراه راقداً فى غفلة فهو حىّ فإذا مات انتبه

٤٩ ـ أحمد بن على بن أحمد العلثى ، أبو بكر الزاهد .

ذكره أبو الحسين ، وابن الجوزى فى الطبقات فقال : أحد المشهورين بالزهد والصلاح . سمع الحديث على القاضى أبى يعلى ، وقرأ عليه شيئاً من المذهب .

وقال أبو الحسين : صحب الوالد سنين . سمع درسه والحديث منه . وكان يعمل بيده يُجصص الحيطان ، ثم ترك ذلك ، ولازم المسجد يقرىء القرآن و يؤم الناس وكان عيفًا لايقبل من أحدٍ شيئاً ، ولا يسأل أحداً حاجةً لنفسه من أمر الدنيا ، مقبلًا على شأنه ونفسه، مشتغلا بعبادة ر به ، كثير الصوم والصلاة ، مُسَارعاً إلى قضاء حوائج المسلمين ، مكرماً عند الناس أجمعين .

وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة ، فيأخذ فى كوز له ماء يفطر عليه .

وكان يمشي بنفسه فى حوائجه ولا يستعين بأحد . وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، ويجيء إلى قبر الفُضَيل بن عياض ، ويخط بعصاه ، ويقول : يارب هٰهنا ، يارب هٰهنا . فاتفق أنه خرج فى سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج . وكان قد وقع من الجمل فى الطريق دفعتين ، فشهد عرفة محرماً ، وبه بقية من ألم الوقوع .

وتوفى عشية ذلك اليوم — يوم الأربعاء ، يوم عرفة — فى أرض عرفات . فحمل إلى مكة ، فطيفَ به البيت . ودفن يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض رضى الله عنه .

وذكره فى التاريخ أيضاً ، فذكره نحواً من ذلك . وقال : كان يتنزه عن عمل النقوش والصور . وكان له عقار قد ورثه عن أبيه ، فكان يبيع منه شيئاً فشيئاً ، فيتقوّت به .

وذكر أبو الحسين : أن سَبَب تركه لصناعته : أنه دخل مرة مع الصُناع إلى بعض دور السلاطين مُكرهاً . وكان فيها صور من الاسفيداج مجسمة ، فلما خلا كسرها كلها ، فاستعظموا ذلك . فقال : هذا منكرٌ ، والله أمر بكسره فانتهى أمُره إلى السلطان ، وقيل له : هذا رجلٌ صالح مشهور بالديانة ، وهو من أصحاب ابن الفراء ، فقال : يخرج ، ولا يكلم ، ولا يقال له شيء يضيق به صدره ، ولا يُرجع يُجاء به إلى عندنا .

قال : وظهر له من الكرامات غير قليل .

أخبرنى من أثق به : أنه كان لبعض أهله صبي صغير ، فظهر به وَجَعٌ فى حلقه ورقبته ، وخافوا منه على الصبيَّ ، فحمله إلى الشيخ فقرأ عليه ، ونفث من ريقه ، فزال ما كان به بعد يوم أو يومين ، ولم يحتج إلى علاج .

قال ابن الجوزى : وصحب القاضى أبا يعلى . وقرأ عليه طرفاً من الفقه ، وسمع منه الحديث ، وحدَّث عنه بشيء يسير .

قلتُ : روى عنه ابن ناصر ، والسلفى . ولما بلغ خبر موته إلى بغداد نودى

فى البلد بالصلاة عليه صلاة الغائب ، لحضر الناس فى جامعى بغداد من الجانبين . وحضر أصحاب دولة المستظهر بالله أمير المؤمنين . وتقدم للصلاة عليه فى الجانب الشرقى بعض أصحاب القاضى .

قال أبو الحسين : وصليتُ عليه أنا فى مسجدى بباب المراتب ، لعذر ، وصلَّى معى جماعة .

٥٠ — محمد بن على بن محمد بن عثمان بن المراق الحلوانى ، أبو الفتح الفقيه الزاهد .

وُلد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وسمع الحديث من أبى الحسين بن المهتدى وأبى الغنائم بن المأمون ، والقاضى أبى على ، وأبى جعفر بن المسلمة ، والصريفينى ، والنهروانى ، وغيرهم .

ورأى القاضى أبا يعلى وصحبه مدة يسيرة ، ثم تفقه على صاحبيه الفقيهين : أبى على يعقوب ، وأبى جعفر الشريف . ودرس عليهما الفقه أصولاً وفروعا ، حتى برع فيهما . وأفتى ، ودرس بمسجد الشريف أبى جعفر بالحريم بعد شافع . وحدَّث بشىء يسير .

قال ابن شافع : كان ذا زهادة وعبادة . وروى عنه السلفى فى مشيخته ، وقال: كان من فقهاء الحنابلة ببغداد . وكان مشهوراً بالورع الثخين، والدين المتين .

توفى يوم الجمعة — يوم عيد النحر — سنة خمس وخمسمائة ، وصُلِّى عليه من الغد يوم السبت بالجامع . وكان الجمع متوفراً جداً ، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ودفن بمقبرة باب حرب .

وقال المبارك بن كامل : تُوفى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة .

قلتُ : له كتاب « كفاية المبتدى » فى الفقه مجلدة ، ومصنف آخر فى الفقه أكبر منه ، ومصنف فى أصول الفقه فى مجلدين ، وله « مختصر العبادات » . قاله ابن النجار .

٥١ - المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البقال البغدادي، أبو سعد الفقيه الواعظ. ريحانة البغداديين

وُلد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وسمع من ابن غيلان، وأبي محمد الخلال والجوهري، وأبي القاسم الأزجي، وغيرهم.

وكان فقيهاً مفتياً، وواعظاً بليغا فصيحا، له قبول تام، وجواب سريع، وخاطر حاد، وذهن بغدادي. وكان يضرب به المثل في حدّة الخاطر، وسرعة الجواب بالمجون، وطيب الخلق، وله كلمات في الوعظ حسنة، ورسائل مستحسنة. وجمهور وعظه حكايات السلف. وكان يحصل بوعظه نفع كثير. وكان في زمن أبي على بن الوليد شيخ المعتزلة، يجلس في مجلسه، و يلعن المعتزلة.

وخرج مرة فلقي مغنية قد خرجت من عند تركي فقبض على عودها، وقطع أوتارها، فعادت إلى التركي فأخبرته، فبعثَ من كبَسَ دارَ أبي سعد وأفلتَ، واجتمع بسبب ذلك الحنابلة، وطلبوا من الخليفة إزالة المنكرات كلها، كما سبق ذكر ذلك في ترجمة الشريف أبي جعفر.

وكان أبو سعد يعظ بحضرة الخليفة المستظهر والملوك. وقال يوماً للمستظهر في وعظه: أهونُ ما عنده أن يجعل لك أبواب العراص توابيت.

ووعظ «نظام الملك» الوزير مرة بجامع المهدي، فقال:

الحمدُ لله ولي الإنعام، وصلى الله على من هو للأنبياء ختام، وعلى آله سُرج الظلام، وعلى أصحابه الغرّ الكرام. والسلام على صدر الإسلام. ورَضِيّ الإمام. زَينه اللهُ بالتقوى، وختم له بالحسنى، وجمع له بين خير الآخرة والدنيا.

معلوم ياصدر الإسلام، أن آحاد الرعية من الأعيان مخيَّرون في القاصد والوافد: إن شاءوا وصَلُوا، وإن شاءوا فَصَلُوا، وَأَما من توشح بولاية فليس مخيراً في القاصد والوافد؛ لأن من هو على الخليفة أمير، فهو في الحقيقة أجير، قد باع زمنه وأخذ ثمنه. فلم يبق له من نهاره مايتصرف فيه على اختياره، ولا له أن يصلي

نفلاً ، ، ولا يدخل معتكفًا ، دون الصدد لتدبيرهم ، والنظر فى أمورهم ، لأن ذلك فضل ، وهذا فرض لازم .

وأنتَ ياصدر الإسلام ، وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة ؛ لتنوب عنه فى الدنيا والآخرة ، فأما فى الدنيا : ففى مصالح المسلمين . وأمّا فى الآخرة : فلتجيب عنه ربّ العالمين . فإنه سيقفه بين يديه ، فيقول له : ملّكتُكَ البلاد ، وقلدتك أزمّة العباد . فما صنعتَ فى إفاضة البذل ، و إقامة العدل ؟ فلعله يقول : يارب اخترتُ من دولتى شجاعاً عاقلا ، حازمًا فاضلا ، وسمّيتهُ قوام الدين ونظام الملك ، وها هو قائم فى جملة الولاة و بسطت بيده فى الشرط والسيف والقلم ، ومكنته فى الدينار والدرهم ، فاسأله يارب : ماذا صنع فى عبادك و بلادك ؟ .

أفتحسن أن تقولُ فى الجواب : نعم ، تقلدتُ أمور البلاد ، وملكتُ أزمة العباد ، و بثثت النوال ، وأعطيت الإفضال ، حتى إذا قربت من لقائك ، ودنوت من تلقائك ، اتخذت الأبواب والبواب ، والحِجاب والحجاب ؛ ليصُدُّوا عنى القاصد ، و يردُّوا عنى الوافد ؟ .

فاعمر قبرك كما عمرت قصرك ، وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل أمرك ، فلا تعتذر ، فما ثمَّ من يقبل عذرك .

وهذا ملك الهند . وهو عابد صنم ذهبَ سمعهُ ، فدخل عليه أهل مملكته يعزونه فى سمعه ، فقال : ماحسرتى لذهاب هذه الجارحة من بدنى ، ولكن تأسفى لصوت المظلوم لا أسمعه فأغيثه ، ثم قال : إن كان قد ذهب سمعى فما ذهب بصرى فليؤمر كل ذى ظلامة أنِ يلبس الأحمر ، حتى إذا رأيتهُ عرفتهُ فأنصفته .

وهذا « أنو شروان » قال له رسول ملك الروم : لقد أقدرتَ عدوّك عليك بتسهيل الوصول إليك . فقال : إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظُلَامَةً ، وأقضى حاجةً .

وأنتَ ياصدر الإسلام ، أحق بهذه المأثرة ، وأولى بهذه وأحرى من أعدَّ جواباً لتلك المسألة ، فإنه اللهُ الّذِى (١٩ : ٩٠ تـكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنه) فى موقفٍ مافيه إلا خاشع ، أو خاضع أو مقنع ، فينخلع فيه القلب، ويحكم فيه الرب، ويعظم فيه الـكرب ، ويشيب فيه الصغير ، ويعزل فيه الملك والوزير ، يوم (٨٩ : ٢٣ يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ ، وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟) ، (٣ : ٣٠ يومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا).

وقد استجلبت لك الدعاء ، وخلدت لك الثناء ، مع براءتى من التهمة . فليس لى ــ بحمد الله تعالى ــ فى أرض الله ضيعة ولا قرية ، ولا بينى و بين أحد خصُومة ، ولا بى ــ بحمد الله تعالى ــ فقر ولا فاقة .

فلما سمع «نظام الملك» هذه الموعظة بكى بكاء شديداً ، وأمر له بمائة دينار . فأبى أن يأخذها ، وقال : أنا فى ضيافة أمير المؤمنين . ومن يكن فى ضيافة أمير المؤمنين يقبح عليه أن يأخذ عطاءغيره . فقال له : فُضَّها على الفقراء ، فقال : الفقراء على بابك أكثر مِنهُمْ على بابى ، ولم يأخذ شيئاً .

توفى أبوسعد يوم الإثنين ثامن عشرين ربيع الأول ، سنة ست وخمسمائة ، ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

قال ابن الجوزى : حكى أبو المـكارم بن رميضاء السقلاطونى قال : رأيتُ أبا سعدِ بن أبى عمامة فى المنام ، حين اختصم المسترشد والسلطان محمود ، وعليه ثياب بَياض فسـلمتُ عليه ، وقلتُ : من أَينَ أَقبلتَ ؟ قال : من عند الإمام أحمد بن حنبل ، وهاهو ورائى ، فالتفتُ فرأيتُ أحمد بن حنبـل ، ومعه جماعة من أصحابه ، فقلت : إلى أين تقصدون ؟ قال : إلى أمير المؤمنين المسترشد بالله لندعو له ، فصَحبتهم ، فانتهينا إلى الحربية إلى مسجد ابن القزوينى . فقال أحمد بن حنبل : ندخلُ ، فأخذ الشيخ معنا ، فدخل باب المسجد . فقال : السلام

عليكم ورحمةُ الله و بركاته . فإذا الصوتُ من صَدْرِ المسجد : وعليك السلام ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، الإمامِ قد نصر . قال : فانتبهتُ مَرْعُوبًا . وكان كما قال الشيخ .

٥٢ - جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجانى ، المقرئ ، الفقيه ، الزاهد .

ذكره القاضى أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه ، وعلق وسَمِع الحديث . ثم ذكر ترجمته كما ذكرها ابن شافع فى تاريخه ، فقال : هو الأمّار بالمعروف ، والنهّاء عن المنكر ، ذو المقامات المشهودة فى ذلك ، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين .

صحب القاضى أبا يعلى ، وتفقه عليه ، ثم تمم على صاحبه الشريف أبو جعفر. وختم عليه القرآن خلقٌ لايحصون كثرة .

وكان من عباد الله الصالحين ، أمّاراً بالمعروف ، قوّالاً بالحق ، ناهياً عن المنكر ، لا تأخذه فى الله تعالى لومة لآئم ، مهيباً وقوراً ، له حرمةٌ عند الملوك والسلاطين ، ولايتجاسر أحد أن يقدم عليه إذا أنكر منكراً . وله المقامات المشهودة فى ذلك . مداوماً للصيام والتهجُد والقيام . وله ختمات كثيرة جدا ، كل ختمة منها فى ركعة واحدة . وسمع الحديث من أبى علي بن البناء .

توفى فى الصلاة ساجداً ، فى شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة ، بِدَرْزِيجان . رحمه الله تعالى .

قال المبارك بن كامل : سمعتُ عبد الوهّاب بن قاسم بن علي الشعرانى قال : رأيتُ جعفر الدرزيجانى جاء إلى بغداد ، فالتقى به أبو الحسين الدرزيجانى ، فقال له : كيف تركت الصبيان ؟ فقال له (٣ : ٩ وليَخْشَ الَّذين لو تركُوا من خَلْفِهِمْ ذُرّية ضِعَافاً خَافوا عَلَيْهم فَلْيَتَّقُوا اللهَ ولْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) تقوى الله لنا ولهم .

٥٣ - علي بن محمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل الأنبارى ، القاضى أبو منصور ، الفقيه الواعظ .

وُلد يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة ، سنة خمس وعشرين وأربعمائة .

وقرأ القرآن على ابن الشرمقانى .

وسمع الحديث من أبى طالب بن غيلان ، والجوهرى ، وأبى إسحاق البرمكى ، وأبى بكر بن بشران ، وأبى محمد الصريفينى ، وأبى الحسين بن المهتدى ، وأبى الغنائم ابن المأمون ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى بكر الخطيب ، وغيرهم .

وسمع من القاضى أبى يعلى . وتفقه عليه حتى برع فى الفقه . وأفتى ووعظ بجامع القصر وجامع المنصور وجامع المهدى . وكان مظهراً للسنة فى مجالسه .

وشهد عند أبى عبد الله بن الدامغانى ، وأبى بكر السامى ، وغيرهما . وولى القضاء بباب الطَّاق وحَدث وانتَشرت الرِواية عنه . فروى عَنهُ عبد الوهاب الأنماطى ، وَعبد الخالق بن أحمد بن يُوسُف ، وأبو المعمر الأنصارى ، والمبارك ابن خضير ، والسلفى .

تُوفى يوم السبت رابع عشرين جمادى الآخرة ، سنة سبع وخمسمائة . ودُفِنَ من الغَد بمقبرة باب حرب . وتبعَه من الخلق ما لا يُحصى كثرةً ، ولا يَعُدُّهم إلا أسرع الحاسبين . كذا ذكره ابن شافع .

وفى تاريخ ابن السمعانى عن أبى الفضل بن عطَّاف : أنه توفى ليلة السبت المذكورة .

قال أبو الحسين : صليتُ عليه إماماً بجامع المنصور فى المقصورة . قال : وحَدّث عن الوالد بكثيرٍ من سماعاته ومصنَّفاته .

٥٤ ـ إسماعيل بن محمد بن الحسن بن داود الأصبهانى ، الخياط أبو على .

سمع الكثير ، وكتب بخطه . وكان خطه دقيقاً مطبوعا .

دخل بغداد سنة سبع وخمسمائة . وحَدّث بها عن والده ، وعن أبى بكر محمد ابن أحمد بن الحسن بن ماجة ، وأبى مطيع المضرى ، وغيرهم .

سمع منه أبو منصور محمد بن ناصر البردى . وقال : كان من الأئمة الكبار ، وهو أخو أبى سعد محمد بن داود .

قال ابن النجار : قرأتُ بخط أخيه أبى سعد : تُوفى أخى أبو علي إسماعيل فى العشر الأواخر من جُمادى الآخرة سنة ثمان وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

٥٥ - إسماعيل بن المبارك بن محمد بن أحمد بن وصيف البغدادى ، الفقيه أبو حازم .

وُلد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

وقرأ الفقه على القاضى أبى يعلى، وسمع منه ، ومن ابن العشارى، والجوهرى .

روى عنه أبو المعمر الأنصارى ، وبالإجازة ابن كليب .

وتوفى فى رجب سنة ثمان وخمسمائة .

٥٦ - أحمد بن الحسن بن أحمد المخَلَّطِيّ ، البغدادى الفقيه ، أبو العباس الدباس .

صحب القاضى أبا يعلى . وتفقه عليه ، ولازمه ، وسمع منه الحديث . وكتب الخلاف وغيره من تصانيفه .

وسمع أيضاً من أبى الحسن بن المهتدى ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى الحسين ابن الأبنوسى ، وأبى علي بن وشاح ، وأبى علي المباركى غيرهم . وحَدّث عنهم .

قال ابن ناصر الحافظ : وسمعتُ منه . قال : وكان رجلا صالحاً من أهل القرآن ، والسّتر والصيانة ، ثقة مأموناً .

توفى ليلة الأربعاء ثانى عشر جُمادى الأولى سنة ثمان وخمسمائة . ودُفن مِنَ الغَدِ بمقبرة باب حربٍ . رحمه الله .

و « المخلَّطِي » بفتح اللام المشددة - نسبة إلى المخلَّط ، وهو النُّقْلُ ، ولعله كان يَبيعُه .

نقلتُ من بعض تعاليق الإمام أبى العباس بن تيمية ، قال : نقلتُ من خط

أحمد بن الحسن بن أحمد الخلّاطى على ظهر الجزء الثانى والأربعين من تعليق القاضى ، ثم رأيته أنا بخط الخلّاطى ، قال : رأيتُ بخط شيخنا ـ يعنى القاضى أبا يعلى ـ قال : إذا وقفَ داره على مسجد وعلى إمام يصلى فيه : كان للإمام نصف الارتفاع ، كما لو وقفها على زيدٍ وعمرو ، إنه بينهما . فإن وقفه على مساجد القرية وعلى إمام يُصَلى فى واحد منها : قسم الارتفاع على عدد المساجد ، وعلى الإمام . فإن وقفها على المسجد خاصة : لم يجز أن يدفع إلى إمام يصلى فيه . ولا يصرف فى بوارى المسجد ؛ لأن ذلك من مصلحة المصلين ، لا من مصلحة المسجد .

٥٧ ـ **محمد بن سعد** بن سعيد العسَّال ، المقرئ ، أبو البركات بن الحنبلى ، يلقب التاريخ .

ولد فى ربيع الآخر سنة سبعين وأربعمائة .

وقرأ بالروايات على رزق الله التميمى ، ويحيى بن البستى ، وغيرهما .

سمع من أبى نصر الزينبى ، وأبى الغنائم بن أبي عثمان ، والقاضى ابن البطر والنعالى وغيرهم . وعلق الفقه عن ابن عقيل .

وكان من القراء المجوّدين ، الموصوفين بحُسن الأداء ، وطيب النغمة . يُقصد فى رمضان ، لسماع قراءته فى صلاة التراويح ، من الأماكن البعيدة . وكان ديناً صالحاً ، صَدُوقاً ، حَدَّث .

سمع منه ابن ناصر ، والسلفى . قال : وكان من أحسن الناس تلاوةً للقرآن ، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا . وهو حنبلى المذهب . علق الفقه عن ابن عقيل .

توفى يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائة . وصُلى عليه بجامع القصر . وكان الجمع متوفراً . ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

٥٨ ـ هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي بن يوسف السَّقَطى ، أبو البركات المحدّث ، الرَّحّال .

ذكر أنه وُلد سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

وسمع الحديث ببلدِهِ بغداد ، من جماعةٍ ، منهم : القاضى أُبو يَعلى . وتفقه عليه . ورحل إلى واسط ، والبصرة ، والكوفة ، والموصل ، وأصبهان ، والجبال ، وغيرها . و بالغ فى الطلب . وتعب فى جمع الحديث وكتابته .

وكان له فضل ومعرفة بالحديث واللغة . وجمع الشيوخ وخرج التخاريج .

جمع لنفسه مُعجَماً لشيوخه فى نحو ثمانية أجزاء ضخمة . وجمع تاريخاً لبغداد ذيل به على تاريخ الخطيب . وكان مجدًّا فى الطلب والسماع ، والبحث عن الشيوخ ، و إظهار مسموعاتهم ، والقراءة عليهم .

كتب عن أَصحاب الدارقطنى ، وابن شاهين ، والمخلص ، وابن حبابة والحربى ، وطبقتهم ومن دونهم ، حتى كتب عن أقرانه ، ومن دونه . وزاد به الشَّره فى هـذا لأمر ، حتى ادَّعى السماعَ من شيوخٍ لم يَسْمَع منهم . ولا يحتمل سِنُه السماع منهم ، كأبى محمد الجوهرى وغيره .

وسئل شجاع الذهلى عن روايته عن الجوهرى ؟ فقال : ما سمعنا بهذا قط وضعَّفه فيه جدًا .

قال ابن السمعانى : سألتُ ابن ناصرٍ عن السقطى ، فقلت له : أَكان ثقة ؟ فقال : لا والله . حدَّث بواسط عن شيوخ لم يرهم ، وظهر كذبه عندهم .

قال : وسمعتُ ابن ناصر غير مرَّة يقول : السقطى لا شىء ، وهو مثل نسبه من سقط المتاع . وقد أَثنى عليه السلفى ، وعدّه من أكابر الحفاظ الّذين أدركهم . وكان له نظم حسن ، ومعرفة بالأدب .

قال أَبو القاسم بن السمرقندى : كنَّا فى مجلس أَبى محمد رزق الله التميمى ، فأنشدنا :

فما تَنفعُ الآداب والعلم والحِجى وصَاحِبُها عنـد الـكمال يمُوت
كما مات لقمان الحـكيم وغـيره وكلُّهم تحتَ التراب صُمُوت

وكان هبة الله السقطى فى المجلس حاضراً ، فأجابه ببيتين ، وأنشدناهما من لفظه لنفسه .

بلى أثرٌ يبقى له بَعدَ موته وذخرٌ له فى الحشر ليس يفوت
وَمَا يستوى المنطيق ذو العلم والحجى وأخرس بين الناطقين صمُوت

توفى يوم الإثنين ثالث عشرين ربيع الأول سنة تسع وخمسمائة وصَلَّى عليه من الغد بالجامع أبو الخطاب الـكلوذانى الفقيه إماماً ، ثم حُمِل إلى باب حرب فدُفن قريباً من قبر منصور بن عمَّار .

وقيل : توفى يوم الثلاثاء المذكور . وقيل : فى جُمـادى الآخرة والصحيح الأول .

قال ابن الجوزى : حكى هبة الله السقطى ، قال : قال محمد بن الخليل البوشنجى : حدثنى محمد بن على الهروى ـ وكان تلميذ أبى المعالى الجوينى ـ قال : دخلتُ عليه فى مرضه الذى مات فيه ، وأسنانه تتناثر من فيه ، ويسقط منها الدود ، لا يستطاع شم فيه . فقال : هذا عقوبةُ تعَرُّضى بالـكلام ، فاحذروا .

٥٩ ـ محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بنْ البناء البغدادى ، الواعظ ، أبو نصر بن الإمام أبى على ، المتقدم ذكره .

ولد حادى عشرين صفر ، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

وسمع من الجوهرى ، وأبى بكر بن بشران ، والعشارى ، وأبى على المباركى ووالده أبى على بن البناء وطبقتهم . وتفقه على أبيه ، وحدَّث .

روى عنه أبو المعمر الأنصارى ، وأبو سعد بن البغدادى ، وابن ناصر ، وأثنى عليه ووثقه . وكان من أهل الدين والصدق ، والعلم والمعرفة . وخلف أباه فى حلقته بجامع القصر وجامع المنصور .

تُوفى ليلة الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة — وفى تاريخ ابن النجار : سادس ربيع الأول — وصلى عليه من الغد أبو الحسن الفاعوسى الزاهد ، بجامع القصر . ودُفن بباب حَرب .

وقيل : تُوفى فى صفر . والأول أصح .

٦٠ — محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذَانى ، أبو الخطاب البغدادى ، الفقيه . أحد أئمة المذهب وأعيانه

وُلد فى ثانى شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

وسمع الحديث من الجوهرى والعُشَارى ، وأبى على الجازرى ، والمباركى ، وأبى الفضل بن الكوفى ، والقاضى أبى يعلى ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى الحسين بن المهتدى ، وغيرهم .

وكتب بخطه كثيرًا من مسموعاته . ودرس الفقه على القاضى أبى يعلى ، ولزَمهُ حتى برع فى المذهب والخلاف . وقرأ عليه بعض مصنفاته . وقرأ الفرائض على أبى عبدالله الونى ، وبرع فيها أيضاً . وصار إمام وقته ، وفريد عصره فى الفقه . ودرَّس وأفتى ، وقَصَده الطلبة .

وصنف كتباً حساناً فى المذهب والأصول والخلاف . وانتُفِع بها بحسن قصده

فمن تصانيفه : « الهداية » فى الفقه ، « والخلاف الكبير » المسمى « بالانتصار فى المسائل الكبار » ، و « الخلاف الصغير » المسمى « برءوس المسائل »

ونقل عن صاحب المحرر أبى البركات بن تيمية : أنه كان يشير إلى أن ما ذكره أبو الخطَّاب فى رءوس المسائل هو ظاهر المذهب .

وله أيضاً كتاب « التهْذيب » فى الفرائض ، و « التمهيد » فى أصول الفقه ، وكتاب « العبادات الخمس » ، و « مناسك الحج » .

وكانت له يَدٌ حسنة فى الأدب . ويقُول الشعر اللطيف . وله قصيدة دالية فى السنة معروفة ، ومقطعات عديدة من الشعر .

وكان حسن الأخلاق ، ظريفاً ، مليح النادرة ، سريع الجواب ، حادّ الخاطر . وكان مع ذلك كامل الدين ، غزير العقل ، جميل السيرة، مرضى الفعال محمود الطريقة . شهد عند قاضى القضاه أبى عبدالله بن الدامغانى . وَحَدَّث بالكثير من مسموعاته على صدق واستقامة .

روى عنه ابن ناصر وأبو النعم الأنصارى ، وأبو طالب بن خضير ، وسعدالله ابن الدجاجى ، ووفاء بن الأسعد التركى ، وأبو الفتح بن شاتيل ، وغيرهم .

وروى عند ابن كليب بالإجازة . وقرأ عليه الفقه جماعة من أئمة المذهب منهم عبد الوهاب ابن حمزة ، وأبو بكر الدينورى ، والشيخ عبد القادر الجيلى الزاهد ، وغيرهم .

قال أبو بكر بن النقور : كان الكياالهراسى إذا رأى الشيخ أبا الخطاب مقبلًا قال : قد جاء الفِقْه .

وقال السلفى : أبو الخطاب من أئمة أصحاب أحمد ، يُفتي على مذهبه ويناظر .

وكان عدلاً رضياً ثقة . عنده كتاب «الجليس والأنيس» للقاضى أبى الفرج الجريرى عن الجازرى عنه . وكان ينفرد به ولم يتفق لى سماعه . وندمت بعد خروجى من بغداد على فواته . وكذلك أثنى ابن ناصر على أبى الخطاب ثناء كثيرًا .

وذكر ابن السمعانى : أن أبا الخطاب جاءته فتوى فى بيتين من شعر ، وهما :

قُلْ للامام أبى الخطّاب مسألةً جاءتْ إليكَ ، ومَا يُرجى سِوَاكَ لَهَا

مَاذا على رَجُلٍ رَام الصلاةَ فمُذْ لاَحتْ لِناظِره ذَاتُ الجَمَالِ لَهَا ؟

فكتب عليها أبو الخطاب :

قُل للأديب الذى وافى بمسألةٍ ... سَرَّتْ فؤادى لمَّا أن أصَخْتُ لها
إنَّ الذى فَتَنَتْهُ عَنْ عبادته ... خَرِيدةٌ ذاتُ حُسْن فانثنى ولها
إنْ تابَ ثمَّ قضَى عنه عبادَتَه ... فرَحمَةُ الله تغشى من عَصَى ولها

توفى رحمه الله فى آخر يوم الأربعاء ثالث عشرين جُمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة ، وتُرِك يوم الخميس ، وصُلِّى عليه يوم الجمعة فى جامع القصر . ودُفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضى الله عنه . كذلك حرَّر وفاتَه القاضى أبو بكر بن عبد الباقى . وكذا ذكره ابن شافع .

وذكر ابن الجوزى : أنه توفى سحر يوم الخميس . ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة .

وذكر ابن شافع : أن أبا الحسن بن الفاعوس الزاهد صلىَّ عليه إماماً . وحضر الجمعُ العظيم والجندُ الكثير . ودُفِن بين يدى صف الإمام أحمد ، بجنب أبى محمد التميمى . رحمه الله تعالى .

قرأتُ بخطّ أبى العباس بن تيمية فى تعاليقِه القديمة : رُئى الإمام أبو الخطاب فى المنام ، فقيل له : مَافعَل الله بك ؟ فأنشد :

أتيتُ ربى بمثل هـذا ... فقال : ذا المذْهبُ الرشيدُ
محفوظُ نَمْ فى الجنان، حتى ... ينقلكَ السائقُ الشهيدُ

قرأتُ على أبى الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصرى بها : أخبركم أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرَّانى ، أخبرنا عبد المنعم بن عبد الوهاب بن على الحرانى ، أخبرنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد فى كتابه ، أخبرنا أبو على محمد بن الحسين الجازرى ، أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمى ، حدثنا فضل - يعنى : ابن سهل - حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال

رجل : « يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك . فقال : طُوبى لِمَنْ رآنى وآمَنَ بِى ، وطوبَى ثم طُوبى ثمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِى وَلَمْ يَرَنى . فقال الرجل: يارسول الله ، ماطوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام . ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » . وبه إلى أبى الخطاب .

وأنشد من قوله :

بأبى من إذا شكوتُ إليه   حبَّه قال : ذا محالٌ ولَهْوُ
وإذا ما حلفتُ بالله أنى   صادقٌ ، قال لى : يمينُك لغوُ
لا ومن خصّه بحسنٍ بديعٍ   وجمالٍ جسمى به اليومَ نِضْوُ
لا تبدَّلْتُ فى هواه ولا خُنْــتُ وَلَا حَلَّ لى عليه السُلُوُّ

وقوله أيضاً :

يَقُولُ لِىَ الأحِبَّةُ : لاتزُرنا   على حالٍ ، ونحن فلا نزورُ
فقلت: متى أطعت؟فقال هذا   وقلت أحبكم فالقولُ زورُ

وقوله أيضاً :

كيف أخفى هواكمُ وعليه   شاهدُ الحزن والنُّحول يَنِمُّ
وإذا اللائمون لاموا فطرفى   فى هواكم أعمى وسمعى أصَمُّ
أنتمُ لِلفؤادِ همٌّ وللعيْـ   ـنِ سُهادٌ وللجوانح سُقْمُ
كل يوم تُجَدِّدون على قلْـ   ـبى عذاباً وليس للقلب جُرْمُ
ولئن دَام ذا ، وَلا دام منكم   تَلِفَتْ مُهجتى وفى ذاك إثمُ

وقوله أيضاً :

علام أُجازَى بالوصال قطيعة   وبالحب بغضاً ؟ إنَّ ذا لعجيبُ !
وكم ذا التجنى منك فى كل ساعة   أما لفؤادى من رضاك نصيبُ ؟
لئن لان جنبى عندكم فهو والهوى   منيعٌ ولـكنَّ الحبيبُ حبيبُ
وإن كان ذنبى عندكم كلفى بكم   فما أنا منه ما حَييتُ أتوبُ

غرامى بكم حتى المماتِ مضاعفٌ ... وقلبى لكُمْ عندى علىَّ رقيب

ومن شعر أبى الخطَّاب ، أورده ابن النجار من طريق أبى المعمر الأنصارى رضى الله عنه :

إنْ كنتَ ياصاحِ بوجدى عالماً ... فلا تكنْ لى فى هواه لائما
وإن جَهِلت ما ألاقى بهم ... فانظر تَرَ دُموعىَ السواجِما
هُمْ قتلونى بالصُدود والقلى ... وما رعَوْا فى قتلىَ المحارما
يامن يخاف الإثم فى وصلى أما ... تخاف فى سفك دمى المـآثما ؟
هبْنى رضيتُ أن تكون قاتلى ... فهل رضيتَ أن تكون ظالما ؟
سلوا النجوم بَعدكم عن مضجعى ... هل قَرَّ جَنْبى أو رأتنى نائماً ؟
واستقبلوا الشمال كيما تنظروا ... من حرّ أنفاسى بها سمائما
وهذه الأيكُ سلوا الأيكَ : أَلَمْ ... أُعلِّم النوحَ بها الحمائما
لقد أقمتُ بعد أن فارقتكم ... على فؤادى بينها مآتما

كان أبو الخطاب رضى الله عنه فقيهاً عظيماً كثير التحقيق ، وله من التحقيق والتدقيق الحسن فى مسائل الفقه وأصوله شىء كثير جداً . وله مسائل ينفرد بها عن الأصحاب .

فمما تفرد به قوله : إن للعصر سنة راتبة قبلها أربع ركعات .

وقوله : إن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر ، وإنها ترد إلى من أخذت منه من المسلمين على كل حال ، ولو قسمت فى المغنم أو أسلم الكافر وهى فى يده .

ومن ذلك قوله : إن الأضحية يزول الملك فيها بمجرد الإيجاب ، فلا يملك صاحبها إبدالها بحال .

ومن ذلك ماذكره فى الهداية : أن الزرافة حرَام . وقال السامرى : هو سهوٌ منه .

ومن ذلك : قوله بطهارة الأدهان المنجسة ، التي يمكن غَسلها بالغسل .

ومن ذلك قوله : إنّ من ملك أختين : لم يجز له الإقدام على وطء واحدة منهما حتى تحرم الأخرى عليه ، بإزالة ملكه عنها أو عن بعضها ، كما لو كان قد وطىء إحداهما ، ثم أراد وطء الأخرى. وقد رأيتُ فى كلام الإمام أحمد فى رواية إسحاق بن هانىء مايدل على مثل ذلك . ونصه مذكور فى مسائل ابن هانىء فى كتاب الجهاد .

ومن ذلك قوله : إنّ النكاح لا ينفسخ بسبى واحدٍ من الزّوجين بحال ، سواء سُبِيَا معا ، أو سُبِىَ أحدَهما وحده . وقد حكى ابن المنذر الإجماع على انفساخ نكاح المسبية وحدها إذا كان زوجها فى دار الحرب . وحكاه غير واحدٍ من أصحابنا أيضا كابن عقيل . وهو ظاهر القرآن . وحديثُ أبى سعيد فى صحيح مسلم صريحٌ فى ذلك . والعجب أنه ذكر فى الانتصار : أن حديث أبى سعيد لايصح . قال : والدليل على ضعفه أن سبايا أوطَاسٍ كُنَّ مجُوسيات . وهذا مما يعلم بطلانه قطعا ؛ فإن العرب لم يكونوا مجوسا .

وقد نسب إلى أبى الخطّاب التفرّد بتخريج رواية : بأن الترتيب لايشترط فى الوضوء ، وليس كذلك ؛ فقد وافقه على هذا التخريج ابن عقيل ، واتفقا على تخريجها من رواية سقوط الترتيب بين المضمضة والاستنشاق ، وسائر أعضاء الوضوء .

وذكر أبو الخطاب فى كتاب الصيام من الهداية ، رواية عن أحمد : أنّ من دخل فى حجّ تطوع ، ثم أفسده : لم يلزمه قضاؤه . ولم يذكر ذلك فى كتاب الحج ، ولا فى غير الهداية .

قال أبو البركات ابن تيمية : ولعله سها فى ذلك ، وانتقل ذهنه من مسألة الفوات إلى مسألة الإفساد .

وذكر فى الانتصار رواية عن أحمد : أن صلاة الفرض تقضى عن الميت

كالنذر . وذكر فى الانتصار فى مسألة ما إذا قتل واحد جماعةً عمداً : أن أولياءهم بالخيار ، إن شاءوا قُتل للجميع ولا يكون لهم غير ذلك ، و يسقط باقى حقوقهم . و إن اختار بعضُهم القود و بعضُهم الديه : قُتِل لمختار القَوَد ، وأخذ من ماله الدية لطالبها ، وأن أحمد نصَّ على ذلك فى رواية الميمونى .

وذكره الخرقى فى مختصره ، قال : و يتخرج لنا كقول أبى حنيفة ومالك : يُقتل للجميع ، وليس لهم غير ذلك ، على الرواية التى تقول : لايثبت بقتل العمد غير القود .

ثم قال فى آخر المسألة : هذا الفصلُ مشكل على قول أحمد رحمه الله ؛ لأنه إن قال : حقوقُ الجميع تساوتْ ، فإذا طلبوا القتلَ ليس لهم غيره . وعلّل بأنهم أخذوا بعض حقوقهم ، وسقط بعضها . فقد قال : بأن القصاص يتَبعّضُ فى الاستيفاء والإسقاط . وهذا بعيد . فإنه لو قتل رجلٌ رجلين ، فقال ولىُّ كلِّ واحدٍ منهما : قد عَفَوْتُ لك عن نصف القصاص ، ولكن قد بقى لكل واحدٍ منَّا النصف فيستحق قتلك به : لم يجُز لهم ذلك ، وسقط حقهم من القصاص . ولو كان يتبعض لثبت ذلك . و إن لم يقل بالتبعيض لم يصح قوله : أُخذ بعض الحق وأسقط بعضه . واقتضى أن يقول كقول أبى حنيفة ، وأنه يُقتل للجميع ، لأن دمه يساوى دم الجميع ، أو لأنه لم يبق محل يستوفى منه ، أو يَقُول كما قال الشافعى : يُقتَل بالأول ، أو بمن تخرجُه القرعةُ ، وتؤخذ الديات للباقين .

والذى يتحقق عندى : أنه يقتل للجميع وتؤخذ من ماله ديات الجميع تقسمُ بينهم ، كما قال أبو حنيفة : إذا قطع يمينى رجلين فيقطع لهما ، وتؤخذ دية يدٍ فتقسمُ بينهما ، وكما قال أبو حامد وشيخنا وأصحابنا : إذا قطع مَنْ يده ناقصة الأصابع يداً تامة يجوز للمقطوعة يده أن يقطع اليد الناقصة ، و يأخذ دية الأصابع فيجتمع القصاصُ والديةُ ليكمل حَقه ، كذلك فى مسألتنا . واللهُ أعلم .

وذكر فى الانتصار فى مسألة ضمان العارية : أن المبيع إذا فُسِخ لعيبٍ أو

غيره ، فتلفت السلعة فى يد المشترى : أنه لاضمان عليه ؛ لأن يده يد أمانة . وهذا غريبٌ مخالفٌ لما ذكره غير واحد من الأصحاب ، كالقاضى فى خلافه ، وابن عقيل ، والأزجى فى النهاية .

واختار فيه : أنه يصح أن يضمن بعض ما على فلان من الدين ، وإن لم يعين به البعض ، وقال : لا أعلم فيه نصاً عن أحمد .

وفى الفنون لابن عقيل قال : إن الشريف أبا جعفر قال : إن الصحة قياس المذهب ، وأنه اختاره .

واختار فيه : أن عامل الزكاة شريك لبقية الأصناف لا أجير ، فلا يجوز أن يكون هاشمياً ولا عبداً .

وحكى فيه رواية : أن السيد إذا أذن لعبده فى نوع من التجارة . مَلَكَ التصرف فى سائر الأنواع .

وحكى فيه وجهاً : أن كل صلاة تفتقر إلى تيمم ، وإن كانت نوافل .

واختار فى الهداية : ردّ اليمين على المدّعى ، فيقضى له بيمينه . وقد أشار إليه أحمد فى رواية أبى طالب .

ووقفتُ على فتاوى أرسلت إلى أبى الخطّاب رحمه الله من الرحبة ، فأفتى فيها فى الشهر الذى تُوفى فيه فى جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة .

وأفتى فيها ابن عقيل وابن الزاغونى أيضاً .

فمنها : إذا غاب الزوج قبل الدُخول فطلبت المرأة المهر ، فإن الحاكم يُراسل الزوجَ ، ويعلمه بالمطالبة بالمهر ، وأنه إنْ لم يبعثْ به إلى الزوجة باع عليه ملكه . فإنْ لم يبعثْ باعَ عليه . وإن لم يعلم موضِعَه باعَ بمقدار نصف الصداق ، وَدَفعه إليها ؛ لجواز أن يكون قد طلقها قبل الدخول ويبقى بقية الصداق موقوفاً .

ووافقَهُ ابن عقيل على ذلك .

وظاهر هذا : أنه إن أمكن مُرَاسلته وامتنع باع عليه ، ودفع إليها كل الصداق ؛ للعلم بأنه لم يُطلق .

وأما ابن الزاغونى : فإنه أفتى بأنه لايدفع الحاكم إليها أكثر من نصف الصداق بكلِ حال ؛ لأنه الثابت لها باليقين ، والنصف الباقى يحتمل أن يسقطه بطلاق مُتَجَدِّدٍ .

ويرد على هذا التعليل : أن هذا النصف أيضاً يحتمل سقوطه بفسخٍ لعيب أو غيره من المسقطات .

ومنها ، فى وقف السُتور على المسجد : أفتى أنه يَصِح وقفها وتباع ، وتنفق أثمانها على عمارته ، ولا تستر حيطانه بخلاف الكعبة ، فإنها خُصَّتْ بذلك كما خُصَّتْ بالطواف حولها .

وخالفه ابن عقيل ، وابن الزاغونى ، وقالا : الوقفُ باطلٌ من أَصله ، والمال على ملك الواقف .

ومنها : إذا وجد شاة بمضيعة فى البرية فإنه يجوز له أخذها ، وذبحها . ويلزمه ضمانها إذا جاء مالكها . وإذا وجدها بمصر وجب تعريفها . ووافقه ابن الزاغونى .

وخالفهما ابن عقيلٍ ، وقال : لايجوزُ له ذبحها بحالٍ ، وإن ذبحها أَثِمَ ولزمه ضمانها .

ومنها : أن الشاهد لايجوزُ له أن يشهد على آخر فى كتاب مكتوب عليه حتى يقرأه عليه ، أو يقرَّ عنده المكتوب عليه : أنه قرىء عليه أو أنه فَهِمَ جميع مافيه ولا يجوز الشهادة عليه بمجرد قوله : اشهد عليَّ بما فى هذا الكتاب .

ووافقه ابن الزاغونى على ذلك .

ومنها : كَمْ قدر التراب الذى يستعمل فى غسل الإناء من ولوغ الكلب ؟

أفتى : أنه ليس له حدّ . وإنما يكون بحيث تمر أجزاء التراب مع نداوة الماء على جميع الإناء .

وأفتى ابن عقيل : أنه تكون بحيث تظهر صفته ويغير الماء .

وقال ابن الزاغونى : إن كان المحل لايضره التراب ، فلا بد أن يُؤثر فى الماء ، وإن كان يتضرر بالتراب : فهل يجب ذلك ، أم يكفى مايقع عليه اسم التراب وإن لم يظهر أثره ؟ على وجهين .

ومنها : إشارة الأخرس فى الصلاة ؟ أفتى : إذا كثر ذلك منه بطلتْ صلاتُه .

وأفتى ابن الزاغونى : أن الإشارة بردّ السلام لاتبطل من الأخرس ولا من المتكلم . وما عداها يجرى مجرى العمل فى الصلاة ، فيفرقُ بين كثيرها ويسيرها .

وأفتى ابن عَقيلٍ : أن إشارة الأخرس المفهومة تجرى مجرى الكلام ، فإن كانت بَردّ سلامٍ خاصة لم تبطل ، وما سوى ذلك تبطل .

ومنها : إذا كتب القرآن بالذهب تجبُ فيه الزكاة إذا كان نصاباً . ويجوز له حكه وأخذه .

ووافقهُ ابن الزاغونى ، وزاد : إن كتابته بالذهب حرام ، ويُؤمَر بحكّه . ولا يجوز للرجل اتخاذه .

ومنها : إذا أجرت نفسها للإرضاع فى رمضان : هل لها أن تفطر ، إذا تغير لبنها بالصوم بحيث يتأذى بذلك المرتضع ؟

أجاب : يَجُوزُ لها ذلك . وإذا امتنعت لزمها ذلك . فإن لم تفعل كان لأهل الصبي الخيار فى الفسخ .

ووافقه ابن الزاغونى، وزاد : متى قصدت بصومها تضرر الصَبىّ عصتْ وأثمت وكان للحاكم إلزامها بالفطر ، إذا طلبه المستأجر .

ومنها : إذا رأى إنساناً يغرق ، يجوز له الإفطار إذا تيقن تخليصَهُ مِن الغرق ، ولم يمكنه الصوم مع التخليص .

ووافقه ابن الزاغونى .

ومنها : هلْ يجوز التفريق بين الأم وولدها بالسفر ، إذا قصد أن يجعل وطنها دُون وطنه ؟

أجاب : إنه لايجوز ذلك .

وأجاب ابن عقيل : إذا كان الولد مستقلاً ، غير محتاج إلى تربية الأم ، كان الأبُ أحق به سفراً ، لتخريجه فى عملٍ أو تجارةٍ . وانقطع آخر جوابه .

وأجاب ابن الزاغونى : إذا افترقت بالأبوين الدار ، ولم يقصد الأب ضَرر الأم بمنعها من كفالةِ الولد ، فالأب أحق به .

فصل

صَنَّف بعضُ أصحابنا ـ وهو الوزير ابن يُونس ـ مصنفاً فى أوهام أبى الخطاب فى الفرائض ومتعلقاتها من الوصايا والمسائل الحسابية . ولم أقف عليه كله ، بل على بعضه . لكن لأبى الخطاب فى هذه المواضع مسائل متفرقة ، يقال : إنها وهمٌ وغلط .

فمنها : مسألة فى البيع بتخيير الثمن (١) ، والوضيعة منه .

ومسألة فى وقف المريض داره التى لا يملك سواها على ابنه وابنته بالسوية ، وحكم إجازتهما وردّهما ، وإجازة أحدهما وردّ الآخر . ولتصحيح كلامه فيها وجهٌ فيه تعسيفٌ شديد .

ومسألة فى الوصايا ، فيما إذا تَركَ ابنين ووَصى لرجل بجميع ماله ، ولآخر بثلثه ، وحكم إجازتهما وردّهما ، وإجازة أحدهما ورد الآخر ، وإجازتهما لأحدهما وردهما على الآخر . وقد تأملتُ هذه المسألة ، فوجدت الخلل فيها وقع من جهة النَسخ . فإن فى الأصل فيها إلحاقاً اشتبه على النُسَّاخ موضعه ، فألحقوه فى غير موضعه ، فنشأ الخلل فى الكلام ، ولزم بسبب ذلك لوازم فاسدة . وقد نسب السامرى الوهم فيها إلى أبى الخطاب ، وليس كذلك .

ومنها : مسألة ، فى باب الإقرار بمشاركٍ فى الميراث . وقد ذكرها أبو البركات فى المحرر ، وذكر أنها سهو .

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « بتخيير الإمام »

ومنها : مسألة فى الوصية بسهمٍ من سهام الورثة . وقد بين خَللها السامرى فى مستوعبه .

ومنها : عده الجهات فى ذوى الأرحام ، وأنها خمسة . وقد اعترف بأنه لم يُسبق إلى ذلك . وقد ألزمَه صاحب المغنى وصاحب المحرر وغيرهما لوازم فاسدة ، بسبب ذلك . وطائفة محققى المتأخرين صَححُوا كلامه فى الجهات ، وأجابوا عما أورد عليه ، و بينوا أنه غير لازم له . ولولا خشـية الإطالة ، وأن نخرج عمـا نحن بصدده من التراجم لذكرنا هذه المسائل مسألة مسألة ، و بينا ما وقع فيه الوهم من غيره ، ولـكن نذكر ذلك فى موضع آخر إن شاء الله تعالى .

٦١ - يحيي بن عبد الوهاب بن محمد بن إسـحاق بن محمد بن يحيي بن منده العبدى الأصبهانى ، الحافظ ، الإمام أبو زكريا بن أبى عمرو بن الإمام الحافظ أبى عبـد الله بن أبى محمـد بن أبى يعقوب المحدث بن المحدث ، بن المحدث ابن المحدث ، بن المحدث ، بن المحدث .

وُلد يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال ، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بأصبهان .

وسمع من أبيه أبى عمرو ، وعميه : أبى القاسم عبـد الرحمن ، وأبى الحسن عُبيد الله ، وأبى بكرِ بن ريذة ، وسمع منه المعجم الـكبير للطبرانى عنه ، وأبى طاهر الـكاتب ، وأبى منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه ، وأبى طاهر أحمد بن محمود الثقفى ، وغيرهم .

ورحل إلى نيسابور ، وسمع بها من أبى بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرئ ، وأبى بكر البيهقى الحافظ بهمذان ، وأبى بكر محمد بن عبد الرحمن النَّهاوندى .

وسمع بالبصرة من أبى القـاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد ، وعبد الله ابن الحسين السعيدانى ، وخلق كـثير سواهم

وصنف التصانيف ، وأملى ، وخَرَّج التخاريج لنفسه ، ولجماعة من شيوخ أصبهان .

وحَدَّث بالكثير ، وسَمِعَ منه الكبارُ والحفاظ من أهل بلده وغيرهم . منهم : الحافظ أبو القاسم إسماعيل التيمى ، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق ، وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء .

وقدم بغداد حاجًّا ، وحَدَّث بها ، وأملى بجامع المنصور .

سَمِعَ منه بها : أبو منصور الخياط ، وأبو الحسين بن الطيُورى ، وهما أسن منه ، وأقدم إسناداً .

وسَمِع منه بها أيضاً : ابن ناصر ، وعبد الوهاب الأنماطى ، والسلفى ، والشيخ عبد القادر الجيلى ، وأبو محمد بن الخشاب ، وعبد الحق اليوسفى ، وآخر أصحابه موتاً أبو جعفر الطرسوسى ، وروى عنه بالإجارة أبو سعد بن السمعانى الحافظ .

قال ابن السمعانى : سألتُ إسماعيل التيمى الحافظ عنه ؟ فأثنى عليه وَوَصَفه بالحفظ والمعرفة والدراية . قال : وسمعتُ أبا بكر اللفتوانى[1] الحافظ يقول : بيتُ ابن منده بُدِئ بيحيى ، وخُتم بيحيى .

قال ابن السمعانى : يريدُ فى معرفة الحديث والفضل والعلم .

وذكره شيرَويه بن شهردار الحافظ ، فقال : قَدِم علينا ، سمع منه عامة مشايخ الجبل وخراسان . وكان حافظاً ، فاضلاً مكثراً ، صدوقاً ، ثقةً ، يحسن هذا الشأن جيداً ، كثير التصانيف ، شيخ الحنابلة ومقدمهم ، حَسَنَ السيرة ، بعيداً من التكلف ، متمسكاً بالأثر .

وذكره محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ ، فقال : الشيخ الإمام الأوحَدُ ،

---

(١) نسبة إلى «لفتوان» بفتح اللام وسكون الفاء وتاء مثناة من فوق مفتوحة وآخره نون ـ : قرية من قرى أصبهان .

عنده الحديث الكثير ، والكتب الكثيرة الوافرة ، جمع وصنف تصانيف كثيرة . منها : كتاب الصحيح على كتاب مسلم بن الحجاج .

وذكره إسماعيل بن عبد الغافر ، فى تاريخ نيسابور ، فقال : رجلٌ فاضل ، من بيت العلم والحديث ، المشهور فى الدنيا ، سَمِع من مشايخ أصبهان ، وسافر ودخل نيسابور ، وأدرك المشايخ ، وسمع منهم ، وجمع ، وصنف على الصحيحين . وعاد إلى بلده .

وقال ابن السمعانى فى حقه : جليل القدر ، وافر الفضل ، واسع الرواية ، ثقة حافظ ، فاضل ، مكثر ، صدوق ، كثير التصانيف ، حسن السيرة ، بعيد التكلف ، أوحد بيته فى عصره . صنف تاريخ أصبهان ، وغيره من الجموع .

قلتُ : وصنف مناقب العباس رضى الله عنه فى أجزاء كثيرة .

وللحافظ السلفى فيه يمدحه :

إنَّ يحيى فديتُه من إمامٍ حافظٍ ، متقنٍ ، تقىٍّ ، حليمِ
جَمَعَ النبل والأصالة والفضـ لَ وفى العلم فوق كلِّ عليمِ

وصنف مناقب الإمام أحمد رضى الله عنه فى مجلدٍ كبير ، وفيه فوائد حسنة .

وقال فى أوله : ومن أعظم جهالاتهم – يعنى المبتدعة – وغلوهم فى مقالاتهم : وقوعهم فى الإمام المرضى ، إمام الأئمة ، وكهف الأمة ، ناصر الإسلام والسنة ، ومن لم تر عين مثله علماً وزهداً ، وديانة وأمانة . إمام أهل الحديث أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى قدَّس الله روحه ، وبرد عليه ضريحه . الإمام الذى لايجارى ، والفحلُ الذى لايبارَى . ومن أجمع أئمة الدين رحمة الله ورضوانه عليهم فى زمانه على تقدمه فى شأنه ، ونبله وعلو مكانه . والذى له من المناقب ما لا يُعَدُّ ولايحصى . قام لله تعالى مقاماً لولاه لتجهم الناس ، ولمشوا على أعقابهم القهقرى ، ولضعف الإسلام ، واندرس العلم .

ولقد صدق الإمام أبو رجاء قتيبة بن سعيد البغلانى[1] حيث قال: إنَّ أحمد ابن حنبل فى زمانه بمنزلة أبى بكر وعمر فى زمانهما . وأحسَنَ من قال : لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لـكان آية أعاشنا الله تعالى على عقيدته ، وحشرنا يوم القيامة فى زمرته .

وحين وقفتُ على سرائر هؤلاء ، وخبث اعتقادهم فى هذا الإمام ، قصَدت لمجموع نبهتُ فيه على بعض فضائله ، ونبذة من مناقبه . وذكرتُ طرفاً مما منحه الله تعالى من المنزلة الرفيعة ، والرتبة العلية فى الإسلام والسنة . مع أنى لستُ أُرى لنفسى أهلية لذلك ، وأن المشايخ الماضين رحمهم الله تعالى قد عنوا بجمعه فشفوا لـكنى أردتُ أن يبقى له بجمع مناقبه ذكر ، وأن أكون مشرفاً فيما بين أهل العلم من أهل السنة بانتسابى إليه ، ونحلى مذهبه وطريقته .

وذكر فى أثناء هذا الـكتاب : أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الفقيه إجازة : أخبرنا أبو مسعود أحمد بن محمد البجلى الطبرى قال : قال أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسدى ، فى فضائل الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل :

لما فرغتُ من سماع كتاب المسند من أبى بكر القطيعى ببغداد ، عن عبد الله عن أبيه رحمهم الله . وتحصيل نسخة من مائة ونيف وعشرين جزءاً ، وجملة ماوعاه الـكتاب أربعون ألف حديث غير ثلاثين ـ أو أربعين ـ حديثاً . سمعتُ ذلك من ابن مالك ، يقول : وسمعته أيضاً يقول : سمعتُ عبد الله يقول : أخرج والدى هذا المسند من جملة سبعمائة ألف حديث . وقد أفردتُ لذلك كتاباً فى جزء واحد ، سميته : كتاب « المدخل فى المسند » أشبعتُ فيه ذكر ذلك أجمع . وأنا أسأل الله تعالى انتفاعنا بالعلم ، وتوفيقاً لما يقربنا إليه ، فإنه قريب مجيب .

ومنه قال : أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ،

---

(١) فى خطية الإداره الثقافية « البعلانى » .

أخبرنا أبو الحسن العبدى ، حدثنى أبو الحسين ، حدثنا رزين بن أبى هارون قال : قال فوران : ماتتْ امرأة لبعض أهل العلم ، قال : فجاء يحيى بن معين والدورقى . قال : فلم يجدوا امرأة تغسلها إلا امرأة حائض . قال : فجاء أحمد ابن حنبل ، وهم جلوس ، فقال : ماشأنكم ؟ فقال أهل المرأة : ليس نجد غاسلة إلا امرأة حائض ، قال : فقال أحمد بن حنبل : أليس تروون عن النبى صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ، ناولِينِى الْخُمْرَةَ ؟ قَالَتْ : إنِّى حَائِضٌ ، فَقَال : إنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فى يَدكِ » يجوزُ أن تغسلها . قال : فخجلوا و بقوا .

سمعتُ أبا العباس البيهقى يقول: سمعتُ أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعتُ أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعتُ العباس بن حمزة يقول : سمعتُ أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : الدنيا دارعمل ، والآخرة دار جزاء ، فمن لم يعمل هنا نَدِمَ هُناكَ .

وروى من طريق النقاش : سمعتُ الدارقطنى : سمعتُ أبا سهل بن زياد : سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سُئل أحمد رحمه الله عن الفتوة ؟ فقال : تَرْكُ ماتهوى لما تخشى .

ومن طريق أحمد بن مروان المالكى ، حدثنا إدريس الحداد قال : كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاكة فسوَّى لهم . قال إدريس : فلما كان أيام المحنة ، وصُرِف إلى بيته حُمِلَ إليه مال جليل ، وهو محتاجٌ إلى رغيف يأكله ، فردَّ جميع ذلك ، ولم يقبل منه قليلاً ولا كثيراً ، قال : فجعل عمه إسحاق يحسب مارد ، فإذا هو خمسمائة ألف ــ أو نحوها ــ فقال له : ياعم ، أراك مشغولاً بحساب ماليس يُحسب ، فقال : قد رددت اليوم كذا وكذا ، وأنت محتاج إلى حبة . فقال : ياعم ، لو طلبنا لم يأتنا . و إنما أتانا لَمَّا تركناه .

أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا أبو محمد بن حبان : سمعتُ

أبا جعفر البردى : سمعتُ إسماعيل بن قتيبة سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : إن الْقَلَنْسُوَة لتقع من السماء على رأس من لا يحبُّها .

أخبرنا أبى رحمه الله ، أخبرنا أبو عمر بن عبدُ الوهاب إجازة ، حدثنا أحمد ابن محمد بن عمر ، حدثنا أبو عبد الرحمن ـ يعنى: عبد الله بن أحمد ـ قال: قلتُ لأبى رحمه الله : يقولون : إنك تتوضأ مما مسَّت النار ؟ قال : مافعلته قط ، ولم يثبت عندى فى ذا خبرٌ .

أخبرنا عمِّى الإمام ، أخبرنا علىّ بن عبد الله بن جَهضم بمكة ، حدثنا محمد ابن أبى زكريا الفقيه ، حدثنا عبدوس بن أحمد ، حدثنا أبو حامد الخُلقانى قال : قلتُ لأحمد بن حنبل : ماتقول فى القصائد ؟ فقال : فى مثل ماذا ؟ قلت : مثل ماتقول :

إذا ماقال لى ربِّى : أما استحييت تعصينى
وتُخفى الذنب من غيرى وبالعصيان تأتينى ؟

قال : فرد الباب ، وجعل يقول :

إذا ما قال لى ربِّى : أما استحييتَ تعصينى
وتُخفى الذنبَ مِنْ غَيْرى وبالعصيان تأتينى ؟

فخرَجتُ وتركته .

أخبرنا عمى ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد بن قاذويه ، أخبرنا عبد الله بن محمود ، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس قال : ولقد ذكر لأبى عبد الله أحمد بن حنبل رجل من أهل العلم ، كانت له زلة ، وأنه تاب من زلته ، فقال : لا يقبل الله ذلك منه حتى يظهر التوبة والرجوع عن مقالته ، وليعلمن أنه قال مقالته كيت وكيت ، وأنه تاب إلى الله تعالى من مقالته ، ورجع عنه ، فإذا ظهر ذلك منه حينئذ تقبل ، ثم تلا أبو عبد الله (٢: ١٦٠ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا) .

ومن طريق أبى أحمد بن عدى ، حدثنا عبد المؤمن بن أحمد بن جوثرة

الجرجاني : سمعتُ عمار بن رجاء يقول : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : طلب إسناد العلو من السنة .

أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا يحيى بن عمار بن يحيى كتابة : أن أبا جعفر محمد ابن أحمد بن محمد الصفار أخبره : حدثنا محمد بن إبراهيم الصرام ، حدثنا عثمان ابن سعيد الدارمى ، قال : قال أحمد بن حنبل رحمه الله : كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء . فلما أظهروه لم نجد بداً من مخالفتهم .

ووجدتُ فى كتب الإمام عمِّى بخطِّه : قال القاسم بن محمد أبو الحارث : حدثنا يعقوب بن إسحاق البغدادى ، سمعتُ هارون الحمال يقول : سمعت أحمد ابن حنبل ، وأتاه رجل فقال : ياأبا عبد الله : إن هٰهنا رجل يُفضِّلُ عمر بن عبد العزيز على معاوية بن أبى سفيان ، فقال أحمد : لا تجالسه ، ولا تؤا كله ، ولا تشاربه ، وإذا مرض فلا تعُده .

أخبرنا أبى وعماى رحمهم الله ، أخبرنا والدنا رحمه الله ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن يوسف العمانى ، حدثنى جَدِّى العباس بن حمزة قال : سمعتُ أحمد ابن حنبل يقول : سبحانك ، ماأغفل هذا الخلق عما أمامهم ! الخائف منهم مقصر ، والراجى منهم متوانٍ .

أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا عبد الله بن عمر الكرخى ، أخبرنا سليمان بن أحمد ابن أيوب ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سُئِلَ أبى عن رجل وجب عليه تحرير رقبة مُؤمنة ، فكان عنده مملوك سوء ، لقنه أن يقول بخلق القرآن ؟ فقال : لا يجزى عنه عتقه ؛ لأن الله تبارك وتعالى أمره بتحرير رقبة مؤمنة ، وليس هذا بمؤمن . هذا كافر .

أخبرنا الإمام عمى ، أخبرنا أبى ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سألتُ أبى عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى عليه السلام لم يتكلم الله بصوت ، فقال أبى رحمه الله : بل تكلم عزّ وجلّ بصوت . هذه الأحاديث نمرها كما جاءت .

قال أبى رحمه الله : حديث ابن مسعود «إذا تكلم الله عز وجّل سمع له صوت كَرِّ السلسلة على الصفوان» . قال أبى : وهذه الجَهمِيَّة تنكره . قال أبى : وهؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس . من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر . إلا أنا نروى هذه الأحاديث كما جاءت .

أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر بن فارس ، حدثنا إسماعيل بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال : سألتُ أبى عن رجل يمتحن بالقرآن : مخلوق ، فيحدث ؟ فقال : كان ابن عيينة يتحَدَّث به ، ولم أسمعه أنا منه .

عن إسماعيل عن قيس قال : اجتمع الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله على جنازة ، فقدم الأشعثُ جريرًا عليها ، وقال للناس : إنى ارتددت ، ولم يرتد . قال : أنا أقول بهذا الحديث فى هذه المسألة . فقلت : إن اجتمع رجلان ، أحدهما قد امتحن ، والآخر لم يمتحن ؟ فقال : لا يتقدم ، وليُصَل بهم الذى لم يمتحن . ورأى ذلك فضيلة له على من امتحن ، وأعجبه حديث قيس عن جرير ، وقال : هذا أصلٌ من الأصول ، وأعجبه جداً . وقال : أنا آخذ به .

ومن طريق ابن عبد الرحمن السلمى ، أخبرنا أبو محمد ، حدثنا الأزهرى ، حدثنا إسماعيل بن عمر : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : أحاديث حماد بن سلمة تأخذ بحلوق المبتدعة .

ومن طريق عبد الله بن محمد بن مندويه ، سمعتُ أحمد بن محمد بن مصقلة يقول : سمعتُ المثنى الأنبارى يقول : سألتُ — أو سئل — عبد الله أحمد بن حنبل عن بيع الماء ؟ فقال : هو ما لا يملكه الرجل . وأما بيع الماء السايح فهو جائز. وكل ما يملكه الرجل فهو جائز .

أخبرنا أبو القاسم عمى، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحاق الويذاباذى ، أخبرنا أبو القاسم الطبرانى ، حدثنا معاذ بن المثنى العنبرى قال : سمعتُ

أحمد بن حنبل يقول : أصول الإيمان ثلاثة : دالٌّ ، ودليل ، ومستدل . فالدال : الله تبارك وتعالى ، والدليل : القرآن ، والمستدل : المؤمن . فمن طعن على حرف من القرآن فقد طعن على الله تعالى وعلى كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا عمى ، أخبرنا أبو القاسم بن قاذويه ، أخبرنا عبدالله بن محمد الشروطى سمعت أبا زكريا القسام يحيى بن عبد الله يقول : سمعت أبا عمران الصوفى موسى ابن محمد ، وأبا الشيخ الأبهرى ، يذكران عن أبى بكر الأثرم : أنه سأل أحمد ابن حنبل عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعوذه من الفقر ؟ فقال: إنما أراد به فقر القلب .

ومن طريق ابن عدى : سمعت محمد بن سعيد الحرانى ، سمعت الميمونى يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازى ، والملاحم ، والتفسير .

ومن طريق أحمد بن ياسين : سمعت أبا أحمد بن عَبدوس يقول : قال أحمدبن حنبل : من لم يجمع علم الحديث . وكثرة طرقها واختلافها ، لا يحل له الحكم على الحديث ، ولا الفتيا به .

أخبرنا عمى ، أخبرنا محمد بن عبدِالله الحافظ كتابة : أن يحيى بن محمد العنبرى حدثهم : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد السجزى ، سمعت النَّوفلى ، سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدنا فى الأسانيد . وإذا روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائل الأعمال ، وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا فى الأسانيد .

ومن طريق محمد بن الحسَين ـ أظنه النقاش ـ أخبرنا عبد الله بن محمدبن على ابن زياد ، حدثنا محمد بن إبراهيم الماستوى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كتبت فى كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته .

أخبرنا عمى ، أخبرنا محمد بن عبد الرزاق ، أخبرنا جدى ، حدثنا محمد بن محمد ابن فورك : سمعت عبد الله بن عبد الوهاب يقول: سُئل أحمد بن حنبل رحمه الله: هذه الـكتابة إلى متى العمل به ؟ قال : أخذه العمل به .

أخبرنا أحمد بن الفضل المقرئ إجازة ، أخبرنا أبو العبـاس النسوى شيخ الحرم ، حدثنا عمر بن المقرئ ، حدثنا إبراهيم بن المولد ، حدثنا أحمد بن مروان الخزاعى ، حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل قال : سمعتُ أبى يقول : ما الناس إلا من يقول : حدثنا ، وأخبرنا ، وسائر الناس لا خير فيهم .

أخبرنا أبو بكر البيهقى ، أنبأنى أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا مهنا بن يحيى : سألتُ أحمد بن حنبل عن الإقعـاء فى الصلاة ؟ قال : أليس يُروى عن العبادلة : أنهم كانوا يفعلون ذلك؟ قلت : وَمَن العبادلة ؟ قال : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم. قلت لأحمد: فابن مسعود؟ قال:ليس ابن مسعود من العبادلة .

ومن طريق محمد بن مخلد : حدثنا حاتم بن محمد ، سمعتُ أبا رجاء قتيبة ابن سعيد يقول : أحمدُ بن حنبل إمام ، ومن لا يرضى بإمامته فهو مبتدع ضال .

قال يحيى بن منده : نقول ـ وبالله التوفيق ـ : إن أحمد بن حنبل إمام المسلمين، وسيِّد المؤمنين ، و به نحيا ، و به نموت، و به نبعث ، إن شاء الله تعالى . فمن قال غير هذا ، فهو عندنا من الجاهلين .

ومن طريق محمد بن مخلد : حدثنا محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى عن أحمد بن عمر بن يونس، حدثنا شيخ رأيته بمكة ، يكنى أبا عبد الله من أهل سجستان ذكر عنه فضل ودين ، قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يا رسولَ الله ، مَنْ تركتَ لنا فى عصرنا هذا من أمتك نقتدى به فى ديننا ؟ قال : أحمد بن حنبل .

قال يحيي بن منده : فما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه و يقظته فهو حق . وقد ندب صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء به ، فلزمنا جميعاً امتثال مَرسُومه ، واقتفاء مأموره.

توفى يحيي بن منده رحمه الله فى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة ، سنة إحدى عشرة وخمسمائة . كذا نقله ابن النجار عن أبى موسى الحافظ .

وذكر ابن السمعانى عن بعض الأصبهانيين : أنه توفى فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة بأصبهان . قال : ثم كتب إلى معمر بن الفاخر من أصبهان : أن ابن منده توفى يوم عيد الأضحى من السنة .

وذكر غيره : أنه دُفن بباب درية عند قبر والده وجده رحمة الله عليهم أجمعين .

وذكره ابن الجوزى ممن تُوفى سنة اثنتى عشرة ، ثم قال : وقيل : تُوفى سنة إحدى عشرة .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصرى بها ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسى ، أخبرنا يحيي بن منده الحافظ ، أخبرنا محمد بن عبد الله، حدثنا سليمان ابن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرى، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثورى عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاكُ وهو صائم ما لا أحصى » .

٦٢ — محمد بن على بن طالب بن محمد بن زبيبا الحرقى البزّار، الفقيه ، أبو الفضل ابن أبى الغنائم . وقد سبق ذكر والده .

وُلد فى العشر الأخير من المحرم سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وقيل عنه : إنه قال : سنة خمس وثلاثين .

وسمع من القاضى أبى يعلى ، والجوهرى ، وابن المُذْهِب ، وأبى بكر ابن بشران ، وعمر بن أبى طالب المكى ، وحدث وروى عنه السلفى ، وأبو المعمر

الأنصارى ، وابن ناصر ، والمبارك ابن كامل ، وعمر بن ظفر ، و بالإجازة ذاكر ابن كامل ، وابن كليب . وكان فقيها فاضلا . أظنه تفقه على القاضى أو على أبيه المذكور .

وقال ابن الجوزى : قال شيخنا ابن ناصر : لم يكن بحجة . كان على غير السمت المستقيم .

وذكر ابن النجار : أنه قرأ بخط ابن ناصر عنه : أنه كان يعتقد عقيدة الفلاسفة ، تقليداً عن غير معرفةٍ . نسأل الله العافية .

توفى ليلة السبت تاسع شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة . ودفن بمقابر باب أبرز فى العالية . رحمه الله وسامحه .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم ـ بفسطاط مصر ـ أخبرنا عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد المنعم بن على ، أخبرنا محمد بن على ابن زبيبا إذناً ، أخبرنا القاضى أبو يعلى بن الفراء ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله ابن عبد الرحمن الزهرى ، فيما أذن لنا : أن حمزة بن الحسين بن عمر البزار حدَّثه : حدثنى أحمد بن جعفر عن عاصم (١) الحربى ، قال : رأيتُ فى المنام كأنى قد دخلت درب هشام ، فلقينى بشر بن الحارث رحمه الله ، فقلت : من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عليين . قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركتُ الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله عز وجل ، يأكلان ويشربان ويتنعمان . قلتُ : فأنتَ ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الطعام فأباحَنى النظر إليه .

٦٣ ـ طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن بادى ابن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندى العاقولى ، الفقيه ، القاضى أبو البركات .

وُلد يوم الجمعة بعد صلاتها ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « عصام » .

بدير العاقول ، وهى على خمسة عشر فرسخاً من بغداد . ودخل بغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، واشتغل بالعلم سنة اثنتين وخمسين .

وسمع من أبى محمد الجوهرى سنة ثلاث وخمسين ، ومن القاضى أبى يعلى ، وأبى الحسين بن حسنون ، وأبى الغنائم بن المأمون ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى الحسين بن المهتدى ، وأبى الغنائم بن الدجاجى ، وهناد النسفى ، وجابر بن ياسين ، وابن هزارمرد ، وأبى الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحداد الحنفى ، وأبى القاسم بن البُسرى ، وغيرهم .

قال القاضى أبو الحسين : قرأ على الوالد الخصال ، وحضر درسه الفقه .

قلتُ : وروى عنه الجامع الصغير أيضاً . قال : وقال لى : اقرأ فى كل أسبوع ختمتين .

وقال ابن الجوزى : قرأ الفقه على القاضى يعقوب ، وهو من متقدمى أصحابه . وكان عارفاً بالمذهب ، حسن المناظرة . وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة .

وقال ابن شافع : سماعُه صحيح . وكان ثقةً ، أميناً . ومضى على السلامة والستر . سمع منه ابن كاملى وغيره .

وقال ابن السمعانى : كان صالحاً ، ديناً خيرًا. روى لنا عنه هبةالله ابن الحسن الأمين بدمشق ، والمبارك بن أحمد الأنصارى ، وغيرهما .

قلتُ : وروى عنه ابن ناصر ، والشيخ عبد القادر . و بالإجازة ابن كليب وذاكر بن كامل .

قال ابن ناصر: حدثنى أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة القاضى ، قال : كان لى صديق اسمه ثابت . وكان رجلاً صالحاً ، يقرأ القرآن ، و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فتوفى فلم أصلّ عليه لعذر منعنى ، فرأيته فى المنام ، فسلمت عليه ، فلم يردّ علىّ السلام ، وأعرض عنى، فقلت : يا ثابتُ ، ماتكلمنى وأنت

صديقي وبيني وبينك مَودّة ؟ فقال : أنت صديقي ، ولم تُصَلِّ عليَّ ، فاعتذرتُ إليه ، ثم قلتُ له : حدثني كيف أنت بقبر أحمد بن حنبل ؛ لأنه دفن هناك ، فقال : ليس في قبر أحمد أحد يعذب بالنار .

تُوفي طلحة العاقولي ليلة الثلاثاء ثاني شعبان ـ وقال ابن نقطه : ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ـ ودُفن بمقبرة الفيل من باب الأزج ، قريباً من قبر أبي بكر عبد العزيز .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدُومي ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرّاني ، أخبرنا ابن كليب ، أخبرنا طلحة بن أحمد العاقولي ، أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو عمر بن حيويه ، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا الحسين بن بحر ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، قال ابن المرزبان : وحدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي حدثنا أحمد بن عون القواس قالا : حدثنا مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَرَمُ المَرْءِ دِينُهُ ، ومُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ » .

ذكر الشيخ موفق الدين ، في المغني في باب الإيمان ، عن طلحة العاقولي : أن العبد إذا ملّكه سيده مالًا ، وقلنا : يملكه ، وأعتق منه بإذن سيده ، فإن الولاء يكون موقوفاً . فإن عتق فهو له ، وإن مات فهو لسيده . وهذا خلاف ما ذكره الأكثرون : أن العبد لا يرث بالولاء ولا غيره .

وحكوا في المكاتب : إذا عتق له عبد في حال كتابته : هل يكون ولاؤه للسيد ، أو يكون موقوفاً ، فإن عتق المكاتب كان له ؟ على وجهين .

واختار أبو بكر ، والقاضي في خلافه : أنه للسيد بكل حال .

وحكى الشيخ أيضاً في المغني والكافي عن طلحة العاقولي : أن الحالف إذا قال : والخالقِ ، والرزاقِ ، والربِّ : كان يميناً بكل حال ، وإن نوى بذلك غير الله تعالى سُبحانه ؛ لأنها لا تستعمل مع التصريف إلا في اسم الله تعالى ، فهي كاسم الله ، والرحمان .

قلتُ : وقد وافقه على ذلك ابن الزاغونى فى الإقناع : فى الخالق ، والرزاق وسائر أسماء الأفعال. قال : وهذا مبنىٌّ عندنا على أصل ؛ فإنَّ صفات الأفعال قديمة ، استحقها الله تعالى فى القدم كصفات الذات .

٦٤ - يحيى بن عثمان بن الحسين بن عثمان بن عبد الرحمن البيع ، الأزجى ، الفقيه أبو القاسم بن الشواء .

وُلِدَ فى شوال سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات . وسمع من ابن المهتدى ، وابن المسلم ، والجوهرى ، والقاضى أبى يعلى ، وأبى الغنائم بن المأمون ، وأبوى الحسين بن حسنون ، وابن النقور . وتفقه على القاضى أبى يعلى ، ثم على القاضى يعقوب . وكان فقيهاً حسناً ، صحيح السماع . وحدّث بشىء يسير .

روى عنه أبو المعمر الأنصارى فى معجمه . وقال أبو الحسين : سمع من الوالد ، وحضر درسه ، ونسخ معظم كتبه .

توفى ليلة الثلاثاء ، تاسع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . ودفن بمقبرة باب حَرب . رحمه الله تعالى .

٦٥ - محمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن معروف الهمذانى ، الحافظ الفقيه ، الأديب أبو العَلاء ، المعروف بالأعمش .

وُلد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وسمع بهمذان من عبيد الله بن الحافظ بن منده ، وأبى مسلم بن عوف النهاوندى ، وأبى محمد بن ماهلة وطبقتهم .

روى عنه السلفى وأبو العلاء القطان ، وأبو الفتوح الطائى ، وغيرهم .

ذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، فقال : شيخ ، حافظ ثقة ، مكثر . وكان - مع بصره بهذا الشأن - عارفاً بفقه أحمد بن حنبل ، ناصِرًا للسنة ، عالمًا بالعربية ، وافر الجلالة بهمذان ، وأملى عدة مجالس من حفظه .

قال أبو سعد السمعانى : أجاز لى مروياته . وكان عارفاً بالحديث ، حافظاً ، ثقة . سمع الكثير بنفسه ، وأملى ، وحَدَّث .

توفى عاشر شوال سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

٦٦ – على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد – كذا قرأت نسبه بخطه – البغدادى ، الظفرى ، المقرىء الفقيه ، الأصولى ، الواعظ المتكلم ، أبو الوفاء ، أحد الأئمة الأعلام ، وشيخ الإسلام .

وُلد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة فى جمادى الآخرة . كذا نقله عنه ابن ناصر السلفى .

قال ابن الجوزى . ورأيتُه بخطّه .

ونقل عنه عَلى بن مسعود بن هبة الله البزار أنه قال : ولدت فى جُمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ، وتفقهت فى سنة سبع وأربعين .

وذكر أبو محمد بن السمرقندى عنه : أنه وُلد سنة ثلاثين . والأول أصح .

وحفظ القرآن . وقرأ بالروايات القرآن على أبى الفتح بن شيطا ، وغيره .

وكان يقول : شيخى فى القراءة : ابن شيطا . وفى النحو والأدب : أبو القاسم بن برهان . وفى الزهد : أبو بكر الدينورى ، وأبو بكر بن زيدان ، وأبو الحسين القزوينى ، وذكر جماعة غيرهم من الرجال والنساء . وفى آداب التصوف : أبو منصور صاحب الزيادة العطار ، وأثنى عليه بالزهد والتخلق بأخلاق متقدمى الصوفية . وفى الحديث : ابن النّورى ، وأبو بكر بن بشران ، والعشارى ، والجوهرى وغيرهم . وفى الشعر والترسل : ابن شبل ، وابن الفضل . وفى الفرائض : أبو الفضل الهمذانى . وفى الوعظ : أبو طاهر بن العلاف صاحب ابن سمعون . وفى الأصول : أبو الوليد وأبو القاسم ابن التبان . وفى الفقه : القاضى أبو يعلى المملوء عقلاً وزهداً وورعاً . قرأت عليه سنة سبع وأربعين ، ولم أخل بمجالسه وخلوته التى تتسع لحضورى ، والمشى معه ماشياً وفى ركابه إلى أن توفى . وحظيت من قربه بما

لم يحظ به أحد من أصحابه مع حداثة سنى . والشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، إمام الدنيا وزاهدُها ، وفارسُ المناظرة وواحدها . كان يُعلمنى المناظرة ، وانتفعتُ بمصنَّفاته . وأبو نصر بن الصباغ ، وأبو عبد الله الدامغانى ، حضرت مجالس درسه ونظره . وقاضى القضاة الشامى انتفعت به غاية النفع ، وأبو الفضل الهمذانى . وأكبرهم سناً وأكثرهم فضلاً : أبو الطيب الطبرىّ حظيتُ برؤيته ، ومشيت فى ركابه . وكانت صحبتى له حين انقطاعه عن التدريس والمناظرة ، فحظيت بالجمال والبركة .

ومن مشايخى : أبو محمد التميمى . كان حسنة العالم ، وماشطة بغداد .

ومنهم : أبو بكر الخطيب . كان حافظ وقته . وكان أصحابنا الحنابلة يريدون منى هجران جماعة من العلماء . وكان ذلك يحرمنى علماً نافعاً . وأقبل علي أبو منصور بن يوسف ، فحظيتُ منه بأكبر حظوة . وقدمنى على الفتاوى ، مع حضور من هو أسن منى ، وأجلسنى فى حلقة البرامكة ، بجامع المنصور ، لما مات شيخي سنة ثمان وخمسين . وقام بكل مؤونتى وتجملى ، فقمتُ من الحلقة أتتبع حلق العلماء لتلقط الفوائد .

وأما أهل بيتى : فإن بيت أبى كلهم أرباب أقلام ، وكتابة ، وشعر ، وآداب . وكان جدّى محمد بن عقيل كاتب حضرة بهاء الدولة . وهو المنشىء لرسالة عزل الطايع وتولية القادر ، ووالدى أنظر الناس وأحسنهم جزلا وعلماً . وبيت أبى[1] بيت الزهرى صاحب الكلام والدرس على مذهب أبى حنيفة .

وعانيتُ من الفقر والنسخ بالأجرة ، مع عفة وتقى . ولا أزاحم فقيهاً فى حلقة ، ولا تطلب نفسى رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لى عن الفائدة . وتقلبت عليَّ الدول فما أخذتنى دولة سلطان ولا عامة عما أعتقده أنه الحق ، فأوذيت من أصحابى حتى طلب الدم وأوذيت فى دولة النظام بالطلب والحبس ـ فيامن خفت الكل لأجله ، لا تخيب ظنى فيك ـ وعصمنى الله تعالى فى عنفوان شبابى بأنواع

(١) فى مخطوطة بأيدينا « وبيت أمى » .

من العصمة ، وقصر محبتى على العلم وأهله ، فما خالطتُ لعّاباً قط ، ولا عاشرتُ إلا أمثالى من طلبة العلم .

قال : والغالب على أحداث طائفة أصحاب أحمد العفة ، وعلى مشايخهم الزهادة والنظافة . آخر كلامه .

والأذية التى ذكرها من أصحابه له ، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء ، نذكر بعض شرحها . وذلك :

أن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد ، وابن التبان شيخى المعتزلة . وكان يقرأ عليهما فى السر علم الكلام ، ويظهر منه فى بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة ، وتأول لبعض الصفات ، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله .

ففى سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شىء من تعظيم المعتزلة ، والترحُّم على الحلاَّج وغير ذلك . ووقف على ذلك الشريف أبو جعفر وغيره ، فاشتد ذلك عليهم ، وطلبوا أذاه ، فاختفى . ثم التجأ إلى دار السلطان ، ولم يزل أمره فى تخبيط إلى سنة خمس وستين ، فحضر فى أولها إلى الديوان ، ومعه جماعة من الأصحاب ، فاصطلحوا ولم يحضر الشريف أبو جعفر ؛ لأنه كان عاتباً على ولاة الأمر بسبب إنكار منكر قد سبق ذكره فى ترجمته .

فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف وصالحه وكتب خطّه :

يقول على بن عقيل بن محمد : إنى أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره ، ومن صحبة أربابه ، وتعظيم أصحابه ، والترحم على أسلافهم ، والتكثر بأخلاقهم . وما كنت علّقته ، ووُجد بخطّى من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته . ولا تحل كتابته ، ولا قراءته ، ولا اعتقاده .

وإننى علقت مسألة الليل فى جملة ذلك . وإن قوماً قالوا : هو أجساد سود .

وقلت : الصحيح : ما سمعته من الشيخ أبي عليّ ، وأنه قال : هو عَدمٌ ولا يسمى جسما ، ولا شيئاً أصلا . واعتقدتُ أنا ذلك . وأنا تائب إلى الله تعالى منهم .

واعتقدتُ فى الحلاج أنه من أهل الدِّين والزُّهد والكرامات . ونصرتُ ذلك فى جزء عملته . وأنا تائب إلى الله تعالى منه ، وأنه قتل بإجماع علماء عصره ، وأصابوا فى ذلك ، وأخطأ هو . ومع ذلك فإنى أستغفر الله تعالى ، وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة ، والمبتدعة ، وغير ذلك ، والترحم عليهم ، والتعظيم لهم ؛ فإن ذلك كله حرام . ولا يحل لمسلم فعله ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من عظَّم صاحب بدعة فقد أعان على هَدْمِ الإسلام » .

وقد كان الشريف أبو جعفر ، ومن كان مَعه من الشيوخ ، والأتباع ، سادتى وإخوانى — حرسهم الله تعالى — مصيبين فى الإنكار عليَّ ؛ لما شاهدوه بخطِّى من الكتب التى أبرأ إلى الله تعالى منها ، وأتحققُ أنى كنتُ مخطئاً غير مصيب .

ومتى حفظ عليَّ ماينافى هذا الخط وهذا الإقرار : فلامام المسلمين مكافأتى على ذلك . وأشهدت الله وملائكته وأولى العلم ، على ذلك غير مجبر ، ولا مكرَه وباطنى وظاهرى — يعلم الله تعالى — فى ذلك سواء . قال تعالى : (٥ : ٩٩ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام) .

وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة .

وكانت كتابته قبل حضوره الديوان بيوم ، فلما حضر شَهِدَ عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء .

قال ابن الجوزى : وأفتى ابن عقيل ، ودرّسَ وناظر الفحول ، واستفتى فى الديوان فى زمن القائم ، فى زمرة الكبار . وجمع علم الفروع والأصول وصنَّف فيها الكتب الكبار . وكان دائم التشاغل بالعلم ، حتى أنى رأيتُ بخطِّه :

إنى لا يحل لى أن أضيع ساعة من عُمرى ، حتى إذا تعطَّل لسانى عن

مذاكرة ومناظرة ، و بصري عن مطالعةٍ ، أعملتُ فكرى فى حال راحتى . وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لى ماأسطره . و إنى لأجدُ من حرصى على العلم . وأنا فى عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة .

قال : وكان له الخاطر العاطر ، والبحث عن الغوامض والدقائق ، وجعل كتابه المسمى « بالفنون » مناطاً لخواطره وواقعاته . ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل .

وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدة. فلما كانت سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة جرت فيها فتنٌ بين الحنابلة والأشاعرة ، فترك الوعظ ، واقتصر على التدريس . ومتعه الله تعالى بسمعه و بصره ، وجميع جوارحه .

قال : وقرأت بخطه . قال : بلغتُ الاثنتى عشرة سنة ، وأنا فى سنة الثمانين وما أرى نقصاً فى الخاطر والفكر والحفظ ، وحدة النظر ، وقوة البصر ، لرؤية الأهلة الخفية ، إلّا أن القوة بالإضافة إلى قوة الشبيبة والكهولة ضعيفة .

قلتُ : وذكر ابن عقل ، فى فنونه : قال حنبلى ـ يعنى نفسه ـ : أنا أقصرُ بغاية جهدى أوقات أكلى، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز ؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفرًا على مطالعة ، أو تسطير فائدة ، لم أدركها فيه .

قال ابن الجوزى : وكان ابن عقيل قوى الدين ، حافظا للحدود . وتوفى له ولدان ، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه. وكان كريماً ينفق ما يجد ، ولم يخلف سوى كتبه وثياب بدنه . وكانت بمقدار كفنه ، وقضاء دينه .

وقال ابن عقيل : قدم علينا أبو المعالى الجوينى بغداد ، أول ما دخل الغزالى فتكلم مع أبى إسحاق ، وأبى نصر الصباغ ، وسمعتُ كلامه . ثم ذكر عنه مسألة العلم بالأعراض المشهورة عنه ، و بالغ فى الرد عليه .

ولما ورد الغزالى بغداد ، ودرس بالنظامية ، حضره ابن عقيل ، وأبو الخطاب ،

وغيرهما . وكان ابن عقيل كثير المناظرة للكيا الهراسى . وكان الكيا ينشده فى المناظرة :

ارفق بعبدك إنّ فيه فهاهة جبلية ولك العراق وماؤها .

قال السلفى : ما رأت عيناى مثل الشيخ أبى الوفاء بن عقيل ؛ ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه ، وحسن إيراده ، و بلاغة كلامه ، وقوة حجته. ولقد تكلم يوماً مع شيخنا أبى الحسن الكيا الهرّاسى فى مسألة ، فقال شيخنا : هذا ليس بمذهبك . فقال : أنا لى اجتهادٌ ، متى ما طالبنى خصمى بحجة كان عندى ما أدفع به عن نفسى ، وأقوم له بحجتى ، فقال له شيخنا : كذلك الظنّ بك .

وذكر ابن النجار فى تاريخه : أن ابن عقيل قرأ الفقه على القاضى أبى يعلى ، وعلى أبى محمد التميمى ، وقرأ الأصول والخلاف على القاضى أبى الطيّب الطبرىّ ، وأبى نصر بن الصباغ ، وقاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى .

وكان ابن عقيل رحمه الله عظيم الحرمة ، وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك . وكان شهماً مقداماً ، يُواجه الأكابر بالإنكار بلفظه ، وخطه ، حتى إنه أرسل مرة إلى حماد الدباس ، مع شهرته بالزهد والمكاشفات ، وعكوف العامة عليه ، يتهدده فى أمر كان يفعله ، ويقول له : إن عدتَ إلى هذا ضربتُ عنقك .

وكَتَب مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير لما بنى سور بغداد ، وأظهر العوام ، فى الاشتغال ببنائه المنكرات :

لولا اعتقاد صحة البعث ، وأن لنا داراً أكون فيها على حال أحمدها ، لما نصبت نفسى إلى مالك عصرى ، وعلى الله أعتمد فى جميع ما أورده ، بعد أن أشهده : أنى محبٌ متعصب . لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بنى جهير ، فوالله ما أردت هذه بهذه ، ولو كنت كذلك كنت كافراً . فقلت : إن هذا الخرق الذى جرى بالشريعة لمناصبة واضعها . فما بالنا نعقد الختمات ورواية

الأحاديث ؟ فإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا بجميع الختمات ، والدعاء عقيبها ، ثم بعد ذلك طبول وصَوانى ، ومخانيث ، وخيال ، وكشف عوارت الرجال مع حضور النساء ، إسقاطاً لحكم الله تعالى .

وما عندى ياشرف الدين ، أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى . ترى بأى وَجهٍ تلقى محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ بل لو رأيته فى المنام مقطباً كان ذلك يزعجك فى يقظتك . وأىّ حرمةٍ تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله ، إذا وضعنا الجباه ساجدة له ؟ ثم كيف تطالب الأجناد بتقبيل عتبة ، ولَثْم ترابها ، وتقيم الحدّ فى دهليز الحريم ، صباحاً ومساء ، على قدح نبيذٍ مختلف فيه ، ثم تمرح العوام فى المسكر المجمع على تحريمه ؟ هذا مضاف إلى الزنا الظاهر بباب بدر ، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب .

ياشرف الدين ، اتق سخط الله تعالى ؛ فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض وإن فسدت حالى بما قلتُ فلَعَلَّ اللهَ يلطف بى ، ويكفينى هوائج الطباع . ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت ، والاختفاء عن العوام ؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضى الإعظام لهذه القبائح ، والإنكار لها ، والنياحة على الشريعة . أترى لو جاءت معتبة من الله سبحانه فى منام أو على لسان نبى ـ لو كان للوحى نزول ـ أو ألقى إلى روع مسلم بإلهام : هل كانت إلا إليك ؟ فاتق الله تقوى من علم بمقدار سخطه ، فقد قال: (٤٣ : ٥٦ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) وقد ملأتكم فى عيونكم مدائح الشراء ومداجاة المتمولين بدولتكم ، الأغنياء الأغبياء ، الذين خسروا الله فيكم ، فحسنوا لكم طرائقكم . والعاقل من عرف نفسه ، ولا يغره مدح من لا يخبرها .

وكتب ابن عقيل إلى السلطان جلال الدولة « ملكشاه » وقد كانت الباطنية أفسدوا عقيدته ، ودعوه إلى إنكار الصانع :

أيُّها الملك ، اعلم أن هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس ،

فإذا فقدوه جحدوه . وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة . وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس ، ولم يجحدها العقل ، ولا يمكننا جحدها لقيام دلالة العقل على إثباتها . فإن قال لك أحد من هؤلاء : لا تثبت إلا ما ترى . فمن هٰهنا دَخل الإلحادُ على جُهّال العوام ، الذين يستثقلون الأمر والنهى ، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة ، التى تنمى ولا تفسد ، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة ، كالطب ، والهندسة . فعَلِموا أن ذلك صادر عن أمرٍ وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل ، فإذا سألناهم : هل أدركتم هذين الأمرين بشىء من إحساسكم قالوا : لا ، لكننا أدركناهما من طريق الاستدلال بما صَدر عنهما من التأثيرات قلنا : فما لكم جحدتم الإله ، حيث فقدتموه حساً ، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم ، و إدارة الأفلاك ، و إنبات الزرع ، وتقليب الأزمنة ؟ وكما أن لهذا الجسد عقلا وروحاً بهما قوامه ولا يدركهما الحس ، لكن شهدتْ بهما أدِلّةُ العقل من حيث الآثار ، كذلك الله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ ثبت بالعقل ، لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه ، و إتقان أفعاله .

وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه . قال : فحكى لى أنه أعادهُ عليه فاستحسنه ، وهش إليه ، ولعن أولئك ، وكشف إليه ما يقولون له .

وكتب ابن عقيل أيضاً مرة إلى أبى شجاع ، وزير الخليفة المقتدى . وكان ديناً كثير التعبد ، لكن كانت به وسوسة فى عباداته :

أما بعد ، فإن أجلّ تحصيل عند العقلاء ، بإجماع العلماء : الوقتُ ، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص . فالتكاليف كثيرة ، والآداب خاطفة . وأقلّ متعَبدٍ به الماء . ومن اطلع على أسرار الشريعة علم قدر التخفيف :

فمن ذلك قوله : « صُبوا على بول الأعرابى ذنوباً من الماء » .

وقوله فى المنى : « أمطه عنك » .

وقوله فى الخف : « طهوره أن تدلكه بالأرض» . وفى ذيل المرأة : «يطهره مابعده » .

وقوله : « يغسل بول الجارية ، وينضح بول الغلام » . و « كان يحملُ بنت أبى العاص فى الصلاة » .

ونهى الراعى فى إعلام السائل عن الماء وما يرده ، وقال: « ياصاحب الميزاب لاتخبره » فإن خطر بالبال نوعُ احتياط فى الطهارة ، كالاحتياط فى غيرها فى مراعاة الإطالة ، وغيبوبة الشمس ، والزكاة ، فإنه يفوتُ من الأعمال مالايفى به الاحتياط فى الماء ، الذى أصله الطهارة .

وقد صافح رسول صلى الله عليه وسلم الأعرابى ؛ وركب الحمار ، وما عُرف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وقد توضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الأعراب الذين بان من أحدهم الإقدام على البول فى المسجد . وتوضأ من جرة نصرانية وما احترز ؛ تعليماً لنا وتشريعاً . وأعلمنا أن الماء أصله الطهارة . وتوضأ من غدير كان ماءه نقاعة الحناء .

فأما قوله : « تنزهوا من البول » فإن للتنزه حداً معلوماً . فأما الاستشعار : فإنه إذا نما وانقطع الوقت ، ولا يقتضى مثله الشرع .

وكتب ابن عقيل غير مرّة إلى قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى رسائل تتضمن توبيخه على تقصير وقع منه فى حقّه . وفيها كلام خشن وعتاب غليظ .

ولما دخل السلطان جلال الدولة إلى بغداد ، ومعه وزيره نظام الملك ، سنة أربع وثمانين ، قال النظام : أريدُ أن أستدعى بهم ، وأسألهم عن مذهبهم ، فقد قيل : إنهم مجسمة — يعنى : الحنابلة .

قال ابن عقيل : فأحببتُ أن أصوغ لهم كلاماً يجوز أن يقال إذاً ، فقلت : ينبغى لهؤلاء الجماعة أن يُسألوا عن صاحبنا؟ فإذا أجمعوا على حفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، إلا ما كان للرأى فيه مدخل من الحوادث الفقهية ، فنحن على مذهب ذلك الرجل الذى أجمعوا على تعديله ، على أنهم على مَذهب قومٍ أجمعنا على سلامتهم من البدعة . فإن وافقوا على أننا على مذهبه فقد أجمعوا على

سلامتنا معه ؛ لأن متبع السليم سليم . و إن ادّعوا علينا أنّا تركنا مذهبه ، وتمذهبنا بما يخالف الفقهاء ، فليذكروا ذلك ليكون الجواب بحسبه . و إن قالوا : أحمد ماشبّه وأنتم شبّهتم ، قلنا : الشافعى لم يكن أشعريًّا ، وأنتم أشعرية . فإن كان مكذوباً عليكم فقد كذب علينا . ونحن نفزع من التأويل مع نفى التشبيه ، فلا يُعاب علينا إلا ترك الخوض والبحث وليس بطريقة السلف . ثم ما يريد الطاعنون علينا ، ونحن لا نزاحمهم على طلب الدنيا ؟

وفى هذه السنة المذكور : توفى أبو طاهر بن علك . وكان من صدر الشافعية ، وأكابر المتمولين . فشيّعه نظام الملك وأرباب الدولة . ودفن بتربة أبى إسحاق الشيرازى ، وجاء السلطان إلى القبر بعد دفنه .

قال ابن عقيل : جلستُ إلى جانب نظام الملك ، بتربة أبى إسحاق ، والملوك قيامٌ بين يديه ، واجترأتُ على ذلك بالعلم . وكان جالساً للتعزية بابن علك . ولما بويع المستظهر حضر ابن عقيل مع الغزالى والشاشى للمبايعة . فلما توفى المستظهر غسله ابن عقيل مع الشيبى .

قال ابن عقيل : ولما تولد المسترشد تلقانى ثلاثة من المستخدمين ، يقول كل واحد منهم : قد طلبك مولانا أمير المؤمنين. فلما صرتُ بالحضرة ، وقال لى قاضى القضاة ـ وهو قائم بين يديه ـ : طلبك مولانا أمير المؤمنين ثلاث مرات ، فقلت : ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ثم مددتُ يدى فبسط لى يده الشريفة ، فصافحته بعد السلام ، وبايعتُ ، فقلتُ : أُبايعُ سيدنا ومولانا أميرَ المؤمنين المسترشد بالله على كتاب الله وسنة رسوله ، وسنة الخلفاء الراشدين ، ما أطاق واستطاع ، وعلى الطاعة منى .

وكان ابن عقيل رحمه الله من أفاضل العالم ، وأذكياء بنى آدم ، مفرط الذكاء ، متسع الدائرة فى العلوم . وكان خبيراً بالكلام ، مطلعاً على مذاهب المتكلمين وله بعد ذلك فى ذم الكلام وأهله شىء كثير ، كما ذكر ابن الجوزى وغيره عنه

أنه قال : أنا أقطع أن الصحابة ماتوا ، وما عرفوا الجوهر والعَرَض . فإن رضيتَ أن تكون مثلهم فكن ، وإنْ رأيتَ أنَّ طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر ، فبئس مارأيتَ .

وذُكر عنه أنه قال : لقد بالغتُ في الأصول طول عمري ، ثم عدتُ القهقرى إلى مذهب المكتب .

وقد حكى هذا عنه القرطبي في شرح مسلم . وله من الكلام في السنة والانتصار لها ، والرد على المتكلمين شيء كثير . وقد صنّف في ذلك مصنفاً .

وقرأتُ بخط الحافظ أبي محمد البرزالي قال : قرأتُ بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي ، قال : كتب بعضُهم إلى أبي الوفاء بن عقيل يقول له : صِفْ لي أصحابَ الإمام أحمد على ماعرفت من الإنصاف .

فكتب إليه يقول : همُ قوم خُشُنٌ ، تقَلّصتْ أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجدّ ، وقلَّ عندهم الهزل ، وغربتْ نفوسهم عن ذل المراءاة ، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات ، وتمسكوا بالظاهر تحرّجاً عن التأويل ، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة ، فلم يدققوا في العلوم الغامضة ، بل دققوا في الورع ، وأخذوا ما ظهر من العلوم ، وما وراء ذلك قالوا : الله أعلم بما فيها ، من خشية باريها . ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً ، إنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآى والأخبار ، من غير تأويل ولا إنكار . والله يعلم أنني لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة ، خالية من البدع ، سوى من سلك هذا الطريق . والسلام .

وكان رحمه الله بارعاً في الفقه وأصوله . وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة ، وتحريرات كثيرة مستحسنة . وكانت له يدطولى في الوعظ ، والمعارف . وكلامه في ذلك حسن ، وأكثره مستنبطٌ من النصوص الشرعية ، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة ، وإشارات دقيقة .

ومن معانى كلامه يستمدّ أبو الفرج بن الجوزى فى الوعظ .

فمن ذلك ما قاله فى الفنون :

لقد عظم الله سبحانه الحيوان ، لا سيما ابن آدم ، حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، وخوفِ الضرر على نفسه ، فقال: (١٦ : ١٠٦ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان) .

من قدَّم حرمة نفسك على حرمته ، حتى أباحك أن تتوقى وتحامى عن نفسك بذكره بما لاينبغى له سبحانه ، لحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقرِ أوامره ، وزواجره .

وعصم عرضك بإيجاب الحدّ بقذفك ، وعَصَم مالك بقطع مسلم فى سرقته ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل ؛ إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك ، وحفظاً لصحتك ، وزجرك عن مضارك بحد عاجلٍ ، ووعيد آجل ، وخَرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك . أيحسن بك ـ مع هذا الإكرام ـ أن تُرى على ما نهاك منهمكاً ، وعما أمرك متنكباً ، وعن داعيه معرضاً ، ولسنته هاجرًا ، ولداعى عدوك فيه مطيعاً ؟

يعظمك وهُوَ هُو ، وتهمل أمره وأنت أنت . هو حطّ رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدُها لك .

هل عاديتَ خادماً طالتْ خدمته لك لتركَ صلاة ؟ هل نفيته من دارك للاخلال بفرض ، أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف العبيد للموالى ، فلا أقل من أن تقتضى نفسك للحق سبحانهُ ، اقتضاء المساوى المكافى .

ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا يكون بحضرة الحق ، وملائكةُ السماء سجودٌ له ، تترامى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل ، إلى أن يوجد ساجدًا لصورة فى حجر ، أو لشجرة من الشجر ، أو لشمسٍ أو لقمر ، أو لصورة ثور خار ، أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم ، وتغيّر الأحوال ، والَجوْرَ بعد الكوْر !

لا يليق بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يُرى إلا عابداً لله فى دار التكليف ، أو مجاوراً لله فى دار الجزاء والتشريف . وما بين ذلك فهو واضعٌ نفسه فى غير مواضعها .

ومن كلامه فى تقرير البعث والمعاد :

والله لا أقنع من الله سبحانه بهذه اللمحة التى مزجت بالعلاقم ، ولا أقنع من الأبدى السرمدىّ ، ولا يليق بذا الكرم إلا إدامةُ النعم . والله مالوّح بما لوّح إلا وقد أعدّ ما تخافه الآمال . وما قدح أحدٌ فى كمال جود الخالق وإنعامه بأكثر من جحده البعث مع تشريف النفوس ، وتعليق القلوب بالإعادة ، والجزاء على الأعمال الشاقة ، التى هجر القوم فيها اللذّات ، فصبروا على البلاء ؛ طمعاً فى العطاء .

قال : ويَدُلُّ على أنّ لنا إعادةً تتضمن بقاء دائماً ، وعيشاً سالماً : أنّ أصح الدلالة قد دلّت على كمال البارىء سبحانه وتعالى ، وخروجه عن النقائص . وقد استقرينا أفعالَه ، فرأيناه قد أعدّ كل شىء لشىء . فالسمعُ للمسموعات ، والعين للمبصرات ، والأسنان للطحن ، والمنخران للشمّ ، والمعدة لطبخ الطعام . وقد بقى للنفس غرض قد عجن فى طينها : وهو البقاء بغير انقطاع ، وبلوغ الأغراض من غير أذى . وقد عدمت النفس ذلك فى الدنيا . ثم إنا نرى طالما لم يقابل ولا تقتضى الحكمة لذلك . فينبغى أن يكون لها ذلك فى دار أخرى .

قال : ولأنظر إلى صُورة البلى فى القبور ، فكم من بداية خالفتها النهاية . فإن بداية الآدمى والطير ماء مُسَخّن مستقذَرٌ ، ومبادى النبات حَبٌّ عَفِن ، ثم يخرج الآدمى والطاوس . وكذلك خرُوجُ الموتى بعد البلى .

قال : وبينا أنا نائم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، لاحت لى مقبرة ، وكأن قائلاً يقول : هذه خيم البلى ، على باب الرجاء وعلى الوفاء . قال : وهذا الإلقاء من الله تعالى لكثرة لهجى بالبعث ، وتشوفى إلى الاجتماع بالسلف النطاف ، وتبرمى من مخالطة السفساف .

وكان ابن عقيل يقول : لا يعظم عنـدكَ بَذْلُكَ نفسك فى ذات الله فهى التى بذلتها بالأمس فى حب مغنية ، وهوى أمرد ، وخاطرتَ بها فى الأسفار لأجل زيادة الدنيا . فلما جئت إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلتَه ، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد ، و إذا أعاد أفاد ، و إذا أفاد خلد فائدته على الآباد . وذاك والله الذى يحسن فيه بذل النفوس ، و إبانة الرءوس . أليس هو القـائل : (٣ : ١٧٠ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً) ؟ .

سَمِـع ابن عقيل الحديث الـكثير من أبى بكر بن بشران ، وأبى الفتح ابن شيطا ، وأبى الحسن التوزى ، وأبى محمد الجوهرى ، وأبى طالب العشارى ، والقاضى أبى يعلى ، وأبى على المباركى ، وغيرهم .

وحدث ، وروى عنه ابن ناصر ، وعمر بن ظفر المغازلى ، وأبو المعمر الأنصارى ، وأبو الرضى الفارسى ، وأبو القاسم الناصحى ، وأبو المظفر السِّنجِىّ ، وأبو الفتح محمد بن يحيى البردانى ، وغيرهم . وأجاز لأبى سعد بن السمعانى الحافظ ، وعبد الحق اليوسفى ، ويحيى بن بوش .

أنبأتنا زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم عن على بن عبد اللطيف الدينورى ، عن أبى الحسين بن عبد الحق بن عبد الخـالق ، أخبرنا أبو الوفاء على بن عقيل الإمام ، أخبرنا أبو طالب محمد بن على بن الفتح ، أخبرنا محمود بن عمر العكبرى ، أخبرنا أبو بكر بن محب إجازة ، حدثنا أبو حفص الجوهرى ، حدثنا أبو أحمـد ابن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن محمد الأنماطى ـ الذى كان ينزل سامرّا ـ أخبرنا أحمد بن نصر قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يارسول الله مَنْ تركت لنا فى عصرنا هذا ممن يُقتدى به ؟ قال : عليكم بأحمد بن حنبل .

ولابن عقيل تصانيف كثيرة فى أنواع العلم .

وأكبر تصانيفه : كتابه « الفنون » وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة ، فى الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصلين ، والنحو ، واللغة ،

والشعر ، والتاريخ ، والحكايات. وفيه مناظراته ومجالسه التى وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره قيّدَها فيه .

وقال ابن الجوزى : وهذا الكتاب مائتا مجلد . وقع لى منه نحو من مائة وخمسين مجلدة .

وقال عبد الرزاق الرسعنى فى تفسيره . قال لى أبو البقاء اللغوى : سمعتُ الشيخ أبا حكيم النهروانى يقول : وقفتُ على السِّفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون .

وقال الحافظ الذهبى فى تاريخه : لم يُصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب . حدثنى من رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعمائة .

قلتُ : وأخبرنى أبو حفص عمر بن على القزوينى ببغداد ، قال : سمعتُ بعض مشايخنا يقول : هو ثمانمائة مجلدة .

وله فى الفقه كتاب «الفصول» ويُسمى «كفاية المفتى» فى عشر مجلدات ، كتاب « عمدة الأدلة » ، كتاب « المفردات » ، كتاب « المجالس النظريات »، كتاب « التذكرة » مجلد ، كتابُ « الإشارة » مجلد لطيف ، وهو مختصر كتاب « الروايتين والوجهين » ، كتاب « المنثور » .

وفى الأصلين كتاب « الإرشاد فى أصول الدين » ، وكتاب « الواضح فى أصول الفقه » ، و « الانتصار لأهل الحديث» مجلد ، « نفى التشبيه » ، « مسألة فى الحرف والصوت» جزء ، «مسائل مشكلة فى آيات من القرآن» وأحاديث سُئل عنها فأجاب . وله كتاب « تهذيب النفس » ، « تفضيل العبادات على نعيم الجنات » .

وكان ابن عقيل كثير التعظيم للامام أحمد وأصحابه ، والرد على مخالفيهم .

ومن كلامه فى ذلك : ومن عجيب ما نسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون : أحمد ليس بفقيه ، لكنه مُحدِّث . وهذا غاية الجهل ؛ لأنه قد

خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم . وخرج عنه من دقيق الفقه ما لا تراه لأحد منهم . وذكر مسائل من كلام أحمد ، ثم قال : وما يقصد هذا إلا مبتدع ، قد تمزق فؤاده من خمود كلمته، وانتشار علم أحمد، حتى إن أكثر العلماء يقولون : أصلى أصلُ أحمد ، وفرعى فرع فلان . فحسبك بمن يرضى به فى الأصول قدوة .

وكان يقول : هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ؛ لأن أصحاب أبى حنيفة والشافعى إذا برع واحد منهم فى العلم تولى القضاء وغيره من الولايات . فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم . فأما أصحاب أحمد : فإنه قلّ فيهم من تعلق بطرفٍ من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد ؛ لغلبة الخير على القوم ، فينقطعون عن التشاغل بالعلم .

وكان مع ذلك يتكلم كثيراً بلسان الاجتهاد والترجيح ، واتباع الدليل الذى يظهر له ويقول : الواجب اتباع الدليل ، لا اتباع أحمد .

وكان يخونه قلة بضاعته فى الحديث . فلو كان متضلعاً من الحديث والآثار ، ومتوسعاً فى علومهما لكملتْ له أدوات الاجتهاد .

وكان اجتماعه بأبى بكر الخطيب ، ومن كان فى وقته من أئمة الحفاظ ، كأبى نصر بن ما كولا ، والحميدى ، وغيرهم أولى وأنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان . وتركه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذى حرمه علماً نافعاً فى الحقيقة . ولكن الكمال لله .

وله مسائل كثيرة ينفرد بها ، ويخالف فيها المذهب . وقد يخالفه فى بعض تصانيفه ، ويوافقه فى بعضها ، فإن نظره كثيراً يختلف ، واجتهاده يتنوع .

وكان يقول : عندى أن من أكبر فضائل المجتهد : أن يتردد فى الحكم عند تردد الحجة والشبهة فيه . وإذا وقف على أحد المترددين دلّه على أنه ما عرف الشبهة ، ومن لا تعترضه شبهة لا تصفو له حجة . وكل قلب لا يقرعه التردد ،

فإنما يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له ويسمع من غيره .

فمن المسائل التى تفرَّد بها : أن النساء لا يجوز لهن استعمال الحرير إلا فى اللبس دون الافتراش والاستناد . ذكره فى الفنون .

ومنها : أن صلاة الغذ[1] تصح فى صلاة الجنازة خاصة . وهو معروف عنه .

ومنها : أن الربا لا يجرى إلّا فى الأعيان الستة المنصوص عليها . ذكره فى نظرياته .

ومنها : أن الوقف لايجوز بيعه ، وإن خرِب وتعطل نفعه . وله فى ذلك كلام فى جزء مفرد .

ومنها : أن الأب ليس له أن يتملك من مال ولده ما شاء ، مع عدم حاجته ذكره فى الفصول فى كتاب النكاح .

ومنها : أن المشروع فى عطية الأولاد : التسوية بين الذكور والإناث . ذكره فى الفنون .

ومنها : أنه يجوز استئجار الشجر المثمر تبعاً للأرض ؛ لمشقة التفريق بينهما . حكاه عنه الشيخ تقى الدين بن تيمية .

ومنها : أنه لا يجوز أن يؤخذ العشر من تجار أهل الحرب ولا أهل الذمة ، إذا اتجروا فى بلاد الإسلام ، إلا بشرطٍ أو تراضٍ . ذكره فى فنونه .

وقد حكى القاضى فى شرحه الصغير رواية عن أحمد كذلك . ذكرها ابن تميم لكنها غريبة جداً .

ومنها : إذا حلف على فعل يتعلق بعين معينة، فتغيرت صفاتها بما يزيل اسمها : لم يتعلق الحنثُ بها على هذه الحال مطلقاً .

ومنها : أنه لايجوز وَطء المكاتبة ، وإن اشترط وطأها فى عقد الكتابة . وحكاه فى مفرداته رواية .

ومنها : أنه لا زكاة فى حليّ المواشط المعد للكراء . ذكره فى « عمدة

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « صلاة الفذ »

الأدلة » وخرج من قول الأصحاب بالوجوب وجهاً يوجب الزكاة فى سائر مايعد للكراء من الأملاك ، من عقارٍ وغيره .

ومنها : أن الزروع والثمار التى تسقى بماء نجسٍ طاهرة مُباحة ، وإن لم تسق بعده بماء طاهر .

ومنها : أن الزوجة إذا كانت نِضوة الخلق لا يُمكن زوجها وطأها إلا بجناية عليها : فإنه يملك فسخ نكاحها بذلك .

ومنها : أن الإمام لا يمتنع من الصلاة على الغالّ ، ولا على من قتل نفسه ، وأن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهما كان من خصائصه .

ومنها : تحريم الاستمناء بكل حال . وحكاه رواية .

ومنها : أنه يجب الحد بقذف العبد العفيف كالحرّ . ذكره فى مفرداته .

ومن المسائل الغريبة التى ذكرها ابن عقيل : مسألة فى الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما : فهل تكون الكفارة على الأم من مالها ، أو بينها و بين من تلزمه نفقته ؟ ذكر فى الفنون : فيها احتمال .

قال : والأشبه أنه على الأم ؛ لأنها هى المرتفقة بالإفطار لاستضرارها ، وتغير لبنها ، والولد تبعٌ لها .

قال : ولأنه لو كان الطفل معتبراً فى إيجاب التكفير لكان على كل واحدٍ منهما كفارة تامة ، كالجماع فى رمضان ، وكالمشتركين فى قتل الصيد ، على أصح الروايتين .

قلتُ : وهذا ضعيف ؛ فإن المشتركين فى الجماع كل منهما أفسد صومه والمشتركين فى القتل كل منهما جنى على إجرامه ، فهما متساويان فى الجناية ، بخلاف الطفل والأم هٰهنا .

وذكر أيضاً فى الفنون : قال : سأل سائل عن قائل قال : والله لا رددت سائلاً ـ أو قال : لله عليّ لا رددت سائلاً ـ وليس يتسع حاله لذلك ، وإن

اعتمد ذلك لم يبق له وقت لعمل ولا لتجارة ، ولو كان له مال يفى ، فكيف ولا مال يفى ، ولا وقت يتسع لذلك مع كثرة السؤال ؟ .

فأجاب حنبلى : بأن هذا قياس قولنا فيمن نذر أن يتصدق بجميع ماله : فإنه فى اليمين مخيّر بين الثلث، وكفارة يمين . وفى النذر: يلزمه أن يتصدق بثلث ماله ، فيجب أن يتصدق بثلث ما يتحصل له ، مما يزيد على حاجته . وإن لم يتحصل له ما يحتاج إليه : لم يدخل تحت نذره لزومُه التصدق به ، ويكفر كفارة يمين .

قال قائل : يشترى بُرًّا أو حَبَّ رُمان ، ويُعطى كل سائل حبة من ذلك ؟

قال له الحنبلى: هذا لا يجىء على أصلنا ؛ لأنا نعتبر المقاصد فى الأيمان والنذور ، والقصد : أن لا يردّ سائلاً عن سؤاله . وحبة رمان وحبة بر ليست سؤال السائل، فإعطاؤه كردِّه .

وقال حنبلى : يحتمل أن يصح خروجه من نذره بِبَرَّةِ بُرّ ؛ لأنَّا قد علقّنا حكم الربا على برة ببرتين . وما علق عليه الشرع مأثما ، فأحرى أن يعلق عليه ما يحصل به الثواب . وقول عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم : « اُتَّقُوا اُلنَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة » يعضد القول بالتصدق بالبرَّة .

وقال حنبلى آخر : بل إذا لم يجد شيئاً أصلًا وَعَدَ ، فكانت العِدة مخلصة له من الردّ . فإن الردّ لا يتحقق مع العِدة. ألا ترى أنَّ من وَعَد بزكاة ماله للساعى لا يستحق القتال ، ولا التعزير ، ولا يأثم ؟ ولا يقال : إنه ردَّ الساعى ولا المطالب بدينه ، ولا الفقير. وللحديث الذى جاء : « العِدَةُ دَيْنٌ » وهذه العدة نافعة فى منع الحنث ، من حيث إنها لا تقف مع العزم على الإعطاء على التوفية ، بل من وعد فعزم أنه متى حصل له مال أعطى السائل ما سأله فما ردّه . والله أعلم .

ومن غرائب ابن عقيل : أنه اختار وجوب الرضى بقضاء الله تعالى فى الأمراض والمصائب . ذكره فى مواضع من كلامه . لكنه فسر الرضى فى

الفنون : بأنه الرضى عن الله تعالى بها ، ثقة بحكمه وإن كانت مؤلمة للطبع ، كما لا يبغض الطبيب عند بطء الدمّل وفتح العروق . وليس المراد هشاشة النفس وانشراحها لها ، فإن هذا عنده مستحيل . وصرّح بأنه لم يحصل للأنبياء . كذا قال . وهو فاسد .

واختار : أن النهار أفضل من الليل .

واختار : أنه لا تجوز الصلاة على القبر فى شىء من أوقات النهى ، بخلاف الصلاة على الجنازة . وخالفه بعض مشايخ أصحابنا فى زمنه .

ومن كلامه الحسن : أنهُ وَعظ يوماً فقال: يامن يجد فى قلبه قسوة ، احذر أن تكون نقضت عهدًا ؛ فإن الله تعالى يقول: (١٥:٥ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) .

وسُئل فقيل له : ما تقول فى عزلة الجاهل ؟ فقال : خبال وو بال ، تضره ولا تنفعه . فقيل له : فعزلة العالم ؟ قال : مَالَك ولها ، معها حِذَاؤها وسِقاؤُها : ترد الماء وترعى الشجر ، إلى أن يلقاها ربها .

ومن كلامه فى صفة الأرض أيام الربيع : إن الأرض أهدتْ إلى السماء غبرتها بترقية الغيوم ، فكستها السماء زهرتها من الكواكب والنجوم .

وقال : كأنَّ الأرض أيام زهرتها مرآة السماء فى انطباع صورتها .

قال ابن النجار : قرأتُ فى كتاب أبى نصر المعمر بن محمد بن الحسن البيع بخطه ، وأنبأنا عنه أبو القاسم الأزجى ، قال : أنشدنا أبو الوفاء علىّ بن عقيل بن محمد بن عقيل الحنبلىّ لنفسه :

يقولون لى : ما بال جسمك ناحلٌ ودمعك من آماق عينيك هاطلُ؟
وما بال لون الجسم بدل صفرةً وقد كان محمرًّا فلونك حائلُ؟
فقلتُ : سقاماً حلّ فى باطن الحشا ولوعة قلب بلبلته البلابلُ
وأنَّى لمثلىَ أن يبين لناظر ولكننى للعالمين أُجاملُ

فلا تغترزْ يوما ببشرى وظاهرى ... فلى باطن قـد قطّعته النوازلُ
وما أنا إلا كالزناد تضمّنتْ ... لهيباً ، ولـكنّ اللهيبَ مُداخلُ
إذا حُمل المرء الذى فوق طوره ... يرى عن قريب من تجلد عاطلُ
لعمرى إذا كان التجمّل كلفة ... يكون كذا بين الأنام مجامِلُ
فأما الذى أثنى له الدهر عطفه ... ولان له وعر الأمور مواصلُ
بألطاف قرب يسهل الصعب عندها ... وينعم فيها بالذى كان يأملُ
تراه رخىّ البال من كل علقةٍ ... وقـد صميت منه الـكلا والمفاصلُ

توفى أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله بكرة الجمعة ، ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثلاثمائة عشرة وخمسمائة — وقيل : توفى سادس عشر الشهر — والأول أصح وصُلى عليه فى جامعى القصر والمنصور . وكان الإمام عليه فى جامع القصر ابن شافع . وكان الجمْع يفوت الإحصاء .

قال ابن ناصر : حزَرْتُهم بثلاثمائة ألف . ودُفن فى دكة قبر الإمام أحمد رضى الله عنه . وقبره ظاهر رضى الله عنه . فما كان فى مذهبنا أحدٌ مثله . آخر كلام ابنْ ناصر .

وذكر المبارك بن كامل الخفاف : أنه جرت فتنة — يعنى: على حمله — قال: وتجارَحُوا ، وقال الشيخ مطيع : كفن ونطع .

قال ابن الجوزى : حدثنى بعض الأشياخ : أنه لما احتضر ابن عقيل ، بكى النساء . فقال : قد وقعت عنه خمسين سنة ، فدعونى أتهنا بلقائه .

قال ابن السمعانى أنشدنى الإمام أبو المحاسن مسعود بن محمد بن غانم الأديب الغانمى لنفسه ، يمدح الإمام أبا الوفاء بن عقيل :

لعـلىّ بن عقيل البغدادى ... مجد لفرق الفرقدين محاذى
قد كان ينصر أحمدًا خير الورى ... وكلامه أحـلى من الأزاذِ
وإذا تلهّب فى الجدال فعنده ... سبحان فيه فى التجارب هاذى

ما أخرجت بغداد فخلا مثلهُ   لله در الفاضـــل البغدادى
ولقـد مضى لسبيله مع عصبةٍ   كانوا لدين الحق خير ملاذِ

وقد قرأ على ابن عقيل الفقه الأصول خلقٌ من أصحابنا ، يأتى ذكرهم فى مواضعهم إن شاء الله تعالىٰ من الطبقة التى بعد هذه .

وممن قرأ عليه أبو الفتح بن برهان الأصولى، صاحب التصانيف فى الأصول، ومدرّس النظامية . وكان أولا حنبلياً ، ثم انتقل لجفاء أصحابنا له .

وكان لابن عقيل ولدان ماتا فى حياته : أحدهما :

أبو الحسن عقيل

كان فى غاية الحسن . وكان شاباً ، فهماً ، ذا خط حسن .

قال ابن القطيعى : حكى والده أنه وُلد ليلة حادى عشر رمضان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

وذكر غيره : أنه سمع من هبة الله بن عبدالرزاق الأنصارى ، وعلى بن حسين ابن أيوب ، وغيرهما . وتفقه على أبيه ، وناظر فى الأصول والفروع .

وسمع الحديث الكثير ، وشهد عند قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى ، فقبل قوله . وكان فقيهاً فاضلا يفهم المعانى جيداً ، ويقول الشعر . وكان يشهد مجلس الحكم ، ويحضر المواكب .

وتوفى رحمه الله يوم الثلاثاء ، منتصف محرم سنة عشر وخمسمائة . وصُلى عليه يوم الأربعاء . كذا ذكر ابن شافع وغيره .

وفى تاريخ ابن المنادى : أنه توفى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ودُفن يوم السبت بدكة الإمام أحمد .

فعلى هذا : تكون وفاته قبل والده بشهرٍ واحد . ولا أظن هذا إلا غلطاً . وكان له من العمر سبع وعشرون سنة . ودفن فى داره بالظفرية ، فلما مات أبوه نُقل إلى دكة الإمام أحمد رضى الله عنه .

قال والده : مات ولدى عقيل . وكان قد تفقه وناظر ، وجمع أدباً حسناً ، فتعزَّيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ الذى قتله على رضى الله عنه ، فقالت أمه ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلتُ أبكى عليه دائم الأبدِ
لكنّ قاتله من لا يقاد به ... من كان يُدعى أبوه بيضة البلدِ

فأسلاها ، وعزاها جلالة القاتل ، وفخرها بأن ابنها مقتوله . فنظرتُ إلى قاتل ولدى الحكيم المالك ، فهان علىّ القتل والمقتول لجلالة القاتل .

وذكر عن الإمام أبى الوفاء : أنه أكب عليه وقبّله ، وهو فى أكفانه . وقال : يا بُنَىَّ ، استودعتُك الله الذى لا تضيع ودائعه . الربُ خيرٌ لك منى . ثم مضى ، وصلى عليه بجنان ثابت . رحمه الله .

ومن شعر عقيل هذا :

شاقَهُ والشوقُ من غيرِهْ ... طللٌ عافٍ سوى أثرِهْ
مقفرٌ إلا معالمُهُ ... واكف بالودق من مطرِهْ
فانثنى والدمعُ منهملٌ ... كانسلال السلك عن دررِهْ
طاوياً كشحاً على نُوَبٍ ... سبحات لَسْنَ من وَطَرِهْ
رحلة الأحباب عن وطنٍ ... وحُلولُ الشيب فى شعرِهْ
شِيَمٌ للدهر سالفة ... مستبيناتٌ لمختبرِهْ
وقبول الدر مبسمها ... أبلج يفترّ عن خَضِرِهْ
هزَّ عطفيها الشبابُ كما ... ماس غصنُ البان فى شجرِهْ
ذاتُ فرع فوق ملتمع ... كدجى أبدى سنا قمرِهْ
وبنان ترفٌ زانه ... ذاده التسليم عن خَفَرِهْ
خَصرُها يشكو روادفها ... كاشتكاء الصبِّ من سهرِهْ
نَصبت قلبى لها غرضاً ... فهو مصمىٌّ بمعتورِهْ
وزهتْ تيهاً كأنَّ لها ... منبتاً تزهى بمفتخرِهْ
وأناختْ فى فنا ملك ... دَنتِ الأخطارُ عن خَطَرِهْ

والآخر :

أبو منصور هبة الله

ولد فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين وأربعمائة . وحفظ القرآن وتفقه ، وظهر منه أشياء تدل على عقل غزير ، ودين عظيم . ثم مرض وطال مرضه ، وأنفق عليه أبوه مالاً فى المرض ، وبالغ .

قال أبو الوفاء : قال لى ابنى ، لما تقارب أجله : ياسيدى قد أنفقتَ وبالغتَ فى الأدوية ، والطب ، والأدعية ، ولله تعالى فىّ اختيارٌ ، فدعنى مع اختياره . قال : فو الله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدى بهذه المقالة التى تشاكل قول إسحاق لإبراهيم : (٣٧ : ١٠٣ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) إلاّ وقد اختاره الله تعالى للحظوة .

توفى رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . وله نحو أربع عشرة سنة .

وحمل أبو الوفا رحمه الله فى نفسه من شدة الألم أمراً عظيماً ، ولكنه تصبَّر ، ولم يظهر منه جزع . وكان يقول : لولا أن القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين .

وقال فى آخر عمره — وقد دخل فى عشر التسعين ، وذكر من رأى فى زمانه من السادات من مشايخه وأقرانه ، وغيرهم — : قد حمدتُ ربى إذْ أخرجنى ولم يبق لى مرغوب فيه ، فكفانى صحبة التأسف على ما يفوت ؛ لأن التخلف مع غير الأمثال عذاب . وإنما هوّن فقدانى للسادات نظرى إلى الإعادة بعين اليقين وثقتى إلى وعد المبدىء لهم ، فكأنى أسمع داعى البعث قد دعا ، كما سمعتُ ناعيهم وَقد نعى . حاشا المبدىء لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة، المشوبة بأنواع التنغيص وهو المالك . لا والله ، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه : نعيم بلا ثبور ، وبقاء بلا موت واجتماع بلا فرقة ، ولذات بغير نغصة .

٦٧ - المبارك بن عليّ بن الحسين بن بندار البغدادى المخرِّمى ، الفقيه القاضى ، أبو سعد قاضى باب الأزج .

ولد فى رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة .

وسمع الحديث من القاضى أبى يعلى ، وأبى الحسين بن المهتدى ، وأبى جعفر ابن المسلمة ، وجابر بن ياسين ، والصريفينى ، وابن المأمون ، وابن النقور .

وسمع من القاضى أبى يعلى شيئاً من الفقه ، ثم تفقه على صاحبه الشريف أبى جعفر ، ثم القاضى يعقوب البَرزَبينى . وأفتى ودرّس وناظر ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى جمع مثلها . وشهد عند أبى الحسن الدامغانى فى سنة تسع وثمانين ، ثم ناب فى القضاء . وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، سديد الأقضية ، وبنى مدرسة بباب الأزج ، ثم عزل عن القضاء فى سنة إحدى عشرة ، ووكل به فى الديوان على حساب وقوف الترب ، فأدى مالًا .

ثم توفى فى ثانى عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ودُفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند رجلى الإمام أحمد رضى الله عنه . ذكر هذا كله أبو الفرج فى تاريخه .

وقال أبو الحسين : تُوفى ليلة الجمعة ثانى عشر المحرم . ودُفن يوم الجمعة . قبل الصلاة . وصُلى عليه فى عدة مواضع .

قال : وكان مليح المناظرة ، سيرته جميلة ، وعشرته مليحة . وكان بينى وبينه امتزاج ، واجتمعنا فى مجلس الشريف للدرس . غفر الله له .

وفى تاريخ القضاة للميدانى : أنه توفى ليلة الأحد رابع عشر محرم . وهو وهم .

و« المخرِّمى » بكسر الراء - منسوب إلى المخرِّم : محلة ببغداد شرقيها . نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم ، فنسبت إليه . ذكره المنذرى .

والمدرسة المذكورة التى بناها : هى المنسوبة الآن إلى تلميذه الشيخ عبدالقادر

الجيلي ؛ لأنه وسعها وسكن بها ، فعُرفت به. وللمخرّمى ذرية فيهم شيوخ تصوف، ورؤساء ذوو ولايات ، ورواة حديث .

ولأبى سعد المخرمى مع ابن عقيل مناظرة فى مسألة بيع الوقف إذا خرب وتعطل . ونحن نذكر مضمون المناظرة ملخصاً :

قال ابن عقيل : أنا أخالف صاحبى فى هذه ؛ لدليل عرض لى ، وهو أنَّ الباقى بعد التعطل والدروس صالح لوقوع البيع وابتداء الوقف عليه ، فإنه يصحُ وقف هذه الأَرض العاطلة ابتداء ، فالدوام أولى . ألا ترى أن الرِّدَّة والعدة يمنعان ابتداء النكاح ، ولا يمنعان دوامه ؟ .

اعترض عليه المخرّمي ، فقال : يحتمل أن لا أسلم ماعولت عليه فى صحة إنشاء وقفها ، بل لا يصح وقف ما يجب نقله ؟ .

قال ابن عقيل : هذا لا يجوز أن يقال جملة ، فإنك تقول : تباع ويُصرف ثمنها فى وقف آخر . فهذه المالية التى قبلت البيع ، وهو عقد معاوضة مستأنف كيف لا يصلح لبقاء دوام عقد قد انعقد بشروطه ؟ وأكثر مايقدر أن المسجد بقى فى بَرِيَّة ، فيصلح لصلاة المارة والقوافل ، ويصحّ أن يستأجر البقعة أهلُ قافلة لإيقاف دوابهم ، وطرح رحالهم ، وهذا القدر من بقاء مالية الأصل والمنافع ، وقبولها للعقود المستجدة ، لا يجوز معه قطع دوام الوقف .

قلتُ : هذا ليس بجوابٍ ؛ لما قاله المخرّمى من منع صحة إنشاء وقفها ، فإن أكثر مايفيد هذا : أن وقفيتها لم تزل بالخراب ، والمخرمى موافق على ذلك ، ولكنه يقول: إنه يجوز أو يجبُ بيعها وصرف ثمنها إلى مثلها ، وهذا شىء آخر . ولم يستدل ابن عقيل على صحة إنشاء وقفها .

فإن قال : فإذا صح إنشاء عقد البيع عليها صح إنشاء الوقف .

قلنا : هذا ممنوع ، فكم من عين يصحّ بيعها ، ولا يصح وقفها . فإنّ الواقف إنما يصح فى عين يدوم نفعها مع بقائها . ولو جاز وقفُ مايجب بيعه ونقله لجاز بيع

وقف المطعومات ونحوها ، وتباع و يصرف ثمنها فى غيرها . ثم يقال : إذا وقفها ابتداء وهى متعطلة ، فإن كان يمكن الانتفاع بها فيما وقفت له كوقف أرض سباخ مسجداً : صح وقفها .

فإن قيل : مع هذا يُقَر لحاله ، ولا يباع ؛ فلأنه لم يفقد منه شىء من منافعه الموقوفة . بخلاف المسجد العامر إذا خرب ، و إنْ لم يمكن الانتفاع بها فيما وقفتْ له ، كفرس زَمِنٍ حُبس للجهاد ، فهذا كيف يصح وَقفهُ والمقصود منه مفقود ؟ فإنّ هذا بمنزلة إجارة أرض سَبِخة للزرع ، و بعير زَمِن للركوب . و إنْ سلَّمنا صحة إنشاء وقفها ، وأنها تباع ، و يُصرف ثمنها ، فيما ينتفعُ به ، كما هو ظاهر كلام أحمد فى مسألة السرج الفضية .

وأفتى بمثله جماعة فى وقف الستور على المسجد . فهذا حجة لنا ، لأن صحة الوقف لما لم تناف جواز البيع والإبدال ، بل وجوبها فى الابتداء ، فكذا ينبغى أن يكون فى الدوام .

وقوله : وهذا القدر من بقاء المالية لا يجوز معه قطع دوام الوقف دعوى مجردة .

قال المخرمى : فما طلب بالنقل والبيع إلا دوام النفع ، فإنَّ نقل الوقف إلى مكان ينتفع به أبقى للنفع .

قال ابن عقيل : إلا أنك لما أسقطت حكم العين والتعيين ، وذلك إسقاطٌ ، كمراعاة تعيين الواقف . وأحق الناس بمراعاة بقايا المحل أحمدُ . حتى إنه قال : إذا حلف : لا دخلتُ هذا الحمام فصار مسجداً ودخله ، أو لا أكلتُ لحم هذا الجدى فصار تيساً ، أو هذا التمر فاستحال ناطفاً أو خلا : حنث بأكله ، فهذا فى باب الأيمان .

وفى باب المالية والملك : تزول المالية بموت الشاة ، وشدة العصير ، ويبقى تخصيصه به بدءاً ، بحيث يكون أحق بالجلد دبغاً واستصلاحًا ، و بالخمر تخليلاً فى رواية . وكذلك الجلاَّلة والماء النجس .

قلت : الإمام أحمد يراعى المعانى فى مسائل الأيمان ، ومسألة الوقف ، فإنّ الواقف إنما قصد بوقفه دوام الانتفاع بما وقفه ، فإذا تعذّر حصول ذلك النفع من تلك العين أبدلناها بغيرها مما يحصل منه ذلك النفع ، مراعاة بحصول النفع الموقوف ودوامه به . وهو المقصود الأعظم للواقف ، دون خصوصية تلك العين المعينة وكذلك الحالف قصد الامتناع من تلك العين المحلوف عليها دخولاً وأكلاً وهذا القصد لا يتغير بتبدل صفات تلك العين ، فإنّ ذاتها باقية . وهذا أفقه وأحسن مما اختاره ابن عقيلٍ من تعليق الحكم على مجرد الاسم . فراعى العين فى صورة الوقف ولم يجز إبدالها ، وإن فات المقصود منها لتعلق الوقف بها ، وراعى الاسم المعلق به اليمين ، فمنع الحنث بتبدله مع بقاء العين ، ووجود المعنى الذى قصد اجتنابه باليمين .

وأما مسألة الميتة والخمر وما أشبههما : فهناك عين باقية على اختصاص صاحبها وتحت يده الحكمية لما بقى فيها من المنافع ، فلذلك كان أحق بها . كذلك هنا العين باقية على الوقفية ، لكن نحن نقول : يجوز إبدالها ، والمخالف لم يذكر حجة على منع ذلك .

قال الخرمى : لا يجوز أخذ حكم الدوام من الابتداء ، كما لم يجز فى باب تملك القريب ذى الرحم المحرم ، وكما لم يجز فى باب تملك الكافر العبد المسلم بالإرث . فإنه لا يدوم الملك على الأب ولا على المسلم ، ويصح ابتداء الملك فيهما ، والأضحية المعينة يجوز نقلها إلى ما هو أسمن منها ، فيقطع الدوام بالإبدال .

قال ابن عقيل : أما مسألة تملك ذى الرحم المحرم : فذاك ضد ما نحن فيه ؛ لأن ذاك التملك جعل وسيلة الوسائل إلى الأغراض المقصودة ، يعفى فيها عن خلل يدخل وضرر يحصل ، كما فى مسألة النجاسة باليد ، وإزالة المحرم الطيب عنه بيده . فالتملك للأب سبب للمجازاة والمكافأة التى نطق بها الشرع ، وهى عتقه ، ولا يمكنه ذلك فى ملك غيره ، فصار التملك ضرورة لحريته ، إذ لو ملكه

ودام ملكه صار مكافأة الشيء بضده؛ لما فيه من إذلاله لأبيه ، والمطلوب مكافأته بالإعتاق والإطلاق ، واغتفر دخوله فى ملكه لحظة لما يعقبه من العزّ الدائم . فهذه علّة انقطاع الدوام هناك ، وهو ضدّ ما نحن فيه ، فإن الموقوف موضوع لدوام الانتفاع ، ولهذا لا يصح إلا فى محل يبقى على الدوام .

وأما الأضحية : فمن الذى أخبرك أنّى أنصر مذهب أحمد وأبى حنيفة ، حتى يلزمنى إبدالها بخير منها ، على أنها انقطعتْ لجواز المشاركة بالثلث أكلاً للمضحى ، وإهداء لثلثها ، بخلاف مسألتنا . فههنا إبدال قليلة الانتفاع بأنفع منها لا يجوز . فالأمران مختلفان . والله أعلم .

قلتُ : كان المخرّمى رجع معه ، على وجه التنزل ، إلى أنَّ الوقف المعطّل ، وإنْ صحّ ابتداؤه ، فلا يلزم منه صحة دوامه ، كشراء ذى الرحم ، فاستطال ابن عقيل عليه ، وقال : المقصودُ من شراء ذى الرحم قطع الدوام ، بخلاف الوقف . ولكن لاحاجة إلى ماذكره المخرمى هنا ؛ فإنّ التحقيق فى ذلك ماتقدم ، وهو أن العين المعطلة إن كان يمكن الانتفاع بها على وجه ما : صحّ وقفها ابتداء ودواماً ، لكن فى الدوام تبدل ، وإن لم تبدل فى الابتداء ؛ لما سبق من الفرق . وفى الموضعين الوقف صحيح ، لكنّ جواز الإبدال أو وجوبه أمر زائد على صحة الوقف . ولم يذكر ابن عقيل دليلاً على امتناعه .

وأما إن كانت العين مسلوبة النفع بالكلية : فهذه لايصح وقفها ابتداء ولا دواماً ، بل تخرج بذلك عن الوقفية ، وإن سلم صحة بقائها على الوقفية فى الدوام — وهو ظاهر كلام الأصحاب — فلأنه يفتقر فى الدوام مالا يفتقر فى الابتداء .

وأما الأضحية وتفريقه بينها وبين الوقف بالمشاركة فيها دون الوقف : فالوقف أيضاً قد يدخله المشاركة ، بأن يقف على نفسه ، أو يقف مسجداً ويصلى فيه مع الناس ، ونحو ذلك .

وأما تفريقه بجواز الإبدال فى الأضحية بأنفع منها دون الوقف ، فيقال :

والوقف فيه رواية أخرى عن أحمد : بجواز الإبدال كالأضحية ، فلمن نصر هذا القول أن ينتصر لهذه الرواية ، فلا يبقى بينهما فرقٌ . والله أعلم ».

٦٨ – محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الغازى البدليسى أبو الحسن .

أحد الفقهاء الأعيان . اشتغل قديماً على أبى الحسن الآمدى بآمد ، ولازمه وتفقه عليه ، وسمع منه الحديث ، وبرع فى الفقه .

وقد ذكره القاضى أبو الحسين فى ترجمة شيخه أبى الحسن . وشغل الناس ، وتفقه عليه طائفة . وأظنه قديم الوفاة .

قرأتُ بخط شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية قال : نقلتُ من خط شُيخنا يحيى بن الصيرفى الحرانى قال : ذكر الشيخ أبو على الحسن بن على بن سلامة الحرانى فيما علقه عن الشيخ أبى الحسن بن الغازى ، فقال : وإذا وقع الإناء الذى أصابه الولوغ فى ماء كثير ، فهو غسلة واحدة على ظاهر كلام أصحابنا ، سواء أكان واقفاً أو جارياً . ولا يعتبر لكل غسلة جرية . قال : ويحتمل وجهاً آخر . وهو أن يكون وقوعه فى الماء الواقف يحتسب به غسلة واحدة ، وفى الماء الجارى يحتسب بكل جرية غسلة . وكلا الوجهين محتملان .

قال : وذكر: إذا مات فى الماء ما ليست له نفس سائلة ، فإنه لا ينجس ما مات فيه من الماء اليسير والكثير والمائع على الظاهر من المذهب .

قال : وفيه رواية أخرى أنه ينجس ما مات فيه . والأول أصح .

٦٩ – الحسن بن محمد [1] العكبرى ، أبو المواهب .

أحد الفقهاء الأكابر ، وله تصانيف فى المذهب أظنه من أصحاب القاضى ــ أو أصحابه القدماء ــ ووقفت له على رءوس المسائل ، وهى منتخبة من الخلاف الكبير ، على طريق أبى جعفر ، وأبى الخطاب .

(١) فى خطية الإدارة الثقافية وفى المخطوطة التى بأيدينا « الحسين بن محمد »

وقد روى عن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الخيَّاط العكبرى المقرىء حديثاً .

وروى عنه نصر المقدسى . وشيخه العكبرى هذا كان من أصحاب ابن بطة فقيهاً .

مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . ذكره ابن البناء فى طبقات الفقهاء .

ورواية نصر المقدسى عن أبى المواهب تدل على تقدم وفاته .

٧٠ - أبو على بن شهاب العكبرى

صاحب كتاب عيون المسائل ، متأخر . ونقل من كلام القاضى وأبى الخطّاب كأنه من ولد ابن شهاب المتقدم . ما وقعت له على ترجمة . ومن الناس من يظنه الحسن بن شهاب الكاتب الفقيه صاحب ابن بطة . وهو خطأ عظيم .

٧١ - عبد الوهاب بن حمزة بن عمر البغدادى ، الفقيه المعدل ، أبو سعد .

وُلد فى أحد الربيعين سنة سبع وخمسين وأربعمائة . وسمع من ابن النقور ، والصريفينى ، وأبى القاسم بن البسرى ، وأبى عبد الله الحميدى . وتفقه على أبي الخطاب . وأفتى وبرع فى الفقه . وشهد عند قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى

وكان مرضيّ الطريقة جميل السيرة من أهل السنة . وهو شيخ أبى حكيم النهروانى ، الذى تفقه عليه . وروى عنه حكاية ، ولم يحدث إلا باليسير .

توفى ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة . ودُفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

٧٢ - محمد بن على بن عبيد الله بن الدَّنِف البغدادى المقرىء الزاهد ، أبو بكر

وُلد فى صفر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة .

وسمع الحديث من ابن المسلمة ، وابن المهتدى ، والصريفينى ، وابن المأمون ، وابن النقور ، وطبقتهم . وتفقه على الشريف أبى جعفر ، وحدث بشىء يسير .

سمع منه ابن ناصر . وروى عنه المبارك بن خضير، وذاكر بن كامل، وابن بوش وغيرهم . وكان من الزهاد الأخيار ، ومن أهل السُنة ، انتفع به خلق كثير . ذكره ابن الجوزى .

وقال ابن النجار : كان مشهوراً بالصلاح والدين . درس الفقه على الشريف أبى جعفر وصحبه ، وانتفع به جماعة قرأوا عليه ، وعادت عليهم بركته .

توفى يوم الإثنين سابع شوال سنة خمس عشرة وخمسمائة . ودُفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله .

و« الدنف » : بفتح الدّال المهملة وكسر النون وآخره فاء . قيّده ابن نقطة الحافظ وغيره .

٧٣ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن دَاوُد الأصبهانى ، أبو سعد بن أبى العَباس ، وَيُعرف بالخيّاط .

من أهل أصبهان ، قدم بغداد ، واستوطنها مدة طويلة . وسمع من مشايخها ، وانتخب ، وعلّق وكتب بخطه كثيراً . وحصل الأصول والنسخ ، وجمع شيئاً كثيراً جداً من الحديث والفقه ، ونفذه إلى أصبهان . وأدركه أجله ببغداد .

حدّث ببغداد عن أبى القاسم بن منده إجازة ، وعن غيره سماعاً . كتب عنه ابن عامر العبدرى وابن ناصر ، وخطه حسن .

قال ابن النجار : وكان من أهل السنة المحققين المبالغين المتشددين ، ظاهر الصلاح ، قليل المخالطة للناس . كان حنبلياً متعصباً لمذهبه ، متشدداً فى ذلك .

توفى يوم الخميس سادس عشرين ذى الحجة[1] سنة سبع عشرة وخمسمائة . ودُفن بباب حرب ، ولم يخلف وارثاً ؛ لأنه لم يتزوج قط رحمه الله .

٧٤ ـ على بن المبارك بن على بن الفاعُوس ، البغدادى ، الإسكاف ، المقرىء ، الزاهِد أبو الحسن .

(١) فى خطية الإدارة الثقافية والمخطوطة التى بأيدينا «سادس عشر ذى الحجة»

سمع من القاضى أبى يعلى ، وأبى منصور عبد الباقى بن محمد بن غالب العَطّار وغيرهما . وصَحِب الشريف أبا جعفر . وكان مشهوراً بالزهدِ والورع والتقشف وحسن الطريقة ، للخلق فيه اعتقاد عظيم .

وذكر ابن ناصر : أنه كان أزهد الناس فى عصره . وكان يقرأ يوم الجمعة على الناس أحاديث قد جمعها بغير أسانيد .

قال ابن الجوزى : حدثنى أبو حكيم النهروانى قال : كان ابن الفاعُوس إذا صلى الجمعة جلس يقرأ على أصحابه الحديث ، فيأتى ساقى الماء ، فيأخذ منه فيشرب ؛ ليريهم أنه مفطر ، وربما صامها فى بعض الأيام .

وكان ابن الفاعوس يتورع عن الرواية . وحَدَّث وسمع منه أبو المعمر الأنصارى ، وأبو القاسم بن عساكر الحافظ .

وقال : كان أبو القاسم بن السمرقندى يقول : إن أبا بكر بن الخاضبة كان يسمى ابن الفاعوس الحجرىَ ؛ لأنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة .

قلتُ : إنْ صحَّ عن ابن الفاعوس أنه كان يقول : الحجر الأَسود يمين الله حقيقة ، فأصل ذلك : أن طائفة من أصحابنا وغيرهم نَفَوْا وُقوع المجاز فى القرآن ، ولكن لا يعلم منهم من نفى المجاز فى اللغة ، كقول أبى إسحاق الإسفرايينى . ولكن قد يسمع بعض صالحيهم إنكار المجاز فى القرآن ، فيعتقدُ إنكارهُ مطلقاً .

ويؤيد ذلك : أن المتبادر إلى فهم أكثر الناس من لفظ الحقيقة والمجاز : المعانى والحقائق دون الأَلفاظ .

فإذا قيل : إنَّ هذا مجاز فهموا أنه ليس تحته معنى ، ولا له حقيقة ، فينكرون ذلك ، وينفرون منه . ومن أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجاز ؛ لئلا يوهم هذا المعنى الفاسد ، ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب والسنة ومدلولاتهما .

ويقول : غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع ،

وتطرفوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، فيمنع من التسمية بالمجاز ، ويجعل جميع الألفاظ حقائق ، ويقول : اللفظ إنْ دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى ، وإن دلّ بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر ، فهو حقيقة فى الحالين. وإن كان المعنى المدلول عليه مختلفاً فحينئذ يقالُ : لفظ اليمين فى قوله سبحانه وتعالى : (٣٩:٦٧ والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) حقيقة . وهو دَالّ على الصفة الذاتية . ولفظ اليمين فى الحديث المعروف : « الحجَرُ الأسوَدُ يَمِينُ اللهِ فى الأَرْضِ . فَمَنْ صَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَح اللهَ عزَّ وَجلَّ »

وقيل : يمينه يُرادُ به ــ مع هذه القرائن المحتفة به ــ محل الاستلام والتقبيل وهو حقيقة فى هذا المعنى فى هذه الصورة ، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلًا ، بل دلالته على معناه الخاص قطعية لا تحتمل النقيض بوجهٍ ، ولاتحتاج إلى تأويل ولا غيره .

وإذا قيل : فابن الفاعوس لم يكن من أهل هذا الشأن ــ أعنى : البحث عن مدلولات الألفاظ ؟

قيل : ولا ابن الخاضبة كان من أهله ، وإن كان محدثاً . وإنما سمع من ابن الفاعوس ، أو بلغه عنه إنكار أن يكون هـذا مجازًا ، لما سمعه من إنكار لفظ المجاز فحمله السامع لقصوره أو لهواه على أنه إذا كان حقيقة لزم أن يكون هو يد الرب عزَّ وجل ، التى هى صفته . وهذا باطل . والله علم .

توفى ابن الفاعوس ليلة السبت تاسع عشر شوال ــ وقيل : العشرين منه ، والأول أصح ــ سنة إحـدى وعشرين وخمسمائة . وصُلى عليه من الغد بجامع القصر . ودُفن قريباً من قبر الإمام أحمد رضى الله عنه .

وكان ذلك يوماً مشهودًا ، غلقت فيه أسواق بغـداد . وكان أهل بغداد يصيحون فى جنازته : هذا يَوم سُنىّ حنبلى ، لا قشيرى ولا أشعرى .

وكان حينئذٍ ببغداد أبو الفرج الإسفراينى الواعظ ، وكان العوام قد رجموه

غير مرة فى الأسواق ، ورموا عليه الميتات ، فأظهروا فى ذلك اليوم لعنه وسبه ، فبلغ ذلك المسترشد ، فمنعه من الوعظ ، وأمره بالخروج من بغداد . وظهر فى ثانى يوم عند رجل من أصحابه كراريس فيها ما يتضمن الاستخفاف بالقرآن ، فطيف به البلد ، ونودى عليه ، وهمت العامة بإحراقه . وظهر الشيخ عبدالقادر ، وجلس للوعظ ، وعكف الناس عليه ، وانتصر به أهل السنة . رحمه الله تعالى

٧٧ — موسى بن أحمد بن محمد النشادرى[١] الفقيه أبو القاسم

كان يذكر أنه من أولاد أبى ذر الغفارى رضى الله عنه

سمع الحديث الكثير . وقرأ بالروايات ، وتفقه على أبى الحسن بن الزغوانى ، وناظر .

قال ابن الجوزى : رأيته يتكلم كلاماً حسناً .

توفى رابع رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال غيره : توفى ليلة الخميس خامس رجب .

وذكر ابن القطيعى : أنه سمع من أبى منصور الخازن ، وأنه كمل التعليقة ، وناظر ، وتبصر فى المذهب .

قلت : أظنه مات شابا ؛ فإن شيخه ابن الزاغونى عاش بعده مدةً .

٧٨ — محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء ، القاضى الشهيد ، أبو الحسين ابن شيخ المذهب ، القاضى أبى يعلى .

وُلد ليلة نصف شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وقرأ ببعض الروايات على أبى بكر الخياط . وسمع الحديث من أبيه ، وعبد الصمد بن المأمون ، وأبوى الحسين بن المهتدى . وابن النقور ، وأبى بكر

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « النشاورى »

الخطيب ، والعاصمى ، وطبقتهم . وتوفى والده وهو صغير ، فتفقه على الشريف أبى جعفر ، وبرع فى الفقه ، وأفتى وناظر .

وكان عارفاً بالمذهب ، متشدداً فى السُنة .

وله تصانيف كثيرة فى الفروع والأصول ، وغير ذلك ، منها : «المجموع فى الفروع » ، « رءوس المسائل» ، «المفردات فى الفقه» ، « التمام لكتاب الروايتين والوجهين » الذى لأبيه ، « المفردات فى أصول الفقه » ، « طبقات الأصحاب» ، « إيضاح الأدلة فى الردّ على الفرق الضالة المضلة» ، « الرد على زائغى الاعتقادات فى منعهم من سماع الآيات » ، « شرف الاتباع وسرف الابتداع » ، « تنزيه معاوية بن أبى سفيان المقنع فى النيات » ، « المفتاح فى الفقه » .

وقرأ عليه جماعة ، منهم : الشيخ عبد المغيث الحربى ، وغيره .

وحَدّث ، وسمع منه خلق كثير من الأصحاب وغيرهم ، منهم : بن ناصر ، ومعمر بن الفاخر ، وابن الخشاب ، وأبو الحسين البراندسى الفقيه ، والجنيد بن يعقوب الجيلى الفقيه ، وحَدَّثا عنه ، وعبد الغنى بن الحافظ أبى العلاء الهمدانى ، وأبو نجيح محمود بن أبى المرجا الأصبهانى الحنبلى ، وعبد الوهاب بن أبى حبسة ، ويحيى بن بوش .

وحَدّث عنه أيضاً : على بن المرحب البطائحى ، والمبارك بن الطباخ ، وابن الحريف ، وابن عساكر الحافظ . و بالإجازة أبو موسى المدينى ، وابن كليب .

وكان للقاضى أبى الحسين بيت فى داره بباب المراتب يبيت فيه وحده ، فعلم بعض من كان يخدمه و يترددُ إليه بأن له مالا ، فدخلوا عليه ليلا ، وأخذوا المال وقتلوه ، ليلة الجمعة ـ ليلة عاشوراء ـ سنة ست وعشرين وخمسمائة . وصلى عليه يوم السبت حادى عشر المحرم . ودُفِن عند أبيه بمقبرة باب حرب . وكان يوماً مشهوداً . وقدر الله ظهور قاتليه ، فقتلوا كلهم .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا

أبو على ضياء بن أحمد بن الحسن النجار ، أخبرنا القاضى أبو الحسين ابن القاضى أبى يعلى ، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن المأمون ، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، حدثنا جعفر بن سليمان عن أبى عمران الجونى عن أنس قال : « وقّت لنا فى قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة : أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة » أخرجه مسلم .

نقلت من خط القاضى أبى الحسين فى مفرداته فى الأصول : اختلفت الرواية عن أحمد هل يَصِح الاستثناء فى اليمين بالله ؟ فقال : مع انقطاع يمينه على روايتين .

إحداهما : يصح ، وإن كان منقطعاً ، وهى مذهب عبد الله بن عباس .

والرواية الثانية : لا يصح الاستثناء . اختارها الخرقى والوالد ، وبها قال أكثرهم .

وجه الأولى : أن النسخ والتخصيص يجوز أن يتأخرا ، فكذلك الاستثناء .

ووجه الثانية : أن الاستثناء يجرى مجرى الشرط ؛ لأنه إذا انفصل عما قبله لم يفد ألا ترى أنه إذا قال : اضرب زيداً أو أعطه درهما ، ثم قال بعد يوم : إذا قام أو أكل لم يفد ذلك ، ولم يكن شرطاً كذلك فى اليمين ؟ هذا لفظه بحروفه .

وهو ظاهر فى أن الرواية الأولى ، كما حكى عن ابن عباس من صحة الاستثناء فى اليمين ، وإن طال الفصل . ولا أعلم أحداً من الأصحاب حكى ذلك عن أحمد .

٧٩ – على بن الحسن الدوامى ، أبو الحسن الواعظ

تفقه على أبى الخطاب الكلوذانى ، وسمع منه الحديث .

توفى ليلة الجمعة خامس شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد . ودُفِنَ بمقبرة باب حرب .

٨٠ – محمد بن الحسين بن على بن إبراهيم بن عبد الله الشيبانى ، الحاجى ، المزْرَفى ، المقرئ ، الفرضى أبو بكر .

وُلد فى سابخ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وقيل : سنة أربعين .

وقرأ القرآن بالروايات على جماعة من أصحاب الحمامى ، منهم : أبو بكر ابن موسى الخياط ، وطاهر بن الحسين القواس .

وسمع من ابن المسلمة ، وابن المأمون ، والصريفينى ، وابن المهتدى ، وابن النقور ، والنهروانى ، وأبى الحسين العاصمى ، وابن البرى[1] ، وأبى الغنائم بن الدجاجى . وكتب بخطه كثيراً . وبرع فى القراءات وتفرد بعلم الفرائض وألف فيه .

وذكر ابن ناصر أنه كان مقرئ زمانه ، قرأ عليه القرآن جماعة ، منهم : أبو موسى المدينى الحافظ ، وعلىّ بن عساكر البطائحى .

وحدث عنه ابن ناصر ، وابن عساكر ، واليونارتى ، وأبو سعد بن أبى عصرون ، وابن الجوزى ، وجماعة آخرهم أبو الفتح الميْدانى ، ودرس عليه جماعة الفرائض والحساب .

قال أبو نصر اليونارتى فى معجمه . هو وحيدُ عصره فى خلقه ، وحسن قراءته .

قال ابن الجوزى : كان ثقة عالماً ثبتاً ، حسن العقيدة .

وقال ابن القطيعى : سمعت ابن الأخضر يقول : سمعت أبا محمد الخشاب يقول : قد سمعت من يحيى بن منده سنة ثمان وتسعين ، وحضر معى فى الطبقة أبو منصور الخياط المقرئ ، ولا أفرح بسماعى منه مثل ما أفرح بسماعى من المزرفى ، وذلك لأنه طلب الحديث بنفسه وفهم .

توفى يوم السبت مستهل سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجأة . وقيل : إنه توفى فى سجوده . ودفن بباب حرب .

« والمزرفى » نسبة إلى المزرفة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ولم يكن منها ،

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « ابن البسرى » وفى المخطوطة التى بأيدينا « ابن الزبعة » .

وإنما انتقل أبوه إليها أيام الفتنة ، فأقام بها مدة ، فلما رجع إلى بغداد قيل له : المزرفى .

أخبرنا أبو الفتح المصرى بها ، أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج ابن الجوزى ، أخبرنا أبو بكر المزرفى ـ سنة عشرين وخمسمائة ـ أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة ، أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهرى ، أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبى سهيل نافع بن مالك بن أبى عامر عن أبيه عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا ائتمن خَانَ » . أخرجاه عن قتيبة .

٨١ ـ علي بن عبيد الله بن نصر بن السرى .

كذا نسبه ابن شافع وابن الجوزى وغيرهما .

وقال ابن النجار : ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن السرى .

وقال ابن نقطة : نصر بن عبيد الله بن أبى السرى .

وقال ابن السمعانى : نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغوانى البغدادى ، الفقيه المحدث الواعظ ، أبو الحسن ، أحد أعيان المذهب .

وُلد سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى جمادى الأولى ـ فيما نظنه .

وقرأ القرآن بالروايات ، وطلب الحديث بنفسه ، وقرأ وكتب بخطه .

وسمع من أبى الغنائم بن المأمون ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى محمد الصَّرِيفينى وأبى الحسين بن النقور ، وأبى القاسم بن البسرى ، وأبى محمد بن عبد الله بن عطاء الهروى ، وجماعة آخرين . وقرأ الفقه على القاضى يعقوب البرزبينى ، وقرأ الكثير من كتب اللغة والنحو والفرائض . وكان متفنناً فى علوم شتى ، من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف فى ذلك كله .

قال ابن الجوزى : كان له فى كل فن من العلم حظ وافر ، ووعظ مدة طويلة .

قال : وصحبته زماناً ، فسمعتُ منه الحديث ، وعلقت عنه من الفقه والوعظ وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم يعظ بعد الصلاة . ويجلسُ يوم السبت أيضاً .

وذكر ابن ناصر : أنه كان فقيه الوقت فى الطبقة الثالثة عشرة . وكان مشهوراً بالصلاح والديانة والورَع والصيانة .

قال ابن السمعانى : سمعت أبا عبد الله حامد بن أبى الفتح المدينى يقول : سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الله بن الزاغونى ـ يعنى: أخا أبى الحسن هذا ـ يقول: ذكر بعضُ الناس ممن يوثق بهم : أنه رأى فى المنام ثلاثه ، يقول واحد منهم : أخسف ، وواحد يقول : أغرق ، وواحد يقول : أطبق ـ يعنى : البلد ـ فأجاب أحدهم : لا ؛ لأن بالقرب منا ثلاثة : أبو الحسن بن الزاغونى ، والثانى أحمد بن الطلاية ، والثالث محمد بن فلان من الحربية .

ولابن الزاغونى تصانيف كثيرة ، منها : فى الفقه : « الإقناع » فى مجلد ، و « الواضح » و « الخلاف الكبير » و « المفردات » فى مجلدين ، وهى مائة مسألة . وله مصنف فى الفرائض يسمى « التلخيص » وجزء فى « عويص المسائل الحسابية » ومصنف فى « الدور والوصايا » . وله « الإيضاح فى أصول الدين » مجلد ، و « غرر البيان فى أصول الفقه » مجلدات عدة . وله ديوان خطب أنشأها ، ومجالس فى الوعظ وله تاريخ على السنين من أول ولاية المسترشد إلى حين وفاته هو ، ومناسك الحج ، وفتاوى ، ومسائل فى القرآن والفتاوى الرجعية ، وجزء فى تصحيح حديث الأَطيط ، سدره فى المستحيل وسماع الموتى فى قبورهم .

وكان ثقة صدوقا ، صحيح السماع . حَدَّثَ بالكثير .

وروى عنه ابن ناصر ، وأبو المعمر الأنصارى ، وابن عساكر ، وابن الجوزى ، وعمر بن طبرزد ، وغيرهم .

وتفقه عليه جماعة ، منهم : صدقة بن الحسين ، وابن الجوزى .

توفى يوم الأحد سادس عشر محرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وصُلى عليه يوم الإثنين بجامع القصر وجامع المنصور . ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، بباب حرب . وكان له جمع عظيم يفوت الإحصاء رحمه الله تعالى .

هذا الذى ذكرناه فى تاريخ وفاته هو الذى ذكره صدقة بن الحسين . نقله عنه ابن النجار .

وذكره ابن السمعانى عن ابن عساكر ، وغيره .

والذى ذكره ابن شافع وابن الجوزى فى عدة مواضع وابن نقطة : أنه توفى يوم الأحد بعد الظهر سابع عشر محرم . والأول أصح ؛ فإن ابن شافع وابن الجوزى وافقا على أن وفاة المزرفى ـ المذكور قبله ـ كانت يوم السبت مستهل محرم . ومتى كان السبت مستهل محرم ، فالأحد سادس عشرة ، لاسابع عشرة . وقد علق ابن الجوزى فى جزء وفاة ابن الزاغونى ، فقال : فى الأحد سادس عشر محرم ، على الصواب .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بفسطاط مصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج بن الجوزى ، أخبرنا أبو الحسين بن الزاغونى ، أخبرنا أبو الحسين بن النقور . أخبرنا عيسى بن على بن الجراح ، حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا نعيم بن الهيضم ، حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله « أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم ، فقالوا : ماعندنا إلا خل . فدعا به ، فجعل يأكل ، ويقول : نعمَ الأدمُ الخَلّ ـ مرتين » تفرّد به مسلم ، فرواه عن يحيى بن يحيى عن أبى عوانة .

ذكر ابن الزاغونى فى مناسكه : أن رمى الجمار أيام منى ، ورمى جمرة العقبة يوم النحر يجوز قبل الزوال وبعده ، والأفضل بعده . ولهذا لم يوافقه عليه أحد فيما أعلم . وهو ضعيف مخالف للسنة فى رَمى جمرة العقبة يوم النحر .

وحكى فى الإقناع رواية عن أحمد : أنه إذا اتخذ عصيراً للخمر ، فانقلبت خلاً لم تطهره ؛ لأن اتخاذه كان محرماً

وحكى فيه رواية عن أحمد : أنه لاينتقض عهد أهل الذمة بشيء غير منع الجزية .

وقال فيه : المشهور من المذهب أن السم نجس ، وفى المذهب ما يحتمل أنه ليس ينجس ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم أكل من الذراع المسمومة .

وذكر فيه : أن المتوفى عنها زوجها لا يلزمها المقام فى منزل الوفاة ، إلا إذا تبرع لها الورثة بالسكنى ، ولا يلزمها فيما عدا ذلك ، حتى لو كان المنزل ملكاً لها لم يلزمها المقام فيه .

وحكى فيه رواية : أن البائن تجب لها السكنى والنفقة ، وإن كانت حاملا[1]

وذكر فيه : أن الحامل المتوفى عنها زوجها تجب لها النفقة والسكنى إن قلنا : إن النفقة للحمل، كما لو كان الأب حياً . ولم أعلم أحداً من الأصحاب بنى رواية وجوب النفقة والسكنى لها على هذا الأصل ، ولا جعلها من فوائد الخلاف فى أن النفقة : هل هى للحمل أو للحامل ؟ فإن نفقة الأقارب تسقط بالموت ، فكيف تجب نفقة الحمل من التركة ؟ .

وحكى فى باب نفقة الزوجات فى ثمن ماء الغسل والسدر والمشط والدهن الطيب وما أشبه ذلك وجهين .

أحدهما : أنه عليها؛ لأن به يحصل التمكين من الاستمتاع .

والثانى : هو عليه ، وشبهه بالقوت وتوابعه ، ولا أعلم أحداً من الأصحاب ألزم الزوج ثمن الطيب مطلقاً ، ولا حكى فى لزوم ثمن البواقى خلافاً ، سوى ماء الغسل الواجب .

وقال أيضاً ، فى نفقة الأقارب : إذا كان بعض ورثة الفقير موسراً ، وبعضهم مُعسراً : فإن كان الفقير أباً أو أماً لزم الموسر كمال النفقة عليه ، وإن كان جداً أو جدة فوجهان . وأما سائر الورثة : فلا تلزم الموسر منهم النفقة إلا بقدر حصته من الميراث . وهذا تفصيل غريب

(١) فى المخطوطة التى بأيدينا « حائلا » .

وحكى فيه رواية عن أحمد : أنه لايجوز تقديم الكفارة على الحنث إذا كان صوماً ، و يجوز بالمال .

وذكر فيه : أن نذر اللجاج والغضب نذر صحيح يلزم الوفاء به ، وهذا لايعرف فى المذهب ، لكن قد قيل : إنه وقع فى كلام ابن أبى موسى مايوهمه .

وذكر فيه أيضاً : أن المستأمن إذا دخل دار الإسلام بتجارة أخذ منه الخمس ، وأن الذمى إذا اتجر فى دار الإسلام فى غير بلده أُخذ منه العشر . وهو غريب مخالف لنصوص أحمد وقول الأصحاب ، والمأثور عن عمر رضى الله عنه

٨٢ — محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن الفراء ، الفقيه، الزاهد ، أبو خازم بن القاضى الإمام أبى يعلى . وأخو القاضى أبى الحسين المتقدم ذكره .

وُلد فى صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة

وسمع الحديث من أبى جعفر بن المسلمة ، وابن المأمون ، وجابر بن ياسين .

وذكر ابن نقطة : أنه حدث عن أبيه القاضى أبى يعلى، وما أظنه إلا بالإجازة؛ فإنه وُلد قبل موت والده بسنة .

وقد ذكر أخوه القاضي أبو الحسين : أن والده أجاز له ولأخيه أبى خازم ، وقرأ الفقه على القاضي يعقوب ولازمه ، وعلق عنه وبرع فى معرفة المذهب والخلاف والأصول .

وصنف تصانيف مفيدة ، وله كتاب « التبصرة » فى الخلاف وكتاب « رءوس المسائل » ، وشرح مختصر الخرقى ، وغير ذلك .

وكان من الفقهاء الزاهدين ، والأخيار الصالحين . وحدث وسمع منه جماعة وروَى عنه ابنته نعمة ، وأبو المعمر الأنصارى ، ويحيى بن بوش .

وتوفى يوم الإثنين تاسع عشرين صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وصُلِّىَ عليه يوم الثلاثاء مستهل ربيع الأول بجامع القصر . وكان يومه يوماً مشهوداً .

ودفن بداره بباب الأزج ، ثم نقل فى سنة أربع وثلاثين إلى مقبرة الإمام أحمد ، فدُفِن عند أبيه . رحمهما الله تعالى .

و «أبو خازم» بالخاء والزاى المعجمتين .

نقلت من خط ابن الصيرفى الحرانى ، مسألة : إذا حلق شار به بحيث إنه لا ينبت . فقال ابن أبى موسى : تجب فيه حُكُومة ، وقال القاضى أبو خازم ابن القاضى أبى يعلى : يتوجَّهُ أن لا يجب فيه لأنه مأمور بحقّه . قال : ويتوجه أن يجب إذا كان شاباً دون الشيخ ؛ لما روى عن قتادة أنه قال : من الشيخ سُنَّة ، ومن الشابِّ مُثْلة ـ يعنى : حلق الشارب .

٨٣ ـ عبد الله بن المبارك ويعرف بعسكرِ بن الحسن العكبرى ، المقرىء ، الفقيه أبو محمد ، ويُعرف بابن نيال .

سمع من أبى نصر الزينبى ، وأبى الغنائم بن أبى عثمان ، وأبى الحسين العاصمى وغيرهم . وتفقه على أبى الوفاء بن عقيل ، وأبى سعد البردانى . وكان يصحب شافعاً الحنبلىّ ، فأشار عليه بشراء كتب ابنِ عقيلٍ ، فباع ملكاً له واشترى بثمنه كتاب الفنون ، وكتاب الفصول ، ووقفها على المسلمين . وكان خيراً مِن أهل السنة ، وحَدَّث .

وتوفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرين جُمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصلى عليه أبو محمد المقرىء الزاهد من الغد بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد عن نيف وسبعين سنة . رحمه الله تعالى .

٨٤ ـ عبد الواحد بن شنيف بن محمد بن عبدالواحد الديلمى ، البغدادى الفقيه أبو الفرج .

أحد أكابر الفقهاء . تفقه على أبى على البردانى وبَرَع . وكان مناظراً مجوداً ، وأميناً من قبل القضاة ، وباشر بعض الولايات ، وله دنيا واسعة . وكان ذا فطنة وشجاعة وقوة قلب وعفةٍ ونزاهةٍ وأمانةٍ .

قال ابن النجار : كان مشهوراً بالديانة وحسن الطريقة ، ولم يكن له رواية في الحديث .

قال ابن الجوزي : حدثني أبو الحسن بن عربية[1] قال : كان تحت يده — يعني : ابن شنيف — مال لصبي ، وكان قد قبض بعض المال ، وللصبي فهم وفطنة ، فكتب الصبي جملة التركة عنده ، وأثبت ما يأخذ من الشيخ . فلما مرض الشيخ أحضر الصبي وقال له : أي شيء لك عندي ؟ فقال : والله ما لي عندك شيء ؛ لأن تركتي وصلت إليّ بحساب محسوب . فأخرج الشيخ سبعين ديناراً وقال : خذ هذه ، فهي لك ؛ فإني كنت أشتري لك بشيء من مالك وأعود فأبيعه ، فحصل لك هذا .

قال : وحدثني أبو الحسن قال : توفي رجل حشري بدارِ القز . وكان أبو العباس ابن الرطبي يتولى التركات . فكتب إلى الشيخ عبد الواحد يتولى تركة فلان ، فحضر وأعطى زوجته حقها ، وأعطى الباقي ذوي أرحامه ، وكتب بذلك إليه . فكتب ابن الرطبي مع مكتوبه إليه رقعة إلى المسترشد يخبره بما صنع ، وأنه وَرَّث ذوي الأرحام . فكتب : نعم ، ما فعل إذا عمل بمذهبه ، وإنما الذنب لمن استعمل في هذا حَنْبلياً . وقد علم مذهبه في ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادي عشرين شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصلّى عليه الشيخ عبد القادر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه .

٨٥ — ثابت بن منصور بن المبارك الكيلي ، المقرئ المحدّث ، أبو العز .

سمع من أبي محمد التميمي ، وأبي الغنائم بن أبي عثمان ، وغانم بن الحسين وطبرزد ، ونصر بن البطر ، والحسين بن طلحة وخلق كثير . وعني بالحديث .

وسمع الكثير ، وكتب الكثير . وخَرَّج تخاريج لنفسه عن شيوخه في فنون ، وحَدَّث وسمع منه جماعة .

(١) في خطية الإدارة الثقافية وفي المخطوطة بأيدينا « ابن غربية » .

وروى عنه السلفى ، والمبارك بن أحمد الأنصارى ، وأبو الفرج الجوزى وغيرهم .

وقال أبو الفرج : كان ديناً ، ثقة ، صحيح الإسناد . ووقف كتبه قبل موته .

وقال السلفى عنه : فقيه على مذهب أحمد . كتب كثيراً ، وسمع معنا وقبلنا على شيوخ . وكان ثقة وعر الأخلاق .

وقال ابن السمعانى : سألتُ ابن ناصر عنه ؟ فقال : صحيح السماع ، ما كان يعرف شيئاً .

وتوفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقيل : سنة ثمان .

قال ابن النجار : قرأت بخط يحيى بن الطَراح : أن ثابتاً توفى يوم الإثنين سابع عشر ذى الحجّة سنة ثمان وعشرين . ودفنَ يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله تعالى. ورأيت جماعة من المحدثين وغيرهم قد نعتوه فى طابق السماع بالإمام الحافظ رحمه الله .

وهو منسوب إلى « كيل » : قرية على شاطىء دجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلى طريق واسط ، ويقال لها : « جيل » أيضاً .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزى ، أخبرنا أبو العز ثابت بن منصور الكيلى بقراءة شيخنا ابن ناصر عليه ، أخبرنا أبو القاسم الفضل بن أبى حرب ، أخبرنا أحمد بن محمد الجرجانى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادى ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال : شهدتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن أبى خالد بن عبد الله بن أسيد فى هذا المسجد ـ يعنى : مسجد البصرة ـ قال : وجاء الحسن ، فجلس إليه قال : فحدث قال : حَدَّثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

ثوران مُـكَوَّرانِ فى النَّار يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال : فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فسكت الحسن .

٨٦ – على بن أبى القاسم بن أبى زرعة الطبرى ،المقرىء ، المحدّث الزاهد أبو الحسن .

منِ أهل آمل طبرستان . ذكره ابن السمعانى ، فقال : شيخ صالح خيّر دين كثير العبادة والذكر، مستعمل للسنن ، مبالغ فيها جهده . وكان مشهورًا بالزهد والديانة . رحل بنفسه فى طلب الحديث إلى أصبهان ، وسَمِع بها جماعة من أصحاب أبى نعيم الحافظ ، كأبى سعد المطرز ، وأبى على الحداد ، وغيرهما .

وسمع ببلده آمل من أبى المحاسن الرويانى الفقيه ، وأبى بكر بن الخطاب الاخبارى قال : وكتب لى الإجازة ولم أره ، ثم روى حديثاً عن رجل عنـه . ثم قال : توفى بالعُسَيْلَةِ بعد فراغه من الحج والعمرة والزيارة فى المحرّم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة . ودُفن بها . وصلى عليه أبو زيد البصرى الخطيب رحمه الله تعالى.

٨٧ – أحمد بن على بن عبد الله بن الأَبرادى البغدادى ، الفقيه ، الزاهد أبو البركات .

سَمِع من أبى الغنائم بن أبى عثمان ، وأبى الحسن بن الاخضر الانبارى ، وأبى الحسن بن النحاس ، وأبى القاسم بن فهد العلاف وغيرهم . وقرأ الفقه على ابن عقيل، وصحب الفاعوسَ وغيره من الصالحين . وتعبد ووقف دارًا له بالبدرية شرق بغداد على أصحابنا مدرسة . وحَدث وسمع منه جماعة .

وروى عنه أبو المعمر الأنصارى ، وأبو القاسم بن عساكر .

وتوفى ليلة الخميس ثانى عشر رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . ودُفِن بباب أبرز .

قال ابن النجار : قرأته فى تاريخ ابن شافع بخطه . والذى رأيت فى تاريخ مختصر ابن شافع لابن نقطة : فى هذه السنة وفاة أبى الحسن محمد بن أبى البركات أحمد بن الأبرادى . وقد تابعه على ذلك ابن الجوزى فى تاريخه ، وترجماه بترجمة أبى البركات . وهو وهم . وسنذكر ابنه أبا الحسن فى موضعه إن شاء الله تعالى .

٨٨ - يحيى بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء ، أبو عبد الله ابن الإمام أبى على المتقدم ذكره ، وأخو أبى نصر المتقدم ذكره أيضاً .

ولد يوم الجمعة رابع عشرين ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وبكر به أبوه فى السماع ، فسمع من أبى الحسين بن المهتدى ، وابن الأبنوسى وابن النقور ، وأبى الغنائم ، وجابر بن ياسين ، ووالده أبى على بن البناء ، وغيرهم وحدث وروى عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن عساكر ، وابن الجوزى ، وابن بوش .

وروى عنه ابن السمعانى إجازة ، وقال : كان شيخاً صالحاً حسن السيرة واسع الرواية حسن الأخلاق متودداً متواضعاً ، براً لطيفاً بالطلبة ، مشفقاً عليهم .

قال : وسمعت أبا محمد عبد الله بن عيسى بن أبى حبيب الأندلسى الحافظ قاضى اشبيلية يثنى عليه كثيراً ، ويمدحه ويطريه ، ويصفه بالعلم والتميز والفضل وحسن الأخلاق ، وعمارة المسجد . وقال : ما رأيت ببغداد فى الحنابلة مثله .

قال : وكان شيخنا أبو شجاع البسطامى كثير الثناء عليه ، يصفه بالخير والصلاح والعلم . وكذلك كل من رأيته ممن سمع منه وأخذ عنه كان يثنى عليه ويمدحه .

وتوفى ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . ودفن صبيحة يوم الجمعة بمقبرة الإمام أحمد .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى بالفسطاط ، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ ، أخبرنا يحيى بن أبى على

البناء بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر ، أخبرنا أبو الحسين بن محمد بن على بن المهتدى ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر السوسنجردى ، حدثنا محمد بن عمرو بن البحترى ، حدثنا أحمد بن عبدالجبارالعطاردى ، حدثنا أبومعاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

٨٩ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الدّينورى البغدادى الفقيه ، الإمام أبو بكر ابن أبي الفتح .

أحد الفقهاء الأعيان ، وأئمة أهل المذهب .

سمع الحديث من أبي محمد التميمى ، وجعفر السراج وغَيرهما . وتَفقه على أبي الخطاب وَبَرَع فى الفقه . وتقدم فى المناظرة على أبناء جنسه ، حتى كان أسعد الميهنى شيخ الشافعية يقول : ما اعترض أبو بكر الدينورى على دليل أحد إلا ثلم فيه ثلمة .

وله تصانيف فى المذهب ، منها : كتاب « التحقيق فى مسائل التعليق » وتخرج به أئمة ، منهم : أبو الفتح بن المنى ، والوزير ابن هبيرة .

قال ابن الجوزى : حَضَرتُ دَرْسَه بعد موت شيخنا ابن الزاغونى نحواً من أربع سنين .

قال وأنشدنى :

تمنيت أَنْ تمسى فقيهاً مناظراً   بغير عناء ، والجنون فُنُون
وليس اكتساب المال دون مشقةٍ   تلقيتها ، فالعِلمُ كيف يكون ؟

قال: وحدثنى قال: كنت أتفقه على شيخنا أبي الخطاب . وكنت فى بدايتى أجلس فى آخر الحلقة ، والناس فيها على مراتبهم ، فجرى بينى و بين رجل كان يجلس قريباً من الشيخ بينى و بينه رَجُلان أو ثلاثة كلام . فلما كان فى الثانى جلست فى مجاسى على عادتى فى آخر الحلقة ، فجاء ذلك الرجل ، فجلس إلى

جانبي ، فقال له الشيخ : لم تركتَ مكانك ؟ فقال : أترك مثل هـذا ، فأجلسُ معهَ يُزرِي عليّ . فوالله مامضى إلا قليل حتى تقدمت فى الفقه ، وقويت معرفتى به ، فصرت أجلس إلى جانب الشيخ ، و بينى و بين ذلك الرُجل رجال .

قال ابن الجوزى : وكان يرق عند ذكر الصالحين ، ويبكى ويقول : للعلماء عند الله قدر ، فلعلّ الله أن يجعلنى منهم .

توفى يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . ودُفن عند رجل أبى منصور الخياط ، قريباً من قبر الإمام أحمد رضى الله عنه .

وقيل : إنه لم يُشيِّعهُ إلاَّ عدد يسير. رحمه الله تعالى .

قال أبو البقاء بن طبرزد : كنتُ يوم مَوته عند القاضى أبى بكر بن عبد الباقى ، فخبر بذلك ، فقال : لا إله إلا الله ، موت الأقران هَدّ الأركان . وقال : إذا رأيت أخاك يحلق فبلّ أنت .

ومن غرائب أبى بكر الدينورى : أنه خرّج رواية عن أحمد : أنه من اشتَبهتْ عليه القبلة لزمهُ أن يصلى أربع صلوات إلى أربع جهات ، وقد قيل : إنه قول مخالف للإجماع .

وحكى ابن تميم عنه : أنه ذكر وجهاً أن باطن اللحية الكثة فى الغسل كالوضوء .

قال ابن الجوزى فى كتاب « تلبيس إبليس » : كنتُ أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى فى زَمن الصّبا فكنت ـ يعنى : إذا دخلتُ مَعه فى الصلاة وقد بقى فى الركعة يسير ـ أستفتح وأستعيذ ، فيركع قبل أن أقرأ ، فقال لى : يابُنيّ ، إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلفَ الإمام ، ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة . فاشتغل بالواجب ودع السُّنَّة .

٩٠ ـ محمد بن محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذانى الفقيه أبو جعفر بن الإمام أبوا الخطاب ، المتقدم ذكره .

وُلد سنة خمسمائة ، فيما ذكره أبو الحسن بن القطيعى فى تاريخه عن ابن أخيه محفوظ بن أحمد بن محفوظ .

قال ابن القطيعى . وتفقه على أبيه و برَع فى الفقه .

قلتُ : هذا محال ؛ فإنَّ عمره يوم مات أبوه ـ على ماذكر فى مولده ـ يكون عشر سنين ، فكيف تفقه عليه و برع ؟ .

قال : وصنف كتاباً سماه « الفريد » وهو عندى بخطه ، ثم ساق منه حديثاً وحكايات وأشعاراً .

قال : وتوفى ـ فيما ذكره لى ابن أخيه ـ فى سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . ودُفن بمقبرة باب حرب .

قلتُ : وفى تاريخ ابن شافع : أنه توفى ليلة الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين . ودُفن فى منزله بباب الأزج . ورأيت فى تاريخ القضاة لابن المندائى : أن المتوفى فى هذه السنة هو أبو الفرج أحمد بن الإمام أبى الخطاب . وكان من المعدلين ببغداد ، وأن وفاته يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين . ودُفن بمقبرة باب حرب عند أبيه .

٩١ ـ محمد بن عبد الباقى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك ـ أحد الثلاثة الذين خلفوا ، ثم تاب الله عليهم ـ الأنصارى الكعبى البغدادىَ البصرى البزاز[(١)] الفرضى ، القاضى أبو بكر بن أبى طاهر ، و يعرف بقاضى المارستان

كان والده أبو طاهر عبد الباقى ـ و يعرف بصهر هبة المقرىء ، وكان من أكابر أهل بغداد والملازمين للقاضى أبى يعلى ـ شيخاً صالحاً محدثاً ، معدلاً . سمع الحديث وحدَّث .

وتوفى فى صفر سنة إحدى وستينَ وأربعمائة .

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية وفى المخطوطة بأيدينا « البزار »

وأما ولده أبو بكر هذا : فَوُلِدَ يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة . وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين . وَحَضر على أبى إسحاق البرمكى سنة خمس وأربعين .

وسمع من أخيه أبى الحسن على ، والقاضى أبى الطيب الطبرى وأبى طالب العشارى ، وأبى الحسن الباقلانى(١) ، وأبى محمد الجوهرى ، وأبى القاسم عمر بن الحسين الخفاف ، وأبى الحسين بن حسنون ، وأبى على بن غالب ، وأبى الحسين ابن الأبنوسى ، وأبى الحسن بن أبى طالب المكى ، وأبى الفضل ابن المأمون ، وتفرد بالرواية عن هؤلاء كلهم . وسمع من خلقٍ آخرين .

وسمع بمكة من أبى معشرٍ وغيره ، وبمصر من أبى إسحاق الحبال . وقد خرجت له مشيخة عن شيوخه فى خمسة أجزاء سمعتُها بالقاهرة . وكانت له إجازة من أبى القاسم التنوخي ، وابن شيطا ، والقضاعى مُصَنف الشهاب .

وتفقه فى صباه على القاضى أبى يعلى ، وقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة ، وبرع فى ذلك ، وله فيه تصانيف . وشهد عند قاضى القضاة أبى الحسن ابن الدامغانى وتفنن فى علوم كثيرة .

قال ابن السمعانى : عارف بالعلوم متفنن ، حسن الكلام ، حُلو المنطق ، مليح المحاورة . ما رأيت أجمع للفنون منه نظر فى كل علمٍ . وسمعته يقول : تبت من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه .

قال : وكان سريع النسخ حسن القراءة للحديث ، سمعته يقول : ماضيعت ساعة من عمرى فى لهو أو لعب .

قال : وسمعته يقول : أسرتنى الروم ، وبقيت فى الأسر سنة ونصفاً ، وكان خمسة أشهر الغلّ فى عنقى ، والسلاسل على يدى ورجلى . وكانوا يقولون لى : قل : المسيح ابن الله ، حتى نفعل ونصنع فى حقك ، فامتنعتُ وما قلت . قال: ووقعت أن

(١) فى خطية الإدارة الثقافية والمخطوطة بأيدينا « الباقلاوى »

حبست كان ثَمَّ معلم يعلم الصبيان الخط بالرومية ، فتعلمت فى الحبس الخط الرومى .

وسمعته يقول : حفظتُ القرآن ولى سبع سنين ، وما من علم فى عالم الله إلا وقد نظرتُ فيه ، وحصلت منه كله أو بعضه ، وتفرد فى الدنيا بعلو الإسناد ورحل إليه المحدثون من البلاد .

قال ابن الجوزى : كان حسن الصورة ، حلو المنطق ، مليح المعاشرة ، كان يُصلى فى جامع المنصور ، فيجىء فى بعض الأيام ، فيقف وراء مجلسى وأنا على منبر الوعظ فيسلّم عليّ . وأملى الحديث فى جامع القصر باستملاء شيخنا ابن ناصر ، وقرأت عليه الكثير . وكان ثقة فهماً ، ثبتاً حجة ، متفنناً فى علوم كثيرة ، منفرداً فى علم الفرائض .

وكان يَقُول : ما أعلم أنى ضيَّعت من عُمرى شيئاً فى لَهوٍ أو لعب ، وما من علم إلا وقد حصلت بعضه أو كله . وكان قد سافر فوقع فى أيدى الروم ، فبقى فى أسرهم سنة ونصفاً ، وقيَّدوه وجعلوا الغل فى عنقه ، وأرادوا منه أن ينطق بكلمة الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم الخط الرومى .

قال: وسِمعته يقول : يجب على المعلم أن لايعنّف ، وعلى المتعلم أن لا يأنف .

وسمعته يقول : من خدم المحابر خدمته المنابر .

قال : وأنشدنى :

لى مدّة لا بُدّ أبْلُغُهَا   فإذا انقضَتْ وتَصرّمَتْ مُتُّ
لو عَاندتنى الأسدُ ضارية   ماضرّنى ما لم يجىء الوقتُ

قال: ذُكر لنا أنّ منجمين حَضَرا حين وُلد ، فأجمعا أن عمره اثنتان وخمسون سنة . قال : وها أنا قد جاوزت التسعين .

قال : ورأيته بعد ثلاث وتسعين صحيح الحواس ، لم يتغير منها شىء ، ثابت العقل ، يقرأ الخط الدقيق من بُعد . ودخلنا عليه قبل موته بمدَيدة ، فقال : قد نزلت فى أذنى مادة ، فقرأ علينا من حديثه ، وبقى على هذا نحواً من شهرين ،

ثم زال ذلك، وعاد إلى الصحة ، ثم مرض فأوصى أن يعمق قبره زيادة على ما جرت به العادة ، وقال: لأنه إذا حفر ما جرت به العادة لم يصلوا إلي، وأن يكتب على قبره (٣٨ : ٦٨ ، ٦٩ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) وبقى ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القرآن ، إلى أن توفى يوم الأربعاء قبل الظهر ثانى رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وصلى عليه بجامع المنصور . وحضر قاضى القضاة الزينبى ، ووجوه الناس وشيعناه إلى مقبرة باب حرب ، فدُفن إلى جانب أبيه ، قريباً من بشر الحافى رضى الله عنه .

قلتُ : وحدّث القاضى أبو بكر بالكثير من حديثه ، وسمع منه الأئمة الحفاظ وغيرهم ، وأثنوا عليه .

قال ابن الخشاب عنه : كان مع تفرده بعلم الحساب والفرائض ، وافتنانه فى علوم عديدة ، صدوقاً ، ثبتاً فى الرواية ، متحرياً فيها .

وقال ابن ناصر عنه : كان إماماً فى الفرائض والحساب ، وهو آخر من حدث عن البرمكى ، وذكر جماعة .

وكان سماعه صحيحاً ، ومتعه الله بعقله وسمعه وبصره وجوارحه إلى حين وفاته . ولم يخلف بعده من يقوم مقامه فى علمه . وكان قد خرجت له مجالس سنة ثمان عشرة ، فأملاها بالجامع من دار الخليفة .

وقال ابن شافع : سمعتُ ابن الخشاب يقول : سمعتُ قاضى المارستان يقول: قد نظرتُ فى كل علم حصلت منه بعضه أو كله ، إلا هذا النحو فإنى قليل البضاعة فيه .

قال ابن شافع : وما رأيت أبا محمد ـ يعنى : ابن الخشاب ـ يعظم أحداً من مشايخه تعظيمه له . وكان أبو القاسم بن السمرقندى يقول : ما بقى مثله ويطريه فى الثناء .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم ، أخبرنا الحافظان : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ، وأبو محمد ابن عبد العزيز بن محمود بن الأخضر ، وأبو أحمد بن عبد الوهاب بن على بن سكينة وغيرهم ح وأخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقى بها ـ غير مرة ـ أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم التنوخى ، وأبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثى وأبو الفرج عبد الرحمن بن أبى عمر المقدسى ، وأبو الغنائم المسلم بن محمد بن علان وغيرهم ، قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندى . زاد الأولان : وأبو البركات عبد اللطيف بن إسماعيل الصوفى ، وزاد الأول وحده : وأحمد بن تُرْمش البغدادى . قالوا كلهم : أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الباقى البزاز ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكى ـ حضوراً ـ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البزار ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا حميد عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : « مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار » :

أنبئت عن يوسف بن خليل الحافظ قال : أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الله بن أبى الفوارس محمد بن على بن حسن الخزاز الصوفى البغدادى ببغداد قال : سمعتُ القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزاز الأنصارى يقول : كنتُ مجاوراً بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فأصابنى يوماً من الأيام جوع شديد لم أجِد شيئاً أدفع به عنى الجوع ، فوجدتُ كيساً من إبريسم مشدوداً بشرابة من إبريسم أيضاً فأخذته وجئت به إلى بيتى ، فحللته فوجدتُ فيه عقداً من لؤلؤ لم أر مثله ، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادى عليه ، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول : هذا لمن يَرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ ، فقلت : أنا محتاج ، وأنا جائع ، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به ، وأرد عليه الكيس ، فقُلت له : تعالى إلىّ ، فأخذته وجئت به إلى بيتى ، فأعطانى علامة الكيس ، وعلامة الشرابة ، وعلامة اللؤلؤ

وَعَدَده ، والخيط الذى هو مَشْدُود به ، فأخرجته ودفعته إليه . فسلم إلىّ خمسمائة دينار، فما أخذتها ، وقلت : يجب علىّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لى : لابد أن تأخذ . وألح على كثيراً ، فلم أقبل ذلك منه ، فتركنى ومضى .

وأما ما كان منى : فإنى خرجتُ من مكة وركبتُ البحر ، فانكسر المركب وغرق الناس ، وهلكت أموالهم ، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب ، فبقيت مُدّةً فى البحر لا أدرى أين أذهب ، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم ، فقعدتُ فى بعض المساجد ، فسمعونى أقرأ ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىّ وقال : علمنى القرآن . فحصل لى من أولئك القوم شيء كثير من المال .

قال : ثم إنى رأيتُ فى ذلك المسجد أوراقاً من مصحف ، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لى : تحسن تكتب ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : علّمنا الخط ، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب ، فكنتُ أعلمهم ، فحصل لى أيضاً من ذلك شيء كثير فقالوا لى بعد ذلك : عندنا صبيةٌ يتيمة ، ولها شيء من الدُنيا نريد أن تتزوج بها ، فامتنعتُ ، فقالوا : لابد ، وألزمونى ، فأجبتهم إلى ذلك .

فلما زفوها إلىّ مددتُ عينى أنظر إليها ، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا فى عنقها ، فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه . فقالوا : يا شيخ ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها ، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير ، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة ، فقلتُ : ما بكم ؟ فقالوا : ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية ، وكان يقول: ما وجدتُ فى الدنيا مسلماً إلا هذا الذى رد على هذا العقد ، وكان يدعو ويقول : اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى ، والآن قد حصلت ، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ منها بولدين .

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى ، ثم مات الولدان فحصل العقد لى فبعته بمائة ألف دينار . وهذا المال الذى ترون معى من بقايا ذلك المال . هكذا ساق هذه الحكاية يوسف بن خليل الحافظ فى معجمه .

وساقها ابن النجار فى تاريخه ، وقال : هى حكاية عجيبة . وأظن القاضى حكاها عن غيره . وقد ذكرها أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى تاريخه فى ترجمة أبى الوفاء بن عقيل .

وذكر عن ابن عقيل : أنه حكى عن نفسه : أنه حج ، فالتقط العقد ورده بالموسم ، ولم يأخذ ما بذل له من الدنانير ، ثم قدم الشام ، وزار بيت المقدس ، ثم رجع إلى دمشق ، واجتاز بحلب فى رجوعه إلى بغداد ، وأنَّ تزوجه بالبنت كان بحلب . ولكن أبا المظفر ليس بحجة فيما ينقله ، ولم يذكر للحكاية إسناداً متصلا إلى ابن عقيل ، ولا عزاها إلى كتاب معروف ، ولا يعلم قدوم ابن عقيل إلى الشام ، فنِسبتُها إلى القاضى أبى بكر الأنصارى أنسب . والله أعلم .

وقد تضمنت هذه القصة : أنه لا يجوز قبول الهدية على رد الأمانات ؛ لأنه يجب عليه ردها بغير عوض ، وهذا إذا كان لم يلتقطها بِنِيَّة أخذ الجُعْل المشروط وقد نص أحمد رضى الله عنه على مثل ذلك فى الوديعة ، وأنه لا يجوز لمن ردها إلى صاحبها قبولُ هديته إلا بنية المكافأة .

٩٢ - عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازى ، ثم الدمشقى ، المعروف بابن الحنبلى ، الفقيه الواعظ المفسِّر ، شرف الإسلام أبو القاسم .

كذا كناه ابن القلانسى فى تاريخه . وكناه المنذرى وغيره : أبا البركات ابن شيخ الإسلام أبى الفرج الزاهد ـ المتقدم ذكره ـ شيخ الحنابلة بالشام فى وقته

توفى والده وهو صغير فاشتغل بنفسه ، وتفقه وبرع ، وناظر وأفتى ، ودرس الفقه والتفسير ووعظ ، واشتغل عليه خلق كثير . وكان فقيهاً بارعاً ، وواعظاً فصيحاً ، وصدراً معظماً ، ذا حُرمةٍ وحشمةٍ وسؤددٍ ورئاسة ، ووجاهةٍ وَجَلالة وهيبة .

ولما ورد الفرنج إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، أرسله صاحب دمشق إلى الخليفة المسترشد ببغداد ليستنجدهم على الفرنج ، فخلع عليه ووَعَده بالإنجاد .

وكان له بجامع دمشق مجلس يعقده للوعظ ، وقيل : إنه منع منه بسبب الفتن .

قال ابن السمعانى : سمعتُ أبا الحجاج يُوسف بن محمد بن مقلد التنوخى الدمشقى ـ مذاكرة ـ يقول : سمعتُ الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أبى الفرج الحنبلى الدمشقى ـ بدمشق ـ ينشد على الكرسى فى جامعها ، وقد طاب وقته :

سَيِّدِى عَلِّلِ الفُؤَاد العَليلا وَأَحْيِنى قَبْل أن ترانى قتيلا
إن تكن عَازماً على القبض روحى فَتَرَفَّق بها قَليلاً قَليلاً

قرأت بخط حفيده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال : حكى لنا الفصيح الحنفى قال: احتجت ، فأشار علىّ بعضُ الناس أن أقوم فى مجلس شرف الإسلام فأمتدحه بقصيد شعر . قال : ففعَلتُ ، فرمى علىّ الشيخُ منديلاً كان فى يده ، فخلع على جماعة أصحابه ثياباً كثيرة ، ونثروا علىّ ، فخرجتُ من المجلس ومعى جمال تحمل الخلع . فبلغ ذلك البرهان البلخى شيخ الحنفية ، فشكانى إلى والدى ، فقلتُ : كنت محتاجاً ، ورحت إلى رجلٍ أغنانى ، فاسكتوا عنى وإلا رُحتُ إليه بُكرةً .

قال ناصح الدين : وكان وجيه الدين مسعود بن شجاع شيخ الحنفية ـ بدمشق ـ يذكر شرف الإسلام جدّى ، ويقول : كان يَذكر مجلدة من التفسير فى المجلس الواحد ويُثنى عليه .

قال : وكان زين الدين بن الحكيم الواعظ الحنفى يذكر جدى شرف الإسلام على المنبر ، ويثنى عليه ، وربما ذكره فبكى .

قلت : ولشرف الإسلام تصانيف فى الفقه والأصول ، منها « المنتخب فى الفقه » فى مجلدين ، و « المفردات » ، و « البرهان فى أصول الدين » ورسالة فى الرد على الأشعرية .

وحدث عن أبيه ببغداد ودمشق ، وسمع منه ببغداد أبو بكر بن كامل ، وناظر مع الفقهاء ببغداد فى المسائل الخلافيات .

قال ابن النجار : حدث عن والده بحديث منكر . و بنى بدمشق مدرسة داخل باب الفراديس ، وهى المعروفة بالحنبلية . ولما شرع فى بنائها طلع بعض المخالفين إلى « زمرّد خاتون » أم شمس الملوك ـ وكان حكمها نافذاً فى البلد ـ فقالوا لها : هذا ابن الحنبلى يبنى مدرسةً للحنابلة ، وهذا البلد عامته شافعية ، وتصير الفتن و بناؤها مفسدة وضرر كبير . فبعثتْ إلى الشيخ ، وقالت له : بطل هـذا البناء ، فقال: السمع والطاعة . وقال للصناع : انصرفوا ، فانصرفوا. فلما كان الليل أحضر الصُّنّاع والفعلة وأصحابه ، وأشعلوا المشاعل والشمع ، وشرعوا فى تأسيس حائط القبلة ، ونصبوا المحراب ليلاً ، وقال : اغدوا على عملكم ، فغدوا ، وقال أولئك لها : قد خالفَ أمركِ . فنزل إليه عشرة من القلعة ، وقالوا له : أما قد نهتك خاتون عن بناء هذا المكان ؟ فقال : أنا قد بنيتُ بيتاً من بيوت الله عز وجل ، ونصبتُ محراباً للمسلمين ، فإن كانت هى تهدمه تبعث تهدمه ، وصاح على الصناع : اعملوا . فبلغها ما قال . فقالت : صدق . أنا ما لى وللفقهاء .

ذكر ذلك الناصح عن بعض أصحاب أبى شرف الإسلام .

قال : سمعتُ والدى يقول : جاء رجل من أصحاب أبى شرف الإسلام إليه ، فقال : رأيتُ الليلة فى منامى أبى ، فقال لى : هذا الذى يقوله لكم الشيخ ما هو صحيح ، ما رأينا لا جنةً ولا ناراً ، ولا قيامةً ولا حساباً ، وهو يبكى ، فقال له الشيخ : ما ذاك والدك . فقال : ياسيدى ، والدى ، أنا أعرفه ، فقال له الشيخ : ذاك الشيطان ، الساعة يعود و يقول لك مثل ما قال . فقل أنت له : بالله الذى لا إله إلا هو ، أنت والدى ؟ فيولى عنك و يضرط لك . فلما كانت الليلة الثانية أصبح وجاء إلى الشيخ ، فقال له : ضرط لك ؟ قال : إى والله ياسيدى .

توفى رحمه الله فى ليلة الأحد سابع عشر صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة . ودُفن عند والده بمقابر الشهداء من مقابر الباب الصغير .

وذكره أبو المعالى بن القلانسى فى تاريخه ، فقال : كان على الطريقة

المرضية ، والخلال الرضية ، ، ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين ، والتنزه عما يقدح فى أفعال غيره من المتفقهين ، وكان يوم دفنه مشهوداً من كثرة المشيعين له والباكين حوله ، والمؤبنين لأفعاله والمتأسفين عليه . رحمه الله تعالى .

وللمهذب أحمد بن منير[1] الشاعر الحلبي المشهور رسالة إلى شرف الإسلام يمدحه فيها وأهل بيته بقصيدة ، يقول فيها :

ولعمرى لولا بقية عبد الـ — واحد الحنبلىّ أعضل داؤه
هم أعادوا المعروف غضاً وقد صوّ — ح مخضره وغاض بهاؤه
معشر أرضعوا النباهة من عو — د نضار ماء المروءة ماؤه
كل معروفهم لمعروفهم طلق — وهم فى مكروهه شركاؤه
ألسن توّج المنابر منهـــا — كل عضب فلّ القضاء مضاؤه
فالكتابُ العزيز يشهدُ أن قد — سلمت خصلة له قراؤه
أهله أنتم ، وَمَن لم يقل قو — لى عمّمت عينه أعضاؤه
فقهاء الإسلام إنْ عنّ — لبس أحبـــاره خطباؤه

قال ناصح الدين حفيد شرف الإسلام : قد عرضت هذه القصيدة على أبى البقاء العكبرى ، فأثنى عليها كثيراً .

٩٣ ــ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى ، الحافظ أبو البركات ، محدّث بغداد .

ولد فى رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة .

وسمع الكثير من أبى محمد الصريفينى ، وأبى الحسين بن النقور ، وأبى القاسم الأنماطى ، وابن البسرى ، وأبى نصر الزينبى ، وطراد ، وخلق كثير بعدهم . وكتب بخطه الكثير ، وسمع العالى والنازل ، حتى إنه قرأ على أبى الحسين بن الطيورى جميع ما عنده .

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « ابن قيس »

قال ابن ناصر عنه : كان بقية الشيوخ ، سمع الكثير . وكان يفهم ، مضى مَستُوراً وكان ثقةً ، ولم يتزوج قط .

وقال السلفى : كان عبد الوهاب رفيقا حافظاً ثقة ، لديه معرفة جيدة . وقال الحافظ أبو موسى المدينى فى معجمه : هو حافظ عصره ببغداد .

وذكره ابن السمعانى ، فقال : حافظ ثقة ، واسع الرواية ، دائم البشر ، سريع الدمعة عند الذكر ، حسن المعاشرة . جمع الفوائد وخرج التخاريج ، لعله ما بقى جزء مروى إلا وقد قرأه وحصل نسخته . ونسخ الكتب الكبار ، مثل الطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب. وكان متفرغاً للتحديث : إما أن يقرأ عليه، أو ينسخ شيئاً

وذكره ابن الجوزى فى عِدَّة مواضع من كتبه ، كمشيخته ، وطبقات الأصحاب المختصرة ، والتاريخ ، وصفوة الصفوة ، وصيد الخاطر . وأثنى عليه كثيراً ، وقال : كان ثقة ثبتاً ، ذا دين وورع ، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكى ، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتى بروايته . وكان على طريقة السلف ، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره ، ودخلت عليه فى مرضه ـ وقد بلى وذهَبَ لحمُهُ ـ فقال لى : إنَّ الله عز وجل لا يُتهمُ فى قضائه .

وقال أيضاً : ما رأينا فى مشايخ الحديث أكثر سماعاً منه ، ولا أكثر كتابة للحديث بيده مع المعرفة به ، ولا أصبر على الإقراء ، ولا أسرع دمعة وأكثر بكاء مع دوام البشر وحسن اللقاء .

وقال أيضاً : كنت أقرأ عليه الحديث من أخبار الصالحين ،فكلما قرأتها بكى وانتحب . وكنا ننتظره يوم الجمعة بجامع المنصور، فلا يجىء من قنطرة باب البصرة وإنما يجىء من القنطرة العتيقة . فسألته عن هذا؟ فقال : تلك كانت دار ابن معروف القاضى ، فلما غضب عليه السلطان أخذها و بنى عليها القنطرة .

قال لنا : وسمعتُ أبا محمد التميمى يحكى عن ابن معروف : أنه أحل كل من يَجوزُ عليها، إلا أنى أنا لا أفعل .

قال : وكانت فيه خلة أخرى عجيبة : لا يغتاب أحداً ، ولا يُغتاب عنده . وكان صبوراً على القراءة عليه ، يقعد طول النهار لمن يطلب العلم . وكان سهلاً فى إعارة الأجزاء لا يتوقف ، ولم يكن يأخذ أجراً على العلم ، ويعيبُ من يفعل ذلك ، ويقول : عِلِّمْ مجاناً كما عُلِّمْتَ مجاناً .

قلتُ : حَدَّث عبد الوهاب بالكثير ، وسمع منه خلق عظيم .

وروى عنه من الحفاظ والأئمة وغيرهم خلق كثير ، منهم : ابن ناصر ، والسلفى ، وابن عساكر ، وأبو موسى المدينى ، وأبو سعد السمعانى ، وابن الجوزى ، وابن الأخضر ، وأبو أحمد بن سكينة ، وابن طبرزد ، وأحمد بن الديبقى ، وعبد الوهاب ابن أحمد . هذا خلاف عبد الوهاب بن أحمد بن هذيمة ، وهو خاتمة أصحابه .

وكان ابن السمعانى وغيرهُ من الحفاظ يستفيدون منه ، ويرجعون إلى قوله فى أحوال الرواة وجرحهم وتعديلهم .

ومن الفوائد المذكورة عنه : أنه كان لا يجيز الرواية بالإجازة عن الإجازة وجمع فى ذلك تأليفاً . ذكره ابن السمعانى عنه . وهو مذهبٌ غريب .

تُوفى رحمه الله تعالى يوم الخميس حادى عشر المحرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ودفن من الغد بالشونيزية ، وهى مقبرة أبى القاسم الجنيد غربى بغداد

أخبرنا أبو الفتح محمد بن إبرهيم ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، أخبرنا الحافظ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله (١) الصيرفى ، حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا على بن الجعد ، أخبرنا شعبة عن منصور عن ربعى عن أبى مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إنَّ آخِرَ مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولى : إذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ مَاشِئْتَ » .

أخرجه البخارى عن آدم عن شعبة .

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية والمخطوطة بأيدينا « ابن عبدان » .

٩٢ ـ محمد بن علي بن صدقة بن جلب الصائغ ، أبو البركات ، أمين الحكم بباب الأزج .

سمع من أبي محمد التميمي ، وقرأ الفقه على القاضي أبي خازم .

وذكر ابن القطيعي عن أبي الحسين بن أبي البركات الصائغ قال : سمعت أبي قال : جاءت فتوى إلى القاضي أبي خازم ، وفيها مكتوب .

ما يقول الإمام أصلحه اللّـ ـــهُ وللسبيل هَدَاهُ
في محب أتى إليــه حبيب في ليـالي صيامه فأتاه
أَفْتِنا : هل صباح ليلته أفـ ـطر أم لا ؟ وقل لنا ما تراه

قال : فقال لي القاضي أبو خازم : أجب يا أبا البركات ، فكتبتُ الجواب وبالله التوفيق :

أيها السائل عن الوطء في ليـ ـلة الصيام الذى إليه دعاه
وجده بالذى أحبَّ وقد أحـ ـرق نــارُ الغرام منه حَشَاه
كيف تَعْصى ؟ ولو تفـكَّر في قد رة ربى مفـكِّر ما عصاه
أأمِنْتَ الذى دحا الأرض أنْ تطـ ـبِقَ دُونَ الورى عليك سماه ؟
ليس فيما أتيتَ ما يُبْطِل الصَّو م جوابى فـاعلم هداك الله

تُوفى ليلة الثلاثاء سابع عشر رجب سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة . ودُفِن بباب حرب .

وكان سبب موته : أن زوجته سمَّته في طعام قدَّمته له ، وأكل معه منه رجلان فمات أحدهما من ليلته ، والآخر من غده . و بقى أبو البركات مريضاً مديدة ، ثم مات رحمه الله تعالى .

٩٣ ـ موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقى ، أبو منصور بن أبي طاهر . شيخ أهل اللغة في عصره .

ولد فى ذى الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة . ذكره ابن شافع وابن الجوزى

وقال ابن السمعانى : سألته عن مولده ؟ فقال : سنة ست وستين .

وذكر غيره : أنه سأله عن ذلك ؟ فقال : فى أواخر سنة خمس ، أو أوائل سنة ست .

وسمع الحديث الكثير من أبي القاسم بن البسرى ، وأبى طاهر بن أبى الصقر وأبى الحسن على بن محمد الخطيب الأنبارى ، وطراد الزينبى ، ونصر بن البطر ، وأبى الحسين بن الطيورى، وجعفر السراج ، وأبى طاهر بن سوار ، وجماعة من بعدهم وقرأ الأدب على أبى زكريا التبريزى سبع عشرة سنة . وبرع فى علم اللغة والعربية . ودرس العربية فى المدرسة النظامية بعد شيخه أبى زكريا مدّة ، ثم قربه المقتفى لأمر الله تعالى ، فاختص بإمامته فى الصلوات . وكان المقتفى يقرأ عليه شيئاً من الكتب ، وانتفع بذلك ، وبان أثره فى توقيعاته . وكان من أهل السنة المحامين عنها . ذكر ذلك ابن شافع .

وقال ابن السمعانى فى حقه : إمام فى اللغة والأدب . وهو من مفاخر بغداد وهو متدين ثقة ، ورع . غزير الفضل ، كامل العقل ، مَليحَ الخطّ ، كثير الضبط صنف التصانيف ، وانتشرت عنه ، وشاع ذكره . ونقل بخطه الكثير .

وقال ابن الجوزى : انتهى إليه علم اللغة. وكان غزير العقل، متواضعاً فى ملبسه ورئاسته ، طويل الصمت ، لا يقول الشىء إلّا بعد التحقيق والفكر الطويل . وكثيرًا ما كان يقول : لا أدرى . وكان من أهل السنة . سمعت منه كثيرًا من الحديث وغريب الحديث ، وقرأتُ عليه كتابه « المعرب » وغيره من تصانيفه وقطعة من اللغة .

وقال ابن خلكان فى تاريخه : صنَّف التصانيف المفيدة وانتشرتْ عنه، مثل شرح كتاب « أدب الكاتب » وكتاب « المعرب » وتتمة « دُرَّةِ الغَوَّاص» للحريرى . وخطه مرغوب فيه .

وكان يصلى بالمقتفى بالله ، فدخل عليه ـ وهو أول ما دَخل ـ فما زاد على أن قال : السلام على أمير المؤمنين . فقال : ابن التلميذ النَّصرانى ـ وكان قائماً ، وله إدلال الخدمة ، والطب ـ : ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين ياشيخ ، فلم يلتفت إليه ابن الجواليقى وقال : يا أمير المؤمنين ، سلامى هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى الحديث ، ثم قال: يا أمير المؤمنين ، لَوْحلَفَ حَالِفٌ أنَّ نصرانياً أويهودياً لم يَصِل إلى قلبه نوعٌ من أنواع العلم على الوَجْه المرضى لما لزمته كفارة ، لأن الله خَتم على قلوبهم ولن يفك ختم الله إلا الإيمان . فقال : صَدَقت وأحسنت ، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر ، مع فضله وغزارة أدبه .

وقال المنذرى : الإمام أبو منصور ، أحد الفضلاء فى اللغة والنحو ، وهو من مفاخر بغداد ، وله التصانيف المشهورة . حدث أبو منصور بالعوالى من حديثه لعزة أوقاته .

وسمع منه جماعة ، منهم : ابن ناصر ، وابن السمعانى ، وابن الجوزى ، وأبو اليمن الكندى .

وتوفى سحر يوم الأحد خامس عشر محرم سنة أربعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد فى جامع القصر ، وحضر الصلاة عليه أربابُ الدولة والعلماء ، وتقدمهم فى الصلاة قاضى القضاة أبو القاسم الزينبى . ودفن بباب حرب عند والده . رحمهما الله تعالى .

ووهم ابن السمعانى فى وفاته ، فقال : فى سنة تسع وثلاثين .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا عبد الرحمن بن على الحافظ ، أخبرنا موهوب بن أحمد بن الجواليقى بقراءتى عليه، أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد بن البسرى ، خبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت ، حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى ، حدثنا أبو مصعب الزهرى عن مالك عن سمى ـ مولى أبى بكر ـ عن أبى صالح عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « السَّفر قطعَةٌ مِن الْعَذَاب ؛ يَمْنَعُ أحَدَكُمْ نومَه وَطَعامَه وَشَرابَه . فإذا قَضَى أحَدُكم نَهْمَتَه مِن وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ الرُّجُوعَ إلى أهْلِهِ » .

أخرجاه عن القعنبي عن مالك .

٩٤ ـ نصر بن الحسين بن حامد الحرانى ، أبو القاسم .

أحد شيوخ حران، وفقهائها الأكابر . وهو من أصحاب أبى الفتح بن جَلَبة القاضى ، وأبى الحسين بن عمرو الزاهد ، وعنهما أخذ العلم . ولا أعلم سنة وفاته .

ذكره أبو الفتح بن عبدوس ، وقد عدَّ شيوخ حرَّان ، وعلماءها ، وفقهاءها، وذكر منهم : أبا المحاسن هبة الله بن نصر بن الحسين بن حامد ولد المذكور .

قلت : أبو المحاسن هذا تفقه ببغداد ، وقرأ على ابن الزاغونى ، وأبى الخطاب وغيرهما ، وسمع من طلحة العاقولى .

وله تصنيف أظنه فى أصول الدين سماه « كفاية المنتهى ونهاية المبتدى » نقل منه الشيخ فخر الدين بن تيمية فى تفسيره .

وذكر ابن عبدوس : أبا القاسم صدقه بن على بن محشى ، وصاحبه أبا المعالى رافع بن محمد بن الحكيم ، وولده أبا الحسن محمد بن رافع . وقد كان روى السلفى عن أبى الفتح أحمد بن حامد الأسدى الحرانى بماكسين .

قال : وكان قد ولى قضاءها حديثاً بإجازته من أبى طالب العُشَارى ، وبسماعه من القاضى أبى الفتح بن جلبة ، بسماعه من العشارى .

وذكر ابن نقطة عن السلفى قال : سمعت المؤتمن بن أحمد الساجى يقول : على بن محمد بن على بن جلبة قاضى حران كان محباً للحديث ، مجدًّا فى السنة .

٩٥ ـ نَجيب بن عبد الله السمرقندى ، أبو بكر .

ذكره يحيى بن الصيرفى الحرانى الفقيه فى بعض تصانيفه ، وقال : أظنه من تلامذة ابن عقيل .

قال : وله تخاريج حَسَنَةٌ فى المذهب .

وذكر من ذلك : أنه خرج رواية : أنه لا يجب القود فى صورة الإكراه على القتل إلا على المكره ، ولا على المكرَه ، من الرواية التى يقول فيهـا : لا تقتل الجماعة بالواحد ؛ لامتزاج الأفعال ، فكذلك هنا وأولى ؛ لأن السبب غير صالح .

٩٦ ـ الحسين بن الهمذانى أبو عبد الله شمس الحفاظ .

له كتاب « المقتدى » فى الفقه فى المذهب .

ذكره ابن الصقال الحرانى فى رسالته المسماة « بالإنباء عن تحريم الربا » .

وذكر : أنه ذكر فى هذا الكتاب : أن العروض المحلى بأحد النقدين لا يجوز بيعه بأحدهما ، قولاً واحداً . وهذا موافقةٌ لطريقة ابن أبى موسى وغيره . ولا أعلم من حاله غير هذا .

٩٧ ـ المبارك بن عبد الملك بن الحسين البغدادى ، الحريمى ، الفقيه ، الإمام أبو على ، المعروف بابن القاضى .

تفقه فى المذهب وبرع فيه . وسمع فى حال كبره من غير واحد . وكان من أكابر الفقهاء .

تفقه عليه جماعة . ولا أعلم سنة وفاته .

وله ابن يقال له : أبو منصور عبد الملك كان موصوفا بالصلاح والخير ولى القضاء بمدينة المنصور بالحريم الطاهرى .

وسمع من أبى منصور القزاز ، وأبى البدر الكرخى وطبقتهما ، وحدث .

وكان مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

وتوفى فى عشرين ذى الحجة سنة تسع وستمائة . ودُفن بباب حرب .

سمع منه النجيب الحرانى . وسيأتى عنه حديث فى ترجمة ابن الطلاية .

بقية وفيات المائة السادسة

من سنة ٥٤١ هـ — إلى سنة ٦٠٠ هـ

٩٨ — عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله البغدادى ، المقرىء النحوى الأديب الزاهد أبو محمد ، سبط أبى منصور الخياط .

وُلد ليلة الثلاثاء سابع عشرين شعبان سنة أربع وستين وأربعمائة .

وتلقن القرآن من شيخه أبى الحسن بن الفاعوس ، وقرأ بالروايات على جده أبى منصور الزاهد ، والشريف عبد القاهر العباسى ، وابن سوار ، وجماعة .

وسمع الحديث الكثير من أبى الحسين بن النقور ، وأبى منصور بن عبد العزيز ، وطراد ، وغيرهم .

وقرأ الأدب على أبى الكرم بن فاخر ، وبرع عليه فى العربية واللغة ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وتصانيف ابن جنى . وصنف فى القراءات كتباً وقصائد ، وأم بمسجد ابن جردة وأقرابه ، منْ سنة سبع وثمانين وأربعمائة إلى وفاته ، وختم مالا يحصى .

وقرأ عليه بالروايات خلق كثير . آخرهم موتا تاج الدين زيد بن الحسن الكندى .

وسمع منه الحديث خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن ناصر ، وابن السمعانى ، وابن الجوزى . وكان أكابر العلماء وأهل بلده يقصدونه .

قال ابن الجوزى : قرأت عليه القرآن والحديث الكثير ، ولم أسمع قارئاً قط أطيب صوتاً منه ، ولا أحسن أداء على كبر سنه ، وجمع الكتب الحسان . وكان كثير التلاوة ، لطيف الأخلاق ، ظاهر الكياسة والظرافة ، وحسن المعاشرة للعوام والخواص .

وقال أيضا : كان قويا فى السّنة . وكان طول عمره منفردا فى مسجده .

وقال ابن السمعانى : كان له معرفة بالنحو واللغة ، متودداً متواضعاً ، حسن

القراءة والتلاوة فى المحراب ، خصوصا فى ليالى رمضان ، يحضر الناس عنده لاستماع قراءته . وصنف تصانيف فى القراءات وعلوم القرآن ، وخولف فى بعضها ، وشنعوا عليه . وسمعت أنه رجع عن ذلك . والله تعالى يغفر لنا وله . وكتبت عنه وعلقت عنه من شعره .

وقال ابن شافع : سار ذكر سبط الخياط فى البلاد والأغوار والأنجاد ورأس أصحاب الإمام أحمد ، وصار أوحد وقته ونسيج وحده ، لم أسمع فى جميع عمرى من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أوضح منه . وكان جمال العراق بأسره . وكان ظريفا كريما لم يخلف مثله فى أكثر فنونه .

ولصدقه بن الحسين فى مدحه :

ياقـــدوة القراء والأدبا ومحجـة الفقهـاء والعلما
والعالم الحبر الإمام ومن سمى بالعلم مرتبـة على الجوازا

وقال ابن نقطة : كان شيخ العراق يرجع إلى دين وثقة وأمانة . وكان ثقة صالحا من أئمة المسلمين .

وقال الذهبى فى طبقات القراء : صنف التصانيف المليحة فى القراءات ، مثل « المبهج » و « الـكفاية » و « القصيدة المتحدة » و « الروضة » و «الإيجاز فى السبعة » و « المؤيدة للسبعة » و « الموضحة فى العشرة » و « الاختيار » و « التبصرة » وغير ذلك .

وله شعر حسن كثير ، فمنه ما أنشده ابن السمعانى عنه .

يامن تمسك بالدنيا ولذتها وجد فى جمعها بالـكد والتعب
هل لاعمرت لدار سوف تسكنها دار القرار وفيها معدن الطلب ؟
فعن قليل تراها وهى دائرة وقد تمزق ماجمعت من نشب

ومنه قوله :

ومن لم تؤدبه الليالى وصرفها فما ذاك إلا غائب العقل والحس

يظن بأن الأمر جار بحكمه وليس له علم : أيصبح أم يمسى ؟

وقوله :

إذا كان أمر الله فى الخلق نافذا ومقدوره فيهم يقيم ويقعد
فلا ينفع الحرص المركب فى الفتى ولا أحد فيه يحل ويعقد

وقوله :

أيها الزائرون بعد وفاتى جدثا ضمنى ولحدا عميقا
سترون الذى رأيت من الموت عيانا وتسلكون الطريقا

وقال الحافظ الضياء المقدسى : أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد ، أخبرنا محمد المقرىء ، أجاز لهم ، وأنشدنا لنفسه :

ترك التكلف فى التصوف واجب ومن المحال تكلف الفقراء
قوم إذا امتد الظلام رأيتهم يتركعون تركع القراء
والوجد منهم فى الوجوه محله ثم السماع يحل فى الأعضاء
لا يرفعون بذاك صوتا مجهراً يتجنبون مواقع الأهواء
ويواصلون الدهر صوما دائما فى البأس إن يأتى وفى السراء
وتراهم بين الأنام إذا أتوا مثل النجوم الغر فى الظلماء
صدقت عزائمهم وعز مرامهم وعلت منازلهم على الجوزاء
صدقوا الإله حقيقة وعزيمة ورعوا حقوق الله فى الآناء
والرقص نقص عندهم فى عقدهم ثم القضيب بغير ما إخفاء
هذا شعار الصالحين ومن مضى من سادة الزهاد والعلماء
فإذا رأيت مخالفا لفعالهم فاحكم عليه بمعظم الإغواء

وله أيضا :

الفقه علم به الأديان ترتفع والنحو عز به الإنسان ينتفع
ثم الحديث إذا مارمته فرج من كل معنى به الإنسان يبتدع
ثم الكلام فذره ، فهو زندقة وخرقه فهو خرق ليس يرتقع

وله أيضاً :

ظهرت فى الأنام بدعة قوم جحدوا الله والقرآن المبينا
عطلوا وصفه، وحادوا عن الحق جميعـــا، وخالفوه يقينا

قال ابن الجوزي : توفى بكرة يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وتوفى فى غرفته التى فى مسجده ، فحط تابوته بالحبال من سطح المسجد ، وأخرج إلى جامع القصر ، فصلى عليه عبد القادر . وكان الناس فى الجامع أكثر من يوم الجمعة ، ثم صلى عليه فى جامع المنصور .

وقال : وقد رأيت أنا جماعة من الأكابر ، فما رأيت أكثر جمعاً من جمعه على تقدير الناس ، من نهر معلى إلى قبر أحمد ، وغلقت الأسواق ، ودفن فى دكة الإمام أحمد عند جده أبى المنصور .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بفسطاط مصر ـ أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، أخبرنا أبو محمد عبدالله ابن على المقرىء ـ بقراءتى عليه ـ أخبرنا الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة ، أخبرنا أبو عمر بن مهدى ، حدثنا المحاملى ، حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا إسماعيل ابن علية ، حدثنى على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن بشر ابن سعيد عن زيد بن خالد الجهنى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه فى أهله فقد غزا » . أخرجه البخارى عن أبى معمر عن عبد الوارث ، ومسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن يزيد بن زريع ، كلاهما عن حسين المعلم عن يحيى بن أبى كثير .

٩٩ ـ دعوان بن على بن حماد بن صدقة الجبائى ـ ويقال له : الجُبّى أيضا ـ نسبة إلى قرية بسواد بغداد عند العقر على طريق خراسان ، المقرىء الفقيه الضرير أبو محمد .

ولد سنة ثلاث وستين وأربعمائة بالجبة المذكورة .

وقدم بغداد فسمع بها من أبى محمد التميمى ، وأبى عبد الله البسرى ، والحسين ابن طلحة ، وثابت بن بندار ، والصريفينى ، وابن البطر ، وابن السراج .

وقرأ بالروايات على الشريف عبد القاهر المكى ، وابن سوار ، وتفقه على أبى سعد المخرمى ، وأحكم الفقه ، وأعاد شيخه المذكور فى درس الخلاف ، وأقرأ القرآن ، وحدث ، وانتفع به الناس . قرأ عليه جماعة ، وحدث عنه آخرون ، منهم ابن السمعانى .

قال ابن الجوزى : كان خيرا ديناً ، ذا ستر وصيانة وعفاف ، وطرائق محمودة ، على سبيل السلف الصالح .

توفى يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة أبى بكر – غلام الخلال – إلى جانبه .

قال ابن الجوزى : كتب إليّ عبد الله الجبائى الشيخ الصالح ، قال : رأيت دعوان بن على بعد موته بنحو من شهر فى المنام ، وكأن عليه ثيابا بيضاء شديدة البياض ، وعمامة بيضاء ، وهو يمضى إلى الجامع لصلاة الجمعة ، وقد أخذت يده اليسرى بيدى ، ومضينا . فلما بلغنا إلى حائط الجامع ، قلت له : يا سيدى ، إيش لقيت ؟ قال لى : عرضت على الله تعالى خمسين مرة ، وقال لى : إيش عملت ؟ فقلت له : قرأت القرآن وأقرأته . قال لى : أنا أتولاك ، أنا أتولاك . قال عبد الله: فأصابنى من الوجد ، وصحت وضربت بكفى اليمنى حائط الجامع ثلاث مرات ، أتأوه وأضرب الحائط بكفى ، ثم استيقظت .

١٠٠ – صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبى عبد الله الجيلى الفقيه المعدل ، أبو المعالى .

ولد ليلة الجمعة لست خلون من المحرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة

وسمع من أبى منصور الخياط ، وابن الطيورى ، وغيرهما . وصحب ابن عقيل وغيره من الأصحاب . وتفقه ودرس بالمسجد المعروف به بدرب المطبخ شرقى بغداد

قال ابن المنذرى فى تاريخ القضاة : كان فقيهاً زاهداً من سروات الناس .

وقال ابن الجوزى : كان من المعدلين ، فجرت حالة أوجبت أن عزل من الشهادة .

وقال ابن المنذرى : كان أحد الفضلاء الشهود . وحدث عنه الحافظان : أبو القاسم الدمشقى وأبو سعد السمعانى .

توفى يوم الأربعاء سادس عشر رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد . وتقدم عليه فى الصلاة ولده أبو الفضل أحمد صاحب التاريخ . ودفن فى دكة الإمام أحمد رضى الله عنه . وذكر بن الجوزى : أنه دفن على ابن عقيل

١٠١ ـ المبارك بن كامل بن أبى غالب محمد بن أبى طاهر الحسين بن محمد البغدادى ، الظفرى المحدث ، مفيد العراق ، أبو بكر ، ويعرف أبوه بالخفاف

ولد يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس وتسعين وأربعمائة

وقرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث الكثير . وأول سماعه سنة ست وخمسمائة ، وعنى بهذا الشأن .

سمع من أبى القاسم بن بيان ، وأبى على بن شهاب ، وأبى طالب بن يوسف وأبى سعد بن الطيورى ، وابن شجاع الذهلى ، وأبى الغنائم النرسى ، وأبى الوفاء ابن عقيل ، وخلق كثير غيرهم .

قال ابن الجوزى وما زال يسمع العالى والنازل ، ويتتبع الأشياخ فى الزوايا وينقل السماعات، فلو قيل: إنه سمع من ثلاثة آلاف شيخ لما رد القائل . وجالس الحفاظ ، وكتب بخطه الكثير ، وانتهت إليه معرفة المشايخ ، ومقدار ماسمعوا ، والإجازات .

وكان قد صحب هذا رست ، ومحمود الأصبهانى ، وغيرهما ممن يعنى بهذا الشأن ، وانتهى الأمر فى ذلك إليه ، إلا أنه كان قليل التحقيق فيما ينقل من

السماعات مجازفة ؛ لكونه يأخذ عن ذلك ثمناً ، وكان فقيراً إلى ما يأخذ . وكان كثير التزويج والأولاد .

وقال ابن النجار : أفاد الطلبة والغرباء ، وخرج التخاريج ، وجمع مجموعات ، منها كتاب « سلوة الأحزان » نحو ثلاثمائة جزء وأكثر ، وحدث بأكثر ماجمعه ، و بقليل من مروياته . وسمع منه الكبار والقدماء .

وكان صدوقاً مع قلة فهمه ومعرفته ، وخرج لنفسه معجماً لشيوخه .

وقال : الذهبي سمع الكثير ، وكتب عن الجم الغفير ، وأفاد الطلبة ، وانتفع به خلق كثير .

توفى فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة ودفن بالشونيزية . رحمه الله تعالى .

١٠٢ـ عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن قثامى الحريمى الفقيه المعدل ، أبو القاسم ابن أبى على .

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

وسمع من أبى نصر الزينبى ، وأبي الحسين العاصمى ، وأبى الغنائم ابن أبي عنان ، وثابت بن بندار ، وغيرهم .

قال ابن الجوزى : كان صدوقاً فقيهاً مفتياً مناظراً ، وروى عنه حكاية فى غير موضع من كتبه .

وسمع منه ابن السمعاني ، وقال : فقيه فاضل على مذهب أحمد ، حسن الكلام فى المسائل ، جميل الصورة ، مرضى الطريقة ، متواضع ، كثير البشر راغب فى الخير .

وقال ابن شافع : كان فقيهاً مفتياً مناظراً . صدوقاً أمينا . ذكره شيخنا ـ يعنى : ابن ناصر ـ وأثنى عليه .

روى عنه أحمد بن عبد الملك بن يوسف بن بانانة .

وتوفى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٠٣ – عبد الله بن عبد الباقى بن التبان الواسطى ، ثم البغدادى ، أبو بكر الفقيه ، ويسمى محمد وأحمد أيضاً .

قال ابن الجوزى : كان من أهل القرآن ، وسمع من أبى الحسين بن الطيورى وتفقه على ابن عقيل ، وناظر وأفتى ودرس . وكان أمياً لا يكتب .

توفى فى شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن تسعين سنة . ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال ابن شافع : كان مذهبياً جيداً ، وخلافياً مناظراً ، ومن أهل القرآن . بقى على حفظه لعلومه إلى أن مات .

وذكر : أنه توفى يوم الخميس ثامن شوال المذكور ، وله تسعون سنة أو أزيد

وقال ابن النجار : درس المذهب على ابن عقيل حتى برع فيه . وكان يتكلم فى مسائل الخلاف ، ويفتى ويدرس

سمع الحديث من أبى منصور الخياط ، وابن الطيورى وأبى الحسن بن الدهان المرتب . وحدث باليسير .

وسمع منه المبارك بن كامل ، وأبو الفضل بن شافع .

١٠٤ – الجنيد بن يعقوب بن الحسن بن الحجاج بن يوسف الجيلى ، الفقيه الزاهد ، أبو القاسم بن أبى يوسف بن أبى على .

ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بتولم : من أرض جيلان . كذا ذكره ابن السمعانى عنه .

وذكر ابن شافع عنه : أنه ولد سنة خمسين . ثم قدم بغداد ، وأقام بباب الأزج . وقرأ الفقه على يعقوب البرزبينى ، والأدب على أبى منصور بن الجواليقى .

وسمع الحديث من أبى محمد التميمى، وأبى الحسن الهكارى ، وأبى الحسن بن العلاف ، ومن طلحة العاقولى ، والقاضى أبى الحسين ، وغيرهم . وحدث باليسير . وكتب بخطه الكثير من الفقه والأصول والخلاف والحديث والأدب .

وكان فاضلا ديناً، حسن الطريقة . جمع كتابا كبيراً فى استقبال القبلة ومعرفة أوقات الصلاة . ذكر ذلك ابن النجار .

وروى عنه ابن عساكر ، والسمعانى ، وقال : شيخ صالح حسن السيرة .

وقال أبو العباس بن لبيدة عنه : كان صادقا زاهداً ثبتا ، لم يعرف عليه إلا خيراً

قال : وتوفى يوم الأربعاء سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ستة وأربعين وخمسماية . وصلى عليه الشيخ عبد القادر بمدرسته . ودفن من يومه بمقبرة الحلبة . رحمه الله تعالى .

قرأتُ بخط أبى القاسم الجنيد بن يعقوب الجيلى فى بعض تعاليقه فى حادثة جاءت من بلد الهكار : قطعة جبل لرجل عليها شجر نابت ، وتحتها أرض لرجل آخر مزروعة ، انقطعت القطعة فسقطت على الأرض التى تحتها ، فسترتها وصارت حاضنة لها ، مانعة لصاحبها من زراعتها ، والشجر بحاله ثابت فى تلك القطعة لا يستضر صاحبها ، لكن صاحب الأرض التى تحتها يستضر : ما الحكم فى ذلك؟

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ : أنه يحتمل القيمة ؛ لأنها صارت كالمستهلكة فهى كاللآلئ إذا ابتلعها عبده . انتهى . ولم يعز الجنيد هذا الجواب إلى أحد بعينه والظاهر : أنه جوابه بنفسه .

وفيما قاله نظر ؛ فإن جناية العبد تفارق بقية جنايات الأموال ؛ لأن العبد مكلف مختار ، فلا تسقط جنايته وتتعلق برقبته ، وإن لزم من ذلك فوات حق المالك . وهذا بخلاف جنايات البهائم ؛ فإنه لا يضمن مالكها إلا أن ينسب إلى نوع من تفريط فى حفظها ، على ما فيه من اختلاف وتفصيل .

وأما الجنايات الحادثة من أمواله التى لا حياة فيها : فلا ضمان عليه فيها إلا

أن ينسب إلى نوع تفريط ، مثل من مال حائطه إلى جاره أو إلى الطريق ، فإنه إذا لم يعلم به فلا نعلم خلافا فى أنه لا ضمان عليه ، وإن علم وامتنع من النقض حتى سقط فأتلف ، ففى وجوب الضمان عليه خلاف مشهور . فهذه الأرض الساقطة بسيل أو غيره على أرض الغير تشبه ما تلف بسقوط الجدار ونحوه .

وقد يقال : المتلف نوعان .

أحدهما : ما فات ولم يمكن إعادته من مال ونفس ، فهذا الذى تكلم الفقهاء فى ضمانه على ما سبق ذكره .

والثانى : ما هو باق ، ولكن المالك بينه وبين ماله . فهذا يلزم المالك الذى حال ملكه بينه و بين مالكه : أن يخلى بين المالك ليأخذه . فإذا عجز فهل يقال : يلزمه ضمانه لحيلولة ملكه . فقد ذكره صاحب المحرر فى مسودته على الهداية فيما إذا ابتلعت بهيمته جوهرة فى حال لا يلزم المالك ضمان جنايتها : هل يلزمه هنا شىء أم لا ؟ و بيض لذلك .

ولكن كلام ابن عقيل وغيره فى مسألة من وقع فى محبرته دينار لغيره بغير تفريط منه : أنه يلزمه بذلها للكسر مضمونة ، ولا يلزمه أكثر من ذلك يدل على أنه لا يلزمه ضمان ما حال ملكه بينه و بين مالكه ، وأنه لا يلزمه أكثر من بذل التسليم للمالك ، ليخلص ملكه . وهذا يبقى الضمان عند العجز . وهو الأظهر .

ولو قيل : إنه يلزمه الأجرة مدة الانتفاع ببقاء أرضه على أرض غيره ، إلحاقاً بمن حمل السيل غراسه إلى أرض آخر .

قلنا : يلزمه الأجرة ، وفيه نظر . والله أعلم .

والذى ذكره القاضى وابن عقيل فيمن ابتلعت بهيمته مالا لغيره يبقى ، كذهب وجوهر : فإن كان يلزمه الضمان وكانت مأكولة : فهل تذبح لاستخراجه ؟ على وجهين ؛ للنهى عن ذبح الحيوان لغير مأكلة ، وإن كانت غير مأكولة تعين الضمان ، وإن لم تكن مضمونة عليه فلا ضمان .

ولكن قياس ماذكر ابن عقيل فى سقوط الدينار فى المحبرة : أنه يخير مالك المال المبتلع بين أن يذبح المأكول ويضمن نقصه ، وبين أن يتركه . والله أعلم .

١٠٥ – عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد علي الأنصارى الشيرازى ، ثم الدمشقى ، القاضى بهاء الدين بن شرف الإسلام بن الشيخ أبى الفرج . وقد تقدم ذكر أبيه وجده .

تفقه وأفتى ودرس وناظر . وذكره أبو المعالى حمزة بن القلانسى فى ذيل تاريخ دمشق ، فقال : كان إماماً فاضلا ، مناظراً مستقلا ، مفتياً على مذهب الإمام أحمد وأبى حنيفة ، يحكم عليه ، ما كان عليه عند إقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم . وكان يعرف اللسان الفارسى مع العربى . وهو حسن الحديث فى الجد والهزل .

توفى يوم الإثنين سابع عشر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وكان له يوم مشهود . ودفن فى جوار أبيه فى مقابر الشهداء – يعنى : بالباب الصغير ، وكثر الباكون حول سريره من العالم ، والمثنون له والمتأسفون عليه . رحمه الله تعالى

١٠٦ – عبد الله بن هبة الله بن أحمد بن محمد السامرى الفقيه ، أبو الفتح .

ولد يوم الإثنين ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

وسمع الكثير من أبى بكر الطريثيثى ، وثابت بن بندار ، والمبارك بن عبد الجبار ، وأبى سعد بن خشيش ، وجعفر السراج ، وغيرهم .

وتفقه على أبى الخطاب الكلوذانى . وحدث باليسير ، روى عنه جماعة .

توفى ليلة الإثنين ثالث عشر محرم سنة خمس وأربعين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب .

١٠٧ – أيوب بن أحمد بن تيموه الباجرائى الفقيه الحنبلى . ويكتب بخطه : القاضى أيوب .

قال ابن النجار : سمع ابن ناصرِ الدسكرى . والقاضى أبا الحسين بن الفراء . وحدث عنه بأصبهان بيسير .

سمع منه أبو الكرم سعد بن الحسين بن ولاد المدينى .

توفى فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

قلتُ : ووجدت خطه كثيراً على كتب كثيرة من كتب الأصحاب ، قرئت عليه ، وحدث بالغيلانيات . سماعه من ابن الحصين .

١٠٨ ـ الحسن بن محمد بن الحسين الراذانى الأوانى ، ثم البغدادى ، الفقيه الواعظ أبو على الزاهد ، ابن الزاهد أبى عبد الله . وقد تقدم ذكر أبيه .

وُلد أبو على بأوانا ، وسمع ببغداد من أبى الحسين بن الطيورى ، ومن بيان وابن شهاب ، وابن خشيش ، ومن الحافظ بن ناصر ، ولازمه إلى أن مات .

وتفقه على أبى سعد المخرمى ، ووعظ وتقدم . ولما توفى ابن الزاغونى أخذ حلقته بجامع المنصور فى النظر والوعظ ، وطلبها ابن الجوزى فلم يعطها لصغر سنه .

سمع منه ابن السمعانى ، . وقال : واعظ حسن السيرة متودد . وسمع منه أبو الحسن بن عبدوس الحرانى الفقيه جزءًا فيه أجوبة عن مسائل وردت من الموصل ، تتضمن عدة مسائل من أصول الدين ، أجاب عنها فى كراس ، بجواب حسن موافق لمذهب أهل الحديث .

وذكر عبد المغيث الحربى ، فى بعض مؤلفاته : فتياً من فتاويه ، فى تحريم السماع .

قال ابن الجوزى : توفى يوم الأربعاء رابع صفر سنة ست وأربعين وخمسمائة . ودفن من الغد إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد . وكان موته فجأة ؛ فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر ، فقاء فمات . وكان قد تزوج وعزم تلك الليلة على الدخول بزوجته .

وفى تاريخ ابن السمعانى وابن شافع : أنه توفى سادس صفر .

١٠٩ - عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد الحلوانى ، الفقيه الإمام أبو محمد بن أبى الفتح ، وقد سبق ذكر أبيه .

وُلد سنة تسعين وأربعمائة .

تفقه على أبيه ، وأبى الخطاب ، وبرع فى الفقه وأصوله ، وناظر وصنف تصانيف فى الفقه والأصول ، منها : كتاب « التبصرة » فى الفقه ، كتاب « الهداية » فى أصول الفقه .

رأيت بخطه مايقتضى : أن له تعليقة فى مسائل الخلاف كبيرة ، وله تفسير القرآن فى إحدى وأربعين جزءاً حدث به .

وروى عن أبيه ، وعلى بن أيوب البزار ، والمبارك ابن عبد الجبار ، والحُسين الخلال ، وأبى نصر بن ودعان ، وغيرهم .

سمع منه يحيى ابن طاهر بن النجار الواعظ ، وغيره .

قال ابن شافع : كان فقيها فى المذهب ، يفتى وينتفع به جماعة أهل محلته .

وقال ابن النجار : كان موصوفا بالخير والصلاح والفضل .

وقال ابن الجوزى : كان يتجر فى الخل، وينتفع به، ولايقبل من أحد شيئا .

وتوفى فى يوم الإثنين سلخ ربيع الأول سنة ست وأربعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد الشيخ عبد القادر بالمصلى القديم بالحلبة . ودفن بداره بالمأمونية .

وذكر الحافظ المنذرى فى التكملة فى ترجمة ولده أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحلوانى المتوفى سنة أربع عشرة وستمائة : أنه سمع بإفادة والده هذا من ابن المعالى بن السمين وغيره .

قال : ووالده أبو محمد عبد الرحمن كان من شيوخ الحنابلة وله معرفة بالفقه والتفسير، وحدث .

قال : والحلوانى ـ بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ـ وهـذه النسبة إلى بيع الحلواء أو عملها .

قلت : المعروف أنه بضم الحاء ، وما أظنه منسوبا إلا إلى حلوان البلد المعروف بالعراق .

١١٠ ـ محمود بن الحسين بن بندار أبو نجيح بن أبي المرجا بن أبي الطيب الأصبهاني ، الطلحي، الواعظ المحدث .

سمع الحديث الكثير ، وطلب بنفسه وقرأ .

سمع بأصبهان كثيرا من يحيى بن منده الحافظ ، ومن أبي الفتح أحمد بن محمد ابن أحمد الحداد. ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من أبي الحصين، والقاضي أبي الحسين والطبقة . وكتب بخطه كثيرا . وخطه حسن متقن . ووعظ وقال الشعر .

وسمع منه يحيى بن سعدون القرطبي ، حدث عنه أبو عبد الله محمد بن بكر الأصبهاني وغيره . وأجاز للشيخ عبد المغيث زهير وأولاده ، ولأبي المعالي بن شافع وغيرهما .

وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ـ أظنه بأصبهان ـ رحمه الله

قرأت بخطه في الإجازة : فليرووا عني بلفظة التحديث ، وإن أرادوا بلفظة الإخبار .

قلت : وهذا وإن اشتهر عند المحدثين من المتأخرين إنكاره ، كما أنكره الخطيب على أبي نعيم الأصبهاني ، لكن هو قول طوائف من علماء الحديث .

وقد روى عن الإمام أحمد رضي الله عنه،أخبرنا أبو الفتوح الميدومي ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحراني ، حدثنا أبو المعالي أحمد بن يحيي الخازن من لفظه ببغداد، حدثنا أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري إملاء ، قال: سمعت الإمام أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي يقول : حدثني عمي أبو الفضل عبد الواحد ابن عبد العزيز التميمي قال : سمعت غلام الخلال يقول : سمعت الخلال يقول : قال الإمام أبو عبد الله أحمد رضي الله عنه لولده صالح : إذا أجزت لك شيئاً فلا تبالي . قلت : أخبرنا أو حدثنا .

وروى الخطيب بإسناده عن أبى اليمان الحكم بن نافع قال : قال لى أحمد بن حنبل : كيف سمعت الكتب من شعيب بن أبى حمزه ؟ قلت : قرأت عليه بعضاً ، و بعضاً قرأه على ، و بعضاً أجاز لى ، و بعضاً مناولة . فقال أحمد : قل فى كل : أخبرنا شعيب . وقد روى هذا المذهب عن مالك ، والحارث بن مسكين .

وذكره ابن الصلاح فى كتابه عن الزهرى ومالك وغيرهما من المتقدمين . وحكاه ابن شاهين عن طائفة من العلماء .

وذكر السلفى فى مقدمته لإملاء الاستذكار : أن مذهب أبى عمر بن عبد البر وعامة حفاظ الأندلس : الجواز فيما يجاز قول حدثنا وأخبرنا ، أوما شاء المجاز مما يقرب منه . قال : بخلاف مانحن وأهل المشرق عليه من إظهار السماع والإجازة ، وتمييز أحدهما عن الآخر بلفظ لا إشكال فيه .

وقد صنف بعض المحدثين المتأخرين فى جواز إطلاق : حدثنا وأخبرنا فى الإجازة جزءاً .

١١١ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن نجا بن محمد بن على بن محمد الأزجى ، القاضى أبو على ابن شاتيل .

سمع من أبى محمد التميمى ، ونصر بن البطر ، وابن طلحة النعالى ، وأبى بكر ابن سوسين ، وشيخ الإسلام الهكارى ـ وسمع منه سنة أربع وخمسين وأربعمائة . كذا ذكره القطيعى . وفيه نظر ـ وغيرهم .

وتفقه على أبى الخطاب الكلوذانى ، وولى القضاء بربع سوق الثلاثاء مدة ، ثم ولى قضاء المدائن .

ذكره ابن السمعانى ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة وقضاتهم . قال : وكتبت عنه يسيرا .

وذكر ابن القطيعى فى تاريخه : أنه سمع منه جماعة . ثم روى عن أبى إسحاق الصقال الفقيه عنه .

وذكر : أنه توفى يوم السبت سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

١١٢ – أحمد بن أبى غالب بن الطلاية الحربى الزاهد، أبو العباس الوراق

ولد بعد الستين وأربعمائة .

وقرأ القرآن . وسمع من أبى القاسم عبد العزيز بن على الأنماطى جزءا من حديث المخلص ، واشتهر به .

وسمعه منه خلق ، فنسب الجزء إليه . وقد سمعناه . ثم اشتغل بالعبادة ، ولازم المسجد يتعبد فيه ليلا ونهاراً حتى انطوى من كثرة التعبد ، فكان رأسه إذا قام عند ركبتيه .

قال ابن الجوزى : حدثنى أبو الحسن بن غريبة ، قال : جاء إليه رجل فقال : سل لى فلانا فى كذا ، فقال أحمد : قم معى فصل ركعتين ، واسأل الله تعالى ؛ فإني لا أترك بابا مفتوحاً وأقصد باباً مغلقاً .

توفى ليلة الإثنين حادى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . ودفن إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد ، بباب حرب .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ، أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا القاضى أبو منصور عبد الملك ابن أبى على المبارك بن عبد الملك بن الحسن البغدادى الحريمى – ويعرف بابن القاضى ، وقد سبق ذكر ترجمته فى هذا الكتاب – أخبرنا أبو العباس ابن الطلاية ، أخبرنا أبو القاسم الأنماطى ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، حدثنا يحيى بن صاعد ، حدثنا زياد بن يحيى ، حدثنا مالك بن سعيد حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ستر على مسلم عورة ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة – وذكر الحديث » .

١١٣ - محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر السلامى ، الفارسى الأصل ، ثم البغدادى ، الأديب اللغوى ، الحافظ أبو الفضل بن أبى منصور .

ولد ليلة السبت نصف شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة . كذا ذكره ابن الجوزى وابن السمعاني عنه .

وفى تاريخ ابن النجار : ليلة الخميس ، وكان والده شاباً تركيا ، محدثاً فاضلا من أصحاب أبى بكر الخطيب الحافظ توفى فى شبيبته . ومحمد جده اسمه « ابتغدى » وأبو جده على اسمه « تكين المضافرى » التركى الحر .

وتوفى ناصر وأبو الفضل هـذا صغير ، فـكفله جده لأمه أبو حكيم الخبرى الفرضى ، فأسمعه فى صغره شيئاً من الحديث يسيراً ، وشغله بحفظ القرآن ، والفقه على مذهب الشافعى . ثم إنه صحب أبا زكريا التبريزى اللغوى ، وقرأ عليه الأدب واللغة ، حتى مهر فى ذلك . ثم جد فى سماع الحديث ، وصاحب فى قراءة الأدب على التبريزى ، وسماع الحديث أبا منصور بن الجواليقى .

وكان فى أول الأمر أبو الفضل أميل إلى الأدب ، وابن الجواليقى أميل إلى الحديث . وكان الناس يقولون : يخرج ابن ناصر لغوى بغداد ، وابن الجواليقى محدثها . فانعكس الأمر ، فصار ابن ناصر محدث بغداد ، وابن الجواليقى لغويها . ولازم ابن ناصر أبا الحسن بن الطيورى . وسمع منه الـكثير .

وسمع من أبى القاسم بن البسرى ، وأبى طاهر بن أبى الصقر - وهو أول شيخ سمع عليه . وذلك سنة ثلاث وسبعين - وأبى الحسن العاصمى ، ومالك البانياسى ، وأبى الغنائم بن أبى عثمان ، وأبى محمد التميمى ، وطراد ، والنعال ، وابن البطر . وأكثر عن المتأخرين بعدهم ، وعنى بهذا الفن . وبالغ فى الطلب والسماعات .

وكانت له إجازات قديمة من أبى الحسين بن النقور ، والصريفينى ، وأبى القاسم بن عليك ، وأبى صالح المؤذن ، وابن ماكولا الحافظ وغيرهم ، وخالط

أصحابنا الحنابلة ومال إليهم ، وانتقل إلى مذهبهم ؛ لمنام رأى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : عليك بمذهب الشيخ أبي منصور الخياط . وقد سقناه بكماله فى ترجمة الشيخ أبي منصور .

وساقه ابن النجار مختصراً ، وفى آخره قال ابن ناصر : ثم أخذت فى سماع كتب أحمد ومسائله ، والتفقه على مذهبه ، وذلك فى رمضان سنة ثلاث وتسعين

قال السلفى : سمع ابن ناصر معنا كثيراً ، وهو شافعى أشعرى ، ثم انتقل إلى مذهب أحمد فى الأصول والفروع ، ومات عليه ، وله جودة حفظ و إتقان ، وحسن معرفة . وهو ثبت إمام .

قال أبو موسى المدينى : هو مقدم أصحاب الحديث فى وقته ببغداد .

وقال ابن الجوزى : كان حافظاً ضابطاً ، متقناً ، ثقة من أهل السنة ، لا مغمز فيه . وكان كثير الذكر ، سريع الدمعة . وهو الذى تولى تسمعي الحديث ، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث .

وقال أيضاً : قرأت عليه ثلاثين سنة ، ولم أستفد مّن أحد كاستفادتى منه .

وقال ابن النجار : كان جيد النقل ، صحيح الضبط ، كثير المحفوظ ، له يد باسطة فى معرفة النحو واللغة . وكانت أصوله فى غاية من الصحة والإتقان . وكان ثقة نبيلاً ، حجة ، حسن الطريقة ، متديناً فقيراً ، متعففاً نظيفاً نزهاً ، وقف كتبه على أصحاب الحديث .

رأيت بخطه وصية له أوصى بها ، ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة ، وهو ثياب بدنه ، وكلها خلق مغسولة ، وأثاث منزله ـ وكان مختصراً جداً ـ وثلاثة دنانير من العين ، لم يذكر سوى ذلك ، ومات ولم يعقب .

قال : وسمعت ابن سكينة ، وابن الأخضر وغيرهما يكثرون الثناء عليه ، ويصفونه بالحفظ والإتقان والديانة ، والمحافظة على السنن والنوافل .

وذكره ابن السمعانى فى كتابه ، فقال : حافظ ثقة ، دين خير ، متقن متثبت

وله حظ كامل من اللغة ، ومعرفة تامة فى المتون والأسانيد ، كثير الصلاة ، دائم التلاوة للقرآن الكريم ، مواظب على صلاة الضحى ، غير أنه يحب أن يقع فى الناس ، ويتكلم فى حقهم . وقد رد هذا عليه الحافظ أبو الفرج بن الجوزى رداً بليغاً .

وقال صاحب الحديث : ما يزال يجرح ويعدل . وقد احتج بكلام ابن ناصر فى أكثر التراجم ، فكيف عول عليه فى الجرح والتعديل ، ثم طعن فيه ؟ ولكن هذا من تعصب ابن السمعانى على أصحاب أحمد . وذكر كلاماً كثيراً .

ونقل ابن السمعانى فى ترجمة أحمد بن على الطريثيثى عن ابن ناصر : أن الطريثيثى ، كان كذاباً ضعيفًا فى الرواية ، لايحتج به ،ولايعتمد على روايته .

ثم قال أبو الفضل : لا يحسن الكلام ؛ فإنه إذ قال: كذاب ، لا يحتاج أن يقول : لايعتمد على روايته ، وإذا رماه بالكذب فلا يقال : إنه ضعيف فى الرواية ؛ فإن الضعف دون الكذب .

قال الحافظ أبو محمد بن الأخضر مامعناه : قول شيخنا « كذاب » لأنه روى ماليس من سماعه ، ونهى عن ذلك فلم ينته . وقوله «ضعيف فى الرواية » حيث لم يميز صحيح حديثه من سقيمه . و « لايحتج به » لأنه ليس من شرط الصحيح بهذا الوصف . و «لايعتمد على روايته» لوجوب هذا التخليط فى معرفته وحديثه ، فلو وصفه بمجرد الكذب لما كان من أهله ؛ لأنه ليس من قبيل من يضع متنا ولا يهيىء على متن إسناد ، فصاحب الترجمة لم ينفرد بوصف من هذه الأوصاف ، بل اشتمل عليها جميعها ، فكان الجرح على حسبها .

قال : وقول ابن السمعانى : إن ابن ناصر لا يحسن الكلام ، شِيٌّ من القول وقصور عن إدراك الفهم، أتراه من أدرك فى رحلته من اشتمل بصفة شيخنا فى طبقته من حفظ وإتقان ، ودوام صلاة وصيام ، وأوراد كثيرة ، لا يقطعها فى أوقاتها ، وحسن خط لم يماثله عالم فى تحقيقه وضبطه ، حتى إنه لا يفتقر من قرأ كتابه

إلى إسناد ، ولا من يعرفه طريق الإسناد ، ويفيد من حفظه علوماً جمة . له فى كل وصف شريف سيرة حسنة ، يعلو شخصه المهابة ، كأنه أحد الصحابة . فكيف يستجيز من تعقل وتفهم أن يطلق من لفظه ، وقد شاء هذه أنه لايحسن أن يتكلم؟

قلت : حدث ابن ناصر بالكثير ، وأملى الحديث ، واستملى للأشياخ الكثير وخرج لهم التخاريج الكثيرة ، وتكلم فيها على الأسانيد ، ومعانى الأحاديث وفقهها ، وله مصنف فى مأخذ فى اللغة على الغريبين للهروى ، ومصنف فى مناقب الإمام أحمد فى مجلد ، وجزء فى الرد على من يقول : إن صوت العبد بالقرآن غير مخلوق .

وروى عنه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، كالسلفى ، وابن عساكر ، وأبى موسى ، وابن السمعانى ، وابن الجوزى ، وابن الأخضر ، وابن سكينة ، وعبد الرزاق بن عبد القادر ، ويحيى بن الربيع مدرس النظامية ، وأبى بكر محمد ابن غنيمة بن الحلاوى الفقيه الحنبلي ، وأبى اليمن الكندى ، وخلق كثير . وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن بن المقير .

وتوفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة ، وصلى عليه قريباً من جامع السلطان ، ظاهر السور بالجانب الشرقى ، ثم بجامع المنصور ، ثم بالحربية ودُفن بمقبرة باب حرب ، إلى جانب أبى منصور بن الأنبارى تحت السدرة .

وذكر ذلك ابن الجوزى ، وقال: حدثنى أبو بكر بن الخضرى الفقيه ، قال: رأيته فى المنام ، فقلتُ : ياسيدى، مافعل الله بك ؟ فقال: غفر لى ، وقال لى : قد غفرتُ لعشرة من أصحاب الحديث فى زمانك ؛ لأنك رئيسهم وسيدهم . رحمه الله تعالى .

وذكر غيره : أنه صلى عليه أولا على باب جامع السلطان أبو الفضل بن شافع بوصية منه ، ثم صلى عليه الشيخ عبد القادر ، ثم ابن القوارير ى بجامع المنصور ، ثم عمر الحربى بالحربية ، ودفن وقت الظهر ، وكانت جنازته عظيمة ، وحضره عالم كثير . رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج الحافظ ، حدثنا محمد بن ناصر الحافظ من لفظه ، أخبرنا أبو طاهر محمد ابن أحمد بن أبى الصقر ، أخبرنا أبو الحسن بن ميمون بن محمد الحضرمى ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوه . حدثنا أبو عبد الرحمن النسائى ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحى ؟ قال : فى مثل صلصلة الجرس ، فَيَفْصِم عنى وقد وعيت عنه ، وهو أشد علي ، وأحياناً يأتينى فى مثل صورة الفتى، فيفيده إلى » .

ومن غرائب ماحكى عن ابن ناصر : أنه كان يذهب إلى أن السلام على الموتى ، يقدم فيه لفظة « عليكم » فيقال : عليكم السلام ؛ لظاهر حديث أبى حرى الهجيمى .

وذكر فى بعض تصانيفه : أن الإحداد على الميت بترك الطيب والزينة لا يجوز للرجال بحال ، ويجوز للنساء على أقاربهن ثلاثة أيام ، دون زيادة عليها ويجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً .

١١٤ ـ عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن دويل اليعقوبي، المؤدب أبو الكرم .

ولد بعد السبعين والأربعمائة ، وسمع من أبى النرسى ، وأبى الغنائم بن المهتدى ، وإسماعيل بن ملة ، وعبد القادر بن يوسف .

وحدث وسمع منه ابن الخشاب ، وابن شافع ، وابن المندائى ، وابن الأخضر .

قال أبو الفضل بن شافع : كان رجلا صالحاً من خيار أصحابنا ، تفقه على ابن عقيل ، وسمع الحديث الكثير .

وتوفى سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بباب أبرز .

قال وأنشدنا :

يا أهل ودى ويا أهلا دعوتكم ... بالحق لكنها العادات والنوب

أشبهتم الدهر فى تلوين صبغته ... فكلكم حائل الألوان منقلب

١١٥ - **أحمد بن الفرج** بن راشد بن محمد المدنى الوراق ، البغدادى ، القاضى أبو العباس . من أهل المدينة ، قرية فوق الأنبار .

ولد فى عشر ذى الحجة سنة تسعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على مكى بن أحمد الحنبلى وغيره . وتفقه على عبدالواحد ابن سيف .

وسمع من أبى منصور محمد بن أحمد الخازن ، وأبى العباس بن قريش ، وأبى غالب القزاز ، وأبى بكر بن عبد الباقى وغيرهم . وشهد عند قاضى القضاة الزينبى . وولى القضاء بدجيل مدة .

وحدث ، وروى عنه ابن السمعانى ، وغيره .

وتوفى يوم السبت سادس ذى الحجة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١١٦ - **محمد بن أحمد** بن محمد بن أحمد بن سعدان الأزجى، الفقيه أبو المظفر

سمع الحديث من القاضى أبى الحسين وابن العز بن كادش . وتفقه على القاضى أبى الحسين ، وأبى بكر الدنيورى ، ولازمه .

وروى عن أبى محمد بن القحف الواعظ شيئا .

روى عنه أحمد بن طارق . وكتب عنه المبارك بن كامل حكاية بغير إسناد فى معجمه .

قال صدقة ابن الحسين فى تاريخه . كان فقيها كيسا من أصحاب أبى بكر الدينورى .

توفى فى ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة . ودفن بباب حرب وسماه مظفرا .

١١٧ - **محمد بن خذاداذ** بن سلامة بن خذاداذ العراقى المأمونى المباردى الحداد الكاتب الفقيه الأديب ، أبو بكر بن أبى محمد ، ويعرف بنقاش المبارد .

سمع من نصر بن البطر ، والحسين بن طلحة ، وأبى نصر الزينبي ، وأبى الخطاب بن الجراح ، وطراد ، وأبي طاهر بن قيداس ، والمبارك بن عبد الجبار ، وابن الحصين . وغيرهم .

وتفقه على أبى الخطاب . وكتب خطا حسنا .

ذكره ابن السمعاني ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة . درس الفقه على محفوظ الكلوذانى ، يسكن المأمونية ، شيخ صالح ، كتبت عنه يسيراً .

وقال ابن نقطة : حدث ، وسماعه صحيح .

وذكره ابن القطيعى ، فقال : من أهل القرآن والفقه ، وطريقته فى النسخ معروفة بالسرعة .

وروى قديماً عن عبد الله بن جابر بن ياسين . ثم ساق حديثاً عن أحمد بن أبى السرايا التاجر عن محمد بن خذاداذ حدثنا عبد الله بن جابر بن ياسين سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

قال ومما أنشده لنفسه :

لما رأيت أوار الحب فى كبدى أجريت دمعى على الخدين مهمولا
وقلت : ياقلب صبرا بعد بينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا

وقال ابن النجار : كان فقيها مناظراً أصولياً ، تفقه على أبى الخطاب ، وعلق عنه مسائل الخلاف ، وقرأ الأدب ، وقال الشعر . وكان خطه رديئا .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وثابت بن شرف . وكان صدوقا .

وتوفى محمد بن خذاداذ ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بمسجد بن جردة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى . وأبوه خذاداذ بن سلامة أبو محمد الحداد ، نقاش المبارد .

ذكره ابن السمعانى أيضا ، وقال : كان من فقهاء الحنابلة ، يسكن المأمونية . سمع أبا نصر الزينبى . وحدث بشيء يسير . سمع منه ، أفاد الطلبة ، كتب لى الإجازة .

وتوفى فى نصف رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وصلى عليه بجامع المنصور . ودفن بباب حرب .

وقال ابن نقطة : حدث عنه أبو القاسم بن عساكر .

وقيد ابن نقطة « خذاداذ » بدال مهملة بين ذالين معجمتين .

١١٨ - سالم بن عبد الله بن عبد الملك الشيبانى الفقيه الزاهد ، أبو الفتح .

صحب أبا بكر الدينورى ، وسمع من الشريف أبى العز بن المختار ، وأبي الغنائم النرسى ، وغيرهما . وحدث باليسير .

سمع منه الشريف أبو الحسن الزيدى ، وإبراهيم بن الشعار ، وأبو الفضل ابن شافع ، وقال عنه : كان فقيها زاهدًا مخمولا ، ذكره عند أبناء الدنيا ، رفيعاً عند الله ، وصالح عباده ، وقال صدقة بن الحسين : كان فقيها متزهدا .

توفى ليلة الأربعاء سابع شعبان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

١١٩ - أحمد بن معالى - ويسمى عبد الله أيضا - بن بركة الحربى .

تفقه على أبى الخطاب الكلوذانى ، وبرع فى النظر .

ذكره ابن الجوزى فى عدة مواضع من كتبه ، كالطبقات والتاريخ ، وقال : كان له فهم حسن ، وفطنة فى المناظرة .

قال : وسمعت درسه مدة ، وكان قد انتقل إلى مذهب الشافعى ، ثم عاد إلى مذهب أحمد ، ووعظ .

وقال صدقة بن الحسين : كان شيخا كبيرا قد نيف على الثمانين، فقيها مناظرا

عارفا له مخالطة مع الفقهاء ، ومعاشرة مع الصوفية. وكان يتكلم كلاما حسناً ، إلا أنه كان متلونا فى المذهب .

وتوفى فى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة وصلى عليه الشيخ عبد القادر . ودفن بمقبرة باب حرب .

وكان سبب موته : أنه ركب دابة فانحنى فى ضيق ليدخل ، فاتكى بصدره على قربوس السرج فأثر فيه ، وانضم إلى ذلك إسهال، فضعفت القوة . وكان مرضه يومين أو ثلاثة . رحمه الله .

وله تعليقة فى الفقه وقفت على جزء منها .

١٢٠ ـ الحسين بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل على الله العباسى الهاشمى المقرىء ، الأديب أبو على .

ولد فى حادى عشر شوال سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن . وسمع قديما من أبى غالب الباقلانى ، وأبى الحسن بن العلاف وشهفير ، وابن أبى الفوارس الشاعر ، وابن الحصين، وأبى بكر اللفتوانى وغيرهم . وحدث .

وكان يؤم فى مسجد ابن الثعلبىّ الزاهد ، وكان فيه لطف وظرف وأدب ، ويقول الشعر الحسن ، مع دين وخير . وجمع سيرة المسترشد ، وسيرة المقتفى ، وجمع لنفسه مشيخة ، وجمع كتابا سماه « سرعة الجواب ومداعبة الأحباب » أحسن فيه .

قال ابن النجار : وكان أديبا فاضلا ، يقول الشعر ويروى الحكايات والنوادر . وكان صالحا متدينا صدوقا .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وغيره .

وذكره ابن السمعانى ، وقال: كان صالحا فاضلا ، له معرفة بالأدب والشعر .

ومن شعره مما كتبه فى بعض الأجايز .

أجزت للسادة الأخيار ما سألوا فليرووا عنى بلا بخس ولا كذب

مهما أحيوه من شعر ومن خبر ومن جميع سماعاتى من الكتب
وليحذروا السهو والتصحيف من غلط ويسلكوا سنة الحفاظ فى الأدب

قال ابن النجار: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله الضرير النحوى. أنشدنا الشريف أبو على الحسن بن جعفر لنفسه هذه القصيدة فى آخر ترجمة الحسين بن جعفر الآتى ذكره:

الدهر يعقب ما يضر وينفع والصبر أحمد ما إليه المرجع
والمرء فيما منه كان مصيره حينا، وليس عن المنية مدفع
فاحذر مفاجآت المنون؛ فإنه لا يلتجى منها ولا يستشفع
أين الذين تجمعوا وتحصنوا وتوثقوا وتجيشوا وتمنعوا
وتعظموا وتحشموا وتجبروا وتكبروا وتمولوا وترفعوا؟
صاحت بهم نوب الزمان فأسرعوا وحدى بهم حادى البلى فتقطعوا
ألا احتموا عنه بعضب باتر أو صانعوه بالذى قد جمعوا؟
كانت منازلهم بهم مأنوسة فتفرقت أوصالهم وتضعضعوا
واستوطنوا الأجداث بعد قصورهم وسفت على الآثار ريح زعزع
ماذا أعدوا فى الجواب لمنكر أن غرهم فيه، وماذا يصنع؟
وجدوا الذى عملوا: فوجه أبيض بجميل طاعته، ووجه أسفع
أبنى كن متمسكا بنصيحتى فالدهر ذو غير يجور ويخدع
واحذر مجاورة الحسود، فإنه بخلاف ما فى نفسه يتذرع
وعليك بالخلق الجميل، فإنه من كل شىء يقتنى لك أنفع
وتجنب الدنيا وكن متقنعاً فالحرّ يرضى بالقليل ويقنع
وخذ الكتاب بقوة، واعمل بما أمر المهيمن؛ فهو حق يتبع
واسلك سبيل رسوله فى أمره تنجو به؛ فهو الطريق المهيع
واعلم بأن الله (ليس كمثله شىء) إليه مصيرنا والمرجع

حي قديم واحد متنزه ... صمد ، تذل له الرقاب وتخضع
متكلم عدل جواد منعم ... بالقسط يعطى من يشاء ويمنع
ذو العرش لايخفى عليه سريرة ... منا ، ويعلم مانقول ويسمع
فى الحشر يظهر للعباد بلطفه ... كل يذل له ، وكل يخضع
بالعدل يحكم فى القيامة بيننا ... ونبينا فينا إليه يشفع
خير البرية بعده صديقه ... هو فى الخلافة سابق مستتبع
وكذلك الفاروق أكرم صاحب ... من بعده ، حبر جواد سلفع
ومجهز الجيش العظيم ، ومن ثوى ... مستسلما فى الدار وهو يبضع
وحبيبه ونسيبه وصفيه ... وحسامه ذاك البطين الأنزع
لهم المناقب والمواهب والعلى ... هم والصواحب والنجوم الطلع
وهم الذين بهم يفوز محبهم ... يوم المعاد وكل ذخر ينفع

قال ابن القطيعى : أنشدنى إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد الفقيه ـ هو الصقال ـ أنشدنا الشريف أبو علي بن المتوكل على الله لنفسه .

يا ذا الذى أضحى يصول ببدعة ... وتشيع وتمشعر وتمعزل
لا تنكرن تحنبلى وتسننى ... فعليهما يوم المعاد معولى
إن كان ذنبي حب مذهب أحمد ... فليشهد الثقلان أنى حنبلى

ومن شعره أيضاً :

بشرقى بغداد لى حاجة ... سأقضى وما خلتها تنقضى
ديون على ماطل ظالم ... ووجد بمستكبر معرض
أحن إليه حنين المحب ... ويهجرنى هجر المبغض

ومن شعره أيضاً :

ألا بأبى من صدّ عنى ، وإنه ... على صده شخص إلىّ حبيب
تجنبنى خوف الوشاة وفى الحشا ... رسيس جوى ما ينقضى ووجيب

ولى كبد حرى عليه قريحة ... وقلب معنّى فى هواه يذوب
هموا نسبوا حبى إلى غير عفة ... وظنوا بنا سوءا وذلك حوب
ووالله، ماحدثت نفسى بريبة ... وحاشا لمثلى أن يقال مريب

قال ابن الجوزى: توفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن بمقبرة باب حرب.

وفى تاريخ ابن القطيعى: أنه توفى ليلة الإثنين لخمس عشرة ليلة مضت من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

وذكر ابن النجار عن عمر القرشى: أنه توفى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى

١٢١ - محمد بن أحمد بن علىّ بن عبد الله الابرادى، البغدادى، الفقيه أبو الحسن بن أبى البركات. وقد سبق ذكر أبيه.

تفقه على ابن عقيل. وسمع منه، ومن أبيه أبى البركات، وأبى الحسن بن الفاعوس. وحدث باليسير.

سمع منه أبو الفضل بن شافع.

وتوفى يوم الجمعة خامس شعبان سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن عند باب المختارة.

أرخ وفاته: صدقة بن الحسين، وابن نقطة، وابن النجار. وقد اشتبه على بعض الناس وفاته بوفاة أبيه، كما سبق فى ترجمة أبيه.

١٢٢ - أحمد بن مهلهل بن عبد الله بن أحمد البردانى.

قال ابن النجار: هو من قرية «برد» بسكون الراء - من بلد إسكاف المقرىء - الزاهد الضرير، أبو العباس، ويعرف بالأزجى. كان من أهل القرآن والزهد والعبادة.

روى عن أبى طالب اليوسفى وغيره، وحدث.

ذكره ابن القطيعى ، وقال: سمعت أبا الحسن البراندسى الفقيه يقول : كان هذا الشيخ يصلى فى كل يوم أربعمائة ركعة .

وتوفى يوم الخميس غرة جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة . ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال ابن النجار : كان منقطعاً فى مسجده لا يخالط أحدا ، مشتغلا بالله عز وجل . وكان الإمام المقتفى يزوره ، وكذلك وزيره ابن هبيرة . والناس كافة يتبركوا به . وكان قرأ طرفا صالحا من الفقه على أبى الخطاب الكلوذانى ، ثم على أبى بكر الدينورى .

وسمع الحديث من أبى غالب الباقلانى ، وأبى الغنائم النرسى ، وأبى طالب اليوسفى ، وغيرهم . وحدث باليسير .

روى عنه أبو الفضل بن شافع وأبو بكر الباقدارى .

١٢٣ - سعيد بن الحسين بن شنيف بن محمد الديلمى الدارقزى ، الأمين أبو عبد الله .

ولد سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

وسمع من أبى عبد الله الحسين بن محمد السراج ، والحسين بن طلحة النعال ، وابن الطيورى ، وغيرهم .

وتفقه فى المذهب. وكان إماما بجامع دار القز ، وأمينا للقاضى بمحلته وما يليها. وكان شيخاً صالحاً ، ثقة ، حدث .

وروى عنه جماعة ، منهم : ابنه أبو عبد الله الحسين .

وتوفى ليلة السبت رابع عشر ذى الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٢٤ ـ أحمد بن أبى غالب بن أحمد بن غالب بن عبد الله الحربى ، الفقيه الفرضى المعدل ، أبو بكر .

سمع الحديث من أحمد بن الحسين بن قريش ، وابن الحصين ، وأبى بكر الأنصارى ، وأبى الحسين بن الفراء ، وغيرهم . وتفقه فى المذهب .

قال ابن النجار : كان أحـد الفقهاء على مذهب الإمام أبى عبد الله أحمد ابن حنبل ، حافظاً لـكتاب الله تعالى ، له معرفة بالفرائض ، والحساب والنجوم ، وأوقات الليل والنهار ، وشهد عند قاضى القضاة أبى القاسم الزينبى ، وتولى قضاء دجيل مدة ، ثم عزل ، حدث باليسير .

وسمع منه عبد المغيث الحربى ، والقاضى أبو القاسم بن الفراء ، وغيرهما .

وتوفى يوم الأحد يوم عيد الأضحى ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

١٢٥ ـ محمد بن أحمد بن على بن الحسين البرمكى(١) العباسى، الهاشمى المعدل الشريف الخطيب أبو المظفر .

توفى فى نصف ذى القعدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ودفن بالقرب من قبر معروف رحمه الله .

وكان مولده سنة سبعين وأربعمائة .

روى عن طراد ، وأبى نصر الزينبى ، والعاصمى ، وغيرهم .

وحدث ، وسمع منه جماعة . وكان جليل القدر . وكان من رجالات الهاشميين ، ذا أدب وعلم . وله نظم ، وخطب بجامع له .

١٢٦ ـ علوى الإسكاف(٢)

توفى فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وكان شيخاً صالحاً من أصحاب أبى الحسن ابن الزاغونى . وكان يقرأ كتاب

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « التريكى » .

(٢) فى خطية الإدارة الثقافية « علوان الإسكاف » .

الخرق . وصلى عليه بجامع القصر بكرة النهار . ودفن بمقبرة الوردية . ذكره صدقة ابن الحسين فى تاريخه .

١٢٧ ـ إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد بن إبراهيم النهروانى الرزاز ، الفقيه الفرضى ، الزاهد الحكيم الورع ، أبو حكيم .

ولد سنة ثمانين وأربعمائة .

وسمع الحديث من أبى الحسن بن العلاف ، وأبى عثمان بن ملة ، وأبى القاسم ابن بيان ، وأبى الخطاب الكلوذانى ، وأبى على بن شهاب ، وابن الحصين ، وغيرهم

وتفقه على أبى سعد بن حمزة صاحب أبى الخطاب ، و برع فى المذهب والخلاف والفرائض ، وأفتى وناظر .

وكانت له مدرسة بناها بباب الأزج ، وكان يدرس و يقيم بها . وفى آخر عمره فوضت إليه المدرسة التى بناها ابن الشمحل بالمأمونية ، ودرس بها أيضاً . وقرأ عليه العلم خلق كثير ، وانتفعوا به .

قال ابن الجوزى : قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض ، وممن قرأ عليه : السامرى صاحب المستوعب ، ونقل عنه فى تصانيفه .

قال ابن الجوزى : وكان زاهداً عابداً ، كثير الصوم ، يضرب به المثل فى الحلم والتواضع .

وقال أيضاً : كان من العلماء العاملين بالعلم ، كثير الصيام والتعبد ، شديد التواضع ، مؤثراً للخمول . وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه ، وما رأينا له نظيراً فى ذلك .

قال ابن القطيعى : سمعت ابن الجوزى يقول : كان الشيخ أبو حكيم تالياً للقرآن . يقوم الليل و يصوم النهار ، و يعرف المذهب والمناظرة ، وله الورع العظيم . وكان يكتب بيده ، فإذا خاط ثو باً فأعطى الأجرة مثلا قيراطاً ، أخذ منه حبة ونصفا ورد الباقى ، وقال : خياطتى لا تساوى أكثر من هذا . ولا يقبل من أحد شيئاً .

قلت : وقد صنف أبو حكيم تصانيف فى المذهب والفرائض . وصنف شرح الهداية . كتب منه تسع مجلدات ، ومات ولم يكمله .

وحدث ، وسمع منه جماعة منهم : ابن الجوزى ، وعمر بن على القرشى الدمشقى وله نظم .

وقال ابن القطيعى : أنشدنى أحمد التاجر ، أنشدنى إبراهيم بن دينار الفقيه لنفسه :

يادهر إن جارت صروفك واعتدت ورميتنى فى ضيقة وهوان
إنى أكون عليك يوما ساخطاً وقد استفدت معارف الإخوان

قال القطيعى : وقرأت فى كتاب أبى حكيم النهروانى بخطه :

وإنى لأذكر غور الكلام لئلا أجاب بما أكره
أصم عن الكلم المحفظات وأحكم والحكم بى أشبه
إذا ما آثرت سفاة السفيه علىّ ، فإنى أنا الأسفه
فكم من فتى يعجب الناظرين له ألسن وله أوجه
ينام إذا حضر المكرمات وعند الدناءة يستنبه

قال : وقرأت فى كتابه بخطه :

عجباً لى وقد مررت بآثارك إنى اهتديت نهج الطريق
أترانى أنسيت عهدك فيها ؟ صدقوا ، ما لميت من صديق

قال ابن الجوزى : رأيت بخطه ـ يعنى : أبا حكيم ـ على ظهر جزء له : رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين ـ فيما يرى النائم ـ كأن شخصاً فى وسط دارى قائما ، قلت : من أنت ؟ قال: أنا الخضر . قال : تأهب للذى لا بد منه من الموت الموكل بالعباد ، ثم كأنه علم أنى أريد أن أقول له : هل ذلك عن قرب ؟ فقال : قد بقى من عمرك اثنا عشر سنة تمام سنى أصحابك . وعمرى يومئذ خمس وستون سنة .

قال ابن الجوزى : فكنت دائماً أترقب صحة هذا ، ولا أفاوضه فى ذكره لئلا أنعى إليه نفسه ، فمرض رحمة الله عليه اثنين وعشرين يوماً .

وتوفى يوم الثلاثاء بعد الظهر ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وخمسمائة ، فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة ، فتأولت ذلك وقلت: لعله دخول سنة لا تمامها ، أو لعله رأى فى آخر سنة ، ومات فى أول الأخرى أو لعلها من السنين الشمسية . ودفن رحمه الله قريباً من بشر الحافى رضى الله عنه

وقد امتدحه الصرصرى فى قصيدته اللامية ، التى مدح فيها الإمام أحمد وأصحابه ، فقال :

وبالحلم والتقوى وصفة الرضى أبو حكيم غدا للفقه أكبر مجمل

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ ، أخبرنا أبو حكيم النهروانى ح قال الحرانى : وأخبرنا - عاليا - أبو الفرج بن عبد المنعم ابن عبد الوهاب التاجر قالا : أخبرنا أبو على محمد بن نبهان أبو الحسن بن الحسين ابن دوما ، أخبرنا أحمد بن نصر الزارع . حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمد الأنبارى ، والقاسم بن أحمد ، قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الجدثانى ، حدثنا على ابن مسهر عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عشق وكتم وعف فمات ، فهو شهيد »

١٢٨ - على بن عمر بن أحمد بن عمار بن أحمد بن على بن عبدوس الحرانى ، الفقيه الزاهد ، العارف الواعظ ، أبو الحسن .

ولد سنة عشر - أو إحدى عشرة - وخمسمائة ، على ما نقله القطيعى عن أبى المحاسن الدمشقى عنه .

وسمع ببغداد بآخر سنة أربع وأربعين من الحافظ أبى الفضل بن ناصر ،

وغيره . وتفقه و برع فى الفقه والتفسير والوعظ ، والغالب على كلامه التذكير وعلوم المعاملات . وله تفسير كبير . وهو مشحون بهذا الفن . وله كتاب « المذهب فى المذهب » ومجالس وعظية ، فيها كلام حسن ، على طريقة كلام ابن الجوزى .

قرأ عليه قرينه أبو الفتح نصر الله بن عبد العزيز ، وخاله الشيخ فخر الدين ابن تيميه فى أول اشتغاله ، وقال عنه : كان نسيج وحده فى علم التذكير ، والاطلاع على فنون التفسير ، وله فيه التصانيف البديعة ، والمبسوطات الوسيعة .

وسمع منه الحديث أبو المحاسن عمر بن على القرشى الدمشقى بحران ، سنة ثلاث وخمسين ، وقال: هو إمام الجامع بحران ، من أهل الخير والصلاح والدين .

قال : وأنشدنى لنفسه :

سألت حبيبى وقد زرته ومثلى فى مثله يرغب
فقلت : حديثك مستظرف ويعجب منه الذى يعجب
أراك مليح الجواب فصيح الخطاب ، فما تطلب
فهل فيك من خلة تزدرى بها الصد والهجر به يقرب ؟
فقال : أما قد سمعت المقال مغنية الحى ما تطرب ؟

ومما أورد الشيخ أبو الحسن فى مواعظه لنفسه :

ياحاملا ثقل الذنوب تجاهلا حملت من أثقالها العظائما
لابد من يوم عبوس هائل يكون من أسرف فيه نادما
قم خفف الثقل بحسن توبة حتى تكون فى المعاد سالما
وكن بأنوار اليقين مبصراً إن كنت فى ليل المعاد هائما
فإن لله عبادا أبصروا بأعين الفكر المعاد قائما
فشمروا أذيالهم وقصروا آمالهم وحققوا العزائما
وصيروا أفراحهم فى قربه وأقلبوا أعراسهم مآتما
واستفرغوا من العيون ماءها وأسعدوا على البكا الحمائما

أولئك الناجون فى معادهم يعطيهـم الله نعيما دائمـا

ومما أورده أيضا لنفسه :

أقاموا فقاموا له ركعا وكبروا فخروا لديه سجودا
وأجروا دموعهم خشيـــة فبلوا بتلك الدموع الخـدودا
ولمـا أطالوا لديه السجود رجوا منه وعداً وخافوا وعيدا
فأعطاهم منـه مايرتجون وأمنهم بعد ذاك الصـدودا
فمعظم أشغـالهم ذكره فطورا قيـاما وطورا قعودا
فورثهم ذكرهم ذكره وزادهم فى الجنان الخـلودا

ومن ذلك قوله :

قرة عين من صـدق بعزمه عن الصـدق
ثم اقتنى الدر الذى من ناله نال الشرفا
وإنمـا الدنيا متـــاع زائل لمن عرفا
من نال منهـا طرفا فليعطها منه طرفا

توفى رحمه الله وإيانا فى آخر نهار يوم عرفة ـ وقيل : ليلة عيد النحر ـ سنة تسع وخمسين وخمسمائة بحران .

ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية وهو يومئذ شاب له دون العشرين بقصيدة وهى:

قد زادنى حزنى واستمكنت عللى لمّا رحلت عن الإخوان يا أملى
يا عالمـا أوحش الدنيا بغيبتـه لاصنع لى فى قضاء الله والأجل
يا أهـل حران والهفى ووا أسفى على فراق ابن عبدوس الفقيه على
واحسرتاه على زين الزمان ومن كانت عقيدته بالقول والعمـل
يا قوم ما الصنع من بعد الفراق له لاصنع للعبد فى شىء من الحيل
كان الفقيه علي عالمـا ورعا وكـان مسلـكه فى أحسن السبل
كان الفقيه علي فوق منبره مثل العروس ترى فى أحسن الحلل

كان الفقيـه علي غير مبتـدع بل كان فى دينه كالفارس البطل
يقول : إن كلام الله ذو قدم حرف وصوت على التحقيق كيف تلى
كان الفقيه علي دائمـاً أبداً يذكر مولاه ذا خوف وذا وجل
وروحه قبضت فى ليلة شرفت يحظى بها كل محبوب وكل ولى
أبكى عيون الورى حزناً لفرقتـه وأرسل الدمع يا روحى من المقل
بكت عليه عيون الناس كلهم وأوحش الكل من سهل ومن جبل
بكت عليه الزوايا الخاليـات كما قد كان يؤنسها من غير ما ملل
بكت دفاتره حزناً له وأبى لأنه كان عنها غير مشتغل
عليـه طيب سـلام غير منفصل على ممر ليـالى الدهر متصـل

ذكر أبو الحسن بن عبدوس فى كتاب المذهب : أن فائدة الخلاف فى أن الغرض فى استقبال القبلة : هل هو استقبال العين أو الجهة ؟ أنا إن قلنا : الغرض استقبال العين ، فمتى رفع رأسه ووجهه إلى السماء حتى خرج وجهه عن مسامتة القبلة فسدت صلاته ، وإن قلنا : الغرض استقبال الجهة لم تفسد . كذا قال . وفيه نظر ؛ فإن فائدة هذا الخلاف إنما يظهر فى صورة يخرج فيها المصلى عن اسـتقبال العين إلى استقبال الجهة . وهذا لم يخرج عن العين إلى الجهة ، بل أخرج وجهه خاصة عن استقبالها جميعاً

وحكى ابن حمدان عن ابن عبدوس(١) .

١٢٩ - محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء ، القاضى أبى يعلى الصغير . ويلقب عماد الدين ابن القاضى أبى خازم ابن القاضى الكبير أبى يعلى ، شيخ المذهب فى وقته .

ولد يوم السبت لثمان عشرة من شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وسمع الحديث من أبيه وعمه القاضى أبى الحسين ، وأبى البركات طلحة العاقولى

(١) هكذا بجميع النسخ الخطية .

وأبى علىّ التكـكى ، وأبى الحسن بن العلاف ، وأبى العز بن كادش ، وأبى الغنائم النرسى ، وابن نبهان ، وابن بيـان ، وغيرهم .

وظهر له إجازة لابن الجواليقى معه من الحريرى صاحب المقامات .

وتفقه على أبيه القاضى أبى خازم ، وعلى عمه القاضى أبى الحسين . وبرع فى المذهب والخلاف والمناظرة . وأفتى ودرس وناظر فى شبيبته .

وكان ذا ذكاء مفرط ، وذهن ثاقب ، وفصاحة وحسن عبارة .

قال ابن القطيعى: قرأت عليه شيئاً من المذهب، وحضرت درسه ، ولم ير مثله فى حسن عبارته ، وعذوبة محاورته ، وحسن سمته ، ولطافة طبع ، ولين معاشرة ، ولطف تفهيم . عطر بالرياسة ، خليق بالتصدر ، جد واجتهد حتى صار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، ذو خاطر عاطر . وفطنة ناشئة ، أعرف الناس باختلاف أقوال الفقهاء . ظهرعلمه فى الآفاق ، ورأى من تلاميـذه من ناظر ودرس وأفتى فى حياته . وولى القضاء بباب الأزج سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . ثم ولى قضاء واسط سنة سبع وثلاثين ، وبقى مدة بها حاكما ، ثم عزله قاضى القضاة أبو الحسن ابن الدامغانى .

وذكر عنه : أنه لم يلتفت إلى عزله واستمر على الحـكم ، ثم خاف عاقبة ذلك فتشفع بصاحب البطيحة إلى الخليفة ، ثم قدم بغداد بعد إحدى عشرة سنة ، وقد ذهب بصره ، فلازم بيته .

وكـانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة ، وبنيت له فى بعض الأوقات موضعها دكة ، ثم أزيلت ، وذلك قبل ولايته للقضاء . ولما بنى أبو المعالى بن النبل مدرسة بالريان جعلها للحنابلة ، وفوض أمرها إلى القاضى أبى يعلى هذا . وكان ذا فصاحة ، لسن .

ومن بعض كتبه إلى بعض العلماء : فلو أن الـكرم مقلة كان هو إنسانها ، أو المجد لغة لـكان هو لسانها ، أو السؤدد دهرا لـكان هو ربيع أزمانه ، أو الشرف

عمرا كان صفوة ريعانه ، أو الاجواد شهبا لكان هو الشمس التى إذا ظهرت خفيت الـكواكب لظهورها ، و إذا تأملها الراءون ردت أبصارهم عن شعاعها ونورها .

وللشيخ أبى الفرج بن الجوزى فى القاضى أبى يعلى هذا مدائح كثيرة .

فمن ذلك قوله يهنيه بقدوم رجب ، أنشده عنه ابن القطيعى فى تاريخه :

تهن بشهر قد أتاك على يمن يبشر بالإقبال والسعد والأمن
وعش سالما من كل منية حاسد ومن شر ذى شر ومن كيد ذى ضغن
ومرْ وانه وانعم واعل وانق وطب وجد
وعد وارق وازدد واسم بالفهم والذهن
تدبرت بالفـكر السليم عواقب الأمور ولم تقبل على مثمر الغبن
وسابقت أهل العلم حتى سبقتهم فذو السبق منهم حين سعيك فى وهن
وكلهم فى الدين أضحوا كهيئة وأصبحت فى الإسلام كالشرط والركن
وكم ليلة ناموا وبت مؤانسا علوما أبت من لم يبت ساهر الجفن
إذا أنت جادلت الخصوم تجدلوا لديك بلا ضربٍ يقد ولا طعن
وإن فهت بالتدريس نظمت لؤلؤا وإن تسطر الفتوى فكالدر فى القطن
فبيتك معروف وعلمك ظاهر وفضلك مشهور ، فما حصل المثنى
عليك سوى تشريفه بمد يحكم وإلا فملم الناس فيكم بكم يغنى

وذكر ابن الجوزى فى كتابه التلقيح : أن أبا يعلى هذا هو الذى كان فقيه العصر فى الطبقة الرابعة عشر .

وصنف القاضى أبو يعلى تصانيف كثيرة ، منها : « التعليقة » فى مسائل الخلاف كبيرة ، و « المفردات » ، وكتاب « شرح المذهب » وهو مما صنفه فى شبيبته ، وكتاب « النكت والإشارات فى المسائل المفردات » .

وقرأ عليه المذهب والخلاف جماعة كثيرة ، منهم : أبو إسحاق الصقال وأبو العباس القطيعى ، وأبو الحسن بن ورخذ ، وأبو البقاء العكبرى . وعلق عنه الخلاف بواسط يحيي بن الربيع الشافعى مدرس النظامية .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : أبو العباس القطيعى ، وأبو إسحاق الصقال وأبو المعالى بن شافع ، وأبو بكر محمد بن المبارك بن الحضرى ، وأحمد بن صرما ، وغيرهم .

وتوفى ليلة السبت ـ سحرا ـ خامس جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة . كذا ذكره ابن الجوزى فى طبقاته ، وفى جزء مفرد ، وابن القطيعى ، وابن نقطة .

وذكر ابن الجوزى أيضا فى تاريخه وفى كتاب فضائل مقبرة أحمد : أنه توفى فى خامس جمادى الآخرة . وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، وأم الناس عليه ولده أبو منصور . ودفن بمقبرة باب حرب عند أبيه وجده . رحمهم الله تعالى .

وذكر ابن الجوزى فى موضع : أنه لم يشيعه عدد كثير ، وقال فى تاريخه : كان سأل فى مرضه أن يدفن فى دكة الإمام أحمد ، فأرسل إلى الوزير يقول : فى الدكة جدى لأمى ، فأنكر الوزير ذلك وقال : كيف تنبش عظام الموتى ؟ .

قرأت على أبى المعالى محمد بن عبد الرّزاق بن أحمد الشيبانى ببغداد : أخبركم أبو الفرج عبد الرحمن ابن عبداللطيف البزار ـ سماعا ـ أخبرنا أبو العباس أحمد بن صرما ـ قراءة عليه ـ أخبرنا القاضى الإمام أبو يعلى محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى ـ قراءة عليه ـ أخبرنا أبو الغنائم محمد بن على بن ميمون الحافظ بن على بن إبراهيم المقرئ ح وأخبرناه ـ عاليا ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصارى بدمشق، أخبرنا المسلم بن محمد بن علان أخبرنا ،حنبل بن عبد الله ، أخبرنا هبة الله ابن محمد بن الحصين أخبرنا أبو على التميمى قالا : أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد ، حدثنا أبى ، حدثنا يزيد بن هرون، حدثنا فضيل بن مرزوق، حدثنا أبو سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبدالله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن ، فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هولك ، سميت به نفسك أوعلمته أحداً من خلقك أو أنزلته فى كتابك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم

ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي: إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا. قال: فقيل: يارسول الله، أفلا نتعلمها؟ قال: فقال: بل ينبغي لمن يسمعها أن يتعلمها».

ذكر القاضي أبو يعلى الصغير في تعليقته ـ ونقلته من خطه ـ فيما إذا طرح في الماء طحلباً أو ورقاً أو طيناً تعمدا، فتغير به الماء: فهل يسلبه طهوريته؟ على وجهين.

قال: وإن تغير بعود أو كافور أو دهن: ففيه وجهان.

قال: ويتوجه على المذهب: أن يصح الوضوء والغسل من غير نية؛ لأن الأثرم نقل عن أحمد: أنه سأله عن رجل اغتسل يوم الجمعة من جنابة ينوي به غسل الجمعة؟ قال: أرجو أن يجزيه.

قال: وظاهر هذا يقتضي الجواز.

قال: وقد بنى القاضي هذه المسألة على أن التجديد هل يرفع الحدث أم لا؟

وقال: فأما إخراج البعير عن خمس من الإبل فلا يجوز عندنا في أحد الوجهين، والثاني: يجوز. وإذا قلنا: يجزي: فهل البعير كله فرض، أو خمسه؟ فيه وجهان.

وفائدة الوجهين: أنه إذا كان الفرض قدر خمس البعير جاز هذا البعير الواحد عن خمسة وعشرين بعيراً، وهل الأصل الشاة أم البعير؟ فيه وجهان.

أحدهما: الأصل كلاهما، أيهما أدى كان أصلا.

والثاني: الإبل أصل، والشاة بدل. وقال: فيه وجوب الحج على التراخي في أحد الروايتين. ثم نصر هذا القول ورجحه.

وقال أيضاً: تثبت الاستطاعة ببذل الابن الطاعة، على قياس المذهب. والمنصوص: أنها لا تثبت ببذل الابن ماله وبدنه. وأخذه من قاعدة أحمد في تصرف الأب في مال ابنه، وبسطه فيه.

ونصر فيه أيضاً: أن الإحرام بالحج لا ينعقد في غير أشهر الحج.

قال : ورواه هبة الله الطبرى فى سننه عن إمامنا أحمد ، قال : والذى نقله جماعة الأصحاب واختاروه : أنه يصح فى جميع السنة .

ونصر فيه : صحة الاستئجار ، وجواز أخذ الأجرة على سائر القرب غير المتعينة

ومما ذكره فى شرح المهذب ـ ونقلته من خطه ـ : يتوجه أن يجب الغسل بغيبوبة بعض الحشفة ؛ لأن من أصلنا : أن وجود بعض الجملة يجرى مجرى وجود جميعها ، كما فى مسائل الأيمان .

وذكر فيه : إذا أولج رجل فى قُبل الخنثى المشكل: هل يجب عليه الغسل ؟ يحتمل وجهين .

وذكر فيه : أنه يستحب للرجل إذا أجنب وأراد النوم أن يتوضأ ، فإن كان الجنب امرأة ففى اسحباب الوضوء لها روايتان . قال : فإن أراد الجنب الأكل أو الشرب استحب له أن يغسل فرجه ويتوضأ ، فى الروايتين .

وفى الأخرى : يغسل يده وفمه .

قال : ويستحب للإنسان إذا فرغ من وضوئه أن يشرب الماء الذى فضل منه وذكر حديث علىّ فى ذلك .

وذكر فى جواز دخول المرأة حمامها فى بيتها لغير عذر شرعى: يحتمل وجهين قال : فإن أجزناه فإنها تدخل وحدها ، ولا تدخل معها امرأة قريبة ولا بعيدة .

وحكى فى كفارة وطء الحائض : هل يجزىء صرفها إلى واحد من الفقراء ؟ على وجهين .

أحدهما : يجزئ ، وهو اختيار أبى حفص البرمكى .

والثانى : لايجزىء .

وعلى هذا : فبكم يتقدر ؟ لا نص فيها عن أصحابنا ، ويحتمل وجهين .

أحدهما : يجب صرفها إلى عشرة من المساكين ؛ لأنه أقل عدد يجزئ فى كفارة اليمين .

والثانى : يجزئ ثلاثة ؛ لأنه أقل الجمع المطلق . وقال فيه : فأما من به جرح يجرى دمه فلا يرقأ : فعليه أن يغسله عند كل فريضة و يشده . وفى إيجاب الوضوء روايتان .

وحكى رواية عن أحمد : أن أقل النفاس ثلاثة أيام ؛ لقوله فى رواية أبى داود وقد قيل له : إذا طهرت بعد يوم ؟ فقال :« بعد يوم لا يكون ولكن بعد أيام »

وذكر فيمن اجتهد وصلى ، ثم بان أنه صلى قبل دخول الوقت رواية : أنه لا يلزمه القضاء .

قال : وقد تأولها أصحابنا . وقال : إذا كان عليه سجود وسهو بعد السلام أخر الدعاء إلى تشهده ؛ ليكون خاتمة صلاته .

وحكى فيما إذا كان عليه سجود بعد السلام ، فسجد قبله: هل تجزيه و يعتد به ؟ على وجهين .

وقال فيه : فإن صلى فاسق خلف فاسق : فهل تصح أم لا ؟ على احتمالين .

١٣٠ - محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد بن الحرانى الأزجى المعدل ، أبو عبد الله . من أعيان عدول بغداد .

توفى فى جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الفيل .

روى عن أبى محمد الثقفى التميمى والنعالى . وحدث .

سمع منه جماعة ، منهم : ابن القطيعى ، وقال : كان ثقة مأمونا ، عالمًا لطيفًا صاحب نادرة ، حسن المعاشرة . جمع كتابا سماه « روضة الأدباء » وهو آخر من مات من شهود أبى الحسن الدامغانى . وكان ينتحل مذهب الإمام أحمد . انتهى .

وله شعر حسن . قال ابن الجوزى : زرته يوما ، فأطلت الجلوس عنده ، فقلت : قد ثقلت ، فقال :

لئن سميت إبراما وثقلا زيارات رفعت بهن قدرى
فما أبرمت إلا حبل ودى ولا أثقلت إلا ظهر شكرى

١٣١ - يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الجهم بن عمر بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان . وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية الشيبانى الدورى ، ثم البغدادى ، الوزير العالم العادل ، صدر الوزراء ، عون الدين ، أبو المظفر .

ولد فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بالدور : قرية من أعمال الدجيل ، ودخل بغداد شابا .

وقرأ القرآن بالروايات على جماعة . وسمع الحديث الكثير من جماعة ، منهم : القاضى أبو الحسين بن الفراء ، وأبو الحسين بن الزاغونى، وعبد الوهاب الأنماطى وأبو غالب بن البنا وأبو عثمان بن ملة ، وابن الحصين ، وغيرهم .

وقرأ الفقه على أبى بكر الدينورى فيما ذكره ابن القطيعى . وقيل : إنه قرأ على أبى الحسين بن الفراء ، وقرأ الأدب على أبى منصور بن الجواليقى . وصحب أبا عبد الله محمد بن يحيى الزبيدى الواعظ الزاهد من حداثته ، وكمل عليه فنونا من العلوم الأدبية وغيرها ، وأخذ عنه التأله والعبادة ، وانتفع بصحبته ، حتى إن الزبيدى كان يركب جملا ويعتم بفوطة ، ويلويها تحت حنكه ، وعليه جبة صوف ، وهو مخضوب بالحناء ، فيطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس ، وزمام جمله بيد أبى المظفر بن هبيرة . وهو أيضاً معتم بفوطة من قطن ، قد لواها تحت حنكه، وعليه قميص قطن خام ، قصير الكم والذيل ، وكلما وصل الزبيدى موضعاً أشار أبو المظفر بمسبحته ، ونادى برفيع صوته : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

ذكر ذلك أبو بكر التيمى بن المرستانيه ، فى الكتاب الذى جمعه فى مناقب الوزير وفضائله

وقال ابن الجوزى : كانت له معرفة حسنة بالنحو ، واللغة ، والعروض ، وصنف فى تلك العلوم ، وكان متشدداً فى اتباع السنة ، وسير السلف .

قلت : صنف الوزير أبو المظفر كتاب « الإفصاح عن معانى الصحاح » فى عدة مجلدات ، وهو شرح صحيحى البخارى ومسلم ، ولما بلغ فيه إلى حديث « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » شرح الحديث ، وتكلم على معنى الفقه ، وآل به الكلام إلى أن ذكر مسائل الفقه المتفق عليها ، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين .

وقد أفرده الناس من الكتاب ، وجعلوه مجلدة مفردة ، وسموه بكتاب « الإفصاح » وهو قطعة منه ، وهذا الكتاب صنفه فى ولايته الوزارة ، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب ، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله ، بحيث إنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار ، وثلاثة عشر ألف دينار ، وحدث به ، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه . وكتب به نسخة لخزانة المستنجد . و بعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها ، واستنسخوا لهم به نسخاً ، ونقلوها إليهم ، حتى السلطان نور الدين الشهيد . واشتغل به الفقهاء فى ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه فى المدارس والمساجد ، و يعيده المعيدون ، و يحفظ منه الفقهاء .

وصنف فى النحو كتاباً سماه «المقتصد» ، وعرضه على أئمة الأدب فى عصره ، وأشار إلى ابن الخشاب بالكلام عليه ، فشرحه فى أربع مجلدات ، و بالغ فى الثناء عليه .

واختصر كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، وكان ابن الخشاب يستحسنه و يعظمه .

وصنف كتاب « العبادات الخمس » على مذهب الإمام أحمد ، وحدث به بحضرة العلماء من أئمة المذاهب .

وله أرجوزة فى المقصور والممدود ، وأرجوزة فى علم الخط .

وقد صنف ابن الجوزى كتاب « المقتبس من الفوائد العونية » وذكر فيه الفوائد التى سمعها من الوزير عون الدين ، وأشار فيه إلى مقاماته فى العلوم . وانتقى من زبد كلامه فى الإفصاح على الحديث كتابا سماه « محض المحض » .

وكان ابن هبيرة رحمه الله فى أول أمره فقيراً ، فاحتاج إلى أن دخل فى الخدم السلطانية ، فولى أعمالا ، ثم جعله المقتفى لأمر الله مشرفاً فى المخزن ، ثم نقل إلى كتابة ديوان الزمام .

ثم ظهر للمقتفى كفاءته وشهامته ، وأمانته ونصحه ، وقيامه فى مهام الملك . فاستدعاه المقتفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة إلى داره ، وقلده الوزارة ، وخلع عليه وخرج فى أبهة عظيمة . ومشى أرباب الدولة وأصحاب المناصب كلهم بين يديه ، وهو راكب إلى الإيوان فى الديوان. وحضر القراء والشعراء ، وكان يوماً مشهوداً. وقرئ عهده ، وكان تقليداً عظيما ، بولغ فيه بمدحه والثناء عليه إلى الغاية. وخوطب فيه بالوزير العالم العادل ، عون الدين ، جلال الإسلام ، صفى الإمام ، شرف الأنام ، معز الدولة ، مجير الملة ، عماد الأمة ، مصطفى الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، صدر الشرق والغرب ، سيد الوزراء ، ظهير أمير المؤمنين .

وكان الوزير قبل وزارته يلقب جلال الدين ، وقال يوما : لا تقولوا فى ألقابى سيد الوزراء ؛ فإن الله تعالى سمى هارون وزيراً ، وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أن وزيريه من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض: أبو بكر وعمر ، وجاء عنه أنه قال : «إن الله اختارنى ، واختار لى أصحابا ، فجعلهم وزراء وأنصارا» ولا يصلح أن يقال عنى : أنى سيد هؤلاء السادة .

قال صاحب سيرته : ركب الوزير إلى داره مجاورة الديوان ، وبين يديه جميع من حضر من أرباب الدولة ، وأصحاب المناصب والأمراء والحجاب ، والصدور والأعيان ، وقد أخذ قوس الخلافة باريها ، واستقرت الوزارة فى كفؤها وكافيها . فقام فيها قيام من عدله الزمان بثقافه ، وزينه الكمال بأوصافه ، ودبرها

بجوده ونُهاه ، وأورد الأمل فيها مناه ، ومد الدين رواقه ، وأمن بدره به محاقه . فأقام سوق الخلافة على ساقها ، وابتدع فى انتظام ممالكها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت فى حين أوانه وسمها ، وتتبع ما أفسدته العين منها بالإصلاح ، واستدرك لها ما أخرجته لها يد الاجتياح ، وداوى كل حال بدوائه ، ورد غائر الماء إلى لجائه ، وأقام الصلاة جماعة ، وافترض العدل سمعاً لله وطاعة ، ورعى لأهل الفضل والمعارف ، وأواهم من بره إلى ظل وارف ، حتى صارت دولته مشرعا للكرم ، ومستراحاً لآمال الأمم ، يرتضع فيه للمكارم أخلاف ، وتداريها الأمانى سلاف ، ونفقت فيها أقدار الأعلام ، وتدفقت فيها نذر الكلام ، ولاحت بها من العلماء شموس ، وارتاحت فيها للطلبة بالعلوم نفوس ، ولم تخل أيامه ومجالسه من مناظرة ، ولا عمرت إلا بمذا كرة ومحاضرة ، إلا أوقات عطلها من ذلك النظام ، وأوقعها إما على صلاة وصيام ، أو على تصنيف ، وجمع وتأليف ؛ بحيث صنف عدة كتب ، منها : كتاب « الإفصاح عن شرح معانى الصحاح » وهذا الكتاب بمفرده يشتمل على تسعة عشر كتابا .

ولما ولى الوزير أبو المظفر رحمه الله الوزارة بالغ فى تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين ، واجتهد فى إكرامهم وإيصال النفع إليهم ، وارتفع أهل السنة به غاية الارتفاع . ولقد قال مرة فى وزارته : والله لقد كنت أسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه منها العلم وأهله .

وكان سبب هذا : أنه ذكر مرة فى مجلسه مفردة للإمام أحمد تفرد بها عن الثلاثة ، فادعى أبو محمد الأشترى المالكى : أنها رواية عن مالك ، ولم يوافقه على ذلك أحد ، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد ، وهى منها ، والمالكى مقيم على دعواه . فقال له الوزير : بهيمة أنت ؟ أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحمد بها ، والكتب المصنفة ، وأنت تنازع وتفرق المجلس ؟ فلما كان المجلس الثانى ، واجتمع الخلق للسماع أخذ ابن شافع فى القراءة ، فمنعه وقال : قد كان

الفقيه أبو محمد جرىء فى مسألة أمس على مالا يليق به عن العدول عن الأدب والانحراف عن نهج النظر ، حتى قلت تلك الكلمة ، وها أنا فليقل لى كما قلت له فلست بخير منكم ، ولا أنا إلا كأحدكم ، فضج المجلس بالبكاء ، وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء ، وأخذ الأشترى يعتذر ، ويقول : أنا المذنب والأولى بالاعتذار من مولانا الوزير ، ويقول: القصاص ، القصاص ، فقال يوسف الدمشقى مدرس النظامية : يامولانا ، إذا أبى القصاص فالفداء ، فقال الوزير : له حكمه ، فقال الأشترى : نعمك علىّ كثيرة ، فأى حكم بقى لى ؟ فقال : قد جعل الله لك الحكم علينا بما ألجأتنا به إلى الافتيات عليك ، فقال : على بقية دين منذ كنت بالشام ، فقال الوزير : يعطى مائة دينار لإبراء ذمته وذمتى ، فأحضر له مائة ، فقال له الوزير : عفا الله عنك وعنى ، وغفر لك ولى .

وذكر ابن الجوزى أنه قال : يعطى له مائة دينار لإبراء ذمته ، ومائة دينار لإبراء ذمتى . وكان هذا الأشترى من علماء المالكية ، طلبه الوزير من نور الدين محمود بن زنكى ، فأرسل به إليه فأكرمه غاية الإكرام .

قال ابن الجوزى : وكان ابن الوزير إذا استفاد شيئا قال: أفادنيه فلان حتى ، إنه عرض له يوما حديث ، وهو « من فاته حزب من الليل فصلاه قبل الزوال كان كأنه صلى بالليل » فقال : ما أدرى معنى هذا ؟ فقلت له : هذا ظاهر فى اللغة والفقه .

أما اللغة : فإن العرب تقول : كيف كنت الليلة ، إلى وقت الزوال .

وأما الفقه : فإن أبا حنيفة يصحح الصوم بنية قبل الزوال ، فقد جعل ذلك الوقت فى حكم الليل . فأعجبه هذا القول . وكان يقول بين الجمع الكثير : ما كنت أدرى معنى هذا الحديث حتى عرفنيه ابن الجوزى، فكنت أستحى من الجماعة .

قال : وجعل لى مجلسا فى داره ، كل جمعة يطلقه ويطلق العوام فى الحضور وكان بعض الفقراء يقرأ القرآن فى داره كثيرا ، فأعجبه ، فقال لزوجته : أريد أن

أزوجه ابنتي ، فغضبت الأم من ذلك . وكان يقرأ عنده الحديث كل يوم بعد العصر وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء . وكانت أمواله مبذولة لهم ، ولتدبير الدولة فكانت السنة تدور عليه وعليه ديون ، وقال : ماوجبت على زكاة قط .

قلت : وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

يقولون : يحيى لازكاة لماله ‏ ‏ وكيف يزكى المال من هو باذله ؟
إذا دار حول لايرى في بيوته ‏ ‏ من المال إلا ذكره وفضائله

وقال لبن الجوزى : وكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه . ويذكر في منصبه شدة فقره القديم ، فيقول : نزلت يوما إلى دجلة ، وليس معي رغيف أعبر به الحمام . ثم ذكر طرفا من حلمه وصفحه وعفوه ، فقال : لما جلس في الديوان أول وزارته أحضر رجلا من غلمان الديوان ، فقال : دخلت يوما إلي هذا الديوان ، فقعدت في مكان ، فجاء هذا ، فقال : قم فليس هذا موضعك ، فأقامنى . فأكرمه وأعطاه .

ودخل عليه يوما تركى ، فقال لحاجبه : أما قلت لك : اعط هذا عشرين دينارا ، وكذا من الطعام ، وقل له : لايحضر ههنا ؟ فقال : قد أعطيناه . قال : عد واعطه ، وقل له : لايحضر . ثم التفت إلى الجماعة ، وقال : لاشك أنكم ترتابون بسبب هذا ؟ فقالوا : نعم ، فقال: هذا كان شحنة في القرى ، فقتل قتيل قريبا من قريتنا ، فأخذ مشايخ القرى وأخذنى مع الجماعة ، وأمشانى مع الفرس ، و بالغ في أذاى وأوثقنى ، ثم أخذ من كل واحد شيئا وأطلقه ، ثم قال لى : أى شىء معك ؟ قلت : مامعى شيئا ، فانتهرنى ، وقال : اذهب . فأنا لا أريد اليوم أذاه ، وأبغض رؤيته .

وقد ساق مصنف سيرة الوزير هذه الحكاية بأتم من هذا السياق .

وذكر : أن الوزير قال : ما نقمت عليه إلا أنى سألته في الطريق أن يمهلنى حسبما أصلى الفرض فما أجابنى ، وضربنى على رأسى وهو مكشوف عدة مقارع

فكنت أنقم عليه حين رأيته لأجل الصلاة ، لا لكونه قبض عليّ ؛ فإنه كان مأمورًا .

وذكر : أنه استخدمه فى أصلح معايش الأمراء ، واستحله من صياحه عليه وقوله : اخرجوه عنى .

قال ابن الجوزى : وكان بعض الأعاجم قد شاركه فى زراعة . فآل الأمر إلى أن ضرب الأعجمى الوزير و بالغ ، فلما ولىَ الوزارة أُتى به فأكرمه ووهب له وولاه

أنبئت عن أحمد بن عبد الدائم المقدسى قال : حكى لنا ابن الجوزى قال : كنا نجلس إلى الوزير ابن هبيرة ، فيملى علينا كتابه «الإفصاح» فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل ومعه رجل ادعى عليه أنه قتل أخاه ، فقال له عون الدين : أقتلته ؟ قال : نعم . جرى بينى و بينه كلام فقتلته : فقال الخصم : سلمه إلينا حتى نقتله فقد أقر بالقتل ، فقال عون الدين : أطلقوه ولا تقتلوه ، قالوا : كيف ذلك ، وقد قتل أخانا ؟ قال : فتبيعونيه ، فاشتراه منهم بستمائة دينار ، وسلم الذهب إليهم وذهبوا ، قال للقاتل : اقعد عندنا لا تبرح . قال : فجلس عندهم ، وأعطاه الوزير خمسين دينارًا . قال : فقلنا للوزير : لقد أحسنت إلى هذا وعملت معه أمراً عظيما ، و بالغت فى الإحسان إليه ، فقال الوزير : منكم أحد يعلم أن عينى اليمنى لا أبصر بها شيئًا ؟ فقلنا : معاذ الله ، فقال : بلى والله . أتدرون ما سبب ذلك ؟ قلنا : لا . قال : هذا الذى خلصته من القتل جاء إلىّ وأنا فى الدور ومعى كتاب من الفقه أقرأ فيه ، ومعه سلة فاكهة ، فقال : احمل هذه السلة ، قلت له : ما هذا شغلى فاطلب غيرى ، فشاكلنى ، ولكمنى فقلع عينى ، ومضى ولم أره بعد ذلك إلى يومى هذا . فذكرت ماصنع بى ، فأردت أن أقابل إساءته إلىّ بالإحسان مع القدرة .

قال ابن الجوزى : كان الوزير يجتهد فى اتباع الحق ، و يحذر من الظلم ، ولايلبس الحرير . وكان مبالغاً فى تحصيل التعظيم للدولة العباسية ، قامعاً للمخالفين بأنواع الحيل ، حسم أمور السلاطين السلجوقية .

وذكر صاحب سيرته : أنه سمعه يذكر : أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا ، عزم هو والخليفة على قتاله . قال : ثم إنى فكرت فى ذلك ، ورأيت أنه ليس بصواب مجاهرته ؛ لقوة شوكته . فدخلت على المقتفى ، فقلت : إنى رأيت أن لا وجه فى هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى ، وصدق الاعتماد عليه ، فبادر إلى تصديقى فى ذلك ، وقال : ليس إلا هذا . ثم كتبت إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على رعل وذكوان شهرا ، وينبغى أن ندعو نحن شهرا . فأجابنى بالأمر بذلك .

قال الوزير : ثم لازمت الدعاء فى كل ليلة وقت السحر أجلس فأدعو الله سبحانه ، فمات مسعود لتمام الشهر ، لم يزد يوما ولم ينقص يوما ، وأجاب الله الدعاء وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق ، وأورثنا أرضهم وديارهم . وهذه القصة تذكر فى كرامات الخليفة والوزير . رحمهما الله تعالى .

وكاتب الوزير ابن هبيرة السلطان نور الدين محمود بن زنكى يستحثه على انتزاع مصر من يد العبيديين . فسير إليها أسد الدين شيركوه مرتين ، وفى الثالثة خطب بها للمستنجد ، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين ، وعمل أبو الفضائل بن تركان حاجب الوزير ابن هبيرة قصيدة يهنئ بها الوزير بفتح مصر ، ويذكر أن ذلك كان بسبب سعيه وبركة رأيه ، وتكامل انتزاع مصر من بنى عبيد ، وإقامة الخطبة لبنى العباس بها بعد سبع سنين فى خلافة المستضىء فعظمت حرمة الدولة العباسية فى وقته ، وانتشرت إقامة الدعوة لها فى البلاد .

قال ابن الجوزى : وكان المقتفى معجباً به ، يقول : ما وزر لبنى العباس مثله .

قال ابن الجوزى : حدثنى الوزير قال : لما رجعت من الحلة ـ وكان قد خرج لدفع بعض البغاة ـ دخلت على المقتفى ، فقال لى : ادخل هذا البيت فغير ثيابك ، فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير ، فقلت : أنا والله ما ألبس هذه . فخرج الخادم فأخبر المقتفى ، فسمعت صوت المقتفى وهو يقول : قد والله قلت : إنه ما يلبس .

وذكر صاحب سيرته هـذه الحكاية مبسوطة . قال : فعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه عليّ ، وقال : قد أخبرت أمير المؤمنين بامتناعك ، فقال : والله لقد حسبت هذا ، وأنه لايفعل . قال : فقلت حينئذ لنفسى : يايحيى كيف رأيت طاعة الله تعـالى ؟ لو كنت قد لبستها كيف كنت تكون فى نفس أمير المؤمنين ؟ وكيف كانت تكون منزلتك عنده ؟ .

قال صاحب سيرته : وكان لايلبس ثوباً يزيد فيه الإبريسم على القطن ، فإن شك فى ذلك سلّ من طاقاته ونظر : هل القطن أكثر أم الإبريسم ؟ فإن استويا لم يلبسه .

قال : ولقد ذكر يوماً فى بعض مجالسه ، فقال : له بعض الفقهاء الحنابلة : يامولانا ، إذا استويا جاز لبسه فى أحد الوجهين عن أصحابنا ، فقال: إنى لا آخذ إلا بالأحوط .

قال : وذكر يوماً بين يديه : أنه كان للصاحب ابن عباد دست من ديباج فقال الوزير : قبح والله بالصاحب أن يكون له دست من ديباج ؛ فإنه وإن كان زينة فهو معصية وهجنة .

قال ابن الجوزى: ونقله عنه ابن القطيعى سمعت ابن هبيرة الوزير يقول: جاءنى مكتوب مختوم من المستنجد فى حياة أبيه المقتفى ، فقلت للرسول : ارجع إليه وقل له : إن كان فيه ما تـكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك فى فتحه ؛ فإنى أعرّفه مافيه ، وإن لم تكن تـكره إطلاعه عليه فافتحه ، ثم أعطه الرسول ، فمضى ولم يعد ، وحصل فى نفسه من ذلك شىء . فلما توفى المقتفى وولى المستنجد أمر بحضوره للمبايعة .

قال ابن الجوزى : فقال لى الوزير حين جاءه الرسول : إن وصلت إلى أمير المؤمنين نلت ما أريد ، وإن قتلت قبل وصولى إليه فمالى حيلة . فما كان إلا ساعة دخوله عليه حتى عاد فرحاً ، فقلت له : ما الخبر ؟ قال : وصلت إليه وبايعته ، ثم

قلت : يكفى العبد فى صدقه ونصحه أنه حابى مولانا فى أبيه نصحا لأمير المؤمنين وأشرت إلى رد مكتوبه ، فقال : صدقت ، أنت الوزير ، فقلت : إلى متى ؟ فقال: إلى الموت، فقلت : أحتاج والله إلى اليد الشريفة، فأحلفته على ماضمن لى.

قال صاحب سيرته : وأخبرنى الخادم مرجان بن عبد الله ـ أحد خواص خدم الخليفة ـ قال : سمعت الإمام المستنجد بالله أمير المؤمنين ينشد وزيره عون الدين أبا المظفر بن هبيرة ، وقد مثل الوزير بين يدىْ سدته فى أثناء مفاوضة جرت بينهما فى كلام يرجع إلى تقرير قواعد الدين ، والنظر فى مصالح الإسلام والمسلمين ، فأعجب الخليفة به ، فأنشده الخليفة ـ يمدحه ـ أربعة أبيات : الأخيرين منهما لنفسه ، والأولين لابن حيوس ، وهى :

صفت نعمتان خصتّاك وعمّتا ... فذكرهما حتى القيامة يذكر

وجودك والدنيا إليك فقيرة ... وجودك والمعروف فى الناس ينكر

فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ... ويحيى لكفى عنه يحيى وجعفر

ولم أر من ينوى لك السوء يا أبا ... المظفر إلا كنت أنت المظفر

وقال ابن الذهبى[1] فى تاريخه : كان عالما فاضلا ، عابدا عاملا ، ذا رأى صائب وسريرة صالحة ، وظهرت منه كفاية تامة ، وقيام بأعباء الملك ، حتى شكره الخاص والعام . وكان مكرماً لأهل العلم ، ويقرأ عنده الحديث عليه ، وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره . وكان مقربا لأهل العلم والدين ، كريما طيب الخلق .

قال ابن القطيعى : كان ابن هبيرة عفيفا فى ولايته ، محمودا فى وزارته ، كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن ، والصلاة والصيام ، يحب أهل العلم ، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم ، جميل المذهب ، شديد التظاهر بالسنة .

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « ابن الدبيثى »

قال : ومن كثرة ميله إلى العمل بالسنة ، اجتاز فى سوق بغداد ـ وهو الوزير ـ فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

قال صاحب سيرته : ولقد بلغ به من شدة الورع بحيث أحضر له كتاب من وقف المدرسة النظامية ، ليقرأ عنده . فقال : قد بلغنى أن الواقف شرط فى كتاب الوقف : أن لا يخرج شيء من كتب الوقف عن المدرسة ، وأمر برده . فقيل له : إن هذا شيء ما تحققناه . فقال : أليس قد قيل ؟ ولم يمكّنهم من قراءته ، وحثهم على إعادته .

قال : وحدثنى الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن عيسى الحنبلى قال : حدثنى الوزير عون الدين قال : كان بينى وبين بعض مشايخ القرى معاملة مضيت من أجلها من الدور إلى قريته فلم أجده ، فقعدت لانتظارهم حتى هجم الليل ، فصعدت إلى سطحه للنوم ، فسمعت قوماً يسفهون بالهجر من الكلام ، فسألت عنهم ؟ فأخبرت أنهم يعصرون بالنهار الخمر ، ويسفهون فى الليل . فقلت : والله لا بت بها فقيل : ولم ؟ فقلت : أخاف أن ينزل بهم عذاب وسخط فأكون معهم ، فإن لم يكن خسفاً حقيقياً كان خسفاً معنوياً ، مما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام ، ومضيت ذلك الوقت إلى الدور .

قال الوزير : فلما عدت أنا والمقتفى لأمر الله من حصار قلعة تكريت مررنا بتلك القرية ، فسألنى المقتفى عنها ؟ فقلت: هذه الناحية للوكلاء أجلهم الله تعالى. فقال : لئن تكون لك ، إذ هى فى جوارك أصلح من أن تكون لنا ، فتقدم إلى عمالك بالتصرف فيها . فذكرت له حينئذ حالتى بها ، وقلت له : فمن بركة ذلك الفعل رزقت القرب منك يا أمير المؤمنين ، وتملك الناحية من غير طلب منى لها ، فاستظرف ذلك منى ، وكثر تعجبه منه .

قال : وكان الوزير شديد التواضع ، رافضاً للكبر ، شديد الإيثار لمجالسة أرباب

الدين والفقراء ، بحيث سمعته فى بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه : أنت أخى ، والمسلمون كلهم إخوة .

قال : ولقد كنا يوماً بالمجلس على العادة لسماع الحديث ، إذ دخل حاجبه أبو الفضائل بن تركان . فسار الوزير بشىء لم يسمعه أحد . فقال له الوزير : أدخل الرجل ، فأبطأ عليه . فقال الوزير : أين الرجل ؟ فأبطأ . فقال : أين الرجل ؟ فقال الحاجب: إن معه شملة صوف مكورة . وقد قلت له : اتركها مع أحد الغلمان خارجا عن الستر وادخل . قال : لا أدخل إلا وهى معى . فقال له الوزير : دعه يدخل وهى معه ، فخرج وعاد . و إذا معه شيخ طوال من أهل السواد ، وعليه فوطة قطن ، وثوب خام ، وفى رجليه جمجان ، فسلم ، وقال للوزير : يا سيدى ، إن أم فلان ـ يعنى : أم ولده ـ لما علمت أنى متوجه إليه . قالت لى : بالله سلم على الشيخ يحيى عنى ، وادفع إليه هذه الشملة ؛ فقد خبزتها على اسمه ، فتبسم الوزير إليه وأقبل عليه ، وقال : الهدية لمن حضر ، وأمر بحلها ، فحلت الشملة بين يديه و إذا فيها خبز شعير مشطور بكامخ اكشوت . فأخذ الوزير منه رغيفين ، وقال: هذا نصيبى ، وفرق الباقى على من حضر من صدور الدولة ، والسادة الأجلة ، وسأله عن حوائجه جميعها ؟ وتقدم بقضائها على المكان ، ثم التفت إلى الجماعة وقال : هذا شيخ قد تقدمت صحبتى له قديما ، واختبرته فى زرع بيننا فوجدته أمينا ، ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ ، ولا تكبر عليه ، ولا أعرض عنه ، بل أحسن لقاءه ، وقضى حوائجه ، وأجزل عطاءه .

ثم حكى : أنه كان بينه و بين هذا الشيخ زرع ، وأنهم خشوا عليه من جيش عظيم نزل عندهم ، فقرأوا على جوانبه القرآن، فسلم ولم يرع منه سنبلة واحدة .

قال : ودخل عليه يوماً نقيب نقباء الطالبيين الطاهر بن أحمد بن علي الحسينى فسلم عليه وخدمه ، وسأله رفع رقعة له إلى الخليفة المستنجد، وأن يتكلم له عند عرضها ولا يهملها ، فتبسم وقال : والله ما أهملت لأحد رقعة قط ، ولا حاجة

حضرنى ذكرها ، وذكر حكاية عن الوزير ابن العميد : أنه وعد رجلا النظر فى ظلامته ومطله وسوّفه وقال ، سننظر فيها : فقال له بعض أصحابه ، هذا كلام من لا يعرف دبيب الساعات فى انخرام السدول ، فانتبه لها ابن العميد ، والآن يتولى رفع ظلامات المتظلمين .

قال : ودخل عليه يوماً أبو الفرج عبد الخالق بن يوسف المحدث ، وقال فى كلامه : المملوك شيخ من حملة القرآن وأهل العلم ورواة الحديث، وله وعليه حقوق فى المال ، فانظر له وعليه ، مقاطعة شىء من الجانب الغربى ، فليس بيده شىء . فتقدم له الوزير بخمسين ديناراً قبضها فى مجلسه ، ثم قال له : هذا بعض مالك على بيت المال ، فأدِّ بعض ماعليك لبيت المال .

قال : وكنا يوماً عنده والمجلس غاص بولاة الدين والدنيا ، والأعيان الأماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث ، إذ فجأنا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع ، فاضطرب له المجلس ، وارتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت، حتى أنهى ابن شافع قراءة الإسناد ومتنه . ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلكم ، ثم قام ودخل إلى الستر ولم يلبث أن خرج ، فجلس وتقدم بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون ، وقالوا : قد أزعجنا ذلك الصياح ، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه ، فقال الوزير : حتى ينتهى المجلس . وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال ، فعاودوه ، فقال : كان لى ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ، ولولا تعين الأمر علي بالأمر بالمعروف فى الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب الحاضرون من صبره .

قال: وحضر يوماً فى دار الخلافة بالمرخم من التاج ،فجلس به وحضر أرباب الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهر ، فسقط من السقف أفعى عظيمة المقـدار على كتف الوزير ، فما بقى أحد من أرباب الدولة وحواشى

الخدمة إلا خرج أو قام عن موضعه ، إلا الوزير فإنه التفت إلى الأفعى وهى تسرح على كمه حتى وقعت على الأرض، و بادرها المماليك فقتلوها ،ولم يتحرك الوزير عن بقعته ، ولا تغير فى هيئتهولا عبارته .

وللوزير رحمه الله تعالى من الكلام الحسن، والفوائد المستحسنة ،والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً .

وله من الحكم والمواعظ والكلام فى أصول السنة وذم من خالفها شىء كثير أيضاً . ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى .

قال ابن الجوزى فى المقتبس : سمعت الوزير يقول : الآيات اللواتى فى الأنعام (٦ : ١٥١ قل : تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) محكمات ، وقد اتفقت عليها الشرائع ، وإنما قال فى الآية الأولى : (لعلكم تعقلون) وفى الثانية : (لعلكم تذكرون) وفى الثالثة : (لعلكم تتقون) ؛ لأن كل آية يليق بها ذلك ، فإنه قال فى الأولى : (أن لا تشركوا به شيئاً) والعقل يشهد أن الخالق لاشريك له ، ويدعو العقل إلى بر الوالدين ، ونهى عن قتل الولد ، وإتيان الفواحش ؛ لأن الإنسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته ، فكذلك هو ، ينبغى أن يجتنبها ، وكذلك قتل النفس ، فلما لاقت هذه الأمور بالعقل، قال : (لعلكم تعقلون) ولما قال فى الآية الثانية : (ولا تقربوا مال اليتيم) والمعنى : اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيما ، واذكر عند ورثتك ، لو كنت الموروث له ، واذكر كيف تحب العدل لك فى القول ؟ فاعدل فى حق غيرك ، وكما لا تؤثر أن يخان عهدك فلا تخن ، فلاق بهذه الأشياء التذكر، فقال (لعلكم تذكرون) وقال فى الثالثة : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه) ، فلاق بذلك اتقاء الزلل ، فلذلك قال : (لعلكم تتقون) .

قال : وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٣٨ : ٨٠ فإنك من المنظرين) قال :

ليس هذا بإجابة سؤاله ، وإنما سأل الإنظار ، فقيل له : كذا قدر ، لا أنه جواب سؤالك ، لـكنه مما فهم .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٩ : ٥١ قل : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) قال : إنما لم يقل : ما كتب علينا ؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن ، ولا يصيب المؤمن شىء إلا وهو له ، إن كان خيراً فهو له فى العاجل ، وإن كان شراً فهو ثواب له فى الآجل .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (١٧ : ٤٥ حجاباً مستوراً) قال أهل التفسير : يقولون : ساتراً ، والصواب : حمله على ظاهره ، وأن يكون الحجاب مستوراً عن العيون فلا يرى ، وذلك أبلغ .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (١٨ : ٣٩ ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ماشاء الله) قال : ماقال : ماشاء الله كان ولا يكون ، بل أطلق اللفظ ؛ ليعم الماضى والمستقبل والراهن .

قال : وتدبرت قوله تعالى : (لا قوة إلا بالله) فرأيت لها ثلاثة أوجه .

أحدها : أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته ، ويسلم الأمر إلى مالـكه .

والثانى : أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله ، فلا يخاف منهم ؛ إذ قواهم لا تـكون إلا بالله ، وذلك يوجب الخوف من الله وحده .

والثالث : أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى فى الأشياء بطبيعتها ، فإن هذه الـكلمة بينت أن القوىّ لا يـكون إلاَّ بالله .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (١٨ : ٩٧ فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) قال : «التاء» من حرووف الشدة ، تقول فى الشىء القريب الأمر : ما استطعته ، وفى الشديد : ما استطعته ، فالمعنى : ما أطاقوا ظهوره لضعفهم ، وما قدروا على نقبه لقوته وشدته .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢٠ : ١٥ إنّ الساعة آتيةٌ أكادُ أُخفيها)

قال : المعنى إنى قد أظهرتها حين أعلمت بكونها ، لكن قاربت أن أخفيها بتكذيب المشرك بها ، وغفلة المؤمن عنها ، فالمشرك لايصدق كونها ، والمؤمن يهمل الاستعداد لها .

قال : وقرأت عليه ماجمعه من خواطره ، قال : قرأ عندى قارىء ، قال : (٢٠ : ٤ هم أولاء على أثرى) فأفكرت فى معنى اشتقاقها ، فنظرت فإذا وضعها للتنبيه ، والله لا يجوز أن يخاطب بهذا ، ولم أر أحداً خاطب الله عز وجل بحرف التنبيه إلا الكفار ، كما قال الله عز وجل (١٦ : ٨٦ قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) ، (٧ : ٣٨ ربنا هؤلاء أضلونا) وما رأيت أحداً من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه ، والله أعلم .

فأما قوله : (٤٣ : ٨٨ وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) فإنه قد تقدم الخطاب بقوله : يارب ، فبقيت « ها » للتمكين ، ولما خاطب الله عز وجل المنافقين ، قال : (٤ : ١٠٩ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) وكرم المؤمنين بإسقاط « ها » ، فقال : (٣ : ١١٩ ها أنتم أولاء تحبونهم) وكان التنبيه للمؤمنين أخف .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢١ : ١١٠ إنه يعلم الجهر من القول) المعنى: أنه إذا اشتدت الأصوات وتغالبت فإنها حالة لايسمع فيها الإنسان . والله عز وجل يسمع كلام كل شخص بعينه ، ولا يشغله سمع عن سمع .

قال : وقوله : (٢١ : ١١٢ قال : رب احكم بالحق) قال : المراد منه : كن أنت أيها القائل على الحق ؛ ليمكنك أن تقول : احكم بالحق ، لأن المبطل لايمكنه أن يقول : احكم بالحق .

وقال فى قوله تعالى : (٢٤ : ٥٣ قل : لا تقسموا ، طاعة معروفة) قال : وقع لى فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المعنى : لاتقسموا واخرجوا من غير قسم ، فيكون المحرك لكم

إلى الخروج الأمر لا القسم ؛ فإن من خرج لأجل قسمه ليس كمن خرج لأمر ربه

والثانى : أن المعنى نحن نعلم مافى قلوبكم ، وهل أنتم على عزم الموافقة للرسول فى الخروج ؟ فالقسم هٰهنا إعلام منكم لنا بما فى قلوبكم . وهذا يدل منكم على أنكم ماعلمتم أن الله يطلع على ما فى القلوب .

والثالث : أنكم ما أقسمتم إلا وأنتم تظنون أنا نتهمكم ، ولولا أنكم فى محل تهمة ماظننتم ذلك فيكم . وبهذا المعنى وقع المتنبى ، فقال :

وفى يمينك ما أنت واعده مادل أنك فى الميعاد متهم

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢٥ : ٥ أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة) قال: العجب لجهلهم حين أرادوا أن يلقى إليه كنز أو تكون له جنة . ولو فهموا علموا أن كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه . أو ليس قد قهر أرباب الكنوز ، وحكم فى جميع الملوك ؟ وكان من تمام معجزته أن الأموال لم تفتح عليه فى زمنه ؛ لئلا يقول قائل قد جرت العادة بأن إقامة الدول ، وقهر الأعداء بكثرة الأموال ، فتمت المعجزة بالغلبة والقهر من غير مال، ولا كثرة أعوان ، ثم فتحت الدنيا على أصحابه ، ففرقوا ماجمعه الملوك بالشره ، فأخرجوه فيما خلق له ، ولم يمسكوه إمساك الكافرين ، ليعلموا الناس بإخراج ذلك المال : أن لنا داراً سوى هذه ، ومقراً غير هذا .

وكان من تمام المعجزات للنبى صلى الله عليه وسلم : أنه لما جاءهم بالهدى فلم يقبل ، بلّ السيف على الجاحد ، ليعلمه أن الذى ابتعثنى قاهر بالسيف بعد القهر بالحجج .

ومما يقوى صدقه أن قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للايمان به ؛ لئلا يقول قائل : إنما ظهر لأن فلانا الملك تعصب له فتقوى به ، فبان أن أمره من السماء لا بنصرة أهل الأرض .

وقال فى قوله تعالى : (٢٥ : ١٩ فقد كذبوكم بما تقولون) قال : المعنى :

فقد كذبكم أصنامكم بقولكم ؛ لأنكم ادعيتم أنها الآلهة وقد أقررتم أنها لاتنفع فإقراركم يكذب دعواكم .

وقال فى قوله تعالى : (٢٥ : ٢٠ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) قال : فهو يدل على فضل هداية الخلق بالعلم ، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم كالطبيب ، والطبيب يكون عند المرضى ، فلو انقطع عنهم هلكوا .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢٧ : ١٩ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى) قال : هذا من تمام برّ الوالدين . كأن هذا الولد خاف أن يكون والداه قصرا فى شكر الرب عز وجل ، فسأل الله أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه وعليهما ؛ ليقوم بما وجب عليهما من الشكر إن كانا قصرا .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢٨ : ٨٠ وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن) قال : إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء ، فمن كان هكذا فهو عالم . ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم .

وسمعته يقول فى قوله تعالى: (٢٨ : ٧١ مَن إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون ؟) وفى الآية التى تليها (٢٨ : ٧٢ أفلا تبصرون) قال : إنما ذكر السماع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار ؛ لأن الإنسان يدرك سمعه فى الليل أكثر من إدراكه بالنهار ، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل

قال المبرد : سلطان السمع فى الليل ، وسلطان البصر فى النهار .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٣٥ : ٣ اذكروا نعمة الله عليكم : هل من خالق غير الله ؟) قال: فطلبت الفكر فى المناسبة بين ذكر النعمة و بين قوله تعالى: (هل من خالق غير الله ؟) فرأيت أن كل نعمة ينالها العبد فالله خالقها ، فقد أنعم بخلقه لتلك النعمة ، و بسوقها إلى المنعم عليه .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٣٥ : ٤٦ إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله

مثنى وفرادى) قال : المعنى : أن يكون قيامكم خالصا لله عز وجل ، لا لغلبة خصومكم ، فحينئذ تفوزون بالهدى .

وسمعته يقول فى قوله تعالى: (٣٦ : ٢٠ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وفى الآية الأخرى (٢٨ : ٢٠ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) فرأيت الفائدة فى تقديم ذكر الرجل وتأخيره : أن ذكر الأوصاف قبل ذكر الموصوف أبلغ فى المدح من تقديم ذكره على وصفه ؛ فإن الناس يقولون : الرئيس الأجل فلان ، فنظرت فإذا الذى زيد فى مدحه ، وهو صاحب يٰس أمر بالمعروف ، وأعان الرسل ، وصبر على القتل ، والآخر إنما حذر موسى من القتل، فسلم موسى بقبوله مشورته . فالأول هو الآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر ، والثانى هو ناصح الآمر بالمعروف . فاستحق الأول الزيادة . ثم تأملت ذكر أقصى المدينة ، فإذا الرجلان جاءا من بُعد فى الأمر بالمعروف ، ولم يتقاعدا لبعد الطريق .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٣٦ : ٢٦ ، ٢٧ يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى) قال : المعنى : يا ليتهم يعلمون بأى شىء وقع غفرانه . والمعنى : أنه غفر لى بشىء يسير فعلته ، لا بأمر عظيم .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٤٤ : ٣٤ ـ ٣٦ إن هؤلاء ليقولون : إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين. فائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين . أهم خير أم قوم تبع ؟) قال: ربما توهم جاهل أنهم لم يجابوا عما سألوا ، وليس كذلك؛ فإن الذى سألوا لا يصلح أن يكون دليلا على البعث ؛ لأنهم لو أجيبوا إلى ما سألوا لم يكن ذلك حجة على من تقدم ، ولا على من تأخر ، ولم يزد على أن يكون لمن تقدم وعدا ، ولمن تأخر خبرا ، اللهم إلا أن يجىء لكل واحد أبوه ، فتصير هذه الدار دار البعث . ثم لو جاز وقوع مثل هذه كان إحياء ملك يضرب به الأمثال أولى ، كتبع ، لا أنتم يا أهل مكة ، فإنكم لا تعرفون فى بقاع الأرض .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٤٠ : ٧ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)

قال: علمت الملائكة أن الله عز وجل يحب عباده المؤمنين، فتقربوا إليه بالشفاعة فيهم . وأحسن القرب أن يسأل المحب إكرام حبيبه ، فإنك لو سألت شخصا أن يزيد فى إكرام ولده لارتفعت عنده ، حيث تحثه على إكرام محبوبه .

وسمعته يقول فى قوله تعالى: (٥٦ : ٦٥ لو نشاء لجعلناه حطاماً) ، (٥٦ : ٧٠ لو نشاء جعلناه أجاجا) قال : تأملت دخول اللام وخروجها ، فرأيت المعنى : أن اللام تقع للاستقبال ، تقول :لأضربنك ،أى فيما بعد ، لا فى الحال . والمعنى(٥٦: ٦٣ ـ ٦٥ أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما) أى : فى مستقبل الزمان إذا تم فاستحصد ، وذلك أشد العذاب ، لأنها حالة انتهاء تعب الزراع ،واجتماع الدين عليه ، لرجاء القضاء بعد الحصاد ، مع فراغ البيوت من الأقوات .

وأما فى الماء : فقال : (لو نشاء جعلناه أجاجا) أى : الآن ؛ لأنا لو أخرنا ذلك لشرب العطشان ، وادخر منه الإنسان .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٦٠ : ٥ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قال : المعنى : لا تبتلينا بأمر يوجب افتتان الكفار بنا ، فإنه إذا خذل المتقى ونصر العاصى فتن الكافر ، وقال: لو كان مذهب هذا صحيحا ما غلب .

قال :وسمعته يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل رمضان سلسلت الشياطين » قال: إن الشياطين للعاصى فى غير رمضان كالمكاز يقول : سوّل لى ، وغرنى . فإذا سلسل الشيطان قلّ عذر العاصى .

وسمعته يقول فى حديث عائشة رضى الله عنها « كان أكثر صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان » قال : ما أرى هذا إلا على وجه الرياضة ؛ لأن الإنسان إذا هجم بنفسه على أمر لم يتعوده صعب عليه ، فدرج نفسه بالصوم فى شعبان لأجل رمضان .

وسمعته يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بك من شر مالم أعمل » قال : له معنيان .

أحدهما : أن الإنسان يبلغه أن الرجل قد عمل الشر فيرضى به ، أو يتمنى أن يعمل مثله ، فهذا شر مالم يعمل .

والثانى : أن الرجل قد لا يشرب الخمر ، فيعجب بنفسه كيف لا يشرب ، فيكون العجب بترك الذنب شر مالم يعمل .

وذكر صاحب سيرة الوزير قال : سمعته يقول فى قوله تعالى : (٢٠:١٧ ، ١٨ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال : هى عصاى) قال: فى حمل العصا عظة ؛ لأنها من شيء قد كان ناميا فقطع ، فكلما رآها حاملها تذكر الموت .

قال : ومن هذا قيل لابن سيرين رحمه الله : رجل رأى فى المنام أنه يضرب بطبل ؟ فقال : هذه موعظة ؛ لأن الطبل من خشب قد كان نامياً فقطع ، ومن أغشية كانت جلود حيوان قد ذبح . وهذا أثر الموعظة .

وسمعته يقول فى قوله تعالى : (٢ : ١٠ فى قلوبهم مرض ـ الآية) قال: المريض يجد الطعوم على خلاف ما هى عليه ، فيرى الحامض حلواً ، والحلو مراً . وكذلك هؤلاء يرون الحق باطلا ، والباطل حقا .

قال : وسمعت الوزير يقول : وقد قرئ عنده « أن رجلا قال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم قال ذلك ؟ فقال الرجل : أنا يارسول الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير . فقال صلى الله عليه وسلم رأيت بضعاً وثلاثين ملكا يبتدرونها » . فطفقت والجماعة عندى أفكر فى معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة ، فنظرت فإذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفاً إذا فك المشدد ، ورأيت أنه من عظم ما قد ازدحمت الملائكة عليها ، بلغوا إلى فك المشدد ،فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد ، فصعد به يتقرب بحمله .

وسمعته يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : «وجدت على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر » فتدبرت هذا الحصر ، فإذا الفائدة : أن

الحسنة بعشر أمثالها ، فدرهم الصدقة لا يعود فيكتب به عشر مع ذهابه ، فيكون الحاصل به على الحقيقة تسعة ، والقرض يضاعف على الصدقة ، فيصير ثمانية عشر ؛ لأن تسعة وتسعة ثمانية عشر . والسبب فى مضاعفته : أن الصدقة قد تقع فى يد غير محتاج ، والقرض لا يقع إلا فى يد محتاج .

وسمعته يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا شربتم فاسئروا » قال : هذا فى الشرب خاصة. فأما الأكل فمن السنة : لعق القصعة والأصابع ، وإنما خص الشرب بذلك؛ لأن التراب والأقذار ترسخ فى أسفل الإناء ، فاستقصاء ذلك يوجب شرب مايؤذى. قال : وكذلك السر فى الأمر بالتنفس فى الإناء ثلاثا ؛ لأن التنفس يخرج كرب القلب ، وكدر البدن . فكره الشارع أن يعود فى الماء فيؤذى الشارب

وسمعته يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تدخل الجنة من أمتى وجوههم كالقمر ليلة البدر » قال : إنما لم يقل كالشمس ؛ لأن نور الشمس يؤثر فى عيون الناظرين إليها ، فلا يتمكنون من النظر ، والجنة دار لذة وطيب عيش، فلو أشبهت وجوههم نور الشمس لم يتمكن أحد منهم أن ينظر الآخر .

ومن كلامه فى السنة : قال أبو الفرج بن الجوزى : سمعت الوزير يقول : تأويل الصفات أقرب إلى الحظ من إثباتها على وجه التشبيه ؛ فإن ذلك كفر . وهذا غايته البدعة .

قال وسمعته ينشد لنفسه :

لا قول عند آية المتشابه للراسخين غير (آمنا به)

قال : وسمعته يقول : ما أنزل الله آية إلا والعلماء قد فسروها ، لكنه يكون للآية وجوه محتملات ، فلا يعلم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات إلا الله عز وجل .

قال : وسمعته يقول فى قوله تعالى: (٧٤ : ٢٥ إن هذا إلا قول البشر) قال: العرب لاتعرف ذا ولا هذا إلا فى الإشارة إلى الحاضر . وإنما أشار هذا القائل إلى

هذا المسموع . فمن قال : إن المسموع عبارة عن القديم ، فقد قال : هذا قول البشر .

قال مصنف سيرته : كثيراً ما سمعته يقول : ليس مذهب أحمد إلا الاتباع فقط . فما قاله السلف قاله ، وما سكتوا عنه سكت عنه ؛ فإنه كان يكثر أن يقال : لفظى بالقرآن مخلوق ، أو غير مخلوق ، لأنه لم يقل . وكان يقول فى آيات الصفات : تمرّ كما جاءت .

قال : وسمعته يقول : تفكرت فى أخبار الصفات ، فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها ، مع قوة علمهم ، فنظرت السبب فى سكوتهم ، فإذا هو قوة الهيبة للموصوف ، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله ، وقد قال عز وجل : (١٦ : ٧٤ فلا تضربوا لله الأمثال) قال : وكان يقول : لايفسر على الحقيقة ولا على المجاز ؛ لأن حملها على الحقيقة تشبيه ، وعلى المجاز بدعة

قال : وسمعته يقول: والله ما نترك أمير المؤمنين على بن أبى طالب مع الرافضة ؛ نحن أحق به منهم ، لأنه منا ونحن منه ، ولا نترك الشافعى مع الأشعرية ؛ فإنا أحق به منهم .

قال: وسمعته يقول : من مكايد الشيطان : تنفيره عباد الله من تدبر القرآن ؛ لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر ، فيقول : هذه مخاطرة ، حتى يقول الإنسان : أنا لا أتكلم فى القرآن تورعاً .

ومنها : أن يخرج جوالب الفتن مخرج التشدد فى الدين .

ومنها : أن يقيم أوثاناً فى المعنى تعبد من دون الله ، مثل أن يتبين الحقّ ، فيقول : ليس هذا مذهبنا ؛ تقليداً للمعظم عنده ، قد قدمه على الحق .

قال : وسمعته يقول لبعض الناس : لا يحل والله أن تحسن الظن بمن يرفض ، ولا بمن يخالف الشرع فى حال .

ومن كلامه فى فنون ، قال ابن الجوزى : وسمعته يقول : يحصل العلم بثلاثة أشياء .

أحدها : العمل به ، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية ، دعاه ذلك إلى حفظ النحو . ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم .

والثانى : التعليم ، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه .

والثالث : التصنيف ، فإنه يخرجه إلى البحث ، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذى صنف فيه .

قال : وسمعته يقول : الحكمة فى اختصاص المرأة بالحيض : أنها تحمل الولد ، والولد مفتقر إلى الغذاء ، فلو شاركها فى غذائها ، لضعفت قواها ، ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها ، إن حملت فهى قوته ، وإن لم تحمل اندفعت ، فإذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن .

قال: وسمعته يقول لبعض من يأمر بالمعروف : اجتهد أن تستر العصاة ؛ فإن ظهور معاصيهم عيب فى أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب .

وسمعته يقول : الأيام قد ذهبت ، والأعمار قد نهبت ، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت ، وما يطلب منها شىء من الخير إلا أبت ، و بيوت التقوى من القلوب قد خربت .

وسمعته يقول : نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به فى باب النجاة ، أضر على العصاة من تفريطهم ، وقال : لولا الظلم الجائر ماحصلت الشهادة للشهيد ، ولولا أهل المعاصى ، مابانت بلوى الصابر فى الأمر بالمعروف ، ولوكان المجرمون ضعفاء لقهروا ، فلم يحصل ذلك المعنى .

وكان يقول فى قوله تعالى : (٦ : ١٢٣ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) إنه على التقديم والتأخير ، أى : جعلنا مجرميها أكابر . وقال : البحر محيط بالأرض ، وخلجانه تتخلل الأرض . والريح تهب على الماء ، وتمر على الأرض ، فيعتدل النسيم بالرطوبة . ولو كان ماء البحر عذباً لأنتن ؛ لكونه واقفاً ، فكانت الريح إذا هبت عليه أوقعت الوباء فى الخلق ، ولكنه جعل مالحاً ، ليحصل منه نفع الرطوبة ، ولا يقع به فساد .

قال : وسمعته يقول : احذروا مصارع العقول ، عند التهاب الشهوات .

قال : وسمعته يقول : العجب ممن يخاصم الأقدار ولا يخاصِم نفسه ، فيقول : قضى عليّ ، وعاقبنى ! و يحك ، قل لنا كيف تحب أن يكون الأمر ؟ أتختار أن تخلق أعمى لا تنظر إلى المستحسن ؟ قالَ : لا . قلنـا : أفتحب أن تخلق معدوم الحس ؟ قال : لا . قلنا : أتختار أن تُرد عن المعاصى قهراً ؟ قال : لا . قلنا : أفتؤثر أن تطلق فيها من غير حجر ؟ فلا تغضب إذاً إن أطلق غيرك فى أخواتك و بناتك . فأما أن تغضب لذلك الفعل من غيرك فى حرمكَ ، وتختار أن تفعله فى حُرم غيرك فهذا فى غاية الجور . فإذا جعل لك الطريق إلى مرادك بكلمة هى عقد النكاح ، أو عوضت عما منعت عنه من جنسه ووعدت الأجر على الصبر فهذا غاية العدل . فإن زللت فى معصية فقـد جعل لك طريق النجاة بالتو بة .

قال : مصنف سيرة الوزير : سمعته يقول : قفلت فى صحبة أمير المؤمنين المقتفى من الـكوفة بعد وداع الحاج ، فشاهدنا فى الطريق بَرداً كباراً قد وقع أمامنا ـ وكان الجماعة يأكلون منه ـ فلم أستطبه على الريق فلما نزلنا الخيام وأمسينا وحضر العشاء وأكلنا الطعام ذكرت ذلك البرد ووددت أن لو كان الآن منه شيء وأظن أنى دعوت الله عز وجل أن يأتينا منه شيء ، فما كان إلا لحظة والسحاب هملى ، و إذا البرد فيه كثير . وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئاً كثيراً ، وجاءوا به ، فأكلت منه حتى تركته ، وحمدت الله عز وجل على إجابة الدعاء ، و إعطائه لما خطر فى النفس .

قال : وسمعته يقول : كنت جالساً فى سطحٍ أُصلى على النبى صلى الله عليه وسـلم ، وعيناى مغمضتان ، فرأيت كاتباً يكتب فى قرطاس أبيض بمداد أسود ، ما أذكره ، وكلما قلت : اللهم صـل على محمد ، كتب الكاتب : اللهم صلى على محمد ، فقلت لنفسى : افتح عينك وانظر بها ، ففتحت عينى ، فخطف عن يمينى حتى نظرت بياض ثو به ، وهو شديد البياض فيه صقالة .

قال: وسمعته يقول: مرضت مرة مرضاً شديداً ، انتهى بى الأمر فيه إلى مقام رفعت فيه إلى أرض ذات ظل ممدود ، ورملة دمثة ، وهو أطيب مستلذ، وبجانب تلك الرملة ماء على نحو دجلة لا أجراف له ، وأنا أناجى فى سرى بما أراه من الله عز وجل، وفيه عتاب لى على نظرى إلى الخلق وعملى لهم ، ونحو هذا . فشرعت فى الإنكار لذلك ، فأعدم جميع من فى الأرض ، بحيث لم يبق عندى أنه بقى فى الأرض غيرى ، فاستوحشت حينئذ من الحياة ، ووددت الموت كل الوداد ، حتى كنت أقول : لو كان الشرع يبيح قتل النفس كان شيئاً طيباً ، ثم عرضت علىّ أعمال الخير كلها ، فلم تخف علىّ كما كانت تخفى علىّ ، فوقر حينئذ فى نفسى أنك إنما كنت تريد الحياة معهم ، وأعمال الخير لتبلغهم ، ونحو هذا ، فاعترفت حينئذ بما كنت قد ناكرت عليه ، ثم نوجيت أيضاً بما معناه : إنك قد تخاف من الأشياء ، وإن دواء ذلك كله أن تدخل فى الخوف منه بالإيمان بأن كل مخلوق لا يقدر إلا على مايقدره الله عز وجل عليه لوقته ، أو نحو هذا .

قال : وسمعته يقول : اتباع السنة سبب لكل خير ، فإنى صليت الفريضة يوماً فى مسجدنا ، ثم قلت : يستحب أن تصلى السنة فى غير موضع الفرض ومضيت إلى البيت فصليتها ، ثم اشتاق قلبى إلى رؤية الله عز وجل ، فقلت : اللهم أرنى نفسك . فنمت تلك الليلة ، فرأيته عز وجل . وأنشد هذه الأبيات ، وقال : كان ابن سمعون كثيراً ماينشدها :

ركبت بحار الحب جهلا بقدرها ... وتلك بحار لا يفيق غريقها
وسرنا على ريح تدل عليكم ... فبانت قليلا ثم غاب طريقها
إليكم بكم أرجو النجاة وما أرى ... لنفسى منها سائقاً فيسوقها

وذكر الوزير فى كتابه « الإفصاح » قال : الصحيح عندى : أن ليلة القدر تنتقل فى أفراد العشر ، فإنه حدثنى من أثق به أنه رآها فى ليلة سبع وعشرين . وحدثنى أمير المؤمنين المقتفى لأمر الله : أنه رآها . فأما أنا فكنت فى ليلة إحدى

وعشرين وكانت ليلة جمعة ، فواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل، ولم أنم تلك الليلة . فلما كان وقت السحر ـ وأنا قائم على قدمى ـ رأيت فى السماء بابا مفتوحاً مربعاً عن يمين القبلة ، قدرت أنه على حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى على حاله ـ وأنا أنظر إليه ـ نحو قراءة مائة آية ، ولم يزل ، حتى التفت عن يسارى إلى المشرق لأنظر هل طلع الفجر ؟ فرأيت أول الفجر . فالتفت إلى ذلك الباب فرأيته قد ذهب . وكان ذلك مما صدق عندى ما رأيت . فالظاهر من ذلك : تنقلها فى ليالى الأفراد فى العشر . فإذا اتفقت ليالى الجمع فى الأفراد فأجدر وأخلق بكونها فيها .

وكتاب « الإفصاح » فيه فوائد جليلة غريبة .

وقال فيه : الخضر الذى لقيه موسى عليه السلام قيل : كان ملكا . وقيل: كان بشراً . وهو الصحيح . ثم قيل : إنه عبد صالح ليس بنبى . وقيل : بل نبى . وهو الصحيح .

والصحيح عندنا : أنه حى ، وأنه يجوز أن يقف على باب أحد مستعطياً له ، وغير ذلك ؛ لما حدثنى محمد بن يحيى الزبيدى . وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر ، والاجتماع به .

وقال فى حديث عمران بن حصين ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد علمت أن بعضكم خالجنيها » فيه دليل على أنه لا يقرأ المأموم وراء الإمام .

قال : وهذا محمول عندى على غير الفاتحة .

وقال : الحبس غير مشروع إلا فى مواضع .

أحدها : إذا سرق فقطعت يمينه ، ثم سرق فقطعت رجله ، ثم سرق : حبس ولم يقطع ، فى إحدى الروايتين .

الثانى : أمسك رجل رجلا لآخر فقتله : حبس الممسك حتى يموت ، فى إحدى الروايتين أيضاً .

الثالث : ما يراه الإمام كفًّا لفساد مفسد ؛ لقوله تعالى (٣٨ : ٣٨ وآخرين مقرنين فى الأصفاد) ومايراه أبو حنيفة فى قطاع الطريق ، فإنه يحبسهم حتى يتوبوا

فأما الحبس على الدين فمن الأمور المحدثة . وأول من حبس فيه شريح القاضى وقضت السنة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان : أنه لا يحبس على الدين ، ولكن يتلازم الخصمان .

فأما الحبس الذى هو الآن فإنى لا أعرف أنه يجوز عند أحد من المسلمين . وذلك أنه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم ، غير متمكنين من الوضوء والصلاة ،ويتأذون بذلك بحره و برده . فهذا كله محدث. ولقد حرصت مراراً على فكه ، فحال دونه ما قد اعتاده الناس منه ، وأنا فى إزالته حريص والله الموفق .

وقال فى حديث الزبير فى سراج الحرة : فيه جواز أن يكون السقى للأول ، ثم الذى بعده . إلا أن هذا فى النخل خاصة ، وما يجرى مجراه . وأما الزرع وما لا يصبر على العطش أكثر من جمعة ونحو ذلك : فإن الماء يتناصف فيه بالسوية ، كما قال تعالى (٥٤ : ٢٩ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) .

وقال فى سورة الضحى : لما توالى فيها قسمان ، وجوابان مثبتان ، وجوابان نافيان ،.فالقسمان : (والضحى والليل إذا سجى) والجوابان النافيان : (ما ودعك ربك وما قلى) ، والجوابان المثبتان : (وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

ثم قرر بنعم ثلاث ، وأتبعهن بوصايا ثلاث : كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التى قوبلت بها.

فإحداهن: (ألم يجدك يتيما فآوى ؟) وجوابها : (فأما اليتيم فلا تقهر) .

والثانية : (ووجدك ضالا فهدى ؟) فقابلها بقوله : (وأما السائل فلا تنهر) وهذا لأن السائل ضال يبغى الهدى .

والثالثة : (ووجدك عائلا فأغنى؟) فقابلهابقوله : (وأما بنعمة ربك فحدث)

وإنما قال : (وما قلى) ولم يقل : وما قلاك ؛ لأن القلى بغض بعد حب ، وذلك لا يجوز على الله تعالى . والمعنى : وماقلى أحداً قط، ثم قال: (وللآخرة خير لك من الأولى) ولم يقل : خير على الإطلاق . وإنما المعنى خير لك ولمن آمن بك.

وقوله : (فآوى) ولم يقل: فآواك ، لأنه أراد : آوى بك إلى يوم القيامة .

وقال : أما كون صوم يوم عرفة بسنتين ففيه وجهان :

أحدهما : لما كان يوم عرفة فى شهر حرام بين شهرين حرامين : كفر سنة قبله وسنة بعده .

والثانى : إنما كان لهذه الأمة ، وقد وعدت فى العمل بأجرين . قال تعالى : (٥٧ : ٢٨ يؤتكم كفلين من رحمته) .

أما عاشوراء : فقد كانت الأمم قبل هذه الأمة تصومه ، ففضل ما خصت به هذه الأمة ، وإنما كفر عاشوراء السنة الماضية ؛ لأنه تبعها وجاء بعدها. والتكفير بالصوم إنما يكون لما مضى لا لما يأتى .

فأما يوم عرفة : فإنه يكفر السنة التى قد مضى أكثرها ، ويزيد لموضع فضله بتكفير ما يأتى .

وقال فى حديث تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ : لما كانت صلاة الفذ مفردة أشبهت العدد المفرد ، فلما جمعت مع غيرها أشبهت ضرب العدد . وكانت خمسا فضربت فى خمس ، فصارت خمسا وعشرين ، وهى غاية مايرتفع إليه ضرب الشىء فى نفسه .

فأما رواية « سبع وعشرين » فإن صلاة المنفرد وصلاة الإمام أدخلتا مع المضاعفة فى الحساب .

وقد ذكر الوزير فى كلامه على شرح حديث «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وهو الذى أفرد من كتابه « الإفصاح » فوائد غريبة .

فذكر فى أول كلامه : أن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة

محدثة ، فلا يقال : هذه مساجد أصحاب أحمد ، فيمنع منها أصحاب الشافعى ، ولا بالعكس ؛ فإن هذا من البدع . وقد قال تعالى فى المسجد الحرام : (٢٢ : ٢٥ سواء العاكف فيه والباد) وهو أفضل المساجد .

وأما المدارس فلم يقل فيها ذلك ، بل قال : لاينبغى أن يضيق فى الاشتراط على المسلمين فيها ، فإن المسلمين فيها إخوة ، وهى مساجد تبنى لله تعالى ، فينبغى أن يكون فى اشتراطها مايقع لعباد الله ، فإنى امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها شروط لم أجدها عندى ، ولعلى منعت بذلك أن أسأل عن مسألة أحتاج إليها ، أو أفيد أو أستفيد .

وحكى فى مسائل الخلاف رواية عن أحمد : أنه لايشترط فى المسح على العمامة ولا بجوائل الرأس خاصة لبسها على طهارة . وهذه غريبة جداً ، لا أعلم أحداً من الأصحاب حكاها غيره .

واختار فيه : استحباب الجمع بين الاستفتاح بـ« وجهت وجهى» و «سبحانك اللهم وبحمدك » .

واختار : أنه يستحب أن يزاد فى التشهد الأول : اللهم صلى على محمد .

واختار : استحباب التكبير ثلاثا فى أول تكبير العيدين ، وأيام التشريق.

وذكر : أن الفصاد يفطر الصائم كالحجامة ، وأنه مذهب أحمد .

وكان الوزير رحمه الله تعالى أديبا بارعا، فصيحا مفوها . وقد أورد له مصنف سيرته من رسائله إلى الخلفاء والملوك ، والكتب الذى أنشأها بأفصح العبارات ، وأجزل الألفاظ مالا يتسع هذا المكان لذكره .

وله شعر كثير حسن فى الزهد وغيره .

فما أنشده ابن الجوزى عنه :

يا أيها الناس إنى ناصح لكم ... فعوا كلامى ؛ فإنى ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهرتها ... فما تدوم على حسن ولا طيب

قال : وأنشدنا لنفسه :

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل ويزهد فيه الألمعى المحصل
وما عجب نفس أن ترى الرأى إنما العجيبة نفس مقتضى الرأى تفعل
إلى الله أشكو همة دنيوية ترى النص إلا أنها تتأول
ينهنها موت النبيه فترعوى ويخدعها روح الحياة فتغفل
وفى كل جزء ينقضى من زمانها من الجسم جزء مثله يتحلل
فنفس الفتى فى سهوها وهى تنقضى
وجسم الفتى فى شغله وهو يعمل

قال : وأنشدنا لنفسه :

والوقت أنفس ماعنيت بحفظه وأراه أسهل ماعليك يضيع

قال : وأنشدنا لنفسه :

الحمد لله هذا العين لا الأثر فما الذى باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت وأشغال معوّقة وضعف عزم ، ودار شأنها الغير
والناس ركضاً إلى مهوى مصارعهم وليس عندهم من ركضهم خبر
تسعى بهم خادعات من سلامتهم فيبلغون إلى المهوى وما شعروا
والجهل أصل فساد الناس كلهم والجهل أصل عليه يخلق البشر
وإنما العلم عن ذى الرشد يطرحه كما عن الطفل يوما يطرح السرر
وأصعب الداء داء لايحس به كالدق يضعف حسا وهو يستعر
وإنما لم يحس المرء موقعها لأن أجزاؤه قد عمها الضرر

وقال صاحب سيرته : سمعته يقول : لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا ؛ فإن الإنسان لما افتقر احتال ، فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب ، وغير ذلك ، فانتفع بذلك المقيم فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا ، لكنهم لما افتقروا تم الفناء .

قال : وأنشدنا لنفسه فى المغنى . وقد أنشدها ابن الجوزى عنه أيضا .

جسوم لا يلائمها البقاء وأجزاء تخللها الـــتواء
وكون الشيء لاينفك يفنى فذلك أن غايته الفناء
نكب على التكاثر وهو فقر وتعجبنا السلامة وهى داء
ونجزع للشدائد وهى نصح وتغرينا وقد عز الرجاء
تنافى الناس فانتفوا اضطرارا وقد يرجى من الداء الدّواء
وعم الفقر فاستغنوا ، ولولا عموم الفقر ماعم الغناء

قال : وأنشدنا لنفسه :

يلذ بذى الدنيا الغنيّ ويطرب ويزهد فيها الألمعى المجرب
وما عرف الأيام والناس عاقل ووفق إلا كان فى اليوم يرغب
إلى الله أشكو همة لعبت بها أباطيل آمال تغر وتخلب
فواعجبا من عاقل يعرف الدنا فيصبح فيها بعد ذلك يرغب

قال : وأنشدنا لنفسه — مما قاله قديما — :

كل من جاء بدين غريب غير دين الإسلام فهو كذوب
وإذا عالم تكلف فى القول بلا سنة فذاك المريب

قال : وأنشدنا لنفسه :

مالنا قط غير ماشرع الله به يعبد الإله الكريم
فتمسك بالشرع واعلم بأن الـ حق فيه ، وما سواه سموم

ومما يذكر من شعر الوزير رحمه الله :

تمسك بتقوى الله ؛ فالمرء لايبقى وكل امرئ ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس مافى يديهم ولا تذكرن إفكا ولا تحسدن خلقا
تعود فِعال الخير جمعا فكلما تعوده الإنسان صار له خلقا

وذكر ياقوت الحموى فى كتابه «معجم الأدباء» بإسناد له : أن الوزير عرضت

عليه جارية فائقة الحسن ، وظهر له فى المجلس من أدبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه ، فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين دينارا ، وأمر أن يهيأ لها منزل وجارية ، وأن يحمل لها من الفرش والآنية والثياب وجميع ماتحتاج إليه ، ثم بعد ثلاثة أيام جاءه الذى باعها ، وشكى إليه ألم فراقها ، فضحك ، وقال له : لعلك تريد ارتجاع الجارية ؟ قال : إى والله يامولانا ، وهذا الثمن بحاله ، لم أتصرف فيه وأبرزه ، فقال له الوزير : ولا نحن تصرفنا فى الثمن ، ثم قال لخادمة : ادفع إليه الجارية وما عليها ، وجميع ما فى حجرتها ، ودفع إليه الخرقة التى فيها الثمن ، وقال: استعينا به على شأنكما ، فأكثرا من الدّعاء له ، وأخذها وخرج .

وحكى عن الوزير : أنه كان إذا مدّ السماط فأكثر مايحضره الفقراء والعميان ، فلما كان ذات يوم وأكل الناس وخرجوا بقى رجل ضرير يبكى ، ويقول : سرقوا مداسى وما لى غيره ، والله ما أقدر على ثمن مداس ، وما بى إلا أن أمشى حافيا وأصلى ، فقام الوزير من مجلسه ، ولبس مداسه وجاء إلى الضرير ، فوقف عنده وخلع مداسه والضرير لايعرفه ، وقال له : البس هذا وأبصره على قدر رجلك ، فلبسه ، وقال : نعم ، لا إله إلا الله كأنه مداسى . ومضى الضرير ، ورجع الوزير إلى مجلسه ، وهو يقول: سلمت منه أن يقول: أنت سرقته .

وأخبار الوزير رحمه الله ومناقبه كثيرة جدًا . وقد مدحه الشعراء فأكثروا .

وقيل : إنه رزق من الشعراء ما لم يرزقه أحد ، ومن أكابرهم : الحيص بيص وابن بختيار الأبله ، وابن التعاويذى ، والعماد الكاتب ، وأبو على بن أبى قيراط ومنصور النميرى ، وخلق كثير . حتى قيل : إنه جمعت من مدائحه ما يزيد على مائتى ألف قصيدة فى مجلدات . فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الأعداء . فغسلها .

ومن قول الحيص بيص فى مدحه رحمه الله تعالى :

يفل عزب الرزايا وهى باسلة ويوسع الجار نصراً وهو مخذول
ويشهدالهول بساماً وقد دمعت شوس العيون فذم القوم إحفيل
ويتقى مثل ما ترجى فواضله وجوده ، فهو مرهوب ومأمول
عارٍ من العار كاسٍ من مناقبه كأنه مرهف الحدين مسلول
سهل المكارم صعب فى حفيظته فبأسه والندى مر ومعسول
قالى الدنايا وصبوان العلى كلف فالعار والمجد مقطوع وموصول
الملك يحيى لذى قول ومعترك إذا تشابه مقطوع ومفلول
يمضى الأسنة والأقوال ماضية فالحبر والقرن مطرود ومفصول
جواد مجد له فى فخره شبه وفيه من واضح العلياء تحجيل
يصيد وحش المعالى وهى نافرة كأن مسعاه للعلياء أحبول

ومما أنشده أبو الفتح بن الأديب فى أول يوم جلس فيه الوزير وقرىء عهده :

إذا قلت : ليث فهو أمضى عزيمة وإن قلت : غيث فهو أندى وأجود
من القوم ما أبقوا سوى حسن ذكرهم وما عمروه بالجميل وشيدوا
وصية موروث إلى خير وارث إذا سيد منهم خلا قام سيد
سيحييهم يحيي وما غاب غائب إليه أحاديث المكارم تسند
مناقب تحصى دونها عدد الحصى بها يغبط الحر الكريم ويحسد
ليهن أمير المؤمنين اعتضاده برأيك والآراء تهدى وترشد
هو المقتفى أمر الإله وإنه ليصدر عن أمر الإله ويورد
تمنى وزيراً صالحاً يكتفى به وأفكاره فى مثله تتردد
دعا زكريا النبى كما دعا إمام الهدى ، والأمر بالأمر يعضد
فخص بيحيى بعدما خص بعده بيحيى أمير المؤمنين محمد

وهى طويلة .

ومن قصيدة لأبى على بن الفلاس الشاعر أولها :

الحب يهجر والطيوف تزور وكأنما أصل الصبابة زور
ظلت الملوك وقصروا عن غاية ما نالها كسرى ولا سابور
وعدلت حتى لم تدع من ظالم يده على المستضعفين تجور
فالأرض مشرقة بعدلك والندى وصباح عدلك ماله ديجور
قد روضت بالمكرمات كأنما كل البلاد خورنق وسدير

ولنصر النميرى :

أعلقت من يحيى رجائى لمن تحتكم الآمال فى وفره
وكان عون الدين أحرى الورى بنصرة الحر على دهره
وزير صدق عم إحسانه فأجمع الناس على شكره
أبهة الملك على وجهه وخشية الرحمن فى سره
يربى على الغيث ندى كفه ونائل المرء على قدره

قال ابن الجوزى : كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ، ويندم على ما دخل فيه . ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ، ويتعرض بأسبابها .

وكان الوزير ليس به قلبة فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى سنه ستين وخمسمائة ، ونام ليلة الأحد فى عافية ، فلما كان وقت السحر قاء ، فحضر طبيب كان يخدمه ، فسقاه شيئاً ، فيقال : إنه سمه فمات ، وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما ، فكان يقول : سقيت كما سقيت ، فمات .

قال : وكنت فى تلك الليلة رأيت فى النوم مع انشقاق الفجر والوزير كأنه فى داره ، ودخل رجل بيده حربة فضربه بها ، فخرج الدم كالفوار فضرب الحائط ، ورأيت هناك خاتماً من ذهب ملقى . فلما استيقظت أخبرت من معى بالحديث ، فما استتممته حتى جاء الخبر بموت الوزير ، ونفذ إلى من داره ، فحضرت وأمرنى ولداه أن أغسله فغسلته ، فرفعت يده ليدخل الماء فى مغابنه ، فسقط الخاتم من يده

خيث رأيت ذلك الخاتم ، فتعجبت من وجهه ، ورأيت فى وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده ، تدل على أنه مسموم ، وحملت جنازته يوم الأحد إلى جامع القصر ، وصلى عليه ، ثم حمل إلى مدرسته التى أنشأها بباب البصرة ، فدفن بها . وغلقت يومئذ أسواق بغداد . وخرج جمع لم نره لمخلوق قط فى الأسواق ، وعلى السطوح وشاطىء دجلة ، وكثر البكاء عليه ؛ لما كان يفعله من البر ، ويظهره من العدل .

وذكر مصنف سيرته : أنه كان ثار به بلغم وهو فى قصره بالخالص ، ثم خرج مع المستنجد للصيد ، فسقى مسهلا لأجل البلغم ، فاستأذن الخليفة فى الدخول إلى بغداد للتداوى ، فأذن له ، فدخل يوم الجمعة فى موكب عظيم . وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت . فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم ، فوقع مغشياً عليه ، فصرخ الجوار ، فأفاق فسكتهن : وقيل : له إن أستاذ الدار ابن رئيس الرؤساء ، قد بعث جماعة ليستعلم ما هذا الصياح ؟ فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال ، وأنشد متمثلا :

وكم شامت بى عند موتى جاهل ... بظلم يسل السيف بعد وفاتى
ولو علم المسكين ماذا يناله ... من الضرّ بعدى مات قبل مماتى

قلت : وكذا وقع ، فإن البليدى الذى تولى الوزارة بعده لم يبق من الأذى لبيت رئيس الرؤساء ممكنا .

قال: ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة ، وصلى قاعداً ، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود ، فحركوه فإذا هو ميت . رحمه الله

ورثاه جماعة من شعرائه ـ منهم : النميرى ـ بقصائد . منها قوله :

ألمم على جدث حوى تاج الملوك وقل : سلام
واعقر سويد الضمير ، فليس يقنعنى السوام
وتوق أن يثنى حياً دمع عينيك أو ملام
إن التماسك والوقار بمن أصيب به حرام

فإذا ارتوت تلك الجنادل من دموعك والرغام
فأقم صدور اليعملات فبعد يحيي لامقام
ذهب الذى كانت تقيدنى مواهبه الجسام
وإذا نظرت إليه لم يخطر على قلبى السآم
غاض الندى الفياض عن راحتيه واشتد الأوام
وتفرقت تلك الجموع وقوضت تلك الخيام
ولقد عهدت أبا المظفر ذا علا لايستضام
يثب القعود إذا بدا ويقبل الأرض القيام
ما للنفوس من الحمام إذا ألم بها اعتصام
عجباً لمن يغتر بالدنيا وليس لها دوام
عقبى مسرتها الأسى ، وعقيب صحتها السقام
انظر إلى أبواب عون الدين يعلوها القتام
وكان عون الدين لم يك للزمان به ابتسام
لله ما عدمت به الدنيا وما حوت الرجام
لاغرو أن أدمى الجفون لفقدك الدمع الجسام
إن المكارم بعد موتك مالفرقتها التئام
ما مت وحدك يوم مت ، وإنما مات الأنام
حياك رقراق النسيم وجاد مثواك الغمام
بأبى لك الإحسان إن أنساك والشيم الكرام
وببعض حقك إن حزنى فيك ليس له انصرام

وأنشد بعض الشعراء يوم موته :

مات يحيي ولم نجد بعد يحيي   ملكا ماجدا به يستعان
وإذا مات من زمان كريم   مثل يحيي به يموت الزمان

قال مصنف سيرته : حدثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلى ابن الشيخ الصالح أبو عبد الله بن زفر ، قال : رأيت فى المنام ـ وأنا بأرض جزيرة ابن عمر ـ كأن جماعة من الملائكة يقولون لى : قد مات فى هذه الليلة ببغداد ولى من أولياء الله تعالى فاستيقظت منزعجاً ، فحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معى ، وأرخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت : من مات فى تلك الليلة ؟ فقيل لى : مات بها الوزير عون الدين بن هبيرة .

قال : وحدثنى الشيخ الصالح محمود بن النعالى المقرئ الزاهد ، قال : كنت دائماً إذا ذكرت الوزير عون الدين بن هبيرة أقول : اللهم هبه ، واستوهب له . قال : ومضى على ذلك زمان ، فرأيت فى النوم كأننى قد دخلت إلى مدرسته لزيارة قبره ، وإذا هو نائم على القبر ، فقال : يا محمود ، إن الله وهبنى واستوهب لى .

وحدثنى الوزير أبو شجاع محمد بن الوزير أبى منصور محمد ابن الوزير أبى شجاع محمد ، قال : كنت كثير الوقوع فى الوزير ابن هبيرة ، فرأيته فى المنام فى بستان لم أر له فى الدنيا شبيهاً ، ومعه ملك يجنى له من ثماره ، ويترك فى فمه ، فهممت بدخول البستان ، فصاح الملك علىّ ، وقال : هذا البستان قد وهبه الله تعالى لهذا بعد أن غفر له ، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه . فاستيقظت مرعوباً ، وتبت إلى الله عز وجل من ذكره ، إلا بالرحمة عليه ، والاستغفار له .

قال : وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرئ قال : رأيت الوزير ابن هبيرة فى النوم ، فسألته عن حاله ؟ فأجابني بهذين البيتين :

قد سألنا عن حالنا فأجبنا   بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا   ووجدنا ممحصاً ما اكتسبنا

وهذه الأبيات رواها ابن النجار عن ابن الدبيثى عن أبى شجاع محمد بن على المؤدب ، قال : سمعت أبا القاسم السلاحى ، قال رأيت الوزير فى النوم فذكرها.

قال صاحب سيرته : ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتاباً ضخما .

أخبرنا أبو المعالى محمدَ بن عبد الرازق بن أحمد الشيبانى الزاهد ـ بقراءتى عليه ببغداد سنة تسع وأربعين وسبعمائة ـ أخبرنا الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد الأنجب بن الكسار ـ سماعا ـ أخبرنا العلامة أستاذ دار الخلافة أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزى ، أخبرنا أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو محمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بن الناصر، أخبرنا أبو على الحسن بن المبارك الزبيدى ح وأخبرناه ـ عاليا ـ أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصرى بها،أخبرنا سفير الخلافة أبو الفرج عبد اللطيف بن عبدالمنعم ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ قالا : أخبرنا الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد ابن هبيرة قال : قرأت على الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن المستظهر بالله بن المقتدى ، قلت له : حدثكم أبو البركات أحمد بن عبد الله الشيبى ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصيرفى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق ، حدثنا حفص بن عمرو الربالى، أخبرنا المبارك بن سحيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » . وفى هذا الإسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك .

١٣٢ ـ عبد الله بن سعد بن الحسين بن الماطر الوزان العطار ، الأزجى ، أبو المعمر .

كان اسمه خُريفة ، فغير وسار يكتب عبد الله .

قرأ القرآن بالروايات على أبى الخطاب بن الجراح ، وغيره .

وسمع الحديث من أبى الفضل بن خيرون ، وأبى الحسن بن أيوب ، وأبى عبد الله بن طلحة بن البطر ، وأبى القاسم الربعى ، وغيرهم . وتفقه على أبى الخطاب الكلوذانى ، وحدث .

روى عنه أبو حفص السهروردى فى مشيخته ، وغيره .

قال الشريف أبو الحسن الزبيدى الحافظ : كان محباً للرواية صحيح السماع.

قال : وتوفى يوم الإثنين ثامن عشر رجب سنة ستين وخمسمائة ، وصلى عليه الشيخ عبد القادر من الغد بمدرسته . ودفن بباب حرب .

وكذا أرخه القطيعى فى تاريخه .

ووقع فى مشيخة السهروردى : أنه توفى يوم الأربعاء تاسع عشر رجب .

١٣٣ ـ إسماعيل بن أبى طاهر بن الزبير الجيلى ، الفقيه ، أبو المحاسن .

حدث بيسير عن أبى الحسن علىّ بن سعد الخباز ، وهو حى .

سمع منه بعض الطلبة فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

١٣٤ ـ عبد القادر بن أبى صالح بن عبد الله بن جنكى دوست بن أبى عبد الله ابن عبد الله الجيلى ، ثم البغدادى ، الزاهد .

شيخ العصر ، وقدوة العارفين ، وسلطان المشايخ ، وسيد أهل الطريقة فى وقته ، محى الدين أبو محمد ، صاحب المقامات والكرامات ، والعلوم والمعارف ، والأحوال المشهورة .

و بعض الناس يذكر نسبه إلى علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيزيد بعد أبى عبد الله : ابن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

ولد سنة تسعين وأربعمائة ـ أو سنة إحدى وتسعين[1] ـ بكيلان .

وفد بغداد شاباً ، فسمع بها الحديث من أبى غالب بن الباقلانى ، وجعفر السراج وأبى بكر بن سوسن ، وابن بيان ، وأبى طالب بن يوسف ، وابن خشيش وأبى الزينى ، وتفقه على القاضى أبى سعد المخرامى وأبى الخطاب الكلوذانى .

وقيل : إنه قرأ أيضاً على ابن عقيل ، والقاضى أبى الحسين ، وبرع فى المذهب والخلاف والأصول ، وغير ذلك

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية أنه « ولد سنة سبعين وأربعمائة ـ أو سنة إحدى وسبعين »

وقرأ الأدب على زكريا التبريزى . وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد، ودرس بمدرسة شيخه المخرمى ، وأقام بها إلى أن مات ، ودفن بها .

قال ابن الجوزى : كانت هذه المدرسة لطيفة ، ففوضت إلى عبد القادر ، فتكلم على الناس بلسان الوعظ ، وظهر له صيت بالزهد . وكان له سمت وصمت، وضاقت المدرسة بالناس .

وكان يجلس عند سور بغداد مستندا إلى الرباط ، ويتوب عنده فى المجلس خلق كثير ، فعمرت المدرسة ووسعت ، وتعصبت فى ذلك العوام . وأقام فى مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفى .

وذكره ابن السمعانى فقال : إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره ، فقيه صالح ، دين خير ، كثير الذكر ، دائم الفكر . سريع الدمعة . كتبت عنه . وكان يسكن بباب الأزج فى المدرسة التى بنوا له .

وسمعت أبا الحسين بن التبان الفقيه البغدادى يقول : إن مدرسة عبد القادر كانت للقاضى المخرمى ، فلما فوضت إلى عبد القادر أراد أن يوسعها ويعمرها . فكان الرجال والنساء يأتونه بشىء فشىء إلى أن عمرها ، فاتفق أن امرأة مسكينة جاءت بزوجها ، وكان زوجها من الفعلة الروزجارية ، وقالت لعبد القادر : هذا زوجى ، ولى عليه من المهر قدر عشرين دينارا ، ووهبت له النصف بشرط أن يعمل فى مدرستك بالنصف الباقى ، وقد تراضينا على هذا . فقبل الزوج ذلك وأحضرت المرأة الخط وسلمته إلى عبد القادر . فكان يستعمل الزوج فى المدرسة ، وكان يعطيه يوما الأجرة ، ويوما لا يعطيه ؛ لعلمه بأن الرجل محتاج فقير ، ولا يملك شيئاً ، إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنانير ، فأخرج عبد القادر الخط ، ودفعه إلى الزوج ، وقال : أنت فى حل من الباقى .

قلت : ظهر الشيخ عبد القادر للناس، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه ، وانتفعوا به وبكلامه

ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابه الملوك فمن دونهم .

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر ، ولا رأيت أحدا يعظم من أجل الدين أكثر منه .

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية : أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر ، فإن كراماته نقلت بالتواتر .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلى الدمشقى قال : حكى شيخنا أبو الحسن بن غريبة الفقيه : أن الوزير ابن هبيرة رحمه الله ، قال له الخليفة ــ يريد : المقتفى لأمر الله ــ قد شكى من الشيخ عبد القادر، وقال : إنه يستخف بى ، ويذكرنى . وله نخلة فى رباطه ، يتكلم ويقول : يا نخيلة لا تتعدى أقطع رأسك ، وإنما يشير إلي . تمضى إليه وتقول له فى خلوة : ما يحسن بك أن تتعرض بالإمام أصلا وأنت تعرف حرمة الخلافة .

قال الشيخ أبو الحسن فذهبت إليه ، فوجدت عنده جماعة ، فجلست أنتظر منه خلوة ، فسمعته يتحدث ، ويقول فى أثناء كلامه : نعم . اقطع رأسها ، فعلمت أن الإشارة إليّ، فقمت وذهبت ، فقال لي الوزير : بلغت، فأعدت عليه ماجرى، فبكى الوزير ، وقال : لا شك فى صلاح الشيخ عبد القادر .

وقرأت بخط ابن الحنبلى أيضاً : أن خاله أبا الحسن بن نجا الواعظ اجتمع بالشيخ عبد القادر ، وكان يحكى عنه . قال : سبقت يوم العيد إلى المصلى إلى المكان الذى يصلى فيه الشيخ عبد القادر . قال : فجاء الشيخ عبد القادر ، ومعه خلق كثير ، والناس يقبلون يده ، فصلى ركعتين قبل الصلاة . فقلت ، فى نفسى : ما هذه الصلاة ؟ فمن السنة أن لا يتنفل قبلها . قال : فلما سلم التفت إليّ وقال : لها سبب .

ونقلت من خط الإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى . قال : قرأت بخط الإمام أبى أحمد عبد الصمد بن أحمد بن أبى الجيش . قال : حدثنى أحمد بن مطيع الباجسرائى . قال : كنت أجىء من مدرسة الوزير ابن هبيرة من باب البهرة إلى الشيخ عبد القادر ، فجئت فى بعض الأيام ، وهو كأنه ضجران ، فانتهرنى . وقال : قم ، فمضيت ، فبينا أنا فى بعض الطريق أنفذ خلفى ، فجئت . فقال: لما حردت عليك ، ومشيت نمت ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنت معلم الخير لا تضجر . أنت معلم الخير لا تضجر . أنت معلم الخير لا تضجر ـ ثلاث مرات ـ قال : ثم أخذ علىّ ، وأقرأنى .

وكان الشيخ عبد القادر ، رحمه الله فى عصره معظما ، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد . وله مناقب وكرامات كثيرة .

ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفى المصرى ، فى أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات ، وكتب فيها الطم والرم ، وكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع .

وقد رأيت بعض هذا الكتاب ، ولا يطيب على قلبى أن أعتمد على شىء مما فيه ، فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب ، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه من الشطح ، والطامات ، والدعاوى ، والكلام الباطل ، مالا يحصى ، ولايليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله .

ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوى قد ذكر : أن الشطنوفى نفسه كان متهما فيا يحكيه فى هذا الكتاب بعينه .

ومن أحسن مافى هذا الكتاب : ماذكره المصنف عن قاضى القضاة أبى عبد الله محمد بن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى ، قال : سمعت شيخنا الشيخ موفق الدين بن قدامة يقول : دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة

فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملا ومالا واستفتاء وكان يكفى طالب العلم عن قصد غيره؛ من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسعة الصدر. وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالا عزيزة، وما رأيت بعده مثله.

وذكر فيه أيضا بإسناده عن موسى بن الشيخ عبد القادر، وقال سمعت والدى يقول: خرجت فى بعض سياحاتى إلى البرية ومكثت أياما لا أجد ماء؛ فاشتد بى العطش فأظلتنى سحابة، ونزل علىّ منها شىء يشبه الندى. فترويت به. ثم رأيت نورا أضاء به الأفق، و بدت لى صورة، ونوديت منها: ياعبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات ـ أو قال: ما حرمت على غيرك ـ فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبنى، وقال: يا عبد القادر، نجوت منى بعلمك بحكم ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك. ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لربى الفضل والمنة. قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان. قال: بقوله: وقد أحللت لك المحرمات. وهذه الحكاية مشهورة عن الشيخ عبد القادر، فليس الاعتماد فيها على نقل مصنف هذا الكتاب.

وذكر فى هذا الكتاب أيضاً من طريق نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر عن أبيه، قال: جاءت فتيا من العجم إلى بغداد، بعد أن عرضت على علماء العراقيين، فلم يتضح لأحد فيها جواب شاف.

وصورتها: ما يقول السادة العلماء فى رجل حلف بالطلاق الثلاث: أنه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها. فما يفعل من العبادات؟

قال: فأتى بها إلى والدى، فكتب عليها على الفور: يأتى مكة، ويخلى له المطاف، ويطوف أسبوعاً وحده، وتنحل يمينه. قال: فما بات المستفتى ببغداد.

فأما الحكاية المعروفة عن الشيخ عبد القادر أنه قال : قدمى هذه على رقبة كل ولى لله ، فقد ساقها هذا المصنف عنه من طرق متعددة .

وأحسن ماقيل فى هذا الكلام : ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردى فى عوارفه : أنه من شطحات الشيوخ التى لايقتدى بهم فيها ، ولا يقدح فى مقاماتهم ومنازلهم ، فكل أحد يؤخذ عليه من كلامه ويترك ، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول ، وطالبهم بطرائقهم ، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصرى وأصحابه مثلا من العلم العظيم ، والعمل العظيم ، والورع العظيم ، والزهد العظيم ، مع كمال الخوف والخشية، و إظهار الذل والحزن ، والانكسار ، والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف ، والمحبة والشوق ونحو ذلك ـ فلا ريب أنه يزدرى المتأخرين ، ويمقتهم ، ويهضم حقوقهم . فالأولى تنزيل الناس منازلهم ، وتوفيتهم حقوقهم ، ومعرفة مقاديرهم ، و إقامة معاذيرهم . وقد جعل الله لكل شيء قدراً .

ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزى عظيم الخبرة بأحوال السلف ، والصدر الأول ، قلّ من كان فى زمانه يساويه فى معرفة ذلك . وكان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم ، وقسط من مشاركتهم فى معارفهم . كان لا يعذر المشايخ المتأخرين فى طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين ، ويشتد إنكاره عليهم .

وقد قيل : إنه صنف كتاباً ، ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة ، ولكن قد قل فى هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول، والتمييز بين صحيح مايذكر عنهم من سقيمه .

فأما من له مشاركة لهم فى أذواقهم ، فهو نادر النادر . و إنما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين ، ولايميزون بين مايصح عنهم من ذلك من غيره ، فصاروا يخبطون خبط عشواء فى ظلماء . والله المستعان .

وللشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كلام حسن فى التوحيد ، والصفات والقدر ، وفى علوم المعرفة موافق للسنة .

وله كتاب « الغنية لطالبي طريق الحق » وهو معروف ، وله كتاب « فتوح الغيب » وجمع أصحابه من مجالسه فى الوعظ كثيراً . وكان متمسكا فى مسائل الصفات ، والقدر ، ونحوهما بالسنة ، بالغاً فى الرد على من خالفها .

قال فى كتابه « الغنية » المشهور : وهو بجهة العلو ، مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء (٣٥:١٠ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)، (٣٢ : ٥ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال : إنه فى السماء على العرش ، كما قال (٢٠ : ٥ الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث ، إلى أن قال : وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش .

قال : وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على كل نبى أرسل ، بلا كيف . وذكر كلاماً طويلا ، وذكر نحو هذا فى سائر الصفات .

وذكر الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى ، الشاعر المشهور ، عن شيخه العارف على بن إدريس : أنه سأل الشيخ عبد القادر ، فقال : ياسيدى ، هل كان لله ولى على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : ما كان ، ولا يكون .

وقد نظم ذلك الشيخ يحيى فى قصيدته . قال الشيخ تقى الدين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : حدثنى الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقى ، أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، صاحب العوارف ، قال : كنتُ قد عزمت على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام ، وأنا متردد : هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين ، أو نهاية الإقدام للشهرستانى ، أو كتاباً آخر ذكره ؟ فذهبت مع خالى أبى النجيب ، وكان يصلى بجنب الشيخ عبد القادر ، قال : فالتفت الشيخ

عبد القادر ، وقال لى : ياعمر ، ما هو من زادِ القبر ، ماهو من زاد القبر ، فرجعت عن ذلك .

قال الشيخ تقي الدين : ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسى رحمه الله . انتهى .

وقال ابن النجار فى تاريخه : سمعت عمر بن محمد السهروردى ، شيخ الصوفية يقول : كنت أتفقه فى شبابى بالمدرسة النظامية ، فخطر لى أن أقرأ شيئاً من علم الكلام ، وعزمت على ذلك فى نفسى من غير أن أتكلم به ، واتفق أنى صليت يوم الجمعة مع عمى أبى النجيب فى الجامع ، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلما ، فسأله عمى الدعاء لي ، وذكر له أنى مشتغل بالفقه ، قال : وقمت وقبلت يده ، فأخذ بيدى ، وقال : تب مما عزمت على الاشتغال به ، فإنك تفلح ، ثم سكت وترك يدى ، قال: ولم يتغير عزمى عن الاشتغال، حتى تشوشت علىَّ جميع أحوالى، وتكدر وقتى علىَّ ، فعلمت أن ذلك لمخالفة الشيخ ، قال : فتبت إلى الله من ذلك اليوم ، ورجعت عنه ، فصلحت حالى ، وطاب قلبى .

ونقلت من خط السيف بن المجد الحافظ : سمعت الشيخ الزاهد على بن سلمان البغدادى ، المعروف بالخباز برباطه بالجانب الغربى من بغداد ، يحكى عن الشيخ عبد القادر الجيلى ، وناهيك به ، فإنه صاحب المكاشفات ، والكرامات التى لم تنتقل لأحد من أهل عصره ، أنه قال : لا يكون ولىٌّ لله تعالى إلا على اعتقاد أحمد رضى الله عنه .

قال الحافظ ابن النجار : كتب إلى عبد الله بن أبى الحسن الجبالى، ونقلته من خطه قال : كان شيخنا عبد القادر الجيلى يقول : الخلق حجابك عن نفسك ، ونفسك حجابك عن ربك. ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك . وقال: ما ثَمَّ إلا خلق وخالق ، فإن اخترت الخالق فقل كما قال : (٢٦ : ٧٧ فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) ثم قال : من ذاقه فقد عرفه ،

فاعترضه سائل ، فقال : ياسيدى ، من غلبت عليه مرارة الصفراء كيف يجد حلاوة الذوق ؟ قال: يتعمد قىء الشهوات من قلبه ، وقال: طالبتنى نفسى يوما بشهوة من السوق ، فكنت أدافعها ، وأخرج من درب إلى درب ، وأطلب الصحارى . فبينا أنا أمشى إذ رأيت ورقة فأخذتها ، فإذا فيها مكتوب: ماللأقوياء والشهوات؟ إنما هى للضعفاء من عبادى ، ليتقووا بها على طاعتى. فخرجت تلك الشهوة من قلبى

قال : وكنت أقتات بخرنوب الشوك ، وقمامة البقل ، وورق الخس من جانب النهر والشط ، و بلغت الضائقة فى غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً ، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها ، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلى أجد ورق الخس أو البقل ، أو غير ذلك فأتقوت به . فما ذهبت إلى موضع إلا وغيرى قد سبقنى إليه وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حبا ، فرجعت أمشى وسط البلد أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه ، حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الريحانيين(١) ببغداد وقد أجهدنى الضعف، وعجزت عن التماسك ، فدخلت إليه وقعدت فى جانب منه وقد كدت أصافح الموت ، إذ دخل شاب أعجمى ومعه خبز صافى وشواء ، وجلس يأكل ، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمى من شدة الجوع ، حتى أنكرت ذلك على نفسى : فقلت ما هذا ؟ وقلت: ما ههنا إلا الله ، أو ما قضاه من الموت ، إذ التفت إلى العجمى فرآنى ، فقال : بسم الله يا أخى ، فأبيت ، فأقسم علىّ فبادرت نفسى فخالفتها ، فأقسم أيضاً ، فأجبته ، فأكلت متقاصراً، فأخذ يسألنى: ما شغلك؟ ومن أين أنت ؟ و بمن تعرف ؟ فقلت : أنا متفقه من جيلان . فقال : وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر ، يعرف بسبط أبى عبد الله الصومعى الزاهد ؟ فقلت : أنا هو ، فاضطرب وتغير وجهه ، وقال : والله لقد وصلت إلى بغداد ، ومعى بقية نفقة لى ، فسألت عنك فلم يرشدنى أحد ونفذت نفقتى ، ولى ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتى ، إلا مما كان لك معى ، وقد حلت لى الميتة ،

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « مسجد يانس بسوق الرياحين » .

وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء ، فكل طيباً ، فإنما هو لك ، وأنا ضيفك الآن ، بعد أن كنت ضيفي ، فقلت له : وما ذاك ؟ فقال : أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير ، فاشتريت منها هذا للاضطرار ، فأنا معتذر إليك ، فسكّنته ، وطيبت نفسه ، ودفعت إليه باقي الطعام ، وشيئاً من الذهب برسم النفقة ، فقبله وانصرف

قال : وكنت أعامل بقلياً كل يوم برغيف و بقل ، فبقي له عليّ ، فضقت ، وما أقدر على ما أوفيه ، فقيل لي: امض إلى المكان الفلاني ، فمضيت ، فوجدت قطعة ذهب ، فوفيت بها البقلي . فكنت أشتغل بالعلم ، فيطرقني الحال ، فأخرج إلى الصحارى ، ليلاً أو نهاراً ، فأصرخ ، وأهج على وجهي ، فصرخت ليلة ، فسمعني العبارون ، ففزعوا ، وجاءوا فعرفوني ، فقالوا : عبدالقادر المجنون ، أفزعتنا ، وكان ربما أغشي عليَّ ، فيغسلوني ، ويحسبون أني مت من الحال التي تطرقني ، وربما أردت الخروج من بغداد ، فيقال لي : ارجع : فإن للناس فيك منفعة ،

وذكر عن ابن الخشاب ، قال : كنت أشتغل بالعربية ، وأسمع بمجلس عبد القادر ، فلا أتفرغ له ، فجئت يوماً فسمعته ، ثم قلت : ضاع اليوم مني ، فقال على المنبر : ويلك ، تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر ، وتختار ذلك ؟ اصحبنا ، نصيرك سيبويه ، فقلت : إنه يعنيني بكلامه ، أو كما قال .

قال ابن النجار : وسمعت أبامحمد الأخفش يقول : كنت أدخل على الشيخ عبد القادر في وسط الشتاء وقوة برده ، وعليه قميص واحد ، وعلى رأسه طاقية ، والعرق يخرج من جسده ، وحوله من يروحه ، بالمروحة كما يكون في شدة الحر .

وأخبار الشيخ عبد القادر كثيرة . اقتصرنا منها على هذا .

قال ابن الجوزي : توفي الشيخ عبد القادر ، ليلة السبت ثامن ـ وقال غيره : تاسع ـ ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بعد المغرب . ودفن من وقته بمدرسته . و بلغ تسعين سنة .

وسمعت أنه كان يقول عند موته : رفقا رفقا . ثم يقول : وعليكم السلام ، وعليكم السلام . أجيء إليكم ، أجيء إليكم .

وسمعت من يحكى أنه قال عند موته : أنا شيخ كبير، ماوعدنا بهذا . قال غيره: صلى عليه ولده عبد الوهاب . وقبره ظاهر يزار بمدرسته ببغداد . رحمه الله تعالى .

ورثاه نصر النميرى ـ غداة دفنه ـ بقصيدة أولها :

مشكل الأمر ذا الصباح الجديد ⁂ ماله ذاك السنا المعهود
ومرامى الأبصار من كل قطر ⁂ مظلمات على النواظر سود
مطلع الشمس فيه داج كأن قد ⁂ كورت، أو أتى عليها خمود
أترى حلت المنون بمحيي الدين ⁂ حقاً، فما لنوره خمود ؟
ما أرى الأمر غير ذاك، ولن ⁂ يوجد صبر ومثله مفقود
ذو المقام العلى فى الزهد ⁂ لاينكر قول المحب فيه الحسود
والفقيه الذى تعذر أن ⁂ يلتى له فى الورى جميعا نديد
تترامى إليه فى العلم بالله ⁂ وبالحكم فى الفتاوى الوفود
معرض الطرف والضمير عن ⁂ الدنيا تصدى لوصله وتحيد
مخلص فى جميع أعماله لله ⁂ ما إن عليه فيها مزيد
لم يزغ عن طريقة السلف ⁂ الصالح والمقتفى بهم مسعود
ورع كامل، وزهد صحيح ⁂ وتقى وافر، وعهد وكيد
وكلام يروق كالدر ناطقه ⁂ بأعناقها الحسان الغيد
أو كنور الربيع أبداه للإبصار ⁂ بالأبرقين روض مجود
تخشع القلب عنده، ويظل الدمع ⁂ يجرى، وتقشعر الجلود
واعتقاد مع غيره ليس يرضى ⁂ عملا من عبادة المعبود
يلتقى النجح ملتقيه، ويعطى ⁂ عنده غاية المراد المريد
حال من دونه الحمام، فللدين ⁂ خمول، وللعلى تبديد
ولعمرى لقد مضى، وهو عند الله ⁂ والناس كلهم محمود
طيب الذكر والأحاديث لم يدنس ⁂ بلؤم رداؤه والبرود

شكت المكرمات لما تشكى ومضى إذ مضى التقى والجود

هذه نكبة تساوى قريب الناس فى شرب كأسها والبعيد

بكت الأرض والسموات فيها أسفاً واعترى النسيم ركود

وقليل إن أضحت عندها الأرض بما فوق منكبيها تميد

مات من كانت الأقاليم تسقى الغيث أغوارها به والنجود

ولو أن النفوس تفدى لما مات ومنا على الثرى موجود

سيد الأولياء فى الشرق والغرب وبحر الفضائل المورود

وذكر باقى القصيدة . وله فيه مرثية أخرى .

قرأت على أبى العباس أحمد بن محمد بن سلمان الحنبلى ببغداد : أخبركم أبو الحسن على بن ثامر بن حصين ، أخبرنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد القطيعى ح وقرأت على أبى الفضل محمد بن إسماعيل بن الحموى بدمشق : أخبركم أبو إسحاق إبراهيم بن على الواسطى ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الفقيه وأبو طالب بن القطيعى ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى ، أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلانى ، أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن شاذان ، أخبرنا أحمد ـ يعنى ابن سلمان ـ النجاد ، حدثنا الحسن ـ يعنى ابن مكرم ـ حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس عن الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه رضى الله عنه ، قال : «قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إذا أراد سفراً إلا يوم الخميس » .

١٣٥ ـ أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعى ، الفقيه ، الواعظ ، أبو العباس .

ولد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة تقريباً .

سمع الحديث بنفسه ـ بعد ما كبر ـ من عبد الخالق بن يوسف ، والفضل بن

سهل الإسفرايني ، وأبي منصور القزاز ، وابن ناصر الحافظ ، وغيرهم ، وتفقه على القاضي أبي يعلى ابن القاضي أبي خازم ، ولازمه حتى برع فى الفقه ، وأفتى وناظر ، ووعظ ، ودرس بمدرسة ابن البل بالريان ، ووعظ بها . أيضاً ، وأشغل الطلبة ، وأفاد .

قال أبو الفضل بن شافع : كان فقيهاً مفتياً ، ذكريا فطريا ، قد تأدب ، وقرأ التفسير ، ووعظ . وكان اعتقاده جيداً .

وقال ابن النجار : برع فى الفقه ، وتكلم فى مسائل الخلاف . وكان حسن المناظرة ، جريئاً فى الجدال ، ويعظ الناس على المنبر .

توفى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ودفن بالحلية[1] شرقى بغداذ ، وهو والد أبي الحسن القطيعي ، صاحب التاريخ ، ولم يسمع من والده هذا إلا حديثاً واحداً ، وذكر أن له مصنفات كثيرة .

قلت : منها : كتاب « النحول ، فى أسباب النزول » .

١٣٦ ــ هبة الله بن أبي عبد الله بن كامل بن حبيش البغدادى ، الصوفى ، الفقيه أبو على .

سمع الحديث من القاضي أبي بكر بن عبد الباقى ، وغيره . وتفقه على أبي يعلى بن القاضى ، وتقدم فى رباط بدرزيجان على جماعة المتصوفة . وكان من أهل الدين

وتوفى فى المحرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة . وذفن بمقبرة أحمد ، قريباً من بشر الحافى .

وذكره ابن الجوزى ، وابن القطيعى .

١٣٧ ــ سعد الله بن نصر بن سعيد ، المعروف بابن الدجاجى ، وبابن الحيوانى ، الفقيه الواعظ المقرىء الصوفى ، الأديب أبو الحسن ، ويلقب بمهذب الدين .

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « بالجلبة »

ولد فى أول رجب ، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

وقرأ بالروايات على أبى الخطاب بن الجراح ، وأبى منصور الخياط ، وسمع منهما ، ومن أبى الخطاب الكلوذانى ، وأبى الحسن بن العلاف ،وأبى القاسم بن بيان ، وابن الطيورى ، وأبى الغنائم النرسى ، وغيرهم . وتفقه على أبى الخطاب حتى برع .

وقد روى عنه كتابه « الهداية » تصنيفه ، وقصيدته فى السنة وغيرها .

وروى عن ابن عقيل كتاب « الانتصار لأهل السنة والحديث » .

قال ابن الخشاب : هو فقيه ، واعظ حسن الطريقة ، سمعت منه .

قال ابن الجوزى : تفقه ، وناظر ، ودرس ، ووعظ . وكان لطيف الكلام ، حلو الإيراد ، ملازماً لمطالعة العلم ، إلى أن مات .

وقال ابن نقطة : شيخ فاضل صحيح السماع ، حدثنا عنه جماعة من شيوخنا . وكان ثقة .

وقال صدقة بن الحسين فى تاريخه : كان شيخاً حسناً ، تفقه على أبى الخطاب وكان من أصحاب أبى بكر الدينورى . وكان يعظ ، ويقرىء القرآن ، ويسمع الحديث .

قال ابن النجار : كان من أعيان الفقهاء الفضلاء ، وشيوخ الوعاظ النبلاء ، مليح الوعظ ، حسن الإيراد ، حلو العبارة ، حسن النثر والنظم . وكان يخالط الصوفية ، ويحضر معهم سماع الغناء . وكان من ظراف المشايخ .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى ؟ فقال : كان شيخاً حسناً ، من فقهاء أصحابنا ووعاظهم ، صحب أبا الخطاب ، وابن عقيل ، وروى عنهما ، سمعنا عليه .

قال ابن الجوزى : أنبأنا سعد الله بن نصر ، قال : كنت خائفاً من الخليفة لحادث نزل ، فأغفيت ، فرأيت فى المنام كأنى فى غرفة أكتب شيئاً ، فجاء رجل فوقف بإزائى ، وقال : اكتب ما أملى عليك ، وأنشد :

ادفع بصبرك حادث الأيام وترج لطف الواحد العلام
لا تيأسن وإن تضايق كربها ورماك ريب صروفها بسهام
وله تعالى بين ذلك فرجة تخفى عن الأبصار والأوهام
كم من نجا من بين أطراف القنا وفريسة سلمت من الضرغام

قال ابن الجوزى : وسئل فى مجلس وعظه ـ وأنا أسمع ـ عن أخبار الصفات فنهى عن التعرض لها ، وأمرنا بالتسليم ، وأنشد :

أبى العاتب الغضبان يانفس أن يرضى وأنت التى صيرت طاعته فرضا
فلا تهجرى من لا تطيقين هجره وإن هم بالهجران خديك والأرضا

قال ابن القطيعى : وأنشدنى أحمد بن أبى السرايا ، قال : أنشدنى سعد الله ابن الدجاجى لنفسه :

ملكتم مهجتى بيعاً ومقدرة فأنتم اليوم أغلالى وأغلالى
علوت فخراً ولكنى ضنيت هوًى فأنتم اليوم أعلالى وأعلالى

وزاد غير ابن القطيعى فى روايته بيتاً ثالثاً :

أوصى لى البين أن أشقى بحبكم فقطع البين أوصالى وأوصالى

ومن شعره أيضاً رحمه الله :

لى لذة فى ذلتى وخضوعى وأحب بين يديك سفك دموعى
وتضرعى فى رأى عينك راحة لى من جوى قد كنّ بين ضلوعى
ما الذل للمحبوب فى حكم الهوى عار ، ولا جور الهوى ببديع
هبنى أسأت ، فأين عفوك سيدى عمن رجاك لقلبه الموجوع ؟
جد بالرضى من عطف لطفك واغنه بجمال وجهك عن سؤال شفيع

قال ابن القطيعى : كان ابن الدجاجى ، قد ناظر ووعظ ، وأفتى وصنف ، له فضل ودين ، وخاطر بغدادي . بلغنى أنه حضر بالديوان العزيز ، وجماعة من الفقهاء ، فاستدل شخص بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن البغدادى

الحنفى : هذا الحديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الخصم : قد أخرجه البخارى ومسلم ، فقال ابن البغدادى : قد طعن فيهما أبو حنيفة ، فقال ابن الدجاجى : هل كان مع أبى حنيفة ملحمة ؟ .

وقد قرأ بالروايات ، وحدث ، وسمع منه خلق كثير .

وروى عنه ابنه أبو نصر محمد ، وابن الأخضر ، وابن سكينة ، والشيخ موفق الدين ، وابن عماد الحرانى ، والأنجب الحمامى ، وغيرهم .

توفى آخر نهار يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من شعبان سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن من الغد إلى جانب رباط الزوزنى بمقبرة الرباط .

قال ابن الجوزى : دفن هناك إرضاء للصوفية ؛ لأنه أقام عندهم مدة فى حياته فبقى على ذلك خمسة أيام ، ومازال الحنابلة يلومون ولده على هذا ، يقولون : مثل هذا الرجل الحنبلى أى شىء يصنع عند الصوفية ؟ فنبشه بعد خمسة أيام بالليل .

قال : وكان أوصى أن يدفن عند والديه . ودفن عليهما بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

١٣٨ - محمد بن المبارك بن الحسين بن إسماعيل البغدادى ، الفقيه القاضى أبو بكر بن أبى البركات ، المعروف بابن الحضرى .

ذكره ابن الجوزى ، وقال : صديقنا .

ولد سنة عشر وخمسمائة .

وقرأ القرآن ، وسمع الحديث من أبى عبد الله يحيى بن البنا ، وأبى بكر ابن عبد الباقى ، وغيرهم . وتفقه على القاضى أبى يعلى ، وناظر . وولى القضاء بقرية عبد الله من واسط .

وذكر القطيعى : أنه روى عن أبى بكر المزرفى ، وأبى الحسن علي بن محمد الهروى ، وأبى جعفر السمنانى ، وأبى منصور بن خيرون ، وغيرهم .

وسمع منه بعض الطلبة ، وناظر ، ودرس وأفتى .

قال : وجرى ذكره يوما عند الوزير أبي المظفر بن يونس ـ وعنده الفقهاء والعلماء على اختلاف مذاهبهم ـ فأثنى عليه خيراً . فاستكثر بعض الحاضرين ذلك الثناء ، فقال الوزير : والله لقد كان أدين مني ؛ فإنه كان يصلى بمسجده ، ثم يقرأ عليه القرآن والفقه من بكرة إلى وقت الضحى ، ثم يدخل إلى منزله فيتشاغل بالعلم إلى أن يعود إلى مسجده ، دائماً لا يقطع زمانه إلا بطاعة .

توفى رحمه الله تعالى فجأة فى شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الزرادين من باب الأزج .

وقد روى عنه ابن الجوزى مناماً رآه لشيخه ابن ناصر . وقد ذكرناه فى ترجمته

١٣٩ – عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشى ، الفقيه ، العارف الزاهد ، أبو عمرو . نزيل الديار المصرية .

صحب شرف الإسلام عبد الوهاب بن الجيلى بدمشق ، وتفقه واستوطن مصر وأقام بها إلى أن مات ، وأفتى بها ودرس وناظر ، وتكلم على المعارف والحقائق . وانتهت إليه تربية المريدين بمصر . وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء ، وأثنى عليه المشايخ ، وحصل له قبول تام من الخاص والعام ، وانتفع بصحبته خلق كثير .

وكان يعظم الشيخ عبد القادر ، ويقال : إنه اجتمع به هو وأبو مدين بعرفات ولبسا منه الخرقة ، وسمعا منه جزءاً من مروياته . وسمع الحديث ورواه .

حدث عنه أبو الثناء محمود بن عبد الله بن مطروح المقرئ الجيلى ، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغدرانى الحنبلى المصرى الكاملى . وكانا صالحين . وكان الأول مقرئاً ، حسن التلفظ بالقرآن . وكان الثانى كثير الذكر والتسبيح . حدث عنه المنذرى . قرأ على الأول القرآن . وكان الشيخ أبو عمرو له كرامات ، وأحوال ومقامات ، وكلام حسن على لسان أهل الطريقة .

فمن ذلك قوله : الطريق إلى معرفة الله وصفاته : الفكر ، والاعتبار بحكمه . وآياته ، ولا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته . ولو تناهت الحكم الإلهية فى

حد العقول ، وانحصرت القدر الربانية فى درك العلوم . لكان ذلك تقصيراً فى الحكمة ، ونقصاً فى القدرة ، لكن احتجبت أسرار الأزل عن العقول ، كما احتجبت سبحات الجلال عن الأبصار . فقد رجع معنى الوصف فى الوصف ، وعمى الفهم عن الدرك ، ودار الملك فى الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله ، واشتد الطلب إلى شكله (٢٠ : ١٠٨ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) .

فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته ، وحجج بالغة على أزليته ، والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيته ، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه ، المتبصرون على قدر بصائرهم .

ومن كلامه أيضاً : من لم يجد فى قلبه زاجرا فهو خراب . ومن عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه . ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه بصحبة العبيد . ومن انقطعت آماله إلا من مولاه فهو عبد حقيقة . والدعوى من رعونة النفس ، واستلذاذ البلاء تحقق بالرضا ، وحلية العارف الخشية والهيبة . وإياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكام الطريق ، وتمكن الأقدام ؛ فإنها تقطع بكم . ودليل تخليطك صحبتك للمخلطين . ودليل وحشتك أنسك بالمستوحشين .

وكان يتمثل بهذه الأبيات :

يا غارس الحب بين القلب والكبد ... هتكت بالصدّ ستر الصبر والجلد

يا من تقوم مقام الموت فرقته ... ومن يحل محل الروح فى الجسد

قد جاوز الحب فى أعلا مراتبه ... فلو طلبت مزيدا منه لم أجد

إذا دعى الناس قلبى عنك مال به ... حسن الرجاء ، فلم يصدر ولم يرد

إن ترضني لم أرد مادمت لى بدلا ... وإن تغيرت لم أسكن إلى أحد

وحكى عن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن مرسيل الضرير ، الفقيه الشافعى الزاهد رحمه الله تعالى ، قال: كان الشيخ أبو عمرو بن مرزوق ، من أوتاد مصر . كان شائع الذكر ، ظاهر الكرامات . زاد النيل سنة زيادة عظيمة ، كادت مصر

تغرق ، وأقام على الأرض ، حتى كاد وقت الزرع يفوت ، فضج الناس بالشيخ أبي عمرو بن مرزوق بسبب ذلك ، فأتى إلى شاطىء النيل ، وتوضأ منه ، فنقص فى الحال نحو ذراعين ، ونزل عن الأرض حتى انكشفت ، وزرع الناس فى اليوم الثانى .

قال : وفى بعض السنين لم يطلع النيل ألبتة ، وفات أكثر وقت زراعته . وغلت الأسعار وظن الهلاك ، وضجوا بالشيخ أبى عمرو بن مرزوق ، فجاء إلى شاطىء النيل ، وتوضأ فيه بإبريق كان مع خادمه ، فزاد النيل فى ذلك اليوم . وتعاقبت زيادته إلى أن انتهت إلى حده . وبلغ الله به المنافع ، وبارك فى زرع الناس تلك السنة .

قرأت بخط الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلى قال : حكى لى الشيخ زين الدين علىّ بن نجا قال : زرت الشيخ عثمان بن مرزوق ـ بمصر ـ فقال: يجىء أسد الدين شيركوه إلى هذه البلاد ويروح ، ولا يحصل له شىء ، ثم يعود يجىء ويروح ، ولا يأخذ البلد ، ثم يجىء فيأخذ ـ ما أدرى قال فى الثالثة أو الرابعة ؟ ـ فيملك مصر ، فجرى الأمر كما ذكر .

فقلت له : ياسيدى ، من أين لك هذا ؟ فقال: والله ياولدى ، ما أعلم الغيب ، وإنما لى عادة : أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أراه فى بعض الجمع ، فيخبرنى ، قلت : لعله أراد فى المنام .

قال الناصح : وسمعت خادم الشيخ عثمان بن مرزوق ، وكان يعرف بسيف السنة ، وعليه آثار الصلاح ، وقال له زين الدين بن نجا : أتعرف الأبيات التى أنشدت تلك الليلة بحضرة الشيخ عثمان بن مرزوق ، فسمع وبكى ؟ قال : نعم ، قال : قلها ، فقال :

فديت من واصلنى محتفياً فى وصله ... كنا على وعد فما كدره بمطله

وعاد عندى كله مشتغلا بكله ... ماخلت أن يصلح مثلى فى الهوى لمثله

وإنما جاد عليّ منعماً بفضله ولم أكن أهلا له لكنه من أهله

وذكر الناصح فى ترجمة ولد الشيخ أبى عمرو بن مرزوق سعد ـ وسنذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى ـ : أن والده ـ يعنى الشيخ : أبا عمرو ـ كان يذكر عنه أنه كان يقول فى أفعال العباد : إنها غير مخلوقة .

وكذا حكى ابن القطيعى فى تاريخه ، قال: حكى لى أبو محمد بن سعيد البزار التاجر ، قال : كنت بمصر ووقع بها فتنة بين والد الشيخ سعد ـ يعنى عثمان ابن مرزوق ـ وبين الكيزانى ، وتلك الفتنة كانت سبب قدوم سعد إلى بغداد ، فقلت له : ما كانت ؟ فقال : كان عثمان بن مرزوق يقول : أفعال العباد قديمة ، وكان له بمصر قبول ، وبمصر يومئذ رجل آخر له قبول ، يعرف بابن الكيزانى ، أبو عبد الله يقول : ليست قديمة ، فثارت الفتن ، فقالوا : طريق الحق أن تكتب إلى بغداد فى ذلك ، فكتبوا إلى علماء بغداد ، فأفتوهم على اختلاف مذاهبهم بحدثها ، فقال سعد ـ يعنى : ابن الشيخ عثمان بن مرزق ـ : الآن قد شككت فى هذا الأمر ، والمكتوب لا يقلد ، ولا بد من المضي إلى بغداد ، وأسمع مقالة العلماء ، وأعود أخبر أبى بذلك ، فدخل بغداد ، وسمع مقالة العلماء ، فمات أبوه بمصر وبلغه وفاته ، فأقام ببغداد .

قلت : وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : أن أبا عبد الله ابن الكيزانى كان يقول : إن أفعال العباد قديمة ، فحينئذ فقد اختلف فى نسبة هذا القول : هل هو إلى ابن الكيزانى ، أو إلى ابن مرزوق ، ولم يثبت لنا من وجه صحيح عن ابن مرزوق أنه كان يقول ذلك ، ولعل ذلك ألزموه به ؛ لقوله : إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق ، وإن هذا القول يقوله طائفة من أصحابنا ، وربما نسبوه إلى الإمام أحمد .

والصحيح الصريح عن أحمد : أنه كان يبدع قائل ذلك ، ولعله لما التزم هذا القول الضعيف طرده فى سائر الأفعال . والله أعلم بحقيقة الحال .

ثم وجدت لأبى عمرو بن مرزوق مصنفات فى أصول الدين ، ورأيته يقول إن الإيمان غير مخلوق ، أقواله وأفعاله ، و إن حركات العباد مخلوقة ، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام فى ألفاظ العباد .

وقال الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى : وثَمَّ جماعات منتسبون إلى الشيخ أبى عمرو بن مرزوق ، و يقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه وهذا الشيخ كان ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد ، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ أبى الفرج ، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعى ، و يقولون أقوالا مخالفة لمذهب الشافعى وأحمد ، بل ولسائر أئمة المسلمين ، ولشيخهم الشيخ أبى عمرو . وهذا الشيخ أبو عمرو : شيخ من شيوخ أهل العلم والدين ، وله أسوة أمثاله ، و إذا قال قولا قد علم أن قول أحمد والشافعى بخلافه ، وجب تقديم قول الشافعى وأحمد على قوله ، مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة ، فكيف إذا كان القول مخالفاً لقوله ، ولقول الأئمة ، وللكتاب والسنة ؟

وذلك مثل قولهم : لا نقطع ، ولا نقول قطعاً ، و يقولون : نشهد أن محمداً رسول الله ، ولا نقطع ونقول : السماء فوقنا ، والأرض تحتنا ، ولا نقطع بذلك ، و يروون فى ذلك أثراً عن علىّ ، أو حديثاً مرفوعاً ، وهو من الكذب المفترى .

قال: وأصل شبههم : أن السلف كانوا يستثنون فى الإيمان، فيقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ، وعلى ذلك كان أهل الثغر ـ عسقلان ، وما يقرب منها ـ فإنه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابى ، وكان يأمر بذلك ، وكان شديداً على المرجئة ، وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان ، ثم صار كثير منهم يستثنى فى الأعمال الصالحة ، فيقول : صليت إن شاء الله ، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر ، ولا تقبلت منه ، فيستثنى خوفا من ذلك .

وصنف فى ذلك بعض أهل الثغر مصنفاً ، وشيخهم أبو عمرو بن مرزوق ،

غايته أن يتبع هؤلاء ، ولم يكن الرجل ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا : لما يعلم أنه موجود : هذا موجود قطعاً ، لكن لما مات أحدث بعض أتباعه الاستثناء فى كل شىء ، حتى فى الإخبار عن الماضى والحاضر .

وقد نقل عن بعض الشيوخ : أنه كان يستثنى فى كل شىء ، كأنه ـ والله أعلم ـ فى الخبر عن الأمور المستقبلة ، لقوله تعالى (٤٨ : ٢٧ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » وصاروا يمتنعون عن التلفظ بالقطع ، مع أنهم محقون بقلوبهم أن محمداً رسول الله ، ولا يشكون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن يكرهون لفظ القطع . وهذا جهل منهم . والواجب عليهم موافقة جماعة المسلمين .

فإن قول القائل : أقطع بذلك ، مثل قوله : أشهد بذلك وأجزم وأعلم بذلك وأطال الشيخ الكلام فى ذلك .

توفى الشيخ أبو عمرو بن مرزوق بمصر سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد جاوز السبعين . ودفن بالقرافة ، شرقى قبر الشافعى رضى الله عنه ، وقبره ظاهر يزار ، رحمه الله .

١٤٠ـ أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبى عبد الله الجيلى ، الحافظ أبو الفضل بن أبى المعالى بن أبى محمد ، مفيد العراق . وقد تقدم ذكر أبيه وجده .

ولد فى ثامن عشر ذى القعدة ، سنة عشرين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أبى محمد سبط الخياط وغيره ، وبكر به أبوه فى سماع الحديث ، فأسمعه من أبى غالب بن البناء ، وأبى الحسين بن الفراء ، والقاضى أبى بكر الأنصارى ، وأبى القاسم الحريرى ، وأبى البدر الكرخى ، وأبى الحسن ابن عبد السلام ، ووالده صالح بن شافع ، وخلق كثير .

وطلب هو بنفسه ، ولازم أبا الفضل بن ناصر الحافظ ، حتى قرأ عليه أكثر

ما كان عنده ، واختص بصحبته وكان يقتفى أثره ، و يسلك مسلكه ، ثم أكثر الأخذ عن أصحاب ابن البطر ، وطراد ، وطبقتهما .

و بالغ فى الطلب حتى سمع من أصحاب ابن بيان ، وابن نبهان ، ثم من أصحاب ابن الحصين ، وابن كادش ، وطبقتهما ، ولم يزل مشتغلا بالطلب والسماع ، إلى أن مات . وكتب بخطه الكثير ، وحصل الأصول الحسان ، ولم يحدث إلا باليسير ؛ لأنه مات قبل أوان الرواية .

قال ابن النجار : كان حافظاً ، متقناً ، ضابطاً محققاً ، حسن القراءة ، صحيح النقل ، ثبتاً حجة ، نبيلا ورعاً ، متديناً تقياً ، متمسكا بالسنة على طريقة السلف . وصنف تاريخاً على السنين ، بدأ فيه بالسنة التى توفى فيها أبو بكر الخطيب ، وهى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، إلى بعد الستين وخمسمائة ، يذكر السنة وحوادثها ، ومن توفى فيها ، و يشرح أحوالهم . ومات ولم يبيضه .

وقد نقلت عنه من هذا الكتاب كثيراً ، يعنى ابن النجار بهذا الكتاب : تاريخه المذيل على تاريخ بغداد .

قلت : وأنا فقد نقلت من تاريخ ابن شافع فى هذا الكتاب فوائد مما وقع لى منه ، فإنه وقع لى منه عدة أجزاء من منتخبه لابن نقطة .

وقد ذكره ابن نقطة فى كتابه « الاستدراك » ونعته بالحافظ . وقال : كان موصوفاً بحسن القراءة للحديث . وكان صالحاً ثقة مأموناً . وقال فى موضع آخر منه : هو متقن.

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى ؟ فقال : كان حافظاً ثقة يقرأ الحديث قراءة حسنة مبينة صحيحة بصوت رفيع إمام فى السنة . وكان شاهداً معدلا . بلغنى أنه دعى إلى الشهادة للخليفة بما لا يجوز ، فامتنع من الشهادة ، وطرح الطيلسان ، وقال : مالكم عندنا إلا هذا .

قال ابن النجار : أنشدنى عبد الوهاب بن على الأمين أنشدنى أبو الفضل ابن شافع :

فى زخرف القول تزيين لباطله وإلقول قد يعتريه سوء تعبير
يقول : هذا مُجاج النحل تمدحه وإن تعب قلت : هذا قىء زنبور
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما حسن البيان يرى الظلماء كالنور

توفى يوم الأربعاء بعد الظهر ثالث شعبان سنة خمس وستين وخمسمائة .

وكان مرضه البرسام والسرسام ستة أيام ، وأسكت منها ثلاثة أيام ، وشُدّ تابوته بالحبال ، وصلى عليه خلق كثير . ودفن على أبيه فى دكة قبر الإمام أحمد رضى الله عنه .

١٤١ - علي بن بردوان بن زيد بن الحسين[1] بن سعيد بن عصمة بن حمير الكندى البغدادى ، النحوى الأديب ، شمس الدين أبو الحسن ، ابن عم الشيخ تاج الدين أبى اليمن زيد .

سمع ببغداد . وقرأ وكتب الطباق بخطه على يحيى بن البنا وغيره ويغلب على ظنى : أنى وقفت على قراءته للهداية على الشيخ عبد القادر .

وقرأ النحو واللغة على ابن الجواليقى . ثم قدم دمشق ، وأدرك شرف الإسلام ابن الحنبلى وصحبه . وكان فاضلا أديباً ، حسن الخط . كتب بخطه كثيراً من الأدب . ومن دواوين العرب ، وحظى عند السلطان نور الدين .

قرأت بخط أبى الفرج بن الحنبلى : كان عارفاً بالنحو واللغة . قيل : كان أعلم بها من ابن عمه أبى اليمن ، ويقول الشعر ، وهو حنبلى من أهل السنة . وكتب من الدقائق والكلام الوعظى الكثير ، وطلب من شرف الإسلام أن يجلس بمدرسته للوعظ ، فأذن له فى ذلك، فغلبه الحياء ، فلم يتمكن من الإيراد ، ثم نزل وترك الوعظ

قلت : توفى سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق .

ومن شعره .

هتك الدمع بصوت هتف كلما أضمرت من سر خفىّ

---

(١) فى خطية الإدارة الثقافية «على بن ثروان بن زيد بن الحسن»

يا أخلائى على الخيف ، أما تتقون الله فى حث المطىّ

وله أيضاً :

درت عليك غوادى المزن يادار ولا عفت منك آيات وآثار

دعا من لعبت أيدى الغرام به وساعدتها صبابات وتذكار

وقصد بعض الأكابر مرة فلم يصادفه ، فكتب على باب داره حفراً بسكين :

حضر الكندى مغناكم فلم يركم من بعد كد وتعب

لو رآكم لتجلى همه وانثنى عنكم بحسن المنقلب

١٤٢ — محمد بن حامد بن حمد بن عبد الواحد بن على بن أبى مسلم الأصبهانى ، الواعظ الحنبلى ، أبو سعيد . ويعرف بسرمس

سمع أبا مسعود محمد بن عبد الله السودرجانى ، وأبا مطيع المصرى ، والدرنى ، ويحيى بن منده ، وجماعة . و ببغداد أبا القاسم بن السمرقندى .

وكتب بخطه ، وحدث ببغداد وغيرها .

وكان من أعيان الوعاظ . وله القبول التام عند العوام .

توفى فى سلخ شعبان سنة ست وستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة برديان فى جوار قبر الإمام أبى مسعود الرازى .

١٤٣ — النفيس بن مسعود بن أبى سعد بن على ، المعروف بأبى صعوه السلامى ، الفقيه أبو محمد .

قرأ القرآن . وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، ووعظ .

واحتضر فى شبابه، فتوفى يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ست وستين وخمسمائة وصلى عليه عند جامع السلطان بالجانب الشرقى . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

وذكره ابن الجوزى ، وقال المنذرى : تفقه على ابن المنى ، وتكلم فى مسائل الخلاف وسمع من غير واحد .

قال : و « صَعَوة » بفتح الصاد والعين المهملتين و بعدها تاء تأنيث ـ لقب لجده مسعود .

١٤٤ ـ فتيان بن مياح بن حمد بن سليمان بن المبارك بن الحسين السلمى الحرانى الضرير ، المقرىء الفقيه أبو الكرم .

قال ابن القطيعى فى تاريخه : ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة على مابلغنى .

قلت : وهذا بعيد . ولعله سنة ثلاث عشرة .

قال : وقدم بغداد ، وسمع الحديث من أبى البركات عبد الوهاب الأنماطى ، وصالح بن شافع ، وأبى زيد الحموى ، وغيرهم . وتفقه بمذهب الإمام أحمد ، وعاد إلى بلده فأفتى ودرس به إلى أن مات . سمع منه أبو المحاسن القاضى القرشى

قلت : كان بارعاً فى علم القراءات . وله مصنف فى علم التجويد .

وقال: الشيخ فخر الدين ابن تيمية فى أول تفسيره ، وقد ذكر شيوخه فى العلم فأول ما قال : كنت برهة مع شيخنا الإمام الورع أبى الكرم فتيان بن مياح وكان طويل الباع فى علم اللغة والإعراب ، مبسوطاً فى الإغراق فيهما ، والإعراب يشق الغبار فى علم القراءات ، ومعاناة المعانى فهماً ، واللغات، وأحكام فهم الأحكام والوقوف على موارد الحلال والحرام . وعده أبو الفتح بن عبدوس من شيوخه وشيوخ حران وفقهائها وعلمائها

قال ابن القطيعى : حدث فتيان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . ودخلت حران سنة ست وستين وخمسمائة ، فسألت عنه ؟ فقالوا : توفى عن قريب رحمه الله

قلت : وفيه أيضاً نظر ؛ فإن الشيخ فخر الدين ابن تيمية ذكر أنه لازم أبا الحسن بن عبدوس بعد موت فتيان هذا . وهذا يشعر بتقديم وفاته على وفاة ابن

عبدوس ، ويمكن أنه أراد أن ملازمته لابن عبدوس كانت بعد ملازمته لفتيان ، لا بعد موته . والله أعلم .

١٤٥ - عبد الله بن أحمد بن[1] أحمد بن عبـد الله بن نصر بن الخشاب البغدادى ، اللغوى النحوى ، المحدث ، الإمام أبو محمد بن أبى الـكرم

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ظناً .

وقرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث من أبى القاسم الربعى ، وأبى الغنائم النرسى، ويحيى بن منده . وطلب بنفسه ، وقرأ الـكثير على ابن الحصين ، وأبى العز ابن كادش ، وأبى غالب بن البنا ، وأبى القاسم الحريرى ، وأبى بكر بن عبد الباقى وأبى القـاسم بن السمرقندى ، والمزرفى ، وأبى الحسن بن الزاغونى ، وأبى الحسين ابن الفراء ، وخلق من الطبقة ، ولم يزل يقرأ حتى قرأ على أقرانه .

وقد عده ابن نقطة فى أول استدراكه من الحفاظ الذين يعتمد على ضبطهم ، وقرنه مع السلفى وأبى العلاء ، وابن عساكر . وأخذ اللغة والعربية عن أبى بكر ابن حوامرد القطان، وأبى الحسن الفصيحى ، وأبى الحسن المحوّلى ، وأبى منصور الجواليقى ، وأبى السعادات بن الشجرى .

وقرأ الحساب والهندسة على أبى بكر محمد بن عبد الباقى ، والفرائض على أبى بكر المزرفى . وشارك فى أنواع العلوم ، وبرع فى كثير منها .

قال ابن الجوزى : انتهى إليه معرفة النحو واللغة .

وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية : أكثر التردد إلى مجلس شيخنا العلامة حجة الإسلام أبى محمد بن الخشاب لتحصيل فنى النحو واللغة ، وما بلغ أحد من أبناء عصره فيهما ما بلغه .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى ؟ فقال : كان إماما فى عصره فى علم العربية ، والنحو واللغة . وكان علماء أهل عصره يستفتونه فيهما ، ويسألونه عن مشكلاتها . وحضرت كثيرا من مجالسه للقراءة عليه ، ولـكن لم أتمكن من الإكثار

عليه ؛ لكثرة الزحام عليه . وكان حسن الكلام فى السنة وشرحها .

وقال ابن النجار : كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، حتى يقال : إنه كان فى درجة أبى على الفارسى .

قال : وكانت له معرفة بالحديث واللغة ، والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة .

وقال ياقوت الحموى : رأيت قوما من نحاة بغداد يفضلونه على أبى على الفارسى

قال : وسمع الحديث الكثير ، وتفقه فيه ، وعرف صحيحه من سقيمه ، وبحث عن أحكامه ، وتبحر فى علومه .

وذكره ابن السمعانى فى كتابه ، فقال : له معرفة تامة بالحديث ، ويقرأ الحديث قراءة سريعة ، حسنة صحيحة مفهومة ، ويديم القراءة من غير فتور سمع الكثير بنفسه وجمع الأصول الحسان من أى وجه اتفق له ، وكان يضنّ بها .

قال : وسمعت أبا شجاع البسطامى يقول : قرأ على ابن الخشاب غريب الحديث المقتفى قراءة ماسمعت قبلها بمثلها فى الصحة والسرعة ، وحضر جماعة من الفضلاء لسماعها . وكانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتة لسان ، فما قدروا على ذلك .

قال ابن السمعانى : وكتبت عنه جزءا من حديث أبى الحسن بن مخلد كان يرويه عن الربعى حدثنا بلفظه . وهذا كله وابن السمعانى إنما رآه وله نحو الأربعين سنة .

قال ابن القطيعى فى تاريخه : سمعت ابن الأخضر الحافظ يقول : سمعت أبا محمد ابن الخشاب يقول : إنى متقن فى ثمانية علوم ، ما يسألنى أحد عن علم منها ، ولا أجد لها أهلا .

وذكر غيره وعن ابن الأخضر ، قال : دخلت عليه يوما وهو مريض وعلى صدره كتاب ينظر فيه ، قلت : ما هذا ؟ قال : ذكر ابن جنى مسألة فى النحو ، واجتهد أن يستشهد عليها ببيت من الشعر فلم يحضره ، وإنى لأعرف على هذه المسألة سبعين بيتا من الشعر ، كل بيت من قصيدة تصلح أن يستشهد به عليها .

ووصفه جماعة : بأنه كان عالما بالتفسير والحديث ، والفرائض والحساب والقراءات .

قال ابن القطيعى : كان الغالب على علومه علم النحو وضروبه وأنواعه ، وما يتعلق به . وانتهى إليه معرفة علوم جمة ، أنهاها وشرح الكثير من علومه . وكان ضنينا بها مع لطف مخالطة ، وعدم تكبر ، وإطراح تكلف ، مع تشدد فى السنة ، وتظاهر بها فى محافل علومه ، ومجالس تلاميذه وأصحابه ، ينتحل مذهب الإمام أحمد ، وينتصر له على غيره من المذاهب ، ويصرح ببراهينه وحججه على ذلك .

وذكر ياقوت الحموى قال : كان الحافظ بن ناصر ابن عمه أمّ ابن الخشاب قال ابن الخشاب : قالت لى أمى : يابنى ، ما أراك تصلى صلاة الرغائب على عادة الناس ، فقلت : يا أمى ، أنا أوثر من الصلوات ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذه الصلاة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، فقالت : لا أسمع ذلك منك ، فاسأل لى ابن عمتى : فاتفق أنى لقيته ، فقلت : الوالدة تسلم عليك ، وتسألك عن صلاة الرغائب : هل وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه ؟ فقال لى: فهل لا أخبرتها بحقيقة ذلك؟ فقلت: قد أبت إلا أن أخبرها عنك ، فقال: سلم عليها ، وقل لها : أنا أسنّ منها ، فإنها أحدثت فى زمنى وعصرى . وقد مضت برهة ولا أرى أحدا يصليها . وإنما وردت من الشام ، وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ماورد من الصلوات المأثورة .

ولابن الخشاب تصانيف ، منها كتاب « المرتجل فى شرح الجمل » للزجاجى وقد ترك فيه أبوابا من وسط الكتاب لم يشرحها ، وكتاب « الرد على ابن نادستاد[1] فى شرح الجمل » ، وكتاب « الرد على أبى زكريا التبريزى فى تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت » ، وكتاب « أغلاط الحريرى فى مقاماته » ،

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « ابن شاد »

وشرح اللمع لابن جنى إلى باب النداء فى ثلاث مجلدات ، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة فى النحو فى أربع مجلدات . ويقال : إنه وصله عليها بألف دينار . وله جواب المسائل الاسكندرانية فى الاشتقاق .

ويقال : إنه كان ضيق العطن فى تصانيفه لايتمها ، وأن كلامه كان أجود من قلمه .

وكان ابن الخشاب يكتب خطا حسنا ، ويضبط ضبطا متقنا . فكتب كذلك كثيرا من الأدب والحديث وسائر الفنون ، وحصل من الكتب والأصول وغيرها مالا يدخل تحت الحصر ، ومن خطوط الفضلاء وأجزاء الحديث شيئا كثيرا .

وذكر ابن النجار : أنه لم يمت أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث إلا وكان يشترى كتبه كلها ، فحصلت أصول المشايخ عنده .

وذكر عنه : أنه اشترى يوما كتبا بخمسمائة دينار ولم يكن عنده شىء ، فاستمهلهم ثلاثة أيام ، ثم مضى ونادى على داره ، فبلغت خمسمائة دينار ، فنقد صاحبها وباعه بخمسمائة دينار ، ووفى ثمن الكتب ، وبقيت له الدار . ولما مرض أشهد عليه بوقف كتبه فتفرقت وبيع أكثرها ولم يبق إلا عشرها ، فتركت فى رباط المأمونية وقفا.

وقرأ عليه الخلق الكثير الحديث والأدب ، وانتفعوا به وتخرج به جماعة .

وسمع منه كبار الأئمة . وروى عنه خلق من الحفاظ وغيرهم .

وكان الحافظ أبو محمد بن الأخضر يقول فى روايته عنه: حدثنا حجة الإسلام أبو محمد بن الخشاب . وكذلك يقول الشيخ موفق الدين المقدسى فى تصانيفه حين يروى عن ابن الخشاب . وكان ثقة فى الحديث والنقل ، صدوقا حجة نبيلا .

وذكر ابن الجوزى : أنه كان يذكر عنه نوع تفريط فى الدين ، وأنه كان قليل الفقه ، بحيث إنه سئل عن رفع اليدين فى الصلاة ماهو ؟ فقال : هو ركن ، فضحك منه . وكان ـ سامحه الله ـ قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة بحيث إنه كان يلعب بالشطرنج على قارعة الطريق مع العوام ، ويمازح السفهاء ، ويقف

فى الشوارع على حلق المشعبذين وأصحاب اللهو ، واللعابين بالقرود والدِّباب من غير مبالاة . و إذا عوتب على ذلك يقول : إنه يندر منهم نوادر لا يكون أحسن ولا ألطف منها ، ومع ذلك فـكان لايخلو كمه من كتب العلم .

وكان رؤساء زمانه ووزراء وقته يودون مجالسته ، و يتمنون محاضرته فلايفعل .

قال مسعود بن البادر : كنت يوما بين يدى المستضىء ، فقال لى : كل من نعرفه قد ذكرنا بنفسه ، ووصل إليه برنا ، إلا ابن الخشاب ، فأخبره فاعتذرت عنه بعذر اقتضاه الحال ، ثم خرجت فعرفت ابن الخشاب ذلك ، فـكتب إليه هذين البيتين :

ورد الورى سلسال جودك فارتووا ... فوقفت دون الورد وقفـة حائم

ظمآن أطلب خفة من زحمة ... والورد لايزداد غـير تزاحم

قال ابن البادر : فأخذتها منه فعرضتها على المستضىء ، فأرسل إليه بمائتى دينار وقال : لو زادنا زدناه . وكان متبذلاً فى لبـاسه ومطعمه ومشربه ، ولم يكن له زوجة ولا جارية .

و يقال : إنه كان بخيلاً مقتراً على نفسه . وكان يعتم العمة ، فتبقى معتمة أشهراً حتى تتسخ أطرافها من عرقه ، فتسود وتتقطع من الوسخ ، وترمى عليها العصافير ذرقها . وكان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتجىء عذبتها تارة من تلقاء وجهه ، وتارة عن يمينه ، وتارة عن شماله ، فلا يغيرها . فإذا قيل له فى ذلك يقول : ما استوت العمة على رأس عاقل قط .

وكان رحمه الله ظريفاً مزاحا ، ذا نوادر .

فمن نوادره : أن بعض أصحابه سأله يوماً ، فقال : القفا يمد أو يقصر؟ فقال: يمد ثم يقصر .

ومنها : أنه لما صنف الـكمال الأنبارى كتاب « الميزان » فى النحو عرض عليه ، فقال : احملوا هذا الميزان إلى المحتسب ففيه عين .

ومنها : أنه كان يوماً فى داره فى وقت القيلولة والحر الشديد وقد نام ، إذ طرق عليه الباب طرقا مزعجاً ، فانتبه فخرج مبادراً ، وإذا رجلان من العامة ، قال: ماخطبكما ؟ فقالا : نحن شاعران ، وقد قال كل واحد منا قصيدة وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه . وقد رضينا بحكمك ، فقال : ليبدأ أحدكما .

قال : فأنشد أحدهما قصيدته وهو مصغ إليه ، حتى فرغ منها ، وهم الآخر بالإنشاد ، فقال له ابن الخشاب : على رسلك ، فشعرك أجود . فقال : كيف خبرت شعرى ولم تسمعه ؟ فقال : لأنه لا يكون شىء أبخس من شعر هذا .

ومنها : أن بعض المعلمين كان يقرأ عليه شيئاً من الأدب ، فجاء فيه قول العجاج :

أطربا وأنت قنَّسرى وإنما يأتى الصبىُ الصبىُ

فقرأ المعلم : وإنما يأتى الصبىَّ الصبىُ ، فقال ابن الخشاب : هذا عندك فى الكتاب وفقك الله . فأما عندنا فلا ، فاستحى المعلم .

ومنها : ماحكاه ابن الأخضر قال : كنت يوماً عنده — وعنده جماعة من الحنابلة — فسأله مكى القراد : عندك كتاب الخيال؟ فقال: يا أبله ، ما تراهم حولى؟

ومنها : أنه كان ببغداد رجل يقال له : العتابى نحوى ، وكان يدعى من علم النحو فوق ما عنده ، فاجتمع ابن الخشاب مرة بابن القصار اللغوى عند قدومه من مصر ، فقال ابن الخشاب : ما رأيت من عجائب مصر ؟ قال : رأيت أشياء ذكرها . ثم قال: ورأيت فيها حماراً عتابياً ، فقال ابن الخشاب : ماذا عجب ؛ فإن عندنا ببغداد عتابى حمار .

ولابن الخشاب شعر كثير حسن ، فمنه ما ألغزه فى الكتاب :

وذى أوجه لكنه غير بائح بسر ، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتسمعها ، مادمت بالعين تنظر

وله لغز فى الشمعة :

صفراء لامن سقم مسها كيف وكانت أمها الشافية ؟

عارية . باطنها مكتس فاعجب لها عارية كاسية

ومنه ـ وأنشده ابن القطيعي ـ في المديح :

تلقاه إما عالما أو متعلما يومى حجاج أو عجاج الهبا
فمجادل يهدى غويا مشغبا ومجدل يردى كميا محربا

وينسب إليه قصيدة طويلة في الألغاز والعويص في جميع أنواع العلوم قيل : إنه كتبها إلى بعض فضلاء عصره ممتحنا له ومعجزًا ، وأظنه ابن الدهان

ومما ينسب إليه قصيدة نونية ، منها :

واذكر إذا قمت يوم العرض منتفضاً من التراب بلا قطن ولا كفن
وجيء بالنار قد مد الصراط على حافاتها تتلظى فعل مغتبن
وتنشر الصحف فيها كل محتقب من المخازى وما قدمت من حسن
قد كنت تنسى وتلك الصحف محصية ما كنت تأتى ، ولم تظلم ولم تخن
هناك إن كنت قدمت مدخرا تُسقى من الحوض ماء غير ذى أسن
عند الجزاء تعض الكف من ندم على تخطيك في سر وفى علن
لا تركنن إلى الدنيا ؛ فني جدث يكون دفنك بين الطين واللبن
واستن بالسلف الماضى وكن رجلا مبرأ من دواعى الغى والفتن
ودع مذاهب قوم أحدثت إثما فيها خلاف على الآثار والسنن

قال ابن الجوزى : مرض ابن الخشاب نحوا من عشرين يوماً ، فدخلت عليه قبل موته بيومين ، وقد يئس من نفسه ، فقال لى : عند الله أحتسب نفسى .

وتوفى يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة . وصلي عليه على باب جامع السلطان يوم السبت . ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريباً من بشر الحافى رضى الله عنهما .

وحدثنى عبد الله الجبائى العبد الصالح قال : رأيته في النوم بعد موته بأيام ، ووجهه يضيء ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى قلت : وأدخلك الجنة ؟

قال : وأدخلني الجنة ، إلا أنه أعرض عني ، فقلت له أعرض عنك ؟ فقال : نعم وعن جماعة من العلماء تركوا العمل . سامحه الله وغفر له .

١٤٦ ـ مكى بن محمد بن هبيرة البغدادى ، الأديب أبو جعفر .

كان فاضلا عارفاً بالأدب . نظم « مختصر الخرق » وقرئ عليه مرات .

توفى بنواحى الموصل سنة سبع وستين وخمسمائة . ذكره الحافظ الذهبى .

قلت : وأظنه أخا الوزير أبى المظفر . وكان يلقب فخر الدولة . وكان خرج من بغداد بعد موت الوزير وكان للوزير ولدان .

أحدهما : عز الدين محمد . وكان فاضلا كبير الشأن ، ناب عن والده فى الوزارة . قبض عليه ، وقتل بعد موت والده سنة إحدى وستين .

والآخر : شرف الدين ظفر ، ناب عن والده فى الوزارة أيضاً . وكان أديباً بارعاً له نظم حسن جداً . قبض عليه ، وقتل فى صفر سنة اثنتين وستين .

ومن نظمه :

أخلف الغيث مواعيد الحزامى   فقف الأنضاء تستقى الغماما
وأبحنى ساعة من عمرى   نملأ الدار شكاة وسلاما
وخذ اليمنة من أعلا الحمى   تلق بالفور حميا وحماما
أصف الأشواق فى تلك الربى   وأعاطى الترب سقيا والتثاما

١٤٧ ـ أحمد بن محمد بن شنيف بن محمد البغدادى الدارقزى ، المقرئ أبو الفضل .

قرأ القرآن بالروايات على أبى طاهر بن سوار ، وثابت بن بندار ، وأبى منصور الخياط ، وغيرهم .

وسمع الحديث منهم ، ومن أبى غالب القزاز ، وعلي بن نبهان ، ويحيى بن منده الحافظ . وتفقه فى المذهب وحصل منه طرفا صالحاً . وأقرأ بالروايات جماعة.

وحدث وطال عمره ، وأضر فى آخر وقته ، وتفرد بعلو الإسناد فى القراءات .

قال القطيعى : كان من أهل الدين والصلاح .

وقال ابن النجار : كان شيخاً فاضلاً متديناً ، صدوقاً أميناً .

توفى يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وله ست وتسعون سنة . ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله .

١٤٨ ـ الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة ابن عشكل بن حنبل بن إسحاق الهمدانى ، المقرىء المحدث ، الحافظ الأديب اللغوى الزاهد أبو العلاء ، المعروف بالعطار شيخ همدان .

ولد بكرة يوم السبت رابع عشر ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أبى علي الحداد وغيره بأصبهان ، وعلى أبى العز القلانسى بواسط ، و ببغداد على البارع الدباس ، وأبى بكر المزرفى وغيرهم .

وسمع الحديث من عبد الرحمن الدونى سنة خمس وتسعين ، وهو أول سماعه ثم سمع بأصبهان من أبى علىّ الحداد ، وأكثر عنه ولازمه مدة . وسمع بخراسان من أبى عبد الله الفراوى وغيره .

وارتحل إلى بغداد ، فسمع من أبى القاسم بن بيان ، وأبى علىّ بن نبهان ، وأبى علىّ بن المهدى ، وأبى طالب اليوسفى ، وابن الحصين ، وخلق كثير .

ودخل بغداد مرة أخرى فأسمع ابنه ، ثم مرة أخرى بعد الثلاثين وخمسمائة ، فأكثر بها ، ثم دخلها بعد الأربعين ، وحدث بها ، وأقرأ بها القرآن .

قرأ عليه ابن سكينة وغيره ، ثم عاد إلى همدان ، وعمل داراً للكتب وخزانة وقف جميع كتبه فيها . وكان قد حصّل الأصول الكثيرة ، والكتب الكبار الحسان بالخطوط المعتبرة ، وانقطع إلى إقراء القرآن، ورواية الحديث إلى آخر عمره وحدث بأكثر مسموعاته .

وسمع منه الكبار والأئمة الحفاظ ورووا عنه ، منهم : ابن عساكر ، ومحمد بن محمود الحامى الواعظ ، وأبو المواهب بن صصرى ، وعبد القادر الرهاوى ، ويوسف بن أحمد الشيرازى . وسمع منه خلق كثير .

وآخر من روى عنه ابن المقيرورى عنه إجازة .

قال ابن السمعانى فى حقه : حافظ متقن ، ومقرئ فاضل ، حسن السيرة ، مرضى الطريقة ، عزيز النفس، سخي بما يملك ، مكرم للغرباء ، يعرف القراءات والحديث والأدب معرفة حسنة ، سمعت منه .

وذكره ابن الجوزى فى طبقات الأصحاب التى فى آخر المناقب ، وفى التاريخ ، وقال فيه : كان حافظاً متقنا ، مرضى الطريقة سخياً . وانتهت إليه القراءات والتحديث .

وذكر فى آخر كتابه « التلقيح » : أن أبا العلاء كان هو محدث عصره ومقرئه .

وقال الحافظ عبد القادر الرهاوى : شيخنا الحافظ أبو العلاء أشهر من أن يعرف بل تعذر وجود مثله فى أعصار كثيرة ، على ما بلغنا من سيرة العلماء والمشايخ . أربى على أهل زمانه فى كثرة السماع ، مع تحصيل أصول ما سمع وجودة النسخ ، وإتقان ما كتب بخطه . فإنه ما كان يكتب شيئاً إلا متقناً معربا .

وبرع على حفاظ عصره فى حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى ، والقصص والسير ، ولقد كنا يوماً فى مجلسه ، وقد جاءته فتوى فى أمر من أمر عثمان رضى الله عنه ، فأخذ الفتوى وكتب فيها من حفظه - ونحن جلوس - درجا طويلا يذكر فيه عثمان رضى الله عنه ونسبه ومولده ووفاته وأولاده ، وما قيل فيه من شعر ، وغير ذلك مما يتعلق به .

وله التصانيف الكثيرة فى أنواع من علوم الحديث والزهديات والرقائق وغير ذلك .

ومن جملة ماصنف « زاد المسافر » نحو من خمسين مجلدة . وكان إماماً فى القرآن وعلومه ، وحصل من القراءات المسندة ما أنه صنف العشرة والمفردات . وصنف الوقف والابتداء والتجويد والمثات والعدد ، ومعرفة القراء . وهو نحو من عشرين مجلدا ، واستحسنت تصانيفه . وكتبت ونقلت إلى خوارزم وإلى الشام . وبرع عنده جماعة كثيرة فى القراءات . وكان إذا جرى ذكر القراء يقول : فلان مات عام كذا ، وفلان مات فى سنة كذا ، وفلان يعلو إسناده على فلان بكذا. وكان إماماً فى النحو واللغة . سمعت أن من جملة ما حفظ فى اللغة كتاب «الجمهرة» وخرج له تلامذة فى العربية أئمة يقرأون بهمدان. وبعض أصحابه رأيته . وكان من محفوظاته كتاب « الغريبين للهروى » إلى أن قال : وكان عفيفاً من حب المال ، مهيناً له ، باع جميع ما ورثه . وكان من أبناء التجار فأنفقه فى طلب العلم حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشيا يحمل كتبه على ظهره .

سمعته يقول : كنت أبيت ببغداد فى المساجد ، وآكل خبز الدخن .

وسمعت أبا الفضل بن نبهان الأديب يقول : رأيت الحافظ أبا العلاء فى مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه ؛ لأن السراج كانت عالية ، ثم نشر الله تعالى ذكره فى الآفاق ، وعظم شأنه فى قلوب الملوك وأرباب المناصب الدنيوية والعلمية والعوام ، حتى إنه كان يمر بهمدان ، فلا يبقى أحد رآه إلا قام ، ودعا له حتى الصبيان واليهود . وربما كان يمضى إلى بلده مشكان فيصلى بها الجمعة ، فيتلقاه أهلها خارج البلد : المسلمون على حدة ، واليهود على حدة ويدعون له إلى أن يدخل البلد .

وكان يفتح عليه من الدنيا جمل فلم يدخرها ، بل ينفقها على تلامذته . وكان عليه رسوم لأقوام. وما كان يبرح عليه ألف دينار همدانية أو أكثر من الدين مع كثرة ما كان يفتح عليه . وكان يطلب لأصحابه من الناس، ويعز أصحابه ومن يلوذ به ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه ، وكان لا يأكل من أموال الظلمة ،

ولا قبل منهم مدرسة قط ولا رباطا ، وإنما كان يقرئ فى داره ونحن فى مسجده سكان ، وكان يقرىء نصف نهاره الحديث ، ونصفه القرآن والعلم .

وكان لا يخشى السلاطين ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يمكن أحد أن يعمل فى مجلسه منكراً ولا سماعاً .

وكان ينزل كل إنسان منزلته ، حتى تآلفت القلوب على محبته ، وحسن الذكر له فى الآفاق البعيدة ، حتى أهل خوارزم ، الذين هم معتزلة مع شدته فى الحنبلة .

وكان حسن الصلاة ، لم أر أحداً من مشايخنا أحسن صلاة منه . وكان مشدداً فى أمر الطهارة ، لا يدع أحداً يمس مداسه .

قلت : هذه زلة من عالم .

قال : وكانت ثيابه قصاراً ، وأكمامه قصاراً ، وعمامته نحو من سبعة أذرع ، وكانت السنة شعاره ودثاره ، اعتقاداً وفعلا ، بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه رجل ، فقدم رجله اليسرى ، كلفه أن يرجع فيقدم اليمنى ، ولا يمس الأجزاء إلا على وضوء ، ولا يدع شيئاً قط إلا مستقبل القبلة تعظيما لها ، إلى أن قال : سمعت من أثق به يحكى . قال : رأى السلفى طبقة بخط الحافظ ، فقال : هذا خط أهل الإتقان ، وسمعته يحكى عنه أنه ذكر له ، فقال : قدمه دينه . قال : وسمعت من أثق به يحكى عن أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى ، أنه قال للحافظ أبى العلاء ، لما دخل نيسابور : ما دخل نيسابور مثلك .

وسمعت الحافظ أبا القاسم على بن الحسن بن هبة الله يقول — وذكر رجلا من أصحابه سافر فى طلب الحديث — : إن رجع ولم يلق الحافظ أبا العلاء ضاعت سَفْرَته .

وقد روى عنه الحافظ أبو القاسم . وقال القاسم بن عساكر الحافظ : سمعت التاج المسعودى يقول : سمعت أبا العلاء الهمدانى يقول لرجل استأذنه فى الرحلة :

إن عرفت أحدا أعرف منى ، فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه ، إلا أن تسافر إلى ابن عساكر ، فإنه حافظ كما يجب .

وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلى : أما حرمة الحافظ أبى العلاء ، ومكانته فى العامة والخاصة فمشهورة ، وكراماته كذلك .

ومن نوادر الحافظ رحمه الله : أنه كان يمشى فى اليوم الواحد ثلاثين فرسخا.

حدثنى الإمام طلحة بن مظفر العلثى قال : بيعت كتب ابن الجواليقى فى بغداد ، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمدانى ، فنادوا على قطعة منها : ستين دينارا ، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين ديناراً ، والإنظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس. فخرج الحافظ ، واستقبل طريق همدان ، فوصل فنادى على دار له ، فبلغت ستين ديناراً . فقال : بيعوا . قالوا : تبلغ أكثر من ذلك . قال : بيعوا . فباعوا الدار بستين ديناراً فقبضها ، ثم رجع إلى بغداد . فدخلها يوم الخميس ، فوفى ثمن الكتب . ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة .

توفى رحمه الله ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة .

ذكره الحافظ بن النجار عن الحافظ أبى جعفر بن الحامى الواعظ .

وذكر مكى وابن الجوزى : أنه توفى ليلة الخميس لتسع عشرة بقيت من جمادى الأولى .

قال ابن الجوزى : وبلغنى : أنه رئى فى المنام فى مدينة جميع جدرانها من الكتب ، وحوله كتب لا تحد ، وهو مشتغل بمطالعتها . فقيل له : ما هذه الكتب ؟ قال : سألت الله تعالى أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا ، فأعطانى .

ورأى له شخص آخر : أن يدين خرجا من محراب مسجده ، فقال : ماهذه اليدان ؟ فقال : هذه يدا آدم بسطهما ليعانق أبا العلاء الحافظ . قال : وإذا بأبى العلاء قد أقبل . قال : فسلمت عليه ، فردّ على السلام . وقال : يا فلان : أرأيت

ابنى أحمد حين قام على قبرى يلقننى . أما سمعتهم يقولون حتى صحت على الملكين فما قدرا أن يقولا لى شيئاً ، ورجعا رضى الله عنه .

١٤٩ – دهبل بن على بن منصور بن إبراهيم بن عبد الله ، المعروف بابن كاره البغدادى ، الحريمى ، الخباز أبو الحسن .

ولد سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

وسمع من الحسين بن على بن البُسرى ، وأبى غالب القزاز ، وأبى على ابن المهدى ، وابن بيان ، وابن نبهان وغيرهم .

وذكره ابن السمعانى فى كتابه .

وقال الشيخ موفق الدين المقدسى : كان فقيهاً من فقهاء أصحابنا ، وكان يحضر فى حلقة الفقهاء فى جامع المنصور يوم الجمعة . وكان شيخاً صالحاً ، أتى بكتاب « الجراح » ليحيى بن آدم .

وقال أبو المحاسن القرشى : كان فقيهاً حسناً ، فاضلا زاهداً ، صادقاً ثقة ، وذكر غيره : أنه أضر بآخره .

وقال ابن نقطة : هو ثقة صالح .

قال ابن القطيعى : كان فقيهاً حنبلياً ثقة . حدث ، وسمع منه جماعة .

وقال المنذرى: تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من غير واحد ، وحدث . قلت : روى عنه ابن الأخضر ، وجماعة .

توفى فى يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من محرم سنة تسع وستين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

و « دهبل » بفتح الدال المهملة والباء الموحدة بينهما هاء ساكنة .

١٥٠ – عبد الصمد بن بديل بن الخليل الجيلى المقرىء ، أبو محمد .

ذكره ابن القطيعى ، فقال : قدم بغداد ، ونزل باب الأزج ، وقرىء عليه القرآن بالروايات الكثيرة ، ورواها عن أبى العلاء الحسن بن أحمد الهمدانى .

قلت : وقد سمع من أبي العلاء الحديث .

قال : وكان عالما ثقة ثبتا ، فقيها مفتيا . وكان اشتغاله بالفقه على والدى رحمه الله . وناظر ودرس وأفتى ، وكتب إلى — وأنا مسافر — كتابا ذكر فيه ماأحببت ذكره لبركته : الله الله ، كن مقبلا ، مديما على شئونك ، مشتغلا بما أنت بصدده ، ولا تكن مضيعاً ، أنفاساً معدودة ، وأعماراً محسوبة ، واجعل مالايعنيك دبر أذنك ، واغمض عينيك عما ليس من حظها ، واطلب من ريحانة ماحل لك، ودع ماحرم عليك . وبذلك تغلب شيطانك . وتحوز مطالبك والسلام.

توفى رحمه الله سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بمقبرة الإمام أحمد بالقرب من قبر بشر الحافى .

قال « وبديل » بفتح الباء .

وذكره ابن النجار ، فقال : صحب القاضى أبا يعلى بن أبى خازم ، وتفقه عليه . وكان خصيصاً به قرأ عليه جماعة القرآن . وكان مقرئا مجوداً ، وفقيهاً فاضلا ، صالحا متدينا. وأنه توفى يوم السبت سلخ ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . كذا نقله عن تميم بن البندنيجى .

١٥١ — عبد الرحمن بن النفيس بن الأسعد الغيانى ، الفقيه المقرئ أبو بكر ، ويعرف بالأعز البغدادى .

كان فى ابتداء أمره يغنى ، وله صوت حسن ، ثم تاب وحسنت توبته .

وقرأ القرآن فى زمن يسير ، وتعلم الخط فى أيام قلائل ، وحفظ كتاب الخرقى وأتقنه . وقرأ مسائل الخلاف على جماعة من الفقهاء . وكان ذكياً جداً ، يحفظ فى يوم واحد مالا يحفظه غيره فى شهر .

وسمع من عبد الوهاب الأنماطى ، وسعد الخير الأنصارى ، وعسكر بن أسامة النصيبى . وتكلم فى مسائل الخلاف ، وسافر إلى الشام ، وسكن دمشق مدة ،

وَأَمَّ بالحنابلة فى جامعها ، ثم توجه إلى ديار مصر ، فاستوطنها إلى حين وفاته ، وحدث . وكان فقيهاً فاضلاً ، قارئاً مجوداً ، مليح التلاوة ، طيب النغمة .

قال أبو بكر محمد بن على بن زيد بن اللتى عنه : كان قويا فى دين الله متمسكا بالآثار ، لا يرى منكراً ، ولا يسمع به إلا غيّره ، لا يحابى فى قول الحق أحداً .

قال : وصحبته وسمعت عليه ، معتقداً فى السنة ، وقرأت عليه أبواباً من الخرقى .

قال : وخرج من بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

وقيل : إنه توفى بمصر بعد سنة ستين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

روى عنه أبو الجود حاتم بن سنان بن إبراهيم الحبلى أناشيد .

١٥٢ - يحيى بن نجاح بن مسعود بن عبد الله اليوسفى ، المؤدب الأديب الشاعر أبو البركات .

سمع من أبى العز بن كادش وغيره .

قال ابن الجوزى : سمع الحديث الكثير ، ثم قرأ النحو واللغة . وكان غزير الفضل ، يقول الشعر الحسن .

وقال ابن القطيعى : كان من أهل الأدب والعلم ، وفيه فضل ، وله خط حسن ، وشعر رقيق .

سمع منه جماعة من الطلبة . وكان حنبلى المذهب ، حسن الاعتقاد .

قال : وأنشدنا أبو البقاء الفقيه قال : أنشدنا أبو البركات يحيى بن نجاح اليوسفى لنفسه :

أقلا منك ذا الجفا أم دلال ... كل يوم يروعنى منك حال
أعذول يغريك أم غره المعشوق ... أم هكذا يتيه الجمال؟
نظرة كنت يوم ذاك ، فإنى ... صرت فى القلب عثرة لا تقال
أنا عرضت مهجتى يوم سلع ... للهوى ، فالغرام داء عضال

عبثاً تقتــل النفوس ولا تحسب ، إلا أن الدماء حلال
من عجيب أن لا يطيش لها سهم ولم تدر قط كيف النضـال ؟
لى قلب قد استراح من العذل وسمع تكده العــذال

وهى قصيدة طويلة .

توفى رحمه الله يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شوال ، سنة تسع وستين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد . كذا ذكره القطيعى .

وقال ابن الجوزى : توفى فى أواخر شوال .

و « اليوسفى » نسبة إلى ولاء بيت ابن يوسف . وكان جده مسعود مولى الشيخ الأجل ، أبى منصور محمد بن عبد الملك بن يوسف ، رحمه الله تعالى .

١٥٣ ـ حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبى عمرو الحرانى ، الخطيب الفقيه الزاهد ، أبو الفضل ، المعروف بابن أبى الحجر ، ويلقب تقى الدين ، شيخ حران وخطيبها ، ومفتيها ومدرسها .

ولد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بحران ، فيما قرأته بخط الإمام أبى العباس ابن تيمية ، وذكر أنه نقله من خط أحمد بن سلامة بن النجار الحرانى الزاهد .

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من عبد الوهاب الأنماطى الحافظ ، ويحيى ابن حبيش الفارقى ، وعمر بن عبد الله بن على الحربى وغيرهم ، وتفقه بها ، وبرع وناظر ، ولقى بها الشيخ عبد القادر ، ولازمه ، فرآه الشيخ يوماً يمشى على سجادته ، على بساط للشيخ ، فقال له الشيخ عبد القادر : كأنى بك ، وقد دست على بساط السلطان . كذا ذكره أبو عبد الله بن حمدان الفقيه .

وقال ناصح الدين بن الحنبلى رضى الله عنه : حدثنى ولده إلياس ـ يعنى : ولد أبى الفضل حامد ـ قال : خرج والدى مع الشيخ عبد القادر فى زيارة ، وكان معه جماعة ، وانفرد والدى عنه ، ورفع ثوبه على قصبة ، فقال الشيخ عبد القادر :

من هذا ؟ فقالوا : الفقيه حامد الحرانى ، فقال : هذا يكون له تعلق بالملوك ، وكان كما قال .

وذكره ابن الجوزى فى تاريخه ، فقال : صديقنا . قدم بغداد . وتفقه وناظر ، وعاد إلى حران ، وأفتى ، ودرس . وكان ورعاً ، به وسوسة فى الطهارة .

وذكر ابن القطيعى فى تاريخه نحواً من ذلك ، وقال : كان تالياً للقرآن ، كتبت عنه . وكان ثقة .

وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية فى أول تفسيره ، و بعد رجوعى إلى حران : كنت كثير المباحثة لشيخنا الإمام البارع أبى الفضل حامد بن محمود بن أبى الحجر رحمه الله فى مشكل الآيات ، وحل ما فيها من الإشكالات .

وكان رحمه الله إذا شرع فى التفسير والتذكير شبيهاً بالجواد المفرط ، والجواد القطقط ، يوسع المسامع هدير شقاشقه ، ويزعزع المسامع زجر رواشقه ، هذا مع ما كان قد منحه الله من الرشاقة ، وعسولة المنطق واللباقة .

وقال الشيخ ناصح الدين بن الحنبلى : كان شيخ حران فى وقته . بنى نور الدين محمود المدرسة فى حران لأجله ، ودفعها إليه ، ودرس بها ، وتولى عمارة جامع حران ، فما قصّر فيه ، قيل : إنه راح إلى الروم ، وتولى نشر الخشب بنفسه .

وكان نور الدين محمود ، يقبل عليه ، وله فيه حسن ظن . وكان عنده وسواس فى الطهارة .

ورحل إلى بغداد ، ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر ، وسمع درسه ، وكان من أصحابه . وجاء إلى دمشق فى حوائج إلى نور الدين ، ونزل عندنا فى المدرسة ، وأضافه والدى .

وقال ابن حمدان : كان شيخ حران ، وخطيبها ومدرسها ، ولأجله بنيت المدرسة النورية بحران . وله ديوان خطب . وقيل : إن أكثرها كان يرتجلها إذا صعد إلى المنبر ، فلما ولاه السلطان نور الدين الشهيد ، قال : بشرط أن تترك المظالم والضمانات ، وتورث ذوى الأرحام ، فأجابه إلى ذلك .

وكان والده الفقيه إلياس إذا غاب عن المدرسة يوماً ، لا يعطيه خبزه ، ويقول : هو كالمستأجر .

قال : ولم يأخذ على نظره فى الجامع ، وأوقافه شيئاً ، حتى إن غلامه اشترى تجارة كما اشتراه العوام من تجارة خشب الجامع ، فلم يأكل ماخبز فى بيته . وسيرته فى الورع والزهد مشهورة بحران بين أهلها .

قلت : أخذ عنه العلم جماعة من أهل حران ، منهم : الخطيب فخر الدين ابن تيمية ، وأبو الفتح نصر الله بن عبدوس ، وغيرهما .

وسمع منه الحديث بحران جماعة من الطلبة والرحالين ، منهم : أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي ، سنة ثلاث وخمسين ، وأبو الحسن بن القطيعي ، سنة ست وستين .

وروى عنه فى تاريخه ، وقال : توفى لسبع خلون من شوال سنة سبعين وخمسمائة بحران . وكذا ذكر ابن الجوزى : أنه توفى بحران سنة سبعين .

وقرأت بخط الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى ، قال : نقلت من خط الزاهد أحمد بن سلامة بن النجار : توفى الفقيه حامد بن محمود بن أبى الحجر ـ وكان من أهل العلم والبراعة والفصاحة ـ سنة تسع وستين وخمسمائة ، ثم قال الشيخ تقى الدين : عندى فى هذا نظر ؛ لأن الشيخ الفخر ذكر أنه كان يذاكره بعد رجوعه إلى حران ، وذكر الشيخ فخر الدين ابن تيمية فى كتابه «ترغيب المقاصد» أن شيخه حامد بن أبى الحجر اختار : أن الفاسق تثبت له ولاية النكاح .

١٥٤ ـ المبارك بن الحسن بن طراد الباماوردى الفرضى ، أبو النجم بن أبى السعادات ، المعروف بابن المقابلة .

ولد سنة خمس وخمسمائة تقريباً .

وسمع من طلحة العاقولى سنة عشر ، وهو أقدم سماع وجد له ، ومن القاضى أبى الحسين بن الفراء ، وأبى منصور القزاز ، والقاضى أبى بكر ، وابن الحصين ،

وأبي الفضل عبد الملك بن يوسف ، وأبي غالب الماوردى وغيرهم .

قال ابن الجوزى : كان عارفاً بعلم الفرائض ، والمواقيت .

وذكره ابن القطيعي ، وقال : كتبت عنه . وكان ثقة .

قال : وكان أعلم أهل زمانه بالفرائض ، والحساب ، والدور ، حسن العلم بالجبر والمقابلة ، وغامض الوصايا والمناسخات ، حنبلي المذهب ، أمَّاراً بالمعروف ، شديداً على أهل البدع ، عارفاً بمواقيت الشمس والقمر .

وتوفى ليلة السبت لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة الطبرى ، بقرية الزاويان ، ظاهر بغداد . رحمه الله تعالى .

١٥٥ — محمد بن عبد الباقي بن هبة الله بن حسين بن شريف الجمعي ، الموصلي أبو المحاسن .

ذكره ابن القطيعي ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة المواصلة . ورد بغداد ، وتفقه على القاضي أبي يعلى محمد بن محمد بن محمد بن الفراء ، وسمع بها الحديث والأدب ، وكان تالياً لكتاب الله ، وجمع كتاباً اشتمل على طبقات الفقهاء من أصحاب أحمد

قلت : وله مصنف في شرح غريب ألفاظ الخرقي .

قال : وكان بالموصل عمر الملا ، مقدماً في بلده ، فاتهمه بشيء من ماله . وكان خصيصاً به ، وضربه إلى أن أشفى ، ثم أخرجه إلى بيته و بقي أياماً يسيرة .

وتوفى في رجب — أو شعبان — سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بالموصل رحمه الله .

وعمر هذا ، كان يظهر الزهد والديانة ، وأظنه كان يميل إلى المبتدعة . وقد تبين بهذه الحكاية أيضاً : ظلمه وتعديه .

١٥٦ — علي بن عساكر بن المرحب بن العوام ، البطائحي ، المقرئ النحوى أبو الحسن الضرير .

ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة ـ أو سنة تسعين ـ على الشك منه .

وقرأ بالروايات على أبو العز القلانسى ، وأبى عبدالله الدباس البارع ، وسبط الخيـاط ، وأبى بكر المزرفى ، وأبى سـعد الطيورى ، وأبى طالب بن يوسف ، وأبى الحسين بن الفراء .

وقرأ الأدب على أبى البركات عمر بن إبراهيم الزيدى بالكوفة .

وسمع الحديث من ابن الحصين ، وأبى الحسين بن الزاغوانى ، وأبى بكر بن عبد الباقى ، وأبى منصور القزاز ، والمزرفى ، وأبى القاسم السمرقندى ، وغيرهم .

وكان من أئمة القراء وصنف فى القراءات عدة مفردات ، وكان بارعاً فى العربية ، ثقة جليلا صالحا .

قال ابن النجار : كان إماماً كبـيراً فى معرفة القراءات ، ووجوهها وعللها وطرقها وضبطها وتجويدها ، وحسن الأداء والإتقان والصدق والثقة . وكانت له معرفة تامة بالنحو . وكان متديناً ، جميل السيرة ، مرضى الطريقة . انتهى

وقال الشيخ موفق الدين المقدسى عنه : كان مقرئ بغداد فى وقته ، وكان عالماً بالعربية ، إماماً فى السنة .

قرأ عليه القرآن جماعة من الـكبار ، منهم : عبد العزيز بن دلف ، وأبو الحسن ابن الجرى .

وحدث عنه جماعة ، منهم : الحـافظ ابن الأخضر ، وعبد الغنى المقدسى ، وعبد القادر الرهاوى ، وأحمد بن البندنيجى ، والشيخ موفق الدين ، والشهاب بن راجح ، وغيرهم .

وروى عنه بالإجازة : الخليفة الناصر العبـاسى ، وقرأ عليه القرآن أيضاً : الوزير ابن هبيرة ، وأكرمه ونوه باسمه . وكان الوزير قد قرأ بالروايات على رجل يقال له : مسعود بن الحسين الحنبلى ، وادعى أنه قرأ على ابن سوار ، وأسند الوزير القراءات عنه عن ابن سوار فى كتاب « الإفصاح » فحضر البطائحى دار الوزير

وابن شافع يقرأ عليه . فلما انتهى إلى قوله : وأما رواية عاصم فإنك قرأت بها على مسعود بن الحسين . قال : قرأت بها على ابن سوار . وكان البطائحى قاعداً فى غمار الناس ؛ لأنه لم يكن حينئذ معروفا ، ولا له مايتجمل به . فقام وقال: هذا كذب . ورفع صوته ، ثم خرج . و بلغ الوزير الخبر ، فطلبه وطلب مسعوداً وحاققوه . فتبين كذبه ، وأنه لم يدخل بغداد إلا بعد موت ابن سوار بكثير ، وأحضر البطائحى نسخة من المستنير بخط ابن سوار ، فقوبل بخطها الخط الذى مع مسعود ، و يدعى أنه خط ابن سوار ، فبان الفرق بينهما .

وقال البطائحى : هو خط مزور بخط أبى رويح الكاتب . وكان خطه شبيهاً بخط ابن سوار . فأهان الوزير مسعوداً ، ومنعه من الصلاة بالناس، وقال له : لولا أنك شيخ لنكلت بك . ثم قرأ الوزير على البطائحى، وأسند عنه القراءات ، وعلاّ قدره .

وذكر مضمون هذه الحكاية ابن النجار عن أحمد بن البندنيجى ، وكان شاهداً للقصة . وصار للبطائحى بعد ذلك اتصالا بالدولة ، و يدخل بواطن دار الخلافة . وكان ضريراً يحفى شار به . ووقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج .

وتوفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد إسماعيل بن الجواليقى بجامع القصر ، ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى

١٥٧ ـ مسلم بن ثابت بن القاسم ، بن أحمد بن النحاس البزاز ، البغدادى المأمونى ، الفقيه أبو عبد الله بن أبى البركات . و يعرف بابن جُوالق بضم الجيم

ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وسمع من أبى على بن نبهان ، وتفقه على أبى الخطاب الكلوذانى وناظر وتطلس

ذكره ابن القطيعى ، وقال : سمع منه جماعة من الطلبة ، وكتبت عنه . وكان صحيح السماع .

قلت : روى عنه ابن الأخضر .

توفى يوم الأحد عشرين ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

١٥٨ - **أحمد بن محمد** بن المبارك بن أحمد بن بكروس بن سيف الدينورى ثم البغدادى ، أبو العباس بن أبى بكر بن أبى العز . ويعرف أيضاً بابن الحمامى . الفقيه الزاهد العابد .

قرأ بالروايات على جماعة . سمع من ابن كادش وأبى بكر المزرفى . وتفقه على أبى بكر الدينورى . وكان رفيق ناصح الإسلام أبى الفتح بن المنّى فى سماع الدرس على الدينورى . وله مدرسة بدرب القيار ببغداد بناها . وكان يدرس بها .

تفقه عليه جماعة منهم : الشيخ فخر الدين ابن تيمية ، وحدث . روى عنه الشيخ موفق الدين .

وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلى : كان فقيهاً زاهداً ، عابداً مفتياً .

وسمعته يتكلم فى حلقة شيخنا ابن المنى، وعليه من نور العبادة وهدى الصالحين مايشهد له .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين ؟ فقال : كان فقيهاً ، صاحب مسجد ومدرسة يتكلم فيها فى مسائل الخلاف ويدرس . وكان يتزهد . وكان متزوجا بابنة ابن الجوزى ، وما علمنا منه إلا الخير .

توفى يوم الثلاثاء خامس صفر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وكان يومه مشهودا .

ورأى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام بعد موت أحمد بن بكروس وهو يقول : مات عابد الناس . وشاع هذا المنام فى الناس . قرأته بخط ابن الحنبلى وكان أبوه أبو بكر محمد رجلا صالحاً كثير الحج .

سمع الحديث فى كبره على جماعة .

ولأبى العباس ولد اسمه محمد ، يكنى أبا بكر . سمع من أبيه وعمه على زمن ابن البطى ، ويحيى بن بندار ، وطبقتهم . وكان فقيهاً صالحا .

وتوفى شاباً سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

١٥٩ - صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادى ، الفقيه الأديب ، الشاعر المتكلم ، الكاتب المؤرخ أبو الفرج .

ولد سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وقرأ بالروايات . وسمع الحديث من أبى السعادات المتوكلى ، وأبى الوفاء بن عقيل الإمام ، وأبى الحسن الزاغونى ، وأبى على المبارك ، وغيرهم . وتفقه على ابن عقيل ، ثم من بعده على ابن الزاغونى ، وبرع فى الفقه ، فروعه وأصوله .

وقرأ علم الجدل والكلام ، والمنطق والفلسفة ، والحساب ، ومتعلقاته من الفرائض وغيرها . وكتب خطاً حسنا صحيحا ، وقال الشعر المليح ، وأفتى وناظر، وانقطع بمسجده بالبدرية شرقى بغداد ؛ يؤم الناس فيه ، وينسخ ويفتى ، ويتردد إليه الطلبة يقرأون عليه فنون العلم ، وبقى على ذلك نحواً من سبعين سنة ، حتى توفى .

وممن قرأ عليه من أصحابنا : الوزير أبو المظفر بن يونس .

وحدث وسمع منه جماعة ، وروى عنه أبو المعالى بن شافع ، والفقيه يعيش ابن مالك بن ريحان . وله مسائل مفردة من أصول الدين ، وجزء سماه « ضوء السارى ، إلى معرفة البارى » .

قال ابن النجار : وله مصنفات حسنة فى أصول الدين . وقد جمع تاريخا على السنين ، بدأ فيه من وقت وفاة شيخه ابن الزاغونى ، سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، مذيلا به على تاريخ شيخه ، ولم يزل يكتب فيه إلى قريب من وقت وفاته ، يذكر فيه الحوادث ، والوفيات . وقد نسخ بخطه كثيراً للناس من سائر الفنون . وكان قوته من أجرة نسخه ، ولم يطلب من أحد شيئاً ، ولا سكن مدرسة ، ولم يزل قليل الحظ ، منكسر الأغراض ، متنغص العيش ، مقتراً عليه أكثر عمره .

وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء ، سأل عن مسألة فى الحكمة ؟ فقيل له : إن صدقة الناسخ ، له يد قوية فى ذلك ، فأنفذها إليه . فكتب فيها جواباً حسناً شافياً ، استحسنه الوزير ، وسأل عن حاله ؟ فأخبر بفقره ، فأجرى له مايقوته ، وعلمت الجهة «بنفشا» بحاله — يعنى جهة الخليفة — فصارت تفتقده فى بعض الأوقات ، بما يكون بين يديها من الأطعمة الفاخرة والحلوى ، فيعجز عن أكله ، فيعطيه لمن يبيعه له ، فكان ربما شكى حاله لمن يأنس به ، فيشنع عليه من له فيه غرض ، ويقول : هو يعترض على الأقدار ، وينسبه إلى أشياء ، الله أعلم بحقيقتها .

قال : وحكى لى بعض أصحابنا ، قال : دخل بعض الناس على صدقة ، وإلى جانبه مركن ، وعليه خرقة مبلولة ، قد اجتمع عليها الذباب ، فقال له : ماهذا المركن ؟ قال : فيه حلوى السكر يابسة ، قد نقعتها فى الماء لتلين ، وأقدر على أكلها لذهاب أسنانى ، وأعجبك أنه لما كانت لى أسنان صحاح قوية لم يقدرنى القدر على التمر ، فلما كبرت ، وذهبت أسنانى ، رزقت هذه الحلوى اليابسة ، لأزداد بنظرى إليها ، وعجزى عن أكلها حسرة ، فكان الناس ينسبونه بهذا الكلام ، وبما كان يعلم من العلوم القديمة إلى أشياء ، لعله برىء منها .

قلت : يشير بذلك ابن النجار إلى الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، فإنه حط عليه فى تاريخه حطاً بليغاً ، وذكر له أشعاراً رديئة ، تتضمن الحيرة والشك ، وكلمات تتضمن الاعتراض على الأقدار ، وقال : هذا من جنس اعتراضات ابن الراوندى ، ونسبه أيضاً إلى تعاطى فواحش ، وإلى المسألة من غير حاجة ، وأنه خلف ثلاثمائة دينار .

وقال : لما كثر عثورى على هذا منه ، وعجز تأويلى له ، هجرته سنين ، ولم أصل عليه حين مات ، والشيخ أبو الفرج رحمه الله ثقة فيما ينقل ، وإذا ثبت أو اشتهر عن أحد مثل هذه الأمور ، فهاجره وذامه معيب فيما يفعل .

وقال ابن القطيعى : كان بينه وبين ابن الجوزى مباينة شديدة ، وكل واحد يقول فى صاحبه مقالة ، الله أعلم بها .

قال : وسمعت الوزير بن يونس — ومجلسه حفل بالعلماء — يثنى على صدقة ، وينكر على ابن الجوزى قدحه فيه ، بقوله : صليت إلى جانب صدقة ، فما سمعته يقرأ . وقال : الواجب أن يسمع نفسه ، لا مَن إلى جانبه ، وأين حضور قلب ابن الجوزى من سماع قراءة غيره ؟ ثم من جعل همته إلى تتبع شخص ، إلى هذا الحد فى الصلاة ، دل بفعله على عداوته ، والله يغفر لهما .

قلت : هذا من أسهل ما أنكره ابن الجوزى عليه ، ثم إنه قال : كنت أتأمله إذا قام إلى الصلاة ، فأكون فى أوقات إلى جانبه ، فلا أرى شفتيه تتحرك أصلاً ، لم يقل : لم أسمعه يقرأ .

وأما الفتيا التى عرفه الوزير بسببها ، فقد ذكرها ياقوت الحموى فى كتابه قال : جرى بين الوزير أبى الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضىء مسألة فى العلم : هل هو واحد ، أم أكثر . وكان عنده جماعة من أهل العلم ، كابن الجوزى وغيره ، فسألهم عن ذلك ؟ فكل كتب بخطه : إن العلم واحد ، فلما فرغوا ، قال : ترى ههنا من هو قيم بهذا العلم غير هؤلاء ؟ فقال له بعض الحاضرين : ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ ، يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها ، فنفذ بالفتوى ، وفيها خطوط الفقهاء ، وقال: انظر فى هذه ، وقل ماعندك ، فلما وقف عليها فكر طويلا ، متعجباً من اتفاقهم على مالا أصل له ، ثم أخذ القلم ، وكتب : العلم علمان : علم غريزى ، وعلم مكتسب .

فأما الغريزى : فهو الذى يدرك على الفور ، من غير فكرة ، كقولنا : واحد وواحد ، فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان .

وعلم مكتسب : وهو مايدرك بالطلب ، والفكرة والبحث ، أو كلاما هذا معناه ، وأنفذ الخط إلى الوزير . فلما وقف عليه ، أعجب به ، وقال : أين يكون هذا الرجل ؟ فعرف حاله وفقره ، فاستدعاه إليه ، وتلقاه بالبشر ، وخلع عليه خلعة حسنة ، وأعطاه أربعين ديناراً ، ففرح فرحاً عظيما ، وقال : يامولاى ، قد

حضر لى بيتان . قال : أنشدهما ، فقال :

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعى

فاستحسن ذلك ، وما زال يبره إلى أن مات ، سامحه الله .

توفى صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع ، ودفن بباب حرب .

وقيل: إنه توفى يوم الأحد ، رابع عشر .

وذكر ابن الجوزى عمن حدثه : أنه رئى له منامات غير صالحة ، وأنه عريان ، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه ، وأنه لم يغفر له ، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه .

وذكر ابن النجار عن على الفاخرانى الضرير ، قال : رأيت صدقة الناسخ فى المنام ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى بعد شدة ، فسألته عن علم الأصول ؟ فقال : لا تشتغل به ، فما كان شيء أضر عليّ منه ، وما نفعنى إلا خمس قصيبات ـ أو قال : تميرات ـ تصدقت بها على أرملة .

قلت : هذا المنام حق ، وما كانت مصيبته إلا من علم الكلام . ولقد صدق القائل : ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح . وبسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة ، كان يقع له أحياناً حيرة وشك ، يذكرها فى أشعاره ، ويقع له من الكلام والاعتراض مايقع .

وقد رأيت له مسألة فى القرآن ، قرر فيها : أن مافى المصحف ليس بكلام الله ، حقيقة ، وإنما هو عبارة عنه ، ودلالة عليه ، وإنما يسمى كلام الله مجازاً .

قال : ولا خلاف بيننا ، وبين المخالفين فى ذلك ، إلا أن عندنا : أن مدلوله هو كلام الله الذى هو الحروف والأصوات ، وعندهم مدلول الكلام ، الذى هو المعنى القديم بالذات .

١٦٠ ـ أحمد بن أبي غالب بن أبي عيسى بن شيخون الأبرودى الحبابينى

أبو العباس ، الفقيه الضرير ، كذا نسبه ابن النجار

وقال ابن الجوزى : أحمد بن عيسى بن أبي غالب ، من قرية بدجيل ، يقال لها : الحبابين .

دخل بغداد فى صباه ، وحفظ القرآن ، وقرأه بالروايات على أبى محمد سبط الخياط ، وسمع منه الحديث ، ومن سعد الخير الأنصارى ، ومن جماعة دونهما .

وقرأ الفقه على أبى العباس ، أحمد بن بكروس ، وحصل منه طرفاً صالحاً ، ولما مات ابن بكروس ، خلفه فى مسجده ومدرسته . وكان صالحاً . متديناً . ومات شاباً ، لم يرو شيئاً . ذكر ذلك ابن النجار .

وقال ابن الجوزى : قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وناظر ، وكان فيه دين .

قال ابن النجار : قرأت فى كتاب أبى بكر عبيد الله بن على المارستانى بخطه قال : دخلت على أحمد الحبابينى عائداً ، فأنشدنى متمثلا :

سيبكى علىّ باكىَ العين بعد موته ويبكى علىّ باكى البكاء إلى الحشر

فنفسى أعِدِّى فضل زاد من التقى فإنك فى الدنيا ورجلاك فى القبر

توفى يوم الجمعة عاشر رجب سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه يومئذ بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد عن نيف وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

١٦١ ـ المظفر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء

أبو منصور ابن القاضى أبى يعلى ابن القاضى أبى خازم ابن القاضى الكبير أبى يعلى .

ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وسمع الحديث ، واشتغل بالفقه أصولا وفروعا . وبرع وناظر وتأدب ، وقال الشعر الجيد .

ومن شعره :

لست أنسى من سليمى قولها يوم جد البين منى وبكت

قطع الله يد الدهر لقد قرطست إذ بالنوى شملى رمت
فجرى دمعى لما سمعت ووعت أذناى منها ماوعت
يالها من قولة عن ناظرى نومة طول حياتى قد نفت

ومن شعره أيضا :

يا ربة الطرف الكحيل الذى يرمى منى الأكباد بالنبل
وربة الخد الأسيل الذى يفعل فعل الصارم المجلى
هويتكم والقلب ذو صحة واليوم قد أصبح ذا خبل
كان خليا فارغا فانثنى بكم عن العالم فى شغل
عوفيتم من سقم حل بى ولا رأتكم مقلتى مثلى
لا تقتلوا عبداً أسيراً غدا وهو لكم أطوع من نعل
والله لو جئت ومن دونكم نار ثوت تعمل فى الجزل
وقلتم : طأها ، ووطئى لها يرضيكم أقحمتها رجلى

توفى رحمه الله فى عنفوان شبابه ، يوم الجمعة لخمس عشرة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب .

١٦٢ - محمد بن أبى غالب بن أحمد بن مرزوق بن أحمد الباقدارى ، البغدادى الضرير المحدث ، الحافظ أبو بكر .

ولد بباقدار ، قرية من قرى بغداد . وقدم بغداد فى صباه ، فتلا على جماعة . وسمع الحديث من أبى محمد سبط الخياط ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وابن الطلاية وأبى الوقت ، وابن ناصر الحافظ ، وطبقتهم . وأكثر السماع عليهم ، وعلى من بعدهم وحدث ، وسمع منه أبو الحسن على بن عمر الزيدى الحافظ ، وغيره .

وذكره ابن الدبيثى الحافظ ، فقال : انتهى إليه معرفة رجال الحديث وحفظه . وعليه كان المعتمد فيه .

وقال أبو الفتوح نصر بن الحصرى الحافظ : كان آخر من بقى من حفاظ الحديث الأئمة .

قال الدبيثى : سمعت غير واحد من شيوخنا يذكرون أبا بكر الباقدارى ، ويصفونه بالحفظ ومعرفة الرجال والمتون ، مع كونه ضريراً مقصورا ، إلا أنه كان حفظة ، حسن الفهم . بلغنى : أن ابن ناصر كان يراجعه فى أشياء ، ويصير إلى قوله

وقال الحافظ عبد العظيم المنذرى : كان أحد حفاظ بغداد ، المشهورين بمعرفة الرجال ، والتقدم مع ضرره ، حدث وخرج .

قال الحافظ أبو بكر الباقدارى : روى أبو بكر بن أبى داود عدة أحاديث ، يقول فيها : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا سعد حدثنا الأعمش ، بأسانيد متصلة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكنت لا أدرى من إسحاق بن إبراهيم ، ولا سعد ؟ فأمعنت النظر ، وأجدت التفتيش ، فلم أجده إلا فيما قرئ على المبارك ابن أبى نصر البزاز ـ وأنا أسمع ـ قيل له : حدثكم عبد الله بن أحمد حدثنا أحمد ابن على الحافظ ، قال: حدثنا ذكر إسحاق بن إبراهيم الشيرازى : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحسين المحاملى ـ إملاء ـ حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف . حدثنا أحمد بن إبراهيم البردعى، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الشيرازى ، حدثنا جدى سعد بن الصلت ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر من غير خوف ولا مطر . فقيل لابن عباس : لِمَ فعل ذلك ؟ قال : كى لا يحرج أمته » . وجمع أبو بكر فى هذا جزءا .

قلت : إسحاق هـذا يعرف بشاذان ، وهو إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله النهشلى الفارسى ، وهو ابن بنت سَعد بن الصلت قاضى فارس . روى عن جده أبى أمه سعد بن الصلت ، وأبى داود الطيالسى ، والأسود بن عامر .

قال ابن أبى حاتم : كتب إلى أبى ، وإلىَّ ، وهو صدوق .

توفى أبو بكر الباقدارى لخمس بقينَ من ذى الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وهو فى سن الكهولة . ودفن بالشونيزية ، بتربة مقبرة أبى القاسم الجنيد ، وهو والد عجيبة مسندة العراق .

١٦٣ - المبارك بن على بن الحسين بن عبد الله بن محمد الطباخ البغدادي ، نزيل مكة المكرمة ، و إمام الحنابلة بالحرم ، المحدث الحافظ أبو محمد .

سمع الكثير ببغداد من أبى سعد بن الطيورى ، وأبى العز بن كادش ، وابن الحصين، وأبى بكر المزرفى ، وابن غالب بن البنا ، والقاضى أبى الحسين بن الفراء ، وأبى منصور القزاز ، وأبى القاسم بن السمرقندى ، وأبى الحسين بن الزاغونى، و بهرام بن بهرام بن فارس البيّع ، وأبى بكر اللفتوانى الأصبهانى ، وغيرهم

وعنى بالطلب . وسمع الكثير . وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه . وكان صالحاً ديناً ثقة ، وهو كان حافظ الحديث بمكة فى زمانه ، والمشار إليه بالعلم بها .

وحدث ،وسمع منه خلق من القدماء ، منهم : ابن السمعانى، وسمع منه جماعة من أصحابنا ، منهم : أبو القاسم عبيد الله بن الفراء ، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن الفراء ، وأبو الفتح بن عبدوس الحرانى ، والوزير بن يونس ، وأبو عبد الله الأرتاحى ، وغيرهم .

وتوفى فى ثامن شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة بمكة . وكان يوم جنازته مشهوداً رحمه الله .

١٦٤ - إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد بن الجواليقى الأديب ابن الأديب ، أبو محمد بن أبى منصور .

ولد فى شعبان سنة اثنى عشرة وخمسمائة .

وسمع من أبى القاسم بن الحصين ، وأبى بكر الأنصارى ، وأبى الحسين بن الفراء ، وأبى العز بن كادش ، وأبى غالب بن البنا ، وأبى القاسم بن السمرقندى وغيرهم .

وقرأ القرآن والأدب على أبيه ، وكان عالماً باللغة والعربيـة والأدب . وله سمت حسن . وقام مقام أبيه فى دار الخلافة .

قال ابن القطيعى : سمعت ابن الجوزى يقول : ما رأينا ولداً أشبه أباه مثله حتى فى مشيه وأفعاله .

وتوفى يوم الجمعـة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

وقال المنذرى : هو أحد الفضلاء النساك ، سمع من غير واحد ، وحدث .

وقال الدبيثى : شيخ فاضل ، له معرفة بالأدب ، وقور ، حسن الطريقة واختص بخدمة الخلفاء فى أيام المستضىء .

سمع منه عمر القرشى ، والمبارك بن أبى شتكين ، وخلق كثير .

وقال ابن النجار : كان من أعيان العلمـاء بالأدب ، صحيح النقل ، كثير المحفوظ ، حجة ثقة نبيلا ، مليح الخط . قرأ الأدب على أبيه حتى برع فيه . وكانت له حلقة بجامع القصر الشريف ، يقرئ فيها الأدب كل جمعة . وكان يكتب أولاد الخلفاء ، ويقرئهم الأدب ، وكان على منهاج أبيه فى حسن السمت ، والديانة والنزاهة والعفة ، وقلة الـكلام ، والرواية .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وأثنى عليه ثناء كثيرا .

١٦٥ ـ أحمد بن أبي الوفاء ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الصمد ابن محمد بن الصائغ البغدادى ، الفقيه الإمام أبو الفتح ، نزيل حران .

ولد ببغداد سنة تسعين وأربعمائة . قاله ابن القطيعى عنه .

وقال أبو المحاسن القرشى عنه : سنة سبعين .

ولزم أبا الخطاب الكلوذانى ، وخدمه وتفقه عليه . وسمع منه ، ومن أبى القاسم ابن بيان ، وسافر إلى حلب وسكنها . ثم استوطن حران إلى حين وفاته . وكان هو المفتى والمدرس بها .

وقرأ عليه الفقه جماعة ، منهم : الشيخ فخر الدين ابن تيمية . وحدث بحلب وبحران .

سمع منه جماعة من أصحابنا ومن غيرهم ، منهم : أبو الفتح بن عبدوس ، والشيخ العماد المقدسي ، والبهاء عبد الرحمن المقدسي ، ومحمود بن الصقال ، وأبو الحسن بن الصقال ، وأبو الحسن بن القطيعي . وروى عنه فى تاريخه .

قال : وأنشدنى أبو الخطاب الكلوذانى لنفسه :

أنا شيخ وللمشايخ بالآداب علم يخفى على الشبان

فإذا ما ذكرتنى فتأدب فهو قرض يرد بالميزان

وروى عنه ابن صصرى فى معجمه ، وابن الأستاذ ، وغيرهما .

توفى رحمه الله بحران سنة ست وسبعين وخمسمائة ، فيما ذكره ابن القطيعي .

وذكر الذهبي فى تاريخه : أنه مات سنة خمس وسبعين .

١٦٦ ـ علي بن محمد بن المبارك بن أحمد بن بكروس ، البغدادى ، الفقيه ، أبو الحسن ، أخو أبى العباس أحمد السابق ذكره .

ولد يوم الإثنين ثالث رجب سنة أربع وخمسمائة .

وسمع الحديث من ابن الحصين ، والمزرفى ، وأبى القاسم بن السمرقندى ، وأبى غالب الماوردى ، وأبى الحسن علي بن محمد الهروى ، وزاهر بن طاهر الشحامى ، وغيرهم .

وتفقه فى المذهب ، وبرع ، وأفتى وناظر ، ودرس بمدرسة أخيه آخراً ، وصنف فى المذهب ، وله كتاب « رءوس المسائل » ، وكتاب « الأعلام » .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : أبو الحسن بن القطيعي . وروى عنه فى تاريخه .

ولزم بيته فى آخر عمره لمرض حصل له ، إلى أن توفى يوم الإثنين ثالث ذى الحجة ، سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، رضى الله عنه

١٦٧ - علي بن أبي المعالي المبارك - وقيل : أحمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم بن الأحدب الوراق الدارقزي ، ثم المحولي ، الفقيه أبو الحسن، المعروف بابن غريبة .

وقال ابن النجار : رأيت نسبه بخط ابن مشق علي بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم ، أبو الحسن بن أبي المعالي بن أبي الفضل .

ولد في منتصف رمضان سنة ست وخمسمائة .

وسمع الكثير من أبي القاسم بن الحصين ، سمع منه المسند بكماله ، ومن القاضي أبي بكر الأنصاري ، والقاضي أبي الحسين بن الفراء ، وأبي غالب بن الفراء ، وأبي القاسم بن السمرقندي .

وسمع بمرو من الخطيب أبي الفتح الكشميهني ، وغيرهم .

وتفقه في المذهب على أبي القاسم بن قثامى ، وأبي الفضل بن سيف ، وقرأ الفرائض على القاضي أبي بكر . وكان ثقة ، صحيح السماع ، ذا عقل وتجربة ، ولاه الوزير ابن هبيرة المظالم ، يرفعها إليه . وانقطع في آخر عمره بالمحوّل ، إلى أن مات ، وأفلج قبل موته بشهر ، وحدث ، وسمع منه جماعة .

قال ابن النجار : كان فقيها ، فاضلا ، حسن الكلام في مسائل الخلاف . وكان يكتب خطاً رديئاً .

وسمع منه من أصحابنا : أبو الفرج عبد الرحمن بن الحنبلي ، وابن القطيعي ، وابن الغزال ، وروى عنه ابن الجوزي حكايات عدة .

وتوفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالمحول ، وحمل على أعناق الرجال ، فدفن بمقبرة الإمام أحمد ، رضي الله عنه بباب حرب .

١٦٨ - دلف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن البتان الأزجى ، الفقيه أبو الخير .

سمع من ابن ناصر ، وسعد الخير الأنصارى ، وعبد الصبور الهروى ، وأبى حفص الحربى وغيرهم . وصحب الشيخ عبد القادر ، وتفقه عليه ، ثم خرج من بغداد ، ودخل خراسان ، وأقام بنيسابور ، فقرأ على محمد بن يحيى الفقيه ، وسمع بها من أبى البركات عبد الله بن محمد الفزارى .

ودخل خوارزم ، ومضى إلى سمرقند ، وسمع بها من أبى المعالى محمد بن نصر المدينى ، وأبى القاسم محمود بن على النسفى ، وحدث هناك .

وروى عنه أبو سعد بن السمعاني فى ذيله حكايات ، وروى عنه أبو المظفر ابن السمعانى فى مشيخته ، وأبو بكر الفرغانى خطيب سمرقند ، وذكر أنه سمع منا فى صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

١٦٩ - كرم بن بختيار بن على البغدادى ، الرصافى الزاهد أبو الخير . وقيل : أبو على .

ولد فى حدود سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وسمع من أبى القاسم بن الحصين . وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم ابن القطيعى .

وقال الناصح بن الحنبلى : سمعت منه جزءا بقراءة الشيخ طلحة العلثى : قال : وزرته يوماً ، وهو مضطجع على جنبه ، والفقيه ابن فضلان - يعنى : شيخ الشافعية - عنده يزوره ، فأخذ بيد الشيخ كرم يقبلها تبركا . وكان زاهداً منقطعاً بالرصافة .

وقال القطيعى : كان زاهداً ، ورعاً ، سريع الدمعة ، كثير العبادة . وفى بعض الأوقات تصدر منه كلمات على خاطر الحاضر عنده .

وقال الدبيثي : كان أحد الشيوخ الموصوفين بالصلاح .

وتوفي يوم الأربعاء سادس ذي الحجة سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، في دكة بشر الحافي . وكان حنبلياً .

١٧٠ - إسماعيل بن نباتة الفقيه ، الملقب وجيه الدين .

قال ناصح الدين بن الحنبلي : سمع درس عمي الإمام بهاء الدين عبد الملك ابن شرف الإسلام لما قدم من خراسان ، وعلق عنه من تعليق أبي الفضل الكرماني ، ثم سمع درس والدي ، وحفظ « الهداية » لأبي الخطاب ، حفظاً متقناً ، وحفظ أصول الفقه للبستي ، وحفظ كثيراً من مسائل التعليق . وكان يدرس القرآن كثيراً ، ويقوم به من نصف الليل . وكان يصلي الفجر على نهر بردى بحضرة القلعة ، ويصلي العصر على عين بعلبك ، وبالعكس ، وربما قرأ في طريقه القرآن ـ أو كتاب « الهداية » ـ الشك مني .

قال : ولما قدمت من بغداد سنة ست وسبعين ، وتكلمت في المسألة فرح بي. ومات قبل الثمانين وخمسمائة ، ودفن بالجبل ، جوار دير الحوراني . رحمه الله .

١٧١ - عبد الله بن علي بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ، القاضي أبو القاسم ابن القاضي أبي الفرج ابن القاضي أبي خازم ، ابن القاضي أبي يعلى .

ولد ليلة الإثنين رابع عشر ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وأسمعه أبوه الكثير في صباه من أبي منصور القزاز ، وأبي منصور بن خيرون ، وعبد الخالق بن البدن ، وأبي سعد الزوزني ، وأبي البدر الكرخي ، وأبي الحسن بن عبد السلام ، وأبي الفضل الأرموي ، وأبي محمد سبط الخياط .

وسمع هو بنفسه من ابن ناصر الحافظ ، وأبي بكر بن الزاغوني ، وسعيد ابن البناء ، وخلق من أصحاب القاضي ، وابن البطر ، وطراد ، وطبقتهم .

و بالغ فى السماع والإكثار ، حتى سمع من جماعة من المتأخرين .

وكتب بخطه ، وحصل الكتب ، والأصول الحسان الكبيرة ، وتفقه ، وكتب فى الفتاوى مع أئمة عصره ، وشهد عند أبى الحسن بن الدامغانى من سنة خمس وخمسين . وكانت داره مجمعاً لأهل العلم ، يحضرها المشايخ ، و يقرأ عليهم وتحضر الناس منزله للسماع ، و ينفق عليهم بسخاء نفس ، وسعة صدر . وحدث باليسير .

سمع منه ابن عمه أبو العباس أحمد ، وأبو الحسن الزيدى ، وابن الأخضر . وروى عنه . وكان يصفه كثيراً بالسخاء وسعة النفس ، والبذل والعطاء . وحسن الخلق ، ولطف المعاشرة .

وروى عنه ابن القطيعى فى تاريخه . وأجاز للخليفة الناصر ، وخرجوا له عنه فى كتاب « روح العارفين » .

وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلى ، قال : سمعت عليه كتاب « صحيح الترمذى » بسماعه من الكروخى ، بقراءة الشيخ طلحة العلثى ، وأجزاء أخر . وكان جميلا جليلا ، محترما وفاضلا ، ومن أعيان العدول ببغداد .

ومن تصانيفه « الروض النضر فى حياة أبى العباس الخضر » وكانت عنده كتب جليلة أصيلة على مذهب الإمام أحمد . وخط الإمام أحمد كان أيضاً عنده . حكاه الشيخ طلحة فى غالب ظنى . وكان فى سنة ثلاث وسبعين قد علاه الشيب الكثير . وكنت لا أشبع من النظر إلى جمال وجهه ، وحسن أطرافه ، وسكينة عليه . ولزمه دين كثير . وحمل منه الهم الغزير .

وقال ابن القطيعى : جمع بين حسن الرأى والسمت ، وعارف بأحكام الشريعة ، من الشهادة والقضاء ، مهيب المجلس ، لم يزل منزله محلا لقراءة الحديث وتدريس الفقه بحضرة الشيوخ ، وجماعة أصحاب الحديث ، معروف بالكرم والإفضال . وله الأصول الحسنة والفوائد الجمة .

وسمع الحديث عاليا ونازلا ، وجمع وصنف أنواعاً من العلوم.. وحمله بذل يده ، وكرم طبعه على أنه استدان مالا يمكنه الوفاء ، فغلبه الأمر حتى باع معظم كتبه ، وخرج عن يده أكثر أملاكه ، واختفى فى بيته لما فدعه من الديون . وبلغ به الحال إلى أن اغتيل فى شهادة على امرأة بتعريف بعض الحاضرين ، وأنكرت المرأة المشهود عليها ذلك الإشهاد . وكان ذلك سبباً لعزله عن الشهادة، فهو عدل فى روايته ، ضعيف فى شهادته .

وتوفى رحمه الله يوم الجمعة يوم عيد الأضحى سنة ثمانين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند آبائه . وأبوه القاضى أبو الفرج على ابن القاضى أبى خازم.

حدث بإجازته من العاصمى، وأبى الفضل بن خيرون ، وابن الطيورى، وغيرهم وسمع منه ابنه هذا ، وأبو العباس القطيعى الفقيه ، والحسين بن مهجل وغيرهم ، وتوفى فى ليلة الأحد ثانى عشر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة .

ووهم ابن السمعانى فى نسبته ، فقال : هو على بن عبيد الله بن محمد بن الحسين وذكره فى موضع آخر على الصواب ، وقال : سمع الحسين بن طلحة ، فمن دونه . كتبت عنه أحاديث . وعمه القاضى أبو محمد عبد الرحيم ابن القاضى أبى خازم . سمع من القاضى أبيه ، وعمه أبى الحسين ، وأبى الحصين ، وأبى العز بن كادش ، وأسعد بن صاعد النيسابورى ، وغيرهم ، وحدث .

كتب عنه ابن القطيعى ، وقال : سألته عن مولده ؟ فقال : سنة تسع وخمسمائة وتوفى ليلة الجمعة عشرين ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . ودفن عند آبائه ، وله عدة أولاد سمعوا الحديث أيضاً .

١٧٢ - عبد الرحمن بن جامع بن غنيمة بن البنا البغدادى ، الأزجى الميدانى ، الفقيه الزاهد أبو الغنائم . ويسمى أيضاً غنيمة .

ولد سنه خمسمائة تقريباً .

وسمع الحديث من ابن أبى طالب اليوسفى ، وابن الحصين ، سمع عليه المسند كله ، والقاضى أبى بكر بن عبد الباقى ، وأبى السعادات المتوكلى ، والحسين بن

عبد الملك الخلال وغيرهم . وتفقه على أبى بكر الدينورى. وقرأ الخلاف على أسعد المنهنى وغيره . و برع وأفتى وناظر ودرس بمسجده . وكان عارفا بالمذهب صالحاً تقياً

قال ابن الدبيثى : كان شيخاً صالحا ، فقيها مناظرا على مذهب الإمام أحمد

وقال ابن النجار : كان فقيهاً فاضلا ، ورعاً زاهداً ، مليح المناظرة ، حسن المعرفة بالمذهب والخلاف .

وقال الشيخ موفق الدين عنه : كان فقيهاً من أصحابنا ، وتولى مدرسة ابن بكروس بعد موته . ومضينا إليه مع الشيخ أبى الفتح – يعنى ابن المنى – على عادة فقهاء بغداد ، وتكلمت يومئذ فى مسألة قتل المسلم بالذمى . وكان يسكن بالميدان من باب الأزج : ولذلك قيل فى نسبه ، الميدانى :

سمع منه عمر بن على القرشى ، وابن الدبيثى ، وابن القطيعى .

وحدث عنه الشيخ موفق الدين ، والبهاء عبد الرحمن المقدسيان ، والموفق بن صديق ، وعمر بن شخانه الحرانيان ، وابن الأخضر ، وأحمد بن البندنيجى ، وابن الغزال الواعظ . وأجاز للخليفة الناصر .

وتوفى ليلة الإثنين ثامن شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٧٣ – على بن عسكر بن عبدالله ، أبوالحسين الضرير المقرئ الأزجى الفقيه

قرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر ، وابن البطى ، وغيرهما . وتفقه على أبى حكيم النهروانى . وقرأ عليه القرآن جماعة ، وكان يحفظ طرفا من المذهب . وكان من أهل الدين والصلاح . ذكره ابن النجار عن أبى العباس بن الفراء ، وأنه قال : توفى ليلة الأربعاء عاشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . ودفن بباب حرب إلى جانب شيخه أبى حكيم . رحمهما الله تعالى .

١٧٤ – عبد المغيث بن زهير بن علوى الحربى ، المحدث الزاهد ، أبو العز ابن أبى حرب .

ولد سنة خمسمائة تقريباً .

وسمع من أبى القاسم بن الحصين ، وأبى العز بن كادش ، وأبى غالب وأبى عبد الله بن أبى على بن البناء ، وأبى الحسين بن الفراء ، والمزرفى ، والقاضى أبى بكر الأنصارى ، وهبة الله الجريرى ، وأبى القاسم السمرقندى ، وأبى منصور القزاز ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وزاهر الشحامى ، وخلق كثير ، وعنى بهذا الشأن وقرأ بنفسه على المشايخ ، وكتب بخطه ، وحصل الأصول ، ولم يزل يسمع حتى سمع من أقرانه . وتفقه على القاضى أبى الحسين بن الفراء

وكان صالحاً متديناً ، صدوقا أميناً ، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق مجتهداً فى اتباع السنة والآثار ، منظوراً إليه بعين الديانة والأمانة . وجمع وصنف وحدث ، ولم يزل يفيد النـاس إلى حين وفاته ، و بورك له حتى حدث بجميع مرو ياته وسمع منه الكبار .

قال الدبيثي : عنى بطلب الحديث وسماعه ، وجمعه من مظانه . فسمع الكثير وقرأ عليه الشيوخ . وكتب وحصل الأصول ، وخرج وصنف . وكان ثقة صالحا . صاحب طريقة حميدة . وحدث بالكثير وأفاد الطلبة . سمعنا منه ، وكتبنا عنه . ونعم الشيخ كان .

وروى عنه ابن السمعانى فى كتابه شعرا ، وقال عنه : رفيقنا .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغنى ، والبهاء عبد الرحمن المقدسيون .

وقدم دمشق ، وحدث بها سنة ثمان وثلاثين .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلى : سمعت من عبد المغيث طبقات أصحاب الإمام أحمد لأبى الحسين ابن القاضى بسماعه منه ، بقراءة طلحة العلثى ببغداد . وكان ــ يعنى عبد المغيث ــ حافظا زاهداً ورعاً . كنت إذا رأيته خُيّل إلىّ أنه أحمد ابن حنبل ، غير أنه كان قصيراً .

وقال الحافظ المنذرى عنه : اجتهد فى طلب الحديث ، وجمعه ، وصنف وأفاد ،

وحدث بالـكثير . حدثنا عنه الفقيه أبو عبد الله حمد بن صديق بحران .

وقال ابن القطيعي : كان أحد المحـدثين مع صلابته فى الدين ، واشتهاره بالسنة ، وقراءة القرآن . وجرت بينه و بين صاحب المنتظم ـ يعنى : أبا الفرج بن الجوزى ـ نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية . وكان عبد المغيث يمنع من سبه . وصنف فى ذلك كتابا ، وأسمعه . وصنف الآخر كتابا سماه « الرد على المتعصب العنيد ، المانع من ذم يزيد » وقرأته عليه . ومات عبد المغيث وهما متهاجران .

قلت : هـذه المسألة وقع بين عبد المغيث وابن الجوزى بسببها فتنة ، ويقال : إن عبد المغيث تتبع أبا الحسن بن البنا ، فقيل: إنه صنف فى منع ذم يزيد ولعنه ، وابن الجوزى صنف فى جواز ذلك . وحكى فيه:أن القاضى أبا الحسن صنف كتابا فيمن يستحق اللعن ، وذكر منهم يزيد ، وذكر كلام أحمـد فى ذلك . وكلام أحمد إنما فيه لعن الظالمين جملة ، ليس فيه تصريح بجواز لعن يزيد معيناً .
وقد ذكر القاضى فى المعتمد : نصوص الإمام أحمد فى هـذه المسألة ، وأشار إلى أن فيها خلافا عنه .

وقرأت بخط يحيى بن الصيرفى الفقيه الحرانى ، قال : حـكى لى : أنه كان يوماً فى زيارة قبر الإمام أحمد ـ يعنى الشيخ عبد المغيث ـ وأن الخليفة الناصر ، وافاه فى ذلك اليوم عند قبر الإمام أحمد ، فقال له : أنت عبد المغيث الذى صنف مناقب يزيد ؟ فقال : معاذ الله أن أقول : إن له مناقب ، ولـكن من مذهبى : أن الذى هو خليفة المسلمين إذا طرأ عليه فسق لا يوجب خلعه . فقال : أحسنت ياحنبلى ، واستحسن منه هذا الـكلام ، وأعجبه غاية الإعجاب .

قال ابن الصيرفى : ولقد حكى لى شيخنا محب الدين أبو البقاء : أن الشيخ جمال الدين بن الجوزى كان يقول : إنى لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبد المغيث فى الجنة . قال : وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبد المغيث من عباد الله الصالحين ، فرحمة الله عليهما .

قلت : ووقع أيضاً تنازع بين عبد المغيث ، وابن الجوزى فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فصنف عبد المغيث تصنيفين فى إثبات ذلك ، تبعاً لأبى على البردانى .

ورد عليه ابن الجوزى فى كتاب سماه « آفة أصحاب الحديث ، والرد على عبد المغيث » . وكان عبد المغيث قد حفر لنفسه قبراً خلف هدف الإمام أحمد الذى هو مدفون فيه .

فقال ابن الجوزى : لا يجوز ذلك ؛ لأنها بقعة مسبلة ، فلا يجوز تحجيرها ، ولأن تلك البقعة لا تخلو من دفين ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « كسر عظم الميت ككسره حياً » .

فقال عبد المغيث : حفرت فلم أجد عظما .

فقال ابن الجوزى : تلك بليت ، و بقى رضاضها المحترم ، ولا يجوز نبشها .

قال : ولأنك إذا وضعت فى هذا القبر تكون رجلاك عند رأس أحمد ؛ إذ ليس بينهما إلا الهدف ، وهذا سوء أدب . أما علمت أن المروذى قال : ادفنونى بين يديه ، كما كنت أجلس بين يديه ؟ .

قال : فلم يلتفت إلى ما قلت ، ومر مع هواه .

قلت : إذا بلى الميت ، فلم يبق له عظم ولا أثر ، فظاهر المذهب : جواز نبش قبره والدفن فيه ، خلاف ماقاله ابن الجوزى .

وصنف عبد المغيث : « الانتصار لمسند الإمام أحمد » أظنه ذكر فيه : أن أحاديث المسند كلها صحيحة . وقد صنف فى ذلك قبله أبو موسى . و بذلك أفتى أبو العلاء الهمدانى ، وخالفهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزى .

وللشيخ عبد المغيث مصنف فى حياة الخضر فى خمسة أجزاء . وله كتاب «الدليل الواضح فى النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح» يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو . وذكر فيه : تحريم الدُّفِّ بكل حال ، فى العرس وغيره .

وأجاب عن حديث « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف » بأن معناه : أعلنوه إعلاناً يبلغ مايبلغ صوت الدف لو ضرب به ؛ لتمحوا سنة الجاهلية من نكاح البغايا المستتر به .

وأجاب عن حديث الجاريتين اللتين كانتا تُغنيان فى بيت عائشة ، بأنهما لم يكونا مكلفتين لصغرهما .

قال : وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على تسميته «مزمار الشيطان» وربما أشار إلى أنه منسوخ . وهذا مذهب ضعيف .

وللشيخ عبد المغيث قصيدة فى السنة رواها عنه ابن الدبيثى ، يقول فيها :

أفق أخا اللب من سكر الحياة فقد آن الرحيل وداعى الموت قدحضرا
هل أنت إلا كآحاد الذين مضوا بحسرة الفوت لما استيقن الخبرا
وأنت تحرص فيما أنت تاركه إن كنت تعقل يوما حقق النظرا
أيام عمرك كنز لا شبيه له وأنت تشرى الحصباء والمدرا

توفى رحمه الله ليلة الأحد ثالث عشر محرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وصلى عليه الخلق الكثير من الغد بالحربية . ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع الشيوخ الكبار . رحمهم الله تعالى .

وذكر ابن النجار فى ترجمة داود بن أحمد الضرير الظاهرى : أنه سمعه يقول : سمعت يعقوب بن يوسف الحربى يقول : رأيت عبد المغيث بن زهير الحربى فى المنام بعد موته ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال :

العلم يحيي أناساً في قبورهم والجهل يلحق أحياء بأموات

١٧٥ ـ نصر بن فتيان بن مطر النهروانى ، ثم البغدادى ، أبو الفتح الفقيه الزاهد ، المعروف بابن المنّى ، ناصح الإسلام ، وأحد الأعلام ، وفقيه العراق على الإطلاق .

قال ابن القطيعى : ورأيت فى أكثر مسموعاته : يكتب له أبو الفتح عبد الله بن هبة الله ، المعروف بفتيان بن مطر .

قال : وسألته عن مولده ؟ فقال : سنة إحدى وخمسمائة . وهذا أصح مما قاله المنذرى : أنه ولد ـ ظنا ـ قبل سنة خمسمائة .

وسمع الحديث من أبى بكر بن الدنف سنة إحدى عشرة ، ومن القاضى أبى بكر بن عبد الباقى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وأبى الحسن بن الزاغونى ، وأبى منصور القزاز ، وأبى القاسم بن الحصين ، وأبى نصر اليونارتى ، وأبى غالب ابن البنا ، وأبى عبد الله البارع ، والحسين بن عبد الملك الخلال ، والأرموى ، وابن ناصر ، وأبى الوقت ، وغيرهم .

وتفقه على أبى بكر الدينورى ، ولازمه حتى برع فى الفقه ، وتقدم على أصحابه ، وأعاد له الدرس . وصرف همته طول عمره إلى الفقه ، أصولا وفروعا ، مذهبا وخلافا ، واشتغالاً و إشغالا ، ومناظرة . وتصدر للتدريس والاشتغال والإفادة ، وطال عمره ، و بَعُدَ صيته ، وقصده الطلبة من البلاد ، وشدت إليه الرحال فى طلب الفقه ، وتخرج به أئمة كثيرون .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلى وقد ذكر شيخه بن المنى ، فقال : رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقراء معمورا ، وكل فقيه عنده من فضله و إفضاله مغمورا ، فأنخت راحلتى بربعه ، وحططت زاملة بغيتى على شرعه ، فوجدت الفضل الغزير ، والدين القويم المنير ، والفخر المستطيل المستطير ، والعالم الخبير ، فتلقانى بصدر بالأنوار قد شرح ، ومنطق بالأذكار قد ذكر ومدح ، و بباب إلى كل باب من الخيرات قد شرع وفتح . فتح الله عليه . حفظ القرآن العظيم وهو فى حداثة من سنه . ولاحت عليه أعلام المشيخة ، فرجح منه على كل فن بفضل الله ومَنِّه .

قال لى المهذب بن قيداس : كنا نسمى شيخك شيخ صبى ـ يعنى فى صباه ـ

لعقله ووقاره ، وتركه اللعب . ثم قال : لم ينقل عنه : أنه لعب ولا لها ، ولا طرق بابْ طرب ، ولا مشى إلى لذة ومشتهى .

حدثني شيخنا الإمام ناصح الإسلام بن المنّي قال : حصل لى من ميراث والدى عشرون دينارا ، فاشتريت بها شيئاً و بعته فأربحت ، لخفت أن تحلو لى التجارة فأشتغل بها ، فنويت الحج لحججت ، وتجردت للعلم ، فسمعت درس الشيخ أبى بكر الدينورى صاحب الشيخ أبى الخطاب الكلوذانى ، قال : فتفقه به ، ومال الفقهاء من أصحاب شيخه إلى الاشتغال عليه . ودرس بعد موت شيخه .

قال لى : تقدمت فى زمن أقوام ما كنت أصلح أن أقدم مداسهم . وقال لى رحمه الله : ما أذكر أحدا قرأ علىّ القرآن إلا حفظه ، ولا سمع درسى الفقه إلا انتفع . ثم قال : هذا حظى من الدنيا .

قال ابن الحنبلى : أفتى ودرس نحواً من سبعين سنة ، ماتزوّج ولا تسرى ، ولا ركب بغلة ولا فرسا ، ولا ملك مملوكا ، ولا لبس الثياب الفاخر إلا لباس التقوى . وكان أكثر طعامه يشرب له فى قدح ماء الباقلاَّ . وكان إذا فتح عليه بشىء فرقه بين أصحابه . وكان لا يتكلم فى الأصول . ويكره من يتكلم فيه ، سليم الاعتقاد ، صحيح الانتقاد فى الأدلة الفروعية . وكنا نزور معه فى بعض السنين قبر الإمام أحمد .

وسمعت الشيخ الإمام جمال الدين بن الجوزى وقد رآه يقول له : أنت شيخنا . وأضرَّ بعد الأربعين سنة ، وثقل سمعه . وكان تعليقه الخلاف على ذهنه ، وفقهاء الحنابلة اليوم فى سائر البلاد يرجعون إليه ، و إلى أصحابه .

قلت : و إلى يومنا هذا الأمر على ذلك . فإن أهل زماننا إنما يرجعون فى الفقه من جهة الشيوخ والكتب إلى الشيخين : موفق الدين المقدسى ، ومجد الدين ابن تيمية الحرانى .

فأما الشيخ موفق الدين : فهو تلميذ ابن المنى . وعنه أخذ الفقه .

وأما ابن تيمية : فهو تلميذ تلميذه أبى بكر محمد بن الحلاوى . وقد جمع بعض فضلاء أصحابه له سيرة طويلة . وهو أبو محمد عبد الرحمن بن عيسى البزورى الواعظ . وقفت على بعضها مما ذكره فيها .

قال : وكان رحمه الله كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما فى الليل ، مُكرِمًا للصالحين ، مُحِبًّا لهم ، ليس فيه تيه الفقهاء ، ولا عجب العلماء . إن مرض أحد من تلامذته ومعارفه عاده ، أو كانت لهم جنازة شيعها ماشياً غير راكب ، على كبر السن ، وضعف البِنْية . زاهدا فى الدنيا ، يقنع منها بالبلغة ، وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزعها بين أصحابه ، وإن ناله منها شىء أعاده عليهم فى غضون الأيام .

قال : ولقد حدثنى من أثق به من أصحابنا : أنه جاءته صلة من بعض الصدور نحو أربعين دينارًا ، أففرقها فى يومه بين أهله وأصحابه ، وما أخذ منها شيئاً . فلما كان آخر النهار قال لى : يا فلان ، لو كنا عزلنا من ذلك الذهب قيراطين للحمام ؟ وكان قوته كل يوم قرصين ، وربما لم يغنهما .

وقال لى بعض أصحابه : إنه يستفضل منهما بعض الأيام ما يدفعه إلى السقا . وكان معظم إدامه : أن يشترى له برغيف ماء الباقلاّ . وما رأيته جعل عليه دهنا قط ، راضيا بذلك مع قدرته .

وكان يخدم نفسه بنفسه ، لا يثقل على أحد من أصحابه ، ولا يكلفهم شيئاً . اللهم إلا أن يعتمد على يد أحدهم فى الطريق . ولقد كنا عنده يوما جماعة من أصحابه ، فأوذن بالصلاة ، فنهض بنفسه فاستقى الماء للتطهير ، وما ترك أحدا منا ينو به فى ذلك ، ولقد قدمت له نعله يوما ، فشق عليه ، وجعل يقول : إيش هذا ؟ إيش هذا ؟ مثلك لا نسامحه فى هذا .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى ؟ فقال : شيخنا أبو الفتح كان رجلا صالحا ، حسن النية والتعليم . وكانت له بركة فى التعليم . قلَّ مَن قرأ عليه

إلا انتفع، وخرج من أصحابه فقهاء كثيرون،منهم من ساد . وكان يقنع بالقليل ، وربما يكتفى ببعض قرصة ، ولم يتزوج . وقرأت عليه القرآن . وكان يحبنا ويجبر قلوبنا ، ويظهر منه البشر إذا سمع كلامنا فى المسائل . ولما انقطع الحافظ عبد الغنى عن الدرس لاشتغاله بالحديث ، جاء إلينا ، وظن أن الحافظ انقطع لضيق صدره .

وذكر ابن الجوزى فى المنتظم : أن المستضىء فى أول خلافته جعل للشيخ أبى الفتح حلقة بالجامع ، ثم بعد مدة أمر ببناء دكة له فى جامع القصر ، وجلس فيها للمناظرة سنة أربع وسبعين . وله تعليقة فى الخلاف كبيرة معروفة .

وقرأ عليه الفقه خلق كثير . قد ذكر أعيانهم ابن البزورى فى سيرته على حروف المعجم .

فمن أكابرهم وأعلامهم من الشاميين : الشيخ موفق الدين المقدسى ، ورحل إليه إلى بغداد ، والحافظ عبد الغنى ، وأخوه الشيخ العماد ، والبهاء عبد الرحمن ، والشهاب بن راجح ، وناصح الدين بن الحنبلى .

ومن أكابر البغداديين : أبو بكر بن الحلاوى ، والفخر إسماعيل ، وقاضى القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ، وأبو محمد عبد المنعم بن أبى نصر الباجسرائى ، وابن أخيه أبو عبد الله محمد بن مقبل بن المنىّ .

ومن الحرانيين : الشيخ فخر الدين ابن تيمية ، والموفق بن صديق ، ونجم الدين ابن الصيقل .

وممن قرأ عليه : السيف الآمدى الأصولى ، ثم تحول شافعيا . وحدث ، وسمع منه جماعة .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسيان ، وابن القطيعى فى تاريخه .

قال جامع سيرته : دخلت عليه يوم الأحد خامس ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ، فقال لى: رأيت فى المنام منذ أيام كأن حلقة كبيرة فى وسط الرحبة ، وفيها أولاد المحتشمين . وكان فى وسطها رجل يقول :

واعلموا أن النوى قد كدرت صفو الليالى ، فاحذروا أن تندموا

قال : فالتفت إلى بعض أصحاب الشيخ ، وقلت له : هذا المنام كأنه ينعى إلى الشيخ نفسه ، فعاش الشيخ بعد ذلك تمام ثلاثة ـ أو أربعة ـ أشهر كما هو ظاهر .

قال : وابتدأ به المرض بعد نصف شعبان . وكان مرضه الإسهال . وذلك من تمام السعادة ؛ لأن مرض البطن شهادة . ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء ، والتلامذة والأصحاب .

فحدثنى صاحبه أبو محمد إسماعيل بن على الفقيه ، وهو الذى تولى تمريضه قال : قال لى الشيخ يوم الخميس ثانى رمضان : أى فخر ، آخر تعبك معى يوم الأحد ؟ قال : وهكذا كان . فإنه توفى يوم السبت رابع شهر رمضان ، ودفناه يوم الأحد ـ يعنى خامس رمضان ـ سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

قال : ونودى فى الناس بموته ، فانثال من الخلائق والأمم عدد يفوت الإحصاء . فازدحم الناس ، وخيف من الفتن ، فنفذ الولاة الأجناد والأتراك بالسلاح ، وفتح له جامع القصر ، وازدحم الناس ازدحاما هائلا ، وحمله أصحابه وغلمانه .

وحكى لى بعضهم : أنهم فى حال حمل سريره لم يبق فى رجل أحد منهم مداس إلا وشد ؛ لفرط الزحام . فلما فرغوا من دفنه أعيدت إليهم لم يفقدوا منها شيئا . وقدم الشيخ الصالح سعد بن عثمان بن مرزوق المصرى إماما فى الصلاة عليه ، بعد ما اجتهد المماليك والأتراك والأجناد فى إيصاله إلى عند نعشه . وكان الناس قد ازدحموا على الشيخ سعد أيضا يتبركون به ، حتى خيف عليه الهلاك . وكانت جنازته قد قدمت إلى عند المنبر والشباك .

وحدثنى أبو عبد الله محمد بن طنطاش البزار قال : لما وصل الشيخ سعد إلى جنازة الشيخ أمسك عن التكبير ، وأطال الوقوف حتى سكن الناس وسكتوا ، ... افعل

فلما صلى عليه عاد الزحام والخصام والاحتشاد فى أبواب الجامع ،على وجه ماشوهد مثله إلا ماشاء الله .

وذكروا : أنه كان أوصى أن يدفن فى دار بعض أهله جنب مسجده ، فحمل إلى الموضع ، ودفن فيه ، وفتح موضع فى المسجد إلى قبره لزيارة الناس .

وقالِ ابن القطيعى : حضر جنازته قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ، ودفن بداره الملاصقة لمسجده ، ثم قطع موضع قبره من الدار ، وأدخل إلى مسجده بالمأمونية رأس درب السيدة . رحمه الله تعالى .

وذكر جامع سيرته ، قال : حدثنى الحافظ أبو بكر محمد بن عثمان الحازمى ، وكتبه لى بخطه ، قال : رأيت الشيخ الإمام الفقيه أبا الفتح بن المنى فى المنام بعد موته ، وكأنه فى موضع كبير واسع ، وهو فرحان مسرور ، وعليه ثياب بيض شديدة البياض ، وعلى رأسه طرحة ، فجعلت أسلم عليه وأكلمه . وكان بيننا ثَمَّ ستر كبير. وكلام هذا معناه لم أحفظه .

قال صاحب سيرته : ورأيته أنا فى المنام ، فسلمت عليه ، فالتفت إلىَّ كالمعتب وكأنه يقول لى: استبشر بقدومى . وما زالوا من صلاة المغرب يضربون بالصَّوالى . ولو رأيتِ الجمع الذى كان . وكلاماً آخر لم أفهمه . رضى الله عنه .

قال : ورثاه رفيقنا النجم عبد المنعم بن على بن الصقال الحرانى ، أحد أصحابه ، وأملاه علىَّ من لفظه :

إلام يشجيك ذكر الربع والطلل ... ويستخف بهاك الغنج فى المقل
فإن دعاك دَدِدٌ لبيت دعوته ... مدلهاً غير منقاد إلى العذل
ذر الهوى فعطاياه معاطبه ... وجوده بالمنى شر من البخل
ولا تُصِخْ لقريض بعدها أبداً ... وإن توحد فى مدح وفى غزل
ما لم تَرْثَ قوافيه التى جمعت ... صفاتُه الغربين : العلم والعمل
ومن غدا ناصر الإسلام يحرسه ... بهمة لم يقصر عن سما زُحَل

وطال ما خدم الرحمن معتكفا ... على العبادة لا ينصاغ للكسل
إن روق الليل جافى الحبر مضجعه ... يتلو بدمع غزير واكف هطل
أو أتحف الجو أنوار الضيا ابن ... ذكا غدا لتدريس علم واسع جلل
وإن بدا مشكل فى الشرع متعلق ... أتى به ظاهراً حقاً على عجل
واهاً لما حاز من علم وكم قدمت ... إلى خصائصه بمهما من رجل
فيشهد الفضل مبذولا لطالبه ... ويدرك الفضل فى أحلى من العسل
فما انثنى عمره المحروس عن زلل ... واعتناقه الخير عن قول وعن عمل
حتى أفاد صحاباً كلهم بطل ... يوم الجدال عريق الأصل فى الجدل
إن تأته تلق ليثاً فى عرينته ... ذا همة غير نزاع إلى الفشل
يريك قس أياد من فصاحته ... ويحسن القول فى الأحكام والعلل
يفرقون جموع الخصم فى دعة ... تفريق شمل جموع الكفر سيف علي

أخبرنا أحمد بن عبد الكريم البعلى ، حدثنا عبد الخالق بن علوان ، حدثنا أبو محمد بن قدامة قال : قرأت على شيخنا أبى الفتح نصر بن فتيان ، أخبركم الإمام أبو الحسن بن الزاغونى ، أخبرنا أبو القاسم بن البسرى ، أنبأنا الإمام أبو عبد الله ابن بطة ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ابن العلاء ، حدثنا عطاء بن مسلم عن سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى مريم ، قال : « رأيت على علىّ بن أبى طالب برداً خلقا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قلت : تطرح هذا البرد وتلبس غيره ، فقعد وطرح البرد على وجهه ، وجعل يبكى ، فقلت : لو علمت أن قولى يبلغ هذا منك ما قلته . فقال : إن هذا البرد كسانيه خليلى . قلت : ومن خليلك ؟ قال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه . إن عمر ناصحَ الله تعالى فنصحه »

اجتمع فى هذا الإسناد خمسة من أئمة الحنابلة : أبو بكر بن أبى داود ، وابن بطة ، وابن الزاغونى ، وابن المنى ، والشيخ موفق الدين . رضى الله عنهم أجمعين .

١٧٦ – علي بن محمد بن علي بن الزيتوني ، الفقيه أبو الحسن البغدادى .

المعروف بالبراندسي . و « براندس » قرية من قرى بغداد .

قال ابن القطيعي : سألته عن مولده ؟ فقال : ما أعلم ، ولكنني ختمت القرآن سنة ثمان وخمسمائة .

قال : وسمع من ابن الحصين . وذكر عبد المغيث : أنه سمع جميع مسند الإمام أحمد منه ، وسمع من القاضي أبي الحسين بن الفراء وغيرهما . وتفقه وناظر ، وأفتى ودرس .

قلت : ولما بنى الوزير ابن هبيرة مدرسته بباب البصرة ولّاه تدريسها ، فكان يدرس بها . وحدث ، وسمع منه غير واحد .

قال ابن القطيعي : كتبت عنه . وكان قليل الرواية ، ثقة صالحا .

قال : وسمعته يقول : استيقظت من منامى وأنا أنشد هذين البيتين ، ولا أعلم قد قيلا قبلي ، أو أنشدتهما لنفسي ، إلا أنى لم أسمعهما من أحد ، وهما هذان :

ليت السباع لنا كانت مجاورة ... وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

إن السباع لتهدى فى مواطنها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

قال ابن القطيعي : وهذان البيتان فى العزلة للخطابي ، بإسناده عن الربيع عن الشافعي أنه أنشدهما . ولفظه « ليت الكلاب » .

وأنشدهما أبو بكر بن المرزبان عن أبي بكر العنبرى « إن السباع ، وإننا لا نرى » وزادهما ثالثا :

فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها ... تلق السعود إذا ما كنت منفرداً

قلت : وهذه فى العزلة لابن أبي الدنيا .

قال ابن القطيعي . وفى سنة اثنين وسبعين ، عملت دعوة للصوفية والعلماء على اختلاف مذاهبهم ، فمنهم من أكل وانصرف ، ومنهم من حضر السماع ،

وكان البراندسى ممن عجز عن الخروج مع من أكل وانصرف ، فأقام وأغلق الباب دونه ، وحضر السماع ، فحيث علم أهل باب البصرة تخلفه دون جميع أصحابه كابن الجوزى ، وابن عبد القادر ، قالوا فيه الشعر . وهجره جماعة من عوامهم فأنشدنى الشيخ أبو عبد الله الخيارى لنفسه فيه .

أيها الشيخ ، من ينافق خلوة ⁂ يظهر الله ذلك الفعل جلوة
كنت تفتى أن السماع حرام ⁂ كيف حل السماع يوم الدعوة ؟
عشت ماعشت بين زهد ونسك ⁂ وتسميت فى الشريعة قدوة
ثم خلعت العذار فى اللهو والرقص ⁂ وبين البلى وبينك خطوة
كنت حقاً لو رقص الطفل حوقلت ⁂ وأنكرت بارتعادٍ وسطوة
كيف جاز الجلوس بين حُداة ⁂ لم يفت فى سماعهم غير قهوة ؟
لا تبهرج فليس عندك عذر ⁂ يلزم القوم ما أتوا بك عنوة
إنما أنت حين خبرت أن الرقص ⁂ من بعدهِ صحاح وكسوة
ودجاج وبط حثك البخل ⁂ فلا تعتذر بقولك شقوة
ودع الآن شغلك بالفقه ⁂ وخذ فى لباس دلق وركوة

قال : وسمعت ابن الجوزى يقول : دخل البراندسى الدعوة وأكل . وأراد الانصراف معنا ، فأغلق الباب دونه ، وما علم حقيقة مايجرى ، وحصل هناك ، لا أنه اختار هذا .

وتوفى يوم الثلاثاء لست عشرة خلت من ربيع الأول ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله تعالى .

وقد ذكره المنذرى الحافظ فى وفياته ، فيمن توفى سنة ست وثمانين ، فقال : وفى السادس عشر من شهر ربيع الأول توفى الفقيه الإمام أبو الحسن على ابن محمد بن على المقرئ الضرير ، ودفن عند قبلة جامع المنصور . ومولده سنة ثمانين وأربعمائة ، تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من ابن الحصين ،

وإسماعيل بن السمرقندى ، وأبى غالب بن البنا ، وغيرهم وحدث ، وأقرأ ، فخالف ماذكره ابن القطيعى فى مدفنه ، فالله تعالى أعلم بالصحيح من ذلك .

وأما قوله : إن مولده سنة ثمانين وأربعمائة فغلط محض ؛ فإنه على قوله يكون قد جاوز المائة بست سنين ، فأين آثار ذلك من تفرده عن أقرانه بالسماع من الشيوخ . ثم قد سبق أن القطيعى سأله عن مولده ؟ فذكر مايدل على أنه قبل الخمسمائة بنحو سنتين . وهذا هو الصحيح . ووصفه بأنه ضرير ، ولم يصفه القطيعى بذلك .

١١٧ — نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن على الشيرازى الأصل ، الدمشقى الأنصارى ، الشيخ نجم الدين أبو العلاء بن شرف الإسلام ابن الشيخ أبى الفرج ، شيخ الحنابلة بالشام فى وقته .

قرأت بخط ولده ناصح الدين عبد الرحمن : أنه ولد سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . وأفتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين سنة، إلى أن مات ، وعاش هنياً مرفها ، لم يَلِ ولاية من جهة سلطان ، وما زال محترماً معظماً ، ممتعاً قويا .

قال لى قبل أن يموت بسنة : رأيت الحق عز وجل فى منامى ، فقال لى : يانجم أما علمتك وكنت جاهلا ؟ قلت : بلى يارب ، قال : أما أغنيتك وكنت فقيراً ؟ قلت : بلى يارب ، قال : أما أمت سواك وأحييتك ؟ وجعل يعدد النعم ، ثم قال : قد أعطيتك ماأعطيت موسى بن عمران .

ولما مرض مرض الموت ، رآنى وقد بكيت ، فقال : إيش بك ؟ فقلت : خير ، فقال : لا تحزن علىّ ؛ أنا ماتوليت قضاء ، ولا شحنكية ، ولا حبست ، ولا ضربت ، ولا دخلت بين الناس ، ولا ظلمت أحداً ، فإن كان لى ذنوب ، فبينى وبين الله عز وجل . ولى ستون سنة أفتى الناس ، والله ماحابيت فى دين الله تعالى .

وكان يقول قبل موته بسنين : سَنَتِى سنة ست وثمانين ، إلى أن دخلت سنة ست وثلاثين ، فقال : هذه سنتى ، فقلنا : كيف تقول هذا ؟ قال : هى سنة أبى وجدى لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وكان الأمر كما قال .

قال : وكان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر ، إذا أشكل عليهما شىء سألا والدى . قال : وخرج له أبو الحسين سلامة بن إبراهيم الحداد شيخه ، وسمعناها عليه بقراءته .

وذكر الحافظ المنذرى فى وفياته : أن له إجازة من أبى الحسن بن الزاغونى وغيره .

قال : وتوفى ثانى عشرى ربيع الآخر ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

وقال غيره : شيعه خلائق . وقد سبق ذكر أخيه بهاء الدين عبد الملك . وكان له أيضاً عدة إخوة .

منهم : الشيخ سديد الدين عبد الكافى بن شرف الإسلام .

قال ناصح الدين : كان فقيهاً متطهراً ، ووعظ فى شبابه ، وكان يذكر الدرس فى الحلقة ، مستنداً إلى خزانة أبيه ، وكان صيتاً ، وربما خطب فى الإملاكات المعتبرة .

وكان شجاعاً شديداً ، مات بعد الثمانين والخمسمائة ، وقبره تحت مغارة الدم

ومنهم : الشيخ شمس الدين عبد الحق بن شرف الإسلام .

قال الناصح : كان فقيها عاقلا ، عفيفا ، حسن العشرة ، كثير الصدقة رحيم القلب. سافر فى طلب العلم ، وقرأ كتاب «الهداية» على الشيخ أحمد الحرانى الحنبلى ، ودخل بلاد العجم ، ورأى أئمة خراسان ، وعاد إلى دمشق ، وصحب أخاه ، والدى يسمع درسه ، ويعيد له ، وهو بين يديه كالحاجب .

ومات ودفن بسفح قاسيون .

ومنهم : الشيخ شرف الدين محمد بن شرف الإسلام .

كان فقيهاً ، فرضياً ، يعرف الغزوات ، و يعبر المنامات ، و يتجر ، ولا يداخل الملك وتوفى ودفن بالباب الصغير .

ومنهم : الشيخ عز الدين عبد الهادى بن شرف الإسلام .

كان فقيهاً واعظاً ، شجاعاً ، حسن الصوت بالقرآن ، شـديداً فى السنة ، شديد القوى ، يحكى له حكايات عجيبة ، فى شدة قوته .

منها : أنه بارز فارساً من الإفرنج ، فضربه بدبوس فقطع ظهره وظهر الفرس فوقعا جميعاً ، وكان فى صحبة أسـد الدين شيركوه إلى مصر ، وشاهده جماعة رفع الحجر الذى على بئر جامع دمشق ، فمشى به خطوات ثم رده إلى مكانه ، وله أخبار فى هذا الباب غريبة ، و بنى مدرسة بمصر ، ومات قبل تمامها ، وتوفى بمصر .

ومما وقفت عليه من فتاوى نجم الدين بن عبد الوهاب بن الحنبلى : أن من أراد أن يحلف بالطلاق ، فقال لامرأته : على الطلاق ثلاث بتات ، وأراد أن يقول : إن لم أتحولَ من الدار ، ثم تفـكر فى ضرر التحويل ، فسكت على قوله بتات ، إعراضاً عن اليمين بالـكلية ، لا أراده لوقوع الطلاق : أنه إذا لم يقصـد بذلك الإيقاع ، بل قصد التعليق ، ثم سكت عقيب ذكر الطلاق ، لا قاصداً له ، بل أراد إبطال اليمين ، فإنه يدين فى ذلك فيما بينه و بين الله ، ولا يلزمه الطلاق فى الباطن .

و بمثل هذا صرح صاحب المحرر فيه ، وهو قول مالك والليث بن سعد . وحكى عن الشافعى أيضاً ، ولا أعلم فى ذلك نصا لأحمد ، ولا لأحد من متقدمى أصحابنا .

وقياس نصوص أحمد وأصوله : أنه لا يدين فى ذلك ، بحيث أنه يمتنع وقوع الطلاق به . ولو وجد شرطه الذى أراد تعليقه عليه ، فإن المنصوص عن أحمد ، فى مواضع متعددة من كلامه : أن الحلف بالطلاق ليس بيمين ، وليس حكمه حكم سائر

الأيمان ، وإنما هو طلاق معلق بشرط ، ولو قصد بتعليقه الحض والمنع ، وحينئذ فينبغى أن يكون حكم هذا حكم من طلق ، وقال : نويت تعليق الطلاق بشرط .

والمذهب فى ذلك عند القاضى ومن اتبعه من أصحابنا : أنه يدين فى ذلك ، ولايقع به الطلاق فى الباطن إلا بوجود الشرط . وهل يقبل منه فى الحكم ؟ خرجوه على روايتين .

ونص أحمد فى رواية مهنا : على أنه لا يدين ، كقول أبى حنيفة وأصحابه ، وتأوله القاضى على أنه أراد أنه لايقبل منه فى الحكم . وهو تأويل بعيد .

فعلى ظاهر رواية مهنا : يقع الطلاق فى الحال ، وإن أراد الحلف به ، ثم تركه . وعلى المذهب عند القاضى وأصحابه : ينبغى أن لا يقع الطلاق حتى يوجد الشرط الذى أراد أن يحلف عليه ، كما لو أراد تعليق الطلاق بشرط يأتى لامحالة ، ثم بدا له أن يترك تعليقه ، فإن هذا التعليق يمين على أشهر الوجهين للأصحاب ، بل أومأ إليه أحمد . وقد حكى عنه صريحاً . فيكون تعليق الطلاق عنده كله يسمى يمينا ، وحكمه حكم الطلاق ، لا حكم الأيمان ، فيلزم من قال بالشرط : أنه إذا أراد اليمين بالطلاق ، فتلفظ بالطلاق ، ثم قطع بقية كلامه : أنه لا تطلق امرأته بذلك ، ولو وجد الشرط أن يقول ههنا فى التعليق بما يأتى : لا محالة كذلك . وهو فى غاية البعد .

وقد استوفينا الكلام على هذا فى كتابنا المسمى « بالكشف والبيان عن مقاصد النذور والأيمان » وبالله التوفيق .

١٧٨ — عبد الله بن عمر بن أبى بكر المقدسى ، الفقيه الإمام أبو القاسم سيف الدين .

ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة بقاسيون

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من جماعة . وتفقه وبرع فى معرفة المذهب

والخلاف والمناظرة . وقرأ النحو على أبى البقاء ، وحفظ الإيضاح لأبى على ، وقرأ العروض . وله فيه تصنيف .

قال الحافظ الضياء : اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو ، وصار إماماً عالماً ، ذكياً فطنا ، فصيحاً مليح الإيراد ، حتى إنى سمعت بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء أنه قال : ما اعترض السيف على مستدل إلا ثلم دليله . وكان يتكلم فى المسألة غير مستعجل بكلام فصيح ، من غير توقف ولا تتعتع .

وكان رحمه الله حسن الخَلق والخُلق ، أنكر منكرا ببغداد ، فضرب به الذى أنكر عليه ، وكسر ثنيته . ثم إنه مكّن من ذلك الرجل ، فلم يقتص منه .

قال : وسافرت معه إلى بيت المقدس ، فرأيت منه من ورعه وحسن خلقه ما تعجبت منه .

قال : وشهدنا غزاة مع صلاح الدين ، فجاء ثلاثة فقهاء ، فدخلوا خيمة أصحابنا فشرعوا فى المناظرة ، وكان الشيخ موفق الدين والبهاء حاضرين ، فارتفع كلام أولئك الفقهاء ، ولم يكن السيف حاضراً ، ثم حضر فشرع فى المناظرة ، فما كان بأسرع من أن انقطعوا من كلامه .

وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول : كان أبو القاسم عبد الله بن عمر فيه من الذكاء والفطنة مايدهش أهل بغداد . وكان يحفظ درس الشيخ إذا ألقى عليه مرة أو مرتين . وكنت أنا أتعب حتى أحفظه . وكان مبرزاً فى علم الخلاف . وكان ورعاً ، يتعلم من العماد ، و يسلك طريقه .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين ؟ فقال : سافر إلى بغداد صغيرا ، وسمع بها كثيرا ، وتفقه بها وصار فقيهاً حسنا . حسن الكلام فى المناظرة ، فصيح اللسان ، حسن الخط . وقرأ فى العربية . وشرع هو والمحب أبو البقاء فى تصنيف كتاب فيها ثم قدم الشام ، وخرج إلى الغزاة معنا ، ثم سافر إلى حران ، وتوفى بها شاباً رحمه الله تعالى فى حياة أبيه .

توفى بحران فى شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ورثاه سليمان بن النجيب بقوله :

على مثل عبد الله يفترض الحزن ... وتسفح آماق ولم يغتمض جفن
عليه بكى الدين الحنيفى واكتفا ... كما قد بكاه الفقه والذهن والحسن

وهى طويلة .

ورثاه جبريل المصيصى المصرى بقوله :

صبرى لفقدك عبد الله مفقود ... ووجد قلبى عليك الدهر موجود
عدمت صبرى لما قيل إنك فى ... قبر بحران سيف الدين مفقود
نبكى عليك بشجو بالدماء كما ... تبكى التعاليق حقا والمسانيد
وللمشايخ تعديل عليك كما ... للطير فى الدوح تغريد وتعديد

وذكر باقيها . وهى ستة وعشرون بيتا .

١٧٩ - يحيى بن مقبل بن أحمد بن بركة بن عبيد الملك بن عبد السلام بن الحسين بن محمد بن على بن عبد الواحد بن ثابت بن عمرو بن عامر بن داود بن إبراهيم بن محمد السجاد بن طلحة بن عبد الله التيمى القرشى البغدادى الحريمى ، أبو طاهر بن أبى القاسم بن أبى نصر ، المعروف بابن الصدر . وهو لقب عبدالواحد المذكور فى نسبه . ويعرف أيضاً بابن الأبيض .

ولد فى شعبان سنة سبع عشرة وخمسمائة .

وسمع من ابن الحصين ، وأبى بكر الأنصارى ، وأبى منصور القزاز ، وغيرهم . وتفقه فى المذهب ، وناظر فى حلق الفقهاء ، وحدث .

قال ابن القطيعى : كتبت عنه . وكان ثقة .

قال : وتوفى يوم الإثنين فى شهر شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب .

وقال المنذرى : توفى فى العشر الأخير من ذى القعدة .

قال ابن الجوزى فى كتاب « الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد » حدثنى أبو طاهر بن الصدر الفقيه : أن هذا الشيخ – يعنى عبد المغيث الحربى – زوج رجلا ، فقال له : زوجتك بحق وكالتى بنت أخى فلان .

قال الفقيه : فلقيت المتزوج ؟ فقلت له : ما انعقد لك عقد ، ولا يحل لك قربان المرأة ؛ لأن أبا هذه المرأة له أربع بنات . وهذا العاقد ماسمى المزوجة . فعجب الناس من عدم فهمه للفقه .

١٨٠ – نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن ثال ابن وزر بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعى بن الحصين بن معاوية ابن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار النميرى ، الأديب الشاعر ، أبو المرهف ، وأبو الفتح أيضاً

كذا نقلت نسبه من خط القطيعى . وقال : أملاه علىّ وقال لى : ولدت يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرافقة بقرب رقة الشام .

كان النميرى من أولاد أمراء العرب . نشأ بالشام ، وخالط أهل الأدب ، وقال الشعر الفائق وهو مراهق . وأصابه جدرى وله أربع عشرة سنة ، فضعف بصره ، حتى كان لايرى إلا ماقرب منه . ثم قدم بغداد لمعالجة بصره ، فآيسه الأطباء منه ، فعمى . وأقام ببغداد ، وسكن بباب الأزج ، فحفظ القرآن العظيم . وسمع الحديث من ابن الحصين ، والقاضى أبى بكر ، وعبد الوهاب الأنماطى وأبى الحسن بن الزاغونى، وأبى منصور القزاز ،ويحيى بن حبيس الفارقى ، وابن ناصر وغيرهم . وبالكوفة : من أبى الحسن بن غبره ، وتفقه فى مذهب الإمام أحمد .

وقرأ العربية والأدب على أبى منصور بن الجواليقى ، وصحب العلماء والصالحين . كالشيخ عبد القادر ، وغيره ، ومدح الخلفاء والوزراء .

وله ديوان شعر حدث به . وكان فصيح القول حسن المعانى ، ذا دين وصلاح وتصلب فى السنة .

قال ابن القطيعى : منع الوزير ابن هبيرة الشعراء من إنشاد الشعر بمجلسه ، فكتب إليه النميرى قصيدة سمعتها من لفظ النميرى . فكتب الوزير على رأسها بخطه : لو كان الشعراء كلهم مثله فى دينه وقوله لم يمنعوا ، وإنما يقولون مالا يحل الإقرار عليه ،وهو فالصديق وما يذكر يوقف عليه ، ورسومه تزاد ولا تنقص ، والسلام .

وقد حدث النميرى بحديثه وشعره ، وسمع منه القطيعى ، وغيره

وروى عنه عثمان بن مقبل الياسرى ، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسى ، وابن الدبيثى ، ويوسف بن خليل وغيرهم .

وتوفى يوم الثلاثاء عشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند الشهداء رحمه الله .

ومن شعره ، وقد سئل عن مذهبه واعتقاده ؟ فأنشد :

أحب علياً والبتول وولدها ولا أجحد الشيخين حق التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى كما أبرأ من ولاء ابن ملجم
ويعجبنى أهل الحديث لصدقهم فلست إلى قوم سواهم بمنتمى

وقد روى البيت الثالث على وجه آخر .

ومن شعره وقرأته بخط السيف بن المجد الحافظ :

سبرت شرائع العلماء طراً فلم أر كاعتقـــاد الحنبلي
فكن من أهله سراً وجهراً تكن أبداً على النهج السوى
هم أهل الحديث وما عرفنا سوى القرآن والنص الجلى

ومما أنشده عنه ابن القطيعى ، وقال : أنشدنى لنفسه :

وكفى مؤذناً باقتراب الأجل شباب تولى وشيب نزل
وموت اللذات ، وهل بعده بقاء يؤمله من عقل؟
إذا ارتحلت قرناء الفتى على حكم ريب المنون ارتحل
هو الموت لا تحتمى للنفوس من خطبه بالرقى والحيل
إذا صال كان سواء عليه من عز من كل حى وذل

فياويح نفسى أما ترعوى ... وقد ذهب العمر إلا الأقل

ومن شعره أيضاً :

أذاعت بأسرارى الأدمع ... غداة استقلوا وما ودعوا

جزعت لما أعتز من بينهم ... وما كنت من مؤلم أجزع

تولوا فما قرّ لى بعدهم ... فؤاد ، ولا جف لى مدمع

وأقسم لاحلت عن عهدهم ... وفوا لى بالعهد أو ضيعوا

أأحبابنا هل لعصر مضى ... لنا ولكم باللوى مرجع ؟

كان على كبدى بعدكم ... من الشوق نار غضا تسفع

ولى مقلة منذ فارقتكم ... إذا هجع الناس لاتهجع

يؤرقنى كل برق أراه ... من نحو أوطانكم يلمع

وكم لى من عاذل فيكم ... يطيل الملام فلا أسمع

وقال : ومن شعره فى الغزل :

ولما رأى ورداً بخديه يجتنى ... ويقطف أحياناً بغير اختياره

أقام عليه حارساً من جفونه ... وسلّ عليه مرهفاً من عذاره

ومن شعره أيضاً :

يزهدنى فى جميع الأنام ... قلة إنصاف من يصحب

وهل عرف الناس ذو نهية ... فأمسى له فيهم مرغب

هم الناس مالم تجربهم ... وطلس الذباب إذا جربوا

وليتك تسلم عند البعاد ... منهم ، فكيف إذا يقربوا ؟

١٨١ - أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادى ، المقرئ أبو العباس ، المعروف بالعراقى ، نزيل دمشق .

قرأ القرآن على أبى محمد سبط الخياط ، وسمع الحديث من محمد بن عبد الله بن سهلون ، وأبى الفتح الكروخى ، وسعد الخير الأندلسى ، ومهر فى علم القراءات .
لقى المهذب بن منير الشاعر بحلب ، وروى عنه .

وقدم دمشق سنة أربعين ، فسكنها إلى أن مات وتصدر للإقراء تحت النسر بالجامع ، فختم عليه جماعة ، وأمَّ بمسجد الخشابين ، وأقام به سنين .

قال الشيخ موفق الدين : كان إماماً فى السنة ، داعياً إليها ، إماماً فى القراءة . وكان ديناً ، يقول شعراً حسناً ، وشرح عبادات الخرقى بالشعر .

وقال ابن النجار : كان شيخنا فاضلا متقناً ، طيب المحاضرة .

قلت : وكان متشدداً فى السنة .

ويقال : إنه منع الحافظ عبد الغنى من الاجتماع بابن عساكر الحافظ والسماع منه ، وندم الحافظ على ذلك . وكان يقول : كان عندنا فى الحربية قوم من المتشددين يسمون : السبعة ، لايسلمون على من سلم إلى شيعة على مبتدع . ورأيت له جزءاً فى الرد على من يعير الحنابلة بالفقر وقلة المناصب .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن خليل .

وتوفى فى شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بدمشق ، وقد جاوز السبعين .

وقال الضياء : مات فى جمادى الأولى سنة ست وسبعين . وهو وهم ؛ فإن ناصح الدين بن الحنبلى : ذكر أنه زار معه القدس سنة سبع وثمانين — أو سنة ثمان — الشك منه . وذكر : أنه قرأ عليه ، وسمع منه .

قال : وقال لى : قدمت من بغداد لأجل زيارة القدس ، ولم يتفق لى زيارته إلى هذه المدة .

١٨٢ — عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سلامة السبتى البغدادى الوراق المحدث المقرئ ، الزاهد أبو جعفر بن أبى المعالى بن السمين . نزيل الموصل .

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

وسمع الكثير من هبة الله الحريرى ، وأبى بكر بن عبد الباقى ، وأبى منصور القزاز ، وعلى بن هبة الله بن عبد السلام ، وأبى الفضل الأرموى ، وأبى الفتح الكرخى ، وأبى الحسين بن الزاغونى ، وأخيه أبى بكر ، وابن الطلاية ، وغيرهم .

وكتب بخطه الكثير لنفسه وللناس . وخرج التخاريج . وحدث بالكثير ببغداد والموصل . وكان صالحاً ثقة ، ديناً صدوقاً من أهل التقشف والصلاح والنسك يأكل من كسب يده

توفى فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بالموصل. ودفن بتل توبة رحمه الله تعالى .

١٨٣ ـ علي بن مكي بن جراح بن علي بن ورخز البغدادي ، الفقيه الزاهد أبو الحسن .

تفقه على أبي الفتح بن المنيّ ، وأبي يعلى بن أبي خازم، وبرع فى الفقه ، وأفتى وناظر . وكان زاهداً عابداً .

توفى يوم حادى عشرين صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب حرب .

١٨٤ـ علي بن أبي العز بن أبي عبد الله الباجسرائي ، الفقيه الزاهد أبو الحسن .

كان يسكن بمدرسة الشيخ عبد القادر . وسمع الكثير من أبي الوقت ، وابن البطي ، وغيرهما . وحدث باليسير .

سمع منه جماعة من الفقهاء . وكان صالحا ورعا ، متدينا ذا عبادة وزهد . جمع كتابا فى تفسير القرآن الكريم فى أربع مجلدات .

توفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وصلى عليه بالمصلى بباب الحلبة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

١٨٥ ـ طغدى بن ختلغ بن عبد الله الأميري المسترشدي ـ نسبة إلى ولاء بعض الأمراء من ولد المسترشد ـ البغدادي المقرىء الفرضي ، أبو محمد المحدث ، يسمى عبد المحسن أيضا . نزيل دمشق .

ولد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات العشرة على أبى الحسن البطائحى . وكان ربيبه ، فأحسن تربيته ، وأسمعه من الأرموى،وابن ناصر الحافظ ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى العباس أحمد بن محمد بن المكى ، وسعيد بن البنا ، وأبى الوقت ، وأبى القاسم هبة الله بن الحاسب ، وغيرهم .

وصحب أبا الفضل بن ناصر الحافظ ، وأخذ عنه علم الحديث ، وأصول السنة .

وقرأ الفرائض على أبى النجم بن القابلة ، وبرع فيها حتى صار فيها إماما متوحدا ، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها إلى حين وفاته .

وحدث ببغداد وحران ودمشق. وقرأ عليه الشيخ أبو عمر صحيح البخارى .

روى عنه ابن خليل الحافظ .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلى فى حقه : المحدث الحافظ الفرضى الزاهد . كان قيما بمعرفة البخارى ، برجاله وألفاظ غريبه ، وشرح معانيه . قرأته عليه ، وسمع بقراءتى جماعة كثيرة . وكان قيما بأصول السنة ، ومقالة أصحاب الإمام أحمد وكان متعبدا معتزلا للناس . حضر معى فتح البيت المقدس . وقرأ عليه جماعة من أولاد الدمشقيين الحساب والفرائض . وكان لايفارقنى إلى أن حججت سنة تسع وثمانين ، ورجعت من الحج فوجدته قد مات رحمه الله . ودفن فى تربة عمى عبد الحق بالجبل .

قلت : وذكر المنذرى : أنه توفى فى المحرم سنة تسع وثمانين . وكذا ذكره الدبيثى أنه بلغهم وفاته .

وذكر القطيعى : أنه بلغهم ببغداد حين موته فى ربيع الأول سنة تسع وثمانين فيكون قول ابن الحنبلى : حججت سنة تسع فيه تسامح . ومراده : أنه رجع من الحج إلى دمشق سنة تسع ، فوجده قد مات . لكنه ذكر فى أول كتابه : أن أول سنة حج سنة تسع وثمانين .

١٨٦ - بدل بن أبي طاهر بن شيرد شهر بن حاكاه بن عبد الله بن محمد الجيلى ، الفقيه المقرئ أبو محمد . نزيل بغداد .

قرأ القرآن بالروايات على أبى العلاء الهمدانى .

وسمع من أبى الفتح محمد بن الحسن الصيدلانى ، وغيره . وسمع من محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهنى المروزى .

وتفقه ببغداد على ابن بكروس ، وأقرأ الناس

قرأ عليه بالروايات الكثيرة أبو عبد الله محم لحسن الدورى ، وغيره . وسمع منه القاضى أبو العباس بن الفراء ،

وتوفى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة نين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

١٨٧ - محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الملك الأصبهانى الجورتانى بن الحمامى ، العابد الأديب، مصلح الدي من أهل أصبهان و «جورتان» من قراها .

ولد سنة خمسمائة فى رجب . وقيل : سنة إ

وسمع من أبى على الحداد ، وأبى نهشل نبرى ، وسعيد ابن أبى الرجاء .

قال ابن النجار : وكان فقيها فاضلا ، كامل ، وأكثر أدباء أصبهان من تلامذته . وكان متدينا ، حسن الطر

سمعت أبا عبد الله الخليلى بأصبهان يقول : محمد بن أحمد الحنبلى المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من ع فى يومين . فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن . وكانت قر تذكر وتفكر .

قال أبو عبد الله : وسمعت محمد بن محمد الخب نا - وكان من

أهل الخير والصلاح ، تلاء للقران،ملازما للمسجد فى أكثر أوقاته ، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرا يقول ـ : لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال : أسأل الله أن يمهلنى إلى التسعين ، وأن يوفقنى كل يوم ختمة ، فاستجيبت دعوته ، فكان يختم كل يوم ختمة .

قال أبو عبد الله : وسمعت الحسين بن محمد بن أحمد الحامى الحنبلى يقول : قام عمى ـ يعنى : محمد بن أحمد المصلح ـ ليلة لورده قبل الوقت الذى كان يقوم فيه لورده فى سائر لياليه . قال : فسمعت صوتا من السماء ـ وأنا بين النائم واليقظان ـ أيها المصلح ، ما أسرع ماقمت الليلة .

حدث المصلح بأصبهان و بغداد حين قدمها حاجا . وسمع منه أبو المحاسن القرشى ، ومات قبله لخمس عشرة سنة ، والشريف الزيدى على بن أحمد .

وروى عنه من أهل بغداد أحمد البندنيجى ، و يوسف بن سعيد المقرئ وغيرهما

قال ابن النجار : سمعت أبا البركات بن الرويدشتى بأصبهان يقول : توفى محمد بن أحمد بن الحنبلى ـ يعرف بالحامى ـ أستاذ الأئمة فى يوم الأربعاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخمسمائة .

قال : وذكر لنا سبطه : أنه دفن بداره ، ثم نقل إلى باب درية رحمه الله تعالى .

وقال المنذرى : ليلة الحادى عشر . وكذا ذكره ابن نقطة ، وقال : ليلة الثلاثاء حادى عشر .

قال المنذرى : وتوفى قبله بيسير ولده أبو بكر أحمد . وكان سمع سعيد ابن أبى رجاء وغيره .

قلت : وكان يلقب أمين الدين .

١٨٨ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طلحة نصر بن أحمد ابن محمد بن جعفر البرمكى الهروى الإشْـكِيْذَبَانِى ، المحدث أبو عبد الله ، ويقال : أبو الفتح . نزيل مكة ، و إمام حطيم الحنابلة بها .

ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

وسمع بهمدان من أبي الوقت ، وأبي الفضل أحمد بن سعد بن حمان ، وأبي المحاسن هبة الله بن أحمد بن محمد بن السماك . و ببغداد من أبي المعالى بن النحاس ، وأبي المعمر بن الهاطر ، وابن البطى ، وخلق كثير و بمصر من أبي الطاهر إسماعيل بن قاسم الزيات . وبالإسكندرية من الحافظ السلفى . وحدث بمكة ، ومصر والإسكندرية ، وأقام بمكة فى آخر عمره ، وأمَّ بها فى موضع الحنابلة سنين .

وحدث عنه أبو البناء حامد بن أحمد الأرتاحي .

قال ناصح الدين بن الحنبلى : كان رجلا صالحا ، سمعت منه بقراءته جزءاً بمكة . وكان فى عزمى أننى أدخل اليمن ، وقد هيأت هدية لصاحبها من طرف دمشق ، فاستشرته ، فقال : أنت أعلم . ثم قال : قرأنا ههنا جزءاً من أيام ، لجاء فيه عن بعض السلف علامة قبول الحج : أن الإنسان ينصرف عن مكة غير طالب للدنيا ، فزهدت فى اليمن ، ورجعت عن ذلك العزم . قال : وذلك سنة تسع وثمانين .

قال المنذرى : سمع منه والدى سنة تسعين . فإما أنه توفى فى هذه السنة ، أو بعدها بيسير .

قال و« الإشكيذبانى» بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الكاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الذال المعجمة و بعدها باء موحدة مفتوحة و بعد الألف نون .

وذكره الفارسى فى تاريخه ، وقال : كان رجلا صالحاً : توفى سنة إحدى وتسعين بمكة .

وذكر المنذرى فيمن توفى سنة تسعين : الشيخ الأجل إمام الحرم مكى بن نابت — بالنون — بن زهرة الحنبلى الفزارى بمصر ليلة السابع من شهر ربيع الآخر ، ولم يزد على ذلك .

١٨٩ - إسماعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن شاه شاه البنا الأصبهاني ، المحدث أبو الحسن ، يعرف بطاهريته .

سمع الكثير ، وحصل الأصول . حدث ببغداد ، قدمها حاجاً عن فاطمة الجوزدانية ، وفاطمة بنت محمد بن أحمد البغدادي

سمع منه أبو الفتوح بن الحصري ، وأحمد بن طارق ، وعبد الرحمن بن الغزال وكان شيخاً صالحاً صدوقاً

توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى

١٩٠ - عبد المؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد بن حمدان الشيباني البغدادي الوراق ، الفقيه أبو محمد

ولد في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة ، ذكره القطيعي عنه .

وسمع ببغداد من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، وأبي القاسم بن السمرقندي وابن الطلاية ، وأبي الحسن ، وأبي بكر بن الزاغوني ، والأرموي .

وسمع بهمدان من أبي الخير الباغبان ، وغيره ، وحدث.

وسمع منه ابن القطيعي ، وقال : كان له صلاح ودين وافر .

وروى عنه ابن الدبيثي ، وابن خليل الحافظ ، فقال : أنبأنا الإمام أبو محمد عبد المؤمن الفقيه الحنبلي ، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدبية .

قال ابن القطيعي : توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

قال : وكتب إليَّ ابن شبريك : أنه توفي ليلة العيد ، سنة إحدى وتسعين .

قلت : وكذا ذكر المنذري : أنه توفي يوم عرفة ، سنة إحدى وتسعين .

وذكر ابن النجار عن ابن الدبيثي : أنه توفي يوم الإثنين ثامن ذي الحجة ، سنة إحدى وتسعين ، وعن غيره : أنه دفن بباب حرب .

١٩١ - علي بن هلال بن خميس الواسطى الفاخرانى الضرير ، الفقيه أبو الحسن ، ويلقب بمعين الدين .

ذكره المنذرى ، فقال : تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق ، وأبى الفتح صدقة بن الحسين الناسخ ، وخديجة بنت أحمد النهروانى ، وغيرهم ، وحدث .

وهو منسوب إلى « الفاخرانية » : قرية من سواد واسط .

توفى فى حادى عشر ذى الحجة ، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

١٩٢ - حامد بن محمد بن حامد الصفّار الأصبهانى ، الفقيه المحدث ، الإمام محب الدين أبو عبد الله .

سمع أباه أبا جعفر محمد ، وأبا طاهر محمد بن أبى نصر الهروى بهاجر ، وأبا الخير الباغبان ، ومسعود الثقفى والرستمى ، وعبد الجليل كوتاه ، وجماعة بأصبهان وبهمدان أبا زرعة المقدسى ، وأبا العلاء العطار .

وقدم بغداد حاجا سنة ثمان وثمانين ، وسمع بها من جماعة . وقرأ على ابن الجوزى مناقب الإمام أحمد له ، وحدث باليسير .

كتب عنه أبو عبد الله محمد بن النفيس الرزاز .

ذكره ابن النجار ، وقال : كان فقيهاً ، حنبلياً فاضلا ، وله معرفة بالحديث والأدب .

وذكر أبو الفرج بن الحنبلى : أنه لقيه بأصبهان ، وقال : كان فقيهاً على مذهب الإمام أحمد ، عارفاً بالمذهب والخلاف ، محدثاً ، ووصفه بالمروءة التامة .

١٩٣ - سعد بن عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشى ، المصرى

المولد البغدادى الدار ، الفقيه الزاهد أبو الحسين ابن الشيخ أبى عُمرو المتقدم ذكره .

خرج من مصر قديماً ، واستوطن بغداد . وقد سبق فى ترجمة أبيه سبب قدومه إلى بغداد ، وتفقه بها فى المذهب على أبى الفتح بن المنى ، ولازم درسه . وسمع من أبى محمد بن الخشاب وغيره ، وحصل له القبول التام من الخاص والعام ، وكان ورعا زاهداً عابداً .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلى فى حقه : كان مشتغلا بحفظ كتاب الوجهين والروايتين ، تصنيف القاضى أبى يعلى . وكان من الزهد ، والصلاح ، والتطهير ، والتورع فى المأكول على صفة تعجز كثيراً من المجتهدين فى العبادة .

وكان يمشى مطرق الرأس ، يلتقط الأوراق المكتوبة ، حتى اجتمع عنده من ذلك شىء كثير ، فيحمله بحمال إلى الشاطىء فيتولى غسله ، ويرسله مع الماء . وكان لا يستقضى أحداً حاجة إلا أعطاه أجره ، ولو أشعل له سراجاً .

وذاكرته فى خلوة فى القول بخلق أفعال العباد ، فأقر به ، ولم يكن على ما ذكره من مذهب والده فى ذلك ، فسررت بذلك .

ورأى رجل فى بغداد النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء ، أو كما قال .

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام ، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا ، فرموه مرات ، وكأن منادياً ينادى فى قلوب الناس ، وهو يقول : أعوذ بالله من الفتنة ، إيش بى ؟ إيش بالناس ؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم .

وقال القادسى : هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد ، ومن تشد إليه الرحال ، ومن كان لله عليه إقبال الصائم فى النهار ، القائم فى الظلام .

قدم بغداد . وسكن برباط الشيخ عبدالقادر ، وما كان يقبل من أحد شيئاً ، ولا يغشى باب أحد من السلاطين . كان ينفذ له فى كل عام شىء من ملك له بمصر يكفيه طول سنته .

حكى لى والدى ، قال : كنت أتردد إليه كثيراً ، فأتيته يوما ، فهجس فى نفسى أن لى مدة أتردد إليه ، وما حلف علىّ قط ، ولا قدم لى شيئا ، فما استتممت كلامى حتى قال لى : أىْ أحمد ، والله ما أرضى لك طعامى ، لأنه طعام شقى،قال : وأخذنى من الوجد شىء عظيم ، ثم دخل ليخرج لى من الزاد . فقلت: لوأخرج إلى رغيف فضله ،لأنتفِض به لأقوام ، فقال عجلا من داخل البيت : أى: شيخ أحمد ، بل رغيفان . قال : فزاد تحيرى ودهشتى . وكان الشيخ سعد كثير البكاء والخشوع .

قال ابن النجار : كان عبداً صالحا ، مشهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع ، والتقشف ، والقناعة ، والتعفف ، وكان خشن العيش ، مخشوشنا ، كثير الانقطاع عن الناس . وكان على غاية من الوسوسة ، والمبالغة فى الطهارة .

قال ابن النجار : حدثنى سعيد بن يوسف بن سعيد المقرئ ، قال : سمعت سعد المصرى الزاهد يقول : تجشأت مرة ، فصعد إلى حلقى شىء من الجشأ ، فغسلت حلقى ثلاث مرات ، وابتلعته ، ثم غسلت فمى ثلاث مرات أخر وأبصقه .

قلت : سامحه الله تعالى ، هذه زلة فاحشة .

قال المنذرى : كان يحمل إليه مايقتات به من مصر من جهة كانت له بها .

وقيل : إن شيخه ابن المنّى لما احتضر أوصى أن يصلى عليه الشيخ سعد ، وقد تقدم أنه صلى عليه يومئذ ، وأن الناس ازدحموا عليه للتبرك به ، حتى كاد يهلك .

قال المنذرى : توفى فى سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ساجداً فى صلاته ، ودفن من الغد .

وذكر القطيعى : أنه توفى يوم الثلاثاء ، وأنه دفن بمقبرة باب الدير بالقرب من معروف الكرخى ، رحمة الله عليه .

وذكر القادسى : أنه توفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر ، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ساجداً ، وصلى عليه بمدرسة عبد القادر ، ثم مراراً عِدة بظاهر

الحلبة ، ثم حمل إلى باب حرب ليدفن به . وكان قد حفر له به قبر ، فأقبل خدام أم الخليفة ، واستخلصوه من العامة ، وردوه إلى مقابر معروف ، إلى التل المقابل لباب تربة أم الخليفة . وكان يوم موته مشهوداً ، وتابوته بالحبال مشدوداً ، رحمه الله .

وذكر ابن النجار : أنه كان قد قرأ فى الصلاة التى توفى فيها (٥٦ : ٨٨ ، ٨٩ فأما إن كان من المُقرَّبين ، فروح وريحان وجنة نعيم) .

١٩٤ ـ إلياس بن حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبى الحجر الحرانى ، الفقيه المحدث تقى الدين أبو الفضل ابن الإمام أبى الفضل . وقد سبق ذكر أبيه.

سمع إلياس ببغداد من أبى هاشم عيسى بن أحمد الروشابى ، وشهدة ، وغيرهما .

قال ناصح الدين بن الحنبلى : وكان رفيقى فى درس شيخنا ابن المنّى . وسكن الموصل إلى أن توفى . وولى مشيخة دار الحديث بهـا . وكان حسن الطريقة ، وحدث . سمع منه بدل التبريزى .

توفى فى سلخ شوال سـنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالموصل . كذا ذكره غير واحد .

قال المنذرى : وقيل : بل سنة ثلاث وتسعين .

١٩٥ ـ مكى بن أبى القاسم عبد الله بن معالى بن عبد البـاقى بن العراد البغدادى المأمونى ، الفقيه المحدث أبو إسحاق . ويقال : أبو الحرم أيضا .

ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وسمع من ابن ناصر ، والأرموى ، والـكروخى ، وابن البطى ، وهبة الله الشبلى ، وسعد بن البنا ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت ، وخلق كثير . واعتنى بهذا الشأن . قرأ على الشيوخ ، وكتب بخطه . ولم يزل يقرأ ويسمع إلى آخر عمره . وهو ثقة .

وكان له مسجد كبير بالمأمونية يؤم فيه ، ويقرأ الحديث على المشايخ . وكان يقرأ أيضاً بجامع القصر . وهو ثقة صحيح السماع . وقد نسبه القطيعي إلى التساهل والتسامح .

وذكر عن عبد الرزاق : أنه وجد بخطه طبقة أنكرها . ووثقه ابن نقطة ، وقال : إنما تكلم فيه شيخنا ابن الحضرى ، لأنه قال : كان يكتب سماع أقوام كانوا يتحدثون إلى جانب حلقته . فأما سماعه فصحيح .

وقال الفارسى : كان صالحا خيراً ديِّناً . وقد تكلم فيه أصحاب الحديث . وقد روى عنه ابن خليل ، وقال: أنبأنا أبو الحرم مكى بن أبى القاسم الفقيه الحنبلى

وقرأت بخط أبى الحسن على بن أحمد الزيدى الحافظ الزاهد . وقد سمع منه جزءا الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو إسحاق مكى .

وروى عنه البلدانى . وأجاز لابن أبى الدينة .

وتوفى ليلة الجمعة سادس محرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . ودفن من الغد بباب حرب مجاوراً قبر بشر . رحمه الله تعالى .

١٩٦ ـ **عبد الوهاب بن عبد القادر** بن أبى صالح الجيلى ، ثم البغدادى الأزجى ، الفقيه الواعظ ، سيف الدين أبو عبد الله ابن القدوة الزاهد أبى محمد . وقد سبق ذكر والده .

وأما هو : فولد فى ثانى شعبان سنة اثنين وعشرين وخمسمائة .

وذكر أبو شامة : أنه سمع من ابن الحصين ، وابن السمرقندى وسنُّه يحتمل السماع من ابن السمرقندى ، والحضور من ابن الحصين . لكن لم أر أحداً من أهل بلده ذكروا ذلك ، وهم أعلم بحاله . ولو كان ذلك صحيحاً لقدموا هذين على بقية شيوخه . ولكن ذكر ابن القادسى : أنه سمع من ابن الحصين ، وابن الزاغونى ، وأبى غالب بن البنا ، وغيرهم .

وأسمعه والده فى صباه من أبى غالب بن البنا ، وأبى منصور القزاز ،

وأبي الفضل الأرموي، وأبي الحسن بن صرما ، وسعيد بن البنا ، وأبي الوقت وغيرهم

وقرأ الفقه على والده حتى برع فيه ، ودرس نيابة عن والده بمدرسته وهو حي ، وقد نيف على العشرين من عمره . ثم استقل بالتدريس بها بعده ، ثم نزعت منه لابن الجوزي؛ لأجل عبد السلام بن عبد الوهاب ، ثم ردت إليه بعد قبض ابن يونس .

قال ابن القادسي : كان فقيهاً مجودا ، زاهداً واعظاً ، وله قبول حسن . وتولى المظالم للناصر سنة ثلاث وثمانين . وكان كيساً ظريفا من ظرفاء أهل بغداد متماجنا . ولم يكن في أولاد أبيه أفقه منه . كان فقيهاً فاضلا ، حسن الكلام في مسائل الخلاف . له لسان فصيح في الوعظ ، وإيراد مليح مع عذوبة ألفاظ ، وحدة خاطر، وكان ظريفا لطيفا ، مليح النادرة ، ذا مزح ودعابة وكياسة . وكانت له مروءة وسخاوة . وجعله الخليفة الناصر على المظالم . وكان يوصل إليه حوائج الناس . ذكر ذلك ابن النجار .

وذكر غيره : أنه يرسل به من الديوان إلى الشام ، وأن الخليفة الناصر بنى رباط الخلاطية له . وكان له القبول التام عند العامة أيضا .

قال ناصح الدين بن الحنبلي : قال الشيخ طلحة ـ يعني العلثي ـ : قلمه سديد في الفتوى .

قال أبو شامة : قيل له يوماً في مجلس وعظه : ما تقول في أهل البيت ؟ قال: قد أعموني. وكان أعمش . أجاب عن بيت نفسه . وقيل له يوما : بأي شيء تعرف المُحقّ من المُبْطِلِ؟ قال : بليمونة . أراد : من تخضب يزول خضابه بليمونة .

وقال ابن البزوري: وعظ يوما ، فقال له شخص : ماسمعنا بمثل هذا . فقال : لا شك يكون هَذَيَان . وكان له نوادر كثيرة .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : ابن القطيعي .

وروى عنه ابن الدبيثي ، وعبد الرحمن بن الغزال الواعظ ، وابن خليل ،

وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدينة . وتوفى ليلة الأربعاء خامس عشرين شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بمدرسة والده . وحضر خلق كثير . ودفن بمقبرة الحلبة عند عبد الدائم الواعظ الذى تنسب المقبرة إليه . رحمه الله تعالى .

١٩٧ — طلحة بن مظفر بن غانم بن محمد العلثى ، الفقيه الخطيب المحدث الفرضى النضار ، المفسر الزاهد ، الورع العارف ، تقى الدين أبو محمد .

نقلت هذه الترجمة له من خط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلى . قال : نشأ فى العلث ، وهى قرية من قرى بغداد . وحفظ الكتاب العزيز . وقرأ على علىّ البطائحى ، والبرهان بن الحصرى ، وغيرهما .

وقرأ الفقه على ناصح الإسلام أبي الفتح بن المنّى ، فصار معيداً علىّ وعلى غيرى . يعنى : أنه كان يعيد لهم دروس الشيخ .

قال : وانتفعنا به كثيرا . وسمع الحديث الكثير . وقرأ صحيح مسلم فى ثلاث مجالس . وكان يقرأ كتاب «الجمهرة» على ابن القصار ، فمن سرعة قراءته وفصاحتها قال ابن القصار : هذا طلحة يحفظ هذا الكتاب . قالوا : لا . وكان يقرأ الحديث فيبكى . ويتلو القرآن فى الصلاة ويبكى . وكان متواضعاً لطيفا ، أديباً فى مناظرته ، لايسفه على أحد ، فقيراً مجرداً ، ويرحم الفقراء ، ولا يخالط الأغنياء .

حدثنى الشيخ : أن ناصح الإسلام بن المنّى ، زار رجلا من أرباب الدنيا قال: وكنت معه يعتمد على يدى ، فرأيت فى زاوية الدار صحن حلواء ، فاشتهته نفسى ، وخرجنا ولم يقدمه لنا . فنمت تلك الليلة ، فرأيت فى منامى حلواء حضرت إلىّ ، فأكلت منها حتى شبعت ، فأصبحت ونفسى لاتطلب الحلواء .

قال : وكان يقرأ عليه القرآن والفقه والحديث فى جامع العلث .

وقال الحافظ المنذرى : تفقه ببغداد على أبى الفتح بن المنى ، وأبي الفرج بن

الجوزى. وسمع بها من أبى الفتح محمد بن عبد الباقى، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وأحمد بن المبارك المرقعاتي، وعبد الحق بن عبد الخالق ، وشهدة ، وتجنى الوهبانية وجماعة كثيرة .

وقرأ بلفظه على الشيوخ . وكان حسن القراءة . وانقطع فى آخر عمره إلى العبادة ، وتعليم العلم .

قلت : وسمع على أحمد بن المقرب الكرخى أيضاً . وعنى بالحديث، ولازم أبا الفرج بن الجوزى . وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه ، فكان أديباً شاعراً فصيحا ، واشتهر اسمه ، ورزق القبول من الخلق ، وكثر أتباعه ، وانتفع به الناس .

وروى عنه يوسف بن يوسف بن خليل ، وغيره .

وروى عنه ابن الجوزى فى تاريخه حكاية ، وقال : حدثنى طلحة بن مظفر الفقيه : أنه ولد عندهم بالعلث مولود لستة أشهر ، فخرج له أربعة أضراس .

قال المنذرى : توفى فى ثالث عشر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بزاويته بالعلث . ودفن هنالك رحمه الله .

« والعَلْث » : ناحية قريبة من الحضيرة من نواحى دجيل . وهى بفتح العين المهملة وسكون اللام و بعدها ثاء مثلثة .

وخلف الشيخ ثلاثة أولاد ، وهم أبو الفرج عبد الرحمن . وكان قدوة صالحا عالما . ومكارم ، ومظفر . وكلهم سمعوا الحديث وحدثوا .

١٩٨ ـ محمود بن أحمد بن ناصر البغدادى الحرمى ، الحذاء أبو البركات .
ويقال : أبو الثناء .

سمع من ابن الطلاية ، وعبد الخالق بن يوسف ، وغيرهما . وتفقه فى المذهب. وأقرأ الفقه ، وحدث .

توفى فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ببغداد . رحمه الله .

١٩٩ - عبد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البغدادى الأزجى ، الفقيه الفرضى الأصولى المتكلم الوزير ، وزير الخليفة الناصر جلال الدين أبو المظفر بن أبى منصور بن أبى المعالى .

كان والده وكيلا لأم الخليفة الناصر . وكان ذا صدقات وإفضال على العلماء سمع من ابن الحصين ، وأبى منصور القزاز ، وحدث . وحج فى آخر عمره ، فتمتع عملا بالمذهب . وعاد ولزم بيته . ونابه ولده هذا .

وتوفى فى محرم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . وشيعه الأعيان . ودفن بالمدائن إلى جانب قبر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

وأما ولده هذا أبو المظفر : فإنه اشتغل بالعلم ، ورحل فى طلبه إلى همدان ، وقرأ بها ببعض الروايات على الحافظ أبى العلاء .

وسمع الحديث من المتأخرين ، مثل أبى الوقت ، وأبى بكر بن الزاغونى ونصر العكبرى ، وابن البطى ، وغيرهم .

وتفقه فى المذهب على أبى حكيم النهروانى ، ثم على صدقة بن الحسين . وقرأ عليهما القرآن ، وعلى صدقة الأصول والكلام . واختلف إلى جماعة من العلماء فى طلب فنون جمة من العلوم ، وبرع فى علم الفرائض والحساب والأصلين والهندسة . وصنف كتابا فى أوهام أبى الخطاب الكلوذانى فى الفرائض والوصايا ، وكتابا فى أصول الدين والمقالات . وحدث به فى ولايته الأخيرة . وسمعه منه الفضلاء . ولم يتم سماعه .

وسمع منه الحديث عبد العزيز بن دلف ، وأبو الحسن بن القطيعى ، وبالغ فى مدحه والثناء عليه .

وقال جمع : فيه خصال ، الخصلة منهن تكون فى الرجل ، فيكون من الكاملين ؛ إذ كان الله رزقه حفظ القرآن ، والعلم بالحلال والحرام ، والفرائض والكتاب والحساب ، والعلم بالنحو ، والسنّة والأخبار ، وأعطاه من شرف

الأخلاق ، وكرم الأعراق ، والمجد المؤثل ، والرأى المحصل ، والفضل والنجابة ، والفهم والإصابة ، والقريحة الصافية ، والمعرفة بكل فضل وفضيلة ، والسمو إلى كل درجة رفيعة نبيلة من محمود الخصال ، والفضل والكمال مايطول شرحه .

ثم ذكر تنقله فى الولايات حتى ولاه الخليفة الوزارة فى شوال سنة ثلاث وثمانين وجلس الخليفة له وخواص الدولة لخلعته . ثم ركب إلى الديوان و بين يديه جميع أرباب الدولة : قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ، والنقيبان ، وجميع الأمراء

وذكر غيره : أنه كان يوما وعثا ذا وجل ، وهم مشاة بين يديه . وكان قاضى القضاة قد توقف فى قبول شهادة ابن يونس ، فلم يقبلها إلا بكُرْه . حتى صار من شهوده . فكان يمشى فى ذلك اليوم و يعثر ، ويقول : لعن الله طول العمر . ومات القاضى رحمه الله فى آخر تلك السنة .

وفى سنة أربع وثمانين أرسل الخليفة الناصر الوزير ابن يونس مع عسكر عظيم لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان ، فلقيهم طغرل بقرب همدان ، فتفرق عسكر الوزير ، وثبت و بيده سيف مشهور ومصحف ، فلم يقدموا عليه ، حتى أخذ بعض خواص السلطان بعنان دابته وقادها إلى خيمته ، ثم أنزله وأجلسه ، فجاء إليه السلطان فى خواصه ووزيره ، فلزم معهم قانون الوزارة ، ولم يقم لهم فعجبوا من فعله . وكلمهم بكلام خشن ، وقال لهم : أمير المؤمنين لما بلغه عبثكم فى البلاد ، وخروجكم عن الأوامر الشرعية أمر بمجاهدتكم ، فاحترموه وأكرموه، و بقى عندهم مدة . وكان فى تلك المدة يسرد الصيام ، و يديم التهجد والتلاوة ، و يحافظ على الجماعات فى الفرائض . ثم نقلوه معهم إلى بعض بلاد أذربيجان فتلطف فى التخلص منهم ، حتى خلص . وسار إلى الموصل . وكان الخليفة قد استوزر فى هذه المدة غيره . وكان هذا الوزير الجديد قد بعث إلى أقطار البلاد فى إهلاك ابن يونس . فلما وصل إلى الموصل ، خرج أميرها وسأله المقام ليقبض عليه ، فانفلت منه ، ونزل فى سفينة و بعض حواشيه ، وانحدروا ليلا إلى تكريت ،

ففعل به من فى قلعتها كما فعل صاحب الموصل ، فتفلت منهم أيضا ، ووصل إلى بغداد ، فانتقل إلى بعض سفنها ، وتنكر ، ووصل إلى بيته بباب الأزج . ثم شاع خبره ، فطلبه الخليفة إلى داره . ولم يزل فى هذه المدة يدرس القرآن ، ويدارس الفقه ويتحفظ ما كان نسيه من أنواع العلوم . ثم ولاه الخليفة سنة خمس وثمانين أمر المخزن والديوان ، ثم جعله أستاذ الدار سنة سبع وثمانين .

وفى ولايته هذه عقد المجلس لقاضى القضاة العباسى ، وأحضر القضاة والعلماء ، أفتوا وأثبتوا فسقه لقضية كان قد حكم فيها ، وعزله ، وبقى على ولايته إلى رجب سنة تسعين ، فعزل وقبض عليه . وذلك فى ولاية ابن القصاب الوزارة .

وكان ابن القصاب رافضيا خبيثا . وكان الناصر يميل إلى الشيعة ، فسعى فى القبض على ابن يونس ، ونفى الشيخ أبا الفرج إلى واسط ، وبقى ابن يونس معتقلا إلى سنة ثلاث وتسعين ، فأخرج فى سابع‌عشر صفر ميتا . ودفن بالسرداب رحمه الله وسامحه .

وقد ذكر ابن النجار : أنه لم يكن فى ولايته محموداً . وقد علمت أن الناس لايجتمعون على حمد شخص ولا ذمه .

وأما أبو شامة فبالغ فى ذمه والحط عليه بأمور لم يقم عليها حجة . وإنما قال : ويقال : إنه فعل كذا . ومثل هذا القدح لا يكفى فى مستنده . ويقال كذا .

وكذلك ابن القادسى فى تاريخه يذمه كثيرا . وقد ذكر : أنه إذا آباه فصار ذا غرض معه .

وأما ابن الدبيثى فقال : كان فيه فضل ، وحسن سمت ووقار . وذكر : أنه لما عزل فى المرة الأخيرة أقام بمنزله .

وذكر ابن القادسى : أنه لما قبض عليه استفتى عليه أنه كان تسبب إلى كسر عسكر الخليفة ، وقتلهم ونهبهم ، وأظهر موت الخليفة وهوحى . فكتب ابن فضلان كلاما مضمونه : إباحة دم من فعل هذا . وكتب ابن الجوزى : أنه يلزمه غرامة

ماخان فيه ، وتقام عليه السياسة الرادعة . وذكر : أنه بعد القبض عليه فى داره نقل إلى محبس ضنك وَعز بالتاج . وقيل : إنه ضيق عليه وقيد .

قال : وكان فقيهاً أصوليا جَدَليا ، عالما بالحساب والفرائض ، والهندسة والجبر والمقابلة . وصنف كتاباً فى الأصول . وكان يقرأ عليه كل أسبوع ، ويحضره جماعة من العلماء ، إلا أنه شان أفعاله بسوء أعماله بأغراضه الفاسدة ، والحسد الذى كان معه ، والطرائق التى كانت غير مرضية ، فأبغضه الناس وسبُّوه . وكان فيه سودنة وجنون .

قال : وتوفى فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين . ودفن بالسرداب بدار الخلافة .

٢٠٠ – الحسن بن مسلم بن الحسن . ويقال أبى الحسن بن أبى الجود الفارسى ، ثم الحورى ، الزاهد أبو علي ، زاهد وقته .

أصله من « حوراء » : قرية من قرى دجيل من سواد بغداد ، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها : الفارسية من نهر عيسى . وكان يكتب فى الإجازة : الفارسى ، ثم الحورى .

ولد سنة أربع وخمسمائة .

وقرأ القرآن وتفقه فى المذهب . وسمع الحديث من أبى البدر الكرخى وغيره . وصحب الشيخ عبد القادر ، ثم اشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل

وكان كثير البكاء ، دائم العبادة على منهاج السلف ، ذا كرامات . ويقال : إنه كان يختم كل يوم وليلة ختمة .

ذكره ابن الدبيثى ، فقال : كان رجلا صالحا كثير العبادة ، منقطعا إلى الاشتغال بالخير . قد قرأ القرآن ، وتفقه . وسمع الحديث ، ولم يزل على طريقة حميدة . روى عن الكرخى ، ونعم الرجل كان .

وقرأت بخط أبى الفرج بن الحنبلى الدمشقى قال : سمعت الشيخ طلحة – يعنى العلثى – يقول للشيخ : حسن هذا عشرون سنة مارئى نائما أو مضطجعا .

قال : وكان مشهورا ، تزوره العامة والخاصة ، وزرناه فى قريته الفارسية ، و بتنا عنده ، وتحدث معنا ، وفرح بنا . وقال ـ وقد خضنا فى أخبار الصفات ـ : قال بعض مشايخنا : أخبار الصفات صناديق مقفلة ، مفاتيحها بيد الرحمن .

وذكره أبو شامة ، فقال : كان من الأبدال ، لازما لطريق السلف . أقام أربعين سنة لم يكلم أحدا . كذا قال . وهو بعيد جداً من حاله . وذكر من بعض كراماته من تسخير السباع له . وليس تحته كبير أمر .

قال : وسمع قاضى المارستان ، وابن الحصين ، وابن الطيورى ، وغيرهم . كذا قال . ولم يذكر هذا ابن نقطة ، ولا الدبيثى ، ولا القطيعى ، ولا المنذرى . فما أدرى من أين له هذا ؟ نعم كان فى زمنه رجل يقال له : الحسن بن عبد الرحمن ابن الحسن الفارسى الصوفى ، من صوفية رباط الزوزنى ، روى عن القاضى أبى بكر وغيره ، فلعله اشتبه عليه وهذا توفى بعد الحسن بن مسلم بسنتين ، سنة ست وتسعين

ثم رأيت ابن القادسى ذكر : أن الحسن هذا سمع من قاضى المارستان . قال : وكان أحد الزهاد الأوتاد ، والأبدال العباد ، الموصوفين بالتقى والسداد ، يصوم النهار و يقوم الليل ، بقى أربعين سنة لم يكلم فيها أحدا ، كثير الاجتهاد فى العبادة ، كثير البكاء ، غزير الدمعة ، رقيق القلب ، له الفراسة الصائبة .

حدثنى والدى قال : كنت عنده وعنده شخص وهما يتحادثان فى الزراعة ، فقلت فى نفسى : هذا زاهد ، وهو يتكلم فى حديث الدنيا ؟! فالتفت إلىّ عاجلا ، وقال : أى أحمد ، ما نصل إلى الآخرة إلا بالدنيا . وهذه الحكاية تردُّ قوله : إنه كان لايتكلم أربعين سنة .

وحدث الحسن بن مسلم ، وسمع منه جماعة ، وروى عنه ابن خليل وغيره .

وتوفى فى يوم الأحد حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة بالقادسية . ودفن من الغد برباط له بها .

وقيل : توفى يوم عاشوراء . وقيل : يوم ثانى عشر المحرم . والأول الأصح .

وهو الذى ذكره ابن نقطة والدبيثى والقادسى والمنذرى .

٢٠١ - سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد القبانى الدمشقى ، المحدث أبو الخير . ويلقب تقى الدين .

سمع من أبى المكارم عبد الواحد بن هلال ، وابن الموازينى ، وغيرهما من مشايخ دمشق . وعنى بالحديث ، وكتب بخطه ، وقرأ وخرج التخاريج للشيوخ ، وأمَّ بحلقة الحنابلة بجامع دمشق . وكان ثقة صالحا فاضلا . وابن نقطة الحافظ يعتمد على خطه ، وينقل عنه فى استدراكه .

قرأت بخط أبى الفرج بن الحنبلى عنه : كان حسن السمت ، يحفُّ شاربه ، ويقصر ثوبه ، ويأكل من كسب يده ، يعمل القبابين ، ويعتمد عليه فى تصحيحها إلى أن مات .

قال : قال لى القاضى ابن الزكى : تعجبنى طريقة أبى الخير - يعني : سلامة

روى عنه ابن خليل فى معجمه ، فقال : أخبرنا الإمام أبو الخير قراءة عليه من لفظه .

وتوفى فى سابع عشرين ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . ودفن بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٢٠٢ - محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بن عبد الملك بن إسماعيل بن علي الأصبهانى ، الواعظ أبو عبد الله .

ولد سنة إحدى - أو اثنتين - وثلاثين وخمسمائة .

وسمع من إسماعيل بن علي الحمامى ، والحسن الرستمى ، وعبد الجليل بن محمد الحافظ ، وأبو الخير الباغبان ، ومسعود الثقفى .

وسمع ببغداد من أحمد بن محمد العباسى ، وهبة الله بن الشبلى . وكان له قبول كثير عند أهل بلده . وقدم بغداد غير مرة ، وأملى بجامع القصر عشر مجالس ، كتبت عنه .

سمع منه ابن القطيعى ، وابن النجار ، وقال : كان شيخا فاضلا ، متديناً صدوقاً .

قال : وأخبرنى ولده عبد المعز الواعظ بأصبهان : أن أباه توفى ليلة الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمائة بأصبهان . رحمه الله .

٢٠٣ – عبد العزيز بن ثابت بن طاهر البغدادى المأمونى الشمعى الخياط ، المقرئ ، الفقيه الزاهد أبو منصور . ويلقب تاج الدين .

قرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير من أبى المكارم البادرائى ، وأبى الحسن ابن يوسف ، وابن الخشاب ، وشهدة ، وأكثر عن المتأخرين بعدهم .

وقرأ الفقه على الشيخ أبى الفتح بن المنى . وكتب بخطه الكثير من الحديث وغيره . وكان يقرئ الناس القرآن ، ويؤم بمسجده بالشمعية : محلة ببغداد .

قرأ عليه خلق كثير ، وحدث باليسير من رواياته ؛ لأنه مات فى أول سن الكهولة .

قال ابن النجار : كان صالحا ورعا ، متدينا كثير العبادة ، آثار الصلاح لائحة على وجهه .

وقال أبو الفرج بن الحنبلى : كان رفيقنا فى سماع درس ابن المنى ، وبلغ من الزهد والعبادة إلى حد يقال به تمسك بغداد . وكان لطيفاً فى صحبته ؛ خرجنا نزور قبر الإمام أحمد . ثم عدلنا إلى الشط ، فنزل الفقهاء يسبحون فى الشط ، فقالوا للشيخ أبى منصور : انزل معنا ، فنزع ثوبه ، ونزل يسبح معهم ، ولعبوا فى الماء ، فعمل مثلهم ، فقال له بعض الفقهاء : أين الشيخ محمود النعال يبصرك ؟ فقال : يا مسكين ، الحقُّ تعالى يبصرنا . فطاب بعض الجماعة بقوله .

قال ابن النجار : توفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسمائة . ودفن بباب حرب . رحمه الله .

٢٠٤ - تميم بن أحمد بن أحمد بن كرم بن غالب بن قتيل البنديجي ، ثم البغدادي الأزجي ، المفيد أبو القاسم بن أبي بكر بن أبي السعادات .

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة تقريباً . قاله ابن القطيعي .

وقال المنذري : سنة أربع أو خمس .

وقال ابن النجار : قرأت بخطه قال : ولدت في رجب سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وسمع الكثير من أبي بكر بن الزاغوني ، وأبي الوقت ، وأبي حكيم النهرواني والشيخ عبد القادر ،والوزير ابن هبيرة ، والقاضي أبي يعلى بن أبي خازم بن الفراء وأبي محمد بن المادح ، والمبارك بن خضير ، وأحمد بن المقرب ، وابن البطي ، والكروخي وخلق كثير من هذه الطبقة ، وممن بعدهم .

وكتب بخطه كثيراً لنفسه وللناس ، وأفاد أهل البلد ، ومواليدهم ، والغرباء كثيراً .

وكان يعتني بحفظ أسماء الشيوخ ، ومعرفة مروياتهم ، ومواليدهم ووفياتهم . وحدث باليسير ؛ لأنه مات قبل الشيخوخة .

سمع منه ابن النجار ، وتكلم فيه هو وشيخه ابن الأخضر ، وأجاز للحافظ المنذري .

توفي يوم السبت ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله .

٢٠٥ — عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ابن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرشي التيمي البكري البغدادي ، الحافظ المفسر ، الفقيه الواعظ ، الأديب جمال الدين أبو الفرج ، المعروف بابن الجوزي ، شيخ وقته ، و إمام عصره .

واختلف فى هذه النسبة ، فقيل : إن جده جعفر نسب إلى فرضه من فرض البصرة ، يقال لها : جوزة .

وفرضة النهر : ثلمته التى يستقى منها ، وفرضة البحر : محط السفن . ذكر هذا غير واحد .

قال المنذرى : هو نسبة إلى موضع يقال له : فرضة الجوز .

وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز .

وقيل : بل كانت بداره فى واسط جوزة ، لم يكن بواسط جوزة سواها .

واختلف أيضاً فى مولده ، فقيل : سنة ثمان وخمسمائة .

وقال القادسى : ذكره الشيخ عن أخيه أبى محمد : أنه أخبره بذلك .

وقيل : سنة تسع . وقيل : سنة عشر .

ووجد بخطه : لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى فى سنة أربع عشرة ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . فعلى هذا : يكون مولده سنة إحدى عشرة ، أو اثنى عشرة .

وقال ابن القطيعى : سألته عن مولده ؟ فقال : ما أحق الوقت ، إلا أننى أعلم أنى احتلمت فى سنة وفاة شيخنا ابن الزاغونى : وكان توفى سنة سبع وعشرين .

قلت : وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة .

ووجد بخطه تصنيف له فى الوعظ ، ذكر : أنه صنف سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وقال : ولى من العمر سبع عشرة سنة .

قال ابن القطيعى : وحكى لى أنه كان يسمى المبارك إلى سنة عشرين وخمسمائة وقال : سمانى وأخواى شيخنا بن ناصر : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الرازق . وإنما كنا نعرف بالكنى .

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب . فلما توفى والده ـ وهو صغير ـ كفلته

أمه وعمته . وكان أهله تجارا فى النحاس ، فلهذا يوجد فى بعض سماعاته القديمة : ابن الجوزى الصفار . ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبى الفضل بن ناصر ، فاعتنى به وأسمعه الحديث . وقد قيل : إن أول سماعاته سنة ست عشرة وخمسمائة .

وحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء . وقد قرأ بالروايات فى كبره بواسط على ابن الباقلانى . وسمع بنفسه الكثير ، وقرأ وعنى بالطلب .

قال فى أول مشيخته : حملنى شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ فى الصغر ، وأسمعنى العوالى ، وأثبت سماعاتى كلها بخطه ، وأخذ لى إجازات منهم . فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتى تجويد العُدد لا تكثير العدد . ولما رأيت من أصحابى من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخى ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً . ثم ذكر فى هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً .

وقد سمع من جماعة غيرهم ، لكنه اقتصر على أكابر الشيوخ ومواليهم ، فمنهم ابن الحصين ، والقاضى أبو بكر الأنصارى ، وأبو بكر المزرفى ، وأبو القاسم الحريرى ، وعلى بن عبد الواحد الدينورى ، وأبو السعادات المتوكلى ، وأبو غالب ابن البنا ، وأخوه يحيى ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو الحسن على بن أحمد الموحد ، وأبو غالب الماوردى ، وأبو الحسن بن الزاغونى ، وأبو منصور بن خيرون ، وأبو القاسم السمرقندى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وعبد الملك الكروخى ، وأبو القاسم عبد الله بن محمد الأصبهانى خطيبها ، وأبو سعد الزوزنى ، وأبو سعد البغدادى ، ويحيى بن الطراح ، وإسماعيل بن أبى صالح المؤذن ، وأبو القاسم على ابن معلى العلوى الهروى الواعظ ، وأبو منصور القزاز ، وعبد الجبار بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن مندة . وتفرد بالرواية عن طائفة منهم ، كالمتوكل والدينورى .

وسمع الكتب الكبار ، كالمسند ، وجامع الترمذى ، وتاريخ الخطيب . وله فيه فوات جزء واحد .

وسمع صحيح البخارى على أبى الوقت ، وصحيح مسلم بنزول ، ومالا يحصى من الأجزاء ، وتصنيف ابن أبى الدنيا وغيرها . ووعظ وهو صغير جداً .

قال : حملنى ابن ناصر إلى أبى القاسم العلوى الهروى فى سنة عشرين ، فلقننى كلمات من الوعظ ، وجلس لوداع أهل بغداد مستنداً إلى الرباط الذى عند السور فى الحلبة ، ورقانى يومئذ المنبر ، فقلت الكلمات ، وحرز الجمع بخمسين ألفاً .

ثم صحب أبا الحسن بن الزاغونى ، ولازمه ، وعلق عنه الفقه والوعظ .

وذكر القادسى : أنه تفقه على أبى حكيم ، وأبى يعلى بن الفراء .

وكذا ذكر ابن النجار : أنه بعد وفاة ابن الزاغونى قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبى بكر الدينورى ، والقاضى أبى يعلى الصغير ، وأبى حكيم النهروانى . وصار مفيد المدرسة

وقرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى . ولما توفى ابن الزاغونى فى سنة سبع وعشرين طلب حلقته ، فلم يعطها لصغره ؛ فإنه كان فى ذلك العام قد احتلم كما تقدم فحضر بين يدى الوزير ، وأورد فصلا فى المواعظ ، فأذن له فى الجلوس فى جامع المنصور .

قال : فتكلمت فيه ، فحضر مجلسى أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء ، منهم عبد الواحد بن سيف ، وأبو على بن القاضى ، وأبو بكر بن عيسى وابن قثامى ، وغيرهم . ثم تكلمت فى مسجد معروف ، وفى باب البصرة ، و بنهر المعلى ، فاتصلت المجالس ، وقوى الزحام ، وقوى اشتغالى بفنون العلوم . وسمعت على أبى بكر الدينورى الفقه ، وعلى أبى منصور بن الجواليقى اللغة . وتتبعت مشايخ الحديث ، وانقطعت مجالس أبى على الراذانى ـ يعنى الذى أخذ حلقة شيخه ابن الزاغونى ـ واتصلت مجالسى ؛ لكثرة اشتغالى بالعلم .

واشتهر أمر الشيخ أبو الفرج من ذلك الوقت ، وأخذ فى التصنيف والجمع وقد كان بدأ بالتصنيف من قبل ذلك .

وذكر : أنه سرد الصوم مدة ، واتبع الزهاد ، ثم رأى أن العلم أفضل من كل نافلة فانجمع عليه ، ونظر فى جميع الفنون ، وألف فيها . وكانت أكثر علومه يستفيدها من الكتب ، ولم يحكم ممارسة أهلها فيها ، وعظم شأن الشيخ فى ولاية الوزير ابن هبيرة . وكان يتكلم عنده فى داره كل جمعة . ولما ولى المستنجد الخلافة خلع عليه خلعة مع الشيخ عبد القادر ،وغيره من الأكابر ، وأذن له فى الجلوس بجامع القصر قال : فتكلمت . وكان يحزر جمع مجلسى على الدوام بعشرة آلاف ، وخمسة عشر ألفاً .

قال : وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون فى المذاهب ، فأعاننى الله سبحانه وتعالى عليهم . وكانت كلمتنا هى العليا . وكان الشيخ رحمه الله يظهر فى مجالسه مدح السنة ، والإمام أحمد وأصحابه ، ويذم من يخالفهم ، ويصرح بمذاهبهم فى مسائل الأصول ، لاسيما فى مسألة القرآن . وكلامه فى كتبه الوعظية فى ذلك كثير جداً .

وقال يوماً على المنبر : أهل البدع يقولون : مافى السماء أحد ،ولافى المصحف قرآن ، ولا فى القبر نبيّ ، ثلاث عورات لكم .

وقدم مرة إلى بغداد واعظ يقال له : البروى ، فتعصب فى كلامه على الحنابلة كثيراً ، فلم تطل مدته حتى هلك . وكان فى تلك الأيام قد غدا سباع أسود للشيعة ، وخرجوا للقائه ، فانبط ووقع ميتاً ، فضاقت صدورهم لذلك ، فجلس الشيخ عقيب ذلك ، وقال فى أثناء كلامه : كم أبرق مبتدع بأصحاب أحمد وأرعد فخطى يوما له وهو بالعيش الأرغد ، وأما أنت يا أبعد ، فإن أردت أن تموت ، وإن أردت أن تحرد . مات البروى وانبط الأسود .

ومن كلامه فى بعض المجالس : من مبلغ أحمد بن حنبل ، إن زرع كيف أقول مالم يقل سنبل ؟ .

وقيل له مرة : قلّل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن ، فأنشد :

أتوب إليك يارحمن مما جنيت ، فقد تعاظمت الذنوب
وأما من هوى ليلى وتركى زيارتها ، فإنى لا أتوب

وقال له قائل : مافيك عيب إلا أنك حنبلى ، فأنشد :

وعيرنى الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال : أهذا عيبى ، ولا عيب فى وجه نقط صحنه بالخال ؟ وأنشد .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وكتب إليه رجل فى رقعة : والله ، ما أستطيع أراك ، فقالى أعمش وشمس ، كيف يراها ؟ ثم قال : إذا خلوت فى البيت غرست الدُّرَّ فى أرض القراطيس ، وإذا جلست للناس دفعت بدرياق العلم سموم الهوى ؛ أحميكم عن طعام البدع ، وتأبون إلا التخليط ، والطبيب مبغوض .

وكان الشيخ أبو الفرج معيداً عند الشيخ أبى حكيم النهرواني . وكان قد قرأ عليه الفقه أيضاً والفرائض بالمدرسة التى بناها ابن السمحل بالمأمونية . وكان لأبي حكيم مدرسة بباب الأزج . فلما احتُضر أسندها إلى أبى الفرج ، فأخذها جميعاً بعده .

وفى خلافة المستضىء قوى اتصال الشيخ أبى الفرج ، وصنف له الكتاب الذى سماه « المصباح المضىء فى دولة المستضىء » وصنف كتاباً آخر لما خطب للمستضىء بمصر ، وانقطع أثر العبيديين عنها ، سماه : «النصر على مصر» وعرضه عليه ، وحضر عنده ، ثم أذن له فى سنة ثمان وستين أن يجلس للوعظ فى باب بدر بحضرة الخليفة ، وأعطاه مالا .

قال الشيخ : فأخذ الناس أماكن من وقت الضحى للمجلس بعد العصر وكانت هنالك دكاك فأكريت ، حتى إن الرجل كان يكترى موضعا لنفسه بقراطين وثلاثة .

قال : وكنت أتكلم أسبوعا ، وأبو الخير القزوينى أسبوعا ، وجمعى عظيم وعنده عدد يسير . ثم شاع أن أمير المؤمنين لايحضر إلا مجلسى ، وذلك فى الأشهر الثلاثة .

قال : ثم تقدم إلىّ بالجلوس بباب بدر يوم عرفة ، فحضر الناس من وقت الضحى . وكان الحرّ شديداً ، والناس صيام .

قال : ومن أعجب ما جرى أن حمالا حمل على رأسه داربونة من وقت الظهر إلى وقت العصر ظلل بها من الشمس عشرة أنفس ، فأعطوه خمس قراريط ، واشتريت مراوح كثيرة بضعف ثمنها ، وصاح رجل يومئذ : قد سرق منى الآن مائة دينار فى هذه الزحمة ، فوقع له أمير المؤمنين بمائة دينار .

قال : وفى هذه السنة عقدت المجلس بجامع المنصور يوم عاشوراء ، وحضر من الجمع ماحرز بمائة ألف ، وجرى فى سنة تسع مثل ذلك أيضاً .

قال : وسألنى أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلسا للوعظ ليلة . فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول ـ يعنى سنة تسع ـ وانقلبت بغداد ، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة ، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب ، فتلقانى أهلها بالشموع الكثيرة ، وصحبنى منها خلق عظيم فلماخرجت من باب البصرة رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها ، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة ، فحزرت بألف شمعة . ومارأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء . وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون وكان الزحام فى البرية كالزحام بسوق الثلاثاء ، فدخلت الحربية وقد امتلأ الشارع وأكريت الرواشين من وقت الضحى . ولو قيل : إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا فى الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين فى المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ، ما أبعد القائل .

قال : وفى هذا الشهر ختن الوزير ابن رئيس الرؤساء أولاده ، وعمل الدعوة العظيمة وأنفذ إلى أشياء كثيرة ، وقال : هذا نصيبك ؛ لأنى علمت أنك لاتحضر مكانا يغنى فيه . ثم إن الشيخ أبا الفرج بنى مدرسة بدرب دينـار ، ودرس بها سنة سبعين . وذكر أول يوم تدريسه بها أربعة عشر درسا من فنون العلم .

قال : وفى هذه السنة انتهى تفسيري فى القرآن فى المجلس على المنبر ، إلى

أن تم ، فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ماعرفت أن واعظاً فسر القرآن كله فى مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، ثم ابتدأت فى ختمة أفسرها على الترتيب والله قادر على الإنعام والإتمام ، والزيادة من فضله .

قال : وتقدم إلىّ بالجلوس تحت المنظرة فى رجب ، فتكلمت يوم الخميس خامس رجب بعد العصر ، وحضر السلطان ، وأخذ الناس أماكنهم من بعد صلاة الفجر ، وأكريت دكاكين ، فكان موضع كل رجل بقيراط ، حتى إنه اكترى دكاناً لثمانية عشر رجلا بثمانية عشر قيراطاً ، ثم جاء رجل فأعطاهم ستة قراريط حتى جلس معهم . وكان الناس يقفون يوم مجلسى من باب بدر إلى باب النوبى كأنه العيد ، ينظر بعضهم بعضاً ، و ينظرون قطع المجلس .

قال : وفى شعبان سلمت إلى المدرسة التى للجهة «بنفشا» وكانت قد سلمتها إلى أبى جعفر بن الصباغ ، فبقى المفتاح معه أياماً ، ثم استعادت منه المفتاح ، وسلمته إلى من غير طلب كان منى ، وكتبت فى كتاب الوقف : إنها وقف على أصحاب أحمد ، وأسندتها إلىّ ، ثم كتبت على حائطها : اسم الإمام أحمد ، وأنها مفوضة إلى ناصر السنة ابن الجوزى . وتقدم إلىّ بذكر الدرس فيها . وحضر قاضى القضاة وحاجب الباب ، وفقهاء بغداد وخلعت علىّ خلعة ، وخرج الدعاة بين يديّ والخدم ، ووقف أهل بغداد من باب النوبى إلى باب المدرسة كما يكون فى العيد وأكثر . وكان على باب المدرسة ألوف ، وألقيت يومئذ دروساً كثيرة من الأصول والفروع وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله ، ودخل على قلوب أهل المذاهب غم عظيم . وتقدم ببناء دكة لنا فى جامع القصر . فانزعج لهذا جماعة من الأكابر ، وقالوا : ماجرت عادة الحنابلة بدكة ، فبنيت ، فجلست فيها يوم الجمعة ثالث رمضان .

وذكر بعض أصحاب أبى حنيفة فى الإفطار بالأكل — يعنى ناسياً — واعترضت عليه يومئذ ، وازدحمت العوام حتى امتلأ صحن الجامع ، ولم يمكن الأكثرين حصول النظر إلينا ، وحفظ الناس بالرجالة ، خوفاً من فتنة ، وما زال

الزحام على حلقتنا كل جمعة . ثم ذكر مجالسه سنة إحدى وسبعين بباب بدر ، وحضور الخليفة عنده غير مرة ، وازدحام الناس من نصف الليل . وكان يعظ هو وأبو الخير القزويني .

قال : وبعث إلىّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين : والله ، ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجالسك ، وإنما تلمحنا مجلس غيرك يوما وبعض يوم آخر

قال : حدثني بعض خدم الخليفة : أن الخليفة حضر يوماً المجلس متحاملا ؛ لمرض حصل له ، ولولا شدة محبتك لما حضر ، لما كان اعتراه من الألم .

وحدثني صاحب المخزن ، قال : كتب إلىّ أمير المؤمنين فى كلام كنت ذكرته : هل وقع ماذكره فلان بالفرض ؟ فكتب أمير المؤمنين : ماعلى ماذكره فلان مزيد .

قال : وكان الرفض فى هذه الأيام قد كثر ، فكتب صاحب المخزن إلى الخليفة : إن لم تُقَوِّ يدَ ابن الجوزى لم يطق دفع البدع . فكتب الخليفة بتقوية يدىّ ، فأخبرت الناس ذلك على المنبر ، وقلت : إن أمير المؤمنين ، قد بلغه كثرة الرفض ، وقد خرج توقيعه بتقوية يدىّ فى إزالة البدع ، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبرونى حتى أنقض داره ، وأخلده الحبس ، فإن كان من الوعاظ حذرته إلى المثال ، فانكفّ الناس.

قال : وتكلمت يوم عرفة بباب بدر ، فكان مجلسا عظيما ، تاب فيه خلق كثير ، وقطعت شعور كثيرة ، وكان السلطان حاضراً ، ثم فى يوم عاشوراء سنة اثنين وسبعين ، تكلمت بباب بدر ، وامتلأ المكان من السحَر ، وطلع الفجر وليس لأحد طريق ، فرجع الناس وامتلأت الطرق بالناسِ قياماً ، يتأسفون على فوت الحضور ، وقام من يتكلم فى المجلس ، فبعث أمير المؤمنين فكتبت ظلامته .

قال : وفى جمادى الآخرة ، عبرت إلى جامع المنصور ، فوعظت فيه بعد

العصر ، واجتمع الناس ، فحزز الجمع مائة ألف ، ورجعنا إلى نهر معلى والناس ممتدون من باب البصرة كالشراك إلى الجسر . وكان يوماً مشهوداً . ثم ذكر مجالسه فى هذه السنة ، قريباً مما تقدم بباب بدر .

قال : وكان يوم المجلس تغلق أبواب المكان بعد الظهر لشدة الزحام ، فإذا جئت بعد العصر فتح لى ، وزاحم معى من يمكنه أن يزاحم .

قال : وفى رمضان ، تقدم إلىَّ بالجلوس فى دار ظهير الدين صاحب المخزن ، وحضر أمير المؤمنين ، وأذن للعوام فى الدخول ، وتكلمت فأعجبهم ، حتى قال ظهير الدين : قد قال أمير المؤمنين : ما كان هذا الرجل آدمى ؛ لما يقدر عليه من الكلام ، وذكر مجالسه سنة ثلاث وسنة أربع بنحو ماتقدم .

قال : وتكلمت يوم عاشوراء ، سنة أربع تحت منظرة باب بدر ، وأمير المؤمنين حاضر ، فقلت : لو أنى مثلت بين يدى السدة الشريفة ، لقلت : ياأمير المؤمنين : كن لله سبحانه مع حاجتك إليه ، كما كان لك مع غناه عنك ، إنه لم يجعل أحداً فوقك ، فلا ترضى أن يكون أحد أشكر له منك . فتصدق أمير المؤمنين يومئذ بصدقات ، وأطلق محبوسين .

قال : وتقدم أمير المؤمنين فى هذه السنة بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد ، ونقضت السترة جميعها ، و بنيت بآجر مقطوع جديد ، و بنى لها جانبان ، و بنى اللوح الجديد ، وفى رأسه مكتوب : هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام المستضىء بالله . وفى وسطه مكتوب : هذا قبر تاج السنة ، وحيد الأمة ، العالى الهمة ، العالم العابد ، الفقيه الزاهد . زاد القطيعى : الورع المجاهد ، العامل بكتاب الله ، وسنة رسول الله .

قال : واستعظم كثير من الناس أمره بكتابة الإمام أحمد على لوحة ، فإن عادة الخلفاء لا يقال لغير الخليفة : إمام الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله . وكتب تاريخ وفاته ، وآية الكرسى .

قال : وتـكلمت فى جامع المنصور هذه الأيام . فبات ليلته فى الجامع خلق كثير . وختمت الختمات . واجتمع الناس بكثرة . فحرز الجمع بمائة ألف . وتاب خلق كثير . وقطعت شعورهم ، ثم نزلت فمضيت إلى قبر أحمد . فتبعنى خلق كثير حرزوا بخمسة آلاف .

قال : و بنى للشيخ أبى الفتح بن المنى دكة فى موضع جلوسه فى الجامع . فتأثر أهل المذاهب من ذلك ، وجعل الناس يقولون لى : هذا بسببك ، فإنه ماارتفع هذا المذهب عند السلطان حتى مال إلى الحنابلة إلا بسماع كلامك ، فشكرت الله تعالى على ذلك . ولقد قال لى صاحب المخزن : مايخرج إلىّ شىء من عند السلطان فيه ذكرك ، إلاو يثنى عليك ، وقال له يوماً بختاج الخادم : أنت تتعصب لفلان ؟ فقال له : والله مايتعصب له سيدك إلا بقدر ماتتعصب له خمسين مرة ، وما يعجبه كلام غيره .

وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء يقول : مادخلت قط على الخليفة إلا أجرى ذكر فلان ، يعنينى .

قال الشيخ : وصار لى اليوم خمس مدارس ، ومائة وخمسين مصنفاً فى كل فن وقد تاب على يدى أكثر من مائة ألف ، وقطعت أكثر من عشرة آلاف طائلة ، ولم ير واعظ مثل جمعى ، فقد حضر مجلسى الخليفة والوزير ، وصاحب المخزن ، وكبار العلماء ، والحمد لله على نعمه .

وذكر فى هذه السنة : أنه تـكلم يوماً بحضرة الخليفة ، وحكى له موعظة شيبان للرشيد ، قال : وقلت له فى كلامى : ياأمير المؤمنين ، إن تـكلمت خفت منك ، و إن سكت خفت عليك ، وأنا أقدم خوفى عليك على خوفى منك .

قال ابن القطيعى : سمعت من أثق به . قال : لماسمع أمير المؤمنين المستضىء ابن الجوزى ينشد تحت داره :

ستنقلك المنـــايا عن ديارك   وَيُبْدِلُكَ الردى داراً بدارك

وتترك ما عنيت به زماناً وتنقل من غناك إلى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرعى وترعى عين غيرك في ديارك !

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول : أي والله : وترعى عين غيرك في ديارك ! ويكررها ويبكي حتى الليل .

وحاصل الأمر : أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ، ولم يسمع بمثلها . وكانت عظيمة النفع ، يتذكر بها الغافلون ، ويتعلم منها الجاهلون ، ويتوب فيها المذنبون ، ويسلم فيها المشركون . وقد ذكر في تاريخه : أنه تكلم مرة ، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل ، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم .

وقال في آخر كتاب القصاص ، والمذكرين له : مازلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل : وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة . وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف .

قال : ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول : صحيح ، أو حسن أو محال . ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ ، وربما قرئت عندي في المجلس خمسة عشرة آية ، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال .

وقال سبطه أبو المظفر : أقل ما كان يحضر مجالسه عشرة آلاف ، وربما حضر عنده مائة ألف ، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة . وكان زاهداً في الدنيا ، متقللا منها ، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره : كتبت بإصبعيّ هاتين ألفي مجلدة ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني .

قال : وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام ، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس . وما مازح أحداً قط ، ولا لعب مع صبي ، ولا أكل من جهة لا يتيقّن حِلّها . وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى .

وقال ابن القطيعي : انتفع الناس بكلامه ، فكان يتوب فى المجلس الواحد مائة وأكثر فى بعض الأيام . وكان يجلس بجامع المنصور يوما أو يومين فى السنة. فتغلق المحال ، ويحرز الجمع بمائة ألف .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ فى حق الشيخ أبى الفرج : اجتمع فيه من العلوم مالم يجتمع فى غيره . وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد ، ونظاف النـاس ، وحسن الكلمات المسجعة والمعانى المودعة فى الألفاظ الرائجة ، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة ، والنغمات المطربة ، وصيحات الواجـدين ، ودمعات الخاشعين ، وإنابة النـادمين ، وذل التائبين ، والإحسان بما يفاض على المستمعين ، من رحمـة أرحم الراحمين . ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل ، ولا لعب ولا لها ، ولاسافر إلا إلى مكة . ولقد كان فيه جمال لأهل بغداد خاصة ، وللمسلمين عامة ، ولمذهب أحمد منه ما لصخرة بيت المقدس من المقدس . حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء ، ومجالسه بدرب دينار فى مدرسته ومجالسه بباب الأزج على شاطىء دجلة ، وسمعت عليه مناقب الإمام أحمـد ، وبعثت إليه من دمشق ، فنقل سماعى بخطه وسيره إلىّ ، وحضرت معـه فى دعوتين . فكان طيب النفس على الطعام . وكانت مجالسه أكثر فائدة من مجالسته .

وذكره الحافظ ابن الدبيثى فى ذيله على تاريخ ابن السمعانى ، فقال : شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزى صاحب التصانيف فى فنون العلم : من التفاسير ، والفقه ، والحديث ، والوعظ ، والرقائق ، والتواريخ ، وغير ذلك . وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه . والوقوف على صحيحه من سقيمه . وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال . ومعرفة ما يحتج به فى أبواب الأحـكام والفقه ، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة . والانقطاع والاتصـال . وله فى الوعظ العبارة الرائقة . والإشارات الفائقة . والمعانى الدقيقة . والاستعارة الرشيقة .

وكان من أحسن الناس كلاما . وأتمهم نظاما ، وأعذبهم لسانا ، وأجودهم بيانا . و بورك له فى عمره وعمله . فروى الكثير ، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة ، وحدث بمصنفاته مرارا .

قال : وأنشدنى بواسط لنفسه :

ياساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق
وأعدَّ زاداً للرحيل فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع تنهل من سحب المآقى
يا من أضاع زمانه أرضيت ما يفنى بباق

قال : وأنشدنى :

إذا رضيت بميسور من القوت أصبحت فى الناس حراً غير ممقوت
ياقوت نفسى إذا مادر خلقك لى فلست آسى على درّ وياقوت

وقال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزى لطيف الصورة ، حلو الشمائل رخيم النغمة ، موزون الحركات والنغمات ، لذيذ المفاكهة . يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون . لايضيع من زمانه شيئاً ، يكتب فى اليوم أربعة كراريس ، ويرتفع له كل سنة من كتابته مابين خمسين مجلداً إلى ستين .

وله فى كل علم مشاركة ، لكنه كان فى التفسير من الأعيان ، وفى الحديث من الحفاظ ، وفى التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كافٍ . وأما السجع الوعظى فله فيه ملكة قوية ، إن ارتجل أجاد ، وإن روى أبدع .

وله فى الطب كتاب « اللقط » مجلدان . وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة ، وذهنه حِدّة . جُلّ غذائه الفراريج والمزاوير . ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات . ولباسه أفضل لباس: الأبيض الناعم المطيب .

ونشأ يتيما على العفاف والصلاح . وله ذهن وقّاد ، وجواب حاضر ، ومجون لطيفة ، ومداعبات حلوة ، لا ينفك من جارية حسناء .

وذكر غير واحد : أن الشيخ أبا الفرج تشرب حب البلاد ، فسقطت لحيته ، فكانت قصيرة جداً . وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات . وصنف فى جواز الخضاب بالسواد مجلدا .

وذكره ابن البزورى فى تاريخه ، وأطنب فى وصفه ، وقال : أصبح فى مذهبه إماماً يشار إليه ، ويعقد الخنصر فى وقته عليه . ودرس بعدة مدارس، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ، ووقف عليها كتبه . وبرع فى العلوم ، وتفرد بالمنثور والمنظوم وفاق على أدباء عصره ، وعلا على فضلاء دهره . وله التصانيف العديدة . سئل عن عددها ؟ فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا . منها ماهو عشرون مجلدا ومنها ما هو كراس واحد . ولم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنفا . كان أوحد زمانه ، وما أظن الزمان يسمح بمثله .

قال : وكان إذا وعظ اختلس القلوب ، وتشققت النفوس دون الجيوب .

وذكره العماد الكاتب فى الخريدة ، وابن خلكان والحموى ، وابن النجار ، وأبو شامة وغيرهم ، وأثنوا عليه مع أن اشتهاره بالعلوم والفضائل يغنى عن الإطناب فى ذكره ، والإسهاب فى أمره . فلقد بلغ ذكره مبلغ الليل ، وسارت بتصانيفه الركبان إلى أقطار الأرض ، وانتفع الناس بها انتفاعا بيِّناً .

قال ابن النجار ـ بعد ذكره نبذة من أسماء مصنفاته ـ : من تأمل ماجمعه بان له حفظه وإتقانه ، ومقداره فى العلم . وكان رحمه الله مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله ، وله نصيب من الأذواق الصحيحة ، وحظ من شرب حلاوة المناجاة . وقد أشار هو إلى ذلك . ولا ريب أن كلامه فى الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبى مجرد عن الذوق ، بل كلام مشارك فيه .

وقد ذكر ابن القادسى فى تاريخه : أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار . وله معاملات . ويزور الصالحين إذا جن الليل ، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل ،

ولا يكاد يفتر عن ذكر الله . وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن[1]

كذا قال . وهذا بعيد جداً . مع اشتغاله بالتصانيف .

قال: ورأى رب العزة فى منامه ثلاث مرات. ومع هذا فللناس فيه ـ رحمه الله ـ كلام من وجوه .

منها : كثرة أغلاطه فى تصانيفه . وعذره فى هذا واضح ، وهو أنه كان مكثرا من التصانيف ، فيصنف الكتاب ولا يعتبره ، بل يشتغل بغيره . وربما كتب فى الوقت الواحد فى تصانيف عديدة . ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة . ومع هذا فكان تصنيفه فى فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب فى تلك العلوم ، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث ، ولهذا نقل عنه أنه قال : أنا مُرتِّب، ولست بمصنف .

ومنها : ما يوجد فى كلامه من الثناء ، والترفع والتعاظم ، وكثرة الدعاوى . ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف ، والله يسامحه .

ومنها ـ وهو الذى من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين ـ من ميله إلى التأويل فى بعض كلامه ، واشتد نكرهم عليه فى ذلك . ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإن كان مطلعا على الأحاديث والآثار فى هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بحل شبهة المتكلمين ، وبيان فسادها . وكان معظماً لأبى الوفاء بن عقيل ، يتابعه فى أكثر ما يجد فى كلامه ، وإن كان قد ورد عليه فى بعض المسائل . وكان ابن عقيل بارعاً فى الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار . فلهذا يضطرب فى هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه . وأبو الفرج تابع له فى هذا التلون .

قال الشيخ موفق الدين المقدسى : كان ابن الجوزى إمام أهل عصره فى الوعظ ، وصنف فى فنون العلم تصانيف حسنة . وكان صاحب قبول . وكان

---

(١) وتقدم قريباً : أن سبطه أبا المظفر قال : وكان يختم القرآن فى كل أسبوع . وهذا يبطل ما ذكره ابن القادسى فى تاريخه .

يدرس الفقه و يصنف فيه . وكان حافظا للحديث . وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه فى السنة ، ولا طريقته فيها . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفا وأعجبه صنف مثله فى الحال ، وإن لم يكن قد تقدم له فى ذلك الفن عمل ؛ لقوة فهمه ، وحِدَّة ذهنه ، فربما صنف لأجل ذلك الشىء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه . وقد كان شيخه ابن ناصر يثنى عليه كثيرا . ولما صنف أبو الفرج كتابه المسمى بـ « التلقيح » وله إذْ ذاك نحو الثلاثين من عمره ، عرضه على ابن ناصر ، فكتب عليه : قرأ عليَّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج ، فوجدته قد أجاد تصنيفه ، وأحسن تأليفه ، وجمعه ولم يسبق إلى مثل هذا الجمع ؛ فقد طالع كتبا كثيرة ، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ ، فنظمه عقداً زان به التصانيف ، التى تجمعت من التواريخ ، ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكناهم وأعمارهم ، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم ، فنفعه الله بعلمه ، ونفع به ، و بلغه غاية العمر ؛ لينفع المسلمين ، و ينصر السنة وأهلها ، و يدحض البدع وحزبها .

قال الشيخ أبو الفرج : ولقد كنت أَرُدُّ أشياء على شيخنا أبى الفضل بن ناصر ، فيقبلها منى .

وحدثنى أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر عن شيخنا أنه كان يقول عنى : إذا قرأ عليّ فلان استفدت بقراءته ، وأذكرنى ما قد نسيته .

وأما تصانيفه فكثيرة جدا . وقد تقدم عنه أنه ذكر أنها مائة وأربعون ، أو مائة وخمسون وزيادة على ثلاثمائة وأربعين . وقد قيل : أكثر من ذلك .

قال الإمام أبو العباس ابن تيمية فى أجوبته المصرية : كان الشيخ أبو الفرج مفتيا كثير التصنيف والتأليف . وله مصنفات فى أمور كثيرة ، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف . ورأيت بعد ذلك له ما لم أره .

قال : وله من التصـانيف فى الحديث وفنونه ما لم يصنف مثـله . قد انتفع الناس به . وهو كان من أجود فنونه : وله فى الوعظ وفنونه مالم يصنف مثله .

ومن أحسن تصانيفه : ما يجمعه من أخبار الأولين ، مثل « المناقب » التى صنفها ، فإنه ثقة ، كثير الاطلاع على مصنفات الناس ، حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والـكتابة . وكان من أحسن المصنفين فى هذه الأبواب تمييزا ؛ فإن كثيرا من المصنفين فيه لا يميز الصدق فيه من الـكذب .

وكان الشيخ أبو الفرج فيه من التمييز ما ليس فى غيره . وأبو نعيم له تمييز وخبرة، لـكن يذكر فى الحلية أحاديث كثيرة موضوعة. فهذه المجموعات التى يجمعها الناس فى أخبار المتقدمين من أخبار الزهاد ومناقبهم ، وأيام السلف وأحوالهم ، مصنفات أبى الفرج أسلم فيها من مصنفات هؤلاء ، ومصنفات أبى بكر البيهقى أكثر تحريرا لحق ذلك من باطله من مصنفات أبى الفرج ؛ فإن هذين كان لهما معرفة بالفقه والحـديث ، والبيهقى أعلم بالحـديث ، وأبو الفرج أكثر علوماً وفنوناً .

قال ابن القطيعى فى تاريخه : ناولنى ابن الجوزى كتاباً بخطه فيـه فهرست التصانيف لى ، وأظن ابن القطيعى زاد فيها أشياء أخر .

قال أبو الفرج : أول ما صنفت وألفت ـ ولى من العمر نحو ثلاث عشرة سنة ـ : «ثبت التصانيف المتعلقة بالقرآن وعلومه» ، كتاب «المغنى» فى التفسير ، أحد وثمانون جزءا ، كتاب « زاد المسير فى علم التفسير » أربع مجلدات ، كتاب « تيسير البيان فى تفسـير القرآن » مجلد ، كتاب « تذكرة الأريب فى تفسـير الغريب » مجلد ، و « غريب الغريب » جزء ، كتاب « نزهة العيـون النواظر فى الوجوه والنظائر » مجلد . واختصرت من هذا الـكتاب كتابا يسمى بالوجوه النواضر فى الوجوه والنظائر » مجلد ، كتاب « الإشارة إلى القراءة المختارة » أربعة

أجزاء ، كتاب « تذكرة المنتبه فى عيون المشتبه » جزء ، كتاب « فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن» مجلد ، كتاب «ورد الأغصان فى فنون الأفنان » جزء ، كتاب«عمدة الراسخ فى معرفة المنسوخ والناسخ » خمسة أجزاء «المصفا بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ » جزء ، « ثبت التصانيف فى أصول الدين » ، كتاب « منتقد المعتقد » جزء ، كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول خمسة أجزاء ، كتاب « بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد » جزء ، « غوامض الإلهيات » جزء ، « مسلك العقل » جزء ، «منهاج أهل الإصابة » ، « السرّ المصون » مجلد ، « دفع شبه التشبيه » أربعة أجزاء « الرد على المتعصب العنيد » ، « ثبت التصانيف فى علم الحديث والزهديات » ، كتاب « جامع المسانيد بألخص الأسانيد » ، كتاب « الحدائق » أربعة وثلاثون جزءا ، كتاب « نفى النقل » خمسة أجزاء ، كتاب «المجتبى» مجلد ، كتاب «النزهة» جزآن ، كتاب « عيون الحكايات » مجلد ، كتاب « ملتقط الحكايات » ثلاثة عشر جزءا ، كتاب « إرشاد المريدين فى حكايات السلف الصالحين » مجلد ، كتاب « روضة الناقل» جزء ، كتاب «غرر الأثر» ثلاثون جزءا كتاب « التحقيق فى أحاديث التعليق » مجلدان ، كتاب «المديح» سبعة أجزاء ، كتاب«الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » مجلدان ، كتاب « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » مجلدان ، كتاب « الكشف لمشكل الصحيحين » أربع مجلدات ، كتاب « الضعفاء والمتروكين » مجلد ، كتاب « إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه » مجلد، كتاب « أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » جزء ، كتاب « السهم المصيب » جزآن « أخاير الذخائر » ثلاثة أجزاء « الفوائد عن الشيوخ » ستون جزءا ، « مناقب أصحاب الحديث » مجلد ، « موت الخضر » مجلد « مختصرة » جزء ، «المشيخة » جزء ، « المسلسلات » جزء ، « المحتسب فى النسب » مجلد ، « تحفة الطلاب » ثلاثة

أجزاء ، « تنوير مدلهم الشرف » جزء ، « الألقاب » جزء . إلى هنا .

زاده ابن القطيعي : كتاب « فضائل عمر بن الخطاب » مجلد ، فضائل عمر ابن عبد العزيز » مجلد ، « فضائل سعيد بن المسيب » مجلد ، « فضائل الحسن البصري » مجلد ، « مناقب الفضيل بن عياض » أربعة أجزاء ، « مناقب بِشر الحافي » سبعة أجزاء ، « مناقب إبراهيم بن أدهم » ستة أجزاء ، « مناقب سفيان الثوري » مجلد ، « مناقب أحمد بن حنبل » مجلد ، « مناقب معروف الكرخي » جزآن . « مناقب رابعة العدوية » جزء ، « مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن » مجلد ، « صفوة الصفوة » خمس مجلدات ، « منهاج القاصدين » أربع مجلدات « المختار من أخبار الأخيار » مجلد ، « القاطع لمحال اللحجاج بمحال الحجاج » جزء ، « عجالة المنتظر ، لشرح حال الخضر » جزء . كتاب « النساء وما يتعلق بآدابهن » مجلد ، كتاب « علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أمّ الرسول » جزء ، كتاب « الجوهر » ، كتاب « المغلق » ، « ثبت مايتعلق بالتواريخ » « تلقيح فهوم أهل الأثر ، في عيون التواريخ والسير » مجلد ، كتاب « المنتظم ، في تاريخ الملوك والأمم » عشر مجلدات ، كتاب « شذور العقود ، في تاريخ المعهود » مجلد ، كتاب « طرائف الظرائف ، في تاريخ السوالف » جزء ، « مناقب بغداد » مجلد ، « ثبت المصنفات في الفقه » ، « الإنصاف في مسائل الخلاف » كتاب « جُنة النظر ، وجنة النظر » وهي التعليقة الوسطى ، كتاب « معتصر المختصر في مسائل النظر » وهي دون تلك ، كتاب « عمد الدلائل ، في مشتهر المسائل » وهي التعليقة الصغرى ، كتاب « المذهب في المذهب » ، « مسبوك الذهب » مجلد ، كتاب « النبذة » جزء ، كتاب « العبادات الخمس » جزء ، كتاب « أسباب الهداية لأرباب البداية » مجلد ، كتاب « كشف الظلمة عن الضياء ، في رد دعوى » ، كتاب « رد اللوم والضيم ، في صوم يوم الغيم » جزء ، « ثبت المصنفات في علوم الوعظ » ، كتاب « اليواقيت في الخطب » مجلد ، « المنتخب في النوب »

مجلد ، « منتخب المنتخب » مجلد ، « مصنفاته فى الوعظ » أكثر من مائة مجلدة قاله ابن القادسى ، « منتخب المنتخب » مجلد ، « نسيم الرياض » مجلد ، « اللؤلؤ » مجلد ، « كنز المذكر » مجلد ، كتاب « الأرج » مجلد ، كتاب « اللطائف » مجلد ، كتاب « كنوز الرموز » مجلد ، كتاب « المقتبس » مجلد ، « زين القصص » مجلد ، « موافق المرافق » مجلد ، « شاهد ومشهود » مجلد ، « واسطات العقود من شاهد ومشهود » مجلد ، « اللهب » جزآن ، « المدهش » مجلدان ، « صبا نجد » جزء ، « محادثة العقل » جزء ، « لقط الجمان » جزء ، « معانى المعانى » جزء ، « فتوح الفتوح » مجلد ، « التعازى الملوكية » جزء ، « العقد المقيم » جزء كتاب « إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات » جزآن ، « نكث المجالس البدرية » جزآن ، « نزهة الأديب » جزآن ، « منتهى المنتهى » مجلد « تبصرة المبتدئ » عشرون جزءاً ، كتاب « الياقوتة » جزآن ، كتاب « تحفة الوعاظ » مجلد ، « ثبت تصانيف فى فنون ذم الهوى » مجلدان ، « صيد الخاطر » خمسة وستون جزءاً ، كتاب « أحكام الإشعار ، بأحكام الإشعار » عشرون جزءاً ، كتاب « القصاص ، والمذكرين » كتاب ، « تقويم اللسان » مجلد كتاب « الأذكياء » مجلد ، « الحمقى » مجلد ، « تلبيس إبليس » مجلدان ، « لقط المنافع فى الطب » مجلدان ، « الشيب والخضاب » مجلد ، « أعمار الأعيان » جزء ، « الثبات عند الممات » جزآن ، « تنوير الغبش ، فى فضل السود والحبش » مجلد ، « الحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ » جزء ، « إشراف الموالى » جزآن كتاب « إعلام الأحياء ، بأغلاط الأحياء » ، كتاب « تحريم المحل المكروه » جزء ، كتاب « المصباح المضىء لدعوة الإمام المستضىء » مجلد . كتاب « عطف العلماء على الأمراء ، والأمراء على العلماء » جزء ، كتاب « النصر على مصر » جزء ، « المجد العضدى » مجلد ، « الفجر النورى » مجلد ، « مناقب الستر الرفيع » جزء ، « ما قلته من الأشعار » جزء ، « المقامات » مجلد ، « من رسائلى » جزء ، « الطب الروحانى » جزء .

فهذا مانقله ابن القطيعى من خطه ، وقرأه عليه ، وزاد فيه . ومع هذا ، فلأبى الفرج تصانيف كثيرة غير ماذكر فى هذا الفهرست ، كأنه صنفها بعد ذلك

فمنها : كتاب « بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب » ستة عشر جزءاً ، كتاب « الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب » وهو تعليقه فى الفقه كبير ، كتاب « الوفا بفضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم » مجلدان ، كتاب « النور فى فضائل الأيام والشهور » مجلد ، « تقريب الطريق الأبعد ، فى فضائل مقبرة أحمد » ، كتاب «مناقب الإمام الشافعى » ، كتاب « العزلة » كتاب«الرياضة» كتاب «منهاج الإصابة فى محبة الصحابة» ، «فنون الألباب» ، «الظرفاء والمتحابين» ، «تقويم اللسان » «مناقب أبى بكر» مجلد « مناقب عليّ» مجلد ، « فضائل العرب » مجلد ، « درة الإكليل فى التاريخ » أربع مجلدات . ذكره سبطه ، « الأمثال » مجلد ، « المنفعة فى المذاهب الأربعة » مجلدان ، «المختار من الأشعار» عشر مجلدات ، « رءوس القوارير » مجلدان ، «المرتجل فى الوعظ » مجلد كبير، «نسيم الرياض» مجلد ، « ذخيرة الواعظ » أجزاء ، « الزجر المخوف » ، « الأنس والمحبة » « المطرب الملهب » « الزند الورى فى الوعظ الناصرى» جزآن ، « الفاخر فى أيام الإمام الناصر » مجلد ، « المجد الصلاحى » مجلد ، « لغة الفقه » جزآن . وقيل : إن له غيره ، عقد الخناصر فى« ذم الخليفة الناصر » وكتاب فى ذم عبد القادر ، «غريب الحديث» مجلد ، « ملح الأحاديث» جزآن « الفصول الوعظية على حروف المعجم » ، « سلوة الأحزان » عشر مجلدات « المشوق فى الوعظ » ، « المجالس اليوسفية فى الوعظ » كتبها لابنه يوسف ، « الوعظ المقبرى » جزء ، « قيام الليل » ثلاثة أجزاء ، « المحادثة » جزء ، « المناجاة » جزء ، « زاهر الجواهر فى الوعظ » أربعة أجزاء ، « كنز المذكر » « النجاة الخواتيم » جزآن ، « المرتقى لمن اتقى » وتصانيف أخر غير هذه .

وسمعت أن له حواشى على صحاح الجوهرى ، وما أخذ عليها . واختصر

فنون ابن عقيل فى بضعة عشر مجلداً .

قال الحافظ الذهبى : ماعلمت أن أحداً من العلماء ، صنف ماصنف هذا الرجل .

ومن لفظ كلامه الحسن فى المجالس ، قال : قال يوماً وقد طرب أهل مجلسه : فهمتم ؟ فهمتم ؟ وقام إليه سائل ، فقال : كيف أصادق من ذا وقته ؟ فقال : ماذا وقته .

وقال يوماً : شهوات الدنيا أنموذج ، والأنموذج يعرض ولا يقبض .

وقال مرة : من وقف على صراط الاستقامة ، و بيده ميزان المراقبة ، ومحك الورع يستعرض أعمال النفس ، و يرد البهرج إلى كير التوبة ، سلم من رد الناقد يوم التنقيض .

وقال يوماً : بقايا الشهوات ، فى سوق الهوى متبهرجات ، يمسكن ثياب الطبع ، فإن خرج الزاهد من بيت عزلته خاطر بذنوبه .

وسأله رجل يوماً : أيما أفضل ، أُسَبِّحُ ، أَمْ أَسْتَغْفِرُ ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور .

وقال فى حديث « أعمار أمتى مابين الستين إلى السبعين » : إنما طالت أعمار الأوائل لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة . قيل : حُثّوا المطي .

ومن كلامه الحسن : من قنع طاب عيشه . ومن طمع طال طيشه .

وقال لصاحب له : أنت فى أوسع العذر من التأخر عنى لثقتى بك ، وفى أضيقه من شوقى إليك .

وسأله سائل فأجاب ، فقال السائل : ما فهمت ، فأنشد :

علىَّ نصب المعانى فى مناصبها فإن كبت دونها الأفهام لم أَلَمِ

وسئل : كيف ضرب عمر بالدرّة الأرض ؟ فقال : الخائن خائف ، والبرىء جرىء

وذكر الوفاء ، فقال : ما أعرف الوفى . وما فىّ .

وتاب على يده يوماً بعض الخدم ، فقال : لما عدم آلة الشهوة صلح لصحبة

الملوك . فخرج الخادم على وجهه ، فقال : من يعطيه قصة يوصلها ؟ وقال : الدنيا دار الإله ، والمتصرف فى الدار بغير أمر صاحبها لص .

وقيل له : إن فلاناً وصى عند موته . فقال : يا مفرطين ماتطينون سطوحكم إلا فى كانون .

وسأله سائل : أيجوز أن أفسح لنفسي فى مباح الملاهى ؟ فقال : عند نفسك من الغفلة ما يكفيها . فلا تشغلها بالملاهى ملاهى .

قال يوماً فى قول فرعون : (٤٣ : ٥١ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى) : ويحه . افتخر بنهر ما أجراه ، ماأجراه..

وقرىء بين يديه (٣٢ : ١٦ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) فقال : لاتحلوا ، رزمة رفيعة ، فما عندنا مشترى .

وسئل يوماً : ماتقول فى الغناء ؟ فقال : أقسم بالله لهوَ لهوٌ . وقال : ماعَزّ يوسف إلا بترك ماذل به ما عز .

وقال : ما نفشت غنم العيون النواظر فى زروع الوجوه النواضر إلا وأغير على السرح .

وقال : المتعرض للنبلة أبله .

وقرىء بين يديه يوماً (٥٥ : ٢٦ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) فقال : والله هذا توقيع بخراب البيوت .

وقال يوماً فى مناجاته : إلهى لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولاقدماً تمشى إلى خدمتك ، ولايداً تكتب حديث رسولك . فبعزتك لا تدخلنى النار ؛ فقد علم أهلها أنى كنت أذبّ عن دينك .

ومنه : ارحم عبرة ترقرق على ما فاتها منك . وكبداً تحترق على بعدها عنك . إلهى ، علمى بفضلك يطمعنى فيك ، ويقينى بسطوتك يؤيسنى منك ، وكلما رفعت

ستر الشوق إليك ، أمسكه الحياء منك . إلهي ، لك أذل ، وبك أذل ، وعليك أدُل ، وأنشد :

أحيي بذكرك ساعة وأموت لولا التعلل بالمنى لفنيت

وللشيخ أبي الفرج أشعار حسنة كثيرة . قال أبو شامة : قيل : إنها عشر مجلدات ، فما أنشده عنه القطيعي :

ولما رأيت ديار الصفا أقوت من إخوان أهل الصفاء
سعيت إلى سد باب الوداد وأحزن قلبي وفاة الوفاء
فلما اصطحبنا وعاشرتكم علمت أن رأيي ورائي

قال : وأنشدنا لنفسه :

يا صاحبي ، هذى رياح أرضهم قد اخبرت شمائل الشمائل
نسيمهم سحيرى الريح ما تشبهه روائح الأصائل ؟
ما للصبا مولعة بذى الصبا أو صبا فوق الغرام القاتل ؛
ما للهوى العذرى فى ديارنا أين العذيب من قصور بابل
لا تطلبوا ثاراتنا يا قومنا ديارنا فى أذرع الرواحل
لله در العيش فى ظلالهم ولى وكم أسار فى المفاصل
واطربى إذا رأيت أرضهم هذا وفيها رميت مقاتلى
يا درة الشيخ سقيت أدمعى ولا ابتليت بالهوى مسائلى
ميلك عن زهو وميلى عن أسى ما طرب المخمور مثل الثاكل

قال : وأنشدنا لنفسه :

سلام على الدار التي لا نزورها على أن هذا القلب فيها أسيرها
إذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها توقد فى نفس الذكور سعيرها
رحلنا وفى سر الفؤاد ضمائر إذا هب نجدى الصبا يستثيرها
سحت بعدكم تلك العيون دموعها فهل من عيون بعدها تستعيرها ؟
أتنسى رياض الروض بعد فراقها وقد أخذ الميثاق منك غديرها

يجمــــده مر الشمال وتارة   يغازله كر الصبــــا ومرورها
ألا هل إلى شم الخزامى وعرعر   وشيخ بوادى الأثل أرض تسيرها
ألا أيها الركب العراق بلغوا   رسالة محزون حواه سطورهـــا
إذا كتبت أنفاسه بعض وجدها   على صفحة الذكرى محاه زفيرها
ترفق رفيقى، هل بدت نار أرضهم   أم الوجد يذكى ناره ويثيرهـا ؟
أعد ذكرهم فهو الشفا وربمـا   شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
ألا أين أيام الوصال التى خلت   وحيث خلت حلت وجا مريرها
سقى الله أياما مضت ولياليـــا   تضوع رياها وفاح عبيرهـا

قال : وأنشدنا لنفسه :

إذا جزت بالغور عرج يمينا   فقــــد أخذ الشوق منا يمينا
وسلم على بانة الواديين   فإن سمعت أو شكت أن تبينا
وملى نحو غصن بأرض النقى   وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصح فى مغانيهم : أين هم ؟   وهيهات أموا طريقا شطونا
ورو ثرى أرضهم بالدموع   وخل الضلوع على ما طوينا
أراك يشوقك وادى الأراك   أللدار تبكى أم الظاعينا ؟
سقى الله مرتعنـــــا بالحمى   وإن كان أورث دآء دفينا
وعاذله فوق داء المحب   رويدا رويدا بنا قد بلينا
لمن تعذلين أما تعذرين   فلو قد تبعت دفعت الأنينا
إذا غلب الحب ضاع العتاب   تعبت وأتعبت لو تعلمينـا

ومما ينسب إليه من الشعر :

تملكوا واحتــــكموا   وصار قلبى لهم
تصرفوا فى ملكهم   فلا يقال : ظلموا
إن واصلوا محبهم   أو قطعوا فهم هم
أصبر لما شاءوا   وإن ساء الذى قد حكموا

يا أرض سلع خبري   وحـــــدثيني عنهم
يا ليت شعري إذ حدوا   أأنجدوا أم اتهموا
تشتاقهم أرض منى   وتشـكيهم زمزمُ

أخبرنا أبو الفتح الميدومي — بمصر — أخبرنا أبو الفرج الحراني — سماعا — قال : قرئ على الإمام أبي الفرج ابن الجوزي — وأنا أسمع — لنفسه .

يا نادبا أطلال كل نادي   وباكيا في إثر كل حادي
مستلب القلب بحب غادة   غدت فإن البين بالفؤادي
مهلا فما اللذات إلا خدع   كأنها طيف خيال غادي
أين المحب الحبيب بعدا   وانذرا من بعد بالبعاد
فكل جمع فإلى تفرق   وكل باق فإلى نفاد
مواعظ بليغة فيا لها   مواعظ وارية الزناد

قرأ على الشيخ أبي الفرج العلم جماعة ، منهم طلحة العلثي ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران . وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه « زاد المسير » في التفسير قراءة بحث ومراجعة .

وسمع الحديث وغيره من تصانيفه منه خلق لايحصون كثرة من الأئمة والحفاظ والفقهاء وغيرهم .

وروى عنه خلق ، منهم ولده الصاحب محي الدين ،وسبطه أبو المظفر الواعظ والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغني وابن الدبيثي ، وابن القطيعي ، وابن النجار ، وابن خليل ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف الحراني . وهو خاتمة أصحابه بالسماع .

وروى عنه آخرون بالإجازة . آخرهم الفخر علي بن البخاري . وقد نالته محنة في آخر عمره رحمه الله . وحديثها يطول .

وملخصها : أن الوزير ابن يونس الحنبلي الذي قدمنا ترجمته كان في ولايته

قد عقد مجلساً للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى ، وأحرقت كتبه . وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأى الأوائل شيء كثير ، وذلك بمحضر من ابن الجوزى وغيره من العلماء ، وانتزع الوزير منه مدرسة جده ، وسلمها إلى ابن الجوزى .

فلما ولى الوزارة ابن القصاب ـ وكان رافضيا خبيثا ـ سعى فى القبض على ابن يونس ، وتتبع أصحابه ، فقال له الركن : أين أنت عن ابن الجوزى فإنه ناصبى ، ومن أولاد أبى بكر ، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس ، وأعطاه مدرسة جدى ، وأحرقت كتبى بمشورته ؟ فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر وكان الناصر له ميل إلى الشيعة ولم يكن له ميل إلى الشيخ أبى الفرج ، بل قد قيل : إنه كان يقصد أذاه ، وقيل : إن الشيخ ربما كان يعرض فى مجالسه بذم الناصر ، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام ، فجاء إلى دار الشيخ وشتمه ، وأغلظ عليه وختم على كتبه وداره ، وشتت عياله .

فلما كان فى أول الليل حُمل فى سفينة وليس معه إلا عدوه الركن ، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل ، وعلى رأسه تخفيفة ، فأحدر إلى واسط . وكان ناظرها شيعيا . فقال له الركن : مكنى من عدوى لأرميه فى المطمورة ، فزبره ، فقال يا زنديق ، ارميه بقولك ، هات خط الخليفة ، والله لو كان من أهل مذهبى لبذلت روحى . ومالى فى خدمته ، فعاد الركن إلى بغداد .

قال ابن القادسى : لما حضروا واسط جمع الناس ، وادعى ابن عبد القادر على الشيخ : أنه تصرف فى وقف المدرسة ، واقتطع من مالها كذا وكذا ، وكذب فيما ادعاه ، وأنكر الشيخ ، وصدق وبر ، وأفرد للشيخ دار بدرب الديوان ، وأفرد له من يخدمه ، و بقى الشيخ محبوسا بواسط فى دار بدرب الديوان ، وعلى بابها بواب . وكان بعض الناس يدخلون عليه ، ويستمعون منه ، ويملى عليهم . وكان يرسل أشعاراً كثيرة إلى بغداد . وأقام بها خمس سنين يخدم نفسه بنفسه ، ويغسل ثوبه ويطبخ ، ويستقى الماء من البئر ، ولا يتمكن من خروج إلى حمام

ولا غيره وقد قارب الثمانين . ويقال : إنه بقى خمسة أيام فى السفينة حتى وصل إلى واسط لم يأكل فيها طعاما .

وذكر عنه أنه قال : قرأت بواسط مدة مقامى بها كل يوم ختمة ، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزنى على ولدى يوسف .

والذى ذكره أبو الفرج بن الحنبلى عن طلحة العلثى : أن الشيخ كان يقرأ فى تلك المدة ما بين المغرب والعشاء ثلاثة أجزاء أو أربعة من القرآن . وبقى على ذلك من سنة تسعين إلى سنة خمس وتسعين ، فأفرج عنه ، وقدم إلى بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه ، وفرح به أهل بغداد فرحاً زائداً ، ونودى له بالجلوس يوم السبت ، فصلى النـاس الجمعـة ، وعبروا يأخذون مكانات موضع المجلس عند تربة أم الخليفة . فوقع تلك الليلة مطر كثير ملأ الطرقات ، فأحضر فى الليل فراشون وروزجارية ، فنظفوا موضع الجلوس وفرشوا فيه دقاق الجص والبوارى ، ومضى الناس وقت المطر إلى قبر معروف تحت الساباط ، حتى سكن المطر ، ثم جلس الشيخ بكرة السبت وعبر الخلق، وحضر أرباب المدارس والصوفية ومشايخ الربط ، وامتلأت البرية حتى ما كان يصل صوت الشيخ إلى آخرهم .

وكان السبب فى الإفراج عن الشيخ : أن ولده محيي الدين يوسف ترعرع وأنجب ،وقرأ الوعظ ووعظ ، وتوصل وسـاعدته أم الخليفة ، وكانت تتعصب للشيخ أبى الفرج فشفعت فيه عند ابنها الناصر ، حتى أمر بإعادة الشيخ ، فعاد إلى بغداد ، وخلع عليه ، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ ، وأنشد :

شقينا بالنوى زمنا فلما ... تلاقينـا كأنا ما شقينا
سخطنا عند ماجنت الليالى ... فمـا زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم شقينا ... بكاسات الصدود وكم فَنِينا
فمن لم يحيى بعدالموت يوما ... فإنا بعد ما متنـا حيينـا

ولم يزل الشيخ على عادته الأولى فى الوعظ ، ونشر العلم وكتابته إلى أن مات .

قال سبطه أبو المظفر : جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان ـ يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة ـ تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي. وكنت حاضرا ، فأنشد أبياتا قطع عليها المجلس ، وهي هذه :

الله أسأل أن يطول مدتى ... وأنال بالإنعام ما فى نيتى
لى همة فى العلم ما من مثلها ... وهى التى جَنت النحول هى التى
حلقت من الفلق العظيم إلى المنى ... دعيت إلى نيل الكمال فلبّت
كم كان لى من مجلس لو شبهت ... حالاته لتشبهت بالجنة
اشتاقه لما مضت أيامه ... عللا وتعذر ناقة إن حنت
يا هل لليلات بجمع عودة ... أم هل إلى وادى منى من نظرة ؟
قد كان أحلى من تصاريف الصبى ... ومن الحمام مغنيا فى الأيكة
فيه البديهات التى ما نالها ... خلق بغير مخمر ومبيت
برجاحة وفصاحة وملاحة ... تقضى لها عدنان بالعربية
وبلاغة وبراعة ويراعة ... ظن النباتى أنها لم تنبت
وإشارة تبكى الجنيد وصحبه ... فى رقة ما نالها ذو الرمة

قال أبو شامة : هذه الأبيات أظنها كان نظمها فى أيام محنته، إذ كان محبوساً بواسط ؛ فمعانيها دالة على ذلك . والله أعلم .

ثم قال أبو المظفر : ثم نزل عن المنبر ، فمرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين العشائين فى داره بقطفتنا .

قال : وحكت لى والدتى أنها سمعته يقول قبل موته : إيش أعمل بطواويس ؟ يرددها . قد جئتم لى هذه الطواويس . وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينة وضياء الدين بن الجبير وقت السحر . واجتمع أهل بغداد ، وغلقت الأسواق، وجاء أهل المحال ، وشددنا التابوت بالحبال ، وسلمناه إليهم ، فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه ، فصلى عليه ابنه أبو القاسم علىّ اتفاقا ؛ لأن الأعيان لم يقدروا على

الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور ، فصلوا عليه ، وضاق بالناس . وكان يوما مشهودًا ، لم يصل إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة . وكان فى تموز ، وأفطر خلق كثير ممن صحبه ، رموا أنفسهم فى خندق الطاهرية فى الماء ، وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا القليل ، ونزل فى الحفرة والمؤذن يقول : الله أكبر ، وحزن الناس عليه حزنا شديداً ، و بكوا عليه بكاء كثيرا ، و باتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات .

قال : ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربى على منبر من ياقوت مُرصَّع بالجوهر ، والملائكة جلوس بين يديه ، والحق تعالى حاضر يسمع كلامه .

قلت : وأنبأنى أبو الربيع على بن عبد الصمد بن أحمد بن أبى الجيش عن أبيه قال : قال عفيف الدين معتوق القليوبى : رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول :

لعمرك قد أوذى وعطل منبر وأعيى على المستفهمين جواب

قال : فانتبهت من نومى ، فقلت : ترى أى شىء قد جرى ؟ فجاءنا الخبر وقت العصر بموت الشيخ ابن الجوزى ، فقلت :

ولم يبق من يرجى لإيضاح مشكل وأصبح ربع العلم وهو خراب

ثم قال أبو المظفر : أصبحنا عملنا عزاه ، وتكلمت فيه ، وحضر خلق عظيم ، وأنشد القادرى العلوى :

الدهر عن طمع يغرّ ويخدع وزخارف الدنيا الدنية تطمع
وأعنة الآمال يطلقها الرجى طمعا وأسياف المنية تقطع
والموت آتٍ ، والحياة مريرة والناس بعضهم لبعض يتبع
واعلم بأنك عن قليل صائر خبرا فكن خبراً بخير يسمع
لُعلاَ أبى الفرج الذى بعد التقى والعلم يوم حواه هذا المجمع
خبرٌ ، عليه الشرع أصبح والِها ذا مقلة حرا عليه تدمع
مَن للفتاوى المشكلات وحلّها من ذا لخرق الشرع يوما يرفع ؟

من للمنابر أن يقوم خطيبها ولرد مسألة يقول فيسمع ؟
من للجدال إذا الشفاه تقلصت وتأخر القوم الهزبر المصقع ؟
من للدياجى قائما ديجورها يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع
أجمال دين محمد ، مات التقى والعلم بعدك ، واستحم المجمع
يا قبره جادتك كل غمامة هطالة ركانة لا تقلع
قيل الصلاة مع الصلاة فتِهْ به وانظر به يارمل ماذا يصنع
يا أحمد ، أخذ أحمد الثانى الذى ما زال عنك مدافعا لا يرجع
أقسمت لو كشف الغطا لرأيتم وفد الملائك حوله تتسرع
ومحمد يبكى عليه وآله خير البرية والبطين الأنزع

وذكر تمام القصيدة .

قال : ومن العجائب : أنا كنا جلوسا عند قبره بعد انفضاض العزاء ، وإذا بخالى محيي الدين يوسف قد صعد من الشط ، وخلفه تابوت ، فعجبنا وقلنا : ترى من مات فى الدار ؟ وإذا بها خاتون أم ولد جدى ، والدة محيي الدين ، وعهدى بها فى ليلة الجمعة التى مات فيها جدى فى عافية ، قائمة ليس بها مرض ، فكان بين موتها وموته يوم وليلة ، وعدّ الناس ذلك من كراماته ؛ لأنه كان مغرى بها فى حال حياته ، وأوصى جدى أن يكتب على قبره :

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فرحمه الله تعالى وغفر له ، ورحم سائر علماء المسلمين .

قال أبو المظفر : وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة ، أولهم :

أبو بكر عبد العزيز . وهو أكبر أولاده ، تفقه على مذهب أحمد . وسمع أبا الوقت ، وابن ناصر ، والأرموى ، وجماعة من مشايخ والده .

وسافر إلى الموصل ، ووعظ ، وحصل له القبول التام ، فيقال : إن بنى الشهرزورى حسدوه ، فدسُّوا إليه من سقاه السم ، فمات بالموصل سنة أربع وخمسين فى حياة والده .

والثانى : أبو القاسم علىّ . كتب الكثير . وسمع من ابن البطى وغيره . وكانت طريقته غير مرضية ، وهجره أبوه سنين .

توفى سنة ثلاثين وستمائة . وله ثمانون سنة .

وأبو محمد يوسف . أستاذ دار المستعصم . وسنذكره إن شاء الله فى موضعه من هذا الكتاب .

ومما يذكر من مناقب الشيخ أبى الفرج : ما ذكره هو فى تاريخه فى ترجمة مرجان الخادم . وكان قد قرأ القرآن وشيئاً من الفقه ، وتزهد . وله مكانة عند الخليفة ، إلا أنه كان يتعصب على الحنابلة فوق الحد ، حتى إن الوزير ابن هبيرة عمل بمكة حطيما يصلى فيه إمام الحنابلة ، فمضى مرجان وقلعه من غير إذن الخليفة

قال أبو الفرج : وناصبنى دون الكل ، و بلغنى : أنه كان يقول : مقصودى قلع المذهب . فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى إلى الخليفة ، فقال : عنده كتب من كتب الوزير ، فقال الخليفة : هذا محال ؛ فإن فلانا كان عند أحد عشر دينارا لأبى حكيم ، وكان حشريا ، فما فعل فيها شيئاً ، حتى طالعنا . قال : فنصرنى الله عليه ودفع شره .

قال : وحدثنى سعد الله البصرى ـ وكان رجلا صالحا . وكان مرجان حينئذ فى عافية ـ قال : رأيت مرجان فى المنام ومعه اثنان ، كل واحد قد أخذ بيد ، فقلت إلى أين ؟ قالا : إلى النار ، قلت : لماذا ؟ قالا : كان يبغض ابن الجوزى .

قال : ولما قويت عصبته لجأت إلى الله تعالى ليكفينى شره ، فما مضت إلا أيام حتى أخذه السلال ، فمات فى ذى القعدة سنة ستين بعد ابن هبيرة بأشهر .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدوى ـ بفسطاط مصر ـ أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزى الحافظ ، أخبرنا

القاضي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله الأصبهانى سنة عشرين وخمسمائة ، أخبرنا عبد الرزاق عن موسى بن شمة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء ، أخبرنا أبو يعلى الموصلى ، وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز قالا : حدثنا على بن الجعد ، أخبرنا شعبة وهشيم وحماد بن سلمة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث » .

أخرجه البخارى عن آدم عن شعبة ، ومسلم عن يحيى عن هشيم ، كلاهما عن عبد العزيز . و به قال ابن الجوزى .

وأنبأنا أبو الحسن على بن عبد الواحد الدينورى ، أخبرنا أبو الحسن على بن عمر القزوينى ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، حدثنا أبو القاسم البغوى حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة ، حدثنى أبو حمزة ، سمعت ابن عباس يقول : « إن وفد عبد القيس ، لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرهم بالإيمان بالله ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم » .

أخرجه البخارى عن علي بن الجعد ، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن غندر ، كلاهما عن شعبة .

ذكر شىء من فتاويه وفوائده :

ذكر : أنه استفتى فى زمن المستضىء فى إقامة الجمعة بجامع ابن المطلب ببغداد ، قال : فلم أرَ جوازه ؛ لأن الجمعة إنما جعلت لتكون علماً للإسلام بكثرة الجموع ، وإظهار مايكبت المشركين ، فإذا كان فى كل محل جمعة ، صارت كصلاة الظهر .

قال : وأجاز ذلك بعض من ينسب إلى الفقه ، وعلل بأن كل محلة صارت منقطعة عن غيرها للخراب الذى استولى على الأرض ، فأشبهت القرى ، قال : ولا أرتضى هذا التعليل .

قلت : وهذا يقتضى اتفاقهم على أنه مع اتصال العمارة لا يجوز ذلك ، لكن هذا مع عدم الحاجة .

وذكر أنه استفتى فى رجل من الفقهاء ، قال : إن عائشة قاتلت علياً رضى الله عنهما . فصارت من البغاة . وكان قد خرج توقيع المستضىء بتعزيره .

قال : فقلت — بعد ماقال الفقهاء عليه — هذا رجل ليس له علم بالنقل ، وقد سمع أنه قد جرى قتال ، ولعمرى أنه قدجرى قتال ، ولكن ماقصدته عائشة ولا علي ، إنما أثار الحرب سفهاء الفريقين ، ولولا علمنا بالسير ؛ لقلنا مثل ماقال وتقرير مثل هذا أن يقر بالخطأ بين الجماعة ، فيصفح عنه .

قال : فكتب إلى الخليفة بذلك ، فوقَّع : إذا كان قد أقر بالخطأ ، فيشترط عليه أن لا يعاود ، ثم أطلق .

وذكر فى كتابه « تلبيس إبليس » إنكار الذكر بالليل على المآذن ، ونحوها ، فإنه قال : قد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة ، فيعظ ويذكر ، ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع ، فيمنع الناس من نومهم ، ويخلط على المتهجدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات .

٢٠٦ — هبة الله بن عبد الله بن هبة الله بن محمد السامرى ، ثم البغدادى الحريمى ، ثم الأزجى ، الفقيه الواعظ أبو غالب بن أبى الفتح .

سمع من أبى البدر الكرخى ، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ومن سعد الخير الأنصارى ، ويوسف بن عمر الحربى . وتفقه فى المذهب ، وأفتى ، وتكلم فى المسائل ، ووعظ . وكان مقيما بمدرسة أبى حكيم ، ولازم أبا الفرج بن الجوزى .

قال القادسي : كان فقيهاً مجوداً ، واعظاً ، خيراً ، ديناً ، وحدث . وسمع منه ابن القطيعي ، وروى عنه ابن خليل فى معجمه .

وتوفى ليلة الخميس ثانى عشر محرم ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد ، قريباً من بشر الحافى ، رضى الله عنهم أجمعين .

٢٠٧ ـ حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل الفضيلى الحرانى التاجر السفار المحدث المؤرخ أبو الثناء .

ولد فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحران .

وسمع ببغداد من أبى القاسم بن السمرقندى ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وسعيد ابن البنا ، وجماعة .

وبهراة من مسعود بن محمد بن غانم ، وعبد السلام بن أحمد بكيرة . وبمصر من ابن رفاعة السعدى ، وبالإسكندرية من الحافظ السلفى ، وغيرهم .

وجمع تاريخاً لحران ، وحدث به فيما ذكره ابن الدبيثى .

وقيل : إنه لم يكمله ، وجمع جزءاً فيمن اسمه حماد ، وله شعر جيد ، وحدث ببغداد ومصر والإسكندرية وحران .

روى عنه الشيخ موفق الدين ، وعبد القادر الرهاوى ، والعلم السخاوى المقرىء ، والحافظ الضياء ، وابن عبد الدائم ، والنجيب الحرانى ، وغيرهم .

وتوفى يوم الأربعاء ، ثانى عشرين ذى الحجة ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بحران ، ودفن بها . رحمه الله .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا حماد ابن هبة الله بحران ، أخبرنا إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ ، أخبرنا محمد ابن هبة الله الطبرى ، أخبرنا هلال الحفار ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء ، حدثنى محمد بن محمد بن سليمان صاحب البصرى ، حدثنى أبو عمران السلمى ، قال : أنشدنى أبو نواس :

ألا رُبَّ وجهٍ فى التراب عتيق ... ألا رب رَّاى فى التراب رفيق
أرى كل حىٍ هالــكا وابن هالك ... وذو حسب فى الهالــكين عريق
فقل لمقيم الدار : إنك ظاعن ... إلى سفر نائى المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تــكشفت ... له عن عدو فى ثياب صــديق

٢٠٨ ـ محمد بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الباقى بن الــكبرى البغدادى الطفرى ، الفقيه المحدث ، الواعظ أبو عبد الله .

ذكره ابن النجار ، وقال : جارنا بالطفرية .

حفظ القرآن فى صباه ، وقرأه بالروايات على أبى بكر بن الباقلانى الواسطى ، وعلى عبد الله بن بكران الداهرى . وتفقه على مذهب أحمد بن حنبل ، وقرأ العربية على أبى البركات الأنبارى ، وأبى محمد بن الخشاب ، وصحب شيخنا أبا الفرج ابن الجوزى ، وقرأ عليه شيئاً من مصنفاته فى الوعظ وغيره .

وسمع الحديث من أبى العباس أحمد بن محمد المرقعــاتى ، وعبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف ، وشهدة الــكاتبة ، ومن خلق كثير دونهم ، وكتب بخطه كثيراً من الــكتب والأجزاء ، وكان يعقد مجلس الوعظ بجامع ابن بهليقــا فى كل جمعة ، فبقى على ذلك مدة طويلة ، ثم انقطع فى بيته ، لا يخرج منه إلا إلى الجمعة والجماعة ، وكان يكثر الجلوس فى المقابر ، سمعت منه . وكان يسمع بقراءتى على مشايخنا ، وكان صدوقاً متديناً عفيفاً ، قليل المخالطة للناس ، محباً للخلوة والانزواء ، فقيهاً فاضلا ، كثير المحفوظ للأحاديث ، وحكايات الســلف ويعرف طرفاً صالحاً من الحديث ، وقد جمع معجماً لشيوخه الذين سمع منهم فى فى خمسة أجزاء ، ثم روى عنه حديثاً عن شهدة ، ثم قال : ذكر أن مولده فى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

وتوفى ليلة الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة وصلينا عليه من الغد ، ودفن بالجديدة من باب أبرز ، رحمه الله تعالى .

قرئ على أبى الفتح الميدومى ـ بمصر ، وأنا أسمع ـ أخبركم أبو الفرج الحرانى ، قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عبد الله العكبرى الواعظ ، من لفظه وحفظه ، قال : أنشدنى شيخى ابن الباقلانى المقرئ الواسطى :

كتبى لأهل العلم مبذولة أيديهم مثل يدى فيها
متى أرادوها بلا منة عارية فليستعيروها
حاشاى أن أكتمها عنهموا بخلاً كما غيرى يخفيها
أعارنا أشياخنا كتبهم وسنة الأشياخ نحييها

وقد روى هذه الأبيات ابن السمعانى عن ابن الباقلانى ، قال : أنشدنى خميس الجوزى لنفسه .

٢٠٩ ـ على بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصارى الدمشقى ، الفقيه الواعظ المفسر زين الدين أبو الحسن بن رضي الدين أبى طاهر ، المعروف بابن نجية . نزيل مصر ، سبط الشيخ أبى الفرج الشيرازى الحنبلى .

ولد بدمشق سنة ثمان وخمسمائة ، فيما ذكره ابن نقطة والمنذرى وغيرهما .

وقال ناصح الدين بن الحنبلى : إنه ولد سنة عشر .

وسمع بدمشق من أبى الحسن على بن أحمد بن قيس . وسمع درس خاله شرف الإسلام عبدالوهاب . وتفقه به ، وسمع التفسير منه ، وأحب الوعظ وغلب عليه ، فاشتغل به .

قال ناصح الدين : قال لى : حفظنى خالى مجلس وعظ ، وعمرى يومئذ عشر سنين ثم نصب لى كرسياً فى داره ، وأحضر لى جماعته ، وقال : تكلم ، فتكلمت ، فبكى . قال : وكان ذلك المجلس يذكر بعضه وهو ابن تسعين ، وكان بطيء النسيان . وكان أسماء الفصول الذى يحفظ مجلدة . وكان لا يخطب فى مجلسه ، وإنما يدعو عقيب القراء ، ثم يقرأ مقرئ آيات من القرآن فيفسرها ، ويوسع فى ذكره ، ثم يذكر فصولا وعنده من كلام العرب والعجم ، فيلقن من الفصول ما يختار .

وبعثه نور الدين محمود بن زنكى رسولا إلى بغداد سنة أربع وستين وخمسمائة وخلع عليه هناك أهبة سوداء ، فكانت عنده يلبسها فى الأعياد . وسمع هناك الحديث من سعد الخير بن محمد الأنصارى كثيراً . وصاهره على ابنته فاطمة ، ونقلها معه إلى مصر ، وانتقلت كتب سعد الخير إليه . ومن عبد الصبور بن عبد السلام الهروى وعبد الخالق بن يوسف وغيرهم . واجتمع هناك بالشيخ عبد القادر وغيره من الأكابر ، ووعظ بجامع المنصور .

قال ناصح الدين : سمعته يقول : أول مجلس جلسته فى بغداد فى جامع المنصور ، فنزلت سحراً إلى الجامع متنكراً ، حتى أرى هيئة المجلس وأسمع مايقال ، وإذا رجل أعمى قد جلس على درج المنبر ، فذكر من الفصول من كلام التميمى وابن عقيل وغيرهما جميع ماقد حررته للمجلس ، وتعبت عليه . قال : فأصابنى همٌّ ، وما بقى لى زمن أحفظ غير ذلك ، فاستخرت الله تعالى ، ثم جلست وتكلمت ، وذكرت حكاية طاب بها المجلس .

قال : وسمعته يقول : أول مادخلت بغداد جاءنى الشيخ أبو الفضل بن شافع وتعصب لى ، فدخل علىّ الشيخ أبو الفرج بن الجوزى مهنئاً بالسلامة ، وتحدثنا ، فقال لى : تحفظ شيئا من شعر ابن الكيزانى ؟ فأنشدته له :

رأتنى خاضباً شيبى فسمتنى أبا العيب

فظهر الغيظ فى وجهه ، ثم قام فذهب . فقال ابن شافع : إيش عملت ؟ هذا أول من جاءك من الحنابلة لقيته بما يكره ، فقلت : كيف ؟ قال : هو يخضب ، فقلت : والله ماعلمت ، ولا حضرنى من شعر ابن الكيزانى إلا هذا . ثم عاد ابن نجية وانتقل إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين ، وأقام بها إلى أن مات . وكان يعظ بها بجامع القرافة مدة طويلة . وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك .

وقال ناصح الدين : كان ذا رأى صائب . وكان صلاح الدين — يعنى ابن يوسف بن أيوب — يسميه عمرو بن العاص ، ويعمل برأيه .

وقال أبو شامة : كان صلاح الدين يكاتبه ، ويحضر مجلسه هو وأولاده : العزيز ، وغيره . وكان له جاه عظيم ، وحرمة زائدة .

وقال ناصح الدين : كان أهل السنة بمصر لايخرجون عما يراه لهم زين الدين – يعنى ابن نجية – وكثير من أرباب الدولة . وقال له الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين : إذا رأيت مصلحة فى شىء فاكتب إلىّ بها ، فأنا ما أعمل إلا برأيك .

وقضيته مع عمارة اليمنى ومن وافقه على السعى من إعادة دولة العبيديين معروفة . وهم : عبد الصمد الكاتب ، وهبة الله بن كامل القاضى ، وابن عبد القوى داعى الدعاة ، وعمارة الشاعر ، وغيرهم من الجند والأعيان . وكانوا قد عينوا خليفة ووزيراً ، وتقاسموا الدور ، واتفقوا على استدعاء الفرنج إلى مصر ، ليشتغل بهم صلاح الدين ، ويخلو لهم الوقت ليتم أمرهم ومكرهم ، فأدخلوا فى الشورى معهم زين الدين ابن نجية ، فأظهر لهم أنه معهم ، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره ، وطلب منه ما لابن كامل من الحواصل والعقار ، فبذله له ، وأمره بمخالطتهم ، وتعريف شأنهم ، فصار يعلمه بكل متجدد .

ويقال : إن القاضى الفاضل استراب من بعض أولئك الجماعة ، فأحضر ابن نجا الواعظ ، وأخبره الحال . فطلب منه كشف الأمر ، فأخبره بأمرهم ، فبعثه إلى صلاح الدين ، فأوضح له الأمر . فطلب صلاح الدين الجماعة وقررهم ، فأقروا ، فصلبهم بين القصرين .

ولما كان السلطان صلاح الدين فى الشام سنة ثمانين كتب إليه الشيخ زين الدين كتاباً يشوقه إلى مصر ، ويصف محاسنها . فكتب إليه السلطان كتابا بإنشاء العماد الكاتب ، يتضمن تفضيل الشام على مصر . وفى آخره : ونحن لا نجفوا الوطن كما جفوته . وحب الوطن من الإيمان .

ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه ، وتكلم أول جمعة أقيمت فيه على كرسي الوعظ . وكان يوما مشهوداً .

وذكر أبو شامة : أن الشهاب الطوسى لما دخل مصر كان يجرى بينه و بين زين الدين العجائب من السباب ونحوه ، فإن الطوسى كان أشعرياً ، وهـذا حنبلى . وكلاهما واعظ .

قال : وجلس ابن نجية يوماً فى القرافة بالجامع ، فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف ، فعمل الطوسى خطبة ، وذكر فيها قوله تعالى (١٦ : ٢٦ فَخَرَّ عليهم السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِم) . وجاء يوماً كلب يشق الصفوف ، فقال ابن نجية : هذا من هناك ، وأشار إلى مكان الطوسى .

وذكر ناصح الدين بن الحنبلى : أن ابن نجا نشأ له ولد حسن الصورة . فلما بلغ أخذ فى سبيل اللهو ، فدعا عليه ، فمات . فحضر الناس والدولة لأجله ، فلما وضعوا سريره فى المصلى نصبوا للشيخ كرسياً إلى جانبه ، فصعد عليه ، وحمد الله تعالى ، وقال : اللهم إن هذا ولدى بلغ من العمر تسع عشرة سنة ، لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة ، بقى له ثلاث سنين ، نصفها نوم ، بقى عليه سنة ونصف ، قد أساء فيها إلىّ و إليك . فأما جنايته علىّ فقد وهبتها له . بقى الذى لك فهبه لى . فصاح الناس بالبكاء . ونزل فصلى عليه .

قال : وكان زين الدين كريما . وله سماط يؤكل عنده ، وتوسعة فى النفقة .

وقال ابن المظفر سبط ابن الجوزى : كان ابن نجية قد اقتنى أموالا عظيمة ، وتنعم تنعماً زائداً ، بحيث أنه كان فى داره عشرون جارية للفراش ، كل جارية تساوى ألف دينار . وأما الأطعمة فـكان يعمل فى داره مالا يعمل فى دور الملوك . وتعطيه الملوك والخلفاء أموالا عظيمة كثيرة . قال : ومع هذا مات فقيراً ، كفنه بعض أصحابه .

والذى ذكره ناصح الدين بن الحنبلى : أن ابن نجا ضاق صدره فى آخر عمره من دين عليه ، وأن الملك العزيز عثمان لما عرف ذلك أعطاه مايزيد على أربعة آلاف دينار مصرية

قال : وقال لى : ما احتجت فى عمرى إلا مرتين .

قال ناصح الدين : قال لى : والدى زين الدين سعد بدعاء والدته ، كانت صالحة حافظة ، تعرف التفسير .

قال زين الدين : كنا نسمع من خالى التفسير ، ثم أجىء إليها ، فتقول : إيش فسر أخى اليوم ؟ فأقول : سورة كذا وكذا ، فتقول : ذكر قول فلان ، وذكر الشىء الفلانى ؟ فأقول : لا ، فتقول : ترك هذا ، وسمعت والدى يقول : كانت تحفظ كتاب « الجواهر » وهو ثلاثون مجلدة ، تأليف والدها الشيخ أبى الفرج ، وأقعدت أربعين سنة فى محرابها .

حدث الشيخ أبو الحسن بن نجا ببغداد ، ودمشق ، ومصر ، والإسكندرية وغيرها ، وسمع منه خلق كثير ، وحكى عنه الحافظ السلفى فى معجم شيوخ بغداد .

وروى عنه الحافظ عبد الغنى ، وابن خليل ، والضياء المقدسى ، وأبو سليمان ابن الحافظ عبد الغنى ، وعبد الغنى بن سليمان ، وخطيب مردا ، وجماعة ، وأجاز للمنذرى ، وأحمد بن أبى الخير سلامة ، ومحمد بن أبى الدبية .

وتوفى فى شهر رمضان ـ قال المنذرى : فى سابعه ، وقال ابن نقطة : فى ثامنه ـ سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالشارع ، ظاهر القاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم .

وقال ناصح الدين بن الحنبلى : مات بعد الستمائة . وهو وهم ؛ فإنه كان يكتب هذه التواريخ من حفظه . وقد بعد عهده بها .

قال : ودفن بتربة سارية ، بجوار عز الدين ابن خاله ، عن وصية منه . وكان يوم دفنه مشهوداً لكثرة الخلق . وذكر : أنه سمع منه كثيراً .

٢١٠ - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الصقال الطيبى ، ثم البغدادى الأزجى الفقيه الإمام أبو إسحاق ، مفتى العراق ، ويلقب موفق الدين .

ولد فى خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، كذا ذكره القطيعى عنه

وقال المنذرى : فى نصف شوال .

وسمع من ابن الطلاية ، وابن ناصر ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت وأحمد بن عبد الله بن مرزوق ، وأبى على بن شاتيل ، وأبى المعمر الأنصارى ، وسعيد بن البنا ، وعبد الخالق بن يوسف ، وأحمد بن محمد العباسى النقيب ، وغيرهم

وسمع من أبى عبد الله الحسنى بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقانى الهمدانى . قدم عليهم بغداد سنة ثلاث وأربعين خمسمائة ، وكتابا جمعه وسماه « الترغيب » .

وقرأ الفقه على القاضى أبى يعلى بن أبى خازم ، وأبى حكيم النهروانى ، ويقال : إنه قرأ على أبى الفتح بن المنّى أيضا ، وبرع فى الفقه مذهبا وخلافا وجدالا ، وأتقن علم الفرائض ، والحساب ، وشدا طرفاً من العربية ، وكتب خطا حسناً ، ودرس ، وأفتى وناظر . وكان من أكابر العدول ، وشهود الحضرة ، وأعيان المفتيين المعتمد على فتاويهم وأقوالهم فى المجالس والمحافل ، متين الديانة حسن المعاشرة ، طيب المفاكهة .

قال القادسى : كان خيراً صالحا ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، بعيد المثال ، وإياه عني الصرصرى بقوله فى قصيدته اللامية المعروفة ، فى مدح الإمام أحمد وأصحابه :

ومن يتبع المنى أوحد وقته أبا الفتح والصقال فى الفقه ينبل

حدث ، وسمع منه ابن القطيعى ، وروى عنه ابن الدبيثى ، والحافظ الضياء ، وابن النجار .

توفى آخر يوم الإثنين ، ثانى ذى الحجة ، سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد عند المنظرة بباب الأزج ، وحمل على الرءوس ، ودفن بباب حرب ، وشيعه خلق عظيم . رحمه الله .

وقيل : كانت وفاته فى مستهل ذى الحجة .

و « الطيبي » منسوب إلى بلدة قديمة بين واسط ، والأهواز تسمى الطيب .

٢١١ - محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي ، الزاهد أبو بكر ، ويلقب جمال الدين ، ابن أخو البهاء عبد الرحمن ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولد سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

وسمع الحديث بدمشق : ودخل مع أخيه بغداد ، وأقام بها مدة ، واشتغل وحصل فنونا من العلم ، ثم عاد .

وكان فقيها زاهداً ، ورعا ، كثير الخشية والخوف من الله تعالى ، حتى كان يعرف بالزاهد ، وكان يبالغ فى الطهارة ، وَأَمَّ بدمشق بمسجد دار البطيخ ، وهو مسجد السلالين .

حدث مدة ، وحج فى آخر عمره ، ثم توجه إلى القدس ، فأدركه أجله بنابلس سنة سبع وتسعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

٢١٢ - عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمزة بن علي بن عبيد الله البغدادي التيمي المعروف بابن المارستانية ، الأديب ، الفقيه المحدث ، المؤرخ أبو بكر . و يلقب فخر الدين .

كان يذكر أنه من ولد أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ويذكر شيئاً متصلا إليه . وقد قرأت بخطه فى نسبه : المحمدى ، ولا أدرى إلى ماهذه النسبة ؟

ذكر أنه ولد فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من أبي المظفر بن الشبلي ، وابن البطي ، ويحيى بن ثابت ابن بندار ، وعبد الحق بن عبد الخالق ، وشهدة ، وأبي الفتح بن شاتيل .

وقرأ كثيراً على المشايخ المتأخرين بعدهم ، وكتب بخطه ، وحصل الأصول

وعنى بهذا الفن ، وطلب العلم فى صباه ، فتفقه فى المذهب .

وقرأ الأدب . وكان أديباً ، فاضلا فصيحاً ، مليح العبارة ، بليغا ، حسن التصنيف ، ذكر ذلك ابن النجار وغيره .

وقال أبو المظفر سبط بن الجوزى : أحد الفضلاء المعروفين بجمع الحديث والطب ، والنجوم ، وعلوم الأوائل ، وأيام الناس . وصنف كتابا سماه « ديوان الإسلام ، فى تاريخ دار السلام » قسمه ثلاثمائة وستين كتابا ، إلا أنه لم يشتهر ، وصنف سيرة الوزير ابن هبيرة .

وقال ابن النجار : كان قد قرأ كثيراً من علم الطب ، والمنطق والفلسفة . وكانت بينه و بين عبيد الله بن يونس صداقة ومصاحبة ، فلما أفضت إليه الوزارة اختص به ، وقوى جاهه ، و بنى داراً بدرب الشاكرية ، وسماها : دار العلم ، وجعل فيها خزانة كتب ، ووقفها على طلاب العلم . وكانت له حلقة بجامع القصر ، يقرأ فيها الحديث يوم الجمعة ، ويحضر عنده الناس ، فيسمعون منه ، ورتب ناظراً على أوقاف المارستان العضدى ، فلم تحمد سيرته ، فقبض عليه وسجن فى المارستان مدة مع المجانين مسلسلا ، و بيعت دار العلم بما فيها من الكتب مع سائر أمواله وقبضت ، و بقى معتقلا مدة ، ثم أطلق ، فصار يطب الناس ، و يدور على المرضى فى منازلهم ، وصادف قبولا فى ذلك ، فأثرى ، وعاد إلى حالة حسنة ، وحصل كتباً كثيرة ، ثم إنه انتدب للتوجه فى رسالة من الديوان ، فخلع عليه خلعة سوداء : قميص وعمامة ، وطرحة ، وأعطى سيفاً وأركب مركوبا جميلا ، وتوجه إلى تفليس فى صفر سنة تسع وتسعين إلى الأمير أبى بكر بن إيلدكز بن البهلوان ، زعيم تلك البلاد ، فأدركه أجله هناك .

قلت : القبض عليه إنما كان بعد عزل ابن يونس والقبض عليه ، وتتبع أصحابه ، وفى تلك الفتنة كانت محنة ابن الجوزى أيضاً كما تقدم . و بالغ ابن النجار فى الحط عليه بسبب ادعائه النسب إلى أبى بكر الصديق ، و بسبب أنه روى عن

مشايخ لم يدركهم ، كأبى الفضل الأرموى .

قال : واختلق طباقا على الكتب بخطوط مجهولة ، تشهد بكذبه و بزوره ، وجمع مجموعات فى فنون من التواريخ وأخبار الناس ، من نظر فيها ظهر له من كذبه وقبحه وتهوره ما كان مخفياً عنه ، و بان له تركيبه الأسانيد على الحكايات والأشعار والأخبار ، إلى أن قال : وقدحدث بكثير مما اختلقه ، وعن جماعة لم يلقهم سمع منه الغرباء ، ومن لايعرف طريقة الحديث . ورأيته كثيراً ، ولم أكتب عنه شيئاً .

قال : وقد نقلت فى هذا الكتاب من خطه وقوله وروايته أشياء ، العهدة عليه فى صحتها ؛ فإنى لا أطمئن إلى صحتها ، ولا أشهد بحقيقة بطلانها . ثم قال : قرأت على أبى عبد الله الحنبلى بأصبهان عن معمر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشى ، ونقلته من خطه . قال : أنشدنى أبو بكر عبيد الله بن على بن علي بن نصر بن حمزة التيمى لنفسه :

أفردتنى بالهموم ذات دل ونعيم
أودعت قلبى سقاما والحشا نار الجحيم
ليس لى شغل سواها من خليل وحميم
هى داء للمعافى ودواء للسقيم
شغلت قلبى بأمر مقعد فيها مقيم

قلت : العجب أنه تبرأ وتنزه عن الرواية عنه نفسه ، ثم روى عن اثنين عنه . ولقد بالغ فى الحط عليه ، وزاد فى ذلك اعترافه بأنه نقل عنه فى هذا الكتاب أشياء ، ولعله لايبين فى بعضها أو كثير منها أنها من جهته . وقد وقفت على كتابه الذى جمعه فى سيرة ابن هبيرة ، فلم أجد فيه ما ينكر ، بل غالب ما نقل فيه من الحكايات عن الوزير من كلامه قد نقله ابن الجوزى وغيره .

وكذلك بالغ ابن الدبيثى فى تاريخه فى الحط عليه ، وقال : إنه ادعى الحفظ وسعة الرواية عمّن لم يلقه ولم يوجد بعد . وتابعه على ذلك المنذرى . وهذا غير صحيح ؛ فإن أقدم من ادعى السماع منه الأرموى . وهو كان موجوداً فى حياته ، وسماعه منه ممكن . نعم ينبغى أن يقال : لم يصح سماعه منه ، أو لم يعرف ، ونحو ذلك .

ومن مبالغته فى الحط قال أبو شامة : هذا غلوٌّ من قائله . وهو كما قال . ولا ريب أنه مطعون فيه من جهتين :

من جهة ادعائه النسب إلى أبى بكر ؛ فإن هذا أنكره الناس كلهم عليه ، واشتهر إنكاره ، حتى قال بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لتَيْم   فأين الهجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من تيم دَعِيًّا   كدعوى حيص بيص إلى تميم

ومن جهة ادعائه سماع ما لم يسمع ؛ فإن هذا صحيح عنه .

قال ابن نقطة : سألت أبا الفتوح الحصرى عنه بمكة ؟ فقال : سامحه الله . كان صديقى . وكان يكرمنى . وكان غير ثقة .

حدثنى علي بن أحمد الشريف الزيدى أنه استعار منه مغازى الأرموى فردها إليه وقد طبق عليها السماع على كل جزء ، ولم يسمعها .

قال ابن نقطة : وكان شيخنا ابن الأخضر الحافظ ينهى أن يقرأ أحد على شيخ بطبقة تكون بخطه ، أو بخط أبى بكر بن سوار . وذكر حكايتين عن أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق أنه كذبه ، وقال : إنه سمع لنفسه منه أجزاء لم يقرأها عليه .

وأما مانسبوه إليه من تركيب الأسانيد ، وتصرفه بالكذب فى تصانيفه ، حتى إن ابن الدبيثى قال : لو تم كتابه « ديوان الإسلام » لظهرت فضائحه . فهذا أمر لم يثبت عنه ؛

وقد ذكر ابن نقطة : أنه رأى بعض تاريخه ، ولم يذكر فيه طعناً . والله أعلم .

وقال ابن القادسى عنه : كان خطيباً ، بليغاً شاعراً ، حافظا محدثا ، فصيحا . سافر ، وسمع الحديث من أمم لا تحصى واستشهدهم . وصنف عدة مصنفات فى التواريخ وغيرها . وله « تاريخ مدينة السلام » على وضع كتاب الخطيب . وهو كتاب نفيس ، وقد ذكر فيـه أقواماً ، ذكر أنهم لايعرفون . وقد عظمهم هو ووصفهم .

وقد طعن أصحاب الحديث عليه وجرحوه ، منهم شيخنا ابن الجوزى ، وعبد العزيز بن الأخضر .

وحدث ببغداد . وروى عن أبى الوقت ، وقرأ على أبى محمد بن الخشاب .

قال أبو المظفر السبط : كان ابن المارستانية هو الذى قرأ كتب عبد السلام ابن عبد الوهاب بن عبد القادر يوم أحرقت . كان يقرأ الـكتاب ، ويقول : يا عامة ، هذا عبد السلام يقول : من بخر زحل بكذا وكذا . وقال : يا إلهى ياعلة العلل ، نال ما أراد ، فيلعنه الناس ويضجون بذلك . فلما خلع على ابن المارستانية ، وأرسل إلى تفليس ، خرج من دار الوزير وبين يديه الحجاب ، وأرباب الدولة فوقف له عبد السلام وتقدم إليه ، وقال له سرًّا فيما بينهما : الساعة من بخر زحل أنا أو أنت ؟ فقال : أنا .

وتوفى ابن المارستانية فى رجوعه من تفليس بموضع يعرف بخرج بند ليلة الأحد غرة ذى الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ودفن هناك . سامحه الله .

وقال القادسى : توفى بخرختيد فى سلخ ذى القعدة . وقيل : توفى فى صفر . وهو وَهْم .

و « حُمره » فى نسبه بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الراء المهملة . كذلك قيده ابن النجار ، وابن نقطة ، والمنذرى وغيرهم .

ورأيت بخطه « حمزة » وفوق الزاى نقطة . ولا يلتفت إلى ذلك .

وقيل له : ابن المارستانية ، لأن أبويه كانا قيّمى المارستان التنستى ببغداد .

٢١٣ ـ **نصر الله بن عبد العزيز** بن صالح بن محمد عبد عثمان بن عبدوس الحرانى ، الفقيه الزاهد ، شمس الدين أبو الفتح . أحد شيوخ حران وفقهائها .

أخذ العلم بها عن جماعة ، كأبى الحسن بن عبدوس ، وأبى الفضل حامد بن أبى الحجر ، وأبى الكرم فتيان بن ميَّاح .

ورحل إلى بغداد ، وسمع درس أبى الفتح بن المنّى . وسمع بها الحديث من أبى الفتح بن البطى ، وأبى الفضل بن شافع ، وفوارس بن موهوب بن الشباكية ، والمبرّد بن الطباخ ، وغيرهم . ثم عاد إلى حران

قال أبو الفرج بن الحنبلى : لقيته بدمشق وحران . وكان فقيهاً صالحا ، ينقل المذهب جيداً . وكان ينكر المنكر . ضربه مظفر بن زين الدين على الإنكار ، ثم ندم واستغفر منه ، وأحسن القاضى الفاضل ظنه به .

وكان أبيض قصيراً جداً . وشعر لحيته أحمر . وحكى لى . أنه يأخذ اللحمة من المقلى ، فيضعها فى فيه ، ولا يتضرر بذلك .

وقال أبو عبد الله بن حمدان : كان رجلا صالحا ، فقيها فاضلا . وهو شيخ شيخنا ناصح الدين عبد القادر بن أبى الفهم .

أنكر مرة على مظفر الدين صاحب أربل لما كانت له حران ، وأراق له خمراً ، فأحضره ، وقال : أتعرفنى ؟ قال : نعم ، بالظلم والفسق ، أو معنى ذلك . فهم بضربه ، فأشير عليه : أن لا يفعل ؛ لأجل العامة وميلهم إليه .

وله كتاب « تعليم العوم ما السنة فى السلام ؟ » وسبب تصنيفه له : أنه لما قدم أبو المعالى بن المنجا قاضياً على حران أمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين فى الصلاة وكانوا إنما يجهرون بالأولى خاصة . فرد عليه أبو الفتح فى هذا الكتاب ، وبيّن أن المذهب إنما هو الجهر بالأولى خاصة . وذكر نصوص أحمد وأصحابه فى ذلك ، والأحاديث والآثار الدالة عليه ، وبالغ فى الإنكار عليه ، وحدث به غير مرة بحران ، وسمعه منه ابن أبى الفهم وغيره .

وسمع منه الحديث أحمد بن سلامة النجار ، وغيره .

قال ابن الحنبلي : مات ابن عبدوس قبل الستمائة بآمد . رحمه الله .

آخر الجزء الأول

ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى ، وأوله : ترجمة الشيخ الإمام العالم الحافظ تقى الدين أبو محمد ، حافظ الوقت عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى . رحمه الله .

ووجد بالأصل المخطوط :

وكان الفراغ من كتابته ضحى يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين بعد الثلاثمائة وألف ، على يد أحقر الكتّاب ، راجى غفران الذنوب والمساوى : محمد عبده بن المرحوم محمد الحفراوى . كان الله له ، ورحم سلفه آمين .

تم بحمد الله طبع الجزء الأول من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، للإمام شيخ الإسلام أبى الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادى تغمده الله برحمته .

وذلك بمطبعة السنة المحمدية ، فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ الموافق ١٩ من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ م .

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبى ، محمد ، وعلى آله أجمعين .

فهرس

الجزء الأول من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة

كتاب الذيل على

طبقات الحنابلة

لابن رجب

الشيخ الإمام العالم الحافظ الحجة الفقيه زين الدين أبى الفرج
عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد
البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى

٧٣٦ – ٧٩٥ هـ

رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمؤمنين

الجزء الثاني

وقف على طبعه وصححه
محمد حامد الفقي

١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبي – القاهرة
ت ٧٩٠١٧



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وفيات المائة السابعة

من سنة ٦٠١ — إلى سنة ٧٠٠ هـ

٢١٤ - عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور بن رافع بن حسن ابن جعفر الجماعيلى المقدسى، الحافظ الزاهد أبو محمد. ويلقب تقى الدين، حافظ الوقت ومحدثه

ولد بجماعيل - من أرض نابلس من الأرض المقدسة - سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

قال الحافظ الضياء: أظنه فى ربيع الآخر من السنة؛ لما حدثتنى والدتى قالت: الحافظ أكبر من أخى الموفق بأربعة أشهر، ومولد الموفق فى شعبان من السنة المذكورة.

وقال المنذرى: ذكر عنه أصحابه ما يدل على أن مولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وكذا ذكر ابن النجار فى تاريخه: أنه سأل الحافظ عبد الغنى عن مولده؟ فقال: إما فى سنة ثلاث أو فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

قال الحافظ: والأظهر أنه فى سنة أربع.

وقدم دمشق صغيرا بعد الخمسين، فسمع بها من أبى المكارم بن هلال، وأبى المعالى بن صابر، وأبى عبد الله محمد بن حمزة بن أبى جميل القرشى وغيرهم. ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين، هو والشيخ الموفق، فأقاما ببغداد أربع سنين. وكان الموفق ميله إلى الفقه، والحافظ عبدالغنى ميله إلى الحديث. فنزلا على الشيخ عبد القادر. وكان يراعيهما ويحسن إليهما، وقرآ عليه شيئا من الحديث والفقه. وحكى الشيخ الموفق: أنهما أقاما عنده نحواً من أربعين يوما، ثم مات، وأنهما

كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه ، فيقرأ هو من « الخرق » من حفظه ، والحافظ من كتاب « الهداية » .

قال الضياء : وبعد ذلك اشتغلا بالفقه والخلاف على ابن المنّى ، وصارا يتكلمان فى المسألة ويناظران . وسمعا من أبى الفتح بن البطى ، وأحمد بن المقرى الكرخى ، وأبى بكر بن النقور ، وهبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق ، وأبى زرعة ، وغيرهم . ثم عادا إلى دمشق .

ثم رحل الحافظ سنة ست وستين إلى مصر والإسكندرية ، وأقام هناك مدة ، ثم عاد ، ثم رجع إلى الإسكندرية سنة سبعين . وسمع بها من الحافظ السلفى وأكثر عنه ، حتى قيل : لعله كتب عنه ألف جزء ، وسمع من غيره أيضا .

وسمع بمصر من أبى محمد بن بَرِّى النحوى وجماعة ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم سافر بعد السبعين إلى أصبهان . وكان قد خرج إليها ، وليس معه إلا قليل فلوس فسهّل الله له من حَمَله وأنفق عليه حتى دخل أصبهان ، وأقام بها مدة ، وسمع بها الكثير ، وحصل الكتب الجيدة ، ثم رجع .

وسمع بهمدان من عبد الرزاق بن إسماعيل القرمانى ، والحافظ أبى العلاء ، وغيرهما .

وبأصبهان من الحافظين : أبى موسى المدينى ، وأبى سعد الصائغ وطبقتهما .

وسمع بالموصل من خطيبها أبى الفضل الطوسى . وكتب بخطه المتقن مالا يوصف كثرة . وعاد إلى دمشق . ولم يزل ينسخ ويصنف ، ويحدث ويفيد المسلمين ، ويعبد الله ، حتى توفاه الله على ذلك .

وقد جمع فضائل الحافظ وسيرته الحافظ ضياء الدين فى جزأين . وذكر فيها : أن الفقيه مكى بن عمر بن نعمه المصرى جمع فضائله أيضا .

قال الحافظ الضياء : كان شيخنا الحافظ لايكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبيّنه ، وذكر صحته أو سقمه . ولا يسأل عن رجل إلا قال : هو

فلان ابن فلان الفلاني ، ويذكر نسبه .

وأنا أقول : كان الحافظ عبد الغنى المقدسى أمير المؤمنين فى الحديث .

قال : وسمعت شيخنا الحافظ عبد الغني يقول : كنت يوما بأصبهان عند الحافظ أبى موسى . فجرى بينى و بين بعض الحاضرين منازعة فى حديث . فقال: هو فى صحيح البخارى ، فقلت : ليس هو فيه . قال : فكتب الحديث فى رقعة ورفعها إلى الحافظ أبى موسى يسأله عنه . قال : فناولنى الحافظ أبو موسى الرقعة وقال : ماتقول ، هل هذا الحديث فى البخارى ، أم لا ؟ قلت : لا . قال : فخجل الرجل وسكت .

قال : وقد رأيت فيما يرى النائم ـ وأنا بمدينة مَرْو ـ كأن الحافظ عبد الغنى جالس والإمام محمد بن إسماعيل البخارى بين يديه ، يقرأ عليه من جزء ، أو كتاب وكان الحافظ يرد عليه شيئاً ، أو ماهذا معناه .

قال : وسمعت أبا طاهر بن إسماعيل بن ظفر النابلسى يقول : جاء رجل إلى الحافظ ـ يعنى : عبد الغنى ـ فقال : رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث ، فقال : لو قال أكثر لصدق .

قال الضياء : وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر ، اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء ، فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه .

وسمعت أبا سليمان بن الحافظ يقول : سمعت بعض أهلنا يقول : إن الحافظ سئل : لم لا تقرأ الأحاديث من غير كتاب ؟ فقال : إننى أخاف العجب .

وسمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الحافظ ، قال : سمعت على بن فارس الزجاج العلثى الشيخ الصالح ، قال : لما جاء الحافظ من بلاد العجم ، قلت : ياحافظ ، ما حفظت بعد مائة ألف حديث ؟ فقال : بلى ، أو ماهذا معناه .

قال: وسمعت أبا محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيبانى ـ بمروـ يقول: سمعت

التاج الكندى ـ يعنى : أبا اليمن ـ يقول : لم يكن بعد الدارقطنى مثل الحافظ عبد الغنى .

وسمعت أبا الثناء محمود بن همام الأنصارى يقول : سمعت التاج الكندى يقول : لم ير الحافظ ـ يعنى : عبد الغنى ـ مثل نفسه .

قلت : وذكر ابن النجار عن يوسف بن خليل ، قال : قال تاج الدين الكندى : رأيت ابن ناصر والحافظ أبا العلاء الهمدانى وغيرهما من الحفاظ . مارأيت أحفظ من عبد الغنى المقدسى .

ثم قال الضياء : سمعت أباالعز مفضل بن على الخطيب الشافعى ، قال : سمعت بعض الأصحاب يقول : إن أبا نزار ـ وهو الإمام ربيعة بن الحسن اليمنى الشافعى ـ قال : قد رأيت الحافظ السلفى ، والحافظ أبا موسى ـ وكان الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد أحفظ منهما ـ قال : وشاهدت فى فضائل الحافظ الإمام الفقيه مكى بن عمر المصرى ، سمعت أبا نزار ربيعة بن الحسن الصنعانى يقول : قد حضرت الحافظ أبا موسى ، وهذا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد ، فرأيت عبد الغنى أحفظ منه .

قال الضياء : وأنشدنا إسماعيل بن ظفر ، قال : أنشدنا أبو نزار ربيعة ابن الحسن فى الحافظ عبد الغنى :

يأصدق الناس فى بَدْوٍ وفى حضر وأحفظ الناس فيما قالت الرُّسل

إن يحسدوك فلا تعبأ بقائلهم هم الغثاء وأنت السيد البطل

قال : وأنشدنا :

إن قيس علمك فى الورى بعلومهم وجدوك سحباناً وغيرك باقل

قال : وشاهدت بخط الحافظ أبى موسى المدينى على كتاب « تبيين الإصابة لأوهام حصلت فى معرفة الصحابة » الذى أملاه الحافظ عبد الغنى ، وقد سمعه عليه أبو موسى ، وأبو سعد الصائغ ، وأبو العباس بن نبال برك ، وخلق كثير ، يقول

أبوموسى عفا الله عنه : قَلَّ من قَدِم علينا من الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، زاده الله توفيقاً . وقد وفق لتبيين هذه الغلطات ، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الإحياء لَصَوَّبوا فعله ، وقَلَّ من يفهم في زماننا لما فهم ، زاده الله علماً وتوفيقاً .

قال الضياء : وكل من رأينا في زماننا من المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني ، وجرى ذكر حفظه ومذاكراته ، قال : ما رأينا مثله ، أو نحو هذا .

قال : وسمعت الحافظ ـ أو من يحكي عنه ـ قال : لما قدمت على السلفي سألني عن أشياء ، وقال : من هو محمد بن عبد الرحمن الذهبي ؟ فقلت : المخلص .

وسمعت الحافظ يقول : كنت عند ابن الجوزي يوماً ، فقال وزيره : أين محمد الغساني ؟ فقلت : إنما هو وزيره ، فقال : أنتم أعرف بأهل بلدكم ، وحكى حكاية عن بعض من سلف في هذا المعنى .

وذكره ابن النجار في تاريخه ، فقال : حدث بالكثير ، وصنف تصانيف حسنة في الحديث . وكان غزير الحفظ ، من أهل الإتقان والتجويد ، قيِّماً بجميع فنون الحديث ، عارفاً بقوانينه ، وأصوله ، وعلله ، وصحيحه ، وسقيمه ، وناسخه ومنسوخه ، وغريبه ، ومشكله ، وفقهه ، ومعانيه ، وضبط أسماء رواته ، ومعرفة أحوالهم .

وكان كثير العبادة ، ورعاً ، متمسكا بالسنة على قانون السلف ، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس ، إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء ، وشنعوا به عليه ، وعقد له مجلس بدار السلطان حضره القضاة والفقهاء ، فأصر على قوله ، وأباحوا إراقة دمه ، فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد ، وتوسطوا أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر ، فأخرج إلى مصر ، وأقام بها خاملا إلى حين وفاته .

وسمعت يوسف بن خليل بحلب يقول عن عبد الغني : كان ثقة ، ثبتاً ،

ديناً ، مأموناً ، حسن التصنيف ، دائم الصيام ، كثير الإيثار . كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، دعي إلى أن يقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، فأبى ، فمنع من التحديث بدمشق ، فسافر إلى مصر ، فأقام بها إلى أن مات .

وقرأت بخط السيف بن المجد : قال أبوالربيع سليمان بن إبراهيم الأسعردي : سمعت عبد القادر الرهاوي الحافظ يقول للحافظ عبد الغني : سمعت وسمعنا ، وحفظت ، ونسينا .

وقال أبو الثناء محمود بن همام : سمعت أبا عبد الله محمد بن أميرك الجويني المحدث ، يقول : ماسمعت السلفي يقول لأحد : الحافظ ، إلا لعبد الغني المقدسي .

وقال الحافظ الضياء : كان رحمه الله مجتهداً على طلب الحديث ، وسماعه للناس من قريب وغريب ، فكان كل غريب يأتي يسمع عليه ، أو يعرف أنه يطلب الحديث يكرمه ويبره ، ويحسن إليه إحساناً كثيراً ، وإذا صار عنده طالب يفهم شيئاً ، أمره بالسفر إلى المشايخ بالبلاد ، وأحيي الله به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن سمع حديثاً من أصحابنا كان يَسُبُّه ، ومن كان من غير أصحابنا كان طلبهم حسداً له ؛ لما يرون من حرصه وكثرة طلبه .

قال : وسمعت الإمام الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن محمد العراقي ، يقول : مارأيت الحديث في الشام كله ، إلا ببركة الحافظ عبد الغني ؛ فإنني كل من سألته يقول : أول ماسمعت عليه ، وهو الذي حرضني ، وذكر جماعة من المحدثين ثم ذكر عنه أنه كان يفضل الرحلة للسماع على الغزو ، وعلى سائر النوافل .

قال : وكان رحمه الله ، يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق ، وليلة الخميس بالجامع أيضاً ، ويجتمع خلق كثير . وكان يقرأ ويبكي ، ويبكي الناس بكاءاً كثيراً ، حتى إن من حضر مجلسه مرة ، لا يكاد يتركه ، لكثرة مايطيب قلبه ، وينشرح صدره فيه . وكان يدعو بعد فراغه دعاءاً كثيراً .

وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن نجا الواعظ بالقرافة يقول على المنبر : قد جاء الإمام الحافظ ، وهو يريد أن يقرأ الحديث ، فاشتهى أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات ، وبعدها أنتم تعرفونه ، ويحصل لكم الرغبة ، فجلس أول يوم وكنت حاضراً بجامع القرافة ، فقرأ أحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه ، وقرأ جزءاً ، ففرح الناس بمجلسه فرحاً كثيراً ، فقال ابن نجا : قد حصل الذى كنت أريده فى أول مجلس .

وسمعت بعض من حضر مجلسه بمصر بمسجد المصنع ، يقول : إن الناس بكوا حتى غشى على بعضهم ، قال : وقال بعض المصريين : ما كنا إلا مثل الأموات حتى جاء الحافظ ، فأخرجنا من القبور .

وسمعت الإمام أبا الثناء محمود بن همام الأنصارى يقول : سمعت الفقيه نجا — هو الإمام العالم نجم بن الإمام عبد الوهاب بن الإمام أبى الفرج الحنبلى يقول ، وقد حضر مجلس الحافظ — : ياتقى الدين ، والله لقد جملت الإسلام ، وأقسم والله ، لو أمكننى مافارقت مجلساً من مجالسك .

قال الضياء : سألت خالى الإمام موفق الدين عن الحافظ ، فكتب بخطه ، وقرأته عليه : كان جامعاً للعلم والعمل . وكان رفيقى فى الصبا ، وفى طلب العلم ، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقنى إليه إلا القليل ، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة ، وعداوتهم إياه ، وقيامهم عليه ، ورزق العلم ، وتحصيل الكتب الكثيرة ، إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه فى روايتها ، ونشرها ، رحمه الله تعالى .

قال الضياء : وسمعت الإمام الزاهد إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلى يقول : سمعت العماد — يعنى : أخا الحافظ — يقول : مارأيت أحداً أشد محافظة على وقته من الحافظ عبد الغنى .

قال الضياء : كان شيخنا الحافظ رحمه الله ، لا يكاد يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة ؛ فإنه كان يصلى الفجر ، ويلقن الناس القرآن ، وربما أقرأ شيئاً من

الحديث ، فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقيناً ، ثم يقوم يتوضأ ، فيصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر ، ثم ينام نومة يسيرة إلى وقت الظهر ، ويشتغل إما للتسميع بالحديث ، أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائماً أفطر بعد المغرب ، وإن كان مفطراً صلى من المغرب إلى عشاء الآخرة ، فإذا صلى العشاء الآخرة ، نام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن إنساناً يوقظه ، فيتوضأ ، ويصلى لحظة كذلك ، ثم توضأ وصلى كذلك ، ثم توضأ وصلى إلى قرب الفجر ، وربما توضأ فى الليل سبع مرات أو ثمانية ، أو أكثر ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ماتطيب لى الصلاة إلا مادامت أعضائى رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه ، وكان لا يكاد يصلى صلاتين مفروضتين بوضوء واحد .

قال : وسمعت الحافظ أبا عبد الله محمد بن محمد بن غانم بأصبهان يقول : كان الحافظ عبد الغنى عندنا ، وكان يقول لى : تعال حتى نحافظ على الوضوء لكل صلاة .

قال الضياء : وكان يستعمل السواك كثيراً ، حتى كأن أسنانه البرد .

وسمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحرانى التاجر بأصبهان غير مرة يقول : كان الحافظ عبد الغني نازلا عندى بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلا القليل ، بل يصلى ويقرأ ويبكى ، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر .

وسمعت الحافظ يقول : أضافنى رجل بأصبهان ، فلما قمنا إلى الصلاة ، كان هناك رجل لم يصل ، فقيل : هو شمسى — يعنى : يعبد الشمس — فضاق صدرى ، ثم قمت بالليل أصلى والشمسى يستمع ، فلما كان بعد أيام جاء إلى الذى أضافني . وقال : إن الشمسى يريد أن يسلم ، فمضيت إليه فأسلم ، وقال من تلك الليلة : لما سمعتك تقرأ القرآن ، وقع الإسلام فى قلبى .

قال : وكان الحافظ لا يرى منكراً إلا غيره بيده أولسانه ، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولقد رأيته مرة يهريق خمراً ، فجبذ صاحبه السيف ، فلم يخف من ذلك وأخذه من يده ، وكان رحمه الله قوياً فى بدنه ، وفى أمر الله ،

وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات.

وسمعت أبا بكر بن أحمد بن محمد الطحان، قال: كان بعض أولاد صلاح الدّين قد عملت لهم طنابير، وحملت إليهم، وكانوا فى بعض البساتين يشربون، فلقى الحافظ الطنابير تحمل إليهم، فكسرها ودخل المدينة، فلما خرج منها لحقه قوم كثير بعصىّ، ومعه رجل، فلحقوا صاحبه، وأسرع الحافظ فقال لهم الرجل: أنا ما كسرت شيئاً، هذا الذى كسر، قال: فإذا رجل يركض فرساً، فترجل عن الفرس، وجاء إلىَّ وقبل يدى، وقال: ياشيخ، الصبيان ماعرفوك.

وسمعت بعض أصحابنا يحدث عن الأمير درباس المهرانى، أنه كان دخل مع الحافظ إلى الملك العادل، فلما قضى الملك كلامه مع الحافظ، جعل يتحدث مع بعض الحاضرين فى أمر ماردين وحصارها، وكان حاصرها قبل ذلك، فسمع الحافظ كلامه، فقال: إيش هذا، وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ماتشكر الله فيما أعطاك إماما؟، قال: وسكت الملك العادل، فما أعاد ولا بدى، ثم قام الحافظ وقمت معه، فلما خرجنا، قلت له: إيش هذا؟ نحن كنا نخاف عليك من هذا الرجل: ثم تعمل هذا العمل؟ فقال: أنا إذا رأيت شيئاً لا أقدر أصبر.

وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان قال: كان فى دولة الأفضل بن صلاح الدين قد جعلوا الملاهى عند درج جيرون، فجاء الحافظ فكسر شيئاً كثيراً منها، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسول من القاضى يأمره بالمشى إليه، يقول حتى يناظره فى الدفّ والشبابة، فقال الحافظ: ذلك عندى حرام، وقال: أنا لا أمشى إليه، إن كان له حاجة، فيجىء هو، ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول فقال: قدقال: لا بد من المشى إليه، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته، ورقبة السلطان. قال: فمضى الرسول، وخفنا أن تجرى فتنة. قال: فما جاء أحد بعد ذلك.

قال الضياء: وكان قد وضع الله له الهيبة فى قلوب الخلق.

سمعت أبا محمد فضائل بن محمد بن على بن سرور المقدسى ، قال : سمعتهم يتحدثون بمصر : أن الحافظ كان قد دخل على الملك العادل ، فلما رآه قام له ، فلما كان فى اليوم الثانى من دخوله عليه ، إذ الأمراء قد جاءوا إلى الحافظ إلى مصر ، فقالوا : آمنا بكرامتك ياحافظ ، وذكروا أن العادل قال : ماخفت من أحد ، ماخفت من هذا ، فقلنا : أيها الملك، هذا رجل فقيه ، إيش خفت من هذا ؟ قال: لما دخل ما خيل إلىّ إلا أنه سبع يريد أن يأكلني ، فقلنا : هذه كرامة الحافظ .

قال : وشاهدت بخط الحافظ ، يذكر أنه بلغه عن العادل ذلك . قال : وما أعرف أحداً من أهل السنة رأى الحافظ إلا أحبه حباً شديداً ، ومدحه مدحاً كثيراً .

سمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحرانى بأصبهان ، قال : كان الحافظ بأصبهان ، يصطف الناس فى السوق ، فينظرون إليه .

وسمعته يقول : لو أقام الحافظ بأصبهان مدة ، وأراد أن يملكها ، لملكها - يعنى من حبهم له - ورغبتهم فيه ، ولما وصل إلى مصر أخيراً كنا بها ؛ فكان إذا خرج يوم الجمعة إلى الجامع ، لا نقدر نمشى معه من كثرة الخلق ؛ يتبركون به ، ويجتمعون حوله .

قال : وكان رحمه الله ، ليس بالأبيض الأمهق ، بل يميل إلى السمرة ؛ حسن الشعر ، كثّ اللحية ، واسع الجبين ، عظيم الخلق ، تام القامة ، كأن النور يخرج من وجهه ، فكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء ، والنسخ والمطالعة وكان حسن الخلق ، رأيته وقد ضاق صدر بعض أصحابه فى مجلسه ، وغضب فجاء إلى بيته وترضاه ، وطيب قلبه .

وكنا يوماً عنده نكتب الحديث ونحن جماعة أحداث ، فضحكنا من شيء وطال الضحك ، فرأيته يتبسم معنا ولا يحرد علينا . وكان سخياً جواداً كريماً لا يدَّخر ديناراً ولا درهماً . ومهما حصل له أخرجه . ولقد سمعت عنه أنه كان

يخرج في بعض الليالي بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين ، فيدق عليهم ، فإذا علم أنهم يفتحون الباب ترك ما معه ومضى ؛ لئلا يعرفه أحد .

وقد كان يفتح له بشيء من الثياب والبرد فيعطي الناس ، وربما كان عليه ثوب مرقع . وقد أوفى غير مرة سراً ما يكون على بعض أصحابه من الدَّيْن ولا يعلمهم بالوفاء .

قال الشيخ الموفق عنه : كان جواداً يؤثر بما تصل إليه يده سراً وعلانية .

وسمعت أبا الثناء محمود بن همام يحكي عن رجل كان بمسجد الوزير ، فجرى بينه و بين أصحاب الموفق شيء ، فلم يعطوه جامكية . قال : فبقينا ثلاثة أيام ليس لنا شيء ، فدخلت يوم الجمعة أصلي ، وسلمت بعد العصر على الحافظ ، فقال لي : اقعد ، فقعدت . فلما قام مشيت معه إلى خارج الجامع ، فناولني نفقة وقال : اشتر لبيتك شيئاً ، ومضى ، فاشتريت نصف خروف مشوي وخبزاً كثيراً ، وحلواء واكتريت حمالا ، ومضيت إلى أهلي ، فعددت ما بقي ، فإذا هو خمسة وأربعون درهما .

وذكر غير واحد : أنه وقع بمصر غلاء وهو بها ، فكان يؤثر بعشائه عدة ليالي ، ويطوى .

قال : وقال لي أبو الفتح ولده : والدي يعطي الناس الكثير ، ونحن لا يبعث إلينا شيئاً .

وسمعته يقول : أبلغ ماسأل العبد ربه ثلاثة أشياء : رضوان الله عز وجل ، والنظر إلى وجهه الكريم ، والفردوس الأعلى .

وسمعت خالي أبا عمر قال : قال الحافظ : يقال : من العصمة أن لا تجد ، ثم قال : هي أعظم العصمة ، فإنها عصمة النبي صلى الله عليه وسلم .

وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي قال : سألتُ الحافظ ، فقلت : هؤلاء المشايخ يحكى عنهم من الكرامات مالا يحكى عن العلماء ، إيش

السبب فى هذا ؟ فقال : اشتغال العلماء بالعلم كرامات كثيرة ـ أو قال : يريد للعلماء كرامة أفضل من اشتغالهم بالعلم ـ وقد كان للحافظ كرامات كثيرة .

قال الضياء : سمعت أحمد بن عبد الله بن على العراقى ، حدثنى أبو محمد ابن أبى عبد الله الدمياطى قال : اكتريت فى مركب فرأيته عائباً ، فضاق صدرى فذكرت قصته للحافظ ، فكتب لى كتابا ، وقال : اتركه فيه : فإذا قضيت سفرك وخرجت منه ، فخذ الكتاب ولا تتركه فيه ، فمضيت وعلقته فى المركب ، فمضينا فى سفرنا . فلما نزلنا منه وأخذنا قماشنا ولم يبق فيه شىء ذكرت الكتاب فأخذته منه ، فمن ساعته دخل الماء فيه ، وغرق .

وقال : حدثنى أبو محمد فضائل بن محمد المقدسى ، حدثنى ابن عمى بدران بن أبى بكر بن على بن سرور : أن الحافظ قام ليلة ليتوضأ على البركة ، وماؤها مقطوع فقال : ما كنت أشتهى الوضوء إلا من البركة ، ثم صبر قليلا ، فإذا الماء قد خرج من الأنبوب ، فانتظر حتى فاضت البركة ، ثم انقطع الماء فتوضأ ، فقلت : هذه والله كرامة لك ، فقال لى : قل : أستغفر الله ، هذا الماء لعله كان محتبسا ، لا تقل هذا .

وحدثنى رجل جندى بالقدس : أن الحافظ نزل عندهم بالقدس . وكان فى دارهم صهريج قد نقص ماؤه . قال : فقال لى الحافظ ليلة : قد ضيقنا عليكم فى الماء ، فقلت : بل يجعل الله فيه البركة ، فقال : نعم جعل الله فيه البركة . فلما كان الفجر إذا بالماء قد زاد نحو أربعة أذرع .

وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقرى قال : كان لأهل بيتى ثوب من ثياب الحافظ يدخرونه للموت ، وملحفة من أثر أمه . قال : فسرق مافى بيتنا من الثياب ، ففتشوا على الثوب والملحفة فلم يجدوهما ، فحزنوا عليهما . فلما كان بعد مدة وجدوهما فى الصندوق ، وقد كانوا فتشوا قبل ذلك ولم يجدوهما .

قال الضياء : وكنت أنا وجماعة نسمع على الحافظ بالمصلى الذى بجبلنا فى

شدة الحر ، فقال : لو كنا نقوم من هذا الحر إلى المسجد ، فهممنا بالقيام ولعل بعضنا قام ، فإذا سحابة قد غطت الشمس ، فقال : اقعدوا ، فرأيت بعض أصحابنا ينظر إلى بعض ، و يسرون الكلام بينهم : إن هذه كرامة ، و يقولون : ما كان يُرى فى السماء سحابة . وذكر الضياء أشياء كثيرة من هذا الجنس .

قال : وسمعت الحافظ يقول : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يمشى وأنا أمشى خلفه ، إلا أن بينى و بينه رجلا .

قال : وسمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله المحولى عن رجل فقيه — وكان ضريرا ، و يبغض الحافظ — فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، ومعه الحافظ و يده فى يده فى جامع عمرو بن العاص ، وهما يمشيان ، وهو يقول : يارسول الله ، حدثت عنك بالحديث الفلانى ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : صحيح ، ويقول : حدثت عنك بالحديث الفلانى ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : صحيح ، حتى عددت مائة حديث . قال : فأصبح فتاب من بغضه .

وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ عبد الغنى قال : حدثنى رجل من أصحابنا قال : رأيت الحافظ فى النوم يمشى مستعجلا ، فقلت : إلى أين ؟ فقال : أزور النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وأين هو ؟ قال : فى المسجد الأقصى ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم ، وعنده أصحابه ، فلما رأى الحافظ قام له النبى صلى الله عليه وسلم ، وأجلسه إلى جانبه . قال : فبقى الحافظ يشكو إليه ما لقى ، ويبكى ويقول : يا رسول الله ، كذبت فى الحديث الفلانى ، والحديث الفلانى ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : صدقت يا عبد الغنى ، صدقت يا عبد الغنى .

ذكر تصانيفه

كتاب « المصباح ، فى عيون الأحاديث الصحاح » ثمانية وأربعين جزءاً ، يشتمل على أحاديث الصحيحين ، كتاب « نهاية المراد ، من كلام خير العباد » لم يبيضه كله ، فى السنن ، نحو مائتى جزء ، كتاب « اليواقيت » مجلد ، كتاب « تحفة الطالبين ، فى الجهاد والمجاهدين » ، كتاب « الآثار المرضية ، فى فضائل خير البرية » أربعة أجزاء ، كتاب « الروضة » أربعة أجزاء ، كتاب « الذكر » جزآن ، كتاب « الأسرار » جزآن ، كتاب « التهجد » جزآن ، كتاب « الفرج » جزآن ، كتاب « الصلات من الأحياء إلى الأموات » جزآن ، كتاب « الصفات » جزآن « محنة الإمام أحمد » ثلاثة أجزاء ، كتاب « ذم الرياء » جزء كبير ، كتاب « ذم الغيبة » جزء ضخم ، كتاب « الترغيب فى الدعاء » جزء كبير ، كتاب « فضائل مكة » أربعة أجزاء ، كتاب « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » جزء ، كتاب « فضائل رمضان » جزء ، وجزء فى « فضائل عشر ذى الحجة » وجزء فى « فضائل الصدقة » وجزء فى « فضائل الحج » وجزء فى « فضائل رجب » وجزء فى « وفاة النبى صلى الله عليه وسلم » وجزء فى « الأقسام التى أقسم بهـا النبى صلى الله عليه وسلم » وكتاب « الأربعين » وكتاب « الأربعين » آخر ، وكتاب « الأربعين من كلام رب العالمين » وكتاب « الأربعين » بسند واحد ، وكتاب « اعتقاد الإمام الشافعى » جزء كبير ، وكتاب « الحكايات » سبعة أجزاء ، وكتاب « غنية الحفاظ فى تحقيق مشكل الألفاظ » فى مجلدين ، وكتاب « الجامع الصغير لأحكام البشير النذير » لم يتمه ، وخمسة أجزاء من كتاب لم يتمه ، على صفة كتاب « من صبر ظفر » وجزء « فى ذكر القبور » وأجزاء أخرجها من الأحاديث والحكايات . كان يقرؤها فى المجالس ، تزيد على مائة جزء ، وجزء فى « مناقب عمر بن عبد العزيز » جمعه كلها بالأسانيد .

ومن الكتب بلا إسناد : كتاب « الأحكام على أبواب الفقه » ستة أجزاء كتاب « العمدة في الأحكام » مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، جزآن ، وكتاب « درر الأثر على حروف المعجم » تسعة أجزاء ، كتاب « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » جزء كبير ، كتاب « النصيحة في الأدعية الصحيحة » جزء ، كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » جزء كبير ، كتاب « تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة » الذى ألفه أبو نعيم الأصبهانى في جزء كبير ، وكتاب « الكمال في معرفة الرجال » يشتمل على رجال الصحيحين وأبي داود والترمذى والنسائى وابن ماجة في عشر مجلدات ، وفيه إسناد ذكر محنته .

قال الحافظ الضياء : سمعت الإمام أبا محمد عمر بن سالم بن محمد الأنصارى المعبر يقول : رأيت في النوم — يعنى : قبل الفتنة التى جرت للحافظ — كأن قائلا يقول لى : يمنع الحافظ من القراءة ، ويجرى على أصحابه شدة ، ويمشى إلى مصر وبها يموت ، وهو من الأربعة ، والشيخ أبو عمر ـ وسمى رجلين من العراق ـ ولم أحفظ أسماءهما . فلما انتبهت جاءنى رجل ، فقال لي : الحال مثل ما رأيت في النوم ، ولم أرجع أره بعد ذلك .

وسمعت الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسى قال : سمعت الحافظ يقول : سألت الله تعالى أن يرزقنى مثل حال الإمام أحمد ، فقد رزقنى صلاته ، قال : ثم ابتلي بعد ذلك ، وأوذى .

وسمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي الحسن الجبائى بإصبهان يقول : كان أبو نعيم الحافظ قد أخذ على الحافظ أبى عبد الله بن مَنْدَه أشياء في كتاب «معرفة الصحابة» وكان الحافظ أبو موسى المدينى يشتهى أن يأخذ على أبي نعيم — يعنى : في كتاب « معرفة الصحابة » — فما كان يحسن . فلما جاء الحافظ عبد الغنى إلى إصبهان أشار إليه بذلك . قال : تأخذ على أبي نعيم في كتابه « معرفة الصحابة » نحوا من مائتين وتسعين موضعا . قال : فلما سمع

بذلك الصدر عبد اللطيف بن الخُجَندى طلب الحافظ عبد الغنى ، وأراد إهلا ك
فاختفى الحافظ .

وسمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحرانى قال : ما أخرجنا الحافظ من
إصبهان إلا فى أزار . وذلك أن بيت الخجندى أشاعرة ، كانوا يتعصبون لأبى نعيم
وكانوا رؤساء البلد .

قلت : هذا فى غاية الجهل والهوى . و إلا فما الذى يتعلق بهذا من المذاهب
واختلاف المقالات ؟ .

قال الضياء : وسمعت الحافظ يقول : كنا بالموصل نسمع الجرح والتعديل
للعُقيلى ، فأخذنى أهل الموصل ، وحبسونى، وأرادوا قتلى من أجل ذكر أبى حنيفة
فيه . قال : فجاءنى رجل طويل ومعه سيف ، فقلت : لعل هذا يقتلنى وأستريح
قال : فلم يصنع شيئا ، ثم إنهم أطلقونى .

قال: وكان يسمع هو والإمام ابن البرنى الواعظ ، فأخذ ابن البرنى الكراس
التى فيها ذكر أبى حنيفة فاشتالها ، فأرسلوا وفتشوا الكتاب فلم يجدوا شيئا
فهذا سبب خلاصه . والله أعلم .

قال : وكان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق ، ويجتمع الخلق عليه ، ويبكى
الناس ، وينتفعون بمجالسه كثيراً ، فوقع الحسد عند المخالفين بدمشق ، وشرعوا
يعملون وقتا يجتمعون فى الجامع ، ويقرأ عليهم الحديث ، ويجمعون الناس من
غير اختيارهم . فهذا ينام ، وهذا قلبه غير حاضر ، فلم تشتف قلوبهم بذلك
فشرعوا فى المكيدة بأن أمروا الإمام الناصح أبا الفرج عبد الرحمن بن نجم
ابن الحنبلى الواعظ بأن يجلس يعظ فى الجامع تحت قُبّة النسر بعد الجمعة وقت
جلوس الحافظ . فلما بلغنى ذلك قلت لبعض أصحابنا : هذه مكيدة والله ، ما ذلك
لحبهم الناصح ، وإنما يريدون أن يعملوا شيئا . فأوّل ذلك : أن الحافظ والناصح
أرادا أن يختلفا للوقت . ثم اتفقا على أن يجلس الناصح بعد صلاة الجمعة ، ثم

يجلس الحافظ بعد العصر . فلما كان بعض الأيام ، والناصح قد فرغ من مجلسه . وكان قد ذكر الإمام أحمد رحمه الله فى مجلسه ـ فدسوا إليه رجلا ناقص العقل من بيت ابن عساكر ، فقال للناصح كلاما معناه : إنك تقول الكذب على المنبر، فضرب ذلك الرجل وهرب ، فأتبع ، فخبئ فى الكلاسة ، فتمت لهم المكيدة بهذه الواقعة ، فمشوا إلى الوالى ، وقالوا له : هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة ، واعتقادهم يخالف اعتقادنا ، ثم إنهم جمعوا كبراءهم ، ومضوا إلى القلعة إلى الوالى ، وقالوا : نشتهى أن يحضر الحافظ عبد الغنى . وكان مشايخنا قد سمعوا بذلك ، فانحدروا إلى دمشق ـ خالى الإمام موفق الدين ، وأخى الإمام أبى العباس أحمد البخارى ، وجماعة الفقهاء ، وقالوا : نحن نناظرهم ، وقالوا للحافظ : اقعد أنت لا تجىء ؛ فإنك حاد ونحن نكفيك . فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ من القلعة وحده فأخذوه ، ولم يعلم أصحابنا بذلك ، فناظروه . وكان أجهلهم يغرى به فاحتدّ وكانوا قد كتبوا شيئا من اعتقاداتهم وكتبوا خطوطهم فيه ، وقالوا له : اكتب خطك ، فلم يفعل ، فقالوا للوالى : الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شىء وهو يخالفهم . وكان الوالى لا يفهم شيئاً فاستأذنوه فى رفع منبره ، فأرسلوا الأسرى فرفعوا ما فى جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين ، وقالوا : نريد أن لا نجعل فى الجامع إلا صلاة أصحاب الشافعى ، وكسروا منبر الحافظ ، ومنعوه من الجلوس ، ومنعوا أصحابنا من الصلاة فى مقامهم فى الجامع ، ففاتهم صلاة الظهر . ثم إن الناصح ابن الحنبلى جمع السوقة وغيرهم ، وقال : إن لم يخلونا نصلى باختيارهم صلينا بغير اختيارهم . فبلغ ذلك القاضى ـ وهو كان صاحب الفتنة ـ فأذن لهم بالصلاة ، وخاف أن يصلى بغير إذنه . وكان الحنفية قد حموا مقصورتهم بالجند .

ثم إن الحافظ ضاق صدره ، ومضى إلى بعلبك ، فأقام بها مدة يقرأ الحديث . وكان الملك العادل فى بلاد الشرق ، فقال أهل بعلبك للحافظ : إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذى من آذاك ، فقال : لا ، ثم إنه توجه إلى مصر ، ولم يعلم أصحابنا بسفره ، فبقى مدة بنابلس يقرأ الحديث .

قال الضياء : وهذا سمعته من أصحابنا . وكنت أنا فى ذلك الوقت بمصر أسمع الحديث .

قلت : وقد ذكر بعض المخالفين هذه القضية على غير هذا الوجه ، فقال : اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية عند المعظم عيسى ، والصارم برغش والى القلعة . وكانا يجلسان بدار العدل للنظر فى المظالم . قال : وكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة ، وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلى الجماعة ، وإصرار الفقيه عبد الغنى المقدسى على لزوم ما ظهر به من اعتقاده ، وهو الجهة والاستواء والحرف . وأجمع الفقهاء على الفتوى بكفره ، وأنه مبتدع ، لا يجوز أن يترك بين المسلمين ، ولا يحل لولى الأمر أن يمكنه من المقام معهم . وسأل أن يمهل ثلاثة أيام ؛ لينفصل عن البلد ، فأجيب .

وذكر غيره : أنهم أخذوا عليه مواضع ، منها قوله : ولا أنزهه تنزيهاً ينفى حقيقة النزول . ومنها قوله : كان الله ولا مكان ، وليس هو اليوم على ما كان . ومنها : مسألة الحرف والصوت ، فقالوا له : إذا لم يكن على ماقد كان ، فقد أثبت له المكان ، وإذا لم تنزهه تنزيهاً تنفى حقيقة النزول ، فقد أجزت عليه الانتقال . وأما الحرف والصوت ، فإنه لم يصح عن إمامك الذى تنتمى إليه فيه شىء ، وإنما المنقول عنه : أنه كلام الله عز وجل غير مخلوق . وارتفعت الأصوات ، فقال له صارم الدين : كل هؤلاء على ضلال ، وأنت على الحق ؟ قال : نعم .

ثم ذكر منعهم من الصلاة بالجامع ، قال : فخرج عبد الغنى إلى بعلبك ، ثم سافر إلى مصر ، فنزل عند الطحانين ، وصار يقرأ الحديث ، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه ، وكتب أهل مصر إلى الصفى بن شكر وزير العادل : أنه قد أفسد عقائد الناس ، ويذكر التجسيم على رءوس الأشهاد ، فكتب إلى والى مصر بنفيه إلى المغرب ، فمات قبل وصول الكتاب .

فأما قولهم : « أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره ، وأنه مبتدع » فيا لله العجب ، كيف يقع الإجماع ، وأحفظ أهل وقته للسنة ، وأعلمهم بهـا هو المخالف ؟ وما أحسن ماقال أبو بكر قاضى القضاة الشامى الشـافعى ، لمـا عقد له مجلس ببغداد ، وناظره الغزالى، واحتج عليه بأن الإجماع منعقد على خلاف ماعملت به ، فقال الشامى : إذا كنت أنا الشيخ فى هذا الوقت أخالفـكم على ماتقولون ، فبمن ينعقد الإجماع ؟ بك ، و بأصحابك ؟ هذا مع مخالفة فقيه الإسلام فى وقته الذى يقال : إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعى أفقه منه ، ومعه خلق من أئمة الفقهاء ، والمناظرين والمحدثين ، هذا فى الشام خاصة ، دع المخالفين لهؤلاء ، المجتمعين فى سائر بلاد المسلمين ـ بغداد ومصر وغيرهما من أمصار المسلمين ـ مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم ، ولم يكن فى المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والآثار .

ولقد عقد مرة مجلس لشيخ الإسلام أبى العباس ابن تيمية ، فتـكلم فيه بعض أكابر المخالفين ، وكان خطيب الجامع ، فقال الشيخ شرف الدين عبد الله أخو الشيخ : كلامنا مع أهل السنة ، وأما أنت : فأنا أكتب لك أحاديث من الصحيحين ، وأحاديث من الموضوعات ـ وأظنه قال : وكلاماً من سيرة عنتر ـ فلا تميز بينهما ـ أو كما قال ـ فسكت الرجل .

وأما قولهم : « إن بنى الحنبلى ، وافقوا الجماعة » فهذا إما أن يكون صحيحاً ، أو غير صحيح ، فإن كان صحيحاً ، فهو تقية ونفاق منهم ، و إلا فـكلام بنى نجم الدّين الحنبلى ، وكلام أبيهم فى إثبـات الصوت كثير موجود ، وسنذكر إن شاء الله مما نقله الناصح الحنبلى خاصة فى إثبات الصوت مانذكره فى مواضعه .

وأما قوله : « ولا أنزهه تنزيها ينفى حقيقة النزول » فإن صح هذا عنه ، فهو حق ، وهو كقول القائل : لا أنزهه تنزيهاً ينفى حقيقة وجوده ، أوحقيقة كلامه ، أو حقيقة علمه ، أو سمعه و بصره ، ونحو ذلك .

وأما المكان : ففيه نزاع وتفصيل . وفى الصحيحين : إثبات لفظ المكان .

وأما الانتقال : ففيه جوابان .

أحدهما : لا نسلم لزومه ؛ فإن نزوله ليس كنزول المخلوقين ، ولهذا نقل عن جماعة من الأئمة : أنه ينزل ، ولا يخلو منه العرش[1] .

والثانى : أن هذا مبنى على إثبات الأفعال الاختيارية ، وقيامها بالذات . وفيها قولان لأهل الحديث المتأخرين من أصحابنا وغيرهم .

وأما إنكار إثبات الصوت عن الإمام الذى ينتمى إليه الحافظ ، فمن أعجب العجب ، وكلامه فى إثبات الصوت كثير جداً .

قال عبد الله بن الامام أحمد فى كتاب السنة [« سألت أبى عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ؟ فقال أبى : بلى ، تكلم بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت »][2] . والمقصود ههنا : الإشارة إلى ماوقع فى حق الحافظ ، من التحامل عليه ، والتعصب .

وقرأت بخط الإمام الحافظ الذهبى ـ رداً على من نقل الإجماع على تكفيره ـ أما قوله « أجمعوا » فما أجمعوا ، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفروه ، وكفرهم هو ، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين : من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة ، لا على المجاز ، أعنى أنها تجرى على مواردها ، لا يعبر عنها بعبارات أخرى ، كما فعلته المعتزلة ، أو المتأخرون من الأشعرية . هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شىء .

قال الحافظ الضياء : وجاء شاب من أهل دمشق بفتاوى من أهلها ، إلى

---

(١) بهامش المخطوطة : قلت : ولهذا قال ابن يحوز : ينزل نزولا ، لا تخلو منه منازله الخ . كما فى التبصرة .

(٢) بياض بالأصل قدر ثلثى سطر ، وكملناه من كتاب السنة لعبد الله بن أحمد المطبوع بمكة (صفحة ٦٢) .

صاحب الحافظ بمصر — وهو العزيز عثمان — ومعه كتب : أن الحنابلة يقولون كذا وكذا ، مما يشنعون به ويفترونه عليهم . وكان ذلك الوقت قد خرج نحو الإسكندرية يتفرج ، فقال : إذا رجعنا من هذه السفرة أخرجناك من بلادنا ، من يقول بهذه المقالة ؟ فلم يرجع إلا ميتاً ؛ فإنه عدا به الفرس خلف صيد ، فشب به الفرس وسقط عليه ، فخسف صدره . كذا حدثنى شيخنا يوسف بن الطفيل ، وهو الذى تولى غسله ، وأقام ولده موضعه ، وأرسلوا إلى الأفضل بن صلاح الدين — وكان بصرخد — فجاء وأخذ مصر ، وذهب إلى دمشق ، فلقى الحافظ عبد الغنى فى الطريق ، فأكرمه إكراماً كثيرًا وبعث يوصى به بمصر .

فلما وصل الحافظ إلى مصر ، تُلِقِّي بالبشر والإكرام ، وأقام بها يُسمع الحديث بمواضع منها ، وبالقاهرة . وقد كان بمصر كثير من المخالفين ، لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم من أذى الحافظ لو أرادوه ، ثم جاء الملك العادل ، وأخذ مصر ، وأكثر المخالفون عنده على الحافظ . وسمعت أن بعضهم بذل فى قتل الحافظ خمسة آلاف دينار . قال : وقرأت بخط الحافظ كتبه إلى دمشق : والملك العادل اجتمعت به ، ومارأيت منه إلا الجميل ، فأقبل عليّ وأكرمنى ، وقام لى والتزمنى ، ودعوت له . ثم قلت : عندنا قصور ، فهو الذى يوجب التقصير ، فقال : ماعندك لا تقصير ولا قصور ، وذكر أمر السنة ، فقال: ماعندك شيء يعاب فى أمر الدين ولا الدنيا ، ولابد للناس من حاسدين . وقد تقدم ذكر هيبة العادل له ، واحترامه ، وتعجب الناس من ذلك .

قال : ثم سافر العادل إلى دمشق ، وبقى الحافظ بمصر ، والمخالفون لايتركون الكلام فيه ، فلما أكثروا عزم الملك الكامل على إخراجه من مصر ، واعتقل فى دارٍ سبع ليال ، فقال : ماوجدت راحة بمصر مثل تلك الليالى .

وقال : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغنى ، يقول : حدثنى الشجاع بن أبى ذكرى الأمير ، قال : قال لى الملك الكامل يوماً : هٰهنا رجل

فقيه ، قالوا : إنه كافر ، قلت : لا أعرفه ، قال : بلى ، هو محدث ، فقلت : لعله الحافظ عبد الغنى ؟ فقال : نعم ، هذا هو ، فقلت : أيها الملك ، العلماء : أحدهم يطلب الآخرة ، والآخر يطلب الدنيا ، وأنت هٰهنا باب الدنيا ، فهذا الرجل جاء إليك ، وأرسل إليك شفاعة ، أو رقعة ، يطلب منك شيئاً ؟ فقال : لا ، فقلت : أيها الملك : والله هؤلاء القوم يحسدونه ، فهل فى هذه البلاد أرفع منك ؟ قال : لا ، فقلت : هذا الرجل أرفع العلماء ، كما أنت أرفع الناس هٰهنا ، فقال : جزاك الله خيراً كما عرفتنى هذا .

ثم إنى أرسلت رقعة إلى الملك الكامل أوصيه به ، فأرسل إليّ : تجىء ، فمضيت إليه ، وإذا عنده جماعة ، منهم : شيخ الشيوخ - يعنى : ابن حمويه - وعز الدين الزنجانى ، فقال لى الملك : نحن فى أمر الحافظ ، فقلت : أيها الملك ، القوم يحسدونه ، ثم بيننا هذا الشيخ - أعنى شيخ الشيوخ - وقلت : بحق كذا وكذا ، هل سمعت من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام ؟ فقال : لا والله ، ماسمعت منه إلا كل جميل ، وما رأيته قط ، ثم تكلم ابن الزنجانى ، فمدح الحافظ مدحاً كثيراً ، ومدح تلامذته ، وقال : أنا أعرفهم ، فما رأيت مثلهم . فقلت : وأنا أقول شيئاً آخر ، فقال : ماهو ؟ فقلت : لا يصل إليه شىء يكرهه ، حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف ، قال فقال : لا يؤذَى الحافظ ، فقلت : اكتب خطك بذاك ، فكتب .

وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده ، فكتب : أقول كذا ؛ لقول الله كذا ، وأقول كذا ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، حتى فرغ من المسائل التى يخالفون فيها ، فلما وقف عليها الملك الكامل ، قال : إيش فى هذا ؟ يقول بقول الله عز وجل ، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : فخلى عنه .

ثم ذكر الضياء طرفاً من فراسته ، وهى نوع من فراسته ، وهى ملتحقة بنوع من كراماته .

فنها ماقال : سمعت نصر بن رضوان بن ثروان العدوى يقول : لما كان الحافظ يجلس فى الجامع بعد العصر ، كان المنبر الذى يجلس عليه فيه قصر . وكان الناس يشرفون إليه ، فخطر فى نفسى لو كان يرفع قليلا . وكان الحافظ على المنبر يقرأ فى جزء ، فترك القراءة ، فقال بعض الإخوان : نشتهى أن يعلى هذا المنبر قليلا ، فلما كان الغد زاد بعض الجماعة فى رجل المنبر قليلا .

قال: وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ قال: كنت عند والدى، وهو يذكر فضائل سفيان الثورى ، فقلت فى نفسى : إن والدى مثله ، فالتفت إلىّ وقال : أين نحن من أولئك؟ .

وسمعت أبا موسى أيضاً يحدث عن رجل بدمياط قال : كنت يوما عند الحافظ ، فقلت فى نفسى : كنت أشتهى لو أن الحافظ يعطينى الثوب الذى يلى جسده حتى أكفن فيه . فلما أردت القيام قال : لا تبرح ، فلما انصرف الجماعة خلع ثوبه الذى يلى جسده وأعطانيه . قال : فبقى الثوب عندنا ، وكل من مرض أو وجع رأسه تركوه عليه حتى يبرأ بإذن الله تعالى .

وسمعت أبا الرضى محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى قال : وقع لى أن أسأل الحافظ عن شىء من ذكر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فمضيت إليه فوجدت عنده جماعة ، فاستحييت أن أسأله وقعدت ، فذكر ما كنت أريد أن أسأله عنه وبيّنه .

وسمعت أبا على فارس بن عثمان بن عبد الله الدمشقى يذكر عن رجل عن آخر قال: خرجنا جماعة إلى الجبل ، فقعدنا على النهر . فقال بعضنا : اشتهينا لو أن الحافظ جاء ومعه جزء يقرأ لنا فيه أخباراً ، فقال آخر : ويجىء معه بحلاوة ، فلم نلبث إلا والحافظ قد جاء ، فقال له بعضنا : لو كنت جئت معك بشىء تقرأ لنا فيه ؟ فأخرج جزءاً من كمه ، وقال : قد جئت بالجزء والحلاوة .

وسمعت الحافظ أبا موسى يقول : قالت لى والدتى : قدمنا يوماً لوالدك طبيخاً

من طبيخ فلان ـ لرجل سماه لى ـ وكان الحافظ لايشتهى أن يأكل من طعامه ، فأخذ لقمة ورفعها إلى فيه ، ثم نظر إليه وقال : هذا من طبيخ فلان ، ارفعوه ، ولم يأكل منه شيئاً .

قال الضياء : فسألت خالتى رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة ـ امرأة الحافظ ـ بعد ذلك عن هذه الحكاية ؟ فحدثتنى بها .

قال : وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسى قال : كنت يوما عند الحافظ بالقاهرة ، فدخل رجل فسلم عليه ، ثم أخرج دينارين فدفعهما إليه، فدفعهما الحافظ إلىّ، وقال: ما كان قلبي يطيب بهما ، فسألت الرجل؟ إيش شغلك ؟ فقال : أنا أكتب على النطرون ، والنطرون بمصر ماء يجمد مثل الملح وعليه ضمان .

وسمعته يحدث عن رجل ـ وأثنى عليه خيراً ـ قال: كنت مرة قد تحرقت ثيابى ، فجئت يوماً بدمشق للحافظ ، فقلت : يا سيدى لك حاجة أحملها إلى الجبل ؟ قال: نعم . خذمعك هذا الثوب ، فحملته إلى الجبل. فلما صعدت ، جئت بالثوب إليه ، فقال : اقعد فَصِّل لك ثوبين وسراويل ، ففصلت ثوبين وسراويل ، وفضلت فضلة فأخذها .

سمعت الحافظ أبا موسى قال : مرض والدى رحمه الله فى ربيع الأول سنة ستمائة مرضاً شديدا منعه من الكلام والقيام ، واشتد به مدة ستة عشر يوما ، وكنت كثيراً ما أسأله : ما تشتهى ؟ فيقول : أشتهى الجنة ، أشتهى رحمة الله تعالى ، لايزيد على ذلك . فلما كان يوم الإثنين جئت إليه . وكان عادتى أبعث من يأتى كل يوم بكرة بماء حار من الحمام يغسل أطرافه . فلما جئنا بالماء على العادة مدّ يده ، فعرفت أنه يريد الوضوء ، فوضأته وقت صلاة الفجر ، ثم قال : ياعبد الله ، قم فصل بنا وخفف ، فقمت فصليت بالجماعة ، وصلى معنا جالساً . فلما انصرف الناس جئت ، فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة ، فقال لى : اقرأ

عند رأسى سورة يس ، فقرأتها ، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن ، فقلت : ههنا دواء قد عملناه تشربه ؟ فقال : يا بنىّ ما بقى إلا الموت ، فقلت : ما تشتهى شيئا ؟ قال : أشتهى النظر إلى وجه الله تعالى . فقلت : ما أنت عنى راض ؟ قال : بلى والله ، أنا عنك راض وعن إخوتك ، وقد أجزت لك ولاخوتك ولابن أختك إبراهيم .

قال : وسمعت أبا موسى يقول : أوصانى أبى عند موته : لا تضيعوا هذا العلم الذى تعبنا عليه ــ يعنى الحديث ــ فقلت : ما توصى بشىء ؟ قال : مالى على أحد شىء ، ولا لأحد علىّ شىء . قلت : توصينى بوصية ؟ قال : يا بني ، أوصيك بتقوى الله ، والمحافظة على طاعته . فجاء جماعة يعودونه فسلموا عليه فرد عليهم ، وجعلوا يتحدثون ، ففتح عينيه وقال : ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا : لا إله إلا الله ، فقالوها ، ثم قاموا . فجعل يذكر الله ، ويحرك شفتيه بذكره ، ويشير بعينيه ، فدخل رجل فسلم عليه ، وقال له : ماتعرفنى ياسيدى ؟ فقال : بلى ، فقمت لأناوله كتابا من جانب المسجد ، فرجعت وقد خرجت روحه . وذلك يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ستمائة . وبقى ليلة الثلاثاء فى المسجد ، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء مالا يحصيهم إلا الله عز وجل . ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة ، مقابل قبر الشيخ أبى عمرو ابن مرزوق فى مكان ذكر لى خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان ، ويبكى فيه إلى أن يبل الحصى ، ويقول : قلبى يرتاح إلى هذا المكان رحمه الله ورضى عنه ، وألحقه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قلت : ووقع لابن الحنبلى فى وفاته وهمٌ ، فقال : سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

ورثاه غير واحد ، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد المقدسى الأديب بقصيدة طويلة ، أولها :

هذا الذى كنت يوم البين أحتسب   فليقض دمعى عنك بعض ما يجب

يا سائرين إلى مصر بربكم ... رفقا عليّ ؛ فإن الأجر مكتسب
قولوا لساكنها : حُييت من سكن ... يامنية النفس ، ماذا الصد والغضب؟
بالشام قوم وفى بغداد قد أسفوا ... لا البعد أخْلَق بلواهم ولا الحقب
قد كنت بالكتب أحيانا تعللهم ... فاليوم لا رسل تأتى ولا كتب
أنسيتَ عهدهم أم أنت فى جدث ... تهفو وتبكى عليك الريح والسحب
بل أنت فى جنة تجنى فواكهها ... لا لغو فيها ، ولا غول ولا نصب
يا خير من قال بعد الصحب «حدثنا» ... ومن إليه التقى والدين ينتسب
لولاك مادَ عمود الدين ، وانهدمت ... قواعد الحق ، واغتال الهدى عطب
فاليوم بعدك جمر الغيّ مضطرم ... بادي الشرار، وركن الرشد مضطرب
فليبكينَّك رسول الله ما هتفت ... ورق الحمام ، وتبكى العجم والعرب
لم يفترقِ بكما حال ، فوتكما ... فى الشهر واليوم ، هذا الفخر والحسب
أحييت سنته من بعد ما دفنت ... وشِدْتها وقد انهدت لها رتب
وصنتها عن أباطيل الرواة لها ... حتى استنارت ، فلا شك ولا ريب
ما زلت تمنحها أهلا ، وتمنعها ... من كان يلهيه عنها الثغر والشنب
قوم بأسماعهم عن سمعها صمم ... وفى قلوبهم من حفظها قُضب
تنوب عن جمعها منهم عمائمهم ... أيضا ، ويغنيهم عن درسها اللقب
يا شامتين وفينا ما يسوؤهم ... مستبشرين وهذا الدهر محتسب
ليس الفناء بمقصور على سبب ... ولا البقاء بممدود له سبب
ما مات من عز دين الله يعقبه ... وإنما الميت منكم من له عقب
ولا تقوض بيت كان يعمده ... مثل العماد ، ولا أودى له طنب
علا العلى بجمال الدين بعد ، كما ... تحيي العلوم بمحيي الدين والقرب
وتسبق الخيل تاليها ، وإن بعدت ... وغاية السبق لا تعيي له النجب
مثل الدرارى السوارى شيخنا أبداً ... نجم يغور ويبقى بعده شهب
من معشر هجروا الأوطان وانتهكوا ... حُمر الخطوب وأبكار العلى خطبوا

شُمُّ العرانين ملح ، لو سألتهم ... بذل النفوس لما هابوا بأن يهبوا
بيض مفارقهم ، سود عواتقهم ... يمشى مسابقهم من حفظه التعب
نور إذا سألوا ، نار إذا حملوا ... سحب إذا نزلوا ، أسد إذا ركبوا
الموقدون ونار الحرب خامدة ... والمقدمون ونار الحرب تلتهب
هذا الفخار ، فإن تجزع فلا جزع ... على المحب ، و إن تصبر فلا عجب

قال الضياء : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمود البعلى قال : جاء قوم من التجار إلى الشيخ العماد ـ وأنا عنده ـ فحدثوه أن النور يرى على قبر الحافظ عبد الغنى كل ليلة أو كل ليلة جمعة .

قال : وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ قال : حدثنى صنيعة الملك هبة الله ابن على بن حيدرة ، قال : لما خرجت للصلاة على الحافظ لقينى هذا المغربى ـ وأشار إلى رجل معه ـ وقال: إلى أين تروح ؟ فقلت : إلى الصلاة على الحافظ ، فجاء معى ، وقال : أنا رجل غريب ، ورأيت البارحة فى النوم كأنى فى أرض واسعة ، وفيها قوم عليهم ثياب بيض ، وهم كثيرون ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقيل لى : هؤلاء ملائكة السماء نزلوا لموت الحافظ عبد الغنى . فقلت : وأين هو الحافظ؟ فقيل لى : اقعد عند الجامع حتى يخرج صنيعة الملك ، فامض معه . قال : فلقيته واقفا عند الجامع .

قال: وسمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغنى ـ سنة اثنتى عشرة وستمائة ـ قال : رأيت البارحة الكمال ـ يعنى أخى عبد الرحيم ، وكان توفى فى تلك السنة ـ فى النوم ، وعليه ثوب أبيض ، فقلت له : يا فلان ، أين أنت؟ قال: فى جنة عدن ، فقلت : أيما أفضل : الحافظ عبد الغنى ، أو الشيخ أبو عمر ؟ فقال : ما أدرى . وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسى تحت العرش ، ويقرأ عليه الحديث ، وينثر عليه الدر والجوهر ، وهذا نصيبى منه . وكان فى كمه شىء ، وقد أمسك بيده على رأسها .

قال : وسمعت الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن عبد الله الـكردى ـ بحران ـ يقول : رأيت الحافظ فى المنام ، فقلت : له يا سيدى ، أليس قد مِتّ ؟ فقال : إن الله عز وجل بقى علىّ وردى من الصلاة .

سمعت عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن سرور يحدث عن الشيخ الزاهد عبد الرحمن عثم المقرى عن رجل حدثه بمصر ـ وكان يبغض الحافظ ـ أنه رأى قائلا يقول له فى المنام : إن أراد الله بك خيرا فأنت تكون على ماهو عليه. وقال: الحافظ عبد الغنى يدخل الجنة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، أو قال : على أثر النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : وسمعت الإمام عبد الساتر بن يوسف بن على العجمى قال : رأيت فى المنام كأن أصحابنا فى الجنة وأنا معهم . قلت : مثل من ؟ قال : مثل الشيخ أبي عمر ، والموفق ، والحافظ . وكأن النار قد أقبلت ولها قتام وظلام ، وهى تقرب إلينا حتى كادت أن تصل إلينا ، فقال قائل : يا حافظ ، اخرج إليها ، فخرج الحافظ ـ رجل طويل فيه سمرة ، ووصفه بجميع صفته ، قال : ولم أبصر الحافظ قط ـ ومعه نهر مثل نهر يزيد ثلاث مرات ، فبقى يجيء منها حجارة ، فتقع فى ذلك النهر فتطفى ، وتبقى مثل الطواحين السود .

وقد ذكر الضياء غير ذلك من المنامات المرئية له فى حياته و بعد مماته . رضى الله عنه .

وقد سمع الحديث من الحافظ عبد الغنى الخلقُ الـكثير . وحدث بأكثر البلاد التى دخلها ، كبغداد ودمشق ومصر ودمياط وإصبهان . وحدث بالإسكندرية سنة سبعين وخمسمائة .

وروى عنه خلق كثير ، منهم : ولداه أبو الفتح ، وأبو موسى ، وعبد القادر الرهاوى ، والشيخ موفق الدين ، والحافظ الضياء ، وابن خليل، والفقيه اليونينى ، ويعيش بن ريحان الفقيه ، وأحمد بن عبد الدائم ، وعثمان بن مكى الشارعى ،

وأحمد بن حامد الأرتاحى ، وإسماعيل بن عزون ، وعبد الله بن علاف .

وآخر من سمع منه : محمد بن مهلهل الحسينى . وآخر من روى عنه بالإجازة أحمد بن أبى الخير سلامة الحداد .

ذكر شيء من فتاوى الحافظ عبد الغنى ومسائله

نقلته من خط السيف بن المجد

سئل عن حديث « من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة » هل هو منسوخ ؟

فأجاب : بل هو محكم ثابت ، لكن زيد فيه وضم إليه شروط أخر ، وفرائض فرضها الله على عباده . وذكر قول الزهرى فى ذلك .

وسئل عمن كان فى زيادة من أحواله ، فحصل له نقص ؟

فأجاب : أما هذا ، فيريد المجيب عنه أن يكون من أرباب الأحوال وأصحاب المعاملة . وأنا أشكو إلى الله تقصيرى وفتورى عن هذا وأمثاله من أبواب الخير . وأقول ، وبالله التوفيق : إن من رزقه الله خيراً من عملٍ أو نورِ قلبٍ ، أو حالة مرضية فى جوارحه وبدنه ، فليحمد الله عليها ، وليجتهد فى تقييدها بكمالها ، وشكر الله عليها ، والحذر عن زوالها بزلة أو عثرة . ومن فقدها فليكثر من الاسترجاع ، ويفزع إلى الاستغفار والاستقالة ، والحزن على ما فاته ، والتضرع إلى ربه ، والرغبة إليه فى عودها إليه ، فإن عادت ، وإلا عاد إليه ثوابها وفضلها إن شاء الله تعالى .

وسئل مرة أخرى فى معنى ذلك ؟

فأجاب : أما فقدان ما نجده من الحلاوة واللذة ، فلا يكون دليلا على عدم القبول ؛ فإن المبتدئ يجد مالا يجد المنتهى ، فإنه ربما مَلَّت النفس وسئمت لتطاول الزمان ، وكثرة العبادة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان ينهى عن كثرة العبادة والإفراط فيها ، ويأمر بالاقتصاد ؛ خوفاً من

اللَّل . وقد روى « أن أهل اليمن لما قدموا المدينة جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : هكذا كنا حتى قست القلوب » .

وسئل عن يزيد بن معاوية ؟

فأجاب : خلافته صحيحة . قال : وقال بعض العلماء : بايعه ستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن عمر . وأما محبته : فمن أحبه فلا ينكر عليه ، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك ؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلتزم محبتهم إكراما لصحبتهم . وليس ثَمَّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين ، كعبد الملك و بنيه . و إنما يمنع من التعرض للوقوع فيه ؛ خوفا من التسلق إلى أبيه ، وسدًّا لباب الفتنة .

وقال : روى عن إمامنا أحمد : أنه قال : من قال : الإيمان مخلوق ، فهو كافر ومن قال : قديم ، فهو مبتدع . قال : وإنما كفر من قال بخلقه ؛ لأن الصلاة من الإيمان ، وهى تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله عز وجل . ومن قال بخلق ذلك كفر . وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ، ومن قال بقدم ذلك ابتدع .

وسئل عن دخول النساء الحمام ؟

فأجاب : إذا كان للمرأة عذر فلها أن تدخل الحمام لأجل الضرورة . والأحاديث فى هذا أسانيدها متقاربة . قد جاء النهى والتشديد فى دخولهن . وجاءت الرخصة للنفساء والسقيمة . والذى يصح عندى : أنها إذا دخلت من عذر فلا بأس إن شاء الله ، و إن استغنت عن الدخول ، وكان لها عنه غناء ، فلا تدخل . وهذا رأينا فى أهلنا ، ومن يأخذ بقولنا . نسأل الله التوفيق والعفو والعافية .

٢١٥ — محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد بن الدجاجى الواعظ ، أبو نصر ابن أبى الحسن . وقد سبق ذكر والده .

ولد فى رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وسمع بإفادة أبيه ، وبنفسه من أبيه ، وأبى جعفر السمنانى ، والقاضى أبى بكر ، وأبى منصور القزاز ، وأبى القاسم السمرقندى ، وعبد الوهاب الأنماطى وغيرهم. ورحل إلى الكوفة ، فسمع بها من أبى الحسن بن غبرة الحارثى

قال ابن نقطة : كان صحيح السماع .

وقال الدبيثى : شيخ حسن ، فيه فضل وتمييز .

وقال القادسى : كان صالحا خيرا ، فاضلا واعظا ، يقرض الشعر .

وقال ابن النجار : كان من أعيان المشايخ ، ووجوه وعاظ مدنية السلام ، مليح الوعظ ، حسن الإيراد ، حلو الألفاظ ، كيِّساً متوددا ، حسن الأخلاق ، متواضعا ، فاضلا صدوقا . وله النثر والنظم الجيد . وكان يتكلم فى عزاء الخلفاء والأفاضل والأماثل . وله تقدم ومكانة . ومما ذكر له من الشعر قوله — أنشده عنه ابن النجار — :

نفس الفتى إن صلحت أحوالها ... كانت إلى نيل التقى أحوى لها

وإن تراها سددت أقوالها ... كانت إلى حمل العلا أقوى لها

فلو تبدت حال من لها لها ... فى قبره عند البلا لما لها

وله :

يقول عيسى أدميتها بالمسير ... رفقا بنا يا هاشمى

إن شئت أن تلقى الغنى والمنى ... عج بإمام من بنى هاشم

فقلت إذ لاح سنا قصره ... يا نوق هذا نوره هاشمى

قال ابن القطيعي : أنشدته هذه الأبيات :

من لم يعدك إذا مرضت ... فلا تعده ولا كرامة

فإنِ الإلهُ أماته ... فقد استرحت من الملامة

وإنِ الإلهُ أقامه ... فالعذر تهنيك السلامة

فقال مرتجلا :

وأنا على هذا أكون ... مدى الحياة إلى القيامة

حدث بالكثير ببغداد وواسط والموصل . وسمع منه خلق . وروى عنه : الدبيثى ، وابن النجار ، والنجيب الحرانى ، وأخوه عبد العزيز .

وتوفى يوم الأربعاء خامس عشر من ربيع الأول سنة إحدى وستمائة . ونودى له بجميع محال بغداد ، فاجتمع له الناس من الغد ، فصلى عليه بجامع السلطان . ودفن بباب حرب .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى أخبرنا أبو الفرج الحرانى أخبرنا أبو نصر ابن الدجاجى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن غيرة أخبرنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علان أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله النهروانى حدثنا محمد ابن جعفر بن رباح الأشجعى حدثنا على بن المنذر الطريفى حدثنا محمد بن فضيل ابن غزوان حدثنا أبى عن أبى حازم عن أبى هريرة قال « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم »

٢١٦ — عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله النميرى الحرانى الفقيه الواعظ ، أبو محمد . ويلقب نجم الدين . من أهل حران

رحل إلى بغداد فى صباه سنة ثمان وسبعين لطلب العلم . فسمع من أبى الفتح بن شاتيل ، وأبى السعادات القزاز ، وغيرهما .

وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، حتى حصل طرفا صالحا من المذهب والخلاف . ثم عاد إلى حران . ثم قدم بغداد مرة أخرى سنة ست وتسعين ومعه ولداه : النجيب عبد اللطيف ، والعز عبد العزيز ، فسمع ، وأسمعهما الكثير . وقرأ على الشيوخ . وكتب وحصل وناظر فى مجالس الفقهاء ، وحلق المناظرين ، ودرس وأفاد الطلبة ، واستوطن بغداد ، وعقد بها مجلس الوعظ بعدة أماكن .

ذكر ذلك ابن النجار . وقال : كان مليح الكلام فى الوعظ ، رشيق الألفاظ ، حلو العبارة . كتبنا عنه شيئا يسيرا . وكان ثقة صدوقا ، متحريا . حسن الطريقة ، متدينا متورعا نزها عفيفا ، عزيز النفس مع فقر شديد . وله مصنفات

حسنة وشعر جيد . وكلام فى الوعظ بديع . وكان حسن الأخلاق ، لطيف الطبع متواضعا ، جميل الصحبة .

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزى : كان صالحا دنيا ، نزها عفيفا ، كيِّساً لطيفا متواضعاً ، كثير الحياء . وكان يزورجدى و يسمع معنا الحديث . وذكر أنه استوطن بغداد لوحشة جرت بينه و بين خطيب حران ابن تيمية ، فإنه خشى منه أن يتقدم عليه . فلما استشعر ذلك منه عاد إلى بغداد وسكنها .

قال : وحضرت مجالسه بباب المشرعة . وكان يقصد التجانس فى كلامه . وسمعته ينشد :

وأشتاقكم يا أهل وُدِّى و بيننا ... كما زعم البين المُشِتّ فراسخ
فأما الكرَى عن ناظرى فشرد ... وأما هواكم فى فؤادى فراسخ

وذكره الناصح ابن الحنبلى ، فقال : اشتغل بالفقه . وسمع درس شيخنا ابن المنى . وتكلم فى مسائل الخلاف ، واشتغل بالوعظ ، وفتح عليه بالنظم والنثر ورجع إلى حران ، ووعظ بها مدة ، ثم سافر إلى دمشق ، وحضر مجلسى ، وسألناه أن يجلس فامتنع ، وقال : ما أجلس فى بلد تجلس أنت فيه ، كأنه يكرمنى بذلك . ثم عاد إلى بغداد .

وقال ابن القادسى : كان ديِّناً ، صالحاً ذا معرفة ، عذب العبارة ، مليح الكلام ، كيساً ، متواضعاً ، عقد مجالس الوعظ ببغداد .

قلت : وقد سبق فى ترجمة شيخه ابن المنىّ مرثية له فيه . وكان يفتى ببغداد مع أكابر فقهائها .

قال ابن النجار : توفى يوم الخميس سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة . ونودى بالصلاة عليه فى البلد . فاجتمع له الناس من الغد بجامع القصر ، فصلينا عليه . وكان الجمع متوافراً ، ثم صلى عليه نو بة ثانية بالمدرسة النظامية . ودفن بباب حرب ، وأظنه قارب الخمسين ، أو بلغها . رحمه الله .

قلت : وله أخ يقال له محمود ، يكنى أبا الثناء ، كان فقيهاً بارعاً ، رأيت له تصنيفاً ، سماه « الإنبا ، عن تحريم الربا » تكلم فيه على بيع الفضة المغشوشة بالخالصة ، ورأيت له سماعاً على أحمد بن أبي الوفاء الفقيه جزء ابن عرفة ، وعلى حماد الحرانى ، وربما قيل فى نسب كل منه ومن أخيه : ابن الصيقل ، وابن الصقال .

٢١٧ - محمد بن محمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأنصارى ، الأرتاحى المصرى ، أبو عبد الله بن أبي الثناء .

ولد سنة سبع وخمسمائة تخميناً .

وسمع بمصر من أبي الحسن على بن نصر بن محمد بن عفير الأرتاحى العابد وغيره ، وبمكة : من المبارك بن الطباخ . وأجاز له أبو الحسن على بن الحسين ابن عمر الموصلى الفراء ، وتفرد بإجازته ، وحدث بها بشيء كثير .

قال المنذرى : كتب عنه جماعة من الحفاظ ، وغيرهم ، من أهل البلد ، والواردين عليها ، وحدثوا عنه . وهو أول شيخ سمعت منه الحديث . ونعته بالشيخ الأجل الصالح أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأجل الصالح أبي الثناء حمد .

قال : وهو من بيت القرآن والحديث والصلاح . حدث من بيته غير واحد وأقرأ . وروى عنه ابن خليل فى معجمه ، ونعته بالإمام .

توفى فى العشرين من شعبان سنة إحدى وستمائة بمصر . ودفن من الغد بتربتهم ، بسفح جبل المقطم . رحمه الله .

وفى يوم السبت سلخ سنة إحدى وستمائة توفى يوسف بن سعيد البناء الأزجى الحنبلي ، المحدث . ودفن يوم الأحد مستهل المحرم . سمع كثيراً ، وكتب بخطه .

٢١٨ - جبريل بن صارم بن أحمد بن على بن سلامة الصعبى المصرى ، أبو الأمانة ، الأديب .

قدم بغداد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وهو فقير . فتفقه فى المذهب ، وقرأ الخلاف . وصار يتكلم فى المسائل مع الفقهاء ، وجالس النحاة ، وحصل طرفاً صالحاً من الأدب ، وقال الشعر الجيد .

وسمع الحديث من أبى الفرج بن الجوزى وغيره ، ومدح الخليفة الناصر بعدة قصائد ، وأثرى ، ونبل مقداره ، واشتهر ذكره ، فنفذ من الديوان فى رسالة إلى الخوارزم شاه .

وسمع الحديث من مشايخ خراسان . وحصل نسخاً بما سمع . ثم عاد إلى بغداد ، وقد صار له الغلمان الترك والمراكب ، ولم يزل يرسل من الديوان إلى خوارزم شاه ، إلى أن قبض عليه لسبب ظهر منه ، فسجن بدار الخلافة ، وانقطع خبره عن الناس .

روى عنه من شعره ابن القطيعى ، وعلى بن الجوزى . ولم أقف على وفاته .

ومما أنشده عنه ابن القطيعى ، وكناه أبا الآثار :

لا غرو إن أضحت الأيام توسعنى ... فقراً ، وغيرى بالإثراء موسوم

فالحرف فى كل حال غير منتقص ... ويدخل الاسم تصغير وترخيم

٢١٩ — على بن عمرو بن فارس الحداد الباجسرائى ، ثم البغدادى ، الأزجى الفرضى ، أبو الفرج .

تفقه على أبى حكيم النهروانى ، وقرأ الفرائض والحساب . وكان فيه فضل ومعرفة . وتقلب فى الخدم الديوانية . ذكره المنذرى . وقال : توفى ليلة رابع شعبان ، سنة ثلاث وستمائة . ودفن من الغد بمشهد عبيد الله ، بالجانب الشرقى من بغداد . رحمه الله تعالى .

٢٢٠ — عبد الحليم بن محمد بن أبى القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية ، أبو محمد ابن الشيخ فخر الدين ، وسيأتى ذكر والده .

ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

وسمع الحديث ببغداد من ابن كليب ، وابن المعطوش ، وابن الجوزى ، أبى أحمد بن سكينة وغيرهم .

وأقام ببغداد مدة طويلة . وقرأ الفقه ، والأصول ، والخلاف ، والحساب ، الهندسة ، والفلسفة ، والعلوم القديمة ، حتى برع فى ذلك كله . ذكر ذلك بن النجار . أن الحافظ ضياء الدين سمع منه جزء ابن عرفة عن ابن كليب

وتوفى سادس شوال ، سنة ثلاث وستمائة بحران . رحمه الله .

وذكر والده فى كتابه « الترغيب » أن لولده عبد الحليم ـ هذا ـ كتاباً سماه « الذخيرة » وذكر عنه فروعاً فى دقائق الوصايا ، وعويص المسائل لدورية ، ونحوها .

٢٢١ ـ عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبى صالح الجيلى البغدادى ، لحلبي ، المحدث الحافظ ، أبو بكر ابن الزاهد أبى محمد .

وقد سبق ذكر والده وأخيه ، عبد الوهاب .

ولد عبد الرزاق عشية يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين خمسمائة ببغداد .

وسمع الكثير بإفادة والده ، و بنفسه من أبى الحسين محمد بن أحمد بن صرما ، أبى الفضل الإرموى ، وابن ناصر الحافظ ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الكرم لشهرزورى ، وأحمد بن طاهر الميهنى ، وسعيد بن البناء ، وأبى الوقت وطبقتهم . عنى بهذا الشأن ، وحصل الأصول ، وتفقه على والده . وكانت له معرفة المذهب ، ولكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه .

قال ابن نقطة : كان حافظاً ثقة مأموناً .

وقال الحافظ الضياء : لم أر ببغداد أحداً فى تيقظه وتحريه مثله ، وأثنى عليه الدبيثى . وغيره .

وقال ابن النجار : كان حافظاً متقناً ، ثقة صدوقاً ، حسن المعرفة بالحديث ، فقيهاً على مذهب أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، ورعاً متديناً ، كثير العبادة ، منقطعاً فى منزله عن الناس ، لا يخرج إلا فى الجمعات ، محباً للرواية ، مكرماً لأهل العلم ، سخياً بالفائدة ، ذا مروءة ، مع قلة ذات يده ، وأخلاق حسنة ، وتواضع وكيس ، وكان خشن العيش ، صابراً على فقره ، عزيز النفس عفيفاً ، على منهاج السلف .

قال أبو شامة فى تاريخه : كان زاهداً عابداً ورعاً ، لم يكن فى أولاد الشيخ مثله ، وكان مقتنعاً من الدنيا باليسير ، ولم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته .

قال الذهبي : حدث عنه أبو عبد الله الدبيثى ، وابن النجار ، والضياء المقدسى ، والنجيب عبد اللطيف ، والتقى البلدانى ، وابنه قاضى القضاة أبو صالح ، وآخرون .

وتوفى ليلة السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة ، وحمل من الغد على الرءوس ، وصلى عليه بالمصلى ، ثم بجامع الرصافة ، و بمواضع متعددة ، وشيعه الخلق الكثير . وكان يوماً مشهوداً . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ـ بمصر ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أنبأنا الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن عبد القادر ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن صرما ، أخبرنا أبو منصور عبد الباقى بن محمد العطار ، أخبرنا أبو طاهر المخلص ، قال : قرىء على أبى كريب ـ وأنا أسمع ـ حدثكم عبد الله بن إدريس عن عبيد الله ابن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ضُرب وغُرِّب ، وأن أبا بكر ضرب وغرب ، وأن عمر ضرب وغرب » رواه الترمذى ، والنسائى ، عن أبى كريب .

٢٢٢ ـ عبد الرحمن بن عيسى بن أبى الحسن ، على بن الحسين البزورى البغدادى ، البابصرى ، الواعظ ، أبو محمد ، وأبو الفرج .

ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

وسمع من أبي الوقت ، وهبة الله بن السبكي ، وأبي المظفر بن البرمكي ، وأبي محمد المادح ، وأبي المعالي بن النحاس وغيرهم . ،

وقرأ الوعظ ، والفقه ، والحديث ، على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . وكان خصيصاً به ، ثم تهاجرا ، وتباينا ، إلى أن فرق الموت بينهما .

قال سبط ابن الجوزي : ثم حدثته نفسه بمضاهاة جدي، وكنى نفسه بكنيته ، واجتمع إليه سفساف أهل باب البصرة ، وانقطع عن جدي . ولما جاء من واسط ، ماجاء إليه ، ولا زاره . وتزوج صبية وهو فى عشر السبعين ، فاغتسل فى يوم بارد ، فانتفخ ذكره ، فمات .

وقال القادسي : كان تلميذ شيخنا ابن الجوزي ، وصحبه مدة وانتفع به ، ووعظ بجامع المنصور .

قال : وسمعته يقول بعض الأيام على الكرسي : إن الثعبان لم يلدغ أبا بكر الصديق ، ولم يصح ذلك ، فذكرنا ذلك لشيخنا ابن الجوزي ، فقال : إن هذا الحديث قد ذكره اللالكائي ، وكان من سادة أهل الحديث ، وأن ابن عيسى قال كلمات كتبها من عندي .

قال : وسمعته يقول : إن مشهد المستقة لم يصح أن علياً اشتراه بمستقته . وذكر قصته ، وأن الرافضة وضعوا ذلك ، قال : وقد صرح شيخنا ابن الجوزي بكذبه لما بان له منه .

قلت : لا ريب فى وقوع العداوة بينهما .

قال : وهو منسوب إلى قرية بزور ، قرية بدجيل .

وقال ابن القطيعي : رفيقنا ، كان فيه دين . وأنشدني من شعره شيئاً .

وقال ابن النجار : وتفقه على مذهب الإمام أحمد ووعظ . وكان صالحاً ، حسن الطريقة ، خشن العيش ، غزير الدمعة عند الذكر ، كتبت عنه ، وهو الذي جمع سيرة ابن المني ، وطبقات أصحابه ، وذكر فيها : أنه لزمه ، وقرأ عليه ،

وكلامه فيها يدل على فصاحته ومعرفته بالفقه والأصول والجدل .

وقد ذكره الحافظ الضياء ، فقال : شيخنا الإمام الواعظ ، أبو محمد . ولكن ابن الجوزى وأصحابه يذمونه .

توفى ليلة الإثنين السادس من شعبان [1] سنة أربع وستمائة ، وصلي عليه من الغد بجامع المنصور ، وحمله الناس على رءوسهم إلى باب حرب ، ودفن هناك . رحمه الله تعالى .

٢٢٣ ـ محمد بن النفيس بن مسعود بن أبى سعد بن على السلامى الطحان الفقيه الأديب ، أبو سعد ابن الفقيه أبى محمد ، ويلقب شمس الدين . وقد سبق ذكر والده .

ولد أبو سعد فى ربيع الآخر [2] سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

وقرأ القرآن ، وسمع من أبى على أحمد بن محمد بن أحمد الرحبي ، وأبى محمد بن الخشاب النحوى ، وشهده . وقرأ الفقه على ابن المنى .

وذكره القطيعى ، فقال : شاب حسن الخلق والخلق ، من أهل القرآن والفقه . كان يسمع معنا الحديث .

وقال ابن القادسى : كان فقيهاً حسناً ، خيراً متميزاً .

وقال المنذرى : حدث بشىء من تأليفه . توفى ليلة ثانى عشرين من شوال ، سنة أربع وستمائة . ودفن من الغد بمقبرة الزرادين .

وكذا ذكره ابن القادسى ، وزاد : ليلة الجمعة ، وصلى عليه يوم الجمعة بجامع القصر . وقال ابن القطيعى : فى ذى القعدة .

قرئ على أبى الفتح الميدومى ـ بمصر ـ وأنا أسمع ـ أخبركم أبو الفرج

(١) فى خطية الإدارة الثقافية : أن وفاته فى السادس من شوال .

(٢) فى خطية الإدارة الثقافية : أنه ولد « فى ربيع الأول » ،

الحرانى ـ سماعاً ـ قال : أنشدنا أبو عبد الله ، وأبو سعد محمد بن النفيس ، من شعره لنفسه :

رقّ يامن قلبه حجر لجفون حشوها سهر
والجسم ما لناظره منه إلا الرسم والأثر
فغرامى لو تحمله صخر رَضْوَى كاد ينفطر
إن لومى فى هواك لَمِن شر مايأتى به القدر
يا بديعاً جلَّ عن شبه ما يدانى حسنك القمر
صل ووجه الدهر مقتبل فزمان الوصل مختصر

وقد كتبها القطيعى عنه ، وزاد بيتاً آخر ، وهو :

كم رأينا وجنة فتنت فمحى آثارها الشعر

٢٢٤ ـ عبد الله بن أبى الحسن بن أبى الفرج الجبائى ، الطرابلسى الشامى ، الفقيه الزاهد أبو محمد ، نزيل إصبهان . وسمى المنذرى جَدَّه أبا الفضل . والأول أصح .

قال القطيعى : سألته عن مولده ؟ فقال : سنة إحدى وعشرين وخمسمائة تقريباً

وقال المنذرى : مولده سنة تسع عشرة ـ أو سنة عشرين ـ وخمسمائة .

وقال القطيعى: سألته عن نسبه ؟ فقال لى: نحن من قرية يقال لها : الجبة ، من ناحية بشرى ، من أعمال طرابلس ، فى جبل لبنان . وكنا قوماً نصارى ، فتوفى أبى ونحن صغار . وكان أبى من علماء النصارى ، وهم يعتقدون فيه أنه يعلم الغيب ، فلما مات نفذت إلى المعلم ، فقالت والدتى : ولدى الكبير للكسب وعمارة أرضنا ، وولدى الصغير يضعف عن الكسب ـ وأشارت إلىّ ـ ولنا أخ أوسط ، فقال المعلم : أما هذا الصغير ـ يعنينى ـ فلا يتعلم العلم ، ولكن هذا ـ وأشار إلى أخى ـ فأخذه وعلمه ؛ ليكون مقام أبى . فقدر الله أن وقعت حروب . فخرجنا من قريتنا . فهاجرت من بينهم . وكان فى قريتنا جماعة من المسلمين يقرءون

القرآن . فإذا سمعتهم أبكى . فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت ، وعمرى أحد عشر سنة . ثم بلغنى إسلام أخى الكبير . وتوفى مرابطاً . ثم أسلم أخى الصغير الذى كان يعلمه المعلم . ودخلت بغداد فى سنة أربعين وخمسمائة .

قلت : وقد أصابه سَبى واسترق .

فذكر أبو الفرج بن الحنبلى ــ ونقلته من خطه ــ قال: كان مملوكا ، فقرأ القرآن فى حلقة الحنابلة ــ يعنى بجامع دمشق ــ فحفظه ، وحفظ شيئا من عبادات المذهب الحنبلى ، فقام قوم إلى الشيخ زين الدين على بن إبراهيم بن نجا الواعظ ، وهو على منبر الوعظ ، فقالوا : هذا الصبى قد حفظ القرآن وهو على خير ، نريد أن نشتريه ويعتق ، فاشترى من سيده وأعتق ، وسافر عن دمشق . وطلب همدان ، ولقى الحافظ أبا العلاء الهمدانى ، فأقام عنده . وقرأ عليه القرآن . وسمع الحديث ، وصار عند الحافظ مصدراً يقرئ الناس ، ويأخذ عليهم . واشتهر بالخير والعلم ، ودخل العجم . وسمع الكثير ، ورجع إلى بغداد ، وسمع حديثها ، ولقى مشايخها .

قال : ولقيته ببغداد ، واستزارنى إلى بيته . وقال لجماعته : أنا مملوك بيت الحنبلى . ثم سافر إلى إصبهان .

وقال الشيخ موفق الدين المقدسى : كان ــ يعنى الجبائى ــ رجلا صالحا . وهو من « جبة » طرابلس . وسُبى من طرابلس صغيرا ، ثم اشتراه ابن نجية وأعتقه ، فسافر إلى بغداد ، ثم إلى إصبهان . وكان يسمع معنا الحديث . انتهى .

سمع الشيخ أبو محمد ببغداد من ابن ناصر الحافظ الإرموى ، وابن الطلاية وسعيد بن البنا ، ودعوان بن على الحسنى وأبى على حمد بن شاتيل القاضى ، وأبى المعمر الأنصارى وغيرهم .

وسمع بإصبهان من أبى الخير الباغبانى (١) ، ومسعود الثقفى ، وغيرهما .

وتفقه ببغداد على أبى حكيم النهروانى . وأخذ عنه القطعة التى كتبها من

---

(١) فى مخطوطة الثقافة « الباغيان »

شرح الهداية . وصحب الشيخ عبد القادر الجيلى مدة، مائلا إلى التزهد والصلاح والخير والانقطاع ، وانتفع به . وكان يحكى عنه كثيراً من أحواله وكراماته .

قال ابن النجار : كتب إلىّ عبد الله بن أبي الحسن الجبائى ونقلته من خطه قال : كنت أسمع كتاب «حلية الأولياء» على شيخنا أبي الفضل بن ناصر ، فرق قلبى ، وقلت فى نفسى: أشتهى أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة ، ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر . فلما صلى جلسنا بين يديه ، فنظر إلىّ وقال : إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم ، فحينئذ يصلح لك الانقطاع ، وإلا فتمضى وتنقطع قبل أن تتفقه ، وأنت فُرَيخ ما رَيَّشت فإن أشكل عليك شىء من أمر دينك تخرج من زاويتك ، وتسأل الناس عن أمر دينك ؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ، ويسأل الناس عن أمر دينه . ينبغى لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره .

قال : وكان الشيخ يوما يتكلم فى الإخلاص والرياء والعجب ، وأنا حاضر فى المجلس ، فخطر فى نفسى : كيف الخلاص من العجب ؟ فالتفت إلىّ الشيخ ، وقال : إذا رأيت الأشياء من الله ، وأنه وفقك لعمل الخير ، وأخرجت نفسك من البين سلمت من العجب .

قال أبو الفرج بن الحنبلى — وكتبته من خطه —: كانت حرمة الشيخ عبد الله الجبائى كبيرة ببغداد . فلما دخلت إصبهان سنة ثمانين وجدته بها وهو عظيم الحرمة ، فكان كل يوم يأتى إلى زيارتى. وبجاهه سمعت على الحافظ أبى موسى الجزء من السباعيات ، فإنه كان مريضا . وقد حجب الناس عنه ، فلم يقدروا على حجب الشيخ عبد الله ، فدخلنا معه ، فأخذ الإذن من الحافظ أبى موسى لى فى القراءة عليه . وكان إذا مشى فى السوق قام له أهل السوق . وحكى لى الشيخ طلحة — يعني العلثى — أن للشيخ عبد الله — يعنى الجبائى — رياضات ومجاهدات يطول ذكرها .

وحدثنى الشيخ طلحة عنه : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال : يا رسول الله ، أيثاب الرجل على قراءة القرآن ؟ فقال : نعم . فقال : يارسول الله ، بفهم و بغير فهم؟ فقال: بفهم و بغير فهم . قال : فقلت : يارسول الله كلام الله بحرف و بصوت ؟ فقال : وهل يكون كلام بغير حرف وصوت ؟ وهل يكون كلام بغير حرف وصوت ؟

قال : وهذا المنام عندى بخط الشيخ طلحة رحمه الله .

حدث الجبائى رحمه الله ببغداد و إصبهان . وروى عنه ابن الجوزى عدة منامات فى كتبه . وقال : كان من الصالحين .

وسمع منه القطيعى وغيره ببغداد . وروى عنه ابن خليل فى معجمه ، سمع منه بإصبهان .

وتوفى فى ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وستمائة بإصبهان . ذكره ابن نقطة والمنذرى . وقال القطيعى : فى مستهل الشهر المذكور .

أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصارى أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد ابن عبد الواحد أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أبى الحسن الجبائى ـ إذناً ـ أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبى غالب بن الطلاية أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن الأنماطى أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الذهبى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة « أن رجلا زار أخاً له فى قرية ، فأرصد الله له على مدرجته ملكا . فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أردت أخاً لى فى قرية كذا وكذا . قال : هل له عليك من نعمة تَرُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحببته فى الله تعالى . قال: إنى رسول الله إليك : أن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

٢٢٥ـ على بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسيتا الحربوى ، من أهل حربا الدجيل من سواد بغداد .

قدم بغداد فى صباه . وصحب عمه لأمه أبا المعالى سعد بن على الحاظرى . وقرأ عليه الأدب . وحفظ القرآن . وتفقه فى المذهب .

وسمع الحديث من أبى الوقت ، ونصر العكبرى ، وسعيد بن البنا ، وأبى بكر ابن الزاغونى ، وغيرهم .

وشهد عند الحكام ، وتوكل للخليفة الناصر ، ورفع قدره ومنزلته ، ثم عزل عن الوكالة . وكان ذا طريقة حميدة ، وحسن سمت واستقامة ، وعفة ونزاهة فاضلا خيرا . يكتب خطاً حسنا على طريقة ابن مُقْلة ، حدث بشىء يسير .

سمع منه إسحاق العلثى . وكان يكره الرواية . ويقل مخالطة الناس .

ذكره ابن النجار . وقال : توفى يوم السبت ثامن عشر شوال سنة خمس وستمائة ، وصلى عليه من الغد بالمدرسة النظامية . ودفن بباب حرب . قال : وأظنه قارب السبعين . رحمه الله .

٢٢٦ــ إسماعيل بن عمر بن نعمة بن يوسف بن شبيب الرومى المصرى العطار الأديب البارع ، أبو الطاهر بن أبى حفص .

ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة تقديراً . وكان بارعاً فى الأدب . له مصنفات أدبية ، منها : مائة جارية ، ومائة غلام ، وغير ذلك . وكان بارعاً فى معرفة العقاقير . ذكره المنذرى وقال: رأيته ، ولم يتفق لى السماع منه . وكتبت شيئاً من شعره عن الفقيه أبى الحرم مكى بن عمرو .

توفى فى عشرين محرم سنة ست وستمائة بمصر . ودفن إلى جنب أبيه بسفح المقطم على جانب الخندق . وكان أبوه رجلا صالحاً مقرئا ، وأخوه مكى هو الذى ذكر الضياء أنه جمع سيرة الحافظ عبد الغنى المقدسى . وقد ذكرنا ذلك فى ترجمته . وسيأتى ذكر مكى إن شاء الله تعالى .

٢٢٧ ـ أسعد ، ويسمى محمد بن المنجا بن بركات بن المؤمل التنوخى المقرى ، ثم الدمشقى ، القاضى وجيه الدين أبو المعالى . ويقال فى أبيه : أبو المنجا . فى جده أبو البركات .

ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة .

وسمع بدمشق من أبى القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسى . وببغداد من أبى الفضل الإرموى ، وأبى العباس المايدانى ، وأبى مسكين الرضوانى ، والنقيب أبى جعفر أحمد بن محمد العباسى .

قال المنذرى : وتفقه ببغداد على مذهب الإمام أحمد مدة . وحصل طرفا من معرفة المذهب .

وقال الدبيسى : ارتحل إلى بغداد وتفقه بها . وبرع فى المذهب . وأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الجيلى وغيره . وتفقه بدمشق على شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبى الفرج . أخذ عنه الشيخ الموفق . وروى عنه جماعة .

وقرأت بخط ناصح الدين أبى الفرج بن الحنبلى فى حقه : كان رحل إلى بغداد ، فقرأ على الفقيه أحمد الحربى الحنبلى كتاب « الهداية » . وكتب خطه له بذلك ، وعاد إلى دمشق . وكان رأى شرف الإسلام جدى ، وانتهى إليه ، وطلب الفقيه حامد بن أبى الحجر شيخ حران قاضيا بحران من نور الدين ـ ونور الدين يومئذ صاحب دمشق ـ فأشار به ، فسُيِّر إلى حران قاضيا ، فأقام مدة . ثم رجع إلى دمشق ، فأقام مدة . ثم رجع إلى حران قاضيا .

وقال ناصح الدين أيضاً . كان أبو المعالى بن المنجا يدرس فى المسمارية يوماً وأنا يوماً . ثم استقليت بها فى حياته . وكان له اتصال بالدولة وخدمة السلاطين وأسنّ وكبِر ، وكُفّ بصره فى آخر عمره .

وله تصانيف ، منها : كتاب « الخلاصة فى الفقه » مجلد ، وكتاب « العمدة » فى الفقه أصغر منه ، وكتاب « النهاية فى شرح الهداية » فى بضعة عشر مجلداً .

وفيها فروع ومسائل كثيرة غير معروفة فى المذهب . والظاهر : أنه كان ينقلها من كتب غير الأصحاب ، ويخرجها على ما يقتضيه عنده المذهب .

وحدث وسمع منه جماعة ، منهم الحافظ المنذرى ، وروى عنه ابن خليل فى معجمه . وابن البخارى .

وتوفى فى ثانى عشرين ربيع الأول سنة ست وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنصارى أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد المقدسى أخبرنا أبو المعالى أسعد بن المنجا التنوخى أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسى أخبرنا أبو على الحسن بن على بن عبد الرحمن المكى أخبرنا أبو الحسين أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس المكى حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا جدى حدثنا سفيان عن أيوب عن محمد عن أنس قال « صَبَّحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، فخرجوا إلينا ومعهم المساحى . فلما رأوه قالوا : محمد والخميس ، ورجعوا إلى الحصن يسعون . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقال : الله أكبر ، خربت خيبر — ثلاثا — إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين . قال : فأصبنا فيها حُمُراً ، فطبخناها ، فإذا منادى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس » .

قرأت بخط السيف بن المجد الحافظ قال : حدثنى الإمام رحمه الله — يعنى الشيخ موفق الدين — حدثنى القاضى أبو المعالى أسعد بن المنجا قال : كنت يوماً عند الشيخ أبى البيان — وقد جاءه ابن تميم — فقال له : ويحك ، الحنابلة إذا قيل لهم : من أين لكم أن القرآن بحرف وصوت ؟ قالوا : قال الله تعالى الم ، حم ، كهيعص وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات » وقال عليه الصلاة والسلام «يجمع الله الخلائق — وذكر الحديث »

وأنتم إذا قيل لكم : من أين قلتم إن القرآن معنى فى النفس ؟ قلتم : قال الأخطل :

إن الكلام من الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالحنابلة أتوا بالكتاب والسنة ، وقالوا : قال الله تعالى ، وقال رسوله ، وأنتم قلتم : قال الأخطل ، شاعر نصرانى خبيث . أما استحييتم من هذا القبيح؟ جعلتم دينكم مبنيا على قول نصرانى ، وخالفتم قول الله تعالى ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو كما قال .

وقد قال أبو محمد بن الخشاب النحوى : فتشت دواوين الأخطل العتيقة ، فلم أجد فيها هذا البيت ، فقال أبو نصر السجزى : إنما قال الأخطل « إن البيان من الفؤاد » فحرفوه ، وقالوا : إن الكلام .

٢٢٨ ـ المبارك بن أبى شنيكين بن عبد الله النجمى السيدى البغدادى

المعدل الأديب أبو القاسم .

ولد بعد الأربعين وخمسمائة بقليل .

وسمع من أبى المظفر البرمكى الخطيب ، وهبة الله بن الشبلى ، وأبى محمد ابن الخشاب ، وأبى محمد بن المادح ، وابن البطى ، وغيرهم .

وقرأ الأدب على أبى الحسن القصار . وجالس أبا محمد بن الخشاب ، وغيره من أهل العلم والأدب .

وقال القادسى فى تاريخه : كان فاضلا . وشهد عند قاضى القضاة أبى القاسم الشهرزورى . وكان وكيل الخليفة الناصر بباب طراد ، وبقى على ذلك إلى موته .

قال ابن نقطة : سمعت منه . وكان ثقة عالما فاضلا ، متميزا أديبا ، حنبلى المذهب خيرا صالحا دينا . وروى عنه ابن خليل فى معجمه .

توفى فى حادى عشر صفر سنة سبع وستمائة . ذكره ابن نقطة ، والمنذرى ، وزاد : ودفن من يومه بباب حرب .

وذكر القادسي : أنه توفي يوم السبت رابع عشر صفر . قال : وصلى عليه بجامع القصر جماعة من الأعيان . رحمه الله .

قال المنذري : وهو منسوب إلى ولاء خادم يقال له : نجم ، مملوك السيدة أخت المستنجد بالله .

٢٢٩ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله الجماعيلي المقدسي ، ثم الدمشقي الصالحي ، الزاهد العابد الشيخ أبو عمر .

قال ابن أخته الحافظ ضياء الدين : مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بجماعيل . شاهدته بخط والده . وهاجر به والده وبأخيه الشيخ الموفق وأهلهم إلى دمشق سنة إحدى وخمسين ؛ لاستيلاء الفرنج على الأرض المقدسة ، فنزلوا بمسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي، فأقاموا به مدة نحو سنتين ، ثم انتقلوا إلى الجبل قال أبو عمر : فقال الناس : الصالحية ، الصالحية ، ينسبونا إلى مسجد أبي صالح ، لا أنا صالحون .

قال أبو الفرج بن الحنبلي ـ ونقلته من خطه ـ : أنزلهم والدي في مسجد أبي صالح ، فاستوخم المسجد عليهم ، فمات منهم في شهر واحد قريب أربعين نفساً فأشار عليهم والدي بالانتقال إلى الجبل حيث هم الآن ، فانتقلوا إليه . وكان رأيا مباركا . حفظ الشيخ أبو عمر القرآن . وقرأه بحرف أبي عمرو .

وسمع الحديث من والده ، وأبي المكارم بن هلال ، وأبي تميم سلمان ابن الرحبي ، وأبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن يوسف ، وأبي الفتح عمر ابن علي بن حمويه ، وأبي المعالي بن صابر ، وأبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الكناني، وأبي عبد الله محمد بن علي الحراني ، وأبي الفهم عبدالرحمن بن عبد العزيز الأزدي ، ويحيى بن محمود الثقفي ، ومحمد بن حمزة بن أبي الصقر .

وقدم مصر ، فسمع بها من الشريف أبي المفاخر سعيد بن الحسن المأموني

وأبى محمد بن برى النحوى ، وخرج له الحافظ عبد الغنى المقدسى أربعين حديثاً من رواياته ، وحدث بها .

وسمع منه جماعة ، منهم : الضياء ، والمنذرى ، وروى عنه ابن خليل ، وولده أبو الفرج عبد الرحمن ، قاضى القضاة ، وحفظ منه مختصر الخرقى فى الفقه .

وتفقه فى المذهب . وقرأ النحو على ابن برى بمصر ، وأظنه حفظ « اللمع » بن جنى .

وكتب بخطه كثيراً ، من ذلك : «الحلية» لأبى نعيم ، و«تفسير البغوى» ، و « المغنى » فى الفقه لأخيه الشيخ موفق الدين ، و « الإبانة » لابن بطة ، وكتب مصاحف كثيرة لأهله ، وكتب «الخرقى» للناس ، والكل بغير أجرة . وكان سريع الكتابة ، وربما كتب فى اليوم كراسين بالقطع الكبير .

قال الحافظ الضياء: وكان الله قدجمع له معرفة الفقه ، والفرائض ، والنحو ، مع الزهد والعمل ، وقضاء حوائج الناس .

قال : وكان لا يكاد يسمع دعاء إلا حفظه ودعا به ، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاها ، ولا يسمع حديثاً إلا عمل به . وكان يصلى بالناس فى نصف شعبان مائة ركعة ، وهو شيخ كبير ، وكأنه أنشط الجماعة ، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبو بيته ، وسافرهو وجماعة ، فقام فى الليل يصلى ويحرس الجماعة ، وقلل الأكل فى مرضه قبل موته ، حتى عاد كالعود . ومات وهوعاقد على أصابعه يسبح

قال : وحدثت عن زوجته ، قالت : كان يقوم الليل ، فإذا جاءه النوم ، عنده قضيب يضرب به على رجليه ، فيذهب عنه النوم .

قال : وكان كثير الصيام سفراً وحضراً .

قال ولده عبد الله : إنه فى آخر عمره سرد الصوم ، فلامه أهله ، فقال : إنما أصوم أغتنم أيامى ؛ لأنى إن ضعفت عجزت عن الصوم ، وإن مت انقطع على . وكان لا يكاد يسمع بجنازة إلا حضرها ، ولا بمريض إلا عاده ،

ولا جهاد إلا خرج فيه . وكان يقرأ فى الصلاة كل ليلة سُبعاً مُرَتَّلاً ، ويقرأ فى النهار سُبعاً بين الظهر والعصر ، فإذا صلى الفجر قرأ آيات الحرس بعد أن يفرغ من التسبيح . وكان قد كتب فى ذلك كراسة ، وهى معلقة فى المحراب ، وربما قرأ فيها خوفاً من النعاس ، ثم يقرأ ويلقن إلى ارتفاع النهار ، ثم يصلى الضحى صلاة طويلة . وكان يسجد سجدتين طويلتين ، إحداهما فى الليل ، والأخرى فى النهار ، يطيل فيهما السجود ، ويصلى بعد أذان الظهر قبل سنتها فى كل يوم ركعتين ، يقرأ فى الأولى أول المؤمنون ، وفى الثانية آخر الفرقان . وكان يصلى بين المغرب والعشاء أربع ركعات ، يقرأ فيهن السّجدة ، ويس ، وتبارك ، والدخان . ويصلى كل ليلة جمعة بين العشاءين صلاة التسبيح ويطيلها ، ويصلى يوم الجمعة ركعتين بمائة (قل هو الله أحد) وكان يصلى فى كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة نافلة ، وله أوراد كثيرة . وكان يزور القبور كل جمعة بعد العصر ، ولا ينام إلا على وضوء ، ويحافظ على سنن وأذكار عند نومه : من التسبيح ، والتكبير ، والتحميد ، وقراءة تبارك ، وغيرها من القرآن ، ويقول بين سنة الفجر والفرض أربعين مرة ياحى ياقيوم ، لا إله إلا أنت .

وكان لا يترك غسل الجمعة ، ولا يخرج إلى الجمعة إلا ومعه شىء يتصدق به ، وكان يحمل همّ أصحابه ، ومن سافر منهم تفقد أهله . وكان يتفقد الأشياء النافعة ، مثل النهر ، والسقاية ، وغير ذلك مما فيه نفع للمسلمين . وكان يؤثر بما عنده لأقاربه وغيرهم ، ويتصدق كثيراً ببعض ثيابه ، حتى يبقى فى الشتاء بجبة بغير قميص ، وكثيراً من وقته بغير سراويل . وكانت عمامته قطعة بطانة ، فإذا احتاج أحد إلى خرقة أو مات صغير قطع منها له . وكان يلبس الخشن وينام على الحصير . وكان ثوبه إلى نصف ساقه ، وكُمّه إلى رُسْغه ، وربما تصدق بالشىء وأهله محتاجون إليه .

ومكث مدة لا يأكل أهل الدير إلا من بيته . يجمع الرجال ناحية والنساء ناحية ، وكان إذا جاء شىء إلى بيته فرقه على الخاص والعام .

وكان يقول : لا علم إلا مادخل مع صاحبه القبر .

ويقول : إذا لم تتصدقوا لا يتصدق أحد عنكم ، و إذا لم تعطوا السائل أنتم أعطاه غيركم .

وكان يحب اللبن المصفى بخرقة ، فعمل له منه مرة فلم يأكل منه ، فقيل له . فقال تركته لحبي إياه ، ثم لم يأكله بعد ذلك . وكان إذا خطب تَرِقُّ القلوب ، و يبكي بعض الناس بكاءاً كثيراً . وكان له هيبة عظيمة فى القلوب ، حتى كان أحد الطلبة يريد أن يسأله عن شيء ، فما يجسر أن يسأله ، و إذا دخل المسجد سكتوا ، وخفضوا أصواتهم ، و إذا عَبَر فى طرَيق والصبيان يلعبون هربوا ، و إذا أمر بشيء لا يجسر أحد أن يخالفه .

وكان كثيراً مايكتب إلى أرباب الولايات شفاعات لمن يقصده . فقال له المتولى يوماً : إنك تكتب إلينا فى قوم لا نريد أن نقبل فيهم شفاعة ، ونشتهى إن لا نرد رقعتك ، فقال : أما أنا فقد قضيت حاجة من قصدنى ، وأنتم إن أردتم أن تقبلوا ورقتى و إلا فلا ، فقال له : لا نردها أبداً .

واحتاج الناس فى سنة إلى المطر ، فطلع معهم إلى مغارة الدم ، ومعه نساء من محارمه ، واستسقى ودعا ، فجاء المطر حينئذ ، وجرت الأودية شيئاً لم يره الناس من مدة . وله كرامات كثيرة .

وذكر بعضهم ، قال: جئنا مرة إلى عنده ، ونحن ثلاثة أنفس جياع ، فقدّم إلينا سُكرُجة فيها لبن ، وكسيرات ، فأكلنا وشبعنا ، وأنا أنظر إليها ، كأنها لم تنقص

قال الضياء : وسمعت الإمام محمد بن أبى بكر بن عمر يقول : دعانى الشيخ مرة ، وكنت أخاف من ضرر الأكل ، فابتدأنى وقال : إذا قرأ الإنسان قبل الأكل (شهد الله أنه لا إله إلا هو) و (لإيلاف قريش) ثم أكل ، فإنه لا يضره .

وسمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن الحسن بن النحاس ، يقول : كان والدى يحب الشيخ أبا عمر ، فقال لى يوم جمعة : أنا أصلى الجمعة خلف الشيخ ،

ومذهبي أن (بسم الله الرحمن الرحيم) من الفاتحة ، ومذهبه أنها ليست من الفاتحة ، وأخاف أن يكون فى صلاتى شيء ، فضينا إلى المسجد ، فوجدنا الشيخ ، فسلم على والدى وعانقه ، ثم قال : يا أخي ، صل وأنت طيب القلب ؛ فإننى ما تركت (بسم الله الرحمن الرحيم) فى نافلة ، ولا فريضة ، منذ أممت بالناس ، فالتفت إلىّ والدى ، وقال : احفظ .

وكان بعض الناس يرسل إلى الشيخ فى كل سنة شيئاً نيقبله ، فأرسل إليه مرة دينارين فردهما فتألم ، ثم فكر فيهما ، فوجدهما من جهة غير طيبة . قال : فبعث إليه غيرهما ، فقبلهما .

قال الضياء : وسمعت أحمد بن عبد الملك بن عثمان ، قال : جاء رجلان إلى الشيخ أبى عمر ، فقالا له : إن قراحا قد أخذ فلانا وحبسه ، فادع عليه ، فباتا عند الشيخ ، فلما كان من الغد قال : قضيت الحاجة ، وإذا جنازة قراح عابرة ، وأطال الضياء ترجمة الشيخ أبى عمر . وكذلك أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى المرآة . وقال : كان معتدل القامة ، حسن الوجه ، عليه أنوار العبادة ، لا يزال مبتسما ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام .

قال : وكان إذا نزل من الجبل لزيارة القبور ـ أوغير ذلك ـ جمع الشيح من الجبل وربطه بحبل ، وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى ، ويحمل فى الليل إليهم الدراهم والدقيق ، ولا يعرفونه . قال : وما نهر أحداً . ولا أوجع قلب أحد . وكان يقول : أنا زاهد . ولكن فى الحرام .

ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو وأخوه الموفق والجماعة فى خيمة ، فجاء العادل إلى زيارته وهو فى الصلاة ، فما قطعها ولا التفت إليه ولا ترك ورده .

وكان يصعد المنبر فى الجبل ، وعليه ثوب خام مهدول الجيب ، وفى يده عصا والمنبر يومئذ ثلاث مراق . وكان يجاهد فى سبيل الله ، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين .

وكان أخوه الموفق يقول عنه : هو شيخنا ، ربّانا وأحسن إلينا ، وعلمنا وحرص علينا ، وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ، ومن غاب منهم خلفه فى أهله . قال : وكان أبى أحمد قد تخلى عن أمور الدنيا وهمومها ، فكان المرجع فى مصالح الأهل إليه ، وهو الذى هاجر بنا ، وسفّرنا إلى بغداد ، و بنى الدير . فلما رجعنا من بغداد زوجنا و بنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا . وكان يؤثرنا و يدع أهله محتاجين ، و بنى المدرسة والمصنع بعلو همته . وكان مجاب الدعوة ، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه الله تعالى .

قال أبو المظر : وكراماته كثيرة ، وفضائله غزيرة ، فمنها : أنى صليت يوم جمعة بجامع الجبل فى أول سنة ست وستمائة ، والشيخ عبد الله اليونانى إلى جانبى ، فلما كان فى آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مسرعا ، وصعد إلى مغارة قريبة وكان نازلا بها ، فظننت أنه احتاج إلى الوضوء ، أو آلمه شىء . فلما صليت الجمعة صعدت وراءه ، وقلت له : خير ، ما الذى أصابك ؟ فقال : هذا أبو عمر ، ما تحل خلفه صلاة ، قلت : ولم ؟ قال : لأنه يقول على المنبر مالا يصلح . قلت : وما الذى يقول ؟ قال : قال الملك العادل ، وهو ظالم ، فما يصدق . وكان أبو عمر يقول فى آخر الخطبة : اللهم ، أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، فقلت له : إذا كانت الصلاة خلف أبى عمر لا تصح ، فياليت شعرى خلف من تصح ؟ و بينا نحن فى الحديث ، و إذا بالشيخ أبى عمر قد دخل ومعه مئزر ، فسلم وحل المئزر ، وفيه رغيف وخيارتان ، فكسر الجميع ، وقال : بسم الله ، الصلاة . ثم قال ابتداء : قد جاء فى الحديث : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال «ولدت فى زمن الملك العادل كسرى» فنظر إلى الشيخ عبد الله : وتبسم ، ومدّ يده فأكل . وقام أبو عمر فنزل . فقال الشيخ عبد الله : ماذا إلا رجل صالح .

قال أبو المظفر : وقلت له يوما : أول ما قدمت الشام ما كان يرد أحدا فى شفاعته إلى من كان ، وقد كتب ورقة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل . وقال

فيها : إلى الولد الملك المعظم ، فقلت له : كيف تكتب هذا والملك المعظم على الحقيقة هو الله تعالى ؟ فتبسم ورمى بالورقة ، وقال : تأملها . وإذا به لما كتب «الملك المعظم» كسر الظاء ، فصار المعظِم ، وقال ، لا بد أن يكون يوما قد عظم الله تعالى ، فعجبت من ورعه وتحفظه فى منطقه عن مثل هذا .

قال أبو المظفر : وأصابنى قولنج عانيت منه شدة ، فدخل علىّ أبو عمر و بيده خروب شامى مدقوق ، فقال : استَفَّ هذا · وكان عندى جماعة ، فقالوا : هذا يزيد القولنج و يضره ، فما التفت إلى قولهم . فأخذته من يده فأكلته ، فبرأت فى الحال .

قال : وحكى الجمال البصراوى الواعظ قال . أصابنى قولنج فى رمضان ، فاجتهدوا فى أن أفطر ، فلم أفعل ، وصعدت إلى قاسيون ، فقعدت موضع الجامع اليوم ، و إذا بالشيخ أبى عمر قد أقبل من الجبل ، و بيده حشيشة ، فقال : شم هذه تنفعك ، فأخذتها وشممتها ، فبرأت .

وقرأت بخط الناصح ابن الحنبلى : كان أبو عمر فقيها زاهدا عابدا . كتب بخطه كثيرا من كتب الحديث والفقه على مذهب الإمام أحمد ، وكتاب «المغنى» لأخيه . وكان مع ذلك له أوراد من الصلاة والتلاوة ، يقوم بها ، وحج وغزا وكان شيخ جماعته ، مطاعا فيهم ، محترما عند نورالدين محمود بن زَنكِى . وزاره و بنى لهم فى الجبل مسجدا وسقاية .

وقال غيره : له آثار جميلة ، منها : مدرسته بالجبل ، وهى وقف على القرآن والفقه . وقد حفظ القرآن فيها أمم لا يحصون .

وذكر جماعة : أن الشيخ أبا عمر قطب ، وأقام قطب الوقت قبل موته ست سنين .

وقال أبو المظفر : كان على مذهب السلف الصّالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة ، والآثار المروية وغيرها كما جاءت ، من غير طعن على أئمة الدين

وعلماء المسلمين . وينهى عن صحبة المبتدعين ، ويأمر بصحبة الصّالحين .

قال : وأنشدنى لنفسه :

أوصيكم فى القول بالقرآن بقول أهل الحق والإتقان
ليس بمخلوق ولا بفانى لكن كلام الملك الدّيان
آياته مشرقة المعانى متلوة فى اللفظ باللسان
محفوظة فى الصدر والجنان مكتوبة فى الصحف بالبنان
والقول فى الصفات يا إخوانى كالذات والعلم مع البيان
إمرارها من غير ما كفران من غير تشبيه ولا عدوان

قال : وأنشدنى لنفسه :

ألم يك ملهاة عن اللهو أننى بدا لى شيب الرأس والضعف والألم
ألمّ بيَ الخطب الذى لو بكيته حياتى حتى ينفد الدمع لم ألَم

قال أبو المظفر : وكان سبب موته : أنه حضر مجلسى بقاسيون فى الجامع ، مع أخيه الموفق والعماد والجماعة . وكان قاعدا فى الباب الكبير ، وجرى الكلام فى رؤية الله تعالى ومشاهدته ، واستغرقت فى ذلك . وكان وقتا عجيبا ، وأبو عمر جالس إلى جانب أخيه الموفق . فقام وطلب باب الجامع ، ولم أره . فالتفت ، فإذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع ، فصحت على الرجل: اقعد ، فظن أبو عمر أنى أخاطبه ، فجلس على عتبة باب الجامع الجوانية إلى أن فرغ المجلس . ثم حُمل إلى الدير . فكان آخر العهد به . وأقام مريضا أياما ، ولم يترك شيئا من أوراده . فلما كان عشيةَ الإثنين ثامن عشر ربيع الأول ـ يعنى سنة سبع وستمائة ـ جمع أهله . واستقبل القبلة ، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته ، وأمرهم بقراءة يٓس وكان آخر كلامه : (٢ : ١٣٢ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وتوفى رحمه الله تعالى ، وغسل فى السحر . ومن وصل إلى الماء الّذى غسل به

نشف به النساء مقانعهن ، والرجال عمائمهم ، ولم يتخلف عن جنازته أحد من القضاة والعلماء والأمراء والأعيان وعامة الخلق . وكان يوما مشهودا .

ولما خرجوا بجنازته من الدير كان يوما شديد الحر ، فأقبلت غمامة فأظلت الناس إلى قبره . وكان يسمع منها دَوِيٌّ كدوىّ النحل . ولولا المبارز المعتمد ، والشجاع بن محارب ، وشبل الدولة الحسامى ما وصل إلى قبره من كفنه شيء . وإنما أحاطوا به بالسيوف والدبابيس .

وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسان كأن قاسيون قد وقع أو زال من مكانه فأوّلوه بموته .

ولما دفن رأى بعض الصالحين فى منامه تلك الليلة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من رأى أبا عمر ليلة الجمعة فكأنما رأى الكعبة ، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه .

ومات عن ثمانين سنة ، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، ولا قليلا ولا كثيراً .

وقال غيره : حزر من حضر جنازته ، فكانوا عشرين ألفاً .

وذكر الضياء عن عبد المولى بن محمد : أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ سورة البقرة ، وكان وحده ، فبلغ إلى قوله تعالى (٢ : ٦٨ لا فَارِضٌ ولا بِكرٌ) قال : فغلطت ، فرد علىّ الشيخ من القبر ، قال : فخفت وفزعت وارتعدت وقمت ، ثم مات القارىء بعد ذلك بأيام . وهذه الحكاية مشهورة .

قال : وقرأ بعضهم عند قبره سورة الكهف ، فسمعه من القبر يقول : لا إله إلا الله . وذكر له عدة منامات .

وقال أبو شامة فى مذيله : أول ما وقفت على قبره وزرته وجدت ـ بتوفيق الله تعالى عز وجل ـ رقة عظيمة ، و بكاء صالحا . وكان معى رفيق لى ، وهو الذى عرفنى قبره ، وجد أيضا مثل ذلك .

قال : وأخبرنى بعض أصحابنا الثقات : أنه رأى الإمام الشافعى رحمه الله فى

المنام ، فسأله : إلى أين تمضى ؟ فقال : أزور أحمد بن حنبل ، فأتبعته أنظر ما يصنع . فدخل دارا ، فسألت : لمن هى ؟ فقيل : للشيخ أبى عمر رحمه الله

وقد رثاه الأديب أبو عبد الله محمد بن سعيد المقدسى بقصيدة ، منها :

أبعد أن فقدت عينى أبا عمر　　تضمنى فى بقايا العمر عمران ؟
ما للمساجد منه اليوم مقفرة　　كأنها بعد ذاك الجمع قيعان ؟
ما للمحاريب بعد الأنس موحشة　　كأنْ لم يتْلَ فيها الدهر قرآن ؟
تبكى عليه عيون الناس قاطبة　　إذ كان فى كل عين منه إنسان
وكان فى كل قلب منه نور هدى　　فصار فى كل قلب منه نيران
وكل حى رأينا فهو ذو أسف　　وكل ميت رآه فهو فرحان
لا زال يسقى ضريحا أنت ساكنه　　سحائب غَيْثُها عفو وغفران
كم ميت ذكره حيّ ، ومتصف　　بالحيّ ميت ، له الأثواب أكفان

وكان والده الشيخ أبو العباس أحمد خطيب جماعيل رجلا صالحاً ، زاهدا عابداً ، صاحب كرامات ، وأحوال وعبادات ومجاهدات . قرأ فى رمضان خمسا وستين ختمة . وكان عليه مهابة عظيمة ، لا يراه أحد إلا قبّل يده .

قال أبو الفرج بن الحنبلى : كان له قدم فى العبادة والصلاح . سمعت والدى يقول : لو كان نبى يبعث فى زمان الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة كان هو . وقد حدث وروى عنه ولداه : أبو عمر ، والموفق .

وكان مولده سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

وتوفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . ودفن بسفح جبل قاسيون . وإلى جانبه دفن ولده أبو عمر . رحمهما الله .

قرئ على أبى محمد عبد الله بن إسماعيل الأنصارى ـ وأنا أسمع ـ أخبركم محمد بن أحمد القاضى أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة أخبرنا والدى الزاهد أبو عمر .

٢٣٠ - يحيى بن أبي الفتح بن عمر الطباخ الحرانى الضرير المقدسى ، الفقيه أبو زكريا.

رحل وقرأ القرآن بواسط بالروايات على القاضى أبى الفضل هبة الله بن على ابن قاسم الواسطى وغيره . وسمع بها الحديث من القاضى أبى طالب محمد بن على ابن السكنانى.

وسمع ببغداد من أبى محمد بن الخشاب ، وأبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق ، وشُهدة ، فى آخرين .

وتفقه ببغداد فى المذهب ، ورجع إلى حران ، وحدث بها .

وسمع منه أبو المظفر سبط ابن الجوزى وغيره .

وتوفى فى شوال سنة سبع وستمائة بحران ، رحمه الله تعالى .

٢٣١ - يحيى بن المظفر بن نعيم بن على البغدادى البدرى الزاهد ، أبو زكريا المعروف بابن الحُبير . و يلقب صفى الدين :

ولد فى المحرم سنة أربعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من ابن ناصر ، وأبى الوقت وغيرهما . وتفقه فى المذهب .

وكان يسافر فى التجارة إلى الشام ، ثم انقطع فى بيته بالبدرية ، محلة من محال بغداد الشرقية بدار الخلافة .

وكان كثير العبادة ، حسن الهيئة والسمت ، كثير الصلاة والصيام والنسك ذا مروءة وتفقد للأصحاب وتودد إليهم .

وذكر أبو الفرج بن الحنبلى : أنه كان فى السفر إذا نزل الناس واستقروا توضأ للصلاة ، وتنحى قليلا عن القافلة ، و بسط سجادة له ، واستقبل القبلة حتى يدخل الوقت ، فيصلى .

قال : وكان كثير العبادة ، ملازما لمنزله ، لايخرج منه إلى مسجده إلا لتأدية الفرائض ، ثم يرجع . وأثنى على مودته ومروءته . وأثنى عليه ابن نقطة وغيره

بالصلاح . وانتفع به جماعة من مماليك الخليفة . و بنيت له دكة فى آخر عمره بأمر الخليفة بجامع القصر لقراءة الحديث عليها .

وتوفى فى يوم الإثنين ضحى تاسع عشرين ذى الحجة سنة سبع وستمائة . ودفن بباب حرب وتبعه خلق كثير . رحمه الله تعالى .

وكان له ابن يقال له : أبو بكر محمد ، كان فقيها فاضلا فى المذهب ، فانتقل إلى مذهب الشافعى لأجل الدنيا . وولى القضاء ، وقيلت فيه الأشعار .

و« الحبير » بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف و بالراء المهملة .

٢٣٢ - أسباه صير بن محمد بن نعمان الحرانى ، الفقيه أبو عبد الله .

تفقه ببغداد على الشيخ عبد القادر ، ونزل عنده ، ولازم الاشتغال بمدرسته إلى آخر عمره .

وسمع ابن المادح ، وحدث عنه باليسير ، وعمّر . وسمع منه ابن القطيعى ، وجماعة وتوفى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الأول سنة سبع[1] وستمائة . ودفن بباب حرب رحمه الله . وكان أصابه صمم شديد فى آخر عمره .

قال ابن النجار : كان شيخا صالحا ، مشتغلا بالعلم والخير ، مع علو سنه . وأظنه ناطح المائة . رحمه الله .

٢٣٣ - محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادى الأزجى، الفقيه الواعظ الزاهد ، أبو الثناء . ويقال : أبو الشكر . ويلقب ناصر الدين

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ببغداد .

وقرأ القرآن . وسمع الحديث من أبى الفتح بن البطى ، وحدث . وحفظ مختصر الخرقى . وقرأ على أبى الفتح بن المنى ، وصحب الشيخ عبد القادر ، وتأدب به .

وكان يطالع الفقه والتفسير ، ويجلس فى رباطه للوعظ . وكان رباطه مجمعا

(١) فى مخطوطة الثقافة « ثمان » .

للفقراء وأهل الدين ، وللفقهاء الحنابلة الذين يرحلون إلى أبى الفتح بن المنى للتفقه عليه ، فكانوا ينزلون به ، حتى كان الاشتغال فيه بالعلم أكثر من الاشتغال بسائر المدارس .

وكان الرباط شعث الظاهر ، عامرا بالفقهاء والصالحين . سكنه الشيخ موفق الدين المقدسى ، والحافظ عبد الغنى ، وأخوه الشيخ العماد ، والحافظ عبد القادر الرهاوى وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم .

قال أبو الفرج بن الحنبلى : ولما قدمت بغداد سنة اثنتين وسبعين نزلت الرباط ، ولم يكن فيه بيت خال ، فعمرت به بيتا وسكنته . وكان الشيخ محمود وأصحابه ينكرون المنكر ، ويريقون الخمور ، ويرتكبون الأهوال فى ذلك ، حتى إنه قام أنكر على جماعة من الأمراء ، وبدد خمورهم ، وجرت بينه وبينهم فتن ، وضرب مرات . وهو شديد فى دين الله ، له إقدام وجهاد . وكان كثير الذكر ، قليل الحظ من الدنيا . وكان يسمى شُحْنة الحنابلة . ذكر ذلك ابن الحنبلى وقال : كان يهذبنا ويؤدبنا ، وانتفعنا به كثيراً .

وقال غيره : كان صالحا خيرا ، موصوفا بالزهد والصلاح والظرافة ، وكانت له قصص فى إنكاره .

وقال أبو شامة : كانت له رياضات ومجاهدات ، وساح فى بلاد الشام وغيرها وكان يؤثر أصحابه . وانتفع به خلق كثير . وكان مهيبا لطيفا كيِّسا باشًا مبتسما ، يصوم الدهر ، ويختم القرآن كل يوم وليلة ، ولا يأكل إلا من غزل عمته .

توفى فى ليلة الأربعاء عاشر صفر سنة تسع وستمائة عن أزيد من ثمانين سنة . ودفن تلك الليلة برباطه . رحمه الله تعالى . وقيل : كانت وفاته ليلة التاسع .

٢٣٤ - يحيى بن سالم بن مفلح البغدادى ، نزيل الموصل ، أبو زكريا .

ذكر أنه سمع ببغداد من أبى الوقت ، وأنه تفقه بها على صدقة بن الحسين الحداد ، وحدث بالموصل .

وتوفى فى شهر رمضان سنة تسع وستمائة بالموصل . ودفن بمقبرة الجامع العتيق

٢٣٥ - علي بن محمد بن حامد البغوى[1] ، أبو الحسن بن النجار الفقيه .

قرأ الفقه والخلاف على الفخر إسماعيل صاحب ابن المنى ، وتكلم فى مسائل الخلاف ، فأجاد . وقرأ طرفا صالحا من الأدب ، وقال الشعر . وكان يكتب خطا حسنا .

وسافر عن بغداد ، ودخل ديار بكر ، وولى القضاء بآمد ، وأقام بها إلى حين وفاته . وكان صهرا لعبد الرزاق بن عبد القادر على ابنته .

توفى بآمد فى رمضان سنة تسع وستمائة . رحمه الله . وقد جاوز الأربعين .

قال ابن النجار : أنشدت له :

لو صُبَّ ما ألقى على صخرة لذابت الصخرة من وَجْدها
أو ألقيت نيران قلبى على دجلة لم يقدر الناس على وِردها
أو ذاقت النار غرامى بكم لم تتوار النار فى زَندها
لو لم تَرُجُ الرَّوح روحُ اللقا لكان روحَ الروح فى فقدها

٢٣٦ - محمد بن مكى بن أبى الرجاء بن على بن الفضل الأصبهانى ، المليحى المحدث ، المؤدب ، أبو عبد الله تقى الدين ، محدث إصبهان ومفيدها .

سمع من أبى الخير الباغبان ، وأبى عبد الله الرستمى ، ومحمود بن عبد الكريم فورجه ، ومسعود الثقفى ، وخلق كثير ، وعنى بهذا الشأن . وقرأ الكثير بنفسه ، وكتب بخطه ، وخرج وأفاد الطلبة بأصبهان . وحدث ، وأجاز للحافظ المنذرى ، ولأبى الحسن بن النجارى ، وأحمد بن شيبان . وقد رويا عنه بالإجازة .

توفى فى العشر الأواخر من المحرم سنة عشر وستمائة بأصبهان رحمه الله .

ومما زاده على المسلسلات ، للحافظ أبى موسى المدينى : أخبرنا محمد بن عبد الخالق بن أبى شكر الجوهرى - بقراءتى عليه - أخبرنا أبو أحمد حمد بن

(١) فى مخطوطة الثقافة « البعغوى »

عبد الله بن حيه أخبرنا أحمد بن فضل الباطرقانى -إملاء- حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الوراق البغدادى قال : سمعت الخلال - جارا لنا - قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : يُضرب على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعناق ، كما يضرب على كتاب الله الأعناق ؛ إنه إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ، ثم كذب به كاذب : يضرب عنقه .

وهذا الإسناد فيه جهالة . و إن صح ، حمل على أن الخبر المتلقى بالقبول والتصديق يوجب العلم ، فالمكذب به كالمكذب بما علم من الدين بالتواتر .

وقد حكى أبو الفضل التميمى : أن الإمام أحمد كان يفسق من خالف خبر الواحد ، مع التمكن من استعماله . وكان يضلل من خالف الإجماع والتواتر .

وذكر القاضى أبو يعلى فى المجرد : أن خبر الواحد المتلقى بالقبول يفيد العلم ، ولا يفسق من خالفه ، إلا إذا أجمع على العمل به . وأظن ابن حزم حكى عن إسحاق ابن راهويه مثل هذا الكلام المروى عن أحمد بالإسناد الذى فيه جهالة .

٢٣٧ - إسماعيل بن علي بن حسين البغدادى الأزجى المأمونى ، الفقيه الأصولى ، المناظر المتكلم ، أبو محمد ، ويلقب فخر الدين . و يعرف بابن الوفاء ، و بابن الماشطة ، واشتهر تعريفه بغلام ابن المنى .

ولد فى صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من شيخه أبى الفتح بن المنى ، ولاحق بن على بن ركاة وشهدة ، وغيرهم .

وقرأ الفقه والخلاف على شيخه أبى الفتح بن المنى ، ولازمه حتى برع ، وصار أوحد زمانه فى علم الفقه والخلاف والأصلين والنظر والجدل . ودرس بعد شيخه بمسجده بالمأمونية. وكانت له حلقة بجامع القصر يجتمع إليه فيها الفقهاء للمناظرة .

وكان حسن الكلام ، جيد العبارة ، فصيح اللسان رفيع الصوت .

وله تصانيف فى الخلاف والجدل ، منها «التعليقة المشهورة» و«المفردات» ومنها : كتاب « جَنة الناظر وجُنة المناظر » فى الجدل . واشتغل عليه جماعة ، وتخرجوا به .

وحدث ، وسمع منه جماعة . وأجاز لعبد الصمد بن أبى الجيش المقرئ ، وولاه الخليفة الناصر النظر فى قُرَاه وعقاره الخاص ، ثم صرفه .

وقد حط عليه أبو شامة ، ونسبه إلى الظلم فى ولايته . وأظنه أخذ ذلك من مرآة الزمان ، وكذلك ابن النجار ، مع أنه قال : كان حسن العبارة ، جيد الكلام فى المناظرة ، مقتدرا على رد الخصوم . وكانت الطوائف مجمعة على فضله وعلمه . وكان يدرس فى منزله ، ويحضر عنده الفقهاء . قال : ورتب ناظرا فى ديوان المطبق مُديدة ، فلم تحمد سيرته ، فعزل واعتقل مدة بالديوان ، ثم أطلق ، ولزم منزله . قال : ولم يكن فى دنيه بذاك .

ذكر لى ولده أبو طالب عبد الله ، فى معرض المدح : أنه قرأ المنطق والفلسفة على ابن مرقش الطبيب النصرانى ، ولم يكن فى زمانه أعلم منه بتلك العلوم ، وأنه كان يتردد إليه إلى بيعة النصارى .

قال : وسمعت من أثق به من العلماء يذكر : أنه صنف كتاباً سماه « نواميس الأنبياء » يذكر فيه أنهم كانوا حكماء ، كهرمس ، وأرسطاطاليس .

قال : وسألت بعض تلامذته الخصيصين به عن ذلك ؟ فما أثبته ولا أنكره ، وقال : كان متسمحاً فى دينه ، متلاعباً به ، ولم يزد على ذلك .

قال : وكان دائماً يقع فى الحديث ، وفى رواته ، ويقول : هم جهال ، لا يعرفون العلوم العقلية ، ولا معانى الأحاديث الحقيقية ، بل هم مع اللفظ الظاهر ، ويذمهم ، ويطعن عليهم .

ومما أنشده ابن النجار من شعره :

دليل على حرص ابن آدم أنه ترى كفه مضمومة وقت وضعه

ويبسطها عند الممات ؛ إشـارة إلى صفرها مما حوى بعد جمعه

وتوفى فى ربيع الأول سنة عشر وستمائة ، كذا ذكره ابن القادسى ، وأبو شامة .

وذكر ابن النجار : أنه توفى يوم الثلاثاء ثامن ربيع الآخر ، ودفن من يومه بداره بدرب الجب ، ثم نقل بعد ذلك إلى باب حرب ، رحمه الله وسامحه .

وذكر ابن القادسى فى تاريخه : أنه وجد ببغداد يهودى تزوج بمسـلمة ، وأولدها ولدين ، فخاف اليهودى فأسلم ، فجمع الفقهاء ، واستفتوا فى أمره ، قال : فقيل : إن الفخر إسماعيل غلام ابن المنى قال : الإسلام يَجُبُّ ماقبله .

٢٣٨ ـ محمد بن حماد بن محمد بن جوخان البغدادى القسطفتى الضرير ، الفقيه أبو بكر .

سمع الحديث من ابن البطى ، وشهدة ، وحدث بيسير ، وحفظ القرآن وقرأه تجويداً وأقرأه .

وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، وتـكلم فى مسائل الخلاف .

وتوفى فى يوم الأربعاء سلخ رمضان سنة عشر وستمائة ، ودفن من يومه بمقبرة باب حرب ـ رحمه الله ـ وقد ناطح السبعين .

٢٣٩ ـ هلال بن محفوظ بن هلال الرسعنى الجزرى ، الفقيه ، أبو النجم .

رحل إلى بغداد ، وسمع بها من شهدة الـكاتبة ، وغيرها ، وتفقه بها ، وبيته بالجزيرة بيت مشيخة وصلاح ، حدث برأس العين .

وتوفى فى سنة عشر وستمائة . رحمه الله .

٢٤٠ ـ محمد بن على بن محمد بن كرم السلامى المعدل ، أبو العشـائر ، ابن التلولى .

سمع من ابن البطى ، وجماعة . وتفقه فى المذهب ، وقرأ طرفاً من العربية على ابن الخشاب .

وشهد عند قاضي القضاة العباسي ، وكان يؤم بمسجد بالجانب الغربي من بغداد .

وحدث، وسمع منه قوم من الطلبة . وكان غالياً فى التسنن ، حتى إنه يقول أشياء لا يلزمه التلفظ بها ، بل يضره .

منها : أن علياً شرب الخمر ، وأن بلالا خيراً من موسى بن جعفر ، ومن أبيه ، وكان ذلك فى وزارة القمى الشيعى ، فنفاه إلى واسط ، وكان ناظرها غالياً فى التشيع ، فأخذه وطرحه فى مطمورة ، إلى أن مات بها . وانقطع خبره سنة عشر وستمائة . رحمه الله تعالى .

٢٤١ - إبراهيم بن محمد على بن محمد بن المبارك بن أحمد بن محمد بن بكروس البغدادى الفقيه ، المعدل ، أبو إسحاق . وقيل : أبو محمد ، ويلقب شمس الدين . وقد سبق ذكر أبيه وعمه .

ولد ليلة ثامن عشرين جمادى الأولى ، سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

وذكر القادسى فى تاريخه : أن والده سماه عبد الرحمن ، فرأى فى منامه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يسميه إبراهيم ، ويكنيه أبا محمد .

وقرأ القرآن على عمه ، وسمع الحديث من أبيه وعمه ، ومن أبى الفتح ابن البطى ، وجماعة كثيرة من المتأخرين ، وكتب الطباق بخطه ، واشتغل بالمذهب على أبيه وعمه ، و بالخلاف على أبى الفتح ابن المنى ، ولازمه مدة لسماع درسه ، حتى برع وأفتى وناظر . ثم أقبل على إلقاء الدروس بمدرستهم بدرب العيار .

وشهد عند قاضى القضاة ابن الشهرزورى ، وولى نظر وقوف الجامع ، ثم ولى النيابة بباب النوبى سنة أربع وستمائة ، فغير لباسه ، وتغيرت أحواله ، وأساء السيرة بكثرة الأذى ، والمصادرة ، والجنايات للناس ، والسعى بهم ، ولم تكن تأخذه فى ذلك لومة لائم .

قال ابن القادسى : حدثنى عبد العزيز بن دلف الخازن ، قال : كان ابن

بكروس يلازم قبر معروف الكرخي ، فسمعته وهو يدعو أكثر الأوقات : اللهم مكني من دماء المسلمين ولو يوماً واحداً ، قال : فمكنه الله من ذلك .

وقال ابن الساعي : حدثني عبد العزيز الناسخ ، أنه وعظ ابن بكروس يوماً ، فقال له : ياشيخ : اعلم أني فرشت حصيراً في جهنم . قال : فقمت متعجباً من قوله ، ولم يزل على ذلك ، إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وستمائة ، وضرب حتى تلف ، فمات ليلة الخميس ثامن [1] جمادى الأولى من السنة المذكورة .

وقال ابن القادسي : وكان الناسخ صاحباً له ، فقبض عليه معه ، وحبس وضرب ، وقرر عليه مال ، ثم أطلق ولم يأخذ منه شيء .

ذكر القادسي : أنه أنشد قبل موته مستشهداً لغيره .

قضيت نحبي ، فَسُرَّ قوم ... بهم غفلة ونوم
قد كان يومي عليَّ حتم ... أليس للشامتين يوم ؟

فقرأ سورة يس ، فلما بلغ إلى قوله تعالى (إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) جعل يكررها إلى أن مات .

قال : واجتمع الناس لخروج جنازته ، وأغلق باب النوبي ، فأخرجت جنازته نصف الليل من باب العامة ، وحمل إلى باب أبزر ، فدفن إلى جانب مشهد أولاد الحسن ، سامحه الله وتجاوز عنه .

وذكر المنذري : أنه توفي في ثامن عشر الشهر ، ودفن في ليلة تاسع عشره .

وقد وجد أبو شامة في ابن بكروس مجالا للمقال ، فقال فيه وأطال ، وأظهر بعض ما في نفسه فيه وفي أمثاله ، حيث لم يمكنه القول في أكابر الرّجال ، وذكر أنه رمي به في دجلة ، وهذا لم يصح بحال .

---

(١) في نسخة « ثامن عشر »

٢٤٢ ـ عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر بن أبى صالح الجيلي البغدادى ، أبو محمد بن أبى منصور بن أبى عبد الله بن أبى محمد ، و يلقب بالركن . وقد تقدم ذكر أبيه وجده .

ولد ليلة ثامن ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من جده ، ومن أبى الحسن محمد بن إسحاق بن الصابى ، وأبى الفتح بن البطى وشهدة ، وابن شاتيل ، وأحمد بن المقرب ، وأبى المكارم البادرائى ، وغيرهم .

وقرأ بنفسه على أبى الحسن البراديسى الفقيه وغيره ، وكتب بخطه ، وخطه ردىء ، وتفقه على جده الشيخ عبد القادر ، وعلى أبيه عبد الوهاب ، ودرس بمدرسة جده بالمدرسة الشاطبية ، وولى عدة ولايات . وكان أديباً ، كيساً مطبوعاً عارفاً بالمنطق ، والفلسفة ، والتنجيم ، وغير ذلك من العلوم الرديئة ، و بسبب ذلك نسب إلى عقيدة الأوائل ، حتى قيل : إن والده رأى عليه يوماً ثو باً بخاريًا ، فقال : والله ، هذا عجيب ! ! مازلنا نسمع البخارى ومسلم ، فأما البخارى وكافر ، فما سمعناه . وكان أبوه كثير المجون والمداعبة ، كما تقدم عنه .

وكان عبد السلام لم يفتأ غير ضابط للسانه ، ولا مشكوراً فى طريقته وسيرته ، يرمى بالفواحش والمنكرات ، وقد جرت عليه محنة فى أيام الوزير ابن يونس ، وحكم بفسقه ، وأحرقت كتبه .

وكان سبب ذلك : أن ابن يونس كان جاراً لأولاد الشيخ عبد القادر فى حال فقره ، فكانوا يؤذونه غاية الأذى . فلما ولى ابن يونس وتمكن ، شتت شملهم ، و بعث ببعضهم إلى المطامير بواسط ، و بعث فكبس دار عبد السلام ، وأخرج منها كتباً من كتب الفلاسفة ، ورسائل إخوان الصفا ، وكتب السحر ، والنارنجة ، وعبادة النجوم ، واستدعى ابن يونس ـ وهو يومئذ أستاذاً لدار العلماء ، والفقهاء ، والقضاة ، والأعيان ـ وكان ابن الجوزى معهم . وقرأ فى بعضها مخاطبة

زحل يقول : أيها الكوكب المضيء المنير ، أنت تدبر الأفلاك ، وتحيي وتميت . وأنت إلٰهنا . وفى حق المريخ من هذا الجنس . وعبدالسلام حاضر ، فقال ابن يونس : هذا خطك ؟ قال : نعم ، قال : لم كتبته ؟ قال : لأرده على قائله ، ومن يعتقده ، فأمر بإحراق كتبه ، فجلس قاضي القضاة والعلماء ، وابن الجوزي معهم على سطح مسجد مجاور لجامع الخليفة يوم الجمعة ، وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة ، وخرج الناس من الجامع ، فوقفوا على طبقاتهم ، والكتب على سطح المسجد ، وقام أبو بكر بن المرستانية ، فجعل يقرأ كتاباً كتاباً ، من مخاطبة الكواكب ونحوها ، ويقول : الْعَنوا مَن كتبها ، ومن يعتقدها ، وعبد السلام احاضر ، فيضج العوام باللعن ، فتعدى اللعن إلى الشيخ عبد القادر ، بل وإلى الإمام أحمد ، وظهرت الأحقاد الصّدرية ، وقال الخصوم أشعاراً ، منها : قول المهذب الرومى ساكن النظامية:

لى شعر أرق من دين ركن الدين عبد السلام لفظاً ومعنى
زحلياً يثنى علياً ، ويهوى آل حرب حقداً عليه وضغنا
منحته النجوم — إذ رام سعداً وسروراً — نحساً ، وهما وحزنا
سار إحراق كتبه سير شعرى فى جميع الأقطار سهلا وحزنا
أيها الجاهل الذى جهل الحق ضلالا ، وضيع العمر غبنا
رمت جهلا من الكواكب بالتبخير عزاً ، فنلت ذلا وسجنا
مازحيل ، وعطارد ، والمريخ ، والمشترى ، تُرى يامعنَّى ؟
كل شيء يُوْدِي ويفنى ، سوى الاله إلهى ؛ فإنه ليس يفنى

ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السلام ، ورمى طيلسانه ، وأخرجت مدرسة جده من يده ، ويد أبيه عبد الوهاب ، وفوضت إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، فذكر فيها الدرس مدة . ذكر ذلك أبو المظفر سبط ابن الجوزي .

وذكر معناه ابن القادسي ، وزاد : إن عبد السلام أودع الحبس مدة ، ولما

أفرج عنه ، أخذ خطه بأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الإسلام حق ، وما كان فيه باطل ، وأطلق .

ثم لما قبض على ابن يونس ، ردت مدرسة الشيخ عبد القادر إلى ولده عبد الوهاب ، ورد ما بقى من كتب عبد السلام التى أحرقت بعضها ، وقبض على الشيخ أبى الفرج بسعى عبد السلام هذا ، كما تقدم ذكره ، ونزل معه عبد السلام فى السفينة إلى واسط ، واستوفى منه بالكلام ، والشيخ ساكت . ولما وصل إلى واسط عقد مجلس حضر فيه القضاة ، والشهود ، وادعى عبد السلام على الشيخ بأنه وقف المدرسة ، واقتطع من مالها ، وأنكر الشيخ ذلك ، وكتب محضراً بما جرى ، وأمر الشيخ بالمقام بواسط ، ورجع عبد السلام .

قال ابن القادسى : أفرد لشيخنا دار بواسط فى درسه الديوان ، وأفرد له من يخدمه . وكان عبد السلام مداخلا للدولة ، متوصلا إليهم ، فسعى حتى رتب عميداً ببغداد ، وخلع عليه ، ورد إليه استيفاء مال الضمان ، وأعطى الدار المقابلة لباب النوبى ، وجعلت ديوانه . وكان ذلك سنة ستمائة .

وذكر أبو المظفر : أنه قبض عليه سنة ثلاث ، واستصفيت أمواله ، حتى أصبح يستعطى من الناس . وفى هذه المدة سلمت المدرستان التى بيده إلى ابن عمه أبى صالح ، ثم بعد ذلك توكل لأبى الحسن على بن الخليفة الناصر — وكان ولى العهد — ورد إليه النظر فى أملاكه وإقطاعه ، ثم توجه فى رسالة من الديوان إلى صاحب أربل .

وذكره ابن النجار فى تاريخه ، وذمه ذماً بليغاً ، وذكر أنه لم يحدث بشىء .

توفى فى ثالث رجب — وقيل : فى خامسه . وفى تاريخ ابن النجار : يوم الجمعة لثمان خلون من رجب — سنة إحدى عشرة وستمائة . ودفن من يومه ، بمقبرة الحلبة ، شرقى بغداد .

٢٤٣ ـ محمد بن على بن نصر بن البَلّ الدورى ، الواعظ أبوالمظفر ، ويلقب مهذب الدين .

ولد سنة ست عشرة ـ أو سبع عشرة ـ وخمسمائة بالدور ، وهى دور الوزير ابن هبيرة بدُجيل ، ونشأ بها .

ثم قدم بغداد فى شبيبته ، واستوطنها ، فسمع بها من ابن ناصر الحافظ ، وابن الطلاية ، والوزير ابن أبى نصر بن جهير ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت ، وجماعة كثيرة من المتأخرين .

وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وقال الشعر الحسن ، وفتح عليه فى الوعظ ، ووعظ بعدة أماكن ، حتى صار يضاهى أبا الفرج بن الجوزى ، ويزاحمه فى أماكنه . ووعظ عند تربة أم الخليفة الناصر ، سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فكان يجلس يوم الأربعاء ، ويجلس أبو الفرج يوم السبت ، ثم أذن للدورى بالجلوس يوم السبت ، فاجتمع الخلق ظناً منهم أن ابن الجوزى هو الذى يتكلم ، فلما رأوا الدورى انصرف كثير منهم ، وسبوا الدورى ، وأصحابه ، وخيف من قوع فتنة فبعث أستاذاً لدار ابن يونس ، وأحضر ابن الجوزى ، وطيب قلبه ، وقال له : إن السلطان لم يعلم بهذه الحال ، وإنما وقع تلبيس ، ثم رأوا المصلحة فى منع جميع الوعاظ ، فمنعوا .

ولما اعتقل الشيخ أبو الفرج بواسط ، خلا للدورى الجو ، فكان يعظ مكانه عند التربة ، واتفق أن الشيخ لما رجع إلى بغداد ، ودخلها يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ، فوصل البشير بأنه قد وصل ، والدورى يعظ مكانه ، فبادر الناس من المجلس لتلقيه ، فجعل الدورى يقول : ماهذه الأهوية التى أنتم عليها عاكفون ، وقطع عليه المجلس .

ثم ذكر ذلك ابن القادسى ، فقال ما سمعته ينشد فى مجلسه :

يا أكرم البشر الذى مازلت فى ... عمرى له أهـدى الثنـاء وأمدح
أتعبتَ وَصَّافيك فيك ، فلجلج ... المثنى ، وأعرب فى علاك المفصح
والبدر تمّ ، وأنت أكمل صورة ... والبحر عمّ ، وأنت منه أسمح

قال أبو الفرج بن الحنبلى ـ وقرأته بخطه ـ : كان ـ يعنى الدورى ـ واعظاً حسناً . وكان يضاهى ابن الجوزى فى وعظه . وكان فصيحاً فى إيراده . وله نظم ونثر ، سمعته يتـكلم . وقال ـ وهو على المنبر ـ بالله عليك ياجامع المنصور ، هل تسمع قط مثل وعظ الدورى ؟ .

وقال :

أخافك حتى لا أظنُّ سـلامة ... وأرجوك حتى لا أظن هلا كا
وها أنا رهن فى يديك ، ومحسن ... بك الظن، فاجعل للأسير فِـكا كا
فما نلتُ ممـا أرتجيه لموتتى ... سواك ، ولا قدر الأراك سـوا كا

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: يعانى الوعظ ، ولم يكن من صنعته . وكان يضاهى جدى ، حتى قيل له : أيما أعلم : أنت ، أم أبو الفرج ؟ فقال : ما أرضاه يقرأ عليّ الفاتحة ، فبلغ ذلك أبا الفرج ، فقال : ماأقرأ عليه الفاتحة ، بل أقرأ عليه (قل هو الله أحد) .

قال : وكان يتعصب له حا كم قطفتا . وكان ينتحل أشعار الناس ، ادعى يوماً بيتين لنفسه ، وأنشدهما على المنبر ، وهما لأبى الفتح البستى .

قلت : لا يلزم من إنشاده شعر غيره أنه يدّعيه لنفسه . وقد كان موصوفاً بالصلاح والديانة .

قال ابن نقطة : سمعت منه ، وكان شيخاً صالحاً متعبداً .

قال المنذرى : حدث وعَمَّر ، وعجز عن الحركة ، ولزم بيته إلى أن مات ، وهو ابن أربع ـ أو خمس ـ وتسعين سنة . وكان شيخاً صالحاً متعبداً .

و « البلّ » بفتح الباء الموحدة وتشديد اللام .

قلت : وكان يحضر المجالس المعقودة مع أكابر الفقهاء ، ويفتي معهم . وهو آخر من أفتى بفسق قاضي القضاة العباسيين ومن دخل معه فى تزوير الكتاب الذى أنكر شهوده الشهادة به عند القاضى ، واعترف المثبت له أنه مزور ، ولا أصل له ، وأن القاضى ارتشى لأجل إثباته .

وممن أفتى بفسق القاضى وذويه فى ذلك من أصحابنا : ابن الجوزى ، وابن الصقال ، وخلق كثير من الشافعية والحنفية بدار أستاذ الدار بن ابن يونس .

توفى ابن البلّ رحمه الله يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة . وصلى عليه يوم الأربعاء بالنظامية ، وتقدم للصلاة عليه أبو صالح ابن عبد الرزاق ، وحمل فدفن برباطه بقطفتا ، على نهر عيسى بالجانب الغربى . رحمه الله تعالى .

وكان له ولد اسمه : محمد ، يكنى : أبا عبد الله ، كانت له معرفة جيدة بالحساب وأنواعه ، والمساحة ، والفرائض ، وقسمة التركات ، وأقرأ ذلك مدة .

وسمع من ابن البطى ، وغيره ، وشهد عند قاضى القضاة ابن الشهرزورى .

توفى شاباً فى حياة أبيه ، يوم الإثنين رابع عشرين شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ودفن بداره بقراح ابن أبى السحم ، شرقى بغداد . رحمه الله تعالى .

٢٤٤ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين الفراء البغدادى ، القاضى جمال الدين ، أبو العباس ، ابن القاضى أبى يعلى ابن القاضى أبى حازم ، ابن القاضى أبى يعلى الكبير .

مولده بواسط ، إذ كان أبوه قاضيابها ، بعد الأربعين وخمسمائة بقليل .

وسمع الكثير من والده ، ومن أبى بكر بن الزاغونى ، وسعيد بن البنا ، وأبى الوقت ، وابن البطى ، وخلق كثير . وعنى بالحديث ، وكتب بخطه الكثير لنفسه وللناس ، وشهد عند ابن الدامغانى .

قال ابن القادسى : كان خيِّراً من أهل الدين والصيانة ، والعفة والديانة وحدث ، وسمع منه ابن الدبيثى ، وابن الساعى .

وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة . ودفن عند آبائه بباب حرب .

٢٤٥ – محمد بن معالى بن غنيمة ، البغدادى المأمونى، المقرئ ، الفقيه الزاهد أبو بكر بن الحلاوى ، ويلقب عماد الدين .

كان لا يتحقق مولده . وقيل : إنه بعد الثلاثين وخمسمائة .

سمع من أبى الفتح بن الكروخى ، وأبى الفضل بن ناصر ، وأبى بكر ابن الزاغونى ، وسعيد بن البنا ، وغيرهم .

وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، وهو من فقهاء أصحابه ، وبرع فى المذهب ، وانتهت إليه معرفته ، مع الديانة والورع ، والانقطاع عن الناس .

قال ابن القطيعى : هو رجل صالح ، له مكان فى الورع ، مقيم بمسجده بالمأمونية ، مقبل على ماينفعه من أمر آخرته ، والتفرد والعزلة .

وأثنى عليه ابن القادسى كثيراً ، وقال : كانت له اليد الباسطة فى المذهب والفتيا . وكان ملازماً لزاويته فى المسجد ، قليل المخالطة إلا لمن عساه يكون من أهل الدين ، ما ألم بباب أحد من أرباب الدنيا ، وما قبل لأحد هدية . وكان أحد الأبدال الذين يحفظ الله بهم الأرض ومن عليها .

وقرأت بخط الناصح بن الحنبلى : الشيخ الإمام عماد الدين أبو بكر الخياط ، وكان زاهداً ، عالماً ، فاضلا ، مشتغلا بالكسب من الخياطة ، ومشتغلا بالعلم ، ويقرئ القرآن احتساباً ، قال لى : تشكل علىَّ المسألة ، فآتى الشيخ أبا الفتح ابن المنى لأسأله عنها ، فتنكشف لى وأفهمها قبل جواب الشيخ ، يشير إلى بركة الشيخ . وكنت أنا أقرأ عليه شيئاً من القرآن ، ثم يقول : خذ علىَّ ، فيناولنى

« مقدمة الخبرى » فى الفرائض ، فيقرؤها من حفظه . وكان متطهراً ومشدداً فى الطهارة .

وكان الإمام الظاهر فى حياة والده الناصر قد أحسن به الظن ، وصحبه فى الزيادة ، وانتفع الظاهر بصحبته كثيراً . ورتب كتاب « جامع المسانيد » تأليف الشيخ أبى الفرج بن الجوزى على أبواب الفقه . وكان يقرأ على شيخنا ابن المنى من « كفاية المفتى » لابن مقبل .

وقال المنذرى : كان ورعاً ، متديناً ، عارفاً بمذهبه . وحدث ، وقرأ ، وأمّ بالناس فى الصلوات مدة ، ولنا منه إجازة . كتب بها إلينا من بغداد .

قلت : وله تصانيف ، منها : « المنيرة فى الأصول »

وعليه تفقه الشيخ مجد الدين أبو البركات ابن تيمية . وتفقه عليه أيضاً : أبو زكريا يحيى بن الصيرفى . وسمع منه . هو وابن القطيعى .

وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشرين رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة . وحضر غسله أبو صالح بن عبد الرزاق . ودفن بمقبرة باب حرب قبل صلاة الجمعة . رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنصارى أخبرنا على بن أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أبو بكر؛ محمد بن معالى ـ إذناً ـ أخبرنا أبو بكر بن الزاغونى أخبرنا الحسين بن أحمد بن طلحة ، أخبرنا الحسن بن الحسين بن المنذر ، أخبرنا على بن محمد بن الزبير حدثنا الحسن بن على بن عفان بن زيد بن الحباب حدثنى المسعودى عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير ، فقام وقد أثّر فى جسده ، فقال له ابن مسعود : يارسول الله ، لو أمرتنا أن نبسط لك ، ونفعل . قال صلى الله عليه وسلم : مالى وللدنيا . ما أنا والدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ، ثم راح وتركها » .

ومن فتاوى ابن الحلاوى : أن من كرر النظر حتى أمذى : أفطر . ووافقه الفخر إسماعيل . وخالفهما أبو البقاء العكبرى ، واختار : أن مُهدى ثواب الأعمال للموتى ، يقول : اللهم إن كنتَ أثبتَنى على هذا العمل ، فاجعل ثوابه لفلان .

٢٤٦ - عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود بن الأخضر الجنابذى ، ثم البغدادى البزار ، المحدث الحافظ . أبو محمد بن أبى نصر بن أبى القاسم ابن أبى نصر . و يلقب تقى الدين ، محدث العراق .

ولد يوم الخميس ثامن عشر رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة ببغداد .

وأول سماعه : سنة ثلاثين وخمسمائة .

سمع بإفادة أبيه وأستاذه ابن بكروس من القاضى أبى بكر بن عبد الباقى ، وأبى القاسم بن السمرقندى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وأبى الحسن بن عبد السلام ، و يحيى بن الطراح ، وأبى منصور بن خيرون ، وأبى الحسن على بن محمد الهروى ، وأبى سعيد البغدادى ، وسعد الخير الأنصارى ، وغيرهم .

وسمع هو بنفسه من أبى الفضل الإرموى ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وسعيد ابن البناء ، وابن ناصر الحافظ ، وأبى الوقت ، وطبقتهم ومن بعدهم أيضاً .

و بالغ فى الطلب ، وقرأ بنفسه ، وكتب الكثير بخطه ، وحصّل الأصول ، ولازم أبا الحسن بن بكروس الفقيه ، وانتفع به ، وأبا الفضل بن ناصر . وعنه أخذ علم الحديث . وكتب الكثير بخطه المليح المتقن لنفسه ، وتوريقاً للناس فى شبابه .

وكانت له حلقة بجامع القصر ، يقرأ بها فى كل جمعة بعد الصلاة ، وهى حلقة ابن ناصر ، أخذها بعد موت ابن شافع ، ولم يزل يسمع و يقرأ على الشيوخ لإفادة الناس إلى آخر عمره .

قال ابن النجار : صنف مجموعات حسنة فى كل فن ، ولم يكن فى أقرانه أكثر سماعاً منه ، ولا أحسن أصولا ، كأنها الشمس وضوحاً ، وعليها أنوار

الصدق . و بارك الله له فى الرواية ، حتى حدث بجميع مروياته

صحبته مدة طويلة . وقرأت عليه فى حلقته بالجامع . وفى دكانه الكثير من الكتب الكبار والأجزاء . وأكثر ماجمعه وخرجه ، علقته عنه ، واستفدت منه كثيراً .

وكان ثقة ، حجة نبيلا ، مارأيت فى شيوخنا ـ سفراً ولا حضراً ـ مثله فى كثرة مسموعاته ، ومعرفته بمشايخه ، وحسن أصوله وحفظه و إتقانه .

وكان أميناً . ثخين الستر متديناً ، جميل الطريقة ، عفيفاً . أريد على أن يشهد عند القضاة . فأبى ذلك .

وكان من أحسن الناس خلقاً ، وألطفهم طبعا . ومن محاسن البغداديين وظرفائهم ، ما يملّ جليسه منه .

وقال ابن نقطة : كان ثقة ثبتاً مأموناً ، كثير السماع ، واسع الرواية ، صحيح الأصول . منه تعلمنا واستفدنا . مارأينا مثله .

وقال ابن الدبيثى : جمع فى الحديث . و بوّب وخرج . وكان ثقة صدوقاً . له معرفة بهذا الشأن . ولم أر فى شيوخنا أوفر شيوخاً منه . ولا أعزّ سماعاً ، مع معرفة بحديثه وشيوخه . وفهم مايرويه . وسمعنا منه وقرأنا . وانتفعنا به . ونعم الشيخ كان .

قال ابن القطيعى : صنف كتاباً سماه «تنبيه اللبيب» فأبان فيه عن علم غزير . وحفظ كثير .

وقال أبو شامة : صنف الكتب الحسان ، فى الأبواب والشيوخ والفضائل .

وقال : تصانيفه تدل على فهمه ، وضبطه وحسن معرفته .

وقال المنذرى : حدث مدة طويلة نحواً من ستين سنة . وصنف تصانيف مفيدة . وانتفع به جماعة . ولنا منه إجازة . وكان حافظ العراق فى وقته .

قال : و « الجُنَابَذ » ـ يعنى : التى ينسب إليها ـ بضم الجيم وفتح النون و بعد

الألف باء موحدة مفتوحة وذال معجمة : قرية من قرى نيسابور .

قال : ومن تصانيفه «المقصد الأرشد ، فى ذكر من روى عن الإمام أحمد» فى مجلدين ، أجزاء عديدة ، كتاب «تنبيه اللبيب ، وتلقيح فهم المريب ، فى تحقيق أوهام الخطيب ، و تلخيص وصف الأسماء ، فى اختصار الرسم والترتيب» أجزاء كثيرة . رأيت منه الجزء العشرين . وقد تتبع فيه الأوهام التى ذكرها الخطيب للأئمة الحفاظ ، وأجاب عنها . وفى بعض أجوبته تعسف شديد . و بعضها : لايوافق عليه ألبتة . ولا يحتمله اللفظ بحال . وفى بعضها : فوائد حسنة . وذكر فى هذا الجزء أوهاما لابن السمعانى صاحب الذيل .

ووقع لابن الأخضر فى هذا الجزء وهم فاحش . وهو أنه ذكر أن البخارى روى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن » الحديث بتمامه فى النكاح ، عن يحيى بن بكر عن ليث بن أبى سليم الكوفى عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه . وهذا غلط فاحش . وكذلك كتب عليه الحافظ الذهبى بخطه ؛ وهو كما قال . فإن الليث هذا هو الليث بن سعد . وهذا أمر واضح .

وفى كلامه سجع كثير ، وتكلف شديد .

ومن تآليفه « فضائل شعبان » و «طرق جزء الحسن بن عرفة» جزء كبير .

وسمع من ابن الأخضر خلق كثير من الأئمة والحفاظ المتقدمين ، منهم : أبو المحاسن القرشى ، وعمر بن محمد العليمى الدمشقيان ، والحافظ عبد الغنى المقدسى .

وروى عنه ابن الجوزى فى تصانيفه حكايات . وروى عنه ابن الدبيثى ، وابن نقطة ، وابن النجار ، والضياء المقدسى ، والبرزالى ، وابن خليل ، والزين خلف النابلسى ، وغيرهم من أكابر الحفاظ ، وابنه على بن عبد العزيز بن الأخضر ، والنجيب الحرانى . وأخوه عبد العزيز . ويحيى بن الصيرفى الفقيه . والمقداد القيسى . وخلق

وآخر من روى عنه بالإجازة : عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادى البزار .

توفى ــ رحمه الله ــ ليلة السبت بين العشاءين ، فى سادس شوال سنة إحدى عشرة وستمائة . وفتح له جامع القصر من الغد . وحضره خلق كثير من العلماء والأعيان . وقرأ الدّيوان ، ومنع من شَدّ تابوته ، وحمل بوقار وسكينة . ودفن بمقبرة باب حرب عند قبر أبى بكر المرزفى . رحمه الله .

أخبرنا أبو الفتح الميدومى ــ بمصر ــ أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا أبو محمد بن الأخضر الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى أخبرنا أبو إسحاق البرمكى ــ حضوراً ــ أخبرنا أبو محمد بن ماسى أخبرنا أبو مسلم البلخى حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا سليمان التيمى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام ، أو قال : ثلاث ليال »

٢٤٧ ــ عبد المحسن بن يعيسه بن إبراهيم بن يحيى الحرانى الفقيه أبو محمد .

سمع بحران من أبى ياسر عبد الوهاب بن أبى حبة .

ورحل إلى بغداد سنة أربع وتسعين ، فسمع من ابن كليب . وأبى الجوزى وطبقتهما ، وقرأ المذهب والخلاف حتى تميز . وأقام ببغداد مدة ، ثم عاد إلى حران فأقام بها ، ثم قدم بغداد حاجًّا سنة عشر وستمائة ، وحدث بها عن ابن أبى حبة وسمع منه بعض الطلبة .

ورجع إلى حران . فتوفى بها سنة إحدى عشرة وستمائة . وكان شابا رحمه الله . ذكره ابن النجار .

٢٤٨ ــ عبد القادر بن عبد الله الفهمى الرهاوى . ثم الحرانى ، المحدث الحافظ الرحال ، أبو محمد ، محدث الجزيرة .

ولد فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وخمسمائة بالرها . ثم أصابه سبى لما فتح زَنكى والد نور الدين الرها ، سنة تسع وثلاثين ، فاشتراه بنو فَهْم الحرانيون وأعتقوه ، كذا قال ابن القطيعى وابن النجار .

وذكر الدبيثى وأبو شامة : أنه اشتراه رجل من الموصل ، فأعتقه

قال ابن القطيعى : ويقال : إنه مولى لبنى أبى الفهم الحرانيين

قال القطيعى : قال لى : طلبت الحديث سنة تسع وخمسين .

وذكر أبو الفرج بن الحنبلى : أنه تعلم القرآن ، فأعتقه سيده ، وقرأ كتاب « الجامع الصغير » فى المذهب ، وهو للقاضى أبى يعلى ، ونَفَعَه ، ورأيت له مصنفاً فى الفرائض والحساب ، وسافر فى طلب العلم .

سمع الحافظ عبد القادر ببغداد من أبى على الرحبى ، وابن الخشاب اللغوى ، وأبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق ، وأخيه عبد الرحيم ، وشُهْدة ، وجماعة كثيرة .

وبهمدان من الحافظ أبى العلاء الهمدانى ، وأبى زرعة بن محمد بن طاهر المقدسى ، وجماعة .

وبأصبهان من أبى القاسم فورجة ، وأبى عبد الله الرستمي ، ومسعود ابن الحسن الثقفى ، وأبى المطهر الصيدلانى ، وأبى جعفر الصيدلانى ، ورجاء المعدانى ، وجماعة من هذه الطبقة ، ومن الحفاظ بها ، كأبى مسعود عبد الرحيم ابن أبى الوفاء ، ومعمر بن الفاخر ، وأبى موسى المدينى ، وأبى سعد الصايغ .

ودخل خراسان ، فسمع بنيسابور من أبى بكر محمد بن على بن عمر الطوسى وطبقته ، وبمرْوَ من أبى الفتح المسعودى ، وبسجستان من أبى عروبة عبد الهادى ابن محمد الزاهد ، وبهراة من نصر بن سيار ، ومن أبى الفتح محمد بن عمر الخازمى ، وعبد الرزاق بن عبد السلام الصفار ، وعبد الجليل بن أبى سعد ، خاتمة أصحاب بيبى ، وجماعة .

وسمع بدمشق من الحافظ أبى القاسم بن عساكر ، وشيخ الشيوخ أبى الفتح ابن حمويه ، وأبى المعالى بن صابر ، ومحمد بن حمزة بن أبى الصقر ، وغيرهم .

وبمصر من ابن بَرِّى النحوى ، وأبى عبد الله محمد بن على الرحبى ، وغيرهما .

وبالإسكندرية من الحافظ السلفى وغيره

وسمع بواسط ، من أبي طالب بن الكناني ، وجماعة ، و بالموصل وحران من أبي الفضل الطوسي ، ويحيى بن سعدون وغيرهما

وسمع ببلاد أخرى ، كبوشَنْج ، وزنجان . وتُستر ، والكرخ ، والبصرة ، وكان يمشي في أسفاره على قدميه ، وكتبه محمولة مع الناس ، وربما كان طعامه من عندهم أيضا ، لفقره .

وكتب بخطه الكثير من الكتب والأجزاء . وأقام بدمشق بمدرسة ابن الحنبلي مدة ، حتى نسخ تاريخ ابن عساكر بخطه ، وسمعه عليه ، ذكر ذلك ابن الناصح .

وأقام بالموصل مدة ، وولي بها مشيخة دار الحديث المظفرية ، وحدث بها بأكثر مسموعاته ، ثم انتقل منها إلى حران ، وسكنها إلى حين وفاته .

قال ابن الحنبلي : ووقف عليه مظفر الدين صاحب « أربل » أرضاً بأرض حران وبعث معه مرة مالاً يفكّ به الأسارى مع أجناد من أربل . فاجتمعنا به بدمشق .

قال ابن نقطة : كان عالماً ثقة ، مأموناً صالحاً ، إلا أنه كان عسراً في الرواية ، لا يكثر عنه إلا من أقام عنده .

وقال الدبيثي : كان صالحاً ، كثير السماع ، ثقة . كتب الناس عنه كثيراً . وأجاز لنا مراراً .

وقال ابن خليل : كان حافظاً ثبتاً ، كثير التصنيف متقناً ، خُتِمَ به علم الحديث .

وقال ابن النجار : كان حافظاً متقناً ، فاضلا ، عالماً ورعاً ، متديناً زاهداً ، عابداً ، صدوقاً ، ثقة نبيلا ، على طريقة السلف الصالح ، لقيته بحران ، وكتبت عنه جزءا واحداً ، انتخبته من عوالي مسموعاته في رحلتي الأولى .

وقال المنذري : جمع مجاميع مفيدة ، منها : كتاب « الأربعين » الذي خرجه بأربعين إسناداً ، لا يتكرر فيه رجل واحد من أولها إلى آخرها ، مما سمعه في أربعين مدينة . وهو كبير في مجلدتين .

قال : وكان حافظاً ثقة ، راغباً فى الانفراد عن أرباب الدنيا ، ولنا منه إجازة .

وقال أبو شامة : كان صالحاً مهيباً ، زاهداً ، ناسكا ، خشن العيش ، صدوقاً ، ورعاً .

وقال ابن حمدان : كان رجلا ورعاً ، صالحاً مهيباً ، له تصانيف فى الحديث .

قلت : من تصانيفه : كتاب « المادح والممدوح » يتضمن ترجمة شيخ الإسلام الأنصارى ، وفضائله . وذكر مَنْ مدحه وأثنى عليه ، وما يتعلق بالمادحين له من تراجمهم وحديثهم ، وكذلك مادحو مادحيه ، وطال الكتاب بذلك ، وأكثره لا يتعلق بشيخ الإسلام إلا على سبيل الاستطراد ، وإن كان فى ذلك فوائد .

ومن مصنفاته « الأربعون البلدانية » المتباينة الأسانيد ، ولم يسبق إلى ذلك ولا يطمع أحد فى لحاقه ، لخراب البلدان ، وانقطاع الرواية عن أكثر تلك البلاد .

قال الحافظ الذهبى : وله أوهام نبهت على مواضع منها ، فى الأربعين له ، وتكرر عليه فى تباين الأسانيد أربع مواضع . وقد حدث بالكثير ببلاد شتى .

حدث ببغداد قديماً . وسمع منه ابن القطيعى ، وتميم بن البندنيجى ، وحدث بالإسكندرية فى حياة السامرى . رحمه الله . وحدث بالموصل ، وأربل ، وحران وسمع منه خلق كثير من الحفاظ الأئمة ، منهم أبو عمر بن الصلاح . وحدث عنه ابن نقطة ، وأبو عبد الله البردانى ، والضياء ، وابن خليل والصريفينى ، وإسماعيل بن خلف(١) ، والشهاب القوصى ، وابن عبد الدايم ، وعبد الرحمن ابن سلمان الأنبارى ، ويحيى بن الصيرفى الفقيهان ، وعبد العزيز بن الصيقل الحرانى ، وأبو عبد الله بن حمدان الفقيه ، وهو خاتمة أصحابه .

توفى رحمه الله يوم السبت ثانى جمادى الأولى سنة اثنتى عشرة وستمائة بحران .

---

(١) فى مخطوطة الثقافة « ابن ظفر » .

نقلت من خط الإمام أبى العباس ابن تيمية رحمه الله ، قال : رأيت بخط الحافظ سراج الدين بن شجانة الحرانى ، سمعت أبا الفتح نصر الله بن أبى بكر ابن عمر الفراء الحرانى ، يقول : رأيت الحافظ عبد القادر رحمه الله بعد موته بأيام قليلة ، وهو جالس فى مسجد الشيخ ، وفى يده مجلد ، وهو يسمع ، فقمت إليه ، فقلت : ياشيخ عبد القادر ، ماقد مِتَّ ؟ قال : بلى ، وتحسب أنى أبطل السماع . فلا أزال أسمع إلى يوم القيامة . رحمه الله تعالى .

أخبرنا المعمر أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنصارى ، أخبرنا الفقيه أبو زكريا يحيى بن أبى منصور الحرانى ـ حضوراً ـ أنبأنا الحافظ أبو محمد الرهاوى أخبرنا نصر بن سيار الهروى ، أنبأنا أبو عامر محمود بن القاسم الأزدى ، أنبأنا عبد الجبار بن محمد المروزى ، أخبرنا العباس المحيوى ، أخبرنا أبو عيسى محمد ابن عيسى بن سورة الحافظ ، حدثنا هناد ، وقتيبة ، ومحمود بن غيلان ، قالوا : حدثنا وكيع عن سفيان ح قال : وحدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن ابن الحنفية ، عن على رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

٢٤٩ ـ عبد المنعم بن محمد بن الحسين بن سليمان الباجسرائى ، ثم البغدادى الفقيه ، أبو محمد بن أبى نصر .

ولد سنة تسع وأربعين ، أو سنة خمسين وخمسمائة بباجِسْرا .

وقدم بغداد فى صباه ، فسمع من شُهدة وغيرها . وقرأ الفقه على أبى الفتح ابن المنى ، ولازمه حتى برع . وقرأ الأصول والخلاف والجدل على محمد بن أبى على البوقانى الشافعى . وصحب أبا إسحاق بن الصقال المتقدم ذكره ، وصار معيداً بمدرسته ، ثم درس بمسجد شيخه ابن المنى بالمأمونية مدة . وكان يؤم فى الصلاة بمسجد الآجرة .

وشهد عند قاضى القضاة أبي الفضائل بن الشهرزورى ، وتولى الخزن بالديوان وكانت له حلقة بجامع القصر يتكلم فيها فى مسائل الخلاف ، ويحضر عنده الفقهاء ، وكان فقيهاً فاضلا حافظاً للمذهب ، حسن الكلام فى مسائل الخلاف متديناً ، حسن الطريقة . ذكر ذلك ابن النجار ، وقال : سمع معنا أخيراً من مشايخنا ، فأكثر . وكان حسن الأخلاق ، متودداً . حدث بيسير ، ولم يتفق لى أن أكتب عنه شيئاً . روى عنه أبو عبد الله بن الدبيثى .

وقال القادسى : كان فقيهاً ، مناظراً حسن الطريقة ، له سمة ووقار وعفاف ، مع دين . ناظر وأفتى . وقدروى عنه ابن الساعى بالإجازة ، وقال : أنشدنى هذين البيتين :

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فأَدْمِن شكره أبداً

وقل : فلان جزاه الله صالحة أفادنيها ، وألق الكبر والحسدا

قال : وكان ديناً صالحاً متورعاً محتفظا فى الطهارة .

توفى رحمه الله يوم الإثنين ، ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، ودفن من الغد بباب حرب ، كذا ذكره ابن النجار .

وقال الأكثرون : توفى فى سابع عشر الشهر .

وقال القادسى . صلى عليه بباب جامع المدينة ، لامتناع الحنابلة أن تصلى عليه بالنظامية . رحمه الله تعالى .

قال المنذرى « و باجسرا » قرية كبيرة من نواحى بغداد ، بينها و بينها عشرة فراسخ ، وهى بفتح الباء الموحدة ، و بعد الألف جيم مكسورة وسين مهملة ساكنة ، وراء مفتوحة .

وقد وقع فى ضبط الحافظ عبد المؤمن الدمياطى بفتح الجيم ، فإن كان فيها لغتان ، كما فى جسر ، و إلا فالمعروف الكسر . والله أعلم .

٢٥٠ - عبد الوهاب بن بزغش بن عبد الله العيبى ، المقرىء ،البغدادى ،
أبو الفتح بن أبى محمد ، خَتَن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى .

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة تقديراً .

وقرأ القرآن بالروايات الكثيرة على سعد الله بن الدجاجى ، وعبد الوهاب ابن الصابونى ، وأبى الفضل أحمد بن محمد بن سيف ، وعلى بن عساكر البطايحى وإسماعيل بن بركات الغسانى ، وجماعة غيرهم .

وسمع الحديث الكثير : من أبى الوقت ، وابن البطى ، وأبى زرعة ، ويحيى ابن ثابت بن بندار ، وخلق كثير من هذه الطبقة ومن بعدهم . وعنى بالحديث ، وكتب بخطه ، وحصل الأصول ، وتفقه فى المذهب ، وقرأ الخلاف .

قال ابن النجار : كان حسن المعرفة بالقرآن مجوداً ، مليح التلاوة ، حسن الأداء ، طيب النغمة ، ضابطاً ، له معرفة بالوعظ ، يتكلم فى تعازى الأكابر ، ويحسن الكلام فى مسائل الخلاف ، وكان يصلى إماماً فى المسجد الجديد بسوق الخبازين عند عقد الجديد .

قلت : ويعرف المسجد بمسجد قطينة ، لأن عبد الوهاب ـ هذا ـ كان يلقب قطنية لبياضه ، فنسب المسجد إليه .

قال ابن النجار : كتبنا عنه ، وكان صدوقاً ، حسن الطريقة متديناً فقيراً ، صبوراً . وزمِنَ فى آخر عمره ، وانقطع فى بيته مدة .

قال ابن نقطة : هو ثقة ، لكنه أخرج أحاديث مما قرب سنده ، ولا يعرف الرجال ، فربما أسقط من الإسناد رجلان أو أكثر ، وهو لايدرى .

وقال القادسى : كان قارئاً مجوداً ، مليح الصوت ، حسن الأداء ، واعظاً ، شاعراً ، فقيها ، له معرفة حسنة بإنشاء الخطب ، ونظم فى القرآن أراجيز كثيرة ، وقد أقرأ القرآن بالروايات ، وحدث ، وسمع منه جماعة .

وتوفى ليلة الخميس خامس ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وستمائة ، وصلى عليه من الغد محيي الدين بن الجوزى بمدرسته ، ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

و « بزغش » بالباء الموحدة المضمومة ، و بالزاى والغين والشين المعجمات و « العيبى » بكسر العين المهملة ، وفتح الياء آخر الحروف ، وكسر الباء الموحدة ، نسب كذلك : لأن أباه كان يحمل العيب التى فيها كتب الرسائل ، لأنه كان « فيجا » أى ساعيا . قاله المنذرى وغيره .

أخبرنا أبو المعالى محمد بن عبد الرزاق الشيبانى ـ ببغداد ـ أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف البزار أخبرنا عبد الوهاب بن بزغش ـ كتابة ـ أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد أخبرنا أبو منصور المقومى أنبأنا أبو القاسم بن المنذر حدثنا على بن إبراهيم بن سلمة حدثنا ابن ماجة حدثنا على بن محمد حدثنا وكيع عن مسعر عن أبى مرزوق عن أبى الصديق الناجى عن أبى أمامة قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متكىء على عصا ، فلما رأيناه قمنا ، فقال : لا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها ، قلنا : يارسول الله ، لو دَعَوتَ الله لنا ؟ فقال : اللهم اغفر لنا وارحمنا ، وارض عنا ، وتقبل منا ، وأدخلنا الجنة ، ونجنا من النار ، وأصلح لنا شأننا كلَّهُ . فكأنما أحببنا أن يزيدنا ، فقال : أو ليس قد جمعت لكم الأمر ؟ » .

٢٥١ – إبراهيم بن على بن الحسين البغدادى ، أبو إسحاق ، أخو الفخر إسماعيل غلام ابن المنى .

سمع الحديث . وتفقه على أخيه . وتكلم فى مسائل الخلاف . وكان فقيهاً صالحاً .

توفى ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن عند أخيه بمقبرة الإمام أحمد ، رضى الله عنه .

٢٥٢ ـ إسماعيل بن عمر بن أبي بكر المقدسي ، أبو إسحاق ، وأبو القاسم ، وأبو الفضل ، ويلقب محب الدين .

سمع بدمشق من أبي اليمن الكندي وغيره ، وبمصر من البوصيري ، والحافظ عبد الغني ، وببغداد من ابن الأخضر وطبقته ، وبأصبهان من أبي عبد الله محمد ابن مكي ، وأبي بكر أحمد بن عبيدالله الجاني ، وطبقتهما من أصحاب الرستمي ، ومسعود الثقفي . وكانت رحلته مع الضياء بعد الستمائة ، وعني بالحديث ، وقرأ . ووصفه جماعة بالحافظ ، وتفقه وحدث .

وتوفي في ثامن عشر شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وأظنه كان شابا .

٢٥٣ ـ محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، ثم الدمشقي الحافظ ، أبو الفتح بن الحافظ أبي محمد ، ويلقب عز الدين .

ولد في أحد الربيعين سنة ست وستين وخمسمائة بدمشق ، وأسمعه بها والده في صغره من أبي المعالي بن صابر ، والخضر بن طاوس ، وأبي المجد البانياسي ، وارتحل إلى بغداد ، سنة ثمانين . فسمع من أبي الفتح بن شاتيل ، ونصر الله القزاز وغيرهما .

وارتحل إلى إصبهان بعد التسعين ، فسمع بها من أبي الفتح عبد الرحيم الكاغدي ، ومسعود الجمال ، وأبي المكارم اللبان وطبقتهم . وعاد إلى بغداد . وأقام بها مدة يسمع من أبي الفرج بن الجوزي وطبقته ، وقرأ بها مسند الإمام أحمد ، وتفقه على أبي الفتح بن المنى في المرة الأولى ، وقرأ في الثانية على أبي البقاء من الفقه واللغة . وسمع بمصر من أبي القاسم البوصيري وغيره .

وقال ابن النجار : سمعنا معه ، وبقراءته كثيراً ، وكتب بخطه كثيراً . وحصل كثيراً من الأصول شراء ، واستنسخ كثيراً من الكتب والأجزاء . وسمعت منه حديثاً واحداً في مجلس شيخنا أبي أحمد الأمين ـ يعني ابن سكينة ـ وهو الذي

سأل عنه . وكان من أئمة المسلمين ، حافظاً للحديث متناً وإسناداً ، عارفاً بمعانيه وغريبه ومشكله ، متقناً لأسامى المحدثين وكناهم ، ومقدار أعمارهم ، وما قيل فيهم من جرح وتعديل ، ومعرفة أنسابهم ، واختلاف أسمائهم ، مع ثقة وعدالة وصدق وأمانة ، وحسن طريقة وديانة ، وجميل سيرة ، ورضى أخلاق ، وتودد وكيس ومروءة ظاهرة ، وتعمد لقضاء حقوق الإخوان ، ومساعدة الغرباء .

وقال الحافظ الضياء : كان رحمه الله حافظاً فقيهاً ذا فنون . وكان أحسن الناس قراءة وأسرعهم . وكان غزير الدمعة عند القراءة . وكان متقناً ثقة ، سمحاً جواداً . وكان يتكلم فى مسائل الخلاف كلاماً حسنا . وكان يقرأ الحديث للناس كل ليلة جمعة فى مسجد دار البطيخ بدمشق ـ قال الذهبي : يعنى مسجد السلالين ـ وانتفع الناس بمجالسته ، ثم انتقل من الجامع إلى موضع والده ، فكان يقرأ يوم الجمعة بعد الصلاة . ووصفه بالمروءة التامة والديانة المتينة .

وقال أبو شامة : صحب الملك المعظم عيسى ، وسمع بقراءته الكثير ، وكان حافظاً ديناً ، زاهداً ورعا .

قلت : وخَرَّج تخاريج ، كالأمالي ، وجدت منها : الجزء التاسع والأربعين .

وروى عنه ابناه : تقى الدين أحمد ، وعز الدين عبد الرحمن ، والحافظ ضياء الدين ، والشهاب القوصى ، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر وابن النجار ، وآخرون .

توفى ـ رحمه الله ـ ليلة الإثنين ، تاسع عشر ـ وقيل: العشرين ـ من شوال ، سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن من الغد بسفح جبل قايسون ، رحمه الله تعالى .

وقال بعضهم : كنا نقرأ عنده ليلة مات ، فرأيت نوراً على بطنه مثل السراج فكنت أقول : ترى يراه أحد غيرى أم لا ؟ ذكره الحافظ الضياء . وذكر له منامات صالحة متعددة ، منها : عن مسعود بن أبى بكر بن شكر : أنه رآه بعد موته فى المنام ، وكأن وجهه البدر ، وقال الرائى : مارأيت فى الدنيا أحداً على

صورته . وله شعر بائن من تحت عمامته ، لم أر شعراً مثل سواده ، فقلت له : ياعز الدين ، كيف أنت ؟ قال : أنا وأنت من أهل الجنة .

ورآه آخر ، فقال له : بالله عليك ، ماذا لقيت من ربك ؟ قال : كل خير جميل .

وقال أحمد بن محمد بن خلف : رأيته ـ يعنى العز ـ فى المنام . فقال لى : جاء إلىَّ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقضى لى كل حاجة . ومنامات أخر ، رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم المقدسى أخبرنا أبو الحسن على ابن أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أبو الفتح محمد بن الحافظ عبد الغنى ـ قراءة عليه ، وأنا أسمع ـ أخبرنا القاضى أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد اللبان الأصبهانى بها أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرىء ـ قراءة عليه ـ أخبرنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهانى . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس أخبرنا بشر بن يونس ابن حبيب بن عبد القاهر العجلى ، حدثنا أبو داود سليمان بن داود الطيالسى حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » رواه مسلم عن محمد بن المثنى وابن بشار ، كلاهما عن غندر . وأبى داود الطيالسى ، كلاهما عن شعبة .

٢٥٤ ـ أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، الشيخ شرف الدين أبو الحسن .

ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وسمع من أبى الفرج بن كليب وغيره ، وحدث . وكان فقيها ، فاضلا ثقة ، عالما دينا . جمع الله له بين حسن الخلق والخلق والدين ، والأمانة والمروءة ، وقضاء حوائج الإخوان ، والكرم والإحسان للضعفاء والمرضى ، وقضاء حوائجهم ، والتهجد . وكان يقول الحق ، ولا يحابى أحداً .

توفى ليلة رابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وستمائة . ودفن من الغد بسفح قاسيون . ورؤيت له منامات حسنة جداً . ورثاه غير واحد .

ولما توفى هؤلاء الثلاثة الأخيار المقدسيون : المحب ، والعز ، والشرف ، فى مدة متقاربة . رثاهم شيخ الإسلام موفق الدين بقوله :

مات المحب ، ومات العز والشرف ... أئمة سادة ، مامنهم خلف
كانوا أئمة علم يستضاء بهم ... لَهْفِي على فقدهم لو ينفع اللهف
ماوَدَّعونى غداة البين إذ رحلوا ... بل أودعوا قلبي الأحزان وانصرفوا
شيعتهم ودموع العين واكفة ... لبينهم ، وفؤادى حشوه أسف
أكفكف الدمع من عينى فيغلبنى ... وأحضر الصبر فى قلبى فلا يقف
وقلت: ردوا سلامى ، أوقفوا نفسا ... رفقا بقلبى ، فما ردوا ولا وقفوا
ولم يعوجوا على صب بهم دنف ... يُخْشَى عليه لما قد مسه التلف
أحباب قلبي ، ماهذا بعادتكم ... ما كنت أعهد هذا منك ياشرف
بل كنت تعظم تبجيلي ومنزلتي ... وكنت تكرمنى فوق الذى أصف
وكنت عونا لنا فى كل نازلة ... تظل أحشاؤنا من همها تجف
وكنت ترعى حقوق الناس كلهم ... من كنت تعرف أومن لست تعترف
وكان جودك مبذولا لطالبه ... جنح الليالى إذا ما أظلم السدف
وللغريب الذى قد مسه سَغَب ... وللمريض الذى أشفى به الدنف
وكنت عونا لمسكين وأرملة ... وطالب حاجة قد جاء يلتهف

٢٥٥ ـ إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الدمشقى ، الفقيه . الزاهد الورع العابد . الشيخ عماد الدين ، أبو إسحاق وأبو إسماعيل ، أخو الحافظ عبد الغنى الذى تقدم ذكره .

ولد بجماعيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

وكان يقول : أخى الحافظ عبد الغنى أكبر منى بسنتين .

وقال المنذرى : سنة أربع وأربعين ، وهاجر إلى دمشق مع جماعتهم سنة إحدى وخمسين ؛ لاستيلاء الفرنج على أرضهم .

وقرأ القرآن . وسمع من أبى المكارم بن هلال ، وعبد الرحمن بن على الخرقى ، وغيرهما ، وحفظ غريب القرآن للعزيزى ، ومختصر الخرقى فى الفقه .

ورحل إلى بغداد مرتين . أولاهما : مع الشيخ الموفق ، سنة تسع وستين ، فقرأ القرآن على أبى الحسن البطائحى ، وسمع من أبى محمد بن الخشاب ، وصالح بن الرحلة ، وشهدة الكاتبة ، والشيخ عبد المغيث الحربى وغيرهم .

وسمع بالموصل من خطيبها أبى الفضل الطوسى ، وتفقه ببغداد على أبى الفتح ابن المنى ، حتى برع وناظر وأفتى ، ورجع إلى دمشق ، وأقبل على أشغال الناس ونفعهم .

قال الشيخ موفق الدين — فى حق العماد ، لما سئل عنه — : كان من خيار أصحابنا ، وأعظمهم نفعاً ، وأشدهم ورعاً ، وأكثرهم صبراً على تعليم القرآن والفقه ، وكان داعية إلى السنة ، وتعليم العلم والدّين . وكان يقرى الضعفاء الفقراء ، ويطعمهم ويبذل لهم نفسه . وكان من أكثر الناس تواضعاً ، واحتقاراً لنفسه وخوفاً من الله تعالى . وما أعلم أننى رأيت أشد خوفاً منه . وكان كثير الدعاء والسؤال لله تعالى . وكان يطيل الركوع والسجود فى الصلاة ، ويقصد أن يقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقبل من أحد يعذله فى ذلك . ونقلت له كرامات كثيرة .

وقال الحافظ الضياء : كان عالماً بالقرآن والنحو والفرائض ، وغير ذلك من العلوم . وصنف كتاب «الفروق فى المسائل الفقهية» وصنف كتاباً فى الأحكام ، لكنه لم يتمه . وكان مليحاً . وكان من كثرة أشغاله واشتغاله لا يتفرغ للتصنيف والكتابة .

قال : وسمعت الشيخ موفق الدين يقول : ما نقدر نعمل مثل العماد رحمه الله ؛

كان يتألف الناس ويقربهم ، حتى إنه ربما ردد على إنسان كلمات يسيرة من سَحَرٍ إلى الفجر .

وقال الضياء : كان رحمه الله يتألف الناس ، ويلطف بالغرباء والمساكين ، حتى صار من تلاميذه جماعة من الأكراد والعرب والعجم . وكان يتفقدهم ويسأل عنهم ، وعن حالهم ، ولقد صحبه جماعة من أنواع المذاهب ، فرجعوا عن مذاهبهم لما شاهدوا منه . وكانوا يتحدثون عنه ، ويذكرون لنا من كراماته وكرمه ، وحسن عشرته . وكان سخياً جواداً ، كثير المعروف ، حتى كان بيته مأوى للناس . وكان ينصرف كل ليلة إلى بيته من الفقراء جماعة كثيرة من أصحابه ، فيقدم إليهم ماحضر .

قال : وكان لا يكاد يفتر من الاشتغال : إما بالقرآن ، أو الحديث ، أو غيره من العلوم . وأقام بحران مدة ، وانتفعوا به . وكان يشتغل بالجبل ، إذا كان الشيخ موفق الدين بالمدينة ، فإذا صعد الموفق الجبل نزل هو فاشتغل بالمدينة . وكان يقعد فى جامع دمشق من الفجر إلى العشاء ، لا يخرج إلا لما لابد منه ، يقرئُ الناس القرآن والعلم ، فإذا لم يبق له من يشتغل عليه اشتغل بالصلاة . وكان داعية إلى السنة وتعلم العلم والدين ، وختم عليه جماعة من الأصحاب .

قال : وما أعلم أنه أدخل نفسه فى شيء من أمر الدنيا ، ولا تعرض لها ، ولا نافس فيها . وقد يفتح لأصحابنا بعض الأوقات بشيء من الدنيا ، فما أعلم أنه حضر عندهم يوماً قط فى شيء من ذلك ، وما علمت أنه دخل يوماً إلى سلطان ولا إلى والٍ . ولا تعرّف بأحد منهم . ولا كانت له رغبة فى ذلك .

قال : وكان محافظاً على الصدق والورع . سمعته يقول لرجل : كيف ولدك ؟ فقال : يقبل يدك . فقال : لا تكذب . وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . لا يرى أحداً يسيء صلاته إلا قال له وعلمه . ولقد بلغنى أنه خرج مرة إلى قوم من الفساق فكسر ما معهم فضربوه ، ونالوا منه حتى غشي

عليه . فأراد الوالى ضرب الذين نالوا منه . فقال : إن تابوا ولزموا الصلاة فلاتؤذهم وهم فى حل من قِبَلي . فتابوا ورجعوا عما كانوا عليه .

قال : ورأيته ربما يكون فى مسجد ، فإذا أخذ من لحيته شعرة أو من أنفه شيئاً جعل ذلك فى عمامته . وربما يرى قلماً فيتحفظ من القلامة . ولا يدعها فى المسجد . وكان إذا أفتى فى مسألة يتحرز فيها احترازاً كثيراً ، حتى كان بعض الفقهاء يتعجب من فتاويه ، وكثرة احترازه فيها .

وسمعت من يقول : كان يكون على ثوبه غبار ، فيقول لى : اذهب فانفضه خارج المسجد .

وسمعت أبا محمد بن عبد الرزاق بن هبة الله الدمشقى ، يقول : سمعت الشيخ عبد الله البطايحى رحمه الله يقول : أشكلت علىَّ مسألة فى الورع ، فما وجدت مَن أفتانى فيها إلا العماد . وكان رحمه الله : لا يرى أن يخرج الحصير من المسجد ليجلس عليها خارج المسجد ، والحصير التى للمحراب لا يجلس عليها خارج المحراب .

وسمعت أحمد بن عبد الله بن أبى المجد الحربى يقول: كان الشيخ العماد عندنا بالحربية ـ يعنى ببغداد ـ وكان إذا دخل بيت الله ولم يسم ، خرج فسمى ثم دخل .

وسمعت من شيخنا وإمامنا موفق الدين أبى محمد المقدسى يقول: عمرى أعرفه ـ يعنى الشيخ العماد ـ وكان بيتنا قريباً من بيتهم ـ يعنى فى أرض المقدس ـ ولما جئنا إلى هنا . فما افترقنا إلا أن يسافر أحدنا ، ماعرفت أنه عصى الله معصية .

وسمعت الإمام أبا إبراهيم محاسن بن عبد الملك التنوخى يقول : كان الشيخ العماد جوهرة العصر ، وذلك أن واحداً يصاحب شخصاً مدة ، ربما تغير عليه ، وكان الشيخ العماد : مَن صاحَبه لايرى منه شيئاً يكرهه قط ، كلما طالت صحبته ازداد بِشْره ، ورأى منه ما يسره . وهذا شيء عظيم ، وليس يكون كرامة أعظم من هذا .

قال الضياء : ولعله ماقعد عنده أحد إلا حصل له منفعة فى العلم والزهد ،

أواقتباس شيء من أخلاقه أو أوراده ، وغير ذلك . وكان يذم نفسه ذمًّا كثيراً ، ويحقرها و يقول : إيش يجيء منى ؟ إيش أنا ؟ وكان كثير التواضع .

سمعت الشيخ موفق الدين قال : مارأيت من اجتمع فيه من خلال ـ كانت فى الشيخ العماد ـ كان أكثر ذمًّا لنفسه منه . ولقد حضرت عنده مرة ، وقد أخذته الريح ، وكان لايقدر على الكلام فوقفت ، فلماقدر على الكلام شرع فى ذم نفسه . وقال : اللهم أصلح فساد قلبى . وجعل ينوح على نفسه : أنا كذا ، أنا كذا حتى أبكانى .

وسمعت الإمام أبا عبد الله يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى يقول : كنت أكتب طبقات السماع على الشيخ العماد . فكنت أكتب : الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع . فخاصمنى على ذلك خصومة كثيرة .

ثم ذكر الضياء من كرمه وحسن عشرته : أن بعض أصحابه كانت تكون له الحاجة إليه ، فيمضى إلى بيته . فيقيم عنده اليوم واليومين . قال : وما رأيته يشكى من ذلك شيئاً . قال : وما أظن أنى دخلت عليه قط ، إلا عرض علىّ الطعام .

قال : ولم يزل هذا دأبه، من وقت ماعقلنا ، وكان يتفقد الناس ، و يسأل عن أحوالهم كثيراً . ور بما بعث إلى الناس نفقة سراً .

وذكر عدة حكايات عنه ، منها : أنه كان إذا غاب أحد من إخوانه أرسل إلى بيته النفقة وغيرها ، ور بما جاء بنفسه إليهم ، قال : ور بما كان بعض الناس يرسل إليه يشترى له حاجة ، فر بمـا زاد على ثمنها من عنده ، ولا يعلمه بذلك . وكان يلقى الناس بالبشر الدائم .

قال : وسمعت عن بعض أهله ، أنهم قالوا : ر بمـا كنا نؤذيه، فما يغضب علينا ، ويقول : الذنب لى ، وأنه كان يدعو لمن ظلمه ويحسن إليه .

قال : ولقد كان أعار داره التى فى الدير لابن أخيه عز الدين أبى الفتح مدة

يسكن فيها ، ثم لم يعد إلى سكناها قط ، وتركها له . ولم يكن له غيرها .

قال : وكان من إكرامه لأصحابه ومعارفه : يظن كل أحد أن ماعنده مثله من كثرة مايأخذ بقلبه ويكرمه .

ولقد سمعت الفقيه أبا محمد عبد المحسن بن عبد الكريم المصرى ، يقول كان رجل من بيت القابلان من مَنبِج ، جاء إلى الشيخ العماد ، فمرض ، فكان يقعد عند رأسه بالليل ، و يقرأ ورده عند رأسه .

وسمعت عباس بن عبد الدايم المصرى الكنانى يقول : كنا يوماً نمشى مع الشيخ العماد إلى دعوة ، فلقى فى السوق رجلا أعمى يسأل ، فقال يافلان : تعال معنا ، قال : فاستحى الضرير كثيراً من أجل سؤاله ، قال : فلما دخلنا إلى البيت انبسط الشيخ مع الضرير ، وقال : يافلان ، كلنا سُؤَّال ، وما زال يقول له ، حتى زال ما كان عنده من الحياء .

قال : وكان ربما تكلم على أحدنا ونصحه وحرضه على فعل الخير والاشتغال حتى كان قلب الشخص يطير من كثرة دخول كلامه فى القلب .

قال : وأوصانى وقت سفري ، فقال : أكثر من قراءة القرآن ، ولا تتركه فإنه يتيسر لك الذى تطلبه على قدر ماتقرأ ، قال : فرأيت ذلك وجربته كثيراً فكنت إذا قرأت كثيراً تيسر لى من سماع الحديث وكتابته الكثير ، وإذا لم أقرأ لم يتيسر لى .

قال : وكان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة ، تفل عن يساره ثلاثاً ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكبر تكبيرة يرفع صوته بذلك ، ثم يستفتح ، قال فلم أر أحداً أحسن صلاة منه ، ولا أتم منها بخشوع وخضوع ، وحسن قيام وقعود وركوع ، وربما كان بعض الناس يقول له : النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتخفيف ، وقال لمعاذ « أفتان أنت ؟ » فلا يرجع إلى قولهم ، ويستدل عليهم بأحاديث أخر . منها : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان يكون فى الركعة

الأولى حتى يمضى أحدنا إلى البقيع ، ويقضى حاجته ، ويأتى والنبي صلى الله عليه وسلم لم يركع » وقول أنس : « لم أر أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى — يعنى : عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — قال الراوى فحزرنا فى ركوعه وسجوده عشر تسبيحات » وبحديث « كان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائماً حتى يقول القائل : قد نسى » .

قال : وقيل عن شيخنا : إنه كان يسبح عشراً ، يتأنّى فى ذلك .

قال : وسمعت أبا عبد الله محمد بن طرخان ، يقول : كنا نصلى يوماً خلف الشيخ العماد ، وإلى جانبى رجل كأنه كان مستعجلا ، فلما فرغنا من الصلاة حلف لا صليت خلفه أبداً ، وذكر حديث معاذ ، فقلت له : ماتحفظ إلا هذا ورويت له الأخبار التى وردت فى تطويل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إنى قعدت عند الشيخ العماد ، وحكيت له ، وقلت له : أنا أحبك ، وأشتهى أن لا يقال فيك شىء ، فلو خففت ؟ فقال : لعلهم يستريحون منى ومن صلاتى قريباً ؛ ياسبحان الله ! الواحد منهم ، لو وقف بين يدى سلطان طول النهار ما ضجر ، وإذا وقف أحدهم بين يدى ربه ساعة ضجر .

قال : وكان يقضى صلوات ، فربما قضى فى اليوم والليلة صلوات أيام عديدة حتى كان بعض من يحكى يقول : ربما قضى الشيخ فى عمره صلاة كذا وكذا ، مائة سنة . وقال رحمه الله : فاتتنى صلاة العصر ، وكنت قبل أن أبلغ ، وقد أعدتها مائة مرة ، وأنا أريد أن أعيدها أيضا .

قلت : الكلام فى هذا : هل هو مشروع أم لا ؟

قال : وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً . قال : وكان كثير الدعاء بالليل والنهار . قال : وكان إذا دعا كأن القلب يشهد بإجابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه ، وكان إذا شرع فى الدعاء لا يكاد يقطعه ، ولو اجتمع أهله وجيرانه . فيدعو وهم حاضرون ، ويستبشرون بذلك . وكان يفتح عليه من الأدعية شىء

ماسمعته من غيره قط . وربما بكى بعض الحاضرين عند دعائه . وذكر من توخيه أوقات الإجابة وأماكنها . ويواظب على الدعاء يوم الأربعاء ، بين الظهر والعصر بمقابر الشهداء من باب الصغير . وقال : مارأيت مثل هذا الدعاء ، وأسرع إجابة منه . ياألله ياألله ، أنت الله ؟ بلى والله ، أنت الله ، لاإله إلا أنت . الله الله الله ، والله إنه لاإله إلا الله .

وكان يكثر فى دعائه من قوله : اللهم اجعل عملنا صالحاً . واجعله لوجهك الكريم خالصاً . ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، اللهم وخلصنى من مظالم نفسى . ومظالم كل شىء قبل الموت . ولا تمتنى ولأحد علىّ مظلمة يطلبنى بها بعد الموت . إذا قضيت بالموت — ولابد من الموت فاجعله على توبة نصوح — بعد الخلاص من مظالم نفسى ومظالم العباد —قتلا فى سبيلك على سنتك . وسنة رسولك صلى الله عليه وسلم ، شهادة يغبطنى بها الأولون والآخرون ، واجعل النقلة إلى روح وريحان . ومستراح فى جنات النّعيم ، ولا تجعلها إلى نُزُل من حميم ، وتصلية جحيم .

ومن دعائه : أسألك باسمك الكريم ، ووجهك المنير ، وملكك القديم . أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ، وأن ترزقني رضوانك الأكبر . والفردوس الأعلى . وما قرب إليهما من قول وعمل ونية . والخاتمة بأفضل خاتمة تختم بها عبادك الصالحين ، والعلم والعمل به ، والحلم والحكم ، والفهم والحفظ . والغنى عن الناس ، وزوال الوسواس . والشبهات والنجاسات . والدين والحاجة إلى الناس ، والتزين بما يشينني عندك . اللهم طهر ألسنتنا من الكذب ، والغيبة والنميمة ، وقلوبنا من النفاق والغل والغش ، والحسد والكبر والعجب . وأعمالنا من الرياء والسمعة . وبطوننا من الحرام والشبهة . وأعيننا من الخيانة . فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . فى دعاء كثير .

وذكر جملة من كراماته وكلامه على الخواطر والمغيبات . فذكر عن بعضهم قال : كنت أمشى خلف الشيخ العماد فى السوق الكبير ، فإذا صوت

طنبور . فلما وصلنا إلى عند صاحبه قال الشيخ : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ونفض كمه . فرأيت صاحب الطنبور قد وقع وانكسر طنبوره . فقيل لصاحب الطنبور : إيش بك ؟ قال : ماأدرى .

قال : وسمعت أبا محمد عبد المحسن بن عبد الكريم قال : كنت خلف الشيخ العماد ، فوقع فى نفسى : أن الناس لايعلمون من بعضهم بعضاً إلا الظاهر ، وأن سرائر الخلق لا يعلمونها ، وإذا الشيخ قد دار إلى ، وقال : قال ـ أظنه الفضيل ـ لا تعمل شرًّا أو سوءًا ، فتمقتك قلوب الصالحين .

وسمعت على بن أبى بكر بن إدريس الطحان ، قال : كان لى ابن مريض ، فقلت : أدعو بدعاء مقاتل بن سليمان مائة مرة ، فدعوت به ، ثم جئت إليه ، فالتفت إلىّ وإلى الحاضرين ، وقال : دعاء بلا عمل لا ينفع ، أو كما قال .

قال : وحكت زوجة الشيخ ، قالت : كان قبل موته يكثر أن يقول : قد قرب الأمر ، مابقى إلا القليل .

وذكر الحافظ الضياء فى كتاب « الحكايات المقتبسة ، من كرامات مشايخ الأرض المقدسة » فصلا فى كراماته ـ وقرأته بخطه ـ قال : سمعت الشيخ المجاب الدعوة أبا أحمد نصر بن محمد بن سليمان المرداوى بها يقول : جاء إلى عندنا الشيخ العماد ، وكنت أشتهى أن أسأله عن أشياء ، فكنت أستحى ، فكان يبتدىء ويذكر كل ما أريد أن أسأل عنه .

قال : وحدثنى أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار ، قال : كنت كثيراً ما أجىء إليه ، وأنا أريد أن أقول شيئاً ، فيسبقنى فيتحدث ببعضه ، فإذا رآنى قد ابتدأت فيه سكت ، ولم يرنى أنه يريد ذلك .

قال الضياء : وكنت أجد فى قلبى قسوة ، وكنت أشتهى أن أشكو إليه ذلك ، فابتدأنى ليلة وذكر قسوة القلب . وقال : كيف يلين القلب إذا لم يكن العمل بإخلاص النية ؟ وتكلم كلاماً كثيراً مما كنت أجد فى نفسى ، وفرحت

بكلامه . وسمعت عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار يقول : حدثنى أبو الحسن ابن مشرق العطار . قال : أصابتنى جنابة ، ففاتتنى الصلاة ـ يعني صلاة الفجر ـ ثم اغتسلت وقضيتها فى النهار ، وأتيت إلى صلاة الظهر معه . فوجدته فى التشهد فصليت وسلمت عليه ، فقال : يافلان ، تفوتك فى يوم صلاتان ؟ فقلت : ياسيدى أنا تائب .

قال : وسمعت بعض أهلنا يقول : كنت ربما احتجت إلى شىء من الملبوس أو أشتهى شيئاً من المأكول ، فما أعلم حتى يبعث إلىّ الشيخ ـ يعنى العماد ـ بالذى أحتاج إليه أو أشتهيه .

وحدثنى أبو الربيع سليمان بن إبراهيم الاسعردى وغيره ، أنهم كانوا عند الشيخ فى مسجده يوماً ، فقال لرجل : اخرج إلى هذا الرجل والمرأة اللذين خلف المسجد ، واطردهما من هاهنا ، فخرج فإذا رجل وامرأة يتحدثان ففرق بينهما .

وحدثنى أبو الربيع أيضاً ، قال : كنت عنده أيضاً فى المسجد ، فكان يوم يفتح لى بشىء لا يطعمنى شيئاً ، ويوم لا يفتح لى بشىء ، يرسل إلىّ بشىء . قال : جرى لى هذا معه كثيراً .

وحدثنى عبد الرحمن بن محمد المقدسى : أن رجلاً فرق فى المصلى على الحاضرين زبيباً ، وفرق آخر تمراً ، أظنه للافطار ، وكان الذى فرق التمر ماله ليس بجيد ، فأخذ الشيخ التمرة ، فشمها ثم تركها ، وأخذ الزبيب فأفطر عليه .

وسمعت الإمام أبا الفداء إسماعيل بن عمر بن أبى بكر ، قال : أخذت يوماً من عند رجل أجزاء كانت لى عنده وإجازات ، فكان فى جملة ما أخذت : إجازة لم تكن معى ، ثم جئت إلى عند الشيخ ، فأبصر الأجزاء ، ثم شال الإجازة التى اختلطت معى ، فقال : من أعطاك هذه ؟ ثم عزلها ، قال : فعرفت أنها كرامة فى حقه ، وذكر من تيسير القرآن والعلم على من قرأ عليه أمراً عجيباً .

قال : وسمعت ظريفة بنت إبراهيم تقول : قال لى أحمد بن سالم : أنا أعرف

فى الجبل خمسة من الصالحين ـ أو قال : من الأولياء ـ فسمى منهم الإمام إبراهيم بن عبد الواحد .

أحمد بن سالم ـ هذا ـ مرداوى كان عالماً عاملاً ، ذا كرامات كثيرة ، ذكرها أيضاً فى هذا الكتاب .

قال : وحدثنى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار : أن زوجته عائشة بنت خلف بن راجح ، حدثته :أنها رأت فى النوم قائلاً يقول : قولوا للعماد يدعو لكم ، فإنه من السبعة التى تقوم بهم الأرض .

وقد ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى تاريخه ، وأثنى عليه ثناءاً كثيراً . وقال : ماتحرك بحركة ، ولا مشى خطوة ، ولا تكلم كلمة إلا لله تعالى . وكان يتعبد بالإخلاص ، ولقد رأيته مراراً فى الحلقة بجامع دمشق ، والخطيب يوم الجمعة على المنبر ، فيقوم و يأخذ الإبريق ويضع بُلبلته على فيه ، على رءوس الأشهاد ، و يوهم الناس أنه يشرب ، و إنه لصائم .

قال : وكان يحضر مجالسى دائماً بجامع دمشق وقاسيون ، و يقول :صلاح الدين يوسف فتح الساحل ، وأظهر الإسلام ، وأنت يوسف ، أحييت السنة بالشام . يشير بذلك إلى ماذكره أبو المظفر على المنبر من كلام جده فى إمرار الصفات و إثباتها .

وقال أبو شامة : هو الذى سن الجماعة فى الصلوات المقضية . فكان يصلى بالجماعة بحلقتهم ، بين المغرب والعشاء ماقدره الله تعالى . و بقى ذلك بعده مدة .

وذكره أبو محمد البزورى الواعظ ، فى طبقات أصحاب ابن المنى فى سيرته . وأثنى عليه كثيراً . وكذلك أبو محمد عبد الرزاق الرسعني فى تفسيره : يذكره كثيراً . و يثنى عليه و يعظمه . و يذكر من فوائده وكلامه .

قال الضياء : توفى رحمه الله . ليلة الخميس . وقت عشاء الآخرة ، السادس عشر من ذى القعدة سنة أربع عشرة وستمائة . وقال المنذرى : السابع عشر

ودفن يوم الخميس . وكان صلى تلك الليلة المغرب بالجامع . ثم مضى إلى البيت ، وكان صائماً . فأفطر على شيء يسير . وحكى عنه : أنه لما جاءه الموت . جعل يقول : ياحي ياقيوم . لاإلهإلا أنت ، برحمتك أستغيث فأغثني . واستقبل القبلة وتشهد ومات رحمه الله .

قال : ولما خرجت جنازته إلى الجامع اجتمع خلق كثير . فما رأيت الجامع إلا كأنه يوم الجمعة من كثرة الخلق . وتركت جنازته فى قبلة الجامع . وصلى عليه الإمام موفق الدين شيخنا . وكان المعتمد يطرد الناس عنه ، وإلا كانوا من كثرة من يتبرك به يخرقون الكفن . وازدحم الناس على جنازته بين يديها وخلفها حتى كاد بعض الناس يهلك ، وخرج إلى الجبل خلق كثير . ما رأيت جنازة قط أكثر خلقا منها . وخرج القضاة والعدول ومن لا نعرفهم . وصلى عليه غير مرة . رحمه الله تعالى .

وقال سبط ابن الجوزى : غسل وقت السحر . وأخرجت جنازته إلى جامع دمشق ، فما وسع الناس الجامع ، وصلى عليه الموفق بحلقة الحنابلة بعدجهد جهيد ، وكان يوماً لم ير فى الإسلام مثله . كان أول الناس عند مغارة الدم ورأس الجبل إلى الكهف ، وآخرهم بباب الفراديس . ولولا المبارز المعتمد وأصحابه : لقطعوا أكفانه . وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار . قال : وتأملت الناس من أعلى قاسيون إلى الكهف قريب المنظور ، لو رمى إنسان عليهم إبرة لما ضاعت . فلما كان فى الليل نمت وأنا متفكر فى جنازته ، وذكرت أبيات سفيان الثورى التى أنشدها فى المنام .

نظرت إلى ربى كفاحاً ، فقال لى هنيئاً رضائى عنك يابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا أقبل الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك ، فاختر أى قصر أردته وزرنى ، فإنى منك غير بعيد

وقلت : أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان عند نزول حفرته ، ونمت

فرأيت العماد فى النوم ، وعليه حلة خضراء ، وعمامة خضراء ، وهو فى مكان متسع كأنه روضة ، وهو يرقى فى درج مرتفعة ، فقلت: ياعماد الدين ، كيف بت ؟ فإنى والله متفكر فيك ، فنظر إلىّ وتبسم على عادته ، وقال :

رأيت إلٰهى حين أنزلت حفرتى   وفارقت أصحابى وأهلى وجيرتى
فقال : جزيت الخير عنى ، فإننى   رضيت ، فها عفوى لديكَ ورحمتى
رأيت زماناً تأمل الفوز والرضا   فَوُقِّيتَ نيرانى ، ولُقِّيتَ جنتى

قال : فانتبهت مرعوباً ، وكتبت الأبيات .

وذكر الضياء هذا المنام ، عن أبى المظفر السبط ، وذكر منامات أخر .

منها : أنه رؤى فى النوم على حصان ، فقيل له : إلى أين ؟ قال: أزور الجبار .

ورآه آخر ، فقال : مافعل الله بك ؟ فقال (ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين)

قال : وسمعت الفقيه الإمام أبا محمد عثمان بن حامد بن حسن المقدسى يقول : رأيت الحق عز وجل فى النوم ، والشيخ العماد عن يمينه ، ووجهه مثل البدر ، وعليه لباس مارأيت مثله .

قال : وسمعت الفقيه الإمام عبد الحميد بن محمد بن ماضى المقدسى ، يقول : شممت من قبر الشيخ العماد مرتين رائحة طيبة ، رحمه الله تعالى .

وقد حدث بالكثير ، وسمع منه خلق كثير من الحفاظ والأئمة ، كالضياء والمنذرى . وروى عنه ابن خليل وابن البخارى .

أخبرنا أبو عبد الله الأنصارى ، أخبرنا أبو الحسن بن البخارى ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسى ، أخبرنا جعفر بن أحمد السراج ، أخبرنا الحسن بن أحمد بن شاذان ، حدثنا أبو عمرو ابن السماك ، حدثنا حنبل . حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة المنقرى ، حدثنا سعيد بن سلمة المديني ، عن هشام بن عروة ، عن أخيه ، عن

أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ لكِ كأبى زرع لأم زرع » ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع وصواحبها ، فذكر الحديث بطوله .

ورثاه الصلاح موسى بن شهاب المقدسى بأبيات . منها :

ياشيخنا ، ياعماد الدين ، قد قرحت عينى وقلبى منك اليوم متبول

أوحشت والله رَبعاً كنت تسكنه لـكنه الآن بالأحزان مأهول

كم ليلة بت تحييهـا وتسهرها والدمع من خشية الله مسبول

وسجدة طال ماطال القنوت بهـا قد زانهـا منك تـكبير وتهليل

٢٥٦ ـ عبد الرحمن بن عمر بن أبى نصر بن على بن عبد الدايم بن الغزّال البغدادى الواعظ أبو محمد ، ويلقب بشهاب الدين .

ولد فى جمادى الآخرة[1] سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وسمع الـكثير بإفادة أبيه وبنفسه من الحافظ ابن ناصر ، وسعيد بن البناء . ونصر بن نصر العـكبرى ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى عبد الله بن الرطبى والنقيب أبى جعفر بن أحمد بن محمد العباسى ، وأبى الوقت ، والمبارك بن السراج ، وابن المادح ، وهبة الله بن الشبلى ، وأبى زرعة بن البطى ، وخلق كثير ممن بعدهم ، وعنى بهذا الشأن ، وقرأ بنفسـه ، وكتب الـكثير بخطه ، وله فى الخط طريقة حسنة معروفة ، ووعظ مدة . ورأيت بخطه جزءاً من أخبار الحلاج ، الظاهر أنه جمعه ، ويروى فيه بالأسـانيد عن شيوخه ، ومال إلى مدح الحلاج وتعظيمه ، واستشهد بكلام ابن عقيل فى تصنيفه القديم الذى تاب منه ، ولقد أخطأ فى ذلك .

قال ابن النجار : وسمعت منه ، وكان سريع القراءة والـكتابة ، إلا أنه كان لحَنَةً ، قليل المعرفة بأسماء المحدثين .

قال : وقرأت بخط شيخنا أبى الفتوح نصر بن الحصرى : عبد الرحمن بن الغزّال ، لا يحتج بقراءته ولا بخطه ، وهو ساقط .

---

(١) فى مخطوطة الثقافة « الأولى »

وحدث ، وسمع منه جماعة ، وأجاز للمنذرى ، وعبد الصمد بن أبى الجيش ، وروى عنه ابن الصيرفى .

وتوفى ليلة الثلاثاء نصف شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن من الغد بباب حرب . رحمه الله .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصارى أخبرنا يحيى بن الصيرفى الفقيه أخبرنا عبد الرحمن بن عمر الواعظ أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو الحسن الداودى أخبرنا أبو محمد الحموى ، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر ، حدثنا البخارى المالكى حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة . قال : كان جدار المسجد عند المنبر . ما كادت الشاة تجوزها .

وكان له ولد نجيب ، اسمه :

٢٥٧ ـ أحمد ، ويسمى هبة الكريم أيضاً . ويكنى أبا نصر ، وكان سبط أبى العباس بن بكروس الفقيه المتقدم ذكره .

ولد سنة ثمانين وخمسمائة ، وحفظ القرآن ، وقرأ بالروايات الكثيرة على أصحاب سبط الخياط . وتفقه فى المذهب ، وتكلم فى مسائل الخلاف ، ووعظ الناس على المنبر ، واعتنى به والده ، وأسمعه الكثير من ابن كليب ، وابن بوش ، وذاكر بن كامل ، وابن المعطوش ، وابن الجوزى ، وأبي محمد بن الصابونى ، وطبقتهم . وطلب هو بنفسه ، وقرأ على الشيوخ ، وكتب بخطه كثيراً . وكان حسن الطريقة ، متديناً . ذكر ذلك ابن النجار . وقال : سمع منا كثيراً ، واصطحبنا مدة ، وكان طيب الأخلاق لطيفاً ، حسن العشرة كيساً ، استلبته يد المنون فى عنفوان شبابه ، وقد جاوز العشرين . لأنه توفى يوم الخميس خامس المحرم سنة إحدى وستمائة ، قال : وصلينا عليه من الغد بجامع القصر ، وتقدم للصلاة عليه والده ، وحمل إلى باب حرب ؛ فدفن هناك .

قال : ورأيته فى المنام ، وعليه ثياب فاخرة ، قميص فوط حديد ، و بغيار

أبيض مليح ، فسألته : مافعل الله بك؟ قال: غفر لى، وقليل العمل ينفع عند الله . وسألته عن عذاب القبر : أحق هو ؟ قال : لا ، فقلت له مرة ثانية : عذاب القبر حق ، وجبذته جبذة ، كالمنكر عليه ، فقال : أنا مارأيته ، فقلت له : فمنكر ونكير ؟ قال : إى والله حق ، نزلا علىَّ وسألانى ، رحمه الله تعالى .

٢٥٨ ـ أحمد بن أحمد بن أحمد بن كرم بن غالب بن قتيل البندنيجى ، ثم البغدادىُّ ، الأزجى ، الحافظ ، المحدث ، المعدل ، أبو العباس بن أبى بكر بن أبى السعادات ، المعروف بابن البندنيجى .

ولد فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وتلقن القرآن من أبى حكيم النهروانى ، وقرأه بالروايات على أبى الحسن البطائحى وغيره .

وسمع الحديث الكثير من أبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت ، وهبة الله بن الشبلى . وأبى محمد بن المادح ، والشيخ عبد القادر الجيلى ، والمبارك بن خضير ، وأبى زرعة ، وابن البطى وخلق كثير . وعنى بهذا الشأن ، وكتب بخطه الكثير ، وخرج وأفاد .

ووسمه جماعة بالحافظ ، منهم : المنذرى . قال الذهبى : كان وافر السماع ، كثير الشيوخ ، حسن الأصول . حدث بالكثير ، وسمع منه جماعة .

وقال غيره : كان مكثراً من الرواية والحفظ . وكان أحد شهود بغداد . شهد عند ابن الدامغانى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ثم عزل عن الشهادة لما عزل قاضى القضاة العباسى . فإن خطه وجد على الكتاب الذى عزل القاضى بسببه بالعرض ، واعتذر بأن القاضى أخبره بمعارضته بأصله ، فركن إلى قوله . والله أعلم بحقائق الأمور . ثم فى سنة سبع وستمائة ـ لما ظهرت إجازة الخليفة الناصر من جماعة من الشيوخ ، وكان ابن البندنيجى وأخوه تميم المتقدم ذكره : هما اللذان استجازا له ، وكانت عند ولد تميم فروى بها الخليفة ، وأجاز للأعيان ـ أعيد ابن البندنيجى إلى عدالته بتزكيته الأولى وتقدم .

وتوفى رحمه الله ليلة الأربعاء ـ وقيل : ليلة الثلاثاء ـ رابع عشر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

أخبرنا أبو المعالى محمد بن عبد الرزاق ـ بقراءتى عليه ببغداد ـ أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف البزاز ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد المعدل الحاجب ـ كتابة ـ أخبرنا أبو الحسن سعد الله بن نصر الحيوانى ـ قراءة عليه ـ أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد المقرىء ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن مسرور بن عبد الوهاب حدثنا أبو الفرج المعافَى بن زكريا ـ إملاء ـ حدثنا على بن محمد المصرى حدثنا مقدام بن داود ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة حدثنا دَرَّاج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان قال : وعزتك يارب ، لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم ، قال الرب عزَّ وجلَّ : وعزتى وجلالى ، لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى » .

وتوفى معه فى ثالث عشر رمضان من السنة ـ :

٢٥٩ ـ أبو محمد عبد الكافى بن بدر بن حسان الأنصارى الشامى الأصل المصرى ، النجار الحنبلى ، وكان شيخاً صالحاً كثير الصيام والتعبد .

سمع من البوصيرى ، والأرتاحى ، وعبد الغنى الحافظ ، وربيعة بن نزار وغيرهم ، علق عنه المنذرى شيئاً .

توفى وله نحو الستين ، ودفن بسفح المقطم .

٢٦٠ ـ عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبرى ، ثم البغدادى الأزجى المقرىء ، الفقيه ، المفسر الفرضى ، اللغوى ، النحوى ، الضرير ، محب الدين ، أبو البقاء بن أبى عبد الله بن أبى البقاء .

ولد ببغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . هكذا قال غير واحد .

وذكر الدبيثى : أنه سأله عن مولده . فقال : سنة ثمان وثلاثين ، وقا
القطيعى : سألته عن مولده ؟ فقال : فى حدود سنة تسع وثلاثين .

وقرأ القرآن على أبى الحسن البطايحى ، وسمع الحديث من أبى الحسن
بن البطى ، وأبى زرعة المقدسى ، وأبى بكر بن النقور ، وابن هبيرة الوزير . وقر
الفقه على القاضى أبى يعلى الصغير ، وأبى حكيم النهروانى ، حتى برع فيه .

وأخذ النحو عن أبى محمد بن الخشاب ، وأبى البركات بن نجاح ، واللغة عن
ابن القصاب . وبرع فى فنون عديدة من العلم ، وصنف التصانيف الكثيرة
ورحلت إليه الطلبة من النواحى ، وأقرأ المذهب والفرائض والنحو واللغة
وانتفع به خلق كثير .

قال أبو الفرج بن الحنبلى ؛ الملقب بناصح الدين : كان — يعنى أبا البقاء
إماماً فى علوم القرآن ، إماماً فى الفقه ، إماماً فى اللغة ، إماماً فى النحو ، إماماً فى
العَروض ، إماماً فى الفرائض ، إماماً فى الحساب ، إماماً فى معرفة المذهب ، إمام
فى المسائل النظريات ، وله فى هذه الأنواع من العلوم مصنفات مشهورة .

قال : وكان معيداً للشيخ أبى الفرج بن الجوزى فى المدرسة ، وكان متديناً
قرأت عليه كتاب « الفصيح » لثعلب ، من حفظى ، وقرأت عليه بعض كتاب
« التصريف » لابن جنى .

وقال الإمام عبد الصمد بن أبى الجيش : كان يفتى فى تسعة علوم ، وكان
واحد زمانه فى النحو واللغة ، والحساب والفرائض ، والجبر والمقابلة والفقه
وإعراب القرآن والقراءات الشاذة ، وله فى كل هذه العلوم تصانيف كبار وصغار
ومتوسطات ، وذكر أنه قرأ عليه كثيراً .

وقال ابن الدبيثى : كان متفنناً فى العلوم ، له مصنفات حسنة فى إعراب
القرآن وقراءاته المشهورة ، وإعراب الحديث ، والنحو واللغة ، سمعت عليه
ونعم الشيخ كان .

وقال ابن النجار : قرأت عليه كثيراً من مصنفاته ، وصحبته مدة طويلة ، وكان ثقة متديناً ، حسن الأخلاق متواضعاً ، كثير المحفوظ . وكان محبباً للاشتغال والإشغال ، ليلا ونهاراً ، مايمضى عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه ، أو يطالع له ، حتى ذكر لى : أنه بالليل تقرأ له زوجته فى كتب الأدب وغيرها ، قال : وبقى مدة من عمره فقيد النظير ، متوحداً فى فنونه التى جمعها من علوم الشريعة والآداب ، والحساب ، فى سائر البلاد ، وذكر لى : أنه أضر فى صباه بالجدرى ، وذكر تصانيفه .

وقال غيره : كان أبو البقاء إذا أراد أن يصنف كتاباً : أحضرت له عدة مصنفات فى ذلك الفن ، وقُرئت عليه ، فإذا حَصَّله فى خاطره : أملاه ، فكان بعض الفضلاء يقول : أبو البقاء تلميذ تلامذته ، يعنى: هو تبع لهم فيما يلقونه عليه .

وقال المزانى : سمعت الشيخ أبا البقاء يقول : جاء إلىَّ جماعة من الشافعية فقالوا : انتقل إلى مذهبنا ، ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية ، فأقسمت وقلت : لو أقمتمونى وصببتم علىَّ الذهب حتى أتوارى ، مارجعت عن مذهبى .

ذكر تصانيفه

« تفسير القرآن » « البيان ، فى إعراب القرآن » فى مجلدين « إعراب الشواذ » « متشابه القرآن » « عدد الآى » « إعراب الحديث » كتاب « التعليق ، فى مسائل الخلاف » فى الفقه «شرح الهداية لأبى الخطاب فى الفقه» كتاب « المرام » فى نهاية الأحكام » فى المذهب كتاب « مذاهب الفقهاء » « الناهض ، فى علم الفرائض » « بلغة الرائض ، فى علم الفرائض » وكتاب آخر فى الفرائض ، الخلفاء « المنقح من الخطل فى علم الجدل » « الاعتراض على دليل التلازم ودليل التنافى » جزء « الاستيعاب ، فى علم الحساب » « اللباب ، فى البناء والإعراب » « شرح الإيضاح » « شرح اللمع » « شرح التلقين ، فى النحو » « التلخيص فى النحو » « الإشارة فى النحو » « تعليق على مفصل الزمخشرى »

« شرح الحماسة » « غوامض الألفاظ اللغوية للمقامات الحريرية » « شرح خطب ابن نباتة » « شرح بعض قصائد رُؤبة » « شرح لغة الفقه » أملاه على ابن النجار الحافظ » « شرح ديوان المتنبي » « أجوبة مسائل وردت من حلب » « مسائل مفردة » « المشرق المعلم فى ترتيب اصطلاح المنطق على حروف المعجم » « تلخيص أبيات شعر لأبى على » « تهذيب الإنسان ، بتقويم اللسان » « الإعراب عن علل الإعراب » وغير ذلك .

ومن شعره يمدح الوزير ابن القصاب :

بك أضحى جيد الزمان محلى   بعد ما كان من حلاه مخلّى

لا يجاريك فى تجاريك خلق   أنت أعلى قدراً وأعلى محلا

عِشْتَ تُحْيِي ماقد أُميتَ من الفضـ   ـل وتنفى جَوْرًا ، وتطرد مَحْلا

قال ابن الساعى : ذكر شيخنا أبو البقاء : أنه لم يعمل قط سوى هذه الأبيات كذا قال ، وقد قال ابن القطيعى : أنشدنى أبو البقاء لنفسه :

أشكو إلى الله ماألقى من الكمد   ومن فراق حبيب فَتّ فى عضدى

وهَى اصطبارى ، وها دمعى ينم على   برح الهوى بى ، وأن قد خاننى جلدى

قد كنت والشمل ملموماً بهم فرقاً   من الفراق و إشفاق على الرصد

فكيف حالى وقد شط المزار بهم   عنى ، و بُدِّل قرب الدار بالبعد ؟

طار الفؤاد شعاعاً ساعة احتملوا   وألف البين بين الجفن والسهد

أنّى ألَذُّ بعيش بعد بعدهم   والروح فى بلد والجسم فى بلد ؟

ياويح قلبى من شوق أكابده   ضعفت عنه ، فمن ذا آخذ بيدى ؟

حكم الهوى جائر ، عدوانه هدر   قتلاه ظلماً بلا عقل ولا قود

قد رق قلبى ظلوم مايرق له   من الغرام الذى أجنى على كبدى

أحنى الضلوع على قلب تملكه   من ليس يحنو على صب به كمدى

قال : وأنشدنى أبو البقاء العكبرى لنفسه :

صـاد قلبي على العقيق غزال ذو نفـار وصاله ماينـال
فاتر الطرف ، تحسب الجفن منه ناعسا ، والنعـاس منه مدال

أخذ عنه العربية خلق كثير ، وأخذ عنه الفقه جماعة من الأصحاب ، كالموفق ابن صُديق ، ويحيى بن يحيى الحرانيين .

وسمع منه الحديث خلق كثير . وروى عنه ابن الدبيثى ، وابن النجار ، والضياء ، وابن الصيرفى ، وبالإجازة جماعة ، منهم : الـكمال البزار البغدادى .

وتوفى ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنصـارى ، أخبرنا أبو زكريا يحيى ابن أبى منصور الحرانى ـ حضوراً ـ أخبرنا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقى ، أخبرنا مالك بن أحمد البانياسى ، أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبى الفوارس الحافظ ، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف ابن خلاد ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نزع يداً من طاعة ، لقى الله عز وجل ليست له حجة ، ومن مات مفارقاً للجماعة ، مات ميتة جاهلية » .

ذكر شيء من فوائده

وكلامه فى الفقه وغيره

ذكر أبو البقاء فى شرح الهداية وجهاً بدخول الاستحاضة فى مدة النفاس ، وقد حكاه قبله القاضى فى شرح المذهب .

وحكى فيما إذا حَكّ أسفل الخف بعود ونحوه من النجاسة ، فهل يقوم مقام

دلكه بالأرض فى طهارته أو العفو عنه ؟ وجهين .

وقال فيه : الكلب والحمار الأهلى والوحشى سواء فى قطع الصلاة .

قال : وقال الشريف : رأيت فى بعض نسخ « المجرد » يقطع الحمار الأهلى .

وقال فيه : لم أجد لأصحابنا فى بعض الآية التى يجوز للجنب قراءتها حداً ، وظاهر قولهم : أنه يجوز ذلك ، وإن كثر البعض ، وكان بمنزلة آيات متوسطة .

والأمر محمول عندى على غير ذلك ، وهو أن يحمل البعض على مقدار دون آية متوسطة ، إذا كان كلاماً تاماً غير متعلق بما قبله وما بعده .

وحكى ابن الصيرفى أيضاً عن أبى البقاء : أنه كان يختار جواز أخذ بنى هاشم من الزكاة إذا منعوا حقهم من خمس الغنيمة .

وقال ابن الصيرفى أيضاً : خَرَّجت جواز دفع الرشوة إلى القاضى الظالم لدفع ظلمه على عامل الخراج ، وذاكرت بذلك شيخى أبا البقاء ، فلم يصوبه ، قال : ثم رأيت ابن عقيل فى فنونه صرح بما خرجته .

قال: وسمعت شيخنا أبا البقاء يقول ، فيمن رأى رجلا نائماً ، وقد دخل عليه وقت الصلاة : لا يوقظه ؛ لأنه غير مخاطب ، قال : ويغلب على ظنى أنه حكاه عن شيخه أبى حكيم .

قال : وقرأت بخط بعض أصحاب أبى الخطاب : أنه سأل أبا الخطاب عن هذه المسألة ؟ فقال : نعم يوقظه .

قال : وحكى عن شيخنا أبى محمد بن قدامة المقدسى مثل ذلك .

قال : ورأيت فى فنون ابن عقيل هذه المسألة ، وقد جرت فيها مذاكرات بين ابن عقيل ورجل آخر معين ، واختلفا فى ذلك .

ومن كلامه فى حواشى المفصل : « أفعل » تستعمل على وجهين .

أحدهما : يدل على أن فضل المذكور زائد على فضل من أضيف إليه أفعل فهذا يستعمل على ثلاثة أوجه : « من » كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا لا يثنى

ولا يجمع ولا يؤنث ، لعلة ليس هذا موضعها ، وبالإضافة ، كقولك : زيد أفضل القوم ، وهذا لا يضاف إلى مضاف إلى ضميره ، فلا تقول زيد أفضل إخوته ، وبالألف واللام ، كقولك : زيد الأفضل .

والوجه الثانى : أن لا يكون « أفعل » للزيادة ، بل لاشتهار المذكور بالفضل وتخصيصه من دونهم ، كقولك : زيد أفضل القوم ، كما تقول : فاضل ، وعلى هذا : يجوز أن يضاف إلى مضاف إلى ضميره ، كقولك: زيد أفضل قومه ، وأحسن إخوته ، أى هو الفاضل من بينهم ، وهذا يثنى ويجمع ويؤنث ، ومنه الفرق بين قوله : من دخل دارى فله درهم ، ومن دخل دارى له درهم . بإسقاط الفاء ، أى إنه مع إثباتها يكون ضامناً له الدرهم على دخوله ، ومع سقوطها يحتمل أن يكون أخبر عنه بأنه يملك درهما ، لا أنه ضمن له شيئاً ، وقال : الفرق بين « واو » مع ، « واو » العطف يتبين بقولك « قم أنت وزيد » إذا رفعت « زيد » كنت آمرًا لهما بالقيام ، لأن حكم العطف أن يشرك بين المعطوف والمعطوف عليه فى العامل ، وإذا نصبت كنت آمراً المخاطب أن يتابع زيداً فى القيام ، ولست آمراً زيداً بالقيام ، حتى لو لم يقم لم يلزم المخاطب القيام ، لأن هذا هو حكم « مع » .

ومن كلامه — ونقلته من خط ابن الصيرفى — « لو » يقع فى الكلام على ثلاثة أوجه .

أحدها : امتناع الشىء لامتناع غيره .

والثانى : أن يكون بمعنى « إن » الشرطية ، كقوله تعالى (٢: ٢٢١ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) .

والثالث : أن تكون بمعنى « أن » الناصبة للفعل المستقبل ، ولكنها لا تنصب ، وهو كثير فى القرآن والشعر ، كقوله تعالى (٦٨ : ٩ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) ، (٧٠: ١١ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى) ولا يجوز أن يكون للامتناع ، إذ لاجواب لها ، ولأن « وَدَّ » لا تعلق عن العمل ؛ إذ ليس من باب العلم والظن

ولأن « أن » قد جاءت بعدها صريحة فى قوله تعالى (٢ : ٢٦٦ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) وإنما لم تنصب ، لأن « لو » قد تعددت معانيها ، فلم تختص ، وجرت مجرى « حتى » فى الأفعال . والقسم الأول يرد فى اللغة على خمسة أوجه .

أحدها : أن تدل على كلام لا نفى فيه ، كقولك : لو قمتَ قمتُ ، ويفيد ذلك امتناع قيامك لامتناع قيامه .

والثانى : أن تدخل على نفيين ، فيصير المعنى إلى إثباتهما ، كقولك : لو لم تزرنى لم أكرمك ، أى أكرمتك لأنك زرتنى ، فانقلب النفى هٰهنا إثباتا ، لأن « لو » امتناع ، والامتناع نفى ، والنفى إذا دخل على النفى صار إيجابا .

والثالث : أن يكون النفى فيما دخلت عليه دون جوابها ، كقولك : لو لم تشتمه لأكرمك ، فالشتم واقع ، والإكرام منتف ، والإمتناع أزال النفى ، وبقى الإيجاب بحاله .

والرابع : عكس الثالث ، وهو قولك : لو أحسنْ إليك لم تسىء إليه ، والمعنى معلوم .

والخامس : أن تقع للمبالغة ، فلا تفيد مفادها فى الوجوه الأُول ، كقول عمر رضى الله عنه « نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه » والمعنى : أنه لو لم يكن عنده خوف لما عصى ، فكيف يعصى وعنده خوف ؟ ولو لم يرد المبالغة لكان معنى ذلك : أنه يعصى الله ، لأنه يخافه .

وقال أيضا : « لو » فى الموضع اللغوى تعلق فعلا بفعل ، والفعل الأول علة الثانى ، إلا أن يكون هنا قرينة صارفة تصرفها عن هذا الأصل . وهو أن يدل المعنى على إرادة المبالغة ، كقولك : لو أهين زيد لأحسن الى من يهينه ، والمعنى: أنه إذا أكرم كان أولى بالإحسان ، لا أنه إذا لم يهن لم يحسن .

ومن كلامه « بله » تستعمل على ثلاثة أوجه .

أحدها : أن تـكون بمعنى « غير » .

والثانى : أن تـكون بمعنى « دع » فتـكون مبنية على الفتح .

والثالث : أن تـكون بمعنى « كيف » فإن دخلت « من » عليها كانت معربة ، وجُرّت بمن .

وذكر أن أبا على الفارسى حكى عن أبى زيد القلب ، فيقال « بهل » إلا أنها لاتستعمل مثل « بله » لأنها فرع .

وقال أبو البقاء : سألنى سائل عن قوله صلى الله عليه وسلم « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » فقال : أيجوز فى « الرحماء » الرفعُ والنصب ؟ وذكر أن بعضهم زعم أن الرفع غير جائز . فأجبت : بأن الوجهين جائزان .

أما النصب : فله وجهان ، أقواهما : أن تـكون « ما » كافّةً لإنَّ عن العمل فلا يكون فى « الرحماء » على هذا إلا النصب ، لأن « إن » إذا كُفّت عن العمل وقعت بعدها الجملة ابتدائية ، ولم يبق لها عمل ، فيتعين حينئذ نصب «الرحماء» بـ« يرحم» إذ لم يبق لها تعلق بإنَّ . ومثله (٢:١٧٣ إنما حَرَّمَ عَلَيْـكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) على قراءة من نصب ، وفائدة دخول « ما » على هذا الوجه : إثبات المذكور ، ونفى ماعداه ، فتثبت الرحمة للرحماء دون غيرهم .

والوجه الثانى : أن تـكون « ما » زائدة ، و « إن » بمعنى « نعم » وزيادة « ما » كثيرا ، ووقوع « إن » بمعنى « نعم » كثير . فمنه قوله تعالى (٢٥ : ٦٣ إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فى أحد القولين . ومنه قول ابن الزبير ، حين قال له رجل : لعن الله ناقة حملتنى إليك ، فقال « إنَّ وراكبها » وهو كثير فى الشعر .

فإن قيل : إنما يجىء ذلك بعد كلام تـكون جوابا له ، ولم تسبق « ما » يجاب عليه بـ« نعم »

قيل : إن لم يسبق لفظا فهو سابق تقديرا ، فـكأن قائلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله من عباده من يرحم الخلق ، وإن كان مقصرا فيما بينه و بين

الله تعالى ؟ فقال : نعم . وهذا مما يجوز أن يسأل عنه .

وأما الرفع : فجائز جوازا حسنا . وفيه عدة أوجه .

أحدها : أن تكون «ما» بمعنى الذى ، والعائد إليها محذوف ، و «الرحماء» خبر « إن » والتقدير : إن الفريق الذى يرحمه الله من عباده الرحماء .

فإن قيل : يلزم من ذلك : أن تكون « ما » هنا لمن يعقل ؟

فقيه جوابان . أحدهما : أن « ما » قد استعملت بمعنى « من » كقوله تعالى (٤ : ٣ فَانكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ، أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وهو كثير فى القرآن . ومنه (٩١ : ٥ ، ٦ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) فى أصح القولين .

وحكى أبو زيد عن العرب : سبحان ماسَبَّحْتُنَّ له . وسبحان ماسخركن لنا .

والثانى : أن « ما » تقع بمعنى «الذى» بلا خلاف ، و « الذى » تستعمل فيمن يعقل ، وفيمن لايعقل . وإنما يعرف ذلك بما يتصل بها ، وكذلك فى «ما» لاسيما إذا اتصل بها مايصير وصفاً ، وإنما تفترق « ما » و « الذى » فى أن « الذى » يوصف بلفظها ، و « ما » لايوصف بلفظها .

فإن قيل : كيف يصح هذا ؟ والرحماء جمع ، و « ما » بمعنى « الذى » مفردة ، والمفرد لايخبر عنه بالجمع ؟ .

قيل : « ما » يجوز أن يخبر عنها بلفظ المفرد تارة ، وبلفظ الجمع أخرى ، مثل « من » و « كل » قال تعالى (٦ : ٢٥ ومنهم من يستمع إليك) وقال فى آية أخرى (١٠ : ٤٢ ومنهم من يستمعون إليك) وكذلك قوله تعالى (٢ : ١١٢ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال فى « كل » (٢٧ : ٨٧ وكلٌّ أتوه داخرين) ، (١٩ : ٩٥ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) فالإفراد محمول على لفظ « من » و « ما » و « كل » والجمع محمول على معانيها .

وأما « الذى » فقد استعملت مفردة للجنس ، ورجع الضمير تارة إلى لفظها مفرداً ، وتارة إلى معناها مجموعاً ، قال تعالى (٢ : ١٧ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لايبصرون) فجاء بالضمير مفرداً ومجموعاً ، وقال تعالى (٣٩ : ٣٣ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) فأعاد الضمير بلفظ الجمع ، فكذلك فى قوله « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » ولك على هذا الوجه أن تجعل « إن » العاملة ، وأن تجعلها بمعنى « نعم » على ماسبق .

الوجه الثانى من وجوه « ما » التى يجوز معها رفع « الرحماء » : أن تكون « ما » نكرة موصوفة فى موضع : فريق أو قبيل ، و « يرحم » صفة لها ، و « الرحماء »الخبر ، والعائد من الصفة إلى الموصوف محذوف ، تقديره : إن فريقا يرحمه الله : الرحماء .

فإن قيل : كيف يصح الابتداء بالنكرة ، والإخبار بالمعرفة عنها ؟

قيل : النكرة هنا قد خصصت بالوصف ، والرحماء لايقصد بهم قصد قوم بأعيانهم . فكان فيه كذلك نوع إبهام . فلما قرنت النكرة هنا بالصفة من المعرفة ، وقرنت المعرفة من النكرة بما فيها من إبهام : صح الإخبار بها عنها ، على أن كثيرا من النكرات يجرى مجرى المعارف فى باب الأخبار إذا حصلت من ذلك فائدة ، والفائدة هنا حاصلة .

الوجه الثالث : أن تكون « ما » مصدرية ، وفى تصحيح الإخبار عنها بالرحماء ثلاثة أوجه .

أحدها : أن يكون المصدر هنا بمعنى المفعول ، تقديره : إن مرحوم الله من عباده الرحماء . ومنه (٣١ : ١١ هذا خلق الله) أى مخلوقه . وقال أبو عليّ : لك أن تجعل « ما » من قوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مصدرية : أى كتمانكم ، وكتمانكم بمعنى مكتومكم ؛ لأن الكتمان لايظهر ، و إنما يظهر المكتوم .

الوجه الثانى : أن المضاف إلى المصدر ، أو إلى الخبر : محذوف ، تقديره : إن ذوى رحمة الله من عباده الرحماء ، أى المستحقون لها ، أو إن رحمة الله حق الرحماء . ومثل هذين الوجهين فى قوله تعالى (٢ : ١٧٧ ولـكنّ البرَّ مَنْ آمنَ) هل تقديره : ولـكن ذا البر من آمن ؟ ولـكن البر برُّ من آمن .

الوجه الثالث : أن لا تقدر حذف مضاف ، غير أنك تجعل « الرحماء » هم الرحمة على المبالغة ، كما قالوا : رجل عدل ، ورجل زَوْر ، ورجل علم ، وقوم صُوَّم ، إذا كثر منهم ذلك . ومنه قول الخنساء :

ترتع ما رتعت ، حتى إذا أذكرت ، فإنما هى إقبال وإدبار

فثبت بما ذكرناه وهو قول من زعم امتناع الرفع فى الرحماء . والله أعلم بالصواب .

٢٦١ — يحيى بن يحيى الأزجى الفقيه ، صاحب كتاب « نهاية المطلب ، فى علم المذهب » وهو كتاب كبير جداً ، وعبارته جزلة ، حذا فيه حذو « نهاية المطلب » لإمام الحرمين الجوينى الشافعى ، وأكثر استمداده من كلام ابن عقيل فى الفصول ومن المجرد ، وفيه تهافت كثير ، حتى فى كتاب الطهارة ، وباب المياه ، حتى إنه ذكر فى فروع الآجر المجبول بالنجاسة كلاما ساقطا يدل على أنه لم يتصور هذه الفروع ، ولم يفهمها بالـكلية . وأظن هذا الرجل كان استمداده من مجرد المطالعة ، ولا يرجع إلى تحقيق .

وقد ذكر فى كتابه : أنه قرأ بنفسه على ابن كليب الحرانى ، ولم أعلم له ترجمة ، ولا وجدته مذكوراً فى تاريخ ، ويغلب على ظنى : أنه توفي بعد الستمائة بقليل .

ورأيت فى كلام ابن الوليد المحدث : أن هذا الأزجى كان من كبار أصحاب أحمد وزهادهم ، ولم يزد على ذلك .

٢٦٢ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين السامرى، الفقيه الفرضى، أبو عبدالله

ويلقب نصير الدين، ويعرف بابن سُنَيْنَة ـ بسين مهملة مضمومة ونونين مفتوحتين بينهما ياء ساكنة ـ هكذا ذكره ابن نقطة . وقال : وجدته بخط شيخنا ابن الأخضر .

وقال القطيعى محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن القاسم المعروف بابن بسينة، وهو تصحيف .

ونسبه ابن النجار فقال : محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن قاسم ابن إدريس المعروف بابن سفينة .

ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة بسامرا .

وسمع من ابن البطى، وأبى حكيم النهروانى، وعبد اللطف بن أبى سعد ببغداد وتفقه على أبى حكيم ، ولازمه مدة، وبرع فى الفقه والفرائض . وصنف فيها تصانيف مشهورة، منها : كتاب « المستوعب » فى الفقه وكتاب « الفروق » وكتاب « البستان » فى الفرائض .

وولى القضاء بسامرا، وأعمالها مدة . ثم ولى القضاء والحسبة ببغداد، ثم عزل عن القضاء، وبقى على الحسبة . ثم عزل عنها وولى إشراف ديوان الزمام، وعزل أيضاً . ولقب فى أيام ولايته « معظم الدين » ولما عزل عنه ألزم بيته مدة، ثم أذن له فى العود إلى بلده، فعاد إليها، ثم رجع إلى بغداد فى آخر عمره، وبها توفى .

قال ابن النجار : كان شيخاً جليلا، فاضلا نبيلا، حسن المعرفة بالمذهب والخلاف، له مصنفات فيهما حسنة، وما أظنه روى شيئاً من الحديث .

وذكر ابن الساعى المؤرخ : أنه كتب عنه، وأجاز للشيخ عبد الرحيم بن الزجاج .

وتوفى ليلة الثلاثاء السابع عشرى رجب سنة ست عشرة وستمائة ببغداد، وصلى عليه من الغد بالنظامية، وَأَمَّ الناس فى الصلاة عليه عبد العزيز بن دلف، ودفن بمقبرة باب حرب .

وفى كتابيه « المستوعب » و « الفروق » فوائد جليلة ، ومسائل غريبة ، ورأيت لأبى عبد الله بن الوليد المحدث رسالة إليه يعاتبه فيها على قوله : إن أحاديث الصفات لا تقبل ؛ لكونها أخبار آحاد ، و بسط القول فى ذلك على طريقة أهل الحديث ، وملأها بالأحاديث والآثار المسندة .

٢٦٣ ـ عثمان بن مقبل بن قاسم الياسرى ، ثم البغدادى ، الفقيه الواعظ أبو عمرو ، و يلقب جمال الدين ، من أهل « الياسرية » قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى .

قدم بغداد ، وسمع بها من ابن الخشاب ، وشهدة ، وطبقتهما ، ومن دونهما ، وقرأ بنفسه . وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، وتكلم فى المسائل ووعظ .

قال الناصح بن الحنبلى : سمع درس شيخنا ابن المنى سنين ، وسمع الحديث الكثير ، وسمعت بقراءته ، ووعظ ولازم الوعظ ، وتقدم فى الوعظ إلى غاية تميز بها عن نظائره فى صلاح ودين وسمت .

وذكره عبد الصمد بن أبى الجيش فى شيوخه ، وقال : له تصانيف ، وقد حدث ، وسمع منه جماعة ، وأظن ابن الصيرفى الحرانى سمع منه وتفقه عليه ، فإنه يقول عنه : شيخنا . وقرأ عليه عبد الرزاق الرسعنى .

قال ابن الحنبلى : حدثنى الحافظ تقى الدين إبراهيم بن الأزهر الصريفينى قال : مات ـ يعنى الياسرى ـ يوم الخميس ضاحى نهار الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة ست عشرة وستمائة .

قال الحافظ : وحضرت جنازته وصلى عليه بجامع القصر فى خلق كثير ، وجَمّ غفير ، بحيث لم أشاهد عداد جنازة أكثر خلقاً منها . وامتلأ الجامع بحيث لا يكاد الإنسان يجد إلا موضع قدميه .

وذكر غيره : أنه دفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

٢٦٤ - محمد بن أبي المكارم الفضل ، ابن بختيار بن أبي نصر اليعقوبي ، الخطيب الواعظ ، أبو عبد الله . ويلقب بهاء الدين . ويعرف بالحجة .

ذكر أن مولده في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بيعقوبا .

وسمع ببغداد من أبي الفتح بن شاتيل ، وعبد المغيث الحربي ، وابن الجوزي وطبقتهم .

وذكر أنه سمع من أبي الوقت ، والشيخ عبد القادر وغيرهما . وولي الخطابة ببلدة يعقوبا . ووعظ وسكن دقوقا . وحدث بها وبأربل ، وغيرهما . وحدث بأحاديث فيها وهم ، فعرف الخطأ فيها فترك روايتها . ذكره المنذري . قال: وقد تتبع عليه غير ذلك . قال : وصنف كتاب « غريب الحديث » وحدث به بأربل .

قلت: وصنف « شرح العبادات الخمس » لأبي الخطاب . وقرأه على أبي الفتح ابن المني سنة إحدى وثمانين . وكتب له عليه « قرأه عليَّ مصنفُه الشيخ الأجل العالم الفقيه بهاء الدين حجة الإسلام ، قراءة عالم بما فيه من غرائب الفوائد ، وعجائب الفرائد » وكتب له عليه أيضاً الفخر إسماعيل ، وأثنى على تصنيفه كثيراً .

توفي في جمادى الأولى – وقيل : الآخرة – سنة سبع عشرة وستمائة بدقوقا . ودفن بها رحمه الله تعالى .

٢٦٥ - عبد الغني بن قاسم بن عبد الرزاق بن عياش المناوي المقدسي الأصل ، المصري ، الفقيه الزاهد ، أبو القاسم . من أهل مصر .

سمع بها من البوصيري ، وأبي عبد الله الأرتاحي ، وأبي الحسن بن نجا الواعظ . وزوجته فاطمة بنت سعد الخير ، وعبد المجيب بن زهير الحربي ، وربيعة اليمني وجماعة .

وتفقه في المذهب . وانقطع إلى الحافظ عبد الغني عند قدومه مصر ، ولازمه ، وكتب عنه كثيراً من مصنفاته وغيرها . ذكر ذلك المنذري ، وقال: سمع معنا من جماعة من شيوخنا . وصحب جماعة من المشايخ . وكان صالحاً ، مقبلا على مصالح

نفسه ، منفرداً ، قانعاً باليسير ، يظهر التجمل مع ما هو عليه من الفقر ، وحدث .

وتوفى ليلة ثانى عشر صفر سنة ثمان عشرة وستمائة . ودفن من الغد بسفح جبل المقطم على شفير الخندق . رحمه الله تعالى .

٢٦٦ - محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسى بن موسى ابن الفتح بن زريق المقدسى ، ثم الدمشقى ، الفقيه المناظر ، شهاب الدين أبو عبد الله .

ولد سنة خمسين وخمسمائة بجماعيل . ثم قدم دمشق، وسمع بها من أبى المكارم ابن هلال .

وقدم مصر ، فسمع بالإسكندرية من السلفى .

ورحل إلى بغداد ، فسمع بها من أبى محمد بن الخشاب ، وأبى الحسين اليوسفى ، وشُهدة ، وطبقتهم . وتفقه بها فى المذهب ، والخلاف على ابن المنى ، حتى برع . وكان بحاثا مناظرا ، مفحما للخصوم ، ذا حظ من صلاح وأوراد ، وسلامة صدر ، أمَّارًا بالمعروف ، نهَّاء عن المنكر . وكتب بخطه كثيراً من الحديث وغيره من العلوم .

قال المنذرى : لقيته بدمشق ، وسمعت منه . وكان كثير المحفوظات ، متحريا فى العبادات ، حسن الأخلاق .

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزى : كان زاهد عابدا ورعا ، فاضلا فى فنون العلوم . وحفظ مقامات الحريرى فى خمسين ليلة ، فتشوش خاطره . وكان مما يغسل باطن عينيه قد قل نظره . وكان سليم الصدر ، من الأبدال ، ما خالف أحدا قط . رأيته يوما — وقد خرج من جامع الجبل — فقال له إنسان : ما تروح إلى بعلبك ؟ فقال : بلى ، فمشى من ساعته إلى بعلبك بالقبقاب .

قال أبو شامة : كنت أراه يوم الجمعة قبل الزوال يجلس على درج المنبر

السفلى بجامع الجبل ، وبيده كتاب من كتب الحديث ، أو أخبار الصالحين يقرؤه على الناس إلى أن يؤذن المؤذن للجمعة .

وتوفى يوم الأحد سلخ صفر سنة ثمان عشرة وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

وذكر المنذرى : أنه توفى فى تاسع عشر صفر . ودفن من الغد . وذكر بعده من توفى فى سلخ الشهر .

وروى عنه ابن البخارى ، ووالده أبو العباس أحمد . ويلقب بالنجم . تفقه على ابن المنى ، وبرع ، ثم صار شافعياً ، وولى قضاء دمشق نيابة ، ثم عزل . وله تصانيف .

٢٦٧ علي بن نابت بن طالب الطالبانى البغدادى الأزجى ، الفقيه الواعظ أبو الحسن . ويلقب موفق الدين .

سمع ببغداد من صالح بن الرحلة ، وشُهدَة . وسمع بالموصل من خطيبها أبى الفضل . وتفقه ببغداد على أبى الفتح بن المنى . واشتغل بالموصل بالخلاف على ابن يونس الشافعى . فأقام بحران مدة عند الخطيب ابن تيمية . ثم جرى بينه وبينه نكد ، فقدم دمشق ثم رجع ، وأقام برأس العين من أرض الجزيرة . ووعظ هناك ، وحدث وانتفع به .

قال ابن نقطة : وسمعت منه . وسماعه صحيح . قال : وذكر لى ابن شحامة الحرانى : أنه توفى فى شعبان سنة ثمان عشرة وستمائة برأس العين رحمه الله تعالى .

قال : ونابت — يعنى أباه — أوله نون . وكذا قال المنذرى ، وزاد : «والطالبانى» بفتح الطاء المهملة، وبعد الألف لام مفتوحة ، وباء موحدة ، وبعد الألف الثانية نون مكسورة .

وله كلام فى بيع الفلوس النافقة بأحد النقدين : أنه يجوز النساء فيها . قال : كما يجوز بيع غيرها من الرصاص والحديد والصفر والنحاس .

قال : ومنع أحمد من السلف فى الفلوس ، لايصح جملة على ماذكره الأصحاب : أنها أثمان ، لأنه يحتمل وجوهاً أخر ، منها : أنه لم يجوز السلم فى الفلوس عدداً ، لاختلافها فى الخِفّة والثقل . فأما وزنها فقياس المذهب صحته .

قال : ولو أراد المنع من أجل أنها أثمان لجوزه . إذا جعل رأس مال السلم فيها غير الأثمان ، ويحتمل أنه منع من السلم فيها بناء على الرواية التى نقلت عنه : أنه منع من النساء فى أموال الربا ، سواء اتفق الجنس أو اختلف . ثم نقل عنه جواز النساء مع اختلاف الجنس . وهو الصحيح من المذهب . ويحتمل أنه منع من السلم فيها إذا كانت نافقة ، خوفا من تحريم السلطان لها قبل المحل ، فيصير كما لو أسلم فى شىء يحتمل أن يوجد وأن لا يوجد ، فإنه لايصح .

قال : ولايصح جعلها أثماناً ، لأن الثمنية تختص بالذهب والفضة . وقد ذكر هذا أبو الخطاب فى هدايته . وذكر ابن عقيل فى الفصول : أن التفاضل يحرم فى بيع أحد النقدين بمثله بعلة كونه موزون جنس ، فيتعدّى إلى كل موزون ، ولو كان كما ذكر لما جاز إسلام النقدين فى الحديد والرصاص والنحاس . وقد زعم أنه أجاز ذلك استحساناً . وهذا لايستقيم ؛ لأنه يزعم أن الوزن ثبت كونه علة بإيماء صاحب الشرع ، وهى مقدمة على الاستحسان بإجماع الفقهاء ، ثم احتج على أنها ليست ثمناً بأنها تختلف فى نفاقها وكسادها باختلاف البلدان والأزمان ، بخلاف النقدين ، و بأنها لاتثبت فى الذمة مطلقة ، و بأنها فى الغصب والإتلاف تقوّم بالنقدين لا بالفلوس .

ثم أرسل ابن الطالبانى هذا الكلام إلى الشيخ موفق الدين المقدسى .

فكتب عليها : هذه مسألة فروعية اجتهادية ، لاحرج على المجتهد فيها إذا كان من أهل ذلك ، وليس ينبغى أن ينكر على مجتهد اجتهاده ، وإنما يتباحث الفقهاء ، ليعرف الصواب . والذى ذكره الإمام موفق الدين – يعنى ابن الطالبانى – من

كون الفلوس ليست ثمنا أصلياً : صحيح لما بينه . ولأنها لا تكون رأس مال في الشركة والمضاربة .

وأما منع الإمام أحمد رضي الله عنه من السلم فيها : فإن الذي ذكره الموفق فيها محتمل ، لولا أن الإمام أن أحمد قد علل ذلك بأنه يشبه الصرف . وهذا يحتمل أن يكون منه على سبيل الورع ، لشبه الفلوس بالأثمان في المعاملة بها ، وجريانها مَجْرَى الدراهم والدنانير ، وأما أنا : فإنني متوقف عن الفُتْيَا في هذه المسألة ، ولست منكراً على من وافق فيها ، ولا على من خالف من عمل بفتياه .

قلت : أما كون الفلوس أثماناً عند نفاقها : فهو قول كثير من الأصحاب . وقد صرح به أبو الخطاب في خلافه الصغير وغيره . ومنهم من جعلها أثماناً بكل حال ، كصاحب « المبهج » وخالف في ذلك ابن عقيل في باب الشركة من فصوله ، ونصر أنها عروض بكل حال ، كما رجحه ابن الطالباني .

وأما مانقله ابن الطالباني عن أبي الخطاب في هدايته ـ أنه ذكر أن الأثمان هي الذهب والفضة خاصة ـ فهذا ذكره تفريعاً على الرواية الثانية والثالثة في علة ربا الفضل. وأما على المذهب المشهور : فإنه صرح بأن النقدين من جملة الموزونات ، والعلة فيها الوزن ، كما صرح بذلك غيره من الأصحاب . بل كلام أبي الخطاب في خلافه الصغير يقتضي أن العلة في النقدين الوزن بغير خلاف ، وأن الخلاف إنما هو في علة الأصناف الأربعة البواقي ، وهكذا قال القاضي في خلافه الكبير ، وابنه أبو الحسين . وقد قال أحمد في رواية ابن القاسم وسِنْدى الخواتيمي « رطل حديد برطلين حديد لايجوز ، قياساً على الذهب والفضة » فنص على أن علتهما الوزن

وبالجملة : فالمذهب المشهور : أن علة ربا الفضل في النقدين الوزن ، وعلة الربا في الأربعة البواقي الكيل ، كما قاله ابن عقيل ، ولم ينفرد ابن عقيل بهذا كما ذكر ، بل كل الأصحاب يوافقونه على هذا النقل ، وإن كان من متأخريهم من رجح أن علة الذهب والفضة كونهما نقوداً ، أو كونهما جوهرى الأثمان .

ولهذا قالوا فى ربا النساء : إنه يحرم فى كل مكيل بيع بمكيل ، أو موزون بيع بموزون ، وإن اختلف الجنسان . واستثنوا من ذلك بيع العروض الموزونة بالنقدين

وقد نقل ابن منصور فى مسائله عن الثورى وأحمد وإسحاق جواز السلف فى الفلوس . فإنه قال : قلت لأحمد : قال — يعنى سفيان — السلف فى الفلوس لايرون به بأساً ، يقولون : يجوز برءوسها . قال — يعنى أحمد — : إن تجنبه رجل أرجو أن لايكون به بأس . وإن اجترأ عليه رجل أرجو أن لايكون به بأس .

قال سعيد بن المسيب : لا ربا إلا فى ذهب أو فضة ، أو مايكال أو يوزن مما يؤكل أو يشرب.

قال إسحاق — يعنى ابن راهويه — لابأس بالفلس بالفلس ، يداً بيد ، ولا بأس بالسلم فى الفلوس ، إذا كان يمكنه ذهباً أو فضة ، رآه قوم كالصرف وليس ببين .

٢٦٨ — عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان بن رومى بن سلمان بن محمد بن سلمان بن صالح بن محمد بن وهبان ، السلمى ، الحديثى ، ثم البغدادى ، أبو نصر بن أبى جعفر ، الفقيه المحدث

ولد فى عاشر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد

وقرأ القرآن . وسمع الكثير من أبى الفتح بن شاتيل ، وأبى السعادات القزاز ، وخلق . وطلب بنفسه ، وأمعن وبالغ ، وارتحل فى الطلب إلى الشام والجزيرة ، وديار مصر ، والعراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وخوارزم

وسمع بواسط من ابن المنداى ، وبأربل من ابن طبرزد ، وبنيسابور من المؤيد ، وبهراة من أبى روح ، وبما وراء النهر من طائفة ، وبإصبهان من أصحاب زاهر وغيره ، وبدمشق من الكندى ، وابن الحرستانى وجماعة ، وبمصر من جماعة .

ولقى بالاسكندرية ابن المفضل

وكتب بخطه الكثير . وتفقه فى المذهب ، وتكلم فى مسائل الخلاف ، وحصل من الأدب طرفاً صالحاً . وحدث ببغداد ودمشق وغيرهما .

قال ابن النجار : كان مليح الخط ، صحيح النقل والضبط ، فاضلا حافظاً متقناً ، ثقة صدوقاً . له النظم والنثر الجيد . وكان من أكمل الناس ظرفاً ولطفاً ، وحسن خلق ، وطيب عشرة وتواضع ، مع كمال مروءة ، ومسارعة إلى قضاء حوائج الإخوان .

قال : وعلقت عنه ببغداد ومَرْوَ شيئاً كثيراً من شعره ، وشعر غيره ، فمنه :

سلوا فؤادى : هل صفا شرب به مذ نأيتم عنه أوراقا ؟
وهل يسليه إذا غبتم إن أودع التسليم أو راقا ؟

ومنه قوله :

وافت صحيفة أفضال مضمنة من التشوق أصنافاً وأوصافا
تطولا من خليل لا أرى بدلا منه على حالتيه : صَدٍّ أو صافى

وقال المنذرى : علقت عنه بمصر فوائد ، وسمعت شيئاً من شعره . وكان حادَّ الخاطر ، جيد القريحة ، فقيهاً متأدباً شاعراً .

قتل شهيداً سنة ثمان عشرة وستمائة فى فتنة التتار الكفار بخراسان . رحمه الله تعالى

قرئ على أبى الفتح الميدومى ـ بمصر ، وأنا أسمع ـ أخبركم أبو الفرج الحرانى ـ سماعاً ـ قال : أنشدنا رفيقنا أبو نصر عبد الرحيم بن شيخنا أبى جعفر النفيس ابن هبة الله بن وهبان الحذ ثى لنفسه :

تبلى يدى بعد ما خَطَّت أناملها كأنها لم يكن طوعاً لها القلم
يا نفس ويحك نوحى حسرة وأسًى على زمانك إذ وجداننا عدم
واستدركى فارط الزلات واغتنمى شرخ الشبيبة ، فالأوقات تغتنم
وقدمى صالحاً تزكو عواقبه يوم الحساب إذا ما أفلس الأمم

« والحِديثى » نسبة إلى « الحديثة » مدينة على شاطىء الفرات .

٢٦٩ ـ نصر بن محمد بن على بن أبى الفرج أحمد بن الحصرى الهمدانى البغدادى ، المقرئ المحدث ، الحافظ الزاهد الأديب ، أبو الفتوح بن أبى الفرج . ويلقب برهان الدين . نزيل مكة، وإمام حطيم الحنابلة بها .

ولد فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الكرم الشهرزورى ومسعود بن الحصين ، وأبى المعالى بن السمين ، وسعد الله بن الدجاجى ، وجماعة غيرهم .

وسمع الحديث الكثير من أبى الوقت ، والنقيب أبى طالب محمد بن أبى زيد الحسينى ، وهبة الله بن الشبلى ، وأبى المظفر بن التريكى ، وابن المادح ، والشيخ عبد القادر ، والمبارك بن خضير ، وأحمد بن المقرب ، وابن البطى ، وأبى زرعة ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وأبى بكر بن النقور ، وابن الخشاب ، وعبد الحق اليوسفى ، وشُهدة ، وخلق كثير من البغداديين ، والغرباء . وعنى بهذا الشأن .

وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه الكثير ، ولم يزل يقرأ ويسمع ، ويفيد إلى أن علت سنه ، واشتغل بالأدب ، وحصل طرفاً صالحاً منه ، ثم خرج من بغداد إلى مكة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فاستوطنها ، وأمَّ بها بالحنابلة ، وكان شيخاً صالحاً متعبداً

وقال ابن الديثى : كان ذا معرفة بهذا الشأن ـ يعنى الحديث ـ ونعم الشيخ كان ، عبادة وثقة

وقال ابن نقطة : كان حافظاً ثقة .

وقال ابن النجار : كان حافظاً حجة نبيلا ، جم الفضائل ، كثير المحفوظ من أعلام الدين ، وأئمة المسلمين ، كثير العبادة ، والتهجد والصيام .

وقال ابن مسدى : كان أحد الأئمة الأثبات ، مشاراً إليه بالحفظ

وقال أبو المظفر السبط : سمعت منه بمكة . وكان متعبداً لايفتر من الطواف ، صالحاً ثقة .

وقال أبو الفرج بن الحنبلي : سمعت عليه جزءاً فى المسجد الحرام . وكان إماماً فى علوم القرآن ، ومحدثاً حافظاً وعابداً .

قال لى الملك المحسن أحمد بن الملك الناصر صلاح الدين : مارأيت أعبد من البرهان بن الحصرى كان يعتمر فى رمضان ثلاث عمر فى نهاره وثلاث عمر فى ليله.

وقال لى شيخنا طلحة العلثى ـ ببغداد سنة أربع ، أو خمس ، وسبعين ـ ما فى بغداد مثل البرهان بن الحصرى فى علم القراءات ، ماتقدر تقرأ عليه سورة كاملة من شدة تحريره .

حدث أبو الفتوح بن الحصرى بالكثير ببغداد ، ومكة . وسمع منه خلق كثير من الأئمة والحفاظ ، وغيرهم .

روى عنه ابن الدبيثى ، وابن نقطة ، وابن النجار ، والضياء ، والبرزالى ، وابن خليل ، والسيف الباخرزى ، والتاج ابن القسطلانى ، ومقداد القيسى . وهو خاتمة أصحابه سمع منه كثيرا بمكة . من ذلك: سنن أبى داود بسماعه من أبى طالب ابن أبى زيد العلوى نقيب البصرة ، بسماعه من أبى على التسترى .

والذى ذكره عمر القرشى وغيره : أنه لم يوجد للعلوى سماع من السنن إلا الجزء الأول . وذكر غيره : أن العلوى طولب بأصل سماعه ببغداد ، فانحدر إلى البصرة ، واجتهد ، فلم يجد سماعه إلا فى الجزء الأول . ذكره ابن نقطة .

قال : وذكر شيخنا أبو الفتوح بن الحصرى : أن سماعه ظهر ، قال : ولا أعلم أحدا قال ذلك غيره .

قلت : الحافظ أبو الفتوح ثقة ، لامغمز فيه ، والعلوى غير متهم . وقد ادعى سماع الكتاب ، ولكن لم يظهر له فى ذلك الوقت إلا سماع الجزء الأول . فاحتاطوا وقرأوا عليه الباقى بالإجازة ، إن لم يكن سماعا . فلا يبعد ظهور سماعه

للباقى بعد ذلك ، كما جرى فى سنن ابن ماجة . ويصير السماع متصلا ، لا إجازة فيه على الصحيح ، بل الجمهور على جواز القراءة للكتاب كله بالسماع بمجرد قول الشيخ الثقة . وقد تقدم ذكر هذه المسألة ، وفتاوى العلماء فيها . والله أعلم .

قال الحافظ الضياء : توفى شيخنا الحافظ الإمام ، إمام الحرم ، أبو الفتوح بالمهجم فى المحرم سنة تسع عشرة وستمائة . وذكر ابن مسدى : أنه قصد اليمن فأدركه أجله بالمهجم فى ربيع الآخر من السنة . وكذا ذكر ابن نقطة أنه بلغه .

وقال ابن الحنبلى : مات بالمهجم من أرض اليمن فى شهر ربيع الآخر وقيل : فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة . وهذا القول الثانى نقله غير واحد أيضا . وكان خروجه إلى اليمن بأهله لقحط وقع بمكة . وكان ذا عائلة ، فنزح بهم إلى اليمن فى البحر سنة ثمان عشرة . وقيل : إنه سكن المهجم إلى حين وفاته . رضى الله عنه .

٢٧٠ — عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب ابن عبدالواحد الشيرازى الدمشقى ، ابن الحنبلى الفقيه ، أبو الفضائل ابن أبى العلاء بن شرف الإسلام . ويلقب شهاب الدين . أخو ناصح الدين عبد الرحمن الآتى ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أصغر من الناصح بتسع سنين .

سمع ببغداد من نصر الله القزاز . وأجاز له الحافظ أبو موسى المدينى ، وأبو العباس الترك ، وعبد الحق بن عبد الخالق .

وتفقه وبرع ، وأفتى وناظر ، ودرس بمدرسة جده بدمشق .

قال أبو شامة : هو أخو البهاء والناصح . وهو أصغرهم . وكان أبرعهم فى الفقه والمناظرة والمحاكمات ، بصيرا بما يجرى عند القضاة فى الدعاوى والبينات .

وقال ابن الساعى فى تاريخه : كان فقيها فاضلا خيرا ، عارفا بالمذهب والخلاف .

وقال غيره : وكان ذا قوة وشهامة ، وانتزع مسجد الوزير من يد العالم السخاوى ، وبقى للحنابلة إلى الآن .

قال المنذرى : حدث ، ولقيته بدمشق فى الدفعة الأولى ، ولم يتفق لى السماع منه . ولنا منه إجازة .

توفى فى سابع ربيع الأول سنة تسع عشرة وستمائة . ودفن من الغد بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٢٧١ - عبد الحميد بن مرى بن ماضى بن نامى ، المقدسى الفقيه ، أبو أحمد نزيل بغداد .

سمع الكثير من ابن كليب وطبقته . وحدث عنه بنسخة ابن عرفة ، سمعها منه الحافظ الضياء . وتفقه فى المذهب . وكان حسن الأخلاق صالحاً خيراً ، متودداً .

توفى فى ليلة الثلاثاء ثالث جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة ، ودفن من الغد بباب حرب .

قال ابن النجار : وأظنه جاوز الخمسين بيسيرة ، رحمه الله تعالى .

٢٧٢ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسى ، ثم الدمشقى ، الصالحى الفقيه ، الزاهد الإمام ، شيخ الإسلام ، وأحد الأعلام ، موفق الدين أبو محمد ، أخو الشيخ أبى عمر المتقدم ذكره .

ولد فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل ، ووهم الدبيثى فى ذكر مولده .

وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين ، فقرأ القرآن ، وحفظ مختصر الخرقى ، واشتغل ، وسمع من والده ، وأبى المكارم بن هلال ، وأبى المعالى بن صابر وغيرهم .

ورحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغنى سنة إحدى وستين ، وسمعا الكثير من هبة الله الدقاق ، وابن البطى ، وسعد الله الدجاجى ، والشيخ عبدالقادر ، وابن تاج القراء ، وابن شافع ، وأبى زرعة ، ويحيى بن ثابت ، والمبارك ابن خضير ، وأبى بكر بن النقور ، وشُهدة ، وخلق كثيرة ، وسمع بمكة من المبارك ابن الطباخ ، و بالموصل من خطيبها أبى الفضل .

وأقام عند الشيخ عبد القادر بمدرسته مدة يسيرة ، فقرأ عليه من الخرقى ،

وأقام عند الشيخ عبد القادر بمدرسته مدة يسيرة ، فقرأ عليه من الخرقى ، ثم توفى الشيخ ، فلازم أبا الفتح بن المنى . وقرأ عليه المذهب ، والخلاف والأصول حتى برع ، وأقام ببغداد نحواً من أربع سنين . هكذا ذكره الضياء ، عن أمه ، وهى أخت الشيخ ، ثم رجع إلى دمشق ، ثم عاد إلى بغداد سنة سبع وستين . كذا قال سبط ابن الجوزى .

وذكر الناصح ابن الحنبلى : أنه حج سنة أربع وسبعين ، ورجع مع وفد العراق إلى بغداد ، وأقام بها سنة ، فسمع درس ابن المني ، قال : وكنت أنا قد دخلت بغداد سنة اثنتين وسبعين ، واشتغلنا جميعاً على الشيخ أبى الفتح بن المنى ، ثم رجع إلى دمشق ، واشتغل بتصنيف كتاب « المغنى » فى شرح الخرقى ، فبلغ الأمل فى إتمامه ، وهو كتاب بليغ فى المذهب ، عشر مجلدات ، تعب عليه ، وأجاد فيه وجمل به المذهب .

وقرأه عليه جماعة ، وانتفع بعلمه طائفة كثيرة ، قال : ومشى على سمت أبيه وأخيه فى الخير والعبادة ، وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم .

وقال سبط ابن الجوزى : كان إماماً فى فنون ، ولم يكن فى زمانه ـ بعد أخيه أبى عمر والعماد ـ أزهد ولا أورع منه ، وكان كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها هيناً ليناً متواضعاً ، محباً للمساكين حسن الأخلاق ، جواداً سخياً . من رآه كأنه رأى بعض الصحابة . وكأنما النور يخرج من وجهه ، كثير العبادة ، يقرأ كل يوم وليلة سُبعاً من القرآن ، ولا يصلى ركعتى السنة فى الغالب إلا فى بيته ، اتباعًا للسنة ، وكان يحضر مجالسى دائما فى جامع دمشق وقاسيون .

وقال أيضاً : شاهدت من الشيخ أبى عمر ، وأخيه الموفق ، ونسيبه العماد : ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد ، فأنسانى حالهم أهلى وأوطانى ، ثم عدت إليهم على نية الإقامة ، عسى أن أكون معهم فى دار المقامة .

وقال ابن النجار : كان الشيخ موفق الدين إمام الحنابلة بالجامع . وكان

ثقة حجة نبيلا ، غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، دائم السكوت ، حسن السمت ، نزهاً ورعاً عابداً على قانون السلف ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة ، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه ، صنف التصانيف المليحة فى المذهب والخلاف ، وقصده التلامذة والأصحاب ، وسار اسمه فى البلاد ، واشتهر ذكره . وكان حسن المعرفة بالحديث ، وله يد فى علم العربية .

وقال عمر بن الحاجب الحافظ فى معجمه : هو إمام الأئمة ، ومفتى الأمة . خصه الله بالفضل الوافر ، والخاطر الماطر ، والعلم الكامل . طنت فى ذكره[١] الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار . قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية . فأما الحديث : فهو سابق فرسانه . وأما الفقه : فهو فارس ميدانه ، أعرف الناس بالفتيا . وله المؤلفات الغزيرة . وما أظن الزمان يسمح بمثله ، متواضع عند الخاصة والعامة ، حسن الاعتقاد ، ذو أناة وحلم ووقار . وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير . وصار فى آخر عمره يقصده كل أحد . وكان كثير العبادة دائم التهجد ، لم ير مثله ، ولم ير مثل نفسه .

وقال أبو شامة : كان شيخ الحنابلة موفق الدين إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين فى العلم والعمل . صنف كتباً حساناً فى الفقه وغيره ، عارفاً بمعانى الأخبار والآثار . سمعت عليه أشياء . وكان بعد موت أخيه أبى عمر هو الذى يؤم بالجامع المظفرى ، ويخطب يوم الجمعة إذا حضر . فإن لم يحضر فعبد الله بن أبى عمر هو الخطيب والإمام . وأما بمحراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلى فيه الموفق إذا كان حاضراً فى البلد ، وإذا مضى إلى الجبل صلى العماد أخو عبد الغنى ، وبعد موت العماد : كان يصلى فيه أبو سليمان بن الحافظ عبد الغنى ، مالم يحضر الموفق وكان بين العشائين يتنفل حذاء المحراب . وجاءه مرة الملك العزيز بن العادل يزوره ، فصادفه يصلى ، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته . ثم اجتمع

(١) فى مخطوط الثقافة « بكده »

به ولم يتجوز فى صلاته . وكان إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضى إلى بيته بالرصيف، ومعه من فقراء الحلقة من قدره الله تعالى . فيقدم لهم ماتيسر يأكلونه معه .

ومن أظرف ماحكى عنه : أنه كان يحمل فى عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس من الفتاوى والإجازات وغيرها . فاتفق ليلة خطفت عمامته ، فقال لخاطفها : يا أخى خذ من العمامة الورقة المصرورة بما فيها ورد العمامة أغطى بها رأسى وأنت فى أوسع الحل مما فى الورقة . فظن الخاطف أنها فضة ورآها ثقيلة ، فأخذها ورد العمامة . وكانت صغيرة عتيقة . فرأى أخذ الورقة خيراً منها بدرجات . فخلص الشيخ عمامته بهذا الوجه اللطيف .

وبلغنى من غير وجه عن الإمام أبى العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال : مادخل الشام ــ بعد الأوزاعى ــ أفقه من الشيخ الموفق .

وقد أفرد الحافظ الضياء ، سيرة الشيخ فى جزئين . وكذلك أفردها الحافظ الذهبى .

قال الضياء : كان رحمه الله إماماً فى القرآن وتفسيره ، إماماً فى علم الحديث ومشكلاته ، إماماً فى الفقه ، بل أوحد زمانه فيه ، إماماً فى علم الخلاف ، أوحد زمانه فى الفرائض ، إماماً فى أصول الفقه ، إماماً فى النحو ، إماماً فى الحساب ، إماماً فى النجوم السيارة والمنازل . قال : ولما قدم بغداد قال له الشيخ أبو الفتح بن المنى : اسكن هنا ؛ فإن بغداد مفتقرة إليك ، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك .

وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيما كثيراً ، ويدعو له ، ويقعد بين يديه ، كما يقعد المتعلم من العالم .

وسمعت الإمام المفتى شيخنا أبا بكر محمد بن معالى بن غنيمة ببغداد يقول : ما أعرف أحداً فى زمانى أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق .

وسمعت أبا عمرو بن الصلاح المفتى يقول : ما رأيت مثل الشيخ الموفق .

وقال الشيخ عبد الله اليونيني : ما أعتقد أن شخصاً ممن رأيته حصل له من الكمال فى العلوم والصفات الحميدة التى يحصل بها الكمال سواه . فإنه رحمه الله كان كاملا فى صورته ومعناه من الحسن والإحسان ، والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة ، والأخلاق الجميلة ، والأمور التى ما رأيتها كملت فى غيره . وقد رأيت من كرم أخلاقه ، وحسن عشرته، ووفور حلمه ، وكثرة علمه وغزير فطنته ، وكمال مروءته ، وكثرة حيائه ، ودوام بشره ، وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها ، والمناصب وأربابها : ما قد عجز عنه كبار الأولياء . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره » فقد ثبت بهذا أن إلهام الذكر أفضل من الكرامات ، وأفضل الذكر مايتعدى نفعه إلى العباد ،وهو تعليم العلم والسنة ، وأعظم من ذلك وأحسن : ما كان جِبِلَّة وطبعاً ، كالحلم والكرم والعقل والحياء ، وكان الله قد جبله على خلق شريف ، وأفرغ عليه المكارم إفراغا ، وأسبغ عليه النعم ، ولطف به فى كل حال .

قال : وكان لا يناظر أحداً إلا وهو يتبسم ، حتى قال بعض الناس : هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه .

قال : وأقام مدة يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق ، يناظر فيها بعد الصلاة . ثم ترك ذلك فى آخر عمره . وكان يشتغل عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار . ثم يقرأ عليه بعد الظهر ، إما من الحديث أو من تصانيفه إلى المغرب . وربما قرأ عليه بعد المغرب وهو يتعشى . وكان لا يرى لأحد ضجرا . وربما تضرر فى نفسه ولا يقول لأحد شيئاً .

ذكر شيء من كراماته

قال سبط ابن الجوزى : حكى أبو عبد الله بن فضل الاعتاكى قال : قلت فى نفسى : لو كان لى قدرة لبنيت للموفق مدرسة ، وأعطيته كل يوم ألف درهم .

قال : فجئت بعد أيام ، فسلمت عليه ، فنظر إلىَّ وتبسم ، وقال : إذا نوى الشخص نية كتب له أجرها .

وحكى أبو الحسن بن حمدان الجرائحى قال : كنت أبغض الحنابلة ، لما شنع عليهم من سوء الاعتقاد . فمرضت مرضاً شنج أعضائى ، وأقمت سبعة عشر يوماً لا أتحرك ، وتمنيت الموت . فلما كان وقت العشاء جاءنى الموفق ، وقرأ علي آيات وقال (وننزل من القرآن ما هو شفاء للناس ورحمة للمؤمنين) ومسح على ظهرى فأحسست بالعافية ، وقام . فقلت : يا جارية ، افتحى له الباب . فقال : أنا أروح من حيث جئت . وغاب عن عينى ، فقمت من ساعتى إلى بيت الوضوء . فلما أصبحت دخلت الجامع ، فصليت الفجر خلف الموفق ، وصافحته ، فعصر يدى وقال : احذر أن تقول شيئاً . فقلت : أقول وأقول .

وقال قوام جامع دمشق : كان ليلة يبيت فى الجامع ، فتفتح له الأبواب فيخرج ويعود ، فتغلق على حالها .

وحدث العفيف كتائب بن أحمد بن مهدى البانياسى ـ بعد موت الشيخ الموفق بأيام ـ قال : رأيت الشيخ الموفق على حافة النهر يتوضأ . فلما توضأ أخذ قبقابه ومشى على الماء إلى الجانب الآخر ، ثم لبس القبقاب ـ وصعد إلى المدرسة ـ يعنى مدرسة أخيه أبي عمر ـ ثم حلف كتائب بالله لقد رأيته ، ومالى فى الكذب حاجة ، وكتمت ذلك فى حياته . فقيل له : هل رآك ؟ قال : لا . ولم يكن ثم أحد ، وذلك وقت الظهر . فقيل له : هل كانت رجلاه تغوص فى الماء ؟ قال : لا ، إلا كأنه يمشى على وطاء رحمه الله .

وقرأت بخط الحافظ الذهبى : سمعت رفيقنا أبا طاهر أحمد الدريبى سمعت الشيخ إبراهيم بن أحمد بن حاتم ـ وزرت معه قبر الشيخ الموفق ـ فقال : سمعت الفقيه محمد اليونينى شيخنا يقول : رأيت الشيخ الموفق يمشى على الماء[1] .

---

(١) كان أولى بهذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتوح البلدان

ذكر تصانيفه

صنف الشيخ الموفق رحمه الله التصانيف الكثيرة الحسنة فى المذهب ، فروعاً وأصولا . وفى الحديث ، واللغة ، والزهد ، والرقائق . وتصانيفه فى أصول الدين فى غاية الحسن ، أكثرها على طريقة أئمة المحدثين ، مشحونة بالأحاديث والآثار ، و بالأسانيد ، كما هى طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث . ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ، ولو كان بالرد عليهم . وهذه طريقة أحمد والمتقدمين . وكان كثير المتابعة المنقول فى باب الأصول وغيره ، لا يرى إطلاق مالم يؤثر من العبارات ، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء فى الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تفسير ولا تكييف ، ولا تمثيل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل .

فمن تصانيفه فى أصول الدين « البرهان فى مسألة القرآن » جزء « جواب مسألة وردت من صرخد فى القرآن » جزء « الاعتقاد » جزء « مسألة العلو » جزآن « ذم التأويل » جزء « كتاب القدر » جزآن « فضائل الصحابة » جزآن . وأظنه « منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين » ، « رسالة » إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية فى تخليد أهل البدع فى النار « مسألة » فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام .

ومن تصانيفه فى الحديث « مختصر العلل » للخلال ، مجلد ضخم « مشيخة شيوخه » جزء . وأجزاء كثيرة خر:ها .

ومن تصانيفه فى الفقه «المغنى فى الفقه» عشر مجلدات « الكافى فى الفقه » أربع مجلدات « المقنع فى الفقه » مجلد « مختصر الهداية » مجلد « العمدة » مجلد صغير « مناسك الحج » جزء « ذم الوسواس» جزء . وفتاوى ومسائل منثورة ، ورسائل شتى كثيرة .

ومن تصانيفه فى أصول الفقه « الروضة » مجلد .

وله فى اللغة والأنساب ونحو ذلك « قنعة الأريب فى الغريب » مجلد صغير « التديين فى نسب القرشيين » مجلد « الاستبصار فى نسب الأنصار » مجلد .

وله فى الفضائل والزهد والرقائق ونحو ذلك « كتاب التوابين » جزآن « كتاب المتحابين فى الله » جزآن « كتاب الرقة والبكا » جزآن « فضائل عاشوراء » جزء « فضائل العشر » جزء .

وانتفع بتصانيفه المسلمون عموما ، وأهل المذهب خصوصاً . وانتشرت واشتهرت بحسن قصده و إخلاصه فى تصنيفها . ولا سيما كتاب « المغنى » فإنه عظم النفع به ، وأكثر الثناء عليه .

قال الحافظ الضياء : رأيت الإمام أحمد بن حنبل فى النوم وألقى عليّ مسألة فى الفقه . فقلت : هذه فى الخرقى . فقال : ماقصر صاحبكم الموفق فى شرح الخرقى

وقرأت بخط الحافظ الديبثى قال : سمعت الشيخ علاء الدين المقدسى - قلت وقد أجاز لى المقدسى هذا - قال: سمعت شيخنا أبا العباس ابن تيمية - قال الذهبى : وأظننى سمعت من شيخنا ابن تيمية - يقول: قال لى الشيخ تاج الدين عبد الرحمن ابن إبراهيم الفزازى : كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخنا يرسلنى أستعير له المحلى والمجلي من ابن عربى ، وقال : قال الشيخ عز الدين : مارأيت فى كتب الاسلام فى العلم مثل المحلى والمحلى ، وكتاب المغنى للشيخ موفق الدين بن قدامة فى جودتهما وتحقيق مافيها .

ونقل عن ابن عبد السلام أيضاً أنه قال : لم تطب نفسى بالفتيا حتى صار عندى نسخة المغنى .

وقد سبق قول الناصح بن الحنبلى فى مدح المغنى ، مع أنه قد كان يسامى الشيخ فى زمانه .

وللشيخ يحيى الصرصرى فى مدح الشيخ وكتبه ، فى جملة القصيدة الطويلة اللامية :

وفى عصرنا كان الموفق حجة ... على فقهه ، يثبت الأصول محولى
كفى الخلق بالكافى ، وأقنع طالباً ... بمقنع فقه عن كتاب مطول
وأغنى بمغنى الفقه من كان باحثاً ... وعمدته من يعتمدها يحصل
وروضته ذات الأصول كروضة ... أماست بها الأزهار أنفاس شمأل
تدل على المنطوق أوفى دلالة ... وتحمل فى المفهوم أحسن محمل

وللشيخ موفق الدين نظم كثير حسن . وقيل : إن له قصيدة فى عويص اللغة طويلة . وله مقطعات من الشعر . فمنها قوله :

أتغفل يا ابن أحمد والمنايا ... شوارع تخترمنك عن قريب
أغرك أن تخطتك الرزايا ... فكم للموت من سهم مصيب ؟
كؤوس الموت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب
إلى كم تجعل التسويف دأباً ... أما يكفيك إنذار المشيب ؟
أما يكفيك أنك كل حين ... تمرّ بقبر خلٍّ أو حبيب ؟
كأنك قد لحقت بهم قريباً ... ولا يغنيك إفراط النحيب

قال سبط ابن الجوزى : وأنشدنى الموفق لنفسه :

أبعد بياض الشعر أعمّر مسكناً ... سوى القبر ؟ إنى إن فعلت لأحمق
يخبرنى شيبى بأنى ميت ... وشيكا ، وينعانى إلىّ ، فيصدق
تخرق عمرى كل يوم وليلة ... فهل مستطيع رَفْق مايتخرق
كأنى بجسمى فوق نعشى ممدداً ... فمن ساكت أو معول يتحرق
إذا سئلوا عنى أجابوا وأعولوا ... وأدمعهم تنهل : هذا الموفق
وغيبت فى صدع من الأرض ضيق ... وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحثو علىّ الترب أوثق صاحب ... ويسلمنى للقبر من هو مشفق
فيا رب كن لى مؤنساً يوم وحشتى ... فإنى لما أنزلته لمصدق

وما ضرنى إنى إلى الله صائر ومن هو من أهلى أبرّ وأرفق

قال أبو شامة : ونقلت من خطه :

لا تجلسن بباب من يأبى عليك دخول داره

ويقول حاجاتى إليـه يعوقها إن لم أداره

وأتركه واقصد ربهـا تقضى وربّ الدار كاره

تفقه على الشيخ موفق الدين خلق كثير . منهم ابن أخيه الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر ، والمراتبى .

وسمع منه الحديث خلائق من الأئمة والحفاظ وغيرهم . وروى عنه ابن الدبيثى ، والضياء ، وابن خليل ، والمنذرى .

وحدث ببغداد . وسمع منه بها رفيقه أبو منصور عبد العزيز بن طاهر بن ثابت الخياط المقرى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

توفى رحمه الله يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق وصلى عليه من الغد . وحمل إلى سفح قاسيون . فدفن به . وكان له جمع عظيم . امتد الناس فى طرق الجبل فملؤوه .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى : حكى إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادى قال : رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء . فلحقنى غم شديد . فتوفى الموفق يوم العيد .

قال : ورأى أحمد بن سعد ـ أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسى ، وكان أحمد هذا من الصالحين ـ قال : رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة ، وقائل يقول : انزلوا بالنوبة . فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ينقلون روح الموفق الطيبة فى الجسد الطيب .

قال : وقال عبد الرحمن بن محمد العلوى : رأيت كأن النبى صلى الله عليه وسلم مات ، وقبر بقاسيون يوم عيد الفطر . قال : وكنا بجبل بنى هلال . فرأينا على

قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيما ، فظننا أن دمشق قد احترقت . وخرج أهل القرية ينظرون إليه ، فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد . ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

قال سبط ابن الجوزى : وكان له أولاد : أبو الفضل محمد ، وأبو العز يحيى ، وأبو المجد عيسى . ماتوا كلهم فى حياته . ولم أدرك منهم غير عيسى . وكان من الصالحين . وله بنات .

قال : ولم يعقب من ولد الموفق سوى عيسى ، خلف ولدين صالحين وماتا ، وانقطع عقبه .

قلت: أما أبوالفضل محمد : فولد فى ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . وكان شاباً ظريفاً فقيهاً . تفقه على والده ، وسافر إلى بغداد ، واشتغل بالخلاف على الفخر إسماعيل . وسمع الحديث .

وتوفى فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بهمدان . وقد كمل ستا وعشرين سنة رحمه الله .

وأما أبو المجد عيسى: فيلقب مجد الدين . تفقه وسمع الحديث الكثير بدمشق من جماعة كثيرة من أهلها ، ومن الواردين عليها وسمع بمصر من إسماعيل بن ياسين ، والبوصيرى ، والارتاحى ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وغيرهم . وحدث . ذكره المنذرى ، وقال : ولى الخطابة والإمامة بالجامع المظفرى بسفح قاسيون . قال : واجتمعت معه بدمشق ، وسمعت معه من والده .

وتوفى فى جمادى الآخرة فى خامسه ـ أو سادسه ـ سنة خمس عشرة وستمائة رحمهم الله تعالى .

ومما رثى به الشيخ موفق الدين رحمه الله ما قاله فيه الشيخ صلاح الدين أبو عيسى موسى بن محمد بن خلف بن راجح المقدسى فى قصيدة له :

لم يبق لى بعد الموفق رغبة   فى العيش ، إن العيش سم منقع
صدر الزمان وعينه وطرازه   ركن الأنام الزاهد المتورع

بحر العلوم أبو الفضائل كلها شمل الشريعة بعده لا يجمع
كان ابن أحمد فى مقام محمد إن هالهم أمر إليه يفزعوا
فيبين مشكله ، ويوضح سره ويذب عن دين الإله ويدفع
ببصيرة يجلو الظلام ضياؤها يبدى العجائب ، نورها يتشعشع
فاليوم قد أضحى الزمان وأهله غرضا لكل بلية تتنوع
والعلم قد أمسى كأن بواكيا تبكى عليه وحبله يتقطع
وتعطلت تلك المجالس ، وانقضت تلك المحافل ، ليتها لو ترجع
هيهات بعدك يا موفق يرتجى للناس خير ، أو مقال يسمع
لله درك كم لشخصك من يد بيضاء فى كل الفضائل ترتع
قد كنت عبداً طائعاً لا تنثنى عن باب ربك فى العبادة توسع
كم ليلة أحييتها وعمرتها والله ينظر والخلائق هجع
تتلو كتاب الله فى جنح الدجى كزبور داود النبى ترجع
لو كان يمكن من فدائك رخصة لفدتك أفئدة عليك تقطع

ذكر نبذة من فتاويه ، ومسائله من غير كتبه المشهورة

قرأت بخط بعض أصحابه ، قال الشيخ موفق الدين فى مسألة : ماإذا اجتمع جنب وحائض ، ووجدا من الماء مايكفى أحدهما . قال : إن كانت المرأة زوجة للرجل ، فهى أحق ؛ لأنها تبيح له الوطء ، وهو يرجع إلى بدل ، وإن كانت أجنبية منه ، فهو أحق ؛ لأنه يستبيح الصلاة ، وهى ترجع إلى التيمم .

وسئل إذا أعتقت الجارية : هل يجب عليها أن تستبرىء نفسها بحيضة ، أم بثلاث ؟ قال : إن كانت تعلم أن سيدها لم يكن يطؤها ، لم يجب عليها الاستبراء إلا فى صورة واحدة ، وهى فيما إذا اشتراها فأعتقها ، فأراد أن يتزوجها : يجب عليها الاستبراء بحيضة ، وإن كانت تعلم أنه كان يطؤها : وجب عليها استبراء نفسها

بحيضة ، وإلحاقها بالإماء أولى من إلحاقها بالحرائر ؛ لأن المقصود هو الاستبراء ، وذلك حاصل بحيضة واحدة ، ولأن الثلاث : إما عدة عن نكاح ، أو مايشبهه وهو الوطء بالشبهة . وكل واحد منهما منتف هنا .

وقال فيما إذا اتفقت التصرية من غير قصد البائع : يتخير ، كما يتخير لو قصدها ، وفيما إذا ردها المشترى بعيب سوى التصرية : يجب الصاع من التمر ، قيل له : هى من ضمانه ، فيكون اللبن بمنزلة الخراج ؟ قال: اللبن ورد عليه العقد،وكان موجوداً بخلاف غيره من المنافع والخراج .

وسئل عن الجارية المشتركة بين جماعة : هل يجوز لكل واحد النظر إلى عورتها ؟ فقال : لا يجوز ذلك ، وخالف هذا ماإذا كان العبد مشتركا بين نساء يجوز لهن النظر إليه ، لأن المجوز للنظر هٰهنا هو الحاجة إلى الاستخدام ، وهو موجود فى العبد المشترك ، والنظر إلى عورة الجارية : إنما جاز لتمكنه من الوطء ، وهو هٰهنا منتف للاشتراك .

وسئل إذا كان على أعضاء وضوئه كلها جراحة ، أيجزيه أن يغسل الصحيح ثم يتيمم لها تيمماً واحداً ؟ قال : لا ، بل يغسل العضو الأول ويتيمم له ، وكذلك الثانى والثالث والرابع ، فيتيمم أربع تيممات .

وقال فيمن أعتق أباه فى مرض موته : الأقيس أنه لايرث ، والمذهب الإرث .

وقال أبو الخطاب : إذا أقرّ فى مرض موته بعتق ابن عمه ، يعتق ولا يرث .

ومما نقلته من خط السيف بن المجد من فتاوى جده الشيخ موفق الدين — وقد سئل عن معاملة من فى ماله حرام ؟ فأجاب : الورع : اجتناب معاملة من فى ماله حرام ، فإن من اختلط الحرام فى ماله : صار فى ماله شبهة بقدر مافيه من الحرام ، إن كثر الحرام كثرت الشبهة ، وإن قلّ قلت ، وذكر حديث «الحلال بيِّن ، والحرام بيّن» وأما فى ظاهر الحكم : فإنه يباح معاملة من لم يتعين التحريم فى الثمن الذى يؤخذ منه ؛ لأن الأصل : أن ما فى يد الإنسان ملكه

وقد قال بعض السلف : بع الحلال ممن شئت ، يعنى إذا كانت بضاعتك حلالا فلا حرج عليك فى بيعها ممن شئت ، ولكن الورع : ترك معاملة من فى ماله الشبهات ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « دع مايَريبك إلى مالا يريبك » .

وسئل عما إذا تعين ثمن خمر أو خنزير من الكافر : ماالحكم فى أخذه منهم ، يعنى بعقد ونحوه ؟ وكان قد أجاب قبله ابن المتقنة الرحبى الشافعى : لا يجوز ذلك ، إذا تعين . فأجاب الشيخ موفق الدين : الأولى تركه . ويجوز أخذه إذا كان جائزاً فى دينهم ؛ لأننا أقررناهم على مايعتقدون من دينهم .

وسئل عن خلافة أبى بكر : ثبتت بالنص أو بالقياس ؟ فأجاب ابن المتقنة : ثبتت بإجماع الصحابة واتفاقهم . فكتب الشيخ الموفق : ثبتت بنص النبى صلى الله عليه وسلم ، فى أخبار كثيرة ، ذكر بعضها .

وسئل ابن المتقنة فى بعض ذكر الحرب تكرر « حرب عوان » ماالعوان فى اللغة ؟ فأجاب : « العوان » أشد مايكون . فضرب الشيخ على الجواب وكتب : الحرب التى تقدمها حرب أخرى .

قال السيف : وكتب ابن الجوزى عن كلام شيخ الإسلام الأنصارى : كان عبد الله الأنصارى يميل إلى التشبيه . فلا يقبل قوله ، فألحق جدى : حاشاه من التشبيه ، ولا يقبل قول ابن الجوزى فيه .

وقال فى القرية التى فيها أربعون يسمعون النداء من المصر : إنهم مخيرون بين إقامة الجمعة بهـا ، وبين السعى إلى المصر . قال : وهو أولى ، للخروج من الخلاف . قال : فإن كانت قرية فيها أربعون ، وقرية فيها دون الأربعين : فإن مضى الأقل إلى الأكثر ، فأقاموا عندهم الجمعة : جاز ، وبالعكس لايجوز ، وإن جاء إلى أهل الأربعين إمام من غيرهم ، فأقام بهم الجمعة : جاز ؛ لأنه ممن تجب عليه الجمعة ، فجاز أن يكون إماماً لغيره من أهل القرية .

ونقل ابن حمدان الحرانى : أن قاضى حران أرسل سؤالا إلى الشيخ

موفق الدين فى وكيل الغائب ، إذا طالب بدين موكله ، فادعى المدين : أن موكله قد استوفى دينه ، فهل للقاضى دفع الوكيل ومنعه من الاستيفاء ، حتى يحلف الموكل : أنه ما استوفى ولا أبرأ ؟

فأجاب الشيخ موفق الدين : إن الوكيل لا يتمكن من الاستيفاء ، من غير يمين موكله ، وعلل بأن الموكل لو كان حاضراً ما استحق الاستيفاء بغير يمين ، والوكيل قائم مقامه .

وذكر ابن حمدان : أن الناصح ابن أبى الفهم أنكر ذلك . وقال : لاخلاف فى المذهب أن الوكيل لايمتنع من الاستيفاء بذلك. وأخرج كلام القاضى وابن عقيل فى المجرد بما يقتضى ذلك . وذكر عن بعض الشافعية : أنه حكى فى هذه المسألة خلافاً بينهم .

قال الناصح : وقد ذكر الموفق فى الكافى : أن الدعوى على الغائب لاتسمع إلا ببينة ، ودعوى المدين الإبراء والاستيفاء هٰهنا دعوى بلا بينة على غائب ، فكيف تسمع ؟ ثم أرسل هذا إلى الشيخ الموفق .

فأجاب : أما المسألة التى فى الوكالة : فإنما أفتيت فيها باجتهادى ، بناء على ما ذكرت من التعليل . فإذا ظهر قول الأصحاب وغيرهم بخلافه فقولهم أولى . والرجوع إلى قولهم متعين ، لكن ما ذكره بعض الشافعية يدل على أنها مختلف فيها ، وأنها مما يسوغ فيه الاجتهاد . وأما قولى وقول الفقهاء « لا تسمع الدعوى على الغائب إلا ببينة » فإنما أريد بها الدعوى التي إذا سكت صاحبها ترك ، وإذا سكت المدعى عليه لم يترك ؛ لأن سماع هذه الدعوى لا يفيد شيئاً . إذ مقصودها القضاء على المدعى عليه . فإذا خلت عن بينة ، ولم يكن المدعى عليه حاضراً ، لم تفد الدعوى شيئاً . إذ لا يمكن القضاء بغير بنية ، ولا إقرار ، ولا نكول ، ولا رد يمين . والدعوى هٰهنا تراد للمنع من القضاء عليه . وذلك ممكن مع الغيبة ، وسماع الدعوى مفيد .

ومن مباحثه الحسنة : نقلت من خط بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي : سئل شيخنا موفق الدين عن قول الخرقي : وإن أقر المحجور عليه بما يوجب حداً أو قصاصاً ، أو طلق زوجته لزمه ذلك . وإن أقر بدين لم يلزمه في حال حجره ، ما الفرق بينهما ؟ فقال : الفرق بينهما : أن الإقرار بالدين إقرار بالمال ، والمال محجور عليه فيه . فلو قبلنا إقراره في المال أدى ذلك إلى فوات مصلحة الحجر ، وهو أنه يقر لهذا بدين ولهذا . فيفوت عليه ماله . فلا يلزمه الإقرار فيه . وأما الإقرار بالحد والقصاص أو طلاق الزوجة : فإنه إقرار بشيء لم يحجر عليه فيه ، فلزمه ، كما لولده أن يحجر عليه . وأيضاً فإنه إذا لزمه الإقرار في الحد والقصاص أدى إلى فوات حقه . وإذا لزمه الإقرار في المال أدى إلى فوات حقوق الغرماء. فلزمه الإقرار على نفسه ، ولم يلزمه فيما يعود إلى غيره .

فقيل له : على هذا : أن الاقرار بالحد أيضا يؤدى إلى فوات حقوق الغرماء فيما إذا كان الحاكم قد أخذه ليقضي دينه ، على الرواية التي تقول : إنه إذا كان ذا صنعة ، فإن الحاكم يؤجره ليقضي بقية دينه . ومع هذا فقد ألزمناه بالإقرار .

فقال : إنما يفوت ضمنا وتبعا . ويصير كما نقول في الزوجة : إنها إذا أقرت بالحد أو القصاص لزمها ، وإن فات حق الزوج .

فقيل له : فما تقول في الحامل إذا أقرت بما يوجب حدا أو قصاصا ، أليس إنه ينتظر بها حتى تلد ؟ فقال : هٰهنا يمكن الجمع بين الحقين ، بخلاف مانحن فيه.

قلت : قد يقال في صورة إيجار المفلس لوفاء بقية دينه : كان يمكن الجمع بين الحقين بتأخير استيفاء القصاص إلى أن يوفي الدين من كسبه .

وقد يجاب عنه بأن الحامل أخرت لئلا تزهق بالاستيفاء منها نفس معصومة . فلا فرق بين أن يثبت الحد أو القصاص عليها بالإقرار أو البينة . وهٰهنا لو ثبت الحد أو القصاص ببينة لم يؤخر إلى أن يوفي بقية الدين . فكذا إذا ثبت بالإقرار فإن التهمة في مثل هذا منتفية .

ومن فتاويه المتعلقة بعلم الحديث ـ نقلتها من خط الحافظ أبي محمد البرزالي رحمه الله ـ سئل : هل تجوز الرواية من نسخة غير معارضة ؟

فأجاب : إذا كان الكاتب معروفاً بصحة النقل وقلة الغلط جازت الرواية

وسئل : إذا لم يذكر القارئ الإسناد في أول الكتاب ، وذكره في آخره ، وقال : أخبرك به فلان عن فلان ، وأقر الشيخ بذلك فهل يجزيه ؟

فأجاب : يجوز إذا قال له ذلك عقيب قراءته عليه ، وإلا فلا .

وسئل : هل يصح السماع بقراءة الصبي والفاسق ؟

فأجاب : إن كان له مقابل صح ، وإلا فهو بمنزلة روايته .

وسئل : هل يجوز الكتبة والمطالعة ، أو الإغفاء يسيرا ، في وقت السماع أو يجوز للشيخ أن يكتب ويقرأون عليه ؟

فأجاب : ما رأينا أحدا يحترز من هذا .

وسئل : إذا سقط من متن الحديث حرف أو حرف أو ألف ، هل يجوز إثباتها ؟ وهل يجب إصلاح لحن من جهة الإعراب ؟

فأجاب : يجوز إصلاحه . قال الأوزاعي : يصلح اللحن والخطأ والتحريف في الحديث .

وسئل : إذا وجد في كتابه اسماً مصحفاً أو كلمة ، وهو كذلك في سماع شيخه . فهل يجوز له أن يغيره في كتابه على الصواب ؟ أجاب : له تغييره . والله أعلم .

٢٧٣ ـ إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن البرني ، البغدادي الحربي ، ثم الموصلي الواعظ المحدث ، أبو إسحاق بن أبي منصور ، ويلقب برهان الدين .

ولد في ثاني عشر ذي الحجة سنة ست وأربعين وخمسمائة . وكانت ولادته بالموصل . كذا ذكر المنذري ، وابن الساعي وغيرهما .

وقال القطيعي : كان مولده سنة ست وأربعين وخمسمائة بالحربية . كذا قال

وقال ابن نقطة : انتقل إلى الموصل قديما . وهذا يدل على أنه ولد ببغداد — وهو الأشبه — فان أباه بغدادي . ولا يعرف أنه سكن الموصل . وقد روى عنه القطيعي ، وقال : قال لى « البرانى » لقب جدى لأمى . وأما جدى لأبى : فيعرف بالجبى .

سمع أبو إسحاق ببغداد من ابن البطى ، وأبى طاهر أحمد بن على بن المعمر الحسيني ، وأبى على بن الرحبي ، وأبى بكر بن النقور ، ونصر الله القزاز ، وشهدة ، وغيرهم . وتفقه بها فى المذهب — لعله على ابن المنى — وقرأ الوعظ على ابن الجوزى ، وولى مشيخة دار الحديث التى لابن مهاجر بالموصل . وحدث بالموصل وسنجار ، ووعظ .

قال الناصح ابن الحنبلى : كان واعظا فاضلا من أهل السنة ، لم يكن بالموصل أعرف بالحديث والوعظ منه .

وقال المنذرى : كان فاضلا متدينا . ولنا منه إجازة .

وقال ابن الساعى : شيخ خير ، قدم بغداد مرارا . وأنشدنى قطعا من الشعر . أنشدنى فى التواضع إملاء من حفظه :

كم جاهل متواضع ستر التواضعَ جهله
ومميزا فى علمه هدم التكبر فضله
فالكبر عيب للفتى أبدا يقبح فعله

قال : وأنشدنى أيضا :

ما هذه الدنيا بدار مسرة فتخوفن مكرا لها وخداعا
بينا الفتى فيها يسر بنفسه وبماله يستمتع استمتاعا
حتى سقته من المنية شربة لا يستطيع لما عراه دفاعا
لو كان ينطق ، قال من تحت الثرى فليحسن العمل الفتى ما اسطاعا

وقال ابن نقطة : سمعت منه بالموصل ، فى القدمة الثانية إليها . وكان فيه تساهل فى الرواية ، يحدث من غير أصول .

وذكر ابن القطيعى : أنه روي بالموصل « اعتلال القلوب » للخرائطى عن نصر الله القزاز بسماعه من ابن العلاف ، قال: فقلت: لقد حرصنا ببغداد على أن نجد له أصل سماع من ابن العلاف ، فلم نجد . فقال : عبد المغيث وابن شافع ذكرا لي أن هذا الـكتاب سماعه منه . قال : فطلبت منه : مَنْ سمع ذلك معه منهما ؟ فلم يكن معه فى الطبقة مشهور بالطلب . ثم بعد أيام رأيت ابن القزاز فى المنام ، فقال لى : اشتهيت أن كل نسخة بهذا الـكتاب تروى عنى أحرقها .

قلت : المتأخرون يتساهلون فى هذا الباب كثيرا ، ويسمعون من غير أصول ، ويكتفون بقول بعض الناس : إن هذا الـكتاب سماع فلان ، فيقرأونه عليه . وليس هذا عندهم منكراً . وقد أجاز ابن البرنى لعبد الصمد بن أبى الجيش .

وتوفى فى غرة محرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة بالموصل . ودفن بمقبرة المعافى بن عمران رضى الله عنه .

وقال ابن الساعى : توفى ثانى المحرم .

٢٧٤ ـ محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله ابن تيمية الحرانى ، الفقيه المفسر ، الخطيب الواعظ ، فخر الدين ، أبو عبد الله بن أبى القاسم ، شيخ حران وخطيبها .

ولد فى أواخر شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، بحران ، وقرأ القرآن على والده ، وله عشر سنين . وكان والده زاهداً ، يعد من الأبدال . وشرع فى الاشتغال بالعلم من صغره ، وتردد إلى أبى الـكرم فتيان بن مياح ، وأبى الحسن ابن عبدوس وغيرهما ، ثم ارتحل إلى بغداد ، وسمع بهـا الحديث من المبارك ابن خضير ، وأبى الفتح بن البطى ، وسعد الله بن الزجاجى ، ويحيى بن ثابت ابن بندار ، وأبى بكر بن النقور ، وأبى الفضـل بن شافع ، وعلى بن عساكر البطايحى ، وأبى الحسين اليوسفى ، وأخيه أبى نصر ، وأبى الفتح بن شاتيل ،

وشهدة ، وغيرهم . وسمع أيضاً بحران من أبى النجيب السهروردى ، وأبى الفتح أحمد بن الوفاء ، وأبى الفضل حامد بن أبى الحجر .

وتفقه ببغداد على أبى الفتح بن المنى ، وأبى العباس بن بكروس ، وبحران على أحمد بن أبى الوفاء ، وحامد بن أبى الحجر ، وأخذ عنه التفسير أيضاً ، ولازم أبا الفرج بن الجوزى ببغداد ، وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، وقرأ عليه كتابه « زاد المسير فى التفسير » قراءة بحث وفهم ، وقرأ الأدب على أبى محمد بن الخشاب ، وبرع فى الفقه والتفسير وغيرهما ، ورجع إلى بلده ، وجَدَّ فى الاشتغال والبحث ، ثم أخذ فى التدريس والوعظ والتصنيف ، وشرع فى إلقاء التفسير بكرة كل يوم بجامع حران فى سنة ثمان وثمانين ، وواظب على ذلك حتى قرأ القرآن الكريم خمس مرات ، انتهى آخرها إلى سنة عشر وستمائة ، فكان مجموع ذلك فى ثلاث وعشرين سنة ، ذكر ذلك فى أول تفسيره الذى صنفه .

وكان الشيخ فخر الدين رجلا صالحاً ، يذكر له كرامات وخوارق ، وولى الخطابة والإمامة بجامع حران ، والتدريس بالمدرسة النورية بها ، وبنى هو مدرسة بحران أيضاً .

قال الناصح ابن الحنبلى : انتهت إليه رياسة حران ، وله خطبة الجمعة ، وإمامة الجامع ، وتدريس المدرسة النورية ، وهو واعظ البلد ، وله القبول من عوام البلد ، والوجاهة عند ملوكها ، وكان فى ملازمته التفسير والوعظ مع الطريقة الظاهرة الصلاح .

وذكره ابن خلكان فى تاريخه وقال : ذكره محاسن بن سلامة الحرانى فى تاريخ حران ، وابن المستوفى فى تاريخ أربل ، فقال : له القبول التام عند الخاص والعام . وكان بارعاً فى تفسير القرآن ، وجميع العلوم له فيها يد بيضاء .

وقال ابن نقطة : شيخ ثقة فاضل ، صحيح السماع مكثر ، سمعت منه بحران فى المرتين .

وقال ابن النجار : سمعت منه ببغداد وحران ، وكان شيخاً فاضلا ، حسن الأخلاق ، متودداً ، صدوقاً ، متدينا .

وقال ابن الساعي : هو موصوف بالفضل والدين .

وقال ابن حمدان الفقيه : كان شيخ حران ، ومدرسها ، وخطيبها ومفسرها ، مغرى بالوعظ والتفسير ، مواظباً عليهما .

وقال المنذرى : كان عارفاً بالتفسير ، وله خطب مشهورة ، وشعر ، ومختصر فى الفقه . وكان مقدماً فى بلده ، وتولى الخطابة بها ، ودرس بها ووعظ ، وحدث ببغداد وحران ، ولنا منه إجازة . وكان الشيخ فخر الدين قد وعظ ببغداد فى مدة اشتغاله بها برباط ابن النقال ، ثم حج سنة أربع وستمائة ، وكتب معه مظفر الدين صاحب أربل كتاباً إلى الخليفة الناصر بالوصية به ، فلما رجع من مكة إلى بغداد ، سأل الجلوس بباب بدر ، فأجيب إلى ذلك ، وتقدم إلى محيي الدين يوسف بن الجوزى بالحضور ، وكان يعظ بذلك المكان موضع أبيه ، فحضر ، وقعد على دكة المحتسب بباب بدر ، وحضر خلق كثير ، ووعظ الشيخ فخر الدين ، وأنشد فى أثناء المجلس :

وابن اللبون إذا مالزّ فى قَرَن لم يستطع صولة الْبُزْل القناعيس

وقال الناس : ماقصد إلا محيي الدين ، لأنه كان شاباً ، وابن تيمية شيخ .

وللشيخ فخر الدين تصانيف كثيرة . منها «التفسير الكبير» فى مجلدات كثيرة . وهو تفسير حسن جداً . ومنها ثلاث مصنفات فى المذهب ، على طريقة البسيط والوسيط ، والوجيز للغزالى ، أكبرها « تخليص المطلب فى تلخيص المذهب » وأوسطها « ترغيب القاصد فى تقريب المقاصد » وأصغرها « بلغة الساغب و بغية الراغب » وله شرح الهداية لأبى الخطاب . ولم يتمه . وله ديوان الخطب الجمعية وهو مشهور . ومصنفات فى الوعظ ، و « الموضح فى الفرائض » . وكانت بينه و بين الشيخ موفق الدين مراسلات ومكاتبات .

وأرسل الشيخ الفخر مرة يسأل الشيخ الموفق عما ذكره فى كتبه من مسألة حصر جهات ذوى الأرحام ، وما يلزم قول أبى الخطاب من الفساد .

ووقع بين الشيخين أيضاً تنازع فى مسألة تخليد أهل البدع المحكوم بكفرهم فى النار . وكان الشيخ الموفق لا يطلق عليهم الخلود . فأنكر ذلك عليه الشيخ الفخر . وقال: إن كلام الأصحاب مخالف لذلك . وأرسل يقول للشيخ موفق الدين: انظر كيف تستدرك هذه الهفوة ؟ فأرسل إليه الشيخ موفق الدين كتاباً ، أوله :

أخوه فى الله عبد الله بن أحمد يسلم على أخيه الإمام الكبير فخر الدين جمال الإسلام ، ناصر السنة ، أكرمه الله بما أكرم به أولياءه . وأجزل من كل خير عطاءه ، و بلغه أمله ورجاءه ، وأطال فى طاعة الله بقاءه — إلى أن قال: إننى لم أنهَ عن القول بالتخليد نافياً له ، ولا عبت القول به منتصراً لضده . و إنما نهيت عن الكلام فيها من الجانبين إثباتاً أو نفياً ، كَفًّا للفتنة بالخصام فيها ، واتباعاً للسنة فى السكوت عنها ، إذ كانت هذه المسألة من جملة المحدثات ، وأشرتَ علىّ من قبل نصيحتى بالسكوت عما سكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والأئمة المقتدى بهم من بعده — إلى أن قال — وأما قوله — وفقه الله — إنى كنتُ مسألة إجماع ، فصرت مسألة خلاف . فإننى إذا كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حزبه ، متبعاً لسنته ، ما أبالى من خالفنى ، ولا من خالف فىّ ، ولا أستوحش لفراق من فارقنى . و إنى لمعتقد أن الخلق كلهم لو خالفوا السنة وتركوها، وعادونى من أجلها ، لما ازددت لها إلا لزوما ، ولا بها إلا اغتباطا ، إن وفقنى الله لذلك . فإن الأمور كلها بيديه ، وقلوب العباد بين إصبعيه . وأما قوله : إن هذه المسألة مما لا تخفى : فقد صدق و برّ ، ماهى بحمد الله عندى خفية ، بل هى منجلية مضية . ولكن إن ظهر عنده بسعادته تصويب الكلام فيها ، تقليداً للشيخ أبى الفرج وابن الزاغونى ، فقد تيقنت تصويب السكوت عن الكلام فيها ، اتباعاً لسيد المرسلين ، ومن هو حجة على الخلق أجمعين ، ثم لخلفائه الراشدين ،

وسائر الصحابة والأئمة المرضيين ، لا أبالى من لامنى فى اتباعهم . ولا من فارقنى فى وفاقهم . فأنا كما قال الشاعر :

أجد الملامة فى هواك لذيذة   حباً لذكرك . فليلمنى اللوّم

فمن وافقنى على متابعتهم . وأجابنى إلى مرافقتهم وموافقتهم فهو رفيقى وحبيبى وصديقى ، ومن خالفنى فى ذلك فليذهب حيث شاء . فإن السبل كثيرة ، ولكن خطرة . وقوله بسعادته : إن تعلقه بأن لفظ « التخليد » لم ترد : ليس بشىء . فأقول : لكنى عندى أنا هو الشىء الكبير ، والأمر الجليل الخطير . فأنا أوافق أئمتى فى سكوتهم، كموافقتى لهم فى كلامهم ، أقول إذا قالوا ، وأسكت إذا سكتوا، وأسير إذا ساروا ، وأقف إذا وقفوا ، وأحتذى طريقهم فى كل أحوالهم جهدى ، ولا أنفرد عنهم خيفة الضيعة إن سرت وحدى . فأما قوله : إن كتب الأصحاب القديمة والحديثة فيها القول بتكفير القائل بخلق القرآن : فهذا متضمن أن قول الأصحاب هو الحجة القاطعة . وهذا عجب . أترى لو أجمع الأصحاب على مسألة فروعية، أكان ذلك حجة يقتنع بها ، ويكتفى بذكرها؟ فإن كان فخر الدين يرى هذا فما يحتاج فى تصنيفه إلى ذكر دليل سوى قول الأصحاب . وإن كان لا يرى ذلك حجة فى الفروع ، فكيف جعله حجة فى الأصول ؟ وهَبْ أنا عذرنا العامة فى تقليد هم الشيخ أبا الفرج وغيره من غير نظر فى دليل . فكيف يعذر من هو إمام يرجع إليه فى أنواع العلوم ؟ ثم إن سلمنا ماقال ، فلا شك أنه ما اطلع على جميع تصانيف الأصحاب . ثم إن ثبت أن جميعهم اتفقوا على تكفيرهم ، فهو معارض بقول من لم يكفرهم. فإن الشافعى وأصحابه لا يرون تكفيرهم إلا أبا حامد. فبم يثبت الترجيح ؟ ثم إن اتفق الكل على تكفيرهم ، فليس التخليد من لوازمه . فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد أطلق التكفير فى مواضع لا تخليد فيها — وذكر حديث « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » وغيره من الأحاديث . وقال : قال أبو نصر السجزى : اختلف القائلون بتكفير القائل بخلق القرآن . فقال بعضهم :

كفر ينقل عن الملة . وقال بعضهم : كفر لاينقل عن الملة . ثم إن الإمام أحمد ـ الذى هو أشد الناس على أهل البدع ـ قد كان يقول للمعتصم : ياأمير المؤمنين ، ويرى طاعة الخلفاء الداعين إلى القول بخلق القرآن ، وصلاة الجمع والأعياد خلفهم ولو سمع الإمام أحمد من يقول هذا القول ، الذى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد قبله : لأنكره أشد الإنكار . فقد كان ينكر أقل من هذا . ثم إن علمتم أنتم هذا ، أفيحل لى ولمثلى ممن لم يعلم صحة هذا القول أن يقول به ؟ وهل فرض الجاهل بشىء إلا السكوت عنه ؟ فأنا ما أنكرت هذا إلا على الجاهل به . أما من قد اطلع على الأسرار ، وعلم مايفعله الله تعالى على جليته فما أنكرت عليه . ولاينبغى له أن يأمرنى أن أقول بمقالتى ، مع جهلى بما قد علمه ، لكن إذا اعتقدتم هذا، فينبغى أن يظهر عليكم آثار العمل به فى ترك مصادقتهم ، وموادتهم وزيارتهم ، وأن لاتعتقدوا صحة ولا يتهم ، ولا قبول كتاب حاكم من حكامهم ، ولا من ولاه أحد منهم . وأنتم تعلمون أن قاضيكم إنما ولايته من قبل أحد دعاتهم .

وأما قولك بسعادتك «انظر كيف تتلافى هذه الهفوة . وتزيل تكدير الصفوة » فإن قنع منى بالسكوت فهو مذهبى وسبيلى ، وعليه تعويلى . وقد ذكرت عليه دليلى . وإن لم يرض منى إلا أن أقول مالا أعلم ، وأسلك السبيل الذى غيره أسدّ وأسلم ، وأخلع عذارى فى سلوك مافيه عثارى ، ويسخط على البارى : ففى هذا التلافى تلافى ، وتكدير صافى أوصافى ، لايرضاه لى الأخ المصافى ، ولا من يريد إنصافى ، ولا من سعى فى إسعافى . وما أتابعه ولو أنه بشر الحافى .

إلى أن قال : واعلم أيها الأخ الناصح أنك قادم على ربك ، ومسئول عن مقالتك هذه . فانظر من السائل . وانظر ما أنت له قائل . فأعد للمسألة جواباً . وادرع للاعتذار جلباباً . ولاتظن أنه يقنع منك فى الجواب بتقليد بعض الأصحاب . ولا يكتفى منك بالحوالة على الشيخ أبى الفرج وابن الزاغونى وأبى الخطاب . ولا يخلصك الاعتذار بأن الأصحاب اتفقوا على أنهم من جملة الكفار ، ولازم

هذا الخلود فى النار . فإن هذا الكلام مدخول ، وجواب غير مقبول .

إلى أن قال: فأنتم إن كنتم أظهركم الله على غيبه ، و برأكم من الجهل وعيبه ، وأطلعكم على ما هو صانع بخلقه : فنحن قوم ضعفاء ، قد قنعنا بقول نبينا عليه السلام ، وسلوك سبيله ، ولم نتجاسر على أن نتقدم بين يدى الله ورسوله . فلا تحملوا قوتكم على ضعفنا ، ولا علمكم على جهلنا .

وهى رسالة طويلة ، لخصت منها هذا القدر .

أخذ العلم عن الشيخ فخر الدين جماعة ، منهم: ولده أبو محمد عبد الغنى خطيب حران ، وابن عمه الشيخ مجد الدين عبد السلام .

وسمع منه خلق كثير من الأئمة والحفاظ . منهم ابن نقطة ، وابن النجار ، وسبط ابن الجوزى ، وابن عبد الدائم . وروى عنه عبد الرحمن بن محفوظ الرسعنى وأبو عبد الله بن حمدان الفقيه ، والأبرقوهى .

وله شعر كثير حسن . قرأت بخط ولده أبى محمد عبد الغنى قال : أنشدنى الوالد رحمه الله لنفسه :

أتت رحلتى ، وقد أتانى المسير … وزادى من النسك نزر حقير
وقلبى على جمرات الأسى … من الخوف من خالقى مستطير
وكم زلة قد تقحمتها … فدمعى لها وعليها غزير
مضى عمرى ، وانقضت مدتى … ولم يبق من ذاك إلا اليسير
كأنى بكم حاملين السرير … بشخصى ، وناهيك ذاك السرير
تقلونه شرجعا مثقلا … علو ما لجنبيه منها صرير
إلى منزل ليس فى ربعه … أنيس لساكنه أو نصير
سوى عمل صالح بالتقى … فنعم الأنيس ، ونعم الخفير

وقال ابن النجار : أنشدنى لنفسه ببغداد :

أرى خلوتى فى كل يوم وليلة … تؤول إلى نقص، وتفضى إلى ضعف

وما ذاك من كر الليالى ومرها ولكن صروف الدهر صرفاً على صرف
فراق وهجر واخترام منية وكيد حسود للعداوة لايخفى
وداء دخيل فى الفؤاد مقلقل الضلوع يجل الخطب فيه عن الوصف
وعشرة أبناء الزمان ومكرهم وواحدة منها لهد القوى تكفى
بليت بها منذ ارتقيت ذرى العلى كما البدر فى النقصان من ليلة النصف
وما برحت تترى إلى أن بليت من تضاعيفها ضعفاً يزيد على ضعف
وأصبحت شبيهاً بالهلال صبيحة الثلاثين أخفاه المحاق على الطرف

توفى رحمه الله يوم الخميس عاشر صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة بحران. كذا ذكر ولده عبد الغنى.

وقال كثير من المحدثين: إنه توفى ليلة حادى عشر صفر.

وقرأت بخط ولده: لما مات الوالد كان فى الصلاة؛ لأنى ذكرته بصلاة العصر. وأخذته إلى صدرى، فكبر وجعل يحرك حاجبه وشفتيه بالصلاة حتى شخص بصره رحمه الله تعالى.

وقد ذكر ولده له منامات صالحة رئيت له بعد وفاته. وهى كثيرة جداً. جمعها فى جزء.

منها: أن رجلا حدثه أنه رأى والده الشيخ فخر الدين جالساً على تخت عال، وعليه ثياب جميلة. فقلت له: ياسيدى ماهذا؟ فقرأ (١٨: ٣١ متكئين فيها على الأرائك) ورآه آخر فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى. ورأى غير واحد فى منامه جماعة معهم سيوف وسلاح ورايات. فسئلوا عن حالهم؟ فقالوا: السلطان يركب ونحن فى انتظاره. فقيل لهم: من السلطان؟ قالوا: الشيخ الفخر

قال: وحدثتنى ابنة عم والدى ـ وكانت صالحة ـ قالت: رأيت بعد موت الشيخ فى منامى، كأننى أسمع صوت ضجة من السماء. فقلت لمن عندى: ما هذا الصوت والضجة؟ قال: هذا ضجيج الملائكة لأجل انقطاع التفسير وتعطله بالجامع

بعد وفاة الشيخ . ورآه رجل آخر ليلة وفاته ، وهو على أحسن حالة . فقال له : أليس قدمتَّ ؟ قال : بلى ، ولـكن أنا إن شاء الله فى الأحياء . ورآه آخر وعليه ثياب حسنة جميلة . فقال له : أما قدمتَّ ؟ قال: بلى . قال : ماذا لقيت من ربك؟ قال : وقفت بين يديه ، فقال : كم ننتظرك ؟ كم ننتظرك ؟ قال : فقلت : أنا والله مشتاق ، أنا والله مشتاق : قال الرائى : فأخذنى شبه الطرب ، وانزعج من منامه حتى علمت بذلك زوجته . ورأى رجل بعض الموتى . فسأله عن حاله وعن أقار به ؟ فقال : الليلة ينزل الفخر عندهم من عند الحق ، وكل ليلة جمعة ينزل إليهم ، ويجتمعون إليه . وذكر أنه رأى هذا المنام مراراً .

ورأى رجل الشيخ الفخر فى نومه ، وقد صعد إلى منبر جامع حران ، ومعه مصحف ففتحه ووقف ، والنبى صلى الله عليه وسلم فوقه على المنبر يقرأ من ذلك المصحف .

ورأى آخر الشيخ الفخر مع الإمام أحمد ، وهما يتسايران . وكان هذا الرائى قد رأى فى حياة الشيخ رجلا من الصالحين يقول له فى نومه : مرَّ إلى الشيخ الفخر ، وخذ لك منه عهداً أن يشفع فيك غدا . فإنه قد أعطى الشفاعة فى كذا وكذا [1]

ورأى آخر الشيخ الفخر فى المنام ، ويده فى يد رجل آخر . قال : فسلمت على الفخر ، وقلت له : يا سيدى من هذا الذى يده فى يدك ؟ فقال : هذا الموفق الدمشقى المقدسى . فقلت : وإلى أين تروحون ؟ قال : نروح نفتيهم فى قضية . قال : فدخلوا مسجدا ، فرأيت فيه حياة بن قيس وابناه فى غربى المسجد ، والشيخ الفخر شرقى المحراب ، والشيخ الموفق غربيه . وهما فوق تخت ، وعليهما خلعتان مارأيت أحسن منهما قط ، وبين أيديهما شىء مطروح . ثم قام الشيخ الفخر

---

(١) هذه المنامات والرؤى من مجهولى الحال ، قدكان أحرى أن لايقيموا لها هذا الوزن الكبير . والله أعلم

يفرق منه على الحاضرين ، كما يفعل فى الملاك . قال الرائى : فقلت للشيخ الفخر : يا سيدى أخبرنى ، الموت كيف هو ؟ قال : والله الموت وقت حضوره صعب شديد ، و بعد الموت كله هين . ثم قال لى : الصلاة يا عبد الله ، ما شيء أفضل منها . فمن واظب عليها وحافظ على السنة والجماعة ما يلقى إلا الخير الكثير .

ورأى رجل النبى صلى الله عليه وسلم ، و بين يديه جبريل ، وهما جالسان فى موضع بحران . فسأل الرائى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما سبب حضوركم فى هذا الموضع؟ فمد يده وأشار إلى نحو باب دار الشيخ الفخر وقال : الفخر قد مات . قال : فمات الشيخ الفخر فى الجمعة الأخرى .

قال : وأخبرنى رجل سماه ـ وكان فيه دين وصلاح ـ قال : رأيت فى النوم قائلا يقول : الشيخ الفخر كان صادقا مع الله . ثم قال : الشيخ الفخر كان من الصديقين . قال : و بعد رأيت كأننى دخلت إلى الجامع ، فإذا الشيخ على الكرسى يتكلم ، وهو يردد هذه الأبيات :

طوبى لعبـد أحب مولاه إذا خـلا فى الظلام ناجاه
قد كشف الحجب عن بواطنه فنـور مولاه قد تغشاه
يقـول : يا غايتى ويا أملى ماخاب عبـد تكون مولاه

وكان من عادته فى مجالسه أيام حياته يرددها كثيراً فى كلامه فى الوعظ ، قال : فطربت لسماع صوته فى المنام .

قال : وحدثنى رجل ـ سماه ـ عن زوجته : أنها رأت سنة إحدى وعشرين فى المنام كأنها فى موضع فيه رياض وخضرة ، وقوم يبنون فيه قصراً عالياً ، و بقر به دولاب يدور ، وامرأتان قائمتان بقرب القصر ، كأحسن ما يكون من النساء . قالت : ففهمت أنهما من الحور العين . فسألت : لمن هذا القصر الذى يبنى ؟ فقيل لها : للفخر الفقيه . قالت : وما رأيت له باباً مفتوحاً . ثم رأيت ليلة عاشوراء سنة اثنتين وعشرين قبل وفاة الشيخ بشهر ذلك القصر قد فتح له باب ، والحور يتان

عند بابه . فقالت : من يريد يجيء إلى هذا القصر ؟ قالوا : الفخر صاحبه .

قال : وحدثني رجل ـ وذكر عنه ديناً وخيراً ـ قال : رأيت الشيخ وكأنه في مسجده مستند إلى ركن محرابه ، والناس مجتمعون في عقد ختمة . فلما انصرف الناس قلت للشيخ : بالله ياسيدي ، هل رأيت الله ؟ قال : إي والله . فقلت له : فنحن إيش تقول فينا ؟ قال : أنتم من أصحابنا .

قال : وحدثني أبو الحسن بن إبراهيم بن البقش النجار ـ وكان يلازم الشيخ لسماع الحديث ـ قال : رأيت الشيخ بعد موته في المنام على كرسي يعظ ، وتحته رجال ونساء كثير . فسمعته ينشد :

تجلى الحبيب لأحبابه   فطوبى لمن كان يعنى به

فلما تجلى لهم كبروا   وخروا سجوداً على بابه

والمنامات الصالحة له كثيرة رحمه الله .

وذكر المنذري وغيره : أنه سئل عن معنى « تيمية » فذكر أن أباه أوجده حج على درب تيماء . فرأى هناك جويرية قد خرجت من خبائها . فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية . فلما رآها قال : ياتيمية ، كأنه يشبهها بتلك الجويرية ، فلقبت بذلك .

قال ابن النجار : ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية . وكانت واعظة .

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الأنصاري ، أنبأنا أحمد بن عبد الدائم أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن تيمية الخطيب .

ح ـ قال الأنصاري : وأخبرنا إبراهيم بن أحمد بن كامل المقدسي ـ حضوراً ـ أخبرنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قالا : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي أخبرنا أبو الخطاب نصر ابن أحمد بن البطر .

ع ـ قال ابن عبد الدائم : وأنبأناه عالياً خطيب الموصل أبو الفضل عبد الله ابن أحمد بن محمد بن عبد القاهر ـ إجازة ـ أخبرنا ابن البطى ، أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الله بن يحيى بن زكريا البيع ، حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملى . حدثنا العباس بن محمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى عن محمد بن كعب عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ودع الجيش قال : أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم » .

٢٧٥ ـ عبد الله بن أحمد بن الزيتونى البوازيجى ، أبو محمد . هكذا نسبه ابن الساعى وغيره .

وقال المنذرى : عبد الله بن على بن أحمد بن أبى الفرج الزيتونى البوازيجى . سمع من الحافظ معمر بن الفاخر ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وأبى على ابن الرحبى وغيرهم ، وحدث . هذا ما ذكره .

وقال أبو أحمد عبد الصمد بن أبى الجيش فى ذكر شيوخه بالإجازة : عبد الله بن على بن أحمد الزيتونى البوازيجى ، سمع مشيخة شُهدة عليها ، وكذا وجدت اسمه فى طبقة سماعه جزء ابن عرفة على ابن كليب

وقال ابن الساعى : كان مقيما برباط محمود النعال ، شيخ خير مسن صالح ، صاحب سنة ورواية ، أنشدنى من حفظه :

ضيق العذر فى الضراعة أنا لو قنعنا بقسمنا لكفانا
مالنا نعبد العباد إذا كا ن إلى الله فقرنا وغنانا

وذكر الحافظ عمر بن الحاجب ، فى معجمه ، فى ترجمة الحافظ أبي القاسم الصريفينى ، من أصحابنا : أنه تفقه على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد البوازيجى .

وقرأت بخط الناصح ابن الحنبلى : السيد البوازيجى ، كان دخل بغداد قبل

قدومى إليها بسنتين . وسمع درس الشيخ أبى الفتح بن المنى ، وصحبه ، وخدمه ، وكان ببغداد مدة مقامى ببغداد ، وسافر إلى البوازيج ، ثم عاد إلى بغداد . وكان رجلا صالحاً . وكان يخل بعينه ، ولا يخل بدينه .

قلت : غالب ظنى : أنه هذا .

توفى عبد الله بن أحمد البوازيجى يوم الجمعة غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ودفن بمقبرة باب الحلبة ، رحمه الله تعالى .

٢٧٦ ـ محمد بن على بن مكى بن على بن ورخز البغدادى ، الفقيه المعدل ، أبو عبد الله ـ وفى تاريخ ابن الساعى : أبو نصر ـ بن أبى الحسن ، وقد سبق ذكر والده .

تفقه على أبى الفتح بن المنى ، وأفتى وناظر ، وأعاد الدرس لأستاذ الدار ابن الجوزى ، وشهد عند الزنجانى ، ورتب مشرفاً على وكلاء الخليفة الناصر . وكان فقيهاً فاضلا ، خيراً ديناً ، ثقة خبيراً بالمذهب ، ذكر ذلك ابن الساعى ، وقال : أنشدنى المعدل محمد بن ورخز ، أنشدنى أبو الفضل الأشعرى العبرتى النحوى :

يجمع المرء ، ثم يترك ماجمـ ـع من كسبه لغير شكور
ليس يحظى إلا بذكر جميل أو بعلم من بعده مأثور

توفى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائه . ودفن بمقبرة باب حرب ، رحمه الله تعالى .

٢٧٧ ـ أحمد بن أبى المكارم بن شكر بن نعمة بن على بن أبى الفتح ابن حسن بن قدامة بن أيوب بن عبد الله بن رافع ، المقدسى ، الخطيب ، أبو العباس ، خطيب قرية مردا ، من عمل نابلس .

قال الحافظ ضياء الدين ـ ومن خطه نقلت ـ سافر إلى بغداد فى طلب العلم واشتغل . وحصل فى مدة يسيرة مالم يحصل غيره فى مدة طويلة . وسمع الحديث

ببغداد من عبد الله بن شاتيل . سمعت عليه بقرية مردا ، وبجبل قاسيون .

وسمعت شيخنا الإمام عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد – غير مرة – يغبطه بما هو عليه من كثرة الخير فإنه يقوم بمصالح عديدة ، منها : إقراء القرآن ، والقيام بالخطابة والإمامة ، وما يحتاج إليه المسجد من سرج وغير ذلك ، وافتقاد الغرباء الواردين بما يصلحهم . ولا يتناول من وقف المسجد شيئاً ، كما بلغنى .

ثم ذكر له كرامات من تكثير الطعام فى وقت احتيج فيه إلى تكثيره ، ومن المعافاة من الصرع بما كتبه (١) .

قال المنذرى : توفى فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة بمردا ، رحمه الله .

٢٧٨ – أحمد بن علي بن أحمد ، الموصلى الفقيه الزاهد ، أبو العباس . المعروف بالوتارة . ويقال : ابن الوتارة . وسمى ابن الساعى جده محمدا .

قال المنذرى : سمع على علو سنه من المتأخرين .

وقال الناصح ابن الحنبلى : كان يعرف أكثر مسائل الهداية لأبى الخطاب ، ويأكل من كسب يده ، ولباسه الثوب الخام . وانتفع به جماعة . وصار له حرمة قوية بالموصل ، واحترام من جانب صاحبها ومن بعده .

وقال ابن الساعى : شيخ صالح ، كثير العبادة ، يعتقد فيه ، ويتبرك به أمّارا بالمعروف ، نهاءا عن المنكر .

بلغنى : أنه توفى بالموصل فى يوم الأربعاء رابع ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

وقال الناصح والمنذرى : توفى فى رابع عشر ذى الحجة .

وقرأت بخط ابن الصيرفى : أنه توفى سنة ثلاث وعشرين . وهو وهم .

٢٧٩ – يعيش بن ريحان بن مالك ، كذا نسبه الدبيثى وغيره . ووجدت بخطه : يعيش بن ريحان . وقال جماعة : يعيش بن مالك بن ريحان .

---

(١) لقد شدد الرسول صلى الله عليه وسلم النهى عن التمائم والتحذير منها .

وقال عبد الصمد بن أبي الجيش : يعيش بن مالك بن هبة الله بن ريحان ، الانباري ، ثم البغدادي ، الفقيه الزاهد ، أبو المكارم ـ ويقال : أبو البقاء ـ والأول : أشهر .

ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة تقريبا . وسمع من أبي الحسن بن الدجاجي كثيرا من الحديث ومن كتب المذهب ، ورواها عنه ، كالهداية لأبي الخطاب ، والانتصار(١) لابن عقيل .

وسمع من صدقة بن الحسين أيضا ، ومن أبي زرعة المقدسي ، وعبد الحق اليوسفي ، وأبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي ، وأبي محمد ناصر بن أحمد بن حسين الخوري ، وشُهدة الكاتبة ، وغيرهم .

وتفقه في المذهب . وكان موصوفا بالعلم والصلاح .

وقال المنذري : كان من فضلاء الفقهاء ، متدينا ، معتزلا عن الناس . ولنا منه إجازة . وحدث .

وذكر ابن حمدان الفقيه : أن أبا الفضل حامد بن أبي الحجر لما ولاه السلطان نور الدين التدريس والخطابة بحران ، كتب إليه يعيش هذا من بغداد أبياتا ، وهي :

ظعن الذين عهدتهم ولتظعنن كمن ظعن
يا غاسلن ثيابه اغسل هواك من الدرن
ما صح ظاهر مبطن حتى يصحح مابطن
ولربما احتلبت يداك دما وتحسبه لبن

وكان ابن أبي الحجر يتوسوس في طهارته وغسل ثيابه كثيرا .

روى عنه ابن الدبيثي ، ويحيى بن الصيرفي الفقيه . وأجاز لعبد الصمد بن أبي الجيش .

---

(١) لعله « والفصول لابن عقيل » فإن الانتصار لأبي الخطاب . وكذا ذكره في نسخة أخرى كهذه . فليحرر

وتوفى ليلة الخميس خامس عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وستمائة. ودفن من الغد بباب حرب. رحمه الله تعالى. كذا قال المنذرى وغيره.

وذكر ابن الساعى: أنه توفى يوم الخميس. وقال: ودفن بمقبرة جامع المنصور.

٢٨٠ — عمرو بن رافع بن علوان الزرعى. ذكره ناصح الدين بن الحنبلى. قال: قدم ابن زرع فى عشر الستين — يعنى والخمسمائة — وهو ابن نيف وعشرين سنة. ونزل عندنا فى المدرسة هو ورفقة له. واشتغلوا على والدى. فحفظوا القرآن. وسمعوا درسه، وحفظوا كتاب «الإيضاح» — يعنى للشيخ أبى الفرج جدهم — قال: وكان هذا الفقيه عمرو يحفظ كثيرا وسريعا. تلقن سورة البقرة فى درسين أو ثلاثة. وعمل الفرائض، فأسرع فى معرفتها.

ورحل إلى حران. وأقام بها مدة مديدة يشتغل. ثم رجع إلى دمشق، ثم إلى زرع، وأقام بها، يفتى ويقف على ماينديب إليه من المساحة والحدود. ثم أضر فى آخر عمره.

ومات بزرع سنة اثنتين وعشرين وستمائة. رحمه الله تعالى.

٢٨١ — مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامى بن أحمد بن ناهض ابن عبد الرزاق العيلانى — بالعين المهملة. قاله المنذرى — الأديب الشاعر العروضى، الضرير المصرى، أبو العز. ويلقب موفق الدين.

ولد لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر.

وسمع الحديث من أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حسين السبتى، ومحمود ابن طاهر بن أحمد بن الصابونى، وأبى طاهر بن ياسين، والبوصيرى، وغيرهم.

ولقى جماعة من الأدباء، وقال الشعر الجيد، وبرع فى علم العروض، وصنف فيه تصنيفاً مشهوراً. دل على حذقه. ومدح جماعة كثيرة من الملوك والوزراء، وغيرهم. وحدث بتصنيفه، وشيء من شعره.

قال المنذرى : وسمعت منه . وكان بقية فضلاء طبقته .

وذكر ابن خلكان أنه قال : دخلت مرة على القاضى هبة الله بن سناء الملك الشاعر ، فقال لى : يا أديب ، قد صغت نصف بيت ، ولى أيام أفكر فى تمامه قلت : وما هو ؟ قال * بياض عذارى من سواد عذاره * قلت : قد حصل تمامه : * كما جُلُّ نارى فيه من جُلُّناره *

فاستحسنه وعمل عليه ، ومن نظمه : الأبيات المشهورة السائرة .

قالوا : عشقت ، وأنت أعمى ظبياً كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها فنقول قد شغفتك دهمى
وخياله بك فى المنا م فما أطاف ولا ألمَّا
من أين أُرسل للفؤا د وأنت لم تنظره ـ سهماً
ومتى رأيت جماله حتى كساك هواه سقما ؟
والعين داهية الهوى وبه تنم إذا تنمى
وبأى جارحة وصلت بوصفه نثراً ونظماً ؟
فأجبت : إنى موسوى العشق إنصاتاً وفهماً
أهوى بجارحة السما ع ولا أرى ذات المسمى

توفى فى سحر يوم الأحد تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة بمصر . ودفن من الغد بسفح المقطم . رحمه الله تعالى .

٢٨٢ ـ أحمد بن محمود بن أحمد بن ناصر البغدادى ، الحريمى الحذاء ، أبو العباس بن أبى البركات . وقد سبق ذكر والده .

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة تقديراً .

وسمع بإفادة والده من أبى الفتح بن البطى ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وسعد الله بن الدجاجى ، وأبى جعفر بن القاص ، وغيرهم .

وتفقه على والده أبى البركات . وحدث . وأجاز للمنذرى .

قال ابن الساعى : توفى يوم الأربعاء حادى عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة . ودفن بمقبرة باب حرب .

والذى قدمه المنذرى : أنه توفى ليلة الرابع عشر من الشهر المذكور .

٢٨٣ ـ أحمد بن ناصر بن أحمد بن محمد بن ناصر الاسكافى ، الفقيه ، أبو العباس بن أبى البركات ، الفقيه الحربى .

قرأ طرفا من الفقه على والده . وسمع الحديث من أبى الفتح بن البطى ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وسعد الله بن الدجاجى ، وغيرهم .

كتب عنه ابن النجار ، وقال : كان شيخا حسناً ، فهماً متيقظاً .

توفى يوم الأربعاء حادي عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة . ودفن بباب حرب رحمه الله .

٢٨٤ ـ أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدى ، المقدسى ، ثم الدمشقى ، المعروف بالبخارى . شمس الدين ، أبو العباس أخو الحافظ ضياء الدين محمد ، ووالد الفخر على ، مسند وقته .

ولد فى العشر الأواخر من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة بالجبل .

وسمع بدمشق من أبى المعالى بن صابر ، وغيره .

ورحل إلى بغداد . وسمع من أبى الفتح بن شاتيل ، وابن الجوزى ، وطبقتهم وسمع بنيسابور من عبد المنعم الفراوى . وسمع بواسط من جماعة . وتفقه وبرع . وأقام ببخارى مدة يشتغل بالخلاف على الرضى النيسابورى ، ولهذا عرف بالبخارى . ثم رجع إلى الشام ، وسكن حمص مدة . ويقال : إنه ولى بها القضاء ، كما ذكره المنذرى وغيره . وأنكر أبو القاسم بن العديم ذلك .

قال الذهبي : وكان إماماً عالماً ، مفتياً مناظراً ، ذا سمت ووقار . وكان كثير المحفوظ ، حجة صدوقا ، كثير الاحتمال ، تام المروءة . لم يكن فى المقادسة أفصح

منه . واتفقت الألسنة على شكره ، وشهرته وفضله . وما كان عليه يغني عن الإطناب فى ذكره .

حدث البخاري بدمشق وحمص . وسمع منه جماعة . منهم : عبد الرزاق الرسعني . وروى عنه أخوه الضياء الحافظ ، وولده الفخر على . وأجاز للمنذرى .

وتوفى ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وستمائة . كذا قال المنذرى .

وقال ابن العديم : توفى ليلة الجمعة خامس عشر من الشهر المذكور . ودفن من الغد إلى جانب خاله الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد . حدثنا والدى أبو العباس ـ من لفظه بحمص ـ أخبرنا أبو الفتح بن شاتيل أخبرنا أبو القاسم بن بيان أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن بشران حدثنا محمد بن الحسن بن أبى شعيب الحرانى حدثنا عبد العزيز بن داود الحرانى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يحيى بن يعمر قال : قلت لابن عمر : عندنا رجال بالعراق يقولون : إن شاءوا عملوا ، وإن شاءوا لم يعملوا ، وإن شاءوا دخلوا الجنة ، وإن شاءوا دخلوا النار ، ويصنعون ماشاءوا . قال ابن عمر : «أخبرهم أنى منهم برىء ، وهم برآء منى . ثم قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ وذكر الحديث » .

ومن فتاوى أبى العباس البخارى بحمص : سئل عن رجل دفع إلى رجل مائة قراضاً . فربح ستين . ثم أخذ رب المال منه ثمانين . ثم اتجر المضارب بالباقى ، فصار خمسة عشر ؟ فأجاب : لايجب على المضارب شىء ، بل تقع الخمسة عشر التى بقيت بدلا عن نصيبه . وذلك لأن المضارب كان يستحق خمسة عشر ، ضرورة أن الثلاثين من الذى أخذ هى الربح . وكان المضارب يستحق النصف .

قلت : وجه هذا : أن رب المال لما أخذ نصف رأس المال ونصف الربح

استحق العامل مما أخذه من الربح : نصفه . وهو خمسة عشر . وهو ربع الربح ، وبقى رأس المال فى يد المضارب خمسون . والثلاثون الزائدة ربح ، فلما اتجر فيه العامل وخسر: جبر رأس المال الباقى فى يده بربحه ، ولم يستحق شيئاً من ربحه ، وبقى له على رب المال نصيبه مما أخذه من الربح ، وهو خمسة عشر . إذ هى نصف ما أخذه من الربح ، فيستحقها عليه ، ولا ينجبر بها هذا الخسران ؛ لأن ما أخذه رب المال انفسخت فيه المضاربة ، وانقطع حكمه عما بقى فى يد العامل .

وظاهر ما أفتى به البخارى : يقتضى أن العامل أخذ الخمسة عشر الباقية فى يده عوضاً عن نصيبه الذى يستحقه على رب المال .

وذكر الشيخ موفق الدين فى نظير هذه المسألة : أن العامل يرد ما فى يده إلى رب المال ، ويطالبه بحقه مما أخذه من الربح ، لئلا يكون مستوفياً من تحت يده من مال من له عليه الحق .

٢٨٥ — عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ابن منصور المقدسى ، الفقيه الزاهد ، بهاء الدين ، أبو محمد بن عم البخارى المذكور قبله .

ولد سنة ست — ويقال : سنة خمس — وخمسين وخمسمائة .

وسمع بدمشق من أبى عبد الله بن أبى الصقر وغيره .

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من شُهدة ، وعبد الحق اليوسفى ، وطبقتهما ، وسمع بحران من أحمد ابن أبى الوفاء الفقيه .

ويقال : إنه تفقه ببغداد على ابن المنى ، وتفقه بدمشق على الشيخ موفق الدين ولازمه ، وعلق عنه الفقه واللغة ، وقرأ العربية. وصنف فى الفقه والحديث والرقائق .

فمن تصانيفه « شرح العمدة » للشيخ موفق الدين فى مجلد ، وهو شرح مختصر ، ونص فى أوله : أن الماء لا ينجس حتى يتغير مطلقاً ، ويقال : إنه شرح « المقنع » أيضاً .

وقال سبط ابن الجوزى : كان يؤم بمسجد الحنابلة بنابلس ، ثم انتقل إلى دمشق . قال : وكان صالحا ورعا زاهداً ، غازياً مجاهداً ، جواداً سمحاً .

وقال المنذرى : كان فيه تواضع ، وحسن خلق ، وأقبل فى آخر عمره على الحديث إقبالا كليا ، وكتب منه الكثير . وحدث بنابلس ، ودمشق .

توفى رحمه الله فى سابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

قرأت بخط الشيخ بهاء الدين ، قال الخرقى : وإذا قال له : يالوطى ، وقال : أردت أنه من قوم لوط ، فلا شيء عليه . وقال : إذا قذف من كان مشركا وقال : أردت أنه زنى وهو مشرك ، لم يلتفت إلى قوله وَحُدَّ . سألت موفق الدين عن الفرق بينهما ؟ فقال : قد قيل فى الأدلة : إنها على خلاف الظاهر ، وأنه لا يلتفت إلى قوله كالثانية ، لأن قوم لوط قد انقرضوا ، وهذا بعيد . وإن فرق بينهما ، فلأنه إذا قال : أردت أنه زنى وهو مشرك ، فقد ألحق به العار فى الحال بقوله : يازانى ، والزنا عار فى حالة الشرك ، وقد وصفه به وهو مسلم ، فلا يلتفت إلى تفسيره ويحد . وأما إذا قال : يا لوطى ، وقال : أردت أنك من قوم لوط فقد نفى عنه العار ، لأن كونه من قوم لوط : لا عار فيه ، وقد فسر اللفظ بما يحتمله . والله أعلم .

٢٨٦ ــ عبد الله بن نصر بن محمد بن أبى بكر الحرانى ، المقرىء الفقيه ، أبو بكر قاضى حران .

رحل إلى بغداد وتفقه بها ، وسمع الحديث من شُهدة وابن شاتيل وطبقتهما . ورحل إلى واسط ، وقرأ بها القرآن بالروايات على أبى بكر الباقلانى . وأبى طالب الكنانى ، وجماعة آخرين .

وصنف كتباً فى القراءات ، منها « التذكير » فى قراءة السبعة ، ومنها « مفردات » فى قراءة الأئمة ، وأقرأ القرآن ، وحدث بحران .

روى عنه الأبرقوهى وجماعة .

قال ابن حمدان الفقيه : سمعت عليه أشياء . قال : وكان مشهوراً بالديانة والصيانة ، مستوحداً فى فنه ، وفى فنون القراءة ، وجودة أدائها .

توفى رحمه الله سنة أربع وعشرين وستمائة بحران

٢٨٧ — عبد المحسن بن عبد الكريم بن ظافر بن رافع ، الحصنى الحصرى ، المصرى الفقيه ، أبو محمد .

ولد فى أوائل سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بمصر . وسمع بها من أبى إسحاق إبراهيم بن هبة الله بن محمد البغدادى ، وأبى روح المطهر بن أبى بكر الجيوشانى ، وأبى نزار ربيعة بن الحسن اليمانى الحافظ ، وعبد المجيب بن زهير الحربى ، وأبى عبد الله محمد بن عمر العثمانى ، وجماعة سواهم .

ورحل إلى دمشق . فتفقه بها على الشيخ موفق الدين المقدسى . وانقطع إليه مدة ، وتخرج به ، وسمع منه ومن أبى الفتوح البكرى وغيرهما .

وسمع بحرّان من الحافظ عبد القادر الرهاوى ، وحدث بحمص وبمصر . وكتب بخطه . وحصل كتباً ، وتوجه إلى الحج ، فغرق فى البحر ، وذهب جميع ما معه . وعاد إلى مصر مجرداً من جميع ما كان معه .

ولم يزل على سدادوأمر جميل إلى أن توفى فى ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة بمصر . ودفن من الغد بسفح المقطم على شفير الخندق بقرب كافور الإخشيد .

ذكر ذلك كله المنذرى ، ووصفه بأنه رفيقه .

قال : وفى ليلة ثانى عشر الشهر المذكور توفى :

٢٨٨ — الفقيه أبو الفضل داود بن رستم بن محمد بن أبى سعيد الحرانى الحنبلى ببغداد . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب .

سمع من نصر الله القزاز وغيره . وحدث . وذكره ابن النجار ، وأنه ناطح الستين

٢٨٩ - عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن علي بن محمد التانرايا، البغدادى ، الواعظ ، الفقيه ، المعدل ، ثم الحاكم أبو محمد ، ويقال : أبو الفضل . ويقال : أبو المعالى . ويلقب موفق الدين .

سمع من عبد الحق اليوسفى ، وابن شاتيل ، ونصر الله القزاز ، وابن المنى ، وابن الجوزى ، وغيرهم .

وتفقه على أبي الفتح بن المنى ، وبرع وناظر ، وقرأ الوعظ على أبي الفرج ابن الجوزى وصحبه . ووعظ بباب بدر تحت منظرة الخلافة ، من زمن الخليفة الناصر ، مع محيى الدين ابن الجوزى .

قال ابن النجار : كان حسن الأخلاق فاضلا .

وقال المنذرى : كان فقيهاً فاضلا مناظراً . وله يد فى الوعظ .

قلت : ولما صرف الشيخ شهاب الدين السهروردى صاحب العوارف عن مشيخة رباط الزوزنى بمدرسة المنصور، سنة ثمان وستمائة فى خلافة الناصر، جعل ابن التانرايا شيخاً للرباط المذكور ، وينظر فى أوقافه . ولما ولى قاضى القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر فى خلافة الظاهر: شهد عنده . ثم استنابه فى الحكم بحريم دار الخلافة

وقد حدث . وسمع منه غير واحد ، منهم : ابن النجار . وأجاز للمنذرى ، ولعبد الصمد بن أبي الجيش

قال الشيخ عبد الصمد : كان أصله من العجم . وسبب هذا اللقب : أن بعض أجداده كان يقول : إن بيتا فى التانى رايا . فلقب هذا اللقب

توفى ليلة الإثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة فجأة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله تعالى

وفى هذه السنة فى حادى عشرين ذى القعدة توفى :

٢٩٠ — بهاء الدين أبو العباس أحمد بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي الدمشـق ، أخو الشهاب والناصح . ودفن بالجبل . وكان أكبر الإخوة . فكان مولده : سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

سمع من القاضي أبي الفضل بن الشهرزوري . وحدث عن الحيصَ بيصَ الشاعر . وأجاز للمنذري

٢٩١ — سلامة بن صدقة بن سلامة بن الصولي ، الحراني الفقيه ، الفرضي أبو الخير . ويلقب موفق الدين

سمع ببغداد من أبي السعادات القزاز ، وغيره . وتفقه بها .

قال ابن حمدان : كان من أهل الفتوى ، مشهورا بعلم الفرائض ، والحساب والجبر والمقابلة . سمعت عليه كثيرا من الطبقات لابن سعد . وقرأت عليه ماصنفه في الحساب والجبر والمقابلة ، وأجوبته في الفتوى غالبا « نعم » أو « لا » .

قلت : روى عنه الأبرقوهي . سمع منه بحران .

وقال المنذري : لنا منه إجازة ، وقال : و « الصولي » بفتح الصاد المهملة الإسكاف . هكذا يقول أهل بلده .

قلت : ورأيت على مقدمة الفرائض من تصنيفه : ابن الصولية . ولم يضبط الصاد بشيء . وفي هذه المقدمة فوائد ، منها : أنه قال : تنزل العمة أبا ، وعمته عما . فيحتمل عَمًّا لأبوين . ويحتمل كل واحدة بمنزلة أخيها . وهذا غريب . ويلزم من تنزيل العمة للأم عَمًّا لأم إسقاطها .

توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بحران . رحمه الله تعالى .

٢٩٢ — عبد الله بن معالي بن أحمد الرياني ، المقرىء الفقيه ، أبو بكر .

تفقه على أبي الفتح بن المني ، وغيره . وسمع من ابن المني ، وشهدة ، وغيرهما . وحدث .

قال ابن نقطة : سمعت منه أحاديث . وهو شيخ حسن .

وقال ابن النجار : كان صالحا ، حسن الطريقة . وشهد عند القضاة . وحدث باليسير .

توفى فى يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة[1] . ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد . وهو منسوب إلى الريان - بفتح الراء المهملة وتشديد الياء آخر الحروف وفتحها ، و بعد الألف نون - محلة بشرقى بغداد ، قريب باب الأزج .

وفى ثانى عشر جمادى الأولى من السنة . توفى :

٢٩٣ — الفقيه سليمان بن أحمد بن أبى عطاف المقدسى ، نزيل حران بها .

تفقه وحدث عن أبى الفتح بن أبى الوفاء الفقيه .

٢٩٤ — محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم الجيلى ، ثم البغدادى ، المحدث المعدل ، أبو المعالى بن أبى الفضل بن أبى المعالى . و يلقب فخر الدين . وقد سبق ذكر آبائه .

ولد ببغداد ليلة الجمعة سادس عشرين جمادى الأولى سنة أربع وستين وخمسمائة .

وتوفى والده ، وله سنة وشهور . فتولاه خاله أبو بكر بن مشق ، وأسمعه الكثير من خلق ، منهم : يحيى بن يوسف السقلاطونى ، وعبد الحق اليوسفى ، وصالح بن الرخلة ، وأبو العباس بن بكروس الفقيه ، وأبو الفتح بن الشريك وشهدة ، وغيرهم .

وقرأ القرآن بالروايات . وتفقه فى المذهب ، وقرأ الحديث الكثير بنفسه على أصحاب ابن بنان ، وابن نبهان ، وأبى طالب اليوسفى وطبقتهم .

---

(١) لعله سنة ٦٢٧ على الوفيات كالذى قبله وفى نسخة ٦١٧ فليحرر

قال ابن النجار : كان طيب النغمة فى قراءة القرآن والحديث ، مواظبا على قراءة الحديث بمسجده بدرب المطبخ ، و بحلقته بجامع القصر ، و يفيد الناس إلى آخر عمره . وكان متدينا صالحا ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، ساكنا وقورا ، صدوقا أمينا . كتبت عنه ، ونعم الرجل كان . ولقد اصطحبنا مدة فى طلب الحديث فما رأيت منه إلا خيرا .

وقال ابن نقطة : هو ثقة مأمون ، مكثر حسن السمت .

وقال المنذرى : كان فاضلا ، مرضى السيرة .

قال ابن الساعى : كان ثقة صالحا خيرا ، كثير السكون ، حسن السمت ، جميل الطريقة من بيت العدالة والرواية ، ولِيَ كتابة باب طراد ، والخزن بالديوان وعين للدخول على ولى العهد أبى نصر محمد ، وهو الخليفة الظاهر . وكتب عنه ابن الساعى ، وأجاز للمنذرى .

روى عنه عبد الصمد بن أبى الجيش .

قال ابن النجار : وتوفى يوم الأحد رابع رجب سنة سبع وعشرين وستمائة وصلى عليه من الغد بالنظامية . وكان الجمع متوافرا جدا ، وحمل إلى باب حرب فدفن عند آبائه بدكة الإمام أحمد . رضى الله عنه .

قرىء على أبى الربيع محمد بن عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبى الجيش ـ وأنا أسمع ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ببغداد ـ أخبرك والدك أبو أحمد عبد الصمد ابن أحمد قال : حدثنا أبو المعالى محمد بن أحمد بن شافع أخبرنا أبو الفرج[1] بن كايب أخبرنا صاعد بن سيار الهروى أخبرنا أبو عامر الأزدى وأبو المظفر البغاوردانى قالا : أخبرنا الجراحى أخبرنا المحبوبى حدثنا الترمذى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا سعيد الجريرى عن قيس بن عباية عن عبد الله ابن مغفل قال : سمعنى أبى وأنا أقول فى الصلاة « بسم الله الرحمن الرحيم » قال

(١) فى مخطوطة الثقافة « أبو الفتوح »

« أى بنى ، مُحْدَث ، إياك والحدث . قال : ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبغض إليه الحدث فى الإسلام – يعنى منه – قال : وصليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع أبى بكر ، ومع عمر ، ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها . فلا تقلها إذا صليت . وقل : الحمد لله رب العالمين »

أخبرنا – عاليا – محمد بن إسماعيل الأنصارى – بدمشق – أخبرنا يحيى بن أبى منصور بن الصيرفى الحرانى الفقيه – حضوراً – أخبرنا عبد القادر الرهاوى الحافظ أخبرنا نصر بن سيار الهروى أخبرنا الأزدى – فذكره .

٢٩٥ – أحمد بن نصر بن الحسين بن فهد ، العلثى ، الفقيه ، أبو العباس

سمع من أبى شاكر السقلاطونى ، وعبد الحق اليوسفى ، وعبد الرحمن بن جامع الفقيه ، وشُهدة . وتفقه على ابن المنى . وكان حسن الكلام فى مسائل الخلاف ، وفيه صلاح وديانة . وله مسجد بالريان يصلى فيه ، ويقرئ الناس . وكان زيه زى العوام فى ملبسه . وحدث . وسمع منه جماعة .

توفى ليلة الثلاثاء ثانى عشر شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة . ودفن من الغد بمقبرة الريان خلف مسجده .

وقال ابن النجار : وأظنه ناطح السبعين . رحمه الله تعالى .

٢٩٦ – عبد الوهاب بن زاكى بن جميع الحرانى ، الفقيه ، ناصح الدين ، أبو محمد نزيل دمشق .

سمع بحران من عبد القادر الرهاوى متأخراً .

قال ابن حمدان : كان فاضلا فى الأصلين والخلاف ، فى الفروع والعربية ، والنظم والنثر ، وغير ذلك .

رحل إلى بغداد . وقرأت عليه « الجدل الكبير » لابن المنى ، وبعض تعليقه و« منتهى السول » وغير ذلك . وكان كثير المروءة والأدب ، حسن الصحبة

وقلت فى مرثيته أبياتاً ، منها :

علا منزلا عال من المجد والنهى   فأضحى ولا يرقى له مورد الشرب
وساد لسادات الزمان بسؤدد   يدوم دوام الدهر فى الشرق والغرب

وذكر المنذرى : أنه حدث بشىء من شعره ، قال : و « جميع » بضم الجيم وفتح الميم .

وتوفى فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق . ودفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

٢٩٧ ـ سليمان بن عمر بن المشبك الحرانى ، الفقيه ، الأصولى أبو الربيع ويلقب كمال الدين .

قال ابن حمدان : كان رجلا صالحاً ورعاً ، فاضلا فى الأصلين والخلاف والمذهب . وله تصانيف كثيرة فى ذلك كله ، منها عبادات ، ومختصر الهداية والوفاق والخلاف بين الأئمة الأربعة ، ومسائل خلاف ، وأصول فقه ، وغير ذلك

قلت : رأيت له كتاب « الراجح » فى أصول الفقة ، قال : ومنها « اعتقاد أهل حران » و « نفى الآفات عن آيات الصفات » و « صرف الالتباس عن بدعة قراءة الاخماس » وغير ذلك .

قال : وعدته فى مرضه ، ولم أسمع منه شيئاً . مات زمن اشتغالى ، وندمت على مافاتنى منه .

توفى بعد العشرين وستمائة يعنى بحران .

قلت : أظنه مات فى أول هذا الشهر . والله أعلم .

٢٩٨ ـ خلف بن محمد بن خلف السكنرى ، البغدادى ، المقرىء ، أبو الذخر

ولد بكُنّر ، من قرى بغداد ، سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وحفظ بها القرآن . وتفقه فى المذهب . ثم سافر إلى الموصل واستوطنها . وسمع بها من الخطيب أبى الفضل الطوسى ، ويحيى الثقفى ، وغيرهما .

وحدث ، وأقرأ القرآن . وكتب عنه النـاس . وكان متديناً صالحاً ، حسن الطريقة .

توفى فى محرم سنة تسع وعشرين وستمائة بالموصل . رحمه الله تعالى .

٢٩٩ ــ يوسف بن فضل الله بن يحيى السكاكينى الحرانى ، الأديب الزاهد ، أبو المظفر ، وأبو الحجاج . سمع على الرهاوى بحران بعد الستمائة .

وذكره ابن حمدان فقال : كان إمام البلد فى وقته فى النحو واللغة والتصريف والقراءات .

وله تصنيف كبير فى الزهد والورع . وله النظم الـكثير الحسن .

وتوفى بحران . ودفن بداره التى جعلها دار حديث ، ووقف بها خزانته وكتبه . ولم تؤرخ وفاته . ثم رأيته قد سمع عليه شىء من نظمه فى صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة بحران ، ومنه قوله :

أفق ياذا النهى ، وابغ الوفاقا ... فقد والله أفلح من أفاقا
ونفسُك أيها المغرور صنها ... عن الدنيا ، وبِتَّ لها طلاقا
ولا تركن إليها ؛ فهى سجن ... سفيه من رجا منها إباقا
ولا تفرح بزخرفها ، فإنى ... رأيت تمـام ماتعطى محاقا
ولـكن من تلفع ثوب زهد ... يفك بزهـده عنه الوثاقا
إذا ماساعة للحشر قامت ... ولم ير عنـد صبحتها فواقا
وبرزت الجحيم لهـا زفـير ... وحل عذابهـا بهم وحاقا
وتنصب للعصاة وقد أتوها ... وما وافوا بصالحـة رهاقا
فـكن حذراً وقت حلول دار ... يكون شراب ساكنها غساقا
وجاهد كى تصير إلى نعيم ... مقيم لا تخـاف له فراقا
بدار شرب ساكنها رحيق ... تعاطى الكأس مترعة دهاقا

من التسليم والولدان تسمى ... بها أبداً صبوحاً واغتباقا
وعندهم حسان قاصرات ... صفا وُدُّ الحسان لهم وراقا
وأنهارٌ بها عسل مصفى ... ومن لبن زها الرائي وشاقا
ومن خمر تلذُّ لشاربيها ... ولا تغتال عقلا إذ تساق
ومالا يرى فيها أجون ... إذا ما استاقه الساقى وذاقا
وأفنان القطوف بها دوانٍ ... وتعتنق الغصون بها اعتناقا
وفيها ما تشهى النفس حتما ... لمن لم ينوِ فى الدنيا نفاقا
ولم يأت الخطايا مستحلا ... ولا دانى فواحشها شقاقا
وأعظم منة لله فيها ... على العبد التحية حين لاقى
سلام يا عبادى نلتموه ... جزاء من مليككموا وفاقا
فخروا ثم كاد العقل منهم ... وقد لاقوه ينطلق انطلاقا
وكيف القلب لاينشق منى ... على هذا بغصته انشقاقا
وحول القوم أشجار وروض ... من المرجان تصطفق اصطفاقا
وحور من بطون الغيب تبدو ... فتعتلق القلوب بها اعتلاقا
يلاعب بعضهم بعضاً سروراً ... بود ما أتوا فيه مذاقا
فمن رام الخلود بدار عدن ... يشمر فى تطلب ذاك ساقا
ويلزم نفسه سهر الليالى ... ويكلف فى العبادة ما أطاقا
فلا والله مانال المعالى ... أخو دعة يَمُدُّ له رواقا
وينشد مستظلا فى فناه ... أيدرى الربع أى دم أراقا
بلى والله من جد اجتهادا ... وسابق فى رضى المولى سباقا
وحج البيت عاماً بعد عام ... وأعمل نحوه عيساً دقاقا
ولم يركن إلى الدنيا غرورا ... وقطع من علائقها الرباقا

ولا يلوى على أهل ومال وحن إلى فراقهما وتاقا
فطوراً يقطع البيداء شاماً وطوراً سالكاً فيها عراقا
وفارق زهرة الدنيا مطيعاً وأقبل نحو أخراه اشتياقا
وعانى من أليم الشوق وجداً وكابد من تلهبه احتراقا
ورافق من يرافقه برفق ولا يشكو إلى أحد رفاقا
جديراً أن يصير إلى سرور يلذ به ويرتفق ارتفاقا
فياطوبى لمن أصغى لوعظى وزايل غيه ثم استفاقا

وذكر باقى القصيدة ، وهى طويلة ، رواها عنه المحدث أبو حفص عمر بن مكى ابن سرحاء الحلبى القلانسى .

وله مرثية فى الشيخ موفق الدين المقدسى ، رواها عنه الحافظ الضياء إجازة .

٣٠٠ — يحيى بن سعيد بن علي بن يعقوب البغدادى القطفتى الفقيه المعدل ، أبو محمد ، ويقال : أبو زكريا ، ابن أبى سعيد بن أبى الحسن ، المعروف بابن غالية بالغين المعجمة .

ذكر أنه سمع من ابن البطى . وسمع من أبى الفتح بن المنى . وتفقه عليه . وحصل طرفا صالحاً من الفقه . ونظر فى علم الحساب وغيره . وشهد عند الحكام . وولى خبرية باب النوبى . ثم عزل ، وناب فى نظر المارستان . وكتب عنه ابن الساعى . وسمع منه عبد الصمد بن أبى الجيش أبياتا للقيروانى بسماعه من أبى محمد الحسن بن عبيدة النحوى ، وقال عبد الصمد : هو خالى . ولم يؤرخ وفاته . وبقى إلى حدود العشرين والستمائة أو بعدها .

وفى وفيات المنذرى : وفى جمادى الأولى — يعنى سنة تسع وعشرين — توفى الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى القطفتى ببغداد . ودفن بمقبرة معروف . ومولده سنة أربع — أو خمس — وأربعين وخمسمائة . سمع من يحيى بن موهوب بن أنسديك . وحدث . كذا سماه . وفى اسمه تخبيط فى النسخة فيحرر ذلك .

٣٠١ ـ محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر بن عبد الله البغدادي الحافظ ، أبو بكر بن أبي محمد ، المعروف بابن نقطة . و يلقب معين الدين ، ومحب الدين أيضاً .

ولد في عاشر رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

وسمع ببغداد من يحيى بن بوش ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وعمر بن طبرزد ، وابن الأخضر الحافظ ، وأحمد بن الحسن العاقولي ، وخلق .

ورحل إلى البلدان . فسمع بواسط من أبي الفتح بن المنداى ، و بأربل من عبد اللطيف بن أبي النجيب السهروردي .

و بإصبهان من عفيفة الفارقانية ، وزاهر بن أحمد ، والمؤيد بن الأخوة ، وأبي الفخر بن روح ، وجماعة .

و بخراسان من منصور بن عبد المنعم الفراوي ، والمؤيد الطوسي ، وزينب المسعرية ، وجماعة .

و بدمشق من أبي اليمن الكندي ، وأبي القاسم ابن الحرستاني ، وداود ابن ملاعب ، وغيرهم .

و بمصر من أبي عبد الله الحسين بن أبي الفخر الكاتب ، وعبد القوي ابن الحباب ، وطائفة من أصحاب السلفي وغيره .

وسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحراني ، وجماعة من أصحاب السلفي .

وسمع بمكة من يحيى بن ياقوت .

و بحران من الحافظ عبد القادر ، و بحلب من الافتخار الهاشمي ، و بالموصل من جماعة ، و بدمنهور ودنير ، و بلاد أخر .

وعني بهذا الشأن عناية تامة . و برع فيه . وكتب الكثير . وحصل الأصول . وجمع ، وصنف تصانيف مفيدة .

ذكره عمر بن الحاجب الحافظ في معجمه فقال : شيخنا هذا أحد الحفاظ

الموجودين فى هذا الزمان . طاف البلاد ، وسمع الكثير ، وصنف كتباً حسنة فى معرفة علوم الحديث والأنساب . وكان إماماً زاهداً ورعاً ، ثقة ثبتاً ، حسن القراءة ، مليح الخط ، كثير الفوائد ، متحرياً فى الرواية ، حجة فيما يقوله ويصنفه وينقله ويجمعه ، حسن النقل ، مليح الخط والضبط ، ذا سمت ووقار وعفاف ، حسن السيرة ، جميل الظاهر والباطن ، سخى النفس مع القلة ، قانعا باليسير ، كثير الرغبة إلى الخيرات .

سألت ابن عبد الواحد ـ يعني الحافظ الضياء ـ عنه ؟ فقال : حافظ دين ثقة ، صاحب مروءة ، كريم النفس ، كثير الفائدة ، مشهور بالثقة ، حلو المنطق .

وسألت البرزالى عنه ؟ فقال : ثقة دين مفيد . انتهى ما ذكره .

وقال المنذرى : رفيقنا الحافظ أبو بكر بن نقطة . سمعت منه . وسمع مني بجيرة فسطاط مصر وغيرها . وكان أحد المشهورين بكثرة الطلب والكتابة والرحلة . وصنف تصانيف مفيدة .

وقال ابن خلكان : دخل خراسان ، وبلاد الجبل ، والجزيرة ، والشام ، ومصر . ولقى المشايخ ، وأخذ عنهم . وكتب الكثير ، وعلق التعاليق النافعة ، وذيل على « الإكمال » لابن ماكولا فى مجلدين . وله كتاب آخر لطيف فى الأنساب . وله كتاب « التقييد بمعرفة رواة السنن والمسانيد » وله غير ذلك .

وقال الحافظ الذهبي : الحافظ الإمام المتقن ، محدث العراق ، أبو بكر ابن نقطة ـ وذكر ترجمته ، إلى أن قال ـ وكتابه « المستدرك على إكمال ابن ماكولا » ينبئ بإمامته وحفظه . وكان متقنا محققا . له سمت ووقار . وفيه دين وقناعة . قفى أثر والده فى الزهد والتقشف ، لم ألق أحدا يروى لى عنه .

قال : وروى عنه المنذرى ، والسيف ابن المجد ، وعبد الكريم بن منصور الأثرى ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الغنى ، وعز الدين الفاروثى ، وابنه الليث بن نقطة . وذكر غيرهم .

وذكر عمر بن الحاجب عن ابن الأنماطى أنه سأله عن نسبته ، فقال : جارية ربت جدتى أم أبى ، اسمها «نقطة» عرفنا باسمها . وقد أجاز لفاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم ، وتأخرت وفاتها .

توفى رحمه الله تعالى فى سن الكهولة ، بكرة يوم الجمعة ثانى عشر صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ببغداد . ودفن عند قبر أبيه . وأبوه الزاهد أبو محمد :

٣٠٢ — عبد الغنى كان من أكابر الزهاد المشهورين بالصلاح والإيثار ، وله أتباع ومريدون . وبنت له أم الخليفة الناصر مسجدا حسنا بتل الزينبية ببغداد فيه . وكان يقصده الناس فيتكلم عليهم ، وزوّجته بجارية من خواصها ، فانقطع وجهزتها بنحو عشرة آلاف دينار . فما حال الحول وعندهم من ذلك شىء ، بل جميع ذلك تصدق به . كان يتصدق فى كل يوم بألف دينار ، وأصحابه صيام لا يدخر لهم عشاء . ويقال : إنه لم يبق عنده من جهاز زوجته إلا هاون . فوقف سائل يلح فى الطلب ، ويصف فقره وحاجته ، وأنه منذ كذا لم يجد شيئا . فأخرج إليه الهاون ، وقال : خذ هذا كل به فى ثلاثين يوما . ولا تشنع على الله عز وجل .

وكان قد سمع من عمر بن التبان ، ومظفر بن أبى نصر البواب ، وغيرهما .

وتوفى فى رابع جماد الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . ودفن فى موضع مجاور لمسجده رحمه الله تعالى .

أنبانى القاسم بن محمد الحافظ أخبرنا أحمد بن إبراهيم الواسطى الخطيب أخبرنا أبو بكر بن نقطة الحافظ — سنة ثمان وعشرين وستمائة ببغداد — أخبرتنا عفيفة بنت أحمد أخبرتنا فاطمة الجوزدانية أخبرنا أبو بكر بن ريده أخبرنا الطبرانى أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن فيل أنوبة حدثنا الحسن بن أيوب عن عبد الله بن بسر قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . ولا يقبل الصدقة » .

٣٠٣ — عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، ثم الدمشقى ، الحافظ ابن الحافظ ، أبو موسى بن أبى محمد . ويلقب جمال الدين .

ولد فى شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

وسمع بدمشق من جماعة ، منهم : عبد الرحمن بن على بن الخرقى ، وإسماعيل الجنزوى ، والخشوعى . ورحل به أخوه الحافظ عز الدين محمد — المتقدم ذكره — فسمع ببغداد من ابن كليب ، وابن المعطوس ، وبأصبهان من مسعود الجمال ، وخليل الدارنى ، وأبى المكام اللبان ، وخلق كثير ، وبمصر من أبى عبد الله الارتاحى ، وفاطمة بنت سعد الخير . ثم ارتحل ثانيا إلى العراق . فسمع من ابن الجوزى ، وأبى الفتح المندآى ، وطبقتهما ببغداد وواسط ، ومن منصور الفراوى ، والمؤيد الطوسى ، وغيرهما بنيسابور . وسمع بالموصل ، وأربل ، وبالحرمين . وكتب بخطه الكثير . وجمع . وصنف وأفاد . وقرأ القرآن على عمه الشيخ العماد ، والفقه على الشيخ موفق الدين ، والعربية على أبى البقاء العكبرى .

قال الحافظ الضياء : اشتغل بالفقه والحديث ، وصار علماً فى وقته . ورحل ثانياً ، ومشى على رجليه كثيراً ، وصار قدوة ، وانتفع الناس بمجالسته التى لم يسبق إلى مثلها .

وقال عمر بن الحاجب : سمعت الضياء يصف ما قاسى أبو موسى من الشدائد والجوع والعرى فى رحلته إلى نيسابور ، وأصبهان .

وقال أبو عبد الله البرزالى : حافظ دَيِّن متميز .

وقال الضياء عنه أيضاً : حافظ متقن ، دين ثقة ، كانت قراءته سريعة صحيحة مليحة .

وقال عمر بن الحاجب الحافظ : لم يكن فى عصره مثله فى الحفظ ، والمعرفة والأمانة ، وكان كثير الفضل ، وافر العقل ، متواضعاً ، مهيباً ، وقوراً جواداً

سخياً ، له القبول التام ، مع العبادة والورع والمجاهدة ، كأن كلامه الضياء ، وكان قد عود الناس شيئاً لم يروه من غيره ، وذلك : أن كل من احتاج إلى قرض شيء يمضي إليه ، فيحتال له حتى يحصل له مايطلب ، حتى صار عليه من ذلك ديون ، وكثير من الناس لايرجع يوفيه .

قال ابن الحاجب : ولو اشتغل حق الاشتغال ماسبقه أحد ، ولكنه تارك .

وقال غيره : عقد أبو موسى مجلس التذكير ، ورغب الناس فى حضوره ، وكان جم الفوائد ، يطرز مجلسه بالبكاء والخشوع ، وإظهار الجزع .

وقال المنذرى : الحافظ أبو موسى ، حدث بدمشق ومصر وغيرهما ، اجتمعت به لما قدم مصر للغزاة بثغر دمياط .

قال الذهبي : وروى عنه الضياء ، وابن أبى عمر ، وابن البخارى ، وجماعة كثيرون . وآخر من روى عنه إجازة : القاضى تقى الدين سليمان ، ومع هذا فقد غمزه الناصح ابن الحنبلى ، وأبو المظفر سبط ابن الجوزى بالميل إلى السلاطين ، والانقطاع إلى الملك الصالح .

والعجب : أن هذين الرجلين كانا من أكثر الناس ميلا إلى الملوك ، والتوصل إليهم ، وإلى برهم بالوعظ وغيره . وما أحسن قول القائل :

لا تَنْهَ عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ولقد كان أبو موسى أتقى لله وأورع ، وأعلم منهما وأكثر عبادة ، وأنفع للناس ، وبنى الملك الأشرف دار الحديث بالسفح على اسمه ، وجعله شيخها ، وقرر له معلوماً ، فمات أبو موسى قبل كمالها .

توفى رحمه الله يوم الجمعة ، خامس رمضان سنة تسع وعشرين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

ورآه بعضهم فى النوم ، فقال له : مافعل الله بك ؟ قال : أسكننى على بركة رضوان . ورآه آخر ، فسأله ، فقال : لقيت خيراً . فقال له : كيف الناس ؟ قال :

يتفاوتون على قدر أعمالهم . ورآه آخر من أصحــابه ، فقال له : أوصيك بالدعاء الذى حفظتك إياه فاحفظه ، فقال له : ما بقيت أحفظه ، فقال له : هو مكتوب فى الورقة التى كتبتها لك ، فما نفعنى الله إلا به ، وكان الدعاء : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ـ الحديث » .

ورثاه جماعة . منهم يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بقصيدة ، يقول فيها :

لهفى على ميت مات السرور به   لو كان حياً لأحيا الدين والسننا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة   إذاً لما كانت الدنيا له ثمنا
ياسيدى ومكان الروح من جسدى   هلاّ دنا الموت منى حين منك دنا ؟

٣٠٤ ـ عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم بن باقا ، أبو بكر البغدادى البزاز المعدل . ويلقب صفى الدين .

ولد فى رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد .

وقرأ القرآن . وسمع من أبى زرعة ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وأبى بكر ابن النقور ، وعلى بن عساكر البطائحى ، وعبد الحق اليوسفى ، وعلى بن أبى سعد الخباز ، وأبى العباس بن بكروس الفقيه ، وأخيه أبى الحسن وغيرهم .

وقرأ طرفاً من الفقه على أبى الفتح بن المنى ، واستوطن مصر إلى أن مات . وشهد بها عند القضاة

حدث بالكثير إلى ليلة وفاته . وكان كثير التلاوة للقرآن .

قال ابن النجار : كان شيخاً جليلا صدوقاً أميناً ، حسن الأخلاق متواضعاً . سمع منه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، منهم ابن نقطة ، وابن النجار ، والمنذرى وغيرهم . وحدث عنه خلق كثير

وتوفى سحر تاسع عشر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بالقاهرة . ودفن من الغد بسفح المقطم . وقد سمعنا كثيراً من روايته وحديثه رحمه الله تعالى

وفى جمادى الأول من السنة المذكورة توفى القاضى أبو المعالى :

٣٠٥ ـ أحمد بن يحيى بن فايد الأُوانى الحنبلى . ولاه القاضى أبو صالح الجيلى قضاء جيل . وله نظم . حدث ببعضه

توفى بأُوانَى . وكان ابن عمه أبو عبد الله محمد بن أبى المعالى بن فائد الأوانى زاهداً قدوة ، ذا كرامات . حكى عنه الشيخ شهاب الدين السهروردى وغيره حكايات .

قال الناصح ابن الحنبلى : زرته أنا ورفيق لى ، فقدم لنا العشاء وعنده جماعة كثيرة ، ولم يكن إلا خبز وخل و بقل ، فتحدث على الطعام . ثم قال : ضاف بعيسى ابن مريم أقوام . فقدم لهم خبزاً وخلا ، وقال « لو كنت متكلفاً لأحد شيئاً لتكلفت لكم » قال : فعرفت أنه قد عرف حالى . ودخل عليه رجل من الملاحدة فى رباطه وهو جالس وحده ، وهو فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، فقتله فتكاً . رضى الله عنه . ودفن برباطه . ثم قتل قاتله وأحرق.

٣٠٦ ـ الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم بن موسى بن عمران الربعى الزبيدى الأصل ، البغدادى البابصرى ، الشيخ سراج الدين ، أبو عبد الله ابن أبى بكر بن أبى عبد الله

ولد سنة ست ـ أو سبع ـ وأربعين وخمسمائة ، وقيل : سنة خمس وأربعين . وقرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث من جده أبى الوقت ، وأبى الفتوح الطائى وأبى حامد الغرناطى ، وأبى زرعة وغيرهم .

وتفقه فى المذهب ، وأفتى ودرس بمدرسة الوزير أبى المظفر بن هبيرة . وكانت له معرفة حسنة بالأدب ، وخرجت له مشيخة ، وصنف تصانيف ، منها : كتاب « البلغة فى الفقه » وله نظم فى اللغة والقراءات . وكان فقيها فاضلا ديناً خيراً ، حسن الأخلاق متواضعاً

قرأ عليه عبد الصمد بن أبى الجيش القرآن بكتاب السبعة «لأبى الخطاب» الصوفى . وحدث ببغداد ودمشق ، وحلب وغيرها من البلاد . وحدث وسمع

منه أمم . وروى عنه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، منهم الدبيثى ، والضياء . وآخر من حدث عنه : أبو العباس الحجار الصالحى . سمع منه صحيح البخارى وغيره .

توفى فى ثالث عشرين صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة . ودفن بمقبرة جامع المنصور . رحمه الله تعالى .

٣٠٧ - نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبى صالح بن جنكيدوست، الجيلى الأصل، البغدادى الفقيه ، المناظر المحدث ، الزاهد الواعظ ، قاضى القضاة ، شيخ الوقت ، عماد الدين ، أبو صالح بن أبى بكر بن أبى محمد .

وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد فى سحر رابع عشرين ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة .

وقرأ القرآن فى صباه . وسمع الحديث من والده ، وعمه عبد الوهاب ، وأبى هاشم عيسى بن أحمد الدوشانى ، وسعيد بن صافى الحمالى ، والأسعد بن يلدرك ، وأحمد بن المبارك المرقعانى ، وعبد الحق بن عبد الخالق ، ومسلم بن ثابت ابن النحاس ، وعبد المحسن بن تريك ، وشهدة ، وغيرهم .

وأجاز له أبو العلاء الهمدانى ، والسلفى ، وأبو موسى المدينى ، وغيرهم .

واشتغل بالفقه على والده ، وعلى أبى الفتح بن المنى . وقرأ الخلاف وعلم النظر على الفخر النوقانى الشافعى . وبرع فى الفقه وناظر ، وتكلم فى المسائل الخلافية ، وأجاد الكلام . وكان ذا لَسَن وفصاحة ، وجودة عبارة . وأفتى وتولى مدرسة جده ، فكان يدرس ويعظ بها . وعقد مجالس الإملاء للحديث .

وكان يملي الحديث من حفظه ، والناس يكتبون . وأملى فى مجلس حكمه . وكان عظيم القدر ، بعيد الصيت ، معظما عند الخاصة والعامة ، ملازماً طريق النسك والعبادة ، مع حسن سمت ، وكيس وتواضع ، ولطف وبشر ، وطيب ملاقاة

وكان محباً للعلم ، مكرماً لأهله . ولم يزل على طريقة حسنة وسيرة رضية . وكان أثريا سُنياً ، متمسكا بالحديث ، عارفا به .

وقد وقع مرة بينه و بين طائفة من الأصحاب ـ كأبى البقاء العكبرى ومحى الدين بن عربى ـ منازعة فى حديث من أحاديث الصفات ، وثبت هو على إقراره و إمراره . كما جاء من غير تأويل ولا إنكار . وانتشر الكلام فى ذلك ، حتى خرج الأمر من جهة الخلافة بالسكوت من الجهتين ، حسما للفتنة .

ولما توفى الخليفة الناصر ، وولى ابنه الظاهر ـ وكان من خيار الخلفاء ، وأحسنهم سيرة ، وأظهرهم صيانة ، وصلاحاً وعدلا ـ أزال المكوس ، ورد المظالم ، واجتهد فى تنفيذ الأحكام الشرعية على وجهها ، حتى قال ابن الأثير : لو قال القائل : ما ولى بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان هذا القائل صادقاً .

وكان رحمه الله يختار لكل ولاية أصلح من يجده . فقلّد أبا صالح ـ هذا ـ قضاء القضاة بجميع مملكته ، ويقال : إنه لم يقبل إلا بشرط : أن يورث ذوى الأرحام . فقال له : أعط كل ذى حق حقه ، واتق الله ، ولا تتق أحداً سواه . وأمره أن يوصل إلى كل من ثبت له حق بطريق شرعى حقّه، من غير مراجعة. وأرسل إليه بعشرة آلاف دينار يوفى بها ديون من بسجنه من المديونين الذين لا يجدون وفاء .

ولما خلع عليه ، وقرئ عهده بجامع قصر الخلافة : أرسل إلى الخليفة ورقة يشكر فيها للخليفة ، ويقول : العبد يرجو من الله تعالى العون على القيام بأعباء تكاليفه . فقد أومأ إلى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن ، لاتسأل الإمارة ؛ فإنك إن أُوتيتها من غير مسألة أُعنت عليها » ويتم هذا الإنعام بأن يجرى على اللفظ الأشرف : قلدت نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلى ما يقوى عليه ؛ ليصح العمل والحكم شرعاً .

ثم رد إليه النظر فى جميع الوقوف العامة : وقوف المدارس الشافعية والحنفية

وجامعى السلطان وابن المطلب ، فكان يولى و يعزل فى جميع المـدارس ، حتى النظامية .

ولما توفى الظاهر أقره ابنه المستنصر مديدة ، واستدعاه عند المبايعة ؛ ليثبت له وكالة وكلها لشخص فلم يحكم فيها ، حتى قال له : وليتنى ما ولانى والدك ؟ فصرح له بالتولية .

وكان رحمه الله ـ فى أيام ولايته ـ يؤذن ببابه فى مجلس الحـكم و يصلى جماعة ويخرج إلى الجامع راجلا ، ويلبس القطن . وكان متحريا فى القضاء ، قويَّ النفس فى الحق ، عديم المحـاباة والتكلف ، حتى إنه كان يمكن الشهود من الـكتابة من دواته ، وسار سيرة السلف . ولما عزله المستنصر أنشد عند عزله :

حمدت الله عز وجل لما قضى لى بالخلاص من القضاء
وللمتنصر المنصور أشـكر وأدعو فوق معتاد الدعاء

ولا أعلم أحداً من أصحابنا دُعى بقاضى القضاة قبله ، ولا استقل منهم بولاية قضاء القضاء بمصر غيره .

وأقام بعد عزله بمدرستهم يدرس و يفتى ، و يحضر المجالس الـكبار والمحافل .

ثم فوض إليه المستنصر رباطاً بناه بدير الروم ، وجعـله شيخاً به . وكان يعظمه و يجله ، و يبعث إليه أموالا جزيلة ليفرقها .

وقد صنف فى الفقه كتاباً سماه «إرشاد المبتدئين» وأملى مجالس فى الحديث وخرج لنفسه أربعين حديثاً .

أثنى عليه الحافظ الضياء ، ووصفه بالخير . وتفقه عليه جماعة ، وانتفعوا به .

وفيه يقول الصرصرى فى قصيدته اللامية ، التى مدح فيهـا الإمام أحمد وأصحابه :

وفى عصرنا قد كان فى الفقه قدوة أبو صالح ، نصر لـكل مؤملِ

وسمع منه الحديث خلق كثير . روى عنه جماعة . منهم : عبد الصمد بن أبى الجيش ، والنجيب الحرانى ، والكمال البزار .

توفى سحر يوم الأحد سادس عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وصلى عليه بجامع القصر ، وحضره خلق كثير من الولاة والأعيان والعوام ، وازدحموا على حمله ، وارتفعت الأصوات حول سريره . وكان يوماً مشهوداً ، ودفن بدكة الإمام أحمد رضى الله عنه .

أخبرنا أبو الربيع على بن عبد الصمد بن أحمد البغدادى ـ بها سنة إحدى وأربعين ـ أخبرنا والدى أبو أحمد عبد الصمد ـ غير مرة ـ أخبرنا أبو صالح نصر ابن عبد الرزاق قال : أخبرنا أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقانى ، أخبرنا أبو عبد الله الفراوى أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أخبرنا أبو أحمد الجلودى حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن رمح حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا معشر النساء ، تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار » وذكر الحديث .

وأخبرنا به عالياً محمد بن إسماعيل الأنصارى بدمشق غير مرة .

أخبرنا القاسم بن محمد حدثنا المؤيد بن أحمد بن محمد الطوسى أخبرنا الفراوى وقرأت على أبى المعالى محمد بن عبد الرزاق الشيبانى ـ ببغداد ـ أخبركم أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف البزار ـ قراءة عليه ، وأنت تسمع ـ قال : أنشدنا القاضى أبو صالح فى عقب مجلس أملاه علينا لنفسه :

أعبد الله راجياً رحمة منه ... ولا تخش غير رب السماء
ماأتاك الرسول خذه ، ودع ... ماقد نهى عنه ، تحظ بالعلياء
واتق الله مخلصاً دائماً تصـ ... ـبح من الأغنياء والعلماء

٣٠٨ - عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصارى ، الخزرجى السعدى ، العبادى ، الشيرازى الأصل ، الدمشقي الفقيه الواعظ ، ناصح الدين أبو الفرج بن أبي العلاء بن أبي البركات بن أبي الفرج المعروف بابن الحنبلي.

ولد ليلة الجمعة سابع عشر شوال سنة أربع وخمسين وخمسمائة بدمشق .

وسمع بها من والده ، والقاضي أبي الفضل محمد بن الشهرزورى ، وأبي الحسن علي بن نجا الواعظ ، وأحمد بن الحسين العراقي ، وجماعة .

وشرع في الاشتغال ، ورحل إلى البلاد ، فأقام ببغداد مدة ، وسمع بها من أبي شاكر السقلاطوني ، وعبد الحق اليوسفي ، ومسلم بن ثابت الوكيل ، وعيسى السدوشاني ، وشهدة الكاتبة ، وتجنى الوهبانية ، ونعمة بنت القاضي أبي حازم ابن الفراء وغيرهم ، فمن دونهم في الطبقة ، كلاحق بن كاره ، وابن الجوزى ، وعبد المغيث الحربي .

وسمع بإصبهان من الحافظ أبي موسى المديني . وهو آخر من سمع منه ؛ لأنه سمع منه في مرض موته ، ومن أبي العباس الترك.

وسمع بهمدان من أبي محمد عبد الغني بن الحافظ أبي العلاء وغيره . وسمع بمكة وغيرها .

وسمع بالموصل من الشيخ أبي أحمد الحداد الزاهد شيئا من تصانيفه .

ودخل بلاداً كثيرة ، واجتمع بفضلائها وصالحيها ، وفاوضهم ، وأخذ عنهم وقدم مصر مرتين . وأقام ببغداد مدة يشتغل على أبي الفتح بن المنى . وقرأ على أبي البقاء العكبرى « الفصيح » لثعلب من حفظه ، و بعض « التصريف » لابن جنى وأخذ عن الكمال السنجارى ، والبهجة الضرير ، النحويين . واشتغل بالوعظ ، و برع فيه . ووعظ من أوائل عمره ، وحصل له القبول التام .

وقد وعظ بكثير من البلاد التي دخلها ، كمصر ، وحلب ، وأربل ،

والمدينة النبوية ، و بيت المقدس . وكان له حرمة عند الملوك والسلاطين ، خصوصا ملوك الشام بنى أيوب .

وقدم بغداد حاجا سنة اثنتى عشرة وستمائة . وأكرمه الخليفة الناصر . وأظنه وعظ بها هذه السنة ، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين .

قال : واجتمعت بالسلطان فى القدس بعد الفتح بسنتين . وسألنى عن مذهب الإمام أحمد فى الخضاب بالسواد ؟ فقلت : مكروه . وسألنى عن الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين ؟ فذكرت المذهب فى ذلك . فاعترضنى بعض الفقهاء الحاضرين ، وجرى بينى و بينه مجادلة ، فأكثر من الصياح ، فصاح السلطان عليه : اسكت ، صيحة مزعجة ، فسكت وسكتنا لحظة ، ثم قال لى : تَمِّمْ كلامك فذكرت ، ثم سكتُّ . فحكى السلطان قال : كان المجير الفقيه يتكلم مع الجمال الحنفى ، فكان الجمال يبقبق ، والمجير يحقق . ثم سألنى بعد ذلك عن مذهب أحمد فى الشبابة ؟ ثم قال : معكم غير حديث ابن عمر ؟ و بسطنى فى الكلام ، حتى ذكرت له حسن أصوات أهل إصبهان . وذكر الطوال من الصحابة . وقال كانوا يسمون « مقبلي » وتوقف . فقلت : الطعن ؟ فقال : الطعن . فكأن بعض الحاضرين نَفَس علىَّ سؤال السلطان لى ، و إقباله على كلامى ، فقال : من أربعة من الصحابة من نسل رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : أبو بكر الصديق ، وأبوه أبو قحافة ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبى بَكر . ثم قال السلطان : هاتوا شيئا ، فمدوا له سماطا مختصرا جداً ، بعد عشاء الآخرة بساعتين ، فأكلنا معه . فقال لى بعض أصحابه : هذا من أجلك ، فإن له أكثر من شهر ما أكل بالليل، ثم أخذ يثنى على والدى ، و يقول: ما أولد إلا بعد الأربعين . قال : وكان عارفا بسيرة والدى .

ودرس الناصح بعدة مدارس ، منها مدرسة جده شرف الإسلام ، ودرس بالمسمارية ، مع أبى المعالى أسعد بن المنجى ، ثم استقل بها وحده ، وعزل ابن المنجى

ثم فى سنة خمس وعشرين استقر بنو المنجى بالتدريس بها بحكم أن نظرها لهم ، ثم بنت له الصاحبة ربيعة خاتون مدرسة بالجبل وهى المعروفة بالصاحبية . فدرس بها سنة ثمان وعشرين . وكان يوما مشهودا . وحضرت الواقفة من وراء ستر .

وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين . وكان يساميه فى حياته .

قال ناصح الدين : وكنت قدمت من أربل سنة وفاة الشيخ الموفق ، فقال لى : قد سررت بقدومك ، مخافة أن أموت وأنت غائب ، فيقع وهن فى المذهب ، وخُلْفٌ بين أصحابنا .

وقد وقع مرات بين الناصح والشيخ الموفق اختلاف فى فتوى فى السماع المحدَث ، أجاب فيها الشيخ الموفق بإنكاره . فكتب الناصح بعده ما مضمونه «الغناء كالشعر ، فيه مذموم وممدوح ، فما قصد به ترويح النفوس ، وتفريج الهموم ، وتفريغ القلوب لسماع موعظة ، وتحريك لتذكرة : فلا بأس به . وهو حسن» وذكر أحاديث فى تغنى جُوَيْرِيات الأنصار ، وفى الغناء فى الأعراس ، وأحاديث فى الحداء « وأما الشبابة : فقد سمعها جماعة ممن لا يحسن القدح فيهم من مشايخ الصوفية وأهل العلم ، وامتنع من حضورها الأكثر . وأما كونها أشد تحريما وأعظم إثما من سائر الملاهى : فهذا قول لايوافق عليه . وكيف يجعل المختلف فيه كالمتفق عليه ؟ وكون النبى صلى الله عليه وسلم سدّ أذنيه منها : مشترك الدلالة ، لأنه لم ينه ابن عمر رضى الله عنهما عن سماعها » وأعجب من استدلال الفقيه الموفق لذلك . قوله « ولا يجب عليه سد أذنيه لغيرها من الملاهى » فيشعر ذلك بجواز سماع الملاهى . ثم قد بالغ فى تحريم ذلك ، وضم فاعله إلى حكم الكفر بالله تعالى ، وأوهم بما ذكر من الآيات : أن هذا السماع يُخرج عن الإسلام ، وهذا من الغلو ، فكان غلوه فى الجواب أشد خطرا من غلو المذكورين فى السؤال ، وأما اجتماع الرجال والنساء فى مجلس : فلم يذكر فى السؤال . وهو محرم إذا كان فى غير معروف ، فإن كان فى صلاة جمعة أو جماعة ، أو سماع موعظة ، أو التقاء فى

مجلس حكم : فذلك غير منكر ، وهو العادة الجارية فى المواسم عند هذا الفقيه المفتى وجماعته ، ومجالس التذكير فى سائر بلاد الإسلام »

فلما عاد جوابه إلى الشيخ الموفق : كتب فى ظهرها بخطه مامضمونه « كنت أتخيل فى الناصح : أنه يكون إماما بارعا ، وأفرح به للمذهب ؛ لمافضله الله به من شرف بيته ، وإعراق نسبه فى الإمامة ، وما آتاه الله تعالى من بسط اللسان ، وجراءة الجنان ، وحدة الخاطر ، وسرعة الجواب ، وكثرة الصواب . وظننت أنه يكون فى الفتوى مبرزا على أبيه وغيره ، إلى أن رأيت له فتاوى غيره فيها أسد جوابا ، وأكثر صوابا . وظننت أنه ابتلى بذلك لمحبته تخطئة الناس ، واتباعه عيوبهم . ولا يبعد أن يعاقب الله العبد بجنس ذنبه ـ إلى أن قال : والناصح قد شغل كثيرا من زمانه بالرد على الناس فى تصانيفهم وكشف ماستتر من خطاياهم ومحبة بيان سقطاتهم . ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه ، أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته ، وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه ؟ وكما لايحب ذلك لنفسه ينبغى أن لايحبه لغيره ، سيما للأئمة المتقدمين ، والعلماء المبرزين . وقد أرانا الله تعالى آية فى ذهابه عن الصواب فى أشياء تظهر لمن هو دونه .

فمن ذلك : فى فتياه هذه خطأ من وجوه كثيرة .

منها : أنه إنما أذن له بقرينة الحال فى جواب السؤال ، فعدو له إلى الرد على من قبله تصرف فى الكتابة فى ورقة غيره ، بما لم يؤذن له فيه . وذلك حرام .

ومنها : أن قرينة أحوالهم تدل على أنهم إنما أذنوا فى الجواب بما يوافق المفتى قبله ، فالكتابة بخلاف ذلك غير مأذون فيها ، ولذلك أحوج إلى قطع ورقتهم ، وذهاب فتياه منها .

ومنها : أنهم سألوا عن السماع الجامع لهذه الخصال المذكورة ، على وجه يتخذ دينا وقربة ؟ فلم يجب عن ذلك ، وعدل إلى ذكر بعض الخصال المذكورة

مفردة ، على غير الصفة المذكورة ، وليس يلزم من الجواب عن بعض شئ : الجواب عن مجموعه ، ولا من بيان حكمه على صفة : بيان حكمه على غيرها .

فناصح الدين سئل عن السماع الجامع لهذه القبائح مُتخَذا دينا وقربة ، فأجاب : بأن رجلا قد حدا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وجارية قد نَدَبَتْ أباها ، وأشباه ذلك بما ليس فيه جواب أصلا .

ومنها : أنه قسم الغناء إلى قسمين : ممدوح ، ومذموم . ثم رقّاه إلى رتبة المندوبات والعبادات . فجاوز فيه حداء الشعر ، ولم يقل ذلك سوى هذه الطائفة المسؤل عنها ، الذين سلكوا مسلك الجاهلية فى جعله لهم صلاة ودينا ، وحاشى ناصح الدين من اتباعهم .

ومنها : أن قسمته غير حاصرة ، فإن ثَمَّ قسما آخر ، غير ممدوح ولامذموم ، وهو المباح الذى لم يترجح أحد طرفيه على الآخر .

ومنها : أنه شرع مستدلا على مدح الغناء بذكر الحداء ، شروع من لايفرق بين الُحداء والغناء ، ولايفرق بين قول الشعر على أى صفة كان . ومَنْ هذه حاله لا يصلح للفتيا ؛ فإن المفتى ينبغى أن يكون عالما باللسان ، لسان العرب ولغتهم مما يفتى فيه . وظاهر حاله : أنه لايخفى عليه ، لكن ضاقت عليه ممادح الغناء ، فعدل إلى مايقار به ، كما قيل : الأقرع يفتخر بجمة ابن عمه ، وابن الحمقاء يذكر خالته إذا عيب بأمه . لكنه إن كان بسعادته قد علم بذلك، ثم قصد التمويه على من استرشده ، وتعمية من قصده وقلده : فهو حرام ، وإن لم يقصد ذلك ، لكن كان عن غفلة منه : فهو نوع تغفل . وذلك عجيب من مثله .

وأما استدلاله بحديث الجوارى اللاتى نَدَبْنَ آباءهنَّ ، فما فيه ذكر الغناء ، فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أرخص لهنَّ فى ذلك ، فليس له فيه مايوجب المدح فى حق عقلاء الرجال المتوسمين بالدين ، والعبادة ، كما روى « أنه أرخص لعائشة فى اللعب بالبنات » وذلك لا يوجب مدح لعب الرجال العقلاء باللعب ،

واجتماعهم عليه ، ومن رأى ذلك ، فعلى سياق قوله ، كل مارخص فيه للصبيان ، والجويرت الصغار : فهو ممدوح فى حق كل أحد ، كاللعب فى الطرقات ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاغيره ، ينكرون على الصبيان لعبهم ، ولافعالهم التى تستقبح من غيرهم ، مثل المصافعة ، والمفاقسة بالبيض الأحمر ، والعَدْو فى الطرقات ، وحمل بعضهم بعضاً ، وأشياء ، لو فعلها المميز البالغ ، لردت شهادته ، وسقطت عدالته .

فإن قالوا : نحن إنما نحتج بسماع النبى صلى الله عليه وسلم من الجويريات ، فنحن نسمعه كما سمعهن .

قلنا : أخطأتم فى النظر ، وجهلتم الفرق بين فعل النبى صلى الله عليه وسلم وفعلكم ؛ فإن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم السماع له ، وأنتم تفعلون الاستماع ؛ والسماع غير الاستماع — إلى أن قال — : وليس العجب من جاهل لايفرق بين الفعلين ، ولكن من إمام نصب نفسه للفتيا ، وعدَّ أنه هاد للمسلمين ، ومرشدٌ لهم ، وهو لايفرق بين هذين الأمرين ، حتى جعل يعجب من قولنا « لايجب سد الأذنين من الأصوات المحرمات » وقال « هذا يوهم إباحة الاستماع إلى الملاهى ، وما ظننت أنه ينتهى إلى هذه الدرجة ، بل ماظننت أن الجهال يخفى عليهم هذا ؛ فإذا به قد خفى على أحد المدرسين المفتين المتصدِّرين ، حتى عده عجباً ، وأعجب مما عجب منه إمام مدرس مُفْتٍ ، لا يفرق بين السماع والاستماع ، ولا بين الغناء والُحداء ، ولا بين حكم الصغير والكبير !!

وأما خبر عائشة فى زفاف المرأة ، فقد تكلم فيه الإمام أحمد ، فلم يصححه ، ثم لو صح : فليس فيه ذكر الغناء ، إنما فيه قول الشعر ، ولو ثبت أنه غناء ، فلا يلزم من الرخصة فيه فى العرس الذى أمر فيه بالدُّفِّ والصوت : الرخصة فيه على الوجه الذى يفعله هؤلاء .

ومن العجب : استدلال الفقيه على إباحة الشبابة . بأنه قد سمعها من

الصوفية ، وما من قبيحة من القبائح ، ولا بدعة من البدع ، إلا قد سمعها مشايخ وشباب أيضاً ، وقد علم الناصح أنواع الأدلة ، فهل وجد فيها فعل المشايخ من الصوفية ؟ و إن كان هذا دليلا فليضمه إلى أدلة الشرع المذكورة ، ليكون دليلا آخر ، يغرب به على من قبله ، و يكون هذا الدليل منسو با إليه ، معروفاً به ، ولكن لا ينسبه إلى مذهب أحمد ؛ فإن أحمد وغيره من الأئمة بريئون من هذا »

وللناصح رحمه الله تعالى تصانيف عدة ، منها : كتاب « أسباب الحديث » فى مجلدات عدة ، وكتاب « الاستسعاد بمن لقيت من صالحى العباد فى البلاد » وقد وقفت عليه بخطه ، ونقلت منه فى هذا الكتاب كثيراً ، وكتاب « الأنجاد فى الجهاد » صنفه بحلب ، وقال : لما فرغت من تصنيفه ، رأيت فى المنام كأنى جالس ، و إذا بالنبى صلى الله عليه وسلم قد مَرَّ بى ، و بينى و بينه قدر ذراع ، فقال : سلام عليكم ، فرددت السلام ، فلما استيقظت استبشرت ، وقلت : أريد السلام عليه عند حجرته ، شكراً له ، قال : فحججت ذلك العام ، قال : وكان أبو اليمن الكندى ، قد أخذ على ابن نباتة فى خطبه كلمات من جهة اللغة ، وفى قوله « الحمد لله الذى اختار البقاء لنفسه وارتضاه » قال: وكنت نظرت فى خطب ابن نباتة ، فأخذت عليه مواضع كثيرة من حيث المعانى ، واعتذرت عنه فى قوله : « واختار البقاء لنفسه » وحملته على محمل يصح ، ثم قرأت هذا الكتاب على الكندى بحضرة جماعة ، فتغير وجهه، وصار يقول فى بعض المواضع : ماأراد هذا فأقول : يسمع سيدنا الشيخ تمام الفصل ، فإن أراد كذا ، فباطل بكذا ، قال : وكان مجلساً مشهوداً .

وقال الحافظ الذهبى فى تاريخه : للناصح خطب ومقامات ، وكتاب « تاريخ الوعاظ » وأشياء فى الوعظ ، قال : وكان حلو الكلام ، جيد الإيراد ، شهماً مهيباً ، صارماً . وكان رئيس المذهب فى زمانه بدمشق .

وقال ابن النجار : كان فقيهاً ، فاضلا ، أديباً ، حسن الأخلاق .

وقال أبو شامة : كان واعظاً ، متواضعاً متفنناً ، له تصانيف ، وله بنيت المدرسة التي بالجبل للحنابلة ، يعني مدرسة الصاحبية .

قال المنذري : قدم — يعني الناصح — مصر مرتين ، ووعظ بها وحدث . وحصل له بها قبول ، وحدث بدمشق ، و بغداد وغيرهما ، ووعظ ودرس . وكان فاضلا ، وله مصنفات ، وهو من بيت الحديث والفقه ، وحدث هو وأبوه وجده ، وجد أبيه وجد جده . لقيته بدمشق ، وسمعت منه .

قلت : سمع منه خالد النابلسي ، وابن النجار الحافظ . وكتب عنه عبد الصمد ابن أبي الجيش ببغداد أناشيد . وسمع منه بدمشق خلق كثير . وخرج له الزكي البرزالي ، وروى عنه .

توفي يوم السبت ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق . ودفن من يومه بتربتهم بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

أخبرنا بشر بن إبراهيم البعلي وغير واحد قالوا : حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن شرف الأنصاري أخبرنا ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم الأنصاري أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني — بإصبهان — أخبرنا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الحافظ أخبرنا أبو بكر بن ربدة أخبرنا الطبراني .

ح — قال المديني : وأخبرنا أبو علي الحداد أخبرنا الحافظ أبو نعيم حدثنا حبيب بن الحسن قالا : حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي أخبرنا محمد ابن عبد الله الأنصاري حدثنا حميد عن أنس « أن الرُّبَيِّع بنت النضر لطمت جارية ، فكسرت ثنيتها ، فعرضوا عليهم الأرش ، فأبوا ، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص . فجاء أخوها أنس بن النضر ، فقال : يارسول الله ، أتكسر سن الربيع ؟ لا والذي بعثك بالحق نبيا لا تكسر سنها . فقال : يا أنس ، كتابَ الله القصاصَ . فعفا القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبَرّه » .

أخبرنا عالياً أبو الفتح المصرى ـ بها ـ أخبرنا أبو الفرج الحرانى أخبرنا أبو طاهر بن المغطوس أخبرنا أبو الغنائم بن المهتدي أخبرنا أبو إسحاق البرمكى الفقيه أخبرنا السكجى فذكره .

٣٠٩ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن بركة بن أحمد بن صُدَيق بن صروف ، الحرانى الفقيه ، أبو عبد الله . ويلقب موفق الدين .

ولد سنة ثلاث ـ أو أربع ـ وخمسين وخمسمائة بحران .

وسمع بها من أبى ياسر عبد الوهاب بن أبى حية ، وأبى الفتح بن أبى الوفاء الفقيه .

ورحل إلى بغداد فسمع بها من الحق اليوسفى ، وابن شاتيل ، وعبد المغيث الحربى ، وشافع بن صالح الجيلى وغيرهم .

وتفقه ببغداد على ابن المنى ، وأبى البقاء العكبرى ، وابن الجوزى ، ولازمه وأخذ عنه كثيراً . ثم رجع إلى حران . وأعاد بالمدرسة بها مدة . وحدث بحران ودمشق .

سمع منه بحران المنذرى ، والابرقوهى ، وابن حمدان ، وقال : كان شيخنا صالحا من قوم صالحين .

وتوفى فى سادس عشر صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق . ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله .

قال ابن نقطة والمنذرى : و « صُديق » بضم الصاد وفتح الدال الخفيفة المهملتين . زاد المنذرى : و « صروف » بفتح الصاد المهملة وتشديد الراء المهملة وضمها ، و بعدها واو ساكنة وفاء .

٣١٠ ـ أحمد بن أكمل بن أحمد بن مسعود بن عبد الواحد بن مطر ابن أحمد بن محمد الهاشمى العباسى ، البغدادى ، الخطيب المعدل ، أبو العباس ابن أحمد بن أبى العباس .

ولد فى ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة .

وسمع من أبى الفتح بن شاتيل ، وأبى العلاء محمد بن جعفر بن عقيل ، ووفاء بن أسعد ، وعبد الغنى بن أبى العلاء الهمداني وتفقه فى المذهب .

وكان له فضل وتمييز . وولى خطابة جامع السلطان . ونظر ديوان التركات . ثم صرف عن الخطابة ، ورتب ناظراً فيما يتعلق بالحرمين الشريفين ، ثم صرف . وبقى على نظره بديوان التركات مدة خلافة الناصر إلى أن ولى الظاهر ، فصرفه.

وذكر ابن القادسى فى تاريخه : أن الفقيه الإمام أبا بكر بن الحلاوى سأل من الخليفة الناصر الإجازة لجماعة من الحنابلة . فبرز مرسوم الخليفة بإجابته إلى سؤاله ، ما عدا ابن الخياط فإنه يسعى بالناس ، وليس من أهل الخير ، وما أشبه هذا الكلام .

قال : وابن الخياط : هو الذى يزعم أنه العباسى الشاهد ، وهو عامل على التركات الحشرية . سمع منه ابن الساعى وغيره .

وتوفى فى ثامن ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة . ودفن عند أبيه بمقبرة الإمام أحمد . وقد حدث هو وأبوه وجده وعمه أفضل .

٣١١ — عبد القادر بن عبد القاهر بن عبد المنعم بن محمد بن حمد بن سلامة ابن أبى الفهم الحرانى ، الفقيه ، الزاهد ، ناصح الدين ، أبو الفرج ، شيخ حران ومفتيها ، ابن أبى محمد بن أبى الفرج .

ولد فى رجب سنة أربع وستين وخمسمائة بحران .

وسمع بها من أبى حفص بن طبرزد، وغيره . وسمع بدمشق من أبى عبد الله ابن صدقة الحرانى ، ويحيى بن محمود الثقفى وعبد الرحمن بن الخرقى ، والخشوعى وغيرهم .

وسمع ببغداد من يحيى بن بوش ، وابن كليب ، وابن الجوزى ، وغيرهم

وقرأ بنفسه الكثير على الحافظ عبد القادر الرهاوى وغيره . وأجاز له ابن شاتيل ، ونصر الله القزاز ، وطائفة .

وأخذ العلم بحران عن أبي الفتح بن عبدوس وغيره . ورأيت قراءته للروضة على مصنفها الشيخ الموفق . وأقرأ وحدث .

قال المنذرى : لقيته فى الدفعة الثانية بحران ، وسمعت منه .

وقال أبو عبد الله بن حمدان : قرأت عليه « الخرقى » و « الهداية » ، و بعض «العمدة» وسمعت عليه أشياء كثيرة منها «جامع المسانيد» لابن الجوزى. وكان قليل الكلام فيما لا يعنيه ، وكثير الديانة والتحرز فيما يعنيه ، شريف النفس مهيباً ، معروفاً بالفتوى فى مذهب أحمد ، وصنف منسكا وسطاً جيداً ، وكتاب «المذهب المنضد فى مذهب أحمد» ضاع منه فى طريق مكة ، وحفظ «الروضة» و«الهداية» وغيرهما

قلت : « الروضة » هذه هى الفقهية لا الأصولية .

قال : وذكر لى أنه يكرر أكثر الليالى على أكثر الهداية . وكان مقيما بمسجده بحران سنين كثيرة ولم يتزوج . وطلب للقضاء فأبى . ودرس فى آخر عمره بحضورى عنده فى مدرسة بنى العطار التى عمرت لأجله . فلما نهبت حران سنة ثلاث وثلاثين عوقب فى مسجده ، حتى أخذت وديعة كانت عنده مع ماأخذ له وتوفى بعد ذلك بقليل . حدث وأجاز لأبى نصر الشيرازى المزى .

قال المنذرى : توفى فى الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة بحران . رحمه الله تعالى .

وقد سبق فى ترجمة الشيخ موفق الدين المقدسى تراجعهما فى مسألة فى الوكالة . وقد تنازع هو والشيخ مجد الدين ابن تيمية فى مسألة أخرى ، وهى ما إذا استأجر داراً ، فدخل أول مدة الإجارة ، وطالب المستأجر المؤجر بتسليم العين المؤجرة بعد دخول المدة ، فقال المؤجر : لاأسلمها إلا فى غد ، فلم يصبر المستأجر ، وأشهد عليه بفسخ العقد لذلك

فأفتى الناصح : أن المستأجر يثبت له خيار الفسخ بمجرد امتناع المؤجر من التسليم ، وتسقط الأجرة من ذمته .

وأفتى الشيخ مجد الدين بأنه لايصح فسخه ، حتى تمضى مدة يتمكن المؤجر من التحويل فيها ؛ لأن التسليم يجب على ماجرت به العادة ، كالتسليم فى البيع ، وأنكر أن يكون فى المذهب فيها نقل خاص .

فكتب الناصح ورقة ، وتمسك من كلام الأصحاب بعمومات باردة . وعضدها بمباحث جامدة ، وما أفتى به أبو البركات أفقه ، ويشهد له : ماذكره الأصحاب فى تسليم الأعيان المبيعة وفى تسليم المرأة فى النكاح ، لكن قد يفرق بينهما بأن مضى جزء من أوقات مدة الإجارة لايتلافى . فإن المعقود عليه فيها : هو منافع الزمن المعين ، فلا يتسامح بتفويت شىء منه ، بخلاف العقد على العين ، أو على منافعها المطلقة .

وقد يجاب عن هذا الفرق : بأن تفويت المنافع المملوكة المستحقة حاصل فى مدة التأخير فى الصور كلها ، فلا فرق .

وقد أخذ عن الناصح : ابن أبى الفهم بن تميم . ونقل عنه فى مختصره فوائد عديدة ، وإذا قال « قال شيخنا أبو الفرج » فإياه يعنى .وقد توهم بعض الناس أنه يعنى أبا الفرج الشيرازى . وهى هفوة عظيمة لتقدم زمن الشيرازى .

٣١٢ ـ يوسف بن أحمد بن على بن الحسين بن الحسن البغدادى ، الحلاوى الفقيه ، أبو المظفر بن الخلال .

سمع من أبى الفتح بن شاتيل . وحدث . وتفقه فى المذهب . وكان فقيها صالحا فاضلا ، مقرئا متدينا ، حسن الطريقة .

توفى ليلة العشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة . ودفن بباب أبرز . وقد بلغ الستين ، أو جاوزها . رحمه الله .

أجاز لابن الشيرازى .

٣١٣ - إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثى ، الزاهد القدوة ، أبو الفضل ، ويقال : أبو محمد ابن عم طلحة بن المظفر ، الذى سبق ذكره .

سمع من أبى الفتح بن شاتيل . وقرأ بنفسه على ابن كليب وابن الأخضر . وكان قدوة صالحا زاهداً ،فقيها عالما ، أمّارا بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، لا يخاف أحداً إلا الله ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم . أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه وواجه الخليفة الناصر وصدعه بالحق .

قال ناصح الدين بن الحنبلى ــ وقرأته بخطه ــ هو اليوم شيخ العراق ، والقائم بالإنكار على الفقهاء والفقراء وغيرهم فيما ترخصوا فيه .

وقال المنذرى : قيل : إنه لم يكن فى زمانه أكثر إنكارا للمنكر منه ، وحبس على ذلك مدة .

قلت : وله رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عليهم والنصح لهم . ورأيت بخطه كتابا أرسله إلى الخليفة ببغداد . وأرسل أيضا إلى الشيخ على بن إدريس الزاهد ــ صاحب الشيخ عبد القادر ــ رسالة طويلة ، تتضمن إنكار الرقص والسماع والمبالغة فى ذلك .

وله فى معنى ذلك عدة رسائل إلى غير واحد .

وأرسل رسالة طويلة إلى الشيخ أبى الفرج بن الجوزى بالإنكار عليه فيما يقع فى كلامه من الميل إلى أهل التأويل يقول فيها :

من عبيد الله إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثى ، إلى عبد الرحمن ابن الجوزى ، حمانا الله وإياه من الاستكبار عن قبول النصائح ، ووفقنا وإياه لاتباع السلف الصالح ، وبصرنا بالسنة السنية ، ولا حرمنا الاهتداء باللفظات النبوية ، وأعاذنا من الابتداع فى الشريعة المحمدية . فلا حاجة إلى ذلك . فقد تركنا على بيضاء نقية ، وأكمل الله لنا الدين ، وأغنانا عن آراء المتنطعين ، ففى كتاب الله وسنة رسوله مقنع لكل من رغب أو رهب ، ورزقنا الله الاعتقاد

السليم ، ولا حرمنا التوفيق ، فإذا حرمه العبد لم ينفع التعليم . وعرفنا أقدار نفوسنا ، وهدانا الصراط المستقيم . ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وفوق كل ذى علم عليم . و بعد حمد الله سبحانه ، والصلاة على رسوله : فلا يخفى أن « الدين النصيحة » خصوصا للمولى الكريم ، والرب الرحيم . فكم قد زل قلم ، وعثر قدم ، وزلق متكلم ، ولايحيطون به علما . قال : عز من قائل (٢٢ : ٨ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) .

وأنت ياعبد الرحمن ، فما يزال يبلغ عنك و يسمع منك ، ويشاهد فى كتبك المسموعة عليك ، تذكر كثيرا ممن كان قبلك من العلماء بالخطأ ، اعتقاداً منك : أنك تصدع بالحق من غير محاباة ، ولا بد من الجريان فى ميدان النصح : إما لتنتفع إن هداك الله ، وإما لتركيب حجة الله عليك . ويحذر الناس قولك الفاسد ،ولا يغرك كثرة اطلاعك على العلوم . فرب مبلَّغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه لا فقه له ، ورب بحر كدِر ونهر صاف ، فلستَ بأعلم من الرسول ، حيث قال له الإمام عمر « أتصلى على ابن أُبَىّ ؟ أنزل القرآن (٩ : ٨٤ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ) » ولو كان لاينكر من قل علمه على من كثر علمه إذاً لتعطل الأمر بالمعروف ، وصرنا كبنى إسرائيل حيث قال تعالى : (٥ : ٧٩ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ) بل ينكر المفضول على الفاضل وينكر الفاجر على الولى ، على تقدير معرفة الولى . وإلا فابن التنقا ليطلب وابن السمندل ليجلب — إلى أن قال :

واعلم أنه قد كثر التنكير عليك من العلماء والفضلاء ، والأخيار فى الآفاق بمقالتك الفاسدة فى الصفات . وقد أبانوا وَهاء مقالتك ، وحكوا عنك أنك أبيت النصيحة ، فعندك من الأقوال التى لاتليق بالسنة مايضيق الوقت عن ذكرها ، فذُكر عنك : أنك ذكرت فى الملائكة المقربين ، الكرام الكاتبين ، فصلا زعمت أنه مواعظ ، وهو تشقيق وتفهيق ، وتكلف بشع ، خلا أحاديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام السلف الصالح الذى لا يخالف سنة ، فعمدت وجعلتها مناظرة معهم . فمن أذن لك فى ذلك ؟ وهم مستغفرون للذين آمنوا ، ولا يستكبرون عن عبادة الله . وقد قرن شهادته بشهادتهم قبل أولى العلم وما علينا كان الآدمي أفضل منهم أم لا، فتلك مسألة أخرى .

فشرعت تقول : إذا ثارت نار الحسد فمن يطفيها ؟ وفى الغيبة ما فيها ، مع كلام غث . أليس منا فلان ؟ ومنا فلان ؟ ومنا الأنبياء والأولياء . من فعل هذا من السلف قبلك ؟ ولو قال لك قائل من الملائكة : أليس منكم فرعون وهامان ؟ أليس منكم من ادعى الربوبية ؟

فممن أخذت هذه الأقوال المحدثة ، والعبارات المزوقة ، التى لاطائل تحتها وقد شغلت بها الناس عن الاشتغال بالعلم النافع أحدُهم قد أنسى القرآن وهو يعيد فضل الملائكة ومناظرتهم ، ويتكلم به فى الآفاق .

فأين الوعظ والتذكير من هذه الأقوال الشنيعة البشعة ؟

ثم تعرضت لصفات الخالق تعالى ، كأنها صدرت لا من صدر سكن فيه احتشام العلى العظيم ، ولا أملاها قلب ملىء بالهيبة والتعظيم ، بل من واقعات النفوس البهرجية الزيوف . وزعمت أن طائفة من أهل السنة والأخيار تلقوها وما فهموا . وحاشاهم من ذلك . بل كفوا عن الثرثرة والتشدق ، لاعجزا ـ بحمد الله ـ عن الجدال والخصام ، ولا جهلا بطرق الكلام . وإنما أمسكوا عن الخوض فى ذلك عن علم ودراية ، لا عن جهل وعماية .

والعجب ممن ينتحل مذهب السلف ، ولا يرى الخوض فى الكلام . ثم يقدم على تفسير ما لم يره أولا ، ويقول : إذا قلنا كذا أدى إلى كذا ، ويقيس ماثبت من صفات الخالق على مالم يثبت عنده . فهذا الذى نهيتُ عنه . وكيف تنقض عهدك وقولك بقول فلان وفلان من المتأخرين ؟ فلا تشمت بنا المبتدعة فيقولون : تنسبوننا إلى البدع وأنتم أكثر بدعاً منا ، أفلا تنظرون إلى قول من

اعتقدتم سلامة عقده ، وتثبتون معرفته وفضله ؟ كيف أقول مالم يقل ، فكيف يجوز أن تتبع المتكلمين فى آرائهم ، وتخوض مع الخائضين فيما خاضوا فيه ، ثم تنكر عليهم ؟ هذا من العجب العجيب . ولو أن مخلوقا وصف مخلوقا مثله بصفات من غير رؤية ولا خبر صادق . لكان كاذبا فى إخباره . فكيف تصفون الله سبحانه بشيء ماوقفتم على صحته ، بل بالظنون والواقعات ، وتنفون الصفات التى رضيها لنفسه ، وأخبر بها رسوله بنقل الثقات الأثبات ، بيحتمل ، ويحتمل .

ثم لك فى الكتاب الذى أسميته « الكشف لمشكل الصحيحين » مقالات عجيبة ، تارة تحكيها عن الخطابى وغيره من المتأخرين ، أطلع هؤلاء على الغيب ؟ وأنتم تقولون : لايجوز التقليد فى هذا ، ثم ذكره فلان ، ذكره ابن عقيل ،فنريد الدليل من الذاكر أيضاً ، فهو مجرد دعوى ، وليس الكلام فى الله وصفاته بالهين ليلقى إلى مجارى الظنون — إلى أن قال :

إذا أردت : كان ابن عقيل العالم ، وإذا أردت : صار لا يفهم ، أوهيت مقالته لما أردت . ثم قال :

وذكرت الكلام المحدث على الحديث ، ثم قلت : والذى يقع لى . فبهذا تقدم على الله ، وتقول : قال علماؤنا ، والذى يقع لى . تتكلمون فى الله عز وجل بواقعاتكم تخبرون عن صفاته ؟ ثم ما كفاك حتى قلت : هذا من تحريف بعض الرواة . تحكما من غير دليل . وما رويت عن ثقة آخر أنه قال : قد غيره الراوى فلا ينبغى بالرواة العدول : أنهم حرفوا ، ولو جوزتم لهم الرواية بالمعنى ، فهم أقرب إلى الإصابة منكم . وأهل البدع إذاً كلما رويتم حديثاً ينفرون منه ، يقولون: يحتمل أنه من تغيير بعض الرواة . فإذا كان المذكور فى الصحيح المنقول من تحريف بعض الرواة ، فقولكم ورأيكم فى هذا يحتمل أنه من رأى بعض الغواة .

وتقول: قد انزعج الخطابى لهذه الألفاظ . فما الذى أزعجه دون غيره ؟ ونراك تبنى شيئاً ثم تنقضه ، وتقول : قد قال فلان وفلان ، وتنسب ذلك إلى إمامنا

أحمد ـ رضى الله عنه ـ ومذهبه معروف فى السكوت عن مثل هذا ، ولا يفسره، بل صحح الحديث ، ومنع من تأويله .

وكثير ممن أخذ عنك العلم إذا رجع إلى بيته علم بما فى عَيبته من العيب، وذم مقالتك وأبطلها . وقد سمعنا عنك ذلك من أعيان أصحابك المحبو بين عندك ، الذين مدحتهم بالعلم ، ولا غرض لهم فيك ، بل أدوا النصيحة إلى عباد الله ، ولك القول وضده منصوران . وكل ذلك بناء على الواقعات والخواطر .

وتدعى أن الأصحاب خلطوا فى الصفات ، فقد قبحت أكثر منهم ، وما وسعتك السنة . فاتق الله سبحانه . ولا تتكلم فيه برأيك فهذا خبر غيب ، لا يسمع إلا من الرسول المعصوم ، فقد نصبتم حرباً للأحاديث الصحيحة . والذين نقلوها نقلوا شرائع الإسلام .

ثم لك قصيدة مسموعة عليك فى سائر الآفاق ، اعتقدها قوم ، وماتوا بخلاف اعتقادك الآن فيما يبلغ عنك ، وسمع منك منها :

ولو رأيت النار هبت ، فمدت   تحرق أهل البغى والعناد
وكلما ألقى فيها حطمت   وأهلكته ، وهى فى ازدياد
فيضع الجبار فيها قدماً   جلت عن التشبيه بالأجساد
فتنزوى من هيبته ، وتمتلى   فلو سمعت صوتها ينادى
حسبى حسبى، قد كفانى ماأرى   من هيبة أذهبت اشتداد
فاحذر مقال مبتدع فى قوله   يروم تأويلا بكل وادى

فكيف هذه الأقوال : وما معناها ؟ فإنا نخاف أن تحدث لنا قولا ثالثاً ، فيذهب الاعتقاد الأول باطلا . لقد آذيت عباد الله وأضللتهم ، وصار شغلك نقل الأقوال فحسب ، وابن عقيل سامحه الله ، قد حكى عنه : أنه تاب بمحضر من علماء وقته من مثل هذه الأقوال ، بمدينة السلام ـ عمرها الله بالإسلام والسنة ـ فهو برىء ـ على هذا التقدير ـ مما يوجد بخطه ، أو ينسب إليه ، من التأويلات ، والأقوال المخالفة للكتاب والسنة .

وأنا وافدة الناس والعلماء والحفاظ إليك ، فإما أن تنتهى عن هذه المقالات ، وتتوب التوبة النصوح ، كما تاب غيرك ، وإلا كشفوا للناس أمرك ، وسيروا ذلك فى البلاد وبينوا وجه الأقوال الغثة ، وهذا أمر تُشُورِ فيه ، وقضى بليل ، والأرض لا تخلو من قائم لله بحجة ، والجرح لاشك مقدم على التعديل ، والله على مانقول وكيل ، وقد أعذر من أنذر .

وإذا تأولت الصفات على اللغة ، وسوغته لنفسك ، وأبيت النصيحة ، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدس الله روحه ، فلا يمكنك الانتساب إليه بهذا ، فاختر لنفسك مذهباً ، إن مكنت من ذلك ، وما زال أصحابنا يجهرون بصريح الحق فى كل وقت ولو ضُربوا بالسيوف ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، ولا يبالون بشناعة مشنع ، ولا كذب كاذب ، ولهم من الاسم العذب الهنى ، وتركهم الدنيا وإعراضهم عنها اشتغالاً بالآخرة : ماهو معلوم معروف .

ولقد سودت وجوهنا بمقالتك الفاسدة ، وانفرادك بنفسك ، كأنك جبار من الجبابرة ، ولا كرامة لك ولا نعمى ، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السنة ، ولو استقبل من الرأى ما استدبر : لم يحك عنك كلام فى السهل ، ولا فى الجبل ، ولكن قدر الله ، وماشاء فعل ، بيننا وبينك كتاب الله وسنة رسوله ، قال الله تعالى (٤ :٥٩ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ) ولم يقل : إلى ابن الجوزى .

وترى كل من أنكر عليك نسبته إلىّ الجهل ، ففضل الله أوتيته وحدك ؟ وإذا جَهَّلت الناس فمن يشهد لك أنك عالم ؟ ومن أجهل منك ، حيث لا تصغى إلى نصيحة ناصح ؟ وتقول : من كان فلان ، ومن كان فلان ؟ من الأئمة الذين وصل العلم إليك عنهم ، من أنت إذاً ؟ فلقد استراح من خاف مقام ربه ، وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم ، لئلا يندم .

فانتبه يامسكين قبل الممات ، وحَسِّن القول والعمل ، فقد قرب الأجل ،

لله الأمر من قبل ومن بعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وللشيخ إسحاق أجزاء مجموعة ، وأربعينيات حديثية ، وغير ذلك ، وحدث وسمع منه جماعة .

وذكر ابن الدواليبي : أنه سمع منه .

وتوفى فى شهر ربيع الأول ، سنة أربع وثلاثين وستمائة ، أظنه بالعلث رضى الله عنه .

٣١٤ ـ هبة الله بن الحسن بن أحمد البغدادى ، المقرىء ، أبو القاسم المعروف بالأشقر ، قرأ القرآن على أبى بكر محمد بن خالد الرزاز وغيره .

قال ابن الساعى : كان شيخاً فاضلاً ، حسن التلاوة للقرآن ، مجيداً لأدائه عالماً بوجوه القراءات وطرقها ، وتعليلها وإعرابها ، يشار إليه بمعرفة علوم القرآن ، بصيراً بالنحو واللغة والعربية .

سمع شيئاً من الحديث ، وكان يؤم بالخليفة الظاهر ، ورتبه إماماً بباب بدر فى صلاة التراويح ، وأذن للناس فى الدخول للصلاة ، وأمّ بمسجد ابن حمدى وغيره ، ورتبه الظاهر مشرفاً على ديوان التركات .

وقرأ عليه الخليفة الظاهر ، والوزير بن الناقد ، فلما ولى الظاهر الخلافة ، أكرمه وأجله ، وأعطاه بغلة أبيه الناصر ، فركبها . ولما ولى ابن الناقد الوزارة : دخل عليه فنهض له ، وأجلسه إلى جانبه ، وقال : هذا شيخى ، قرأت القرآن عليه .

وكان يدخل إلى المستنصر ، فيقرئه القرآن ، وكان لا يقبل الأرض إذا دخل عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لا ينبغى ذلك إلا لله تعالى ، فحجب عن الدخول إليه . وكان يقول : قرأ عليَّ القرآن أرباب الدنيا والآخرة : إسحاق العلثى ، والشيخ عثمان القصر ، وأمثالهما ، والخليفة ، والوزير ، وصاحب المخزن . وكان لأم الخليفة الناصر فيه عقيدة ، فرض لجاءته تعوده . وحدث عن الأسعد العبرتى النحوى بأبيات .

سمع منه ابن النجار ، وابن الساعى وغيرهما .

وأجاز لعبد الصمد بن أبى الجيش .

وتوفى فى صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وقد قارب الثمانين ، رحمه الله تعالى .

٣١٥ - محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادى القطيعى الأزجى ، المؤرخ ، أبو الحسن بن أبى العباس . وقد سبق ذكر أبيه .

ولد فى رجب سنة ست وأربعين وخمسمائة .

وبكَّر به والده ، وأسمعه من أبى الحسن بن الخل الفقيه ، وأبى العباس أحمد بن محمد بن عبد العزيز المكى ، وأبى بكر بن الزاغونى ، ونصر بن نصر العكبرى وسلمان بن حامد الشحام ، وتفرد فى وقته بالرواية عن هؤلاء . وأسمعه أيضاً من أبى الوقت صحيح البخارى ، وهو آخر من حدث به ببغداد كاملا عنه سماعاً ، ومن جماعة آخرين . ثم طلب هو بنفسه ، وسمع من جماعة بعد هؤلاء ، وقرأ على الشيوخ ، وكتب بخطه .

ورحل ، وسمع بالموصل من خطيبها أبى الفضل وغيره ، وأقام بها مدة .

وسمع بدمشق من محمد بن حمزة بن أبى الصقر ، وأبى المعالى بن صابر وغيرهما .

وسمع بحران من حامد بن أبى الحجر وغيره .

ثم رجع إلى بغداد ، ولازم أبا الفرج بن الجوزى مدة ، وأخذ عنه ، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه ومروياته ، وجمع تاريخاً فى نحو خمسة أسفار ، ذيَّل به على تاريخ أبى سعد بن السمعانى سماه « درة الإكليل فى تتمة التذييل » رأيت أكثره بخطه ، وقد نقلت منه فى هذا الكتاب كثيراً ، وفيه فوائد جمة ، مع أوهام وأغلاط .

وقد بالغ ابن النجار فى الحط على تاريخه هذا ، مع أنه أخذه عنه واستفاده منه ، ونقل منه فى تاريخه أشياء كثيرة ، بل نقله كله ، وقال : لم يكن محققا فيما ينقله ويقوله . وكان لَحَنَة ، قليل المعرفة بأسماء الرجال .

وكان قد استنابه يوسف بن الجوزى فى الحسبة بباب الأزج ، وسوق العجم ، وما والاهما ، سوى الحريم . فأقام على ذلك مدة يسيرة ثم عزل .

وشهد عند القضاة مدة ، واستخدم فى عدة خدم المخزن وغيره . ونظر فى المارستان التفشى ، ثم عزل عن الشهادة ، وأسن وانقطع فى منزله إلى حين وفاته . وكان يخضب بالسواد ، ثم ترك الخضاب قبل موته بمدة .

قلت : وقد ذكر فى تاريخه : أنه قرأ شيئا من المذهب على القاضى أبى يعلى ابن القاضى أبى خازم وحضر درسه ، وأنه تكلم فى بعض مسائل الخلاف مع الفقهاء قال: وحملنى والدى إلى أبى النجيب السهروردى بجامع المدينة فى يوم جمعة ، وأنا طفل فاستدل أبو النجيب فى مسألة بيع الرطب بالتمر ، وذكرت على دليله عدة أسئلة علمنى والدى إياها قبل ذلك . فلما أنهيت الكلام خلع قميصه بالجامع فألبسنى إياه : وقال : هذه خرقة التصوف ، وأجازلى ، وكتب بخطه بذلك .

ولما عمر المستنصر مدرسته المعروفة به : جعل القطيعى شيخ دار الحديث بها ، وكان ابن النجار بها مفيداً للطلبة . وهذا من جملة الأسباب التى أوجبت تحامله عليه . وقد وصفه غير واحد من الحفاظ وغيرهم بالحافظ

وأثنى عمر بن الحاجب على تاريخه ، فقال : وقفت على تراجم من بعضه ، فرأيته قد أحكمها ، واستوفى فى كل ترجمة مالم يعمله أحد فى زمانه ، يدل على حفظه وإتقانه ، ومعرفته بهذا الشأن .

وحدث بالكثير ببغداد والموصل . وروى عنه جماعة كثيرون ، منهم الشيخ تقى الدين الواسطى ، والفاروثى ، والأبرقوهى ، والقرافى .

قال ابن النجار : توفى ليلة السبت لأربع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة . وصلى عليه من الغد بعدة مواضع . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

قرئ على جدى أبى أحمد رجب بن الحسن غير مرة ببغداد ـ وأنا حاضر ـ

فى الثالثة والرابعة والخامسة : أخبركم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزار ـ سنة ست وثمانين وستمائة ـ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعى

ح وأخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصارى ـ بدمشق ـ أخبرنا عبد الحميد بن أحمد ابن الزجاج أخبرنا القطيعى .

ح وأخبرنا أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن الحموى أخبرنا أبو القاسم على ابن بلبان أخبرنا القطيعى أخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى أخبرنا أبو الحسن الداودى أخبرنا أبو محمد السرخسى أخبرنا أبو عبد الله الفربرى حدثنا البخارى حدثنا المكى بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « من يقل علىّ مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار » .

وأنشد لنفسه فى تاريخه :

أهديت قلبى إليكم خذوه ... وقتلى حرام ، فلا تقربوه

وها هو ذا عندكم واقف ... يروم الوصال ، فلا تحرموه

وأيضا كتب بها إلى أبى المظفر بن مهاجر فقيه الموصل :

فى كل يوم نقلة ورحيل ... وشوق لقلبى مزعج ومزيل ؟

يَعِزُّ علينا أن يعز وصولنا ... إلى بلد فيه الحبيب نزيل ؟

٣١٦ مكى بن عمر بن نعمة بن يوسف بن سيف بن عساكر بن عسكر ابن شبيب بن صالح ، الروبَتى المقدسى الأصل ، المصرى الفقيه الزاهد ، أبو الخير ابن أبى حفص .

ولد فى شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بمصر .

وسمع من والده أبى حفص ، ومن أبى محمد بن برى النحوى ، وأبى الفتح محمود بن أحمد الصابونى ، وأبى إبراهيم القاسم بن إبراهيم المقدسى ، وهبة

البوصيرى ، وأبى عبد الله الأرتاحى ، وجماعة كثيرة من أهل البلد والقادمين عليها

وسمع بمكة من أبى عبد الله محمد بن الحسين الهروى الحنبلى ، وأبى الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن أبى تمام الدباس ، وأبى زكريا يحيى بن عمر بن بهليقا ، ويونس بن يحيى الهاشمى . وتفقه فى المذهب بمصر.

قال المنذرى : اشتهر بمعرفة المذهب ، وجمع مجاميع فى الفقه وغيره ، وانتفع به جماعة . وحدث ، وأمَّ بالمسجد المعروف به بدرب البقالين بمصر ، سمعت منه . وكان يبنى ويأكل من كسب يده .

قلت : وهو الذى جمع سيرة الحافظ عبد الغنى ، كما ذكره الضياء فى ترجمته

وتوفى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة بمصر . ودفن من الغد إلى جانب والده بشفير الخندق ، بسفح المقطم . رحمه الله تعالى

و « الروبتى » بضم الراء المهملة وسكون الواو بعدها باء موحـدة مفتوحة مخففة وتاء تأنيث . وكان يذكر أنه منسوبا إلى « روبة » ويذكر نسبا متصلا به ويقول : هو صحابى .

قال المنذرى : ولست أعرف « روبة » هذا ، ولا رأيت من ذكره . وكان بعض شيوخنا يقول : إن «روبة» بلد بالشام . والله عز وجل أعلم .

وقد تقدم ذكر أخيه أبى الطاهر إسماعيل الأديب ، وأبوهما أبو حفص .

٣١٧ - عمر المعروف بابن البناء

كان رجلا صالحا مقرئا . أقرأ القرآن سنين كثيرة بمصر . وكان صابرا على تعليم الطلبة ليلا ونهارا ، مع علو سنه . وحدث عن أبى الفتح الـكروخى .

وتوفى فى ثامن شوال سنة أربع وثمانين وخمسمائة بمصر رحمه الله تعالى .

٣١٨ - عبد الله بن إسماعيل بن علي بن الحسين البغدادى، الأزجى ،

الواعظ شمس الدين ، أبو طالب بن أبى محمد ، المعروف والده بالفخر ، غلام ابن المنى . وقد سبق ذكره .

سمع أبو طالب هذا من ابن كليب وغيره . وتفقه فى المذهب ، واشتغل بالوعظ ووعظ ببغداد ومصر ، وحدث . وله نظم .

قال المنذرى : سمعت منه شيئاً من شعره .

وتوفى فى ثانى عشرين شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة ببغداد . وهو فى سن الكهولة .

٣١٩ - عبد العزيز بن عبد الملك بن عثمان المقدسى ، الفقيه ، عز الدين أبو محمد .

سمع من أسعد بن سعيد بن روح ، وعمر بن طبرزد ، وغيرهما . وتفقه فى المذهب ، ودرس بمدرسة الشيخ أبى عمر مدة . وحدث .

توفى فى حادى عشر ذى القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة .

٣٢٠ - عبد الكريم بن أبى عبد الله بن مسلم بن أبى الحسن بن أبى الجواد ، الفارسى الزاهد ، أبو بكر . واسم أبيه : المبارك بن أخى الحسن بن مسلم الزاهد المتقدم ذكره .

ولد سنة ثلاث وستين وخمسمائة بالفارسية ، قرية على نهر عيسى .

وقرأ القرآن وسمع الحديث من أبى الفتح البردانى ، وابن بوش ، وغيرهما . وتفقه فى المذهب . وحدث .

سمع منه ابن النجار ، وعبد الصمد بن أبى الجيش وغيرهما . ووصفاه بالصلاح والديانة .

قال ابن النجار : كان شيخا صالحاً ، ورعاً متديناً ، منقطعاً عن الناس فى قريته يقصده الناس لزيارته والتبرك به ، وحوله جماعة من الفقراء ، ويضيف من يمر به .

وتوفى يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة خمس وثلاثين وستمائة . ودفن من يومه عند عمه بالفارسية رحمه الله تعالى .

٣٢١ - عثمان بن نصر بن منصور بن هلال البغدادى، المسعودى، الفقيه الواعظ ، أبو الفتوح . ويقال: أبو الفرج . ويقال: أبو عمرو ، ويلقب ضياء الدين المعروف بابن الوتار .

ولد سنة خمسين وخمسمائة تقريبا .

وسمع من أبى الفتح بن المنى ، وعيسى الروشابى وعبد الله بن عبد الرزاق السلمى ومسلم بن ثابت الوكيل ، وشهدة الكاتبة ، وخديجة النهروانية وغيرهم .

وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، ووعظ ، وشهد عند قاضى القضاة أبى صالح نصر بن عبد الرزاق . ودرس وأفتى وكان فقيها فاضلا، إماما عالما ، حسن الأخلاق

وحدث ، وأجاز للمنذرى ، وعبد الصمد بن أبى الجيش ، ولسليمان بن حمزة ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، والقاسم بن مظفر بن عساكر ، وأحمد بن أبى طالب الحجار .

وتوفى فى سابع عشرين جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وستمائة . ودفن بباب حرب ، وقد ناهز السبعين .

والمسعوى نسبة إلى « المسعودة » محلة شرقى بغداد من نواحى المأمونية .

٣٢٢ - تقى الدين بن طرخان ابن أبى الحسن السلمى ، الدمشقى الصالحى الحنبلى .

ولد بالجبل سنة إحدى وستين وخمسمائة .

وسمع من أبى المعالى بن صابر ، ويحيى السلفى ، وابن صدقة وغيرهم .

وسمع بمكة والمدينة واليمن ، وحدث .

وتوفى فى تاسع محرم سنة سبع وثلاثين وستمائة بالجبل رحمه الله .

٣٢٣ - عبد العزيز بن دلف بن أبى طالب بن دلف بن أبى القاسم البغدادى المقرىء ، الناسخ الخازن ، أبو محمد . ويقال : أبو الفضل . ويلقب عفيف الدين .

ولد سنة إحدى ـ أو اثنتين ـ وخمسين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات الكثيرة على أبى الحارث أحمد بن سعيد العكبرى العسكرى وأبى جعفر بن القاصين وأبى الحسن البطائحى ، وصاحبه . وقرأ عليه كثيرا ، وعلى جماعة آخرين .

وسمع الحديث من أبى على الرحبى ، والأسعد بن يلدرك ، ولاحق بن كاره وشهدة ، وخديجة النهروانية ، وابن شاتيل ، والقزاز ، وابن كليب . وقرأ بنفسه الكثير على من بعدهم ، وسمع الناس بقراءته . وكتب الكثير بخطه الحسن لنفسه وللناس توريقا .

وولى نظر خزانة الكتب بمسجد الشريف الزيدى ، ثم خزانة كتب التربة السلجوقية ، ثم صرف عنها ، ثم أعيد إليها .

وشهد عند الزنجانى فى ولايته زمن الناصر . وكان الخليفة الناصر لما أذن لولده الظاهر برواية مسند الإمام أحمد عنه بالإجازة . وأذن لأربعة نفر من الحنابلة بالدخول إليه للسماع : كان عبد العزيز هذا منهم ، فحصل له به أنس . فلما أفضت إليه الخلافة ولاه النظر فى ديوان التركات الحشرية ، فسار فيها أحسن سيرة ، وردت تركات كثيرة على الناس كان قد استُولِى عليها بمساعدة الخليفة الظاهر على ذلك .

ومن جملة ذلك : تركة رجل من همدان مات ببغداد ، فتصرف ديوان التركات فى ميراثه ، بناء على أنه لاوارث له ، ثم بعد سنة أثبت ابن عمه نسبه واستحقاقه للتركة عند الحاكم . فأنهى الحال الشيخ عبد العزيز فى ولايته إلى الظاهر ، فتقدم بتسليم التركة إليه بموجب الشرع ، وأن لايراجع فيما هذا سبيله ، مع ثبوته شرعا . وكانت التركة ألوفا من العين ، وبقى الشيخ عبد العزيز على هذا مديدة . ثم سأل أن يقيم برباط الحريم منقطعا به إلى العبادة ، وأن يكون ولده الأصغر عمر عوضه فى ديوان التركات . فأجيب إلى ذلك . ورتب الشيخ شيخا بالرباط المذكور ،

فأقام به إلى حين وفاته . ورتب ولده فى الديوان ، فسار بسيرة أبيه فيه .

قرأت بخط الناصح ابن الحنبلى: الشيخ عبد العزيز إمام فى القراءة ، وفى علم الحديث . سمع الكثير، وكتب بخطه الكثير ، وهو يصوم الدهر . لقيته ببغداد فى المرتين .

وقال ابن النجار : كان كثير العبادة ، دائم الصوم والصلاة ، وقراءة القرآن منذ كان شابا ، و إلى حين وفاته . وكان مسارعا إلى قضاء حوائج الناس ، والسعى بنفسه إلى دور الأكابر فى الشفاعات ، وفك العناة ، و إطلاق المعتقلين ، ودفع المؤن والتثقيل من جهة العمال ، يفعل ذلك مع القريب والبعيد والغريب بصدر منشرح ، وقلب طيب . وكان محبا لإيصال الخير إلى الناس ، ودفع الضرر عنهم ، كثير الصدقة والمعروف ، والمواساة بماله حال فقره وقلة ذات يده ، و بعد يساره وسعة ذات يده . وكان على قانون واحد فى ملبسه لم يغيره ، وفى أخلاقه وتواضعه للناس . كتبت عنه .

وكان ثقة صدوقا نبيلا غزير الفضل ، أحسن الناس تلاوة للقرآن ، وأطيبهم نغمة . وكذلك فى قراءة الحديث .

وقال ابن الساعى : كان شيخا صالحا عابدا ، مشكور السيرة ، محمود الطريقة ، لم يزل مواظبا على الخير والعبادة والتلاوة . وكان يسرد الصوم ، و يديم القيام بالليل ، قل أن تمضى عليه ليلة إلا وختم فيها القرآن فى الصلاة . وكان له حرمة عند الدولة ، خصوصا عند المستنصر . وكان لايمل من الشفاعة ، وقضاء حوائج الناس ، حتى لو قيل : إنه لم يبق ببغداد من غنى ولا فقير إلا قضاه حاجة : لكان حقا : وفوض إليه المستضر أمر خزانة الكتب بمدرسته .

وقرأ عليه القراءات عبد الصمد بن أبى الجيش، وسمع منه الحديث . وكتب عنه ابن النجار ، وابن الحاجب .

وقال ابن نقطة : كان ثقة صالحا .

وقال الضياء أيضا : كان خيرا دينا ، له مروءة ، من أهل القرآن .

قال ابن النجار : توفى ليلة الاثنين السادس والعشرين من صفر سنة سبع وثلاثين وستمائة . وحمل ليلا إلى تربة معروف الكرخي . فدفن إلى جانبه ، تحت القبة ، من غير أن يعلم به أحد .

وقال عبد الصمد : توفى ليلة الاثنين العشرين من صفر . وقال غيره : ليلة تاسع عشر .

ورثاه غير واحد ، منهم الأسعد بن إبراهيم الكاتب بقصيدة ، أولها :

ماقضى الحزن بالمدامع دينا حين حاز المصاب رزءاً وحينا
عدم الدين من فتى دلف قلباً وسمعاً للمكرمات وعينا

٣٢٤ ـ أحمد بن محمد بن طلحة بن الحسن بن طلحة بن حسان ، البصري الأصل ، البغدادى المصري ، الفقيه المحدث ، المعدل ، أبو بكر . وقد يكنى أبا عبد الله أيضاً . و يلقب أمين الدين .

ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة تقديراً

وطلب الحديث قبل التسعين وخمسمائة ، فسمع الكثير من ، ابن كليب . وذا كر بن كامل ، ويحيى بن بوش ، وأبى الفرج بن الجوزي ، وابن المغطوش ، وابن سكينة ، وابن الأخضر ، وخلق كثير من هذه الطبقة ، وجد واجتهد فى الطلب . وكتب بخطه كثيراً . وتفقه فى المذهب وتكلم فى مسائل الخلاف وحصل طرفاً صالحاً من الأدب ، وصحب محيى الدين بن الجوزى، واختص به ، وصار حاجباً له أيام حسبته . وسافر معه لما نفذ فى الرسائل إلى الشام ومصر و بلاد الروم و بلاد فارس . وشهد عند ابن اللمعانى .

وله مجموعات وتخاريج فى الحديث ، وجمع الأحاديث السباعيات والثمانيات التى وقعت له ، ومعجما لشيوخه . وحدث بقطعة من مسموعاته ببغداد وغيرها

ذكر ذلك ابن النجار ، وقال : سمعت منه . وهو فاضل عالم ثقة ، صدوق متدين أمين نزه ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، طاهر السريرة ، سليم الجانب ، مسارع إلى فعل الخير ، محبوب إلى الناس . ثم روى عنه حديثاً عن ابن بوش .

وقال المنذرى : قدم مصر ، وحدث بها . سمعت منه حديثاً واحداً بظاهر السويداء . قرأته عليه من حفظى .

وأخبرنى أبو الربيع على بن عبد الصمد البغدادى ـ سماعاً بهـا ـ أخبرنى أبو أحمد عبد الصمد بن أحمد بن أبى الجيش ، قال : أخرج شيخنا الفقيه الإمام العدل أمين الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن طلحة لنفسه أربعين حديثاً ، وقرأتها عليه .

وسمع منه ببغداد منصور بن سليم الإسكندرى الحافظ وغيره . وأجاز للبهاء القاسم بن مظفر بن عساكر .

وتوفى ليلة الأحد ثالث شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

٣٢٥ ـ يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع بن حسن ابن جعفر ، المقدسى النابلسى ، الفقيه المحدث ، أبو عبد الله ، ويلقب تقى الدين . ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ـ تقديراً ـ بيت المقدس .

وسمع بدمشق من عمر بن طبرزد ، وأبى اليُمْن الكندى ، وأبى القاسم بن الحرستانى ، وست الكتبة بنت ابن الطراح ، وجماعة آخرين ، وتفقه .

قال المنذرى : ترافقنا فى السماع كثيراً . وولى الإمامة بالجامع الغربى بمدينة نابلس . وحدث . وهو ابن عم الحافظ عبد الغنى المقدسى . وكان على طريقة حسنة .

توفى فى عاشر ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وستمائة بمدينة نابلس .

٣٢٦ - عبد الغنى بن محمد بن القـاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، خطيب حران ، وابن خطيبها ، سيف الدين أبو محمد ، ابن الشيخ فخر الدين أبى عبد الله وقد سبق ذكر والده .

ولد فى ثانى صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بحران .

وسمع بها من والده ، وعبد القادر الرهاوى ، وعبد الوهاب بن أبى حبة وحماد الحرانى ، وغيرهم . وأخذ العلم بها عن والده .

ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وستمائة ، فسمع بها من عبد الوهاب بن سكينة وضياء بن الخريف ، وعمر بن طبرزد ، وعبد العزيز بن منينا ، وعبد الواحد بن سلطان ، ويحيى بن الحسين الأوانى ، وأبى الفرج محمد بن هبة الله الوكيل ، وعبد الرزاق بن عبد القادر الحافظ ، ومسمار بن العويش ، وسعيد بن محمد بن عطاف ، وأحمد بن الحسن العاقولى ، وغيرهم .

وطلب ، وقرأ بنفسه ، وأخذ الفقه عن الفخر إسماعيل غلام ابن المنى وغيره .

ورجع إلى حران ، وقام مقام أبيه فى وظائفه بعد وفاته ، وكان يخطب ويعظ ويدرس ، ويلقى التفسير فى الجامع على كرسى .

قال ابن حمدان : الشيخ الإمام العالم الفاضل ، سيف الدين قام مقام والده فى التفسير والفتوى ، والوعظ والخطابة . وكان خطيباً فصيحاً ، رئيساً ثابتاً ، رزين العقل . وله تصنيف «الزائد على تفسير الوالد» و «إهداء القرب إلى ساكنى الترب»

قال : ولم أسمع منه ، ولا قرأت عليه شيئاً . وسمعت بقراءته على والده كثيراً .

وقال المنذرى : لقيته بحران وغيرها ، وعلقت عنه بنهر الجوز بالقرب من شاطىء الفرات شيئاً . وأجاز للقاضى أبى الفضل سليمان بن حمزة المقدسى .

وتوفى فى سابع عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وستمائة بحران

٣٢٧ - أحمد بن محفوظ بن مهيا بن شكر بن الصابونى، الرصافى البغدادى الفقيه المحدث، أبو العباس.

سمع الكثير، وعنى بالسماع، وكتب الطباق بخطه، وهو حسن.

وتفقه على القاضى أبى صالح نصر بن عبد الرزاق. وكان خيراً صالحاً، متعبداً من خيار الطلبة.

توفى يوم الأحد تاسع عشرين صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة، ودفن بمقبرة معروف الكرخى. رحمهما الله تعالى.

٣٢٨ - سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الأسعردى، المحدث الخطيب، أبو الربيع.

ولد سنة سبع وستين وخمسمائة بإسعرد.

ورحل. وسمع بدمشق من الخشوعى، وابن طبرزد، وجماعة كثيرة، وبمصر من إسماعيل بن ياسين، وهبة الله البوصيرى، وأبى عبدالله الأرتاحى، وخلق كثير وبالإسكندرية من أبى القاسم عبدالرحمن بن علاس. وانقطع إلى الحافظ عبدالغنى المقدسى مدة، وتخرج به، وسمع منه الكثير، وكتب بخطه كثيرا. وكان كثير الإفادة، حسن السيرة.

وسئل عنه الحافظ الضياء؟ فقال: خير دين ثقة، وأقام ببيت لهيا، وتولى الخطابة والإمامة بجامعه، ويقال: إنهم كانوا يؤذونه، فيكشطون الدال من الأسعردى، ويعجمون السين فيصير الأشعرى، فيغضب لذلك.

قال المنذرى: اجتمعت به، ولم يتفق لى السماع منه، وأفادنا إجازة وجماعة من شيوخ المصريين وغيرهم. شكر الله سعيه وجزاه خيراً.

وتوفى فى ثانى عشرين ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة ببيت لهيا، رحمه الله تعالى، و « رحمة » اسم أم جده، وبها عرف جده.

٢٢٩ - إسماعيل بن ظفر بن أحمد بن إبراهيم بن مفرج بن منصور بن ثعلب ابن عتيبة بن ثابت بن بكار بن عبد الله بن شرف بن مالك بن المنذر بن النعمان ابن المنذر المنذرى ، النابلسى الأصل ، الدمشقى المولد ، المحدث أبو الطاهر .

ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة بدمشق .

وارتحل فى طلب الحديث إلى الأمصار ، فسمع بمكة من ابن الحصرى .

وبمصر من البوصيرى ، والأرتاحى ، والحافظ عبد الغنى ، وجماعة .

وببغداد من ابن كليب ، والمبارك بن المعطوش ، وابن الجوزى ، وابن الأخضر وجماعة .

وبإصبهان من أبى المكارم اللبان ، وأبى عبد الله الكرانى ، وأبى جعفر الصيدلانى ، وجماعة .

وبخراسان من منصور بن عبد المنعم الفراوى ، والمؤيد الطوسى ، وزينب الشعرية ، وجماعة .

وبنيسابور من أبى سعد الصفار ، ومنصور الفراوى ، والمؤيد الطوسى .

وسمع بحران من الحافظ عبد القادر الرهاوى ، وانقطع إليه مدة ، وكتب الكثير بخطه ، وحدث بالكثير .

قال المنذرى : سمعته بحران ودمشق .

وكتب عنه ابن النجار ببغداد ، وقال : كان شيخا صالحاً .

وقال عمر بن الحاجب : كان عبداً صالحاً ، صاحب كرامات ، ذا مروءة مع فقر مدقع ، سهل العارية ، وصحيح الأصول ، وحدث .

وروى عنه الحفاظ : الضياء ، والمنذرى ، والبرزالى ، والقاضى سليمان بن حمزة .

توفى رحمه الله فى رابع شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة ، بسفح قاسيون ، ودفن من يومه .

أخبرنا أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر بن الحموى - بقراءتى عليه -

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن محفوظ الأزدى ، أخبرنا أبو الطاهر إسماعيل ابن ظفر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبى زيد الكرانى أخبرنا أبو منصور محمد ابن إسماعيل الصيرفى أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن فورك القباب أخبرنا أبو الحسن على بن سعيد العسكرى ، حدثنا عباد بن الوليد حدثنا مطهر بن الهيثم بن الحجاج الطائى حدثنا علقمة بن أبى حمزة الضبعى عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَكِلُ طَهورَهُ ولا صدقته التى يتصدق بها إلى أحد ، يكون هو الذى يتولاها بنفسه » .

٣٣٠ ـ عمر بن أسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل ، التنوخى المقرىء ، الحرانى المولد الدمشقى الدار . القاضى شمس الدين أبو الفتوح ، وأبو الخطاب ابن القاضى وجيه الدين أبى المعالى ، وقد سبق ذكر والده .

ولد بحران ـ إذ أبوه قاضيها فى الدولة النورية ـ سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، ونشأ بها وتفقه على والده ، وسمع من عبد الوهاب بن أبى حبة .

وقدم دمشق ، وسمع بها من القاضيين : أبى سعد بن أبى عصرون ، وأبى الفضل بن الشهرزورى ، وأبى عبد الله بن صدقة ، وأبى المعالى بن صابر .

ورحل إلى العراق وخراسان .

وسمع ببغداد من ابن بوش . وابن سكينة ، واشتغل على أبى القاسم محمود ابن المبارك المعروف بالمجير الشافعى ، فى علم الخلاف والنظر ، وأفتى ودرس . وكان عارفاً بالقضاء بصيراً بالشروط والحكومات والمسائل الغامضات ، صدراً نبيلا .

وولى القضاء بحران قديما ، ثم انتقل إلى دمشق ، واستوطنها ، ودرس بها بالمسمارية .

وتولى خدماً ديوانية فى الدولة المعظمية . وحدث .

روى عنه الحافظ أبو عبد الله البرزالى ، ومجد الدين بن العديم ، وسعد الخير

النابلسى ، والحسن بن الخلال ، ووزيرة ابنته . وهى خاتمة من روى عنه بالسماع وأجاز لابن الشيرازى ، ورأيت نسخة « المستوعب » . وقد قرأها عمر بن المنجا على والده قراءة بحث . وعليها حواش علقها عنه بخطه .

منها : أنه ذكر عن والده أنه قال : مراد الأصحاب بقولهم : يؤجل العنين سنة : السنة الشمسية ، لا الهلالية ، لأن الشمس تجمع الفصول الأربع ، تختلف فيها الفصول ، وتتغير فيها الأمزجة ، فيحصل فيها مقصود الاختبار ، دون الهلالية . وهذا غريب .

ولعمر مصنف فى المذهب سماه « المعتمد والمعول » فى مجلد .

توفى فى سابع عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله . كذا قال أبو شامة . وقال الشريف : فى ثامن عشر .

وتوفى بعده فى مستهل ذى الحجة من السنة : أخوه عز الدين أبو الفتح ، وأبو عمرو : —

٣٣١ — عثمان بن أسعد . وكان فقيها فاضلا معدلا . درس بالمسمارية عن أخيه نيابة . وكان تاجرا ذا مال وثروة .

سمع ببغداد من ابن بوش ، وابن سكينة ، وبمصر من البوصيرى ، ويوسف ابن الطفيل ، وحدث .

سمع منه ابن الحاجب الحافظ ، وابن الحلوانية ، وولداه : وجيه الدين محمد ، وزين الدين المنجا ، والحسن بن الخلال ، وأجاز لسليمان بن حمزه القاضى .

وكان مولده فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة .

وفى جمادى الآخرة من السنة توفى : —

٣٣٢ — أبو الوفا عبد الملك بن عبد الحق بن عبد الوهاب بن عبد الواحد ابن الحنبلى . ودفن بالجبل أيضا .

وكان مولده سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

سمع بالاسكندرية من السلفى ، وبمكة من المبارك بن الطباخ ، وبدمشق من أبى الحسين بن الموازينى ، وحدث .

وفى سابع عشر شعبان من السنة توفى الأمير : ـ

٣٣٣ ـ أبو منصور مهلهل بن الأمير مجد الملك أبى الضياء بدران ابن يوسف بن عبد الله بن رافع بن يزيد بن أبى الحسن بن على بن سلامة ابن طارق بن ثعلب بن طارق بن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الحسانى ، الجيتى ، النابلسى الأصل ، المصرى الحنبلى . ودفن بسفح المقطم .

سمع من إسماعيل بن ياسين ، والبوصيرى ، والأرتاحى ، وأبى الحسن بن نجا والحافظ عبد الغنى ، ولازمه كثيرا ، وخلق كثير . وكتب بخطه وقرأ بلفظه وحدث .

قال المنذرى : سمعت منه ، وسألته عن مولده ؟ فذكر ما يدل تقديراً : أنه سنة سبع وستين وخمسمائة بمصر .

وفى العشرين من شعبان من هذه السنة توفى : ـ

٣٣٤ ـ أبو محمد عبد الحق بن خلف بن عبد الحق الدمشقى الحنبلى . ويلقب بالضياء .

سمع الكثير بدمشق من أبى المعالى بن صابر ، وأبى الفهم بن أبى العجائز ، وابن صدقة ، ويحيى الثقفى ، والحزوى وخلق . وبحران من ابن أ ى الوفاء . وحدث .

وكان مشهورا بالخير والصلاح . وعجز فى آخر عمره عن التصرف رحمه الله .

٣٣٥ ـ إبراهيم بن محمد بن الأزهرى بن أحمد بن محمد الصريفينى ،

الفقيه ، المحدث ، الحافظ أبو إسحاق . و يلقب تقي الدين . نزيل دمشق .

ولد ليلة حادى عشر محرم سنة اثنتين ـ وقيل سنة إحدى ـ وثمانين وخمسمائة بصريفين من قرى بغداد .

وقرأ القرآن على والده ، وعلى أبي الفضل عوض الصريفيني .

ودخل بغداد . وسمع بها من ابن الأخضر ، وابن طبرزد ، وحنبل وطبقتهم .

ورحل إلى الأقطار . وسمع بإصبهان من علي بن منصور الثقفى ، و بنيسابور من المؤيد الطوسى ، و بمَرْوَ من عبد الرحيم بن السمعانى ، و بهراة من أبى روح الهروى ، و ببوشَنْج من سهيل بن محمد البوشنجى .

وسمع بالكرخ ، والدينور ، ونهاوند ، وتستر ، وطبيس .

وسمع بالموصل من عبد المحسن الطوسى ، و بدمشق من الكندى ، وابن الحرستانى ، و ببيت المقدس من الأوقى ، و ببلد الخليل من الدربندى .

وسمع بحران من الرهاوى الحافظ ، وصحبه وتخرج به ، وسمع ببلدان أخر .

وتفقه ببغداد على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد البوازيحى . وقد سبق ذكره . وجالس أبا البقاء العكبرى .

وقرأ الأدب على هبة الله بن عمر الدودى الكواز من أصحاب الحسن ابن عبدة النحوى .

قال عمر بن الحاجب الحافظ : كان أحد حفاظ الحديث ، وأوعية العلم، إماما فاضلا دينا صدوقا خيراً ، ثبتاً ثقة حجة ، واسع الرواية ، ذا سمت ووقار وعفاف ، حسن السيرة . جميل الظاهر ، سخى النفس مع القلة ، كثير الرغبة فى فعل الخيرات . سافر الكثير ، واغترب . وجال فى الآفاق من العراق ، وخراسان ، والجزيرة والشام . وكتب الكثير ، وأقرأ وأفاد ، كثير التواضع ، سليم الباطن . وكان يرجع إلى ثقة وزهد وورع .

وكان شيخا لدار حديث مَنْبَجِ ، ثم تركها . واستوطن مدينة حلب ، وولى

بها دار الحديث التي للصاحب ابن شداد . وكان يحدث بها و يتكلم على الأحاديث وفقهها ومعانيها .

سألت ابن عبد الواحد ـ يعني الحافظ الضياء ـ عنه ؟ فقال : إمام حافظ ثقة ، أمين دين ، حسن الصحبة . وله معرفة بالفقه .

وسألت البرزالي عنه ؟ فقال : حافظ دين ثقة . انتهى .

ونقل الذهبي عن المنذري : ولم أجد في الوفيات ذكر الصريفيني بالكلية وأنه قال عنه : كان ثقة حافظا صالحا . له جموع حسنة لم يتمها . ولكن هذا قاله الشريف الحسيني في ذيله على كتاب المنذري . وزاد : كتب بخطه كثيراً . وكان من العارفين بهذا الشأن .

وقال أبو شامة : كان عالما بالحديث . دينا متواضعا .

وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي سبب ولاية الصريفيني دار الحديث بحلب ، قال : كان القاضي بهاء الدين بن شداد له غلو في إعلاء مذهب الشافعي . فرأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فسألته : أي المذاهب خير ؟ ثم كتم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الناصح : الظاهر أنه أشار إلى مذهب أحمد ؛ لأن تعصبه على مذهب أبي حنيفة ما تغير ، ومال إلى الحنابلة ، وأجلس التقي إبراهيم الحافظ الصريفيني في دار الحديث ، وقال : ندمت إذ وسمتها بالشافعية .

قال : ولو كان الجواب « مذهب الشافعي » لأظهره ؛ لأنه كان داعية إليه ، مبالغاً في تعظيمه ، و إظهاره عند الملوك ، والملوك على مذهبه .

وقد وقفت على جزء صغير للحافظ الصريفيني استدركه ، على الحافظ ضياء الدين في الجزء الذي استدركه فيه على الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ، في كتاب « ذكر المشايخ النبل » فاعتذر الصريفيني عن ابن عساكر ، واستدرك على الضياء أسماء فاتت ابن عساكر لم يستدركها . وقد نبه الحافظ أبو الحجاج

المزى على أوهام كثيرة فيها للصريفينى ، بل بين أن غالب ما استدركه وهم منه .

قال أبو شامة : توفى الحافظ الصريفينى فى خامس عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وستمائة . وحضرت الصلاة عليه بجامع دمشق ، وشيعته إلى مصلى باب الفراديس . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

٣٣٦ - على بن الأنجب بن ماشاء الله بن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله العلوى ، الحسينى ، البغدادى ، المأمونى ، الفقيه المقرىء الجصاص ، أبو الحسن .

ولد أوائل سنة ست وستين وخمسمائة .

قرأ القرآن على ابن الباقلانى الواسطى بها . وسمع الحديث من ابن شاتيل ، وشهدة ، وابن بوش . وابن كليب ، وغيرهم .

وتفقه على أبى الفتح بن المنى ، وتكلم فى مسائل الخلاف . وناظر . وحدث .

وروى عنه ابن النجار ، وأجاز لسليمان بن حمزة ، وأبى نصر بن الشيرازى ، والقاسم بن عساكر .

وتوفى فى سادس عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

٣٣٧ - محمد بن يوسف بن سعيد بن مسافر بن جميل ، البغدادى ، الأزجى الأديب ، أبو عبد الله بن أبى محمد .

ولد فى سابع شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

وسمع بإفادة والده المحدث ، وأبى محمد بن أبى العلا محمد بن جعفر بن عقيل ، وأبى الفتح بن شاتيل ، ونصر الله القزاز ، وابن كليب ، وأبى الغنائم عبد الرحمن ابن جامع بن غنيم الفقيه .

وكان لديه فضل وأدب . وله تصانيف . وحدث .

وسمع منه المحب المقدسى ، وعلى بن أحمد بن عبد الدايم .

وتوفى فى ثالث رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ببغداد . وأبوه سمع الكثير من ابن البطى وطبقته ، وعنى بالطلب . وقرأ بنفسه . وكتب بخطه إلى حين وفاته . وحدث وتوفى .

٣٣٨ - عبد الرحمن بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، الفقيه الزاهد ، محيي الدين ، أبو سليمان ابن الحافظ أبى محمد .

ولد سنة ثلاث - أو أربع - وثمانين وخمسمائة فى شوال .

وسمع بدمشق من الخشوعى وغيره . ورحل . وسمع بمصر من البوصيرى والأرتاحى ، وإسماعيل بن ياسين ، وغيرهما .

وسمع ببغداد من ابن الجوزى وطبقته .

وتفقه على الشيخ الموفق حتى برع فى الفقه . وكان يؤم معه فى جامع بنى أمية بمحراب الحنابلة . وأفتى ودرس الفقه .

وكان إماما عالما ، فاضلا ورعا ، حسن السمت دائم البشر ، كريم النفس ، مشتغلا بنفسه ، وبإلقاء الدروس المفيدة على أصحابه ، وطلبته .

وسئل عنه الحافظ الضياء ؟ فقال : فاضل خير دين ، كثير التلاوة .

وقال أبو شامة : كان من أئمة الحنابلة رحمه الله تعالى . وكان من الصالحين وحدث . وروى عنه ابن النجار .

وتوفى فى تاسع عشرى صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ودفن بسفح قايسون رحمه الله تعالى .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصارى أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أبو سليمان بن الحافظ .

ح وأخبرناه عاليا محمد بن محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا عبد الله بن عبد الواحد بن علاق . قالا : أخبرنا أبو القاسم البوصيرى أخبرنا مرشد بن يحيي المديني

أخبرنا على بن عمر بن حمصة أخبرنا حمزة بن محمد الكنانى الحافظ أخبرنا عمران ابن موسى الطبيب حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثنى الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحُبُلي سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ـ وذكر حديث البطاقة بطوله » .

٣٣٩ ـ أحمد بن محمد بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور ، المقدسى ، الفقيه الإمام ، تقى الدين ، أبو العباس بن الحافظ عز الدين أبى الفتح ابن الحافظ الكبير أبى محمد .

ولد فى صفر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

وسمع بدمشق من أبى طاهر الخشوعى ، وحنبل الرصافى ، وعمر بن طبرزد والكندى ، وغيرهم .

ورحل فى طلب الحديث . وسمع بأصبهان من أسعد بن روح ، والمؤيد بن الأخوة ، وعفيفة الفارقانية ، وخلق . و ببغداد من سليمان بن الموصلى ، وغيره .

وقرأ الحديث بنفسه كثيرا ، و إلى آخر عمره .

وتفقه على الشيخ موفق الدين ، وهو جده لأمه ، حتى برع . و يقال : إنه حفظ كتاب « الكافى » له ، و ببغداد على الفخر إسماعيل . وانتهت إليه مشيخة المذهب بالجبل .

قال أبو شامة . كان من أئمة الحنابلة

وقال الشريف الحسينى : كان أحد المشائخ المشهورين بالفقه والحديث

وقال ابن الحاجب : سألت عنه الحافظ ابن عبد الواحد ؟ فقال : حصَّل مالم يحصله غيره ، وحدث . وروى عنه سليمان بن حمزة القاضى ، ومحمد بن مشرف وغيرهما ، وأجاز لابن الشيرازى .

توفى فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

٣٤٠ ـ عبد الله بن محمد بن أبى محمد بن الوليد البغدادى ، الحريمى ، الحافظ المحدث ، أبو منصور بن أبى الفضل ، أحد من عنى بالحديث .

سمع الكثير ببغداد من خلق ، منهم : الحافظ أبو محمد ابن الأخضر ، وعبد العزيز ابن منينا . ورحل . وسمع بحران من الحافظ عبد القادر الرهاوى ، وغيره . وبحلب من الشريف أبى هاشم الافتخار وغيره . وبدمشق من أبى اليمن الكندى فى جماعة .

قال ابن نقطة : سمع بالشام ، وبلاد الجزيرة . وقرأ الكثير . وله معرفة حسنة .

قال لى أبو بكر تميم بن البندنيجى وغيره : إن اسمه الذى سمى به «جُزيرة» تصغير جزرة بالجيم والزاى .

وقال الشريف أبو العباس الحسينى : كان حافظاً مفيداً . أسمع الناس الكثير بقراءته . وكان مشهوراً بسرعة القراءة وجودتها ، وجمع وحدث

قلت : وأجاز لسليمان بن حمزة الحاكم ، وأبى بكر بن أحمد بن عبد الدائم ، وعيسى المطعم ، وغيرهم من المتأخرين .

وله تخاريج كثيرة ، وفوائد وأجزاء . وله رسالة إلى السامرى صاحب المستوعب ، ينكر عليه فيها تأويله لبعض الصفات ، وقوله « إن أخبار الآحاد لاتثبت بها الصفات » .

ورأيت لأبى البقاء العكبرى مصنفاً فى الرد عليه فى إثبات الحركة لله ، وأنه نسب ذلك إلى أحمد ، ولكن الروايات عن أحمد بذلك ضعيفة .

وذكر ابن الساعى وغيره : أن المستنصر بالله لما بنى مدرسته المعروفة رتب بدار الحديث بها شيخين ، يشتغلان بعلم الحديث . أحدهما : أبو منصور بن الوليد

الحنبلى هذا ، والآخر : أبو عبد الله بن النجار الشافعى ، صاحب التاريخ .

توفى فى ثالث جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ببغداد . ودفن خلف بشر الحافى بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

٣٤١ — محاسن بن عبد الملك بن على بن نجا التنوخى الحموى ، ثم الصالحى الفقيه ، الإمام ضياء الدين ، أبو إبراهيم .

سمع بدمشق من الخشوعى . وتفقه على الشيخ موفق الدين حتى برع وأفتى وكان فقيهاً ، عارفاً بالمذهب ، قليل التعصب ، زاهداً ، ما نافس فى منصب قط ولا دنيا ، ولا أكل من وقف ، بل كان يتقوت من شكارة تزرع له بحوران . وما آذى مسلماً قط ، ولا دخل حماماً ، ولا تنعم فى ملبس ولا مأكل ، ولا زاد على ثوب وعمامة فى طول عمره . وكان على خير كثير . قل من يماثله فى عبادته واجتهاده وسلوك طريقته رحمه الله .

قرأ عليه جماعة ، وحدث .

وتوفى ليلة الرابع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بجبل قاسيون . ودفن به .

وممن قرأ عليه : صاحب « المبهم » عبد الله بن أبى بكر الحربى كتيلة ، وقال : ذكر لى : أن من أكثر من تحريك إصبعه المسبحة فى تشهده ، كان ذلك عبثاً يبطل صلاته . قال : وقول من قال من أصحابنا « يشير بها مراراً » يعنى عند الشهادتين فقط .

٣٤٢ — عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الأصل ، الصالحى الخطيب ، شرف الدين أبو محمد ، وأبو بكر بن الشيخ أبى عمر .

ولد فى أواخر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق .

وسمع بها من يحيى بن محمود الثقفى ، وأبى عبد الله بن صدقة ، وعبد الرحمن ابن الخرقى ، والجنزوى ، وغيرهم .

وسمع ببغداد من أبى الفرج بن الجوزى ، وابن المعطوش ، وابن سكينة ، وطبقتهم .

وبمصر من البوصيرى ، والأرتاحى ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وغيرهم

وتفقه على والده ، وعمه الشيخ موفق الدين . وحدث

وخرج له الحافظ الضياء جزءا عن جماعة من شيوخه

وخطب بجامع الجبل مدة . وكان شيخاً حسناً يشار إليه بالعلم والدين ، والورع ، والزهد ، وحسن الطريقة ، وقلة الكلام

قال الحافظ الضياء عنه : كان فقيهاً فاضلا ديناً ثقة . وكتب عنه مع تقدمه

توفى ليلة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون . ودفن به رحمه الله تعالى .

وفى هذا الشهر أيضاً : توفى :ـ

٣٤٣ ـ صلاح الدين أبو عيسى موسى بن محمد بن خلف بن راجح ، المقدسى .

كان إماماً عالماً فاضلا زاهداً .

سمع يوسف بن معالى الكنانى ، ومحمود بن عبد المنعم ، والخشوعى .

وكان مولده فى صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وأجاز لابن الشيرازى . وقد ذكرنا له فيما سبق مرثية فى الشيخ موفق الدين المقدسى . وذكر أخوه القاضى نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف الشافعى قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة أخى موسى . قال : فكان أثر ذلك أن تحول إلى حالة عظيمة فى الخير ، والزهد . وترك الدنيا رحمه الله تعالى .

٣٤٤ ـ نصر بن أبى السعود بن مظفر بن الخضر بن بطة اليعقوبى الضرير الفقيه ، تاج الدين ، أبو القاسم من أهل يعقوبا . وفى كثير من طباق السماع :

ينسب إلى عكبرا . وفى بعض الطباق : سبط أبى عبد الله بن بطة . وهذا يدل على أنه من ولد بعض بناته .

قال ابن نقطة : وكان يسمى نفسه علياً فى أول ماسمع . ثم ترك ذلك .

دخل بغداد فى صباه . فقرأ القرآن على أبى محمد الحسن بن على بن عبيدة . وسمع بها الحديث الكثير من المبارك بن زريق القزاز ، وأبى الفتح بن شاتيل ، وعمر بن أبى بكر التبان ، وابن كليب ، وعبد الرحمن بن جامع بن غنيمة ، وابن الجوزى ، وابن الأخضر وغيرهم .

وتفقه فى المذهب ، وبرع ، وأفتى . وناظر ، وأعاد بالمدرسة القادرية . وروى «مختصر الخرقى» عن أبى محمد عبد الخالق بن عبد الوهاب الصابونى عن ابن كادش عن أبى على المباركى عن ابن سمعون عنه .

قال ابن نقطة : حدث . وكان معيداً للفقهاء ، وله شعر أنشدنى منه أبياتاً ، وأخذ عنه ابن النجار ـ ولم يذكره فى تاريخه ـ وأبو المعالى الأبرقوهى .

وأجاز لعبد الصمد بن أبي الجيش ، وسليمان بن حمزة القاضى ، وأبى بكر ابن عبد الدائم وأحمد الحجاز .

توفى فى ليلة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ببغداد . ودفن فى باب حرب رحمه الله تعالى .

٣٤٥ ـ محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ابن منصور السعدى ، المقدسى ، الصالحى ، الحافظ الكبير ، ضياء الدين أبو عبد الله بن أبى أحمد . محدث عصره . ووحيد دهره . وشهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره ، والاشتهار فى أمره .

ولد فى خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة . كذا وجد بخطه وقال ابن النجار : سألته عن مولده ؟ فقال : فى جمادى الأولى من السنة .

وسمع بدمشق من أبى المجد البانياسى ، والخضر بن هبة الله بن طاووس ، وأحمد بن الموازينى ، وغيرهم .

وسمع بمصر من البوصيرى ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وجماعة .

وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزى ، وابن المعطوش ، وابن سكينة ، وابن الأخضر ، وطبقتهم .

وسمع من أبى جعفر الصيدلانى ، وطبقته بأصبهان ، ومن عبد الباقى بن عثمان بهمدان ، ومن المؤيد الطوسى ، وطبقته بنيسابور ، ومن أبى روح بهراة ، ومن أبى المظفر بن السمعانى بمرو .

ورحل مرتين إلى أصبهان ، وسمع بها مالا يوصف كثرة . وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وحصل أصولا كثيرة ، وأقام بهراة ، ومَرْو مدة ، وله إجازة من السلفى ، وشُهدة .

قال ابن النجار : كُتب عنه ببغداد ونيسابور ، ودمشق . وهو حافظ ، متقن ثبت ثقة ، صدوق نبيل حجة ، عالم بالحديث وأحوال الرجال . له مجموعات وتخريجات ، وهو ورع تقى زاهد ، عابد ، محتاط فى أكل الحلال ، مجاهد فى سبيل الله . ولعمرى ما رأت عيناى مثله ، فى نزاهته وعفته ، وحسن طريقته ، فى طلب العلم .

وقال عمر بن الحاجب : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ، ونسيج وحده ، علماً وحفظاً ، وثقة وديناً ، من العلماء الربانيين ، وهو أكبر من أن يدل عليه مثلى . كان شديد التحرى فى الرواية ، مجتهداً فى العبادة ، كثير الذكر ، منقطعاً عن الناس ، متواضعاً فى ذات الله ، سهل العارية . رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا فى حقه ، ومدحوه بالحفظ والزهد .

سألت الزكى البرزالى عنه ؟ فقال : ثقة جبل ، حافظ دين .

وقال ابن النجار ـ وذكر بعض كلامه المتقدم .

وقال الشرف بن النابلسي : مارأيت مثل شيخنا الضياء .

وقال أبو إسحاق الصريفيني : كان الحافظ الزاهد العابد ضياء الدين المقدسي رفيقي في السفر ، وصاحبي في الحضر ، وشاهدت من كثرة فوائده وكثرة حديثه وتبحره فيه .

ونقل الذهبي عن الحافظ المزي : أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغني ، ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبي : الإمام العالم ، الحافظ الحجة ، محدث الشام ، وشيخ السنة ضياء الدين ، صنف ، وصحح ولين ، وجرح وعَدَّل ، وكان المرجوع إليه في هذا الشأن .

وقال الشريف أبو العباس الحسيني : حدث بالكثير مدة . وخَرَّج تخاريج كثيرة مفيدة ، وصنف تصانيف حسنة . وكان أحد أئمة هذا الشأن ، عارفاً بالرجال وأحوالهم ، والحديث وصحيحه وسقيمه ، ورعاً متديناً طارحاً للتكلف .

وقال الذهبي أيضاً : بنى مدرسة على باب الجامع المظفري بسفح قاسيون . وأعانه عليها بعض أهل الخير ، ووقف عليها كتبه وأجزاءه .

وقال غيره : بناها للمحدثين والغرباء الواردين ، مع الفقر والقلة ، وكان يبنى منها جانباً ويصبر إلى أن يجتمع معه مايبنى به ، ويعمل فيها بنفسه ، ولم يقبل من أحد فيها شيئاً تورعاً . وكان ملازماً لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد ، أو يحدث به ، ومناقبه أكثر من أن تحصر ، وإنما أشرت إلى نبذة منها .

ذكر تصانيفه

كتاب « الأحكام » يعوز قليلا في نحو عشرين جزءاً في ثلاث مجلدات ، كتاب « الأحاديث المختارة » وهي الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى

مافى الصحيحين ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تـكمل .
قال بعض الأئمة : هى خير من صحيح الحاكم ، كتاب « فضائل الأعمال » أربعة أجزاء ، كتاب «فضائل الشام» ثلاثة أجزاء ، كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء « صفة الجنة » ثلاثة أجزاء « صفة النـار » جزآن ، « أفراد الصحيح » جزء ، و « غرائبه » تسعة أجزاء « ذم المسـكر » جزء ، « الموبقـات » أجزاء كثيرة « كلام الأموات » جزء « شفاء العليل » جزء « الهجرة إلى أرض الحبشة » جزء « قصة موسى عليه السلام » جزء « فضائل القرآن » جزء « الرواة عن البخارى » جزء « دلائل النبوة » « الإلهيات » ثلاثة أجزاء « فضـائل الجهاد » جزء « النهى عن سبِّ الأصحاب » جزء ، « الحـكايات المستطرفات » أجزاء كثيرة ، فيهـا أحاديث مخرجة ، كتاب « سبب هجرة المقادسة إلى دمشق ، وكرامات مشايخهم » نحو عشرة أجزاء ، وأفرد لأكابرهم من العلماء ، لـكل واحد سـيرة فى أجزاء كثيرة « أطراف الموضوعات » لابن الجوزى ، فى جزأين « تحريم الغيبـة » جزء « الموقف والاقتصاص » جزء « الاستدراك » على الحافظ عبد الغنى ، فى عزوه « أحاديث فى درر الأثر » جزء « الاستدراك ، على المشـايخ النبل » لابن عساكر جزء ، كتاب « الإرشـاد إلى بيان ماأشكل من المرسل فى الإسناد » جزء كبير ، فيه فوائد جليلة « الموافقات » جزء « طرق حديث الحوض النبوى » جزء « أحاديث الحرف والصوت » جزء « الأمر باتباع السـنن واجتناب البدع » جزء ، كتاب « مسند فضالة بن عبيد » جزء ، كتاب « الأمراض والـكفارات والطب والرقيات » .

روى عنه ابن نقطة فى استدراكه ، فقال : حدثنا محمد بن عبد الواحد الجيلى بالجبل ، ظاهر دمشق ، وابن النجار فى تاريخه ، والبرزالى وعمر بن الحاجب ، وابن أخيه الفخر بن البخارى ، والقاضى تقى الدين سليمان ، وابن الفراء ،

والنجم الشقراوى ، وإسماعيل بن الخباز ، والحسن بن الخلال ، والدشتى ، وأبو بكر ابن عبد الدايم . وعيسى المطعم ، وخلق كثير .

توفى فى يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون . ودفن به رحمه الله تعالى .

٣٤٦ ـ عبد الرحمن بن عمر بن بركات بن شُحانَة الحرانى المحدث الحافظ المكثر ، سراج الدين ، أبو محمد ، أحد من عُني بعلم الحديث .

سمع بحران من الحافظ عبد القادر الرهاوى ، وبدمشق من ابن الحرستانى ، وابن ملاعب وغيرهما . وبحلب من الافتخار الهاشمى ، وبالموصل من مسمار ابن العويس ، وبمصر من جماعة من أصحاب ابن رفاعة ، والسلفى .

ودخل بغداد سنة تسع عشرة وستمائة . فسمع بها من أصحاب الأرموى وطبقتهم . وكتب بخطه الكثير ، وحصل .

قال ابن نقطة : هو شاب ثقة ، حسن المذاكرة .

وقال الشريف أبو العباس : حصل كثيرا . وكتب بخطه . وكان أحد المشهورين بالطلب والتحصيل . وتوفى قبل بلوغ أمنيته .

وقال غيره : كان ممن له الرحلة الواسعة فى الطلب . سمع من الجم الغفير . وسكن آخر عمره « مَيَّافارقين » . وصار صاحب ثروة بعد الفقر .

وقال ابن حمدان الفقيه : كان يحفظ كثيرا من الأحاديث وغيرها . وسمع الكثير . سمعت بقراءته كثيرا . ولم أسمع منه شيئا . وكانت له بنت عمياء تحفظ كثيرا ، إذا سئلت عن باب من العلم من الكتب الستة : ذكرت أكثره . وكانت فى ذلك أعجوبة . لم يبلغ أبو محمد رحمه الله أوان الرواية . وقد أجاز لسليمان ابن حمزة القاضى ، ولأبى نصر بن الشيرازى .

وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بميافارقين . رحمه الله و « شحانة » بضم الشين وفتح الحاء المهملة الخفيفة . وبعد الألف نون .

٣٤٧ - أحمد بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المقدسى الصالحى ، المحدث الحافظ ، سيف الدين أبو العباس ابن مجد الدين أبى المجد ابن شيخ الإسلام ، موفق الدين أبى محمد .

ولد سنة خمس وستمائة بالجبل .

وسمع من جده الكثير ، ومن أبى اليمن الكندى ، وأبي القاسم بن الحرستانى . وداود بن ملاعب ، وأحمد بن عبد الله القطان . وطبقتهم .

ورحل ، وسمع ببغداد من أبى الفتح بن عبد السلام ، وعلى بن بورنداى ، وأبى على بن الجواليقى ، وخلق من الأصحاب : ابن ناصر ، وأبى الوقت . وكتب بخطه الكثير . وخرج . وألَّف .

قال الحسينى : خَرَّج وحدث . وكان حسن التخريج فاضلا .

وقال الذهبي : كتب العالى والنازل . وجمع وصنف . وكان ثقة حافظا ، ذكيا متيقظا ، مليح الخط ، عارفا بهذا الشأن ، عاملا بالأثر ، صاحب عبادة . وكان تام المروءة ، أمَّارا بالمعروف ، قوالا بالحق . ولو طال عمره لساد أهل زمانه علما وعملا . ومحاسنه جمة .

وألف مجلدا كبيرا فى الرد على الحافظ محمد بن طاهر المقدسى لإباحته السماع . وفى أماكن من كتاب ابن طاهر فى « صفوة أهل التصوف » .

واختصرت هذا الكتاب على مقدار الربع . وانتفعت كثيرا بتعاليق الحافظ سيف الدين . انتهى .

وله أيضا مصنف فى الاعتقاد ، فيه آثار كثيرة وفوائد . وله كتاب « الأزهر » فى ذكر آل جعفر بن أبى طالب وفضائلهم .

وحدث وروى عنه أحمد بن محمد الدشتى .

وتوفى فى مستهل شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون . ودفن به رحمه الله تعالى . وله ثمان وثلاثون سنة .

٣٤٨ ـ يحيى بن على بن على بن عنان الفنوى البغدادى ، الفقيه ، الفرضى أبو بكر ، المعروف بابن البقال . ويلقب عباد الدين .

ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة تقريبا .

وطلب العلم فى صباه . وسمع الكثير من أبى الفتح بن شاتيل ، وأبى الفرج ابن كليب ، وابن الجوزى وغيرهم .وتفقه فى المذهب . وقرأ الفرائض والحساب وتصرف فى الأعمال السلطانية . وكان صدوقا ، حسن السيرة .

حدث . وروى عنه جماعة . سمع منه عبد الصمد بن أبى الجيش ، وأجاز لسليمان ابن حمزة الناضى ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعم وغيرهم .

وتوفى يوم الأحد سلخ رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب .

٣٤٩ ـ محمد بن محمود بن عبد المنعم البغدادى المرابتى ، نزيل دمشق ، الفقيه الإمام ، تقى الدين ، أبو عبد الله ، أحد فضلاء الفقهاء .

صحب ببغداد أبا البقاء العكبرى . وأخذ عنه . ثم قدم دمشق ، وصاحب الشيخ موفق الدين . وتفقه عليه ، وبرع وأفتى .

قال أبو شامة : كان عالما فاضلا ذا فنون . ولى به صحبة قديمة . وبعده لم يبق فى مذهب أحمد مثله بدمشق .

توفى فى الخامس والعشرين من جمادى الآخره سنة أربع وأربعين وستمائة بدمشق . ودفن بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

قرأت بخط ابن الصيرفى الفقيه : أنشدنى الشيخ تقى الدين المراتبى لغيره :

أيحسن أن أظما وأحواض بركم عِذاب ، ومن وُرَّادها أنا مصدود ؟

يحوم بها غيرى ، ويروى ، وإننى على ظمأ منها مُذاد ومطرود

٣٥٠ - علي بن إبراهيم بن علي بن محمد المبارك بن أحمد بن محمد بن بكروس بن سيف التميمي الدينوري . الفقيه ، أبو الحسن بن أبي محمد بن أبي الحسن . وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد في تاسع عشر رمضان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وأسمعه والده الكثير في صغره من ابن بوش، وابن كليب . وتفقه ، وحدث وروى عنه محمد بن أحمد القزاز . وأجاز لسليمان بن حمزة الحاكم .

وتوفي ليلة سادس عشر رجب سنة خمس وأربعين وستمائة .

٣٥١ - أحمد بن سلامة بن أحمد بن سليمان النجار ، الحراني ، المحدث الزاهد ، الصالح القدوة ، أبو العباس .

سمع الكثير من ابن كليب . وكتب بخطه الأجزاء ، والطباق . وصحب الحافظ عبد الغني المقدسي ، والحافظ عبد القادر الرهاوي ، والشيخ موفق الدين المقدسي . وسمع منهم . وحدث . وسمع منه جماعة .

قال ابن حمدان : سمعت عليه كثيراً . وكان من دعاة أهل السنة وولاتهم ، مشهوراً بالزهد ، والورع والصلاح .

توفي في سنة ست وأربعين وستمائة بحران . رحمه الله تعالى .

٣٥٢ - إبراهيم بن محمود بن سالم بن مهدي بن الحسين، البغدادي الأزجي المقرئ المحدث ، المعروف بابن الخير . وهو لقب لأبيه محمود بن محمد بن الثناء .

ولد في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على جماعة من الشيوخ . وسمع في صباه بإفادة والده الكثير من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق ، وأبي علي الحسن علي ابن شيرويه الخباز ، وشهدة الكاتبة ، وخديجة بنت أحمد النهرواني ، وغيرهم .

وأجاز له أبو الفتح بن البطي . وعني بالحديث . وكان له به معرفة . وقرأ

القرآن ، وحدث بالكثير مدة . وكان أحد المشايخ المشهورين بالصلاح ، وعلو الإسناد ، دائم البشر ، مشتغلا بنفسه ، ملازماً لمسجده ، حسن الأخلاق .

قال ابن نقطة : سماعه صحيح . وهو شيخ مكثر . روى عنه خلق كثير منهم : ابن الحلوانية ، وابن العديم ، والدمياطى ، وبالإجازة : جماعة آخرهم موتاً : زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسى .

وتوفى آخر يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة. ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

وكان والده شيخاً صالحاً ضريراً . حدث عن ابن ناصر وغيره .

توفى فى صفر سنة ثلاث وستمائة .

٣٥٣ - يوسف بن خليل بن قراجا بن عبدالله الدمشقى ، الأدمى ، المحدث الحافظ ، ذو الرحلة الواسعة ، شمس الدين أبو الحجاج .

ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة بدمشق .

وتشاغل بالكسب إلى الثلاثين من عمره . ثم طلب الحديث ، وتخرج بالحافظ عبد الغنى ، واستفرغ فيه وسعه . وكتب مالا يوصف بخطه المليح المتقن . ورحل إلى الأقطار .

سمع بدمشق من الحافظ عبد الغنى ، وابن أبى عصرون ، وابن الموازينى ويحيى الثقفى ، وابن صدقة الحرانى ، والخشوعى ، والجتروي ، والكندى .

وسمع ببغداد من ابن كليب ، وابن يونس ، وذاكر بن كامل ، وأبى منصور ابن عبد السلام ، وخلق من أصحاب ابن الحصين ، وطبقته .

ودخل إصبهان . وسمع بها من ابن مسعود الحمال ، والرازانى ، واللبان ، والكرانى ، والصيدلانى ، وعبد الرحيم الكاغدى ، وأبى جعفر الطرسوسى ، وجماعة من أصحاب أبى على بن الحداد . ثم عاد إلى دمشق .

ورحل إلى مصر . فسمع بها من البوصيرى ، وإسماعيل بن ياسين وغيرهما .

وكان إماماً حافظاً ثقة ثبتاً عالماً ، واسع الرواية ، جميل السيرة ، متسع الرحلة . تفرد فى وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين .

وخرج . وجمع لنفسه معجما عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وثمانيات وعوالى ، وفوائد غير ذلك .

واستوطن فى آخر عمره حلب ، وتصدر بجامعها ، وصار حافظاً ، والمشار إليه بعلم الحديث بها .

حدث بالكثير من قبل الستمائة ، و إلى آخر عمره . وحدث عنه البرزالى . ومات قبله باثنتى عشر سنة . وسمع منه الحفاظ القدماء ، كابن الأنماطى ، وابن الدبيثى ، وابن نقطة ، وابن النجار، والصريفينى ، وعمربن الحاجب . وقال : هو أحد الرحالين أوحدهم فضلا ، وأوسعهم رحلة . نقل بخطه المليح مالا يدخل تحت الحصر ، وهو طيب الأخلاق ،مرضى السيرة والطريقة ، ثقة متقن حافظ .

وسئل عنه الحافظ الضياء ؟ فقال : حافظ مفيد ، صحيح الأصول . سمع وحصل الكثير ، صاحب رحلة وتطواف .

وسئل الصريفينى عنه ؟ فقال : حافظ ثقة ، عالم بمايقرأ عليه . لايكاد يفوته اسم رجل .

قال الذهبى : هو يدخل فى شروط الصحيح . وقد تفرد بشىء كثير بحران و إصبهان . روىٰ عنه الدمياطى ، وابن الظاهرى ، والقرافى ، والدمشقى، والسيف الآمدى . وخلق . وآخر من روى عنه إجازة : زينب بنت الكمال .

توفى سحر يوم الجمعة منتصف ــ وقيل عاشر ــ جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة بحلب . ودفن بظاهرها ، رحمه الله تعالى .

٣٥٤ ــ محمد بن عبد الله بن أبى السعادات الدباس ، الفقيه الإمام أبو عبد الله بن أبى بكر البغدادى ، أحد أعيان فقهاء بغداد وفضلائهم .

سمع الحديث من ابن شاتيل ، وابن زريق البردانى ، وابن كليب . وقرأ

بنفسه الكثير على أصحاب ابن الحصين ، وأبي بكر الأنصارى . ودرس الفقه على إسماعيل بن الحسين ، صاحب أبى الفتح بن المنى .

وقرأ علم الخلاف والأصول والجدل على التوقانى ، وبرع فى ذلك . وتقدم على أقرانه . وتكلم وهو شاب فى مجالس الأئمة . واستحسنوا كلامه . وشهد عند قاضى القضاة أبى صالح . وولى الإعادة والإمامة بالحنابلة بالمستنصرية ، ونظر المارستان .

قال ابن الساعى : قرأت عليه مقدمة فى أصول الفقه . وكان صدوقا نبيلا ، ورعا متدينا ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، محمود الأفعال عابدا ، كثير التلاوة للقرآن ، محبا للعلم ونشره ، صابرا على تعليمه . لم يزل على قانون واحد ، لم تُعرف له صبوة من صباه إلى آخر عمره ، يزور الصالحين ، ويشتغل بالعلم ، لطيفا كيسا ، حسن المفاكهة ، يعرب كلامه ، ويفخم عبارته . قَلَّ أن يغشى أحداً ، مقبلا على ماهو بصدده . وكان لاينسب أحداً من الأعيان ممن ينسب إلى النبوة ، كابن الدامغاني ، وابن الجوزى ، وابن الجبير ، وابن اللمغانى ــ بل يقول : تكلمت عند الدامغانى واجتمعت بابن الجوزى ، وناظرت الجبير ، وعرض على اللمغانى .

روى عنه ابن النجار فى تاريخه ، ووصفه بنحو ما وصفه ابن الساعى .

توفى فى حادى عشرين شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة .

ودفن بباب حرب . وقد ناهز الثمانين . رحمه الله تعالى .

ومر ليلة بسوق المدرسة النظامية ليصلى العشاء الآخرة بالمستنصرية إماما فخطف إنسان بقياره فى الظلماء وعدا . فقال له الشيخ : على رسلك ، وهبتك . قل : قبلت . وفشى خبره بذلك . فلما أصبح أرسل إليه عدة بقايير ، قيل : أحد عشر . فلم يقبل منها إلا واحدا تنزها . وهذا مشهور بين علماء بغداد عنه .

٣٥٥ ــ عبد اللطيف بن علي بن النفيس بن نوراندان بن الحسام البغدادى ، المحدث المعدل ، أبو محمد بن أبى الحسن بن أبى المفاخر بن أبى منصور ، ويلقب نور الدين .

ولد فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وسمع من أبيه أبى الحسن ، وأبى محمد جعفر بن محمد بن أموسان ، وعبد العزيز ابن منينا . وأجاز له ذاكر بن كامل .

وعنى بهذا الشان . وقرأ الكثير على عمر بن كرم . ومن بعده . وكتب الكثير بخطه .

قال الذهبى فى تاريخه عنه : الحافظ المفيد . كتب الكثير ، وأفاد . وسمع منه الحافظ الدمياطى . وذكره فى معجمه ، وأجاز لسليمان بن حمزة ، وأبى بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم ، وغيرهم . وشهد عند محمود الزنجانى .

ثم إنه امتحن لقراءته شيئا من أحاديث الصفات بجامع القصر . فسعى به بعض المتجهمة ، وحبس مديدة . وأسقطت عدالته . ثم أفرج عنه ، وأعاد عدالته ابن مقبل . ثم أسقطت ، ثم أعاد عدالته قاضى القضاة أبو صالح . فباشر ديوان الوكالة إلى آخر عمره .

توفى بكرة السبت ثالث عشرين ربيع الآخر ــ وقيل: ثامن عشرين ــ سنة سبع وأربعين وستمائة . وصلى عليه بمسجده فى المأمونية . ودفن بباب حرب . وكان له جمع عظيم ، وشد تابوته بالحبال . وأكثر العوام الصياح فى الجنازة : هذه غايات الصالحين .

قال ابن الساعى : ولم أر ممن كان على قاعدته فُعل فى جنازته مثل ذلك . فإنه كان كهلا يتصرف فى أعمال السلطان ، ويركب الخيل ، ويحلى فرسه بالفضة على عادة أعيان المتصرفين .

قلت: حصل له ذلك ببركة السنة . قال الإمام أحمد : بيننا وبينهم الجنائز .

٣٥٦ - محمد بن مقبل بن فتيان بن مطر بن المنى النهروانى ، البغدادى ، الفقيه المعدل ، أبو المظفر ، وأبو عبد الله . ويلقب سيف الدين ، وهو ابن أخى الإمام أبى الفتح ، شيخ المذهب .

ولد فى خامس رجب سنة سبع - وقيل : تسع - وستين وخمسمائة .

وقرأ بالروايات على ابن الباقلانى بواسط . وسمع من الأسعد بن يلدرك الجبريلى ، وعبد الحق اليوسفى ، وشهدة الكاتبة ، وأبى الغنايم عبد الرحمن ابن جامع بن النبأ ، وأبى الفوارس الشاعر المعروف بِحَيْصَ بَيْصَ ، وغيرهم .

وتفقه على عمه ناصح الإسلام أبى الفتح . وحصل طرفا جيداً من الفقه . وناظر فى المسائل الخلافية وأفتى ، وولى الإعادة للحنابلة بالمستنصرية . وشهد عند القضاة ، وولى كتابة دار التشريفات .

وكان فقيها فاضلا ، حسن المناظرة ، متدينا مشكور الطريقة ، كثير التلاوة للقرآن الكريم . وحدث . وأثنى عليه ابن نقطة .

روى عنه ابن النجار ، وابن الساعى ، وعمر بن الحاجب ، وبالإجازة جماعة ، آخرهم : زينب بنت الكمال المقدسية .

توفى فى سابع جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وستمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

٣٥٧ - محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن هبة الله بن مفلح بن نمير الأنصارى ، المقدسى الأصل ، الدمشقى ، الكاتب الأديب .

ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

سمع من يحيى الثقفى ، وابن صدقة الحرانى ، وعبد الرحمن بن الخرقى ، والجيزى ، وأحمد بن الموازينى ، والخشوعى . وأجاز له ابن شاتيل ، والقزاز ، والحافظ أبو موسى ، والسلفى ، وأبو العباس الترك .

وكان شيخا فاضلا ، وأديبا حسن النظم والنثر ، من المعروفين بالفضل والأدب والكتابة ، والدين والصلاح . ونظم القريض ، وحسن الخط وحسن الخصال ، ولطف المقال . وطال عمره . ووزر للملك الصالح إسماعيل مدة .

حدث بدمشق وحلب . كتب عنه ابن الحاجب ، فقال : سألت الحافظ بن عبد الواحد عنه ؟ فقال : عالم دين . روى عنه جماعة ، منهم ابنه يحيى بن محمد ابن سعد ، وسليمان بن حمزة ، والدمياطى . قاله ابن شاكر .

وتوفى فى ثانى شوال سنة خمسين وستمائة بسفح قاسيون . ودفن من الغد

وتوفى أخوه أبو العباس أحمد فى نصف ذى القعدة من السنة . روى عن الخشوعى وابن طبرزد

٣٥٨ - على بن عبد الرحمن البغدادى ، البابصرى الفقيه ، أبو الحسن ابن أبى الفرج . ويلقب موفق الدين .

سمع مع أبيه من أبى العباس أحمد بن أبى الفتح بن صرما ، وأبى بكر زيد بن يحيى بن هبة الله البيع ، وتفقه فى المذهب . وكان معيداً لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية .

توفى فى شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة . ودفن بباب حرب .

ذكره الشريف عز الدين الحسينى الحافظ . وأظنه ابن البردوى الواعظ المتقدم ذكره .

٣٥٩ - عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن عبد الله الخضر بن محمد بن على بن تيمية الحرانى الفقيه ، الإمام المقرى المحدث المفسر ، الأصولى النحوى ، مجد الدين أبو البركات . شيخ الإسلام وفقيه الوقت ، وأحد الأعلام ، ابن أخى الشيخ فخر الدين محمد بن أبى القاسم السابق ذكره .

ولد سنة تسعين وخمسمائة - تقريبا - بحران .

وحفظ بها القرآن . وسمع من عمه الخطيب فخر الدين ، والحافظ عبد القادر الرهاوى ، وحنبل الرصافى .

ثم ارتحل إلى بغداد سنة ثلاث وستمائة ، مع ابن عمه سيف الدين عبد الغنى المتقدم ذكره أيضا . فسمع بها من عبد الوهاب بن سكينة ، والحافظ بن الأخضر ، وابن طبرزد ، وضياء بن الخريف ، ويوسف بن مبارك الخفاف ، وعبد العزيز بن منينا ، وأحمد بن الحسن العاقولى ، وعبد المولى بن أبى تمام بن باد وغيرهم . فأقام ببغداد ست سنين يشتغل فى الفقه والخلاف والعربية وغير ذلك .

ثم رجع إلى حران واشتغل بها على عمه الخطيب فخر الدين .

ثم رجع إلى بغداد سنة بضع عشرة ، فازداد بها من العلوم .

قرأ ببغداد القراءات بكتاب « المبهج » لسبط الخياط على بن عبد الواحد بن سلطان . وتفقه بها على أبى بكر بن غنيمة الحلاوى ، والفخر إسماعيل ، وأتقن العربية والحساب والجبر والمقابلة والفرائض على أبى البقاء العكبرى ، حتى قرأ عليه كتاب « الفخرى » فى الجبر والمقابلة . وبرع فى هذه العلوم وغيرها .

قال الحافظ الذهبى : حدثنى شيخنا ـ يعنى أبا العباس ابن تيمية شيخ الإسلام حفيد الشيخ مجد الدين هذا ـ أن جده رُبِّي يتيماً ، وأنه سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويشتغل معه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فكان يبيت عنده ، فيسمعه يكرر علىَّ مسائل الخلاف ، فيحفظ المسألة ، فقال الفخر إسماعيل : إيش حفظ هذا التُّنين ـ يعنى الصغير ـ فبدر ، وقال : حفظت ياسيدى الدرس ، وعرضه فى الحال ، فبهت فيه الفخر ، وقال لابن عمه : هذا يجىء منه شىء ، فعرضه على الاشتغال ، قال : فشيخُه فى الخلاف : الفخر إسماعيل ، وعرض عليه مصنفه «جنة الناظر» وكتب له عليه سنة ست وستمائة « وعرض علىَّ الفقيهُ الإمام العالم أوحد الفضلاء » أو نحو هذه العبارة وأخرى نحوها ، وهو ابن ستة عشر عاماً .

قال الذهبى : قال لى شيخنا أبو العباس : كان الشيخ جمال الدين بن مالك

يقول : أُلين للشيخ المجد الفقه كما أُلين لداود الحديد .

قال : و بلغنا أن الشيخ المجد لما حج من بغداد فى آخر عمره ، واجتمع به الصاحب العلامة ، محيي الدين بن الجوزى ، فانبهر له ، وقال : هذا الرجل ماعندنا ببغداد مثله ، فلما رجع من الحج التمسوا منه أن يقيم ببغداد ، فامتنع ، واعتل بالأهل والوطن .

قال : وكان حجه سنة إحدى وخمسين .

وفيها حج الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، ولم يتفق اجتماعهما .

قال : وكان الشيخ نجم الدين بن حمدان مصنف «الرعاية» يقول : كنت أطالع على درس الشيخ المجد ، وما أبقى ممكنا ، فإذا حضرت الدرس أتى الشيخ بأشياء كثيرة لا أعرفها .

وقال ابن حمدان ، فى تراجم شيوخ حران : صحبته فى المدرسة النورية بعد قدومى من دمشق . ولم أسمع منه شيئاً ، ولم أقرأ عليه . وسمعت بقراءته على ابن عمه كثيرا . ولى التدريس والتفسير بعد ابن عمه . وكان رجلا فاضلا فى مذهبه وغيره وجرى لى معه مباحث كثيرة ، ومناظرات عديدة فى حياة ابن عمه و بعده .

قلت : وجدت لابن حمدان سماعا عليه .

وقال الحافظ عز الدين الشريف : حدث بالحجاز ، والعراق ، والشام ، و بلده حران ، وصنف ودرس . وكان من أعيان العلماء ، وأكابر الفضلاء ببلده . و بيته مشهور بالعلم والدين والحديث .

قال الذهبى : قال شيخنا : كان جدنا عجبا فى حفظ الأحاديث وسردها بلا كلفة ، وحفظ مذاهب الناس .

وقال الذهبى أيضاً : حكى البرهان المراغى : أنه اجتمع بالشيخ المجد ، فأورد نكتة عليه ، فقال المجد : الجواب عنها من ستين وجها ، الأول كذا ، والثانى كذا ، وسردها إلى آخرها ، ثم قال للبرهان : قد رضينا منك بإعادة الأجوبة ، فخضع وانبهر .

قال الذهبي الحافظ : كان الشيخ مجد الدين معدوم النظير فى زمانه ، رأساً فى الفقه وأصوله ، بارعا فى الحديث ومعانيه ، له اليد الطولى فى معرفة القرآن والتفسير ، وصنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وبَعُدَ صيته . وكان فرد زمانه فى معرفة المذهب ، مفرط الذكاء ، متين الديانة ، كبير الشأن .

قال شيخنا أبو عبدالله بن القيم : حدثنى أخو شيخنا عبدالرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية ــ قلت : وقد أجازنى عبد الرحمن هذا عن أبيه ــ قال : كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لى : اقرأ فى هذا الكتاب ، وارفع صوتك حتى أسمع .

قلت : يشير بذلك إلى قوة حرصه على العلم وحصوله ، وحفظه لأوقاته .

وللصرصرى من قصيدته اللامية فى مدح الإمام أحمد وأصحابه :

وإن لنـا فى وقتنـا وفتـوره ... لإخوان صـدق بغية المتـوصل
يذبون عن دين الهدى ذب ناصر ... شديد القوى ، لم يستكينوا لمبطل
فنهم بحران : الفقيه النبيه ذو ... الفوائد والتصنيف فى المذهب الجلى
هو المجد ذو التقوى ابن تيمية الرضى ... أبو البركات العـالم الحجة الملى
محرره فى الفقه حرر فقهنا ... وأحـكم بالأحكام علم المبجل
جزاهم خيرا ربهم عن نبيهم ... وسنته ، آلوا به خـير موئل

ذكر تصانيفه

« أطراف أحاديث التفسير » رتبها على السور معزوة « أرجوزة » فى علم القراءات « الأحكام الكبرى » فى عدة مجلدات « المنتقى من أحاديث الأحكام » وهو الكتاب المشهور ، انتقاه من الأحكام الكبرى . ويقال : إن القاضى بهاء الدين بن شداد هو الذى طلب منه ذلك بحلب « المحرر » فى الفقه « منتهى الغاية فى شرح الهداية » بيض منه أربع مجلدات كبار إلى أوائل الحج ، والباقى لم يبيضه « مسودة » فى أصول الفقه مجلد . وزاد فيها ولده ، ثم حفيده أبو العباس « مسودة » فى العربية على نمط المسودة فى الأصول .

قرأ على الشيخ مجـد الدين القراءات جماعة . وأخذ الفقه عنـه ولده شهاب الدين عبد الحليم ، وابن تميم صاحب « المختصر » وغيرهما . وسمع منه خلق .

روى عنه ابنه شهاب الدين أبو العباس ، والحافظ عبد المؤمن الدمياطى ، والأمين بن شقير الحرانى ، وأبو إسحاق بن الظاهرى الحافظ ، ومحمد بن أحمد القزاز ، وأحمد الدشتي ، ومحمد بن زناطر ، والعفيف إسحاق الآمدى ، والشيخ نور الدين البصرى مدرس المستنصرية ، وأبو عبد الله بن الدواليبى .

وأجاز لتقى الدين سليمان بن حمزة الحاكم ، ولزينب بنت الـكمال ، وأحمد ابن على الجزرى . وهما خاتمة من روى عنه . وقد أجاز لى .

وتوفى يوم عيد الفطر بعد صلاة الجمعة من سنة اثنتين وخمسين وستمائة بحران . ودفن بظاهرها رحمة الله عليه .

وتوفيت ابنة عمه زوجته بدرة بنت فخر الدين ابن تيمية قبله بيوم واحد هكذا أرخ سنة وفاته الحافظ الشريف عز الدين ، وابن الساعى ، والذهبى وغيرهم .

وقرأت بخط حفيده أبى العباس ـ مما كتبه فى صباه ـ حدثنا والدى أن أباه أبا البركات توفى بعد العصر من يوم الجمعة يوم عيد الفطر سنة ثلاث وخمسين وستمائة . ودفن بكرة السبت .

وصلى عليه أبو الفرج عبد القاهر بن أبى محمد عبد الغنى بن أبى عبد الله ابن تيمية ، غلبهم على الصلاة عليه ، ولم يبق فى البلد من لم يشهد جنازته إلا معذور . وكان الخلق كثيراً جداً . ودفن بمقبرة الجبانة من مقابر حران . رحمه الله

ذكر بعض فوائده الغريبة وفتاويه

ذكر الشيخ تقى الدين رحمه الله : أن جده كان أحياناً يفتى : أن الطلاق الثلاث المجموعة إنما تقع واحدة فقط ، وأنه كان يفتى بذلك سراً .

وذكر عنه : أنه لما حج فى آخر عمره كان يفتى بأن المحرم له لبس السرمورة

ونحوها من الجمجم ، وألحق المقطوعة ، وإن كان واجداً للنعل . وهو وجه حكاه القاضى فى شرح المذهب .

وحكى أبو العباس حفيده عنه : أنه كان يقول : إذا حلف بالتزامات ـ كالكفر واليمين بالحج والصيام ، ونحو ذلك من الالتزامات، وكانت يمينه غموساـ أنه يلزمه ماحلف عليه .

وذكر صاحب المبهم ـ الشيخ عبد الله كتيلة ـ أنه حج سنة إحدى وخمسين وستمائة . قال : فسألت شيخنا ـ يعنى الشيخ مجد الدين ـ بمكة عن ابن السبيل إذا كان يقدر على القرض ، يجوز أن يأخذ من الزكاة ؟ فقال : يلزمه أن يقترض إن قدر على ذلك ، ولا يجوز له الأخذ ، ولا تبرأ ذمة من يعطيه إذا علم بقدرته على الاقتراض .

قال : وسألت عن ذلك شيخنا عبد الرحمن بن أخى الشيخ ـ يعنى ابن أبى عمر ـ بمنى ؟ فقال : نعم يجوز له الأخذ من الزكاة ؛ لأن كلام الله تعالى على إطلاقه ، ولم يشترط أصحابنا عدم قدرته على الاقتراض . قال : ولأن ذمته تشتغل من قبل من له الدين . وفى ذلك ضرر يتعب قلبه ، و يشتت همه ، وحرصه على براءة ذمته ، وخوفه أن يموت ، ولم يكن على يقين من قضاء دينه قبل موته . انتهى .

٣٦٠ ـ حسن بن أحمد بن أبى الحسن بن دويرة البصرى ، المقرىء الزاهد ، أبو على ، شيخ الحنابلة بالبصرة ، ورئيسهم ومدرسهم .

اشتغل عليه أمم ، وختم عليه القرآن أزيد من ألف إنسان . وكان صالحا زاهدا ورعاً .

وحدث بجامع الترمذى بإجازته من الحافظ أبى محمد بن الأخضر ، فسمعه منه الشيخ نور الدين عبد الرحمن بن عمر البصرى مدرس المستنصرية . وهو

أحد تلامذته ، وعليه ختم القرآن ، وحفظ « الخرقى » عنده بمدرسته بالبصرة .

وتوفى الشيخ أبو على سنة اثنتين وخمسين وستمائة بالبصرة .

وولى بعده التدريس بمدرسته تلميذه الشيخ نور الدين المذكور ، وخلع عليه ببغداد فى تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وتوفى ابن أخى الشيخ أبى على ، واسمه :ـ

٣٦١ ـ عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن أبى الحسن بن دويرة البصرى المقرىء أبو محمد ـ ببغداد يوم الثلاثاء منتصف ذى الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة . ودفن من الغد بباب حرب .

وحدث بالإجازة عن ابن منينا ، وابن الأخضر أيضا . وسمع منه الحافظ الدمياطى .

وللشيخ أبى على الحسن ولد يسمى :ـ

٣٦٢ ـ الحسن أيضا . ويكنى أبا محمد . ويلقب جمال الدين .

سمع ببغداد متأخرا سنة إحدى وخمسين من أبى منصور بن المهى التاجر . وكان من بيتهم علماء وصالحون من أصحابنا ، حتى رأيت منهم فى صباى رجلا ببغداد . وكان معيدا بالمستنصرية ، يقال له : أبو حفص عمر بن دويرة .

٣٦٣ ـ أبو بكر بن يوسف بن أبى بكر بن أبى الفرج بن يوسف بن هلال بن يوسف الحرانى ، المقرىء ، الفقيه المحدث ، المعروف بابن الزراد . ويلقب ناصح الدين .

ولد سنة أربع عشرة وستمائة ـ تقديرا ـ بحران .

وقرأ القرآن الكريم بالروايات . وسمع الحديث بدمشق على أبى عمرو ابن الصلاح الحافظ ، وجماعة من أصحاب ابن عساكر ، ويحيى الثقفى ، وغيرهما .

وسمع بحلب من الحافظ يوسف بن خليل وجماعة ، وتفقه فى المذهب .

وكتب الكثير بخطه . وكان فاضلا متدينا . واخترمته المنية ولم يحدث مما حصل إلا بيسير .

توفى فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة بحلب . رحمه الله . وذكره الحافظ عز الدين الحسينى .

٣٦٤ ـ محمد بن أحمد بن الحسين الموصلى ، المقرىء ، الفقيه الأديب ، شمس الدين أبو عبد الله . ويعرف بشعلة .

قرأ القرآن على أبى الحسن على بن عبد العزيز الأربلى وغيره . وتفقه . وقرأ العربية ، وبرع فى الأدب والقرآن ، وصنف تصانيف كثيرة ، ونظم الشعر الحسن .

قال الحافظ الذهبي : كان شابا فاضلا . ومقرئا محققا ، ذا ذكاء مفرط ، وفهم ثاقب ، ومعرفة تامة بالعربية واللغة ، وشعره فى غاية الجودة . نظم فى الفقه وفى التاريخ وغيره . ونظم كتاب « السبعة فى القراءات السبعة » وكان ـ مع فرط ذكائه ـ صالحا زاهدا متواضعا . كان شيخنا التقى المقصاتى يصف شمائله وفضله ، ويثنى عليه . وكان قد حضر بحوثه . وسمع أبا الحسن شيخه يقول : كان أبو عبد الله نائما إلى جانبى فاستيقظ ، وقال لى : رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلبت منه العلم ، فأطعمنى تمرات . قال أبو الحسن : من ذلك الوقت فتح الله عليه ، وتكلم .

قلت : له تصانيف كثيرة ، أكثرها فى القراءات « شرح الشاطبية » ونظم « عقود ابن جني » فى العربية سماه « العنقود » ونظم « اختلاف عدد الآى برموز الْجُمَّل » وله نظم العبادات من « الخرقى » وله كتاب « الناسخ والمنسوخ » فى القرآن . وكلامه فيه يدل على تحقيقه وعلمه ، وله كتاب « فضائل الأئمة الأربعة » ومن نظمه قوله :

دع عنك ذكر فلانة وفلان ... واجنب لما يلهى عن الرحمن
واعلم بأن الموت يأتى بغتة ... وجميع مافوق البسيطة فان

فإلى متى تلهوا وقلبك غافل ... عن ذكر يوم الحشر والميزان؟
أتراك لم تك سامعا ماقد أتى ... فى النص للآيات والقرآن؟
فانظر بعين الاعتبار، ولا تكن ... ذا غفلة عن طاعة الديان
واقصد لمذهب أحمد بن محمد ... أعنى ابن حنبل الفتى الشيبانى
فهو الإمام مقيم دين المصطفى ... من بعد درس معالم الإيمان
أحيا الهدى وأقام فى إحيائه ... متجردا للضرب، غير جبان
تعلوه أسياط الأعادى، وهو لا ... ينفك عن حق إلى بهتان
ويقول عند الضرب: لست بتابع ... يا ويحكم، لكم بلا برهان
ماذا أقول غداً لربى إذ أنا ... وافقتكم فى الزور والبهتان؟
وعدلت عن قول النبى وصحبه ... وجميع من تبعوه بالإحسان
أترون أنى خائف من ضربكم ... لا، والإله الواحد المنان
كن حنبليا ماحييت فإننى ... أوصيك خير وصية الإخوان
ولقد نصحتك إن قبلت، فأحمد ... زين الثقات وسيد الفتيان
من ذا أقام كما أقام إمامنا ... متجردا من غير ما أعوان
مستعذبا للمرّ فى نصر الهدى ... متجرعا لغضاضة السلطان
وسلا بمهجته وبايع ربه ... أن لايطيع أئمة العدوان
وأقام تحت الضرب، حتى إنه ... دحض الضلال وفتنة الفتان
وأتى برمح الحق يطعن فى العدى ... أهل الضلال وشيعة الشيطان
ماذا لقى ماقد لقيه من الأذى ... فى ربه من ساكن البلدان
فعلى ابن حنبل السلام وصحبه ... ماناحت الورقاء فى الأغصان
إنى لأرجو أن أفوز بحبه ... وأنال فى بعثى رضى الرحمن
حمداً لربى إذهدانى دينه ... وعلى شريعة أحمد أنشانى
واختار مذهب أحمد لى مذهبا ... ومن الهوى والغىّ قد أنجانى

من ذا يقوم من العباد بشكر ما   أولاه سيده من الإحسان ؟

قال الذهبي : توفى فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة بالموصل . وله ثلاث وثلاثون سنة . رحمه الله تعالى .

وقرأت على بعض شيوخنا ببغداد : أنه توفى سنة خمسين . والله أعلم .

٣٦٥ ـ يوسف بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله ابن عبد الله بن حماد بن الجوزى ، القرشى التيمى ، البكرى ، البغدادى ، الفقيه الأصولى ، الواعظ الصاحب الشهير ، محيي الدين ، أبو محمد ، وأبو المحاسن ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج المتقدم ذكره ، أستاذ دار الخلافة المستعصمية

ولد فى ليلة سابع عشر ذى القعدة سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد .

وسمع بها من أبيه ، ويحيى بن بوش ، وذاكر بن كامل ، وابن كليب وأبى منصور عبد الله بن محمد بن عبد السلام ، وابن المغطوش ، وأبى الحسن بن محمد بن يعيش .

وقرأ القرآن بالروايات العشر على ابن الباقلانى بواسط ، وقد جاوز العشر سنين من عمره ، ولبس الخرقة من الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة .

واشتغل بالفقه والخلاف والأصول، وبرع فى ذلك . وكان أمهر فيه من أبيه ووعظ فى صغره على قاعدة أبيه ، وعلا أمره وعظم شأنه ، وولى الولايات الجليلة .

قال ابن الساعى : شهد عند ابن الدامغانى سنة أربع وستمائة . ثم ولى الحسبة بجانبى بغداد ، والنظر فى الوقوف العامة ، ووقوف جامع السلطان ، ثم عزل عن الحسبة ، ثم عن الوقوف سنة تسع ، فانقطع فى داره يعظ ، ويفتى ويدرس ، ثم أعيد إلى الحسبة سنة خمس عشرة ، واستمر مدة ولاية الناصر ثم أقره ابنه الظاهر .

قال : وهو من العلماء الأفاضل ، والكبراء الأماثل ، أحد أعلام العلم

ومشاهير الفضل . ظهرت عليه آثار العناية الإلهية ، منذ كان طفلا . فعنى به والده . وأسمعه الحديث ، ودرب به من صغره فى الوعظ ، و بورك له فى ذلك . وصار له قبول تام ، و بانت عليه آثار السعادة .

وتوفى والده وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، فكفلته الجهة والدة الإمام الناصر ، وتقدمت له بالجلوس للوعظ على عادة والده عند تربتها ، بعد أن خلعت عليه . فتكلم بما بهر به الحاضرين ، ولم يزل فى ترقٍّ من حاله ، وعُلُوٍّ من شأنه يذكر الدروس فقها، و يواصل الجلوس وعظا عند التربة المذكورة ، و بباب بدر . وكان يورد من نظمه كل أسبوع قصيدة فى مدح الخليفة ، لحظى عنده ، وولاه ما تقدم ، وأذن له فى الدخول إلى ولى عهده . ثم أوصى الناصر عند موته أن يغسله .

وقال أيضاً : كان كامل الفضائل، معدوم الرذائل ، أمر الناصر بقبول شهادته وقلده الحسبة بجانبى بغداد ، وله ثلاث وعشرون سنة ، وكتب له الناصر على رأس توقيعه بالحسبة : حُسْنُ السمت ، ولزوم الصمت : أكسباك يا يوسف ، مع حداثة سنك ـ مالم يترق إليه هِمَمُ أمثالك . فَدُمْ على ما أنت بصدده . ومَن بورك له فى بشىء فليلزمه . والسلام .

ثم روسل به إلى ملوك الأطراف ، فاكتسب مالا كثيراً ، وأنشأ مدرسة بدمشق ، ووقف عليها وقوفاً متوفرة الحاصل . وأنشأ ببغداد بمحلة الحلبة مدرسة لم تتم ، و بمحلة الحربية دار قرآن ومدفناً . ثم ولى التدريس بالمستنصرية . ثم ولى أستاذ دارية الدار ، فلم يزل كذلك إلى أن قتل صبراً شهيداً بسيف الكفار عند دخول هولاكو ملك التتار إلى بغداد ، فقتل الخليفة المستعصم بالله وأكثر أولاده ، وقتل معه أعيان الدولة والأمراء وشيخ الشيوخ وأكابر العلماء . وقتل أستاذ الدار محيي الدين وأولاده الثلاثة ، وذلك فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة بظاهر سور كلوذا ، رحمة الله عليهم .

كان المستنصر له شباك على إيوان الحنابلة يسمع الدرس منهم دون غيرهم وأثره باق .

قال الشريف عز الدين : كان أحد صدور الإسلام ، وفضلائهم وأكابرهم ، وأجلائهم من بيت الرواية والدراية .

وحدث ببغداد و بمصر ، وغيرهما من البلاد .

وذكره الدبيثى فى تاريخه ـ وقد مات قبله بمدة ـ وقال : فاضل عالم ، فقيه على مذهب أحمد . له معرفة بالوعظ . وجلس للوعظ بعد وفاة أبيه ، ودرس وناظر ، وتولى الحسبة بجانبي بغداد ، والنظر فى الوقف العام .

وقال الحافظ الذهبي : كان إماماً كبيراً ، وصدراً معظما ، عارفا بالمذهب كثير المحفوظ ، ذا سمت ووقار . درس ، وأفتى وصنف . وأما رياسته وعقله : فينقل بالتواتر ، حتى إن الملك الكامل ـ مع عظم سلطانه ـ قال: كل أحد يعوزه زيادة عقل إلا محيي الدين بن الجوزى . فإنه يعوزه نقص عقل .

ويحكى عنه فى هذا عجائب ، منها : أنه مرَّ فى سويقة باب البريد والناس بين يديه ، وهو راكب البغلة ، فسقط حانوت ، فضج الناس وصاحوا ، وسقطت خشبة ، فأصابت كفل بغلته ، فلم يلتفت ، ولا تغير عن هيئته .

وحكى عنه : أنه كان يناظر ، ولا يحرك له جارحة .

وكانت خاتمة سعادته الشهادة . رضى الله عنه .

قال الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش : بلغنى عن الشيخ محمد بن سكران الزاهد المشهور ، أنه قال : رأيت أستاذ الدار ابن الجوزى فى النوم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : كفرت ذنوبنا سيوفُهم . رضى الله عنه .

وله تصانيف عدة ، منها « معادن الأبريز ، فى تفسير الكتاب العزيز » ومنها « المذهب الأحمد ، فى مذهب أحمد » ومنها « الإيضاح فى الجدل» .

وسمع منه خلق ببغداد ، ودمشق ، ومصر .

وروى عنه عبد الصمد بن أبى الجيش ، والحافظ أبو عبد الله محمد بن الكسار ، والدمياطى ، وابن الظاهرى ، وأبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطى ، وبالإجازة خلق ، آخرهم : زينب بنت الكمال المقدسى .

ومن نظمه : ما أنشدنى عنه ابن الساعى ، وأنبأتناه زينب بنت أحمد عنه :

صب له من حيا آماقه غرق   وفى حشاشته من وجده حرق
فاعجب لضدين فى حال قد اجتمعا   غريق دمع بنار الوجد يحترق
لم أنس عيشا على سلع ولعلعها   والبان مفترق وجدا ومعتنق
ونفحة الشيخ تأتينا معنبرة   وعرفها بمعاني المنحنى عبق
والقلب طير ، له الأشواق أجنحة   إلى الحبيب ، رياح الحب تخترق
قل للحمى بالربى واعن الحلول بها   ماضرهم بجريح القلب لو رفقوا
وقد بقى رمق منه ، فإن هجروا   مضى كما مر أمس ذلك الرمق

وله قصيدة طويلة مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، أولها :

قد زلزلت أرض الهوى زلزالها   وقال سلطان الغرام : مالها ؟

وأما أولاده الثلاثة الذين قتلوا معه رضى الله عنهم فأحدهم : الشيخ

٣٦٦ ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن . وكان فاضلا بارعاً درس بالمستنصرية لما ولى أبوه الأستاذ دارية ، وولى حسبة بغداد أيضاً .

وكان يعظ مكان أبيه وجده بباب بدر وغيره . ويقال : إن له تصانيف . وقتل وقد جاوز الخمسين سنة . رحمه الله تعالى ؛ لأن مولده كان سنة ست وستمائة .

وقد سمع من عبد العزيز بن منينا ، وأحمد بن صرما ، وغيرهما .

وترسل به عن الديوان إلى مصر . وكان رئيساً معظما .

وحدث ببغداد ومصر . وخرج له الرشيد العطار بمصر جزءا . وحدث . سمع منه عبيد الأبيوردى ، وسمع منه الشرف الميدومى ، وأجاز لأبى عبد الله

ابن أحمد الحرانى ، وسليمان بن حمزة القاضى ، وله نظم حسن ، وله ديوان ، حدث به ببغداد . ومن شعره :

فضل النبيين الرسول محمد شرفاً يزيد ، وزادهم تعظيما
يكفيه أن الله جل جلاله آوى ، فقال : (ألم يجدك يتيما)
در يتيم فى الفخار ، وإنما خير اللآلىء مايكون يتيما
ولقد سما الرسل الكرام فكلهم قد سلموا لجلاله تسليما
والله قد صلى عليه كرامة صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى الله عليه وسلم . والثانى :ـ

٣٦٧ ـ شرف الدين عبد الله . ولى الحسبة أيضاً ، ثم تزهد ودرس بالبشيرية ، وولى ولايات ديوانية .

وكان المستعصم بعثه بخطه إلى هولاكو ، وعاد إلى بغداد ، ثم قتل مع أبيه عند وصول هولاكو . والثالث :ـ

٣٦٨ ـ تاج الدين عبد الكريم . ولى الحسبة أيضاً لما تركها أخوه ، ودرس بالمدرسة الشاطبية ، وقتل ولم يبلغ عشرين سنة ، رحمة الله عليهم أجمعين .

٣٦٩ ـ يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الأنصارى الصرصرى ، الزريرانى ، الضرير الفقيه ، الأديب اللغوى الشاعر الزاهد جمال الدين ، أبو زكريا ، شاعر العصر ، وصاحب الديوان السائر فى الناس فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، كان حسان وقته .

ولد فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أصحاب ابن عساكر البطائحى ، وسمع الحديث من الشيخ على بن إدريس اليعقوبى الزاهد ، صاحب الشيخ عبد القادر ، وصحبه وسلك به ، ولبس منه الخرقة . وأجاز له الشيخ عبد المغيث الحربى وغيره ، وحفظ

الفقه واللغة . ويقال : إنه كان يحفظ « صحاح الجوهرى » بكماله .

وكان يتوقد ذكاء ، ونظمه فى الغاية ، ويقال : إن مدائحه فى النبى صلى الله عليه وسلم تبلغ عشرين مجلداً .

وقد نظم فى الفقه « مختصر الخرقى » ونظم « زوائد الكافى » على الخرقى ، ونظم فى العربية ، وفى فنون شتى .

وكان صالحا قدوة ، عظيم الاجتهاد ، كثير التلاوة ، عفيفاً صبوراً قنوعاً ، محبا لطريقة الفقراء ومخالطتهم . وكان يحضر معهم السماع ، ويرخص فى ذلك . وكان شديداً فى السنة ، منحرفا على المخالفين لها . وشعره مملوء بذكر أصول السنة ، ومدح أهلها ، وذم مخالفيها . وله قصيدة طويلة لامية فى مدح الإمام أحمد وأصحابه . وقد ذكرنا بعضها مفرقا فى تراجم بعض الأصحاب الذين ذكرهم فيها .

وكان قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه و بشره بالموت على السنة ، ونظم فى ذلك قصيدة طويلة معروفة . وقد حدث .

وسمع منه الحافظ الدمياطى ، وذكره فى معجمه ، وعلى بن حصين الفخرى. وأجاز للقاضى سليمان بن حمزة ، وأحمد بن على الجزرى ، وزينب بنت الكمال

ولما دخل هولاكو وجنده الكفار إلى بغداد كان الشيخ يحيى بها . فلما دخلوا عليه قاتلهم . ويقال : إنه قتل منهم بعكازه . ثم قتلوه شهيداً رضى الله عنه سنة ست وخمسين وستمائة برباط الشيخ على الخباز بالمقبة ، وحمل إلى صرصر فدفن بها. وزرت قبره بها حين توجهنا إلى الحجاز سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

وممن قتل فى تلك السنة ببغداد من أصحابنا الصالحين : الشيخ الزاهد العابد أبو الحسن : —

٣٧٠ — على بن سليمان بن أبى العز الخباز .

وكان زاهداً صالحاً ، كبير القدر ، قدوة . له أتباع ومريدون . وله زاوية ببغداد ، وأحوال وكرامات .

قال الذهبي : كان شيخنا الدباهي يصفه و يعظمه . وكان قد سمع من الشيخ علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي الزاهد أيضاً . وحدث عنه .

وسمع منه الدمياطي ، وحدث عنه في معجمه ، وقال : قتل شهيداً في وقعة التَّتَر في محرم سنة ست وخمسين وستمائة . ويقال: إنه ألقي على باب زاويته على مزبلة ثلاثة أيام ، حتى أكلت الكلاب من لحمه ، وأنه كان قد أخبر عن نفسه بذلك في حياته رضي الله عنه .

وكان المستنصر بالله يزوره ، ويرسل الشيخ محمد الركاب دار يأتيه من خبزه ، فيستشفي به ، وعمر بن البعلا التاجر في رباطه ولازمه .

٣٧١ - عبد الرحمن بن رزين بن عبد العزيز بن نصر بن عبيد بن علي ابن أبي الجيش الغساني ، الحواري الحوارانى ، ثم الدمشقي ، الفقيه سيف الدين أبو الفرج .

سمع بدمشق من أبي العباس أحمد بن سلامة النجار الحراني ، و ببغداد من أبي المظفر محمد بن مقبل بن المنى . وكان فقيها فاضلا .

صنف تصانيف ، منها : كتاب « التهذيب » في اختصار « المغنى » في مجلدين . وسمى فيه الشيخ موفق الدين شيخنا ، ولعله اشتغل عليه . ومنها « اختصار الهداية » واختصره أيضاً ، وله تعليقة . في الخلاف مختصرة . وتصانيفه غير محررة .

وكان يصاحب أستاذ الدار ابن الجوزي و يلازمه ، وتوكل له في بناء مدرسته بدمشق ، ثم ذهب إلى بغداد لأجل رفع حسابها إليه . وكان بها سنة ست وخمسين . فقتل شهيداً بسيف التتار . رحمه الله تعالى .

٣٧٢ - عبد القاهر بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبد العزيز الفوطي البغدادي الأديب ، موفق الدين أبو محمد .

قال ابن الساعي : كان إماماً ثقة ، أديباً فاضلا ، حافظا للقرآن ، قيما بعلم العربية

واللغة والنجوم ، كاتباً شاعراً صاحب أمثال . وكان فقيراً ذا عيال ، ولم يوافق نفسه على خيانة . ولى كتابة ديوان العرض .

قتل صبرا فى الواقعة ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، وقد بلغ ستين سنة . رحمه الله تعالى .

سمعت أبا العباس أحمد بن على بن عبد القاهر بن الفوطى - ببغداد - سنة ثمان وأربعين ، أوسنة تسع يقول - وكتبه لنا بخطه - لما توفى العلامة أبو الفضائل الحسن بن محمد الصنعانى اللغوى ببغداد رضى الله عنه : أوصى أن يحمل إلى مكة ليدفن بها . فلما حمل عمل جدى موفق الدين عبد القاهر بن الفوطى فيه ارتجالا وكان ممن قرأ عليه الأدب :

أقول ، والشمل فى ذيل النأى عثرا   يوم الوداع ، ودمع العين قد كثرا
أبا الفضائل قد زودتنى أسفا   أضعاف مازدت قدرى فى الورى أثرا
قد كنت تودع سمعى الدر منتظما   فخذه من جفن عينى اليوم منتثرا

هكذا أنبأنا بها شيخنا منقطعة . فإنه لم يدرك جده .

٣٧٣ - محمد بن نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبى صالح ، الجيلى البغدادى ، الفقيه الزاهد ، محيي الدين أبو نصر . قاضى القضاة ، عماد الدين أبو صالح . وقد سبق ذكر آبائه .

سمع من والده ، ومن الحسين بن على المرتضى العلوى ، وأبى إسحاق يوسف بن أبى حامد محمد بن أبى الفضل الأرموى ، وعبد العظيم بن عبد اللطيف ابن أبى نصر الأصبهانى ، وابن المشترى ، وغيرهم .

وطلب بنفسه ، وقرأ وتفقه . وكان عالما ورعا زاهدا ، يدرس بمدرسة جده ، ويلازم الاشتغال بالعلم إلى أن توفى .

ولما ولى أبوه قضاء القضاة : ولاه القضاء والحكم بدار الخلافة . فجلس فى مجلس

الحكم مجلسا واحداً وحكم ، ثم عزل نفسه ونهض إلى مدرستهم بباب الأزج . ولم يعد إلى ذلك تنزها عن القضاء وتورعا .

وحدث ، وسمع منه الحافظ الدمياطى، وذكره فى معجمه . وذكر ابن الدواليبى : أنه سمع عليه .

توفى ليلة الاثنين ثانى عشر شوال سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد . ودفن إلى جنب جده الشيخ عبد القادر بمدرسته رحمه الله . وكانت وفاته بعد انقضاء الواقعة .

وقد روى الدمياطى أيضا فى المعجم عن أخيه يحيى بن نصر بن عبد الرزاق الفقيه الواعظ عن أحمد بن صرما ، ولم يذكر وفاته .

٣٧٤ - عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع ابن حسن بن جعفر ، المقدسى النابلسى ، الفقيه المحدث ، جمال الدين أبو الفرج .

ولد يوم عاشوراء سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

وسمع بالقدس من أبى عبد الله بن البناء ، وحدث بنابلس .

قال الشريف عز الدين : كان له سعة ، وفيه فضل .

توفى فى ذى القعدة سنة ست ، وخمسين وستمائة بنابلس . رحمه الله تعالى .

أنبأني البرزالى - ونقلته من خطه - قال : أنبأنى الإمام العالم جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة ، وأنشدنى لنفسه :

يا طالبا علم خير العلم مجتهدا ... علم الحديث تحوز اليمن والرشدا
مافى العلوم له مثل يماثله ... فاطلبه مقتصدا ، تسعد به أبدا
فالفقه يبنى عليه ، حيث كان إذ الأ ... حكام مأخذها منه إذا وجدا
وكيف لا ؟ وهو لولاه لما اتضحت ... سبل الرشاد ، ولابان الزمان هدى
وأهله خير أهل العلم قاطبة ... فكن محبا لهم كيما تفوز غدا
ترى سواهم إذا جاء الحديث لما ... قالوه متبعا ماتبسطن يدا

أو كان متنا تراهم راجعين إلى   أقوالهم ، وكذا إن أسندوا سندا
لولاهم زاد قوم فى الشريعة ما   شاءوا ، ولكن حماها كونهم أسدا
هل يستوى من نأى عن أرضه طلبا   لها ، وآخر عن تحصيلها قعدا ؟
شتان بين امرىء ثاوٍ بموطنه   و بين من كان عن أوطانه بعدا
ومن ضرورة تفضيل الحديث على   سواه : أن لا يرى شبها لهم أحدا
شانيهم لالقيت الدهر محمدة   ولا وُقيت مصابا لا ولا فندا

وفى ذى الحجة من هذه السنة توفى من أصحابنا خطيب مردا الفقيه المسند المعمر : —

٣٧٥ — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبى الفتح المقدسى عن تسعين سنة .

حدث عن يحيى الثقفى ، وابن صدقة الحرانى ، والبوصيرى ، وإسماعيل بن ياسين . وله مشيخة . وحدث بالكثير .

وأبو المعالى وأبو اليمن سعد ، ويسمى : —

٣٧٦ — محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافى بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الحنبلى ، الواعظ ببلبيس . ودفن بها .

سمع من يحيى الثقفى . وأجاز له أبو موسى المدينى ، وأبو العباس الترك ، وغيرهما . وخرج له أبو حامد بن الصابونى مشيخة . وحدث .

وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق .

٣٧٧ — إبراهيم بن محاسن بن عبد الملك بن على بن نجا ، التنوخى الحموى ثم الدمشقى ، الأديب الكاتب ، نجم الدين أبو إسحاق ، وأبو طاهر بن الشيخ ضياء الدين . وقد سبق ذكر أبيه .

سمع من ابن طبرزد ، والكندى ، وأبى الفتوح البكرى ، وحدث .

وكان أديبا . وله نظم حسن .

توفى فى العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة بتل ناشر من أعمال حلب . ودفن به . رحمه الله تعالى .

وفى نصف صفر من هذه السنة توفى الشيخ : ـ

٣٧٨ ـ مجد الدين أبو العباس أحمد بن على بن أبى غالب الأربلى النحوي الحنبلى ، المعدل بدمشق .

سمع بأربل من محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفى ، وسكن دمشق وحدث بها ، واشتغل مدة فى العربية بالجامع .

قرأ عليه جماعة من الأصحاب وغيرهم ، منهم الفخر البعلبكى ، والتاج الفزارى وابن الفركاح .

وفى تاسع عشر رمضان من هذه السنة : توفى الرئيس صدر الدين : ـ

٣٧٩ ـ أبو الفتح أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا . التنوخى الدمشقى واقف المدرسة الصدرية بدمشق . ودفن بها . وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ، وسمع بها من حنبل ، وابن طبرزد . وحدث . وكان أحد المعدلين ذوى الأموال والثروة والصدقات . وولى نظر الجامع مدة . وثمر له أموالا كثيرة ، واستجد فى ولايته أمورا .

٣٨٠ ـ عبد الله بن أحمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن إسماعيل بن منصور بن عبد الرحمن ، الأنصارى السعدى ، المقدسى ثم الصالحى ، المحدث الرحال الحافظ ، محب الدين أبو محمد ، مفيد الجبل .

سمع بدمشق من الشيخ الموفق ، وابن البنى ، وابن الزبيدى ، وخلق .

ورحل إلى بغداد . وسمع بها من عبد اللطيف بن القبيطى ، وعلى بن أبى الفخار ، وعبد الملك بن قينا ، وفضل الله الجيلى ، وإبراهيم بن الخير ، وأبى المظفر

ابن المنى ، وخلق من هذه الطبقة ، وعنى بالحديث أتم عناية وأكثر السماع والكتابة ، وحدث .

توفى فى ثانى عشرين جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة . وله أربعون سنة . رحمه الله تعالى .

٣٨١ - محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبى الرجال أحمد بن على اليونينى البعلبكى ، الشيخ الفقيه المحدث الحافظ ، الزاهد العارف الربانى ، تقى الدين أبو عبد الله بن أبى الحسين ، أحد الأعلام وشيوخ الإسلام .

ولد فى سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بيونين من قرى بعلبك .

ونشأ يتيما بدمشق ، فأقعدته أمه فى صنعة النشاب ، ثم حفظ القرآن .

وسمع الحديث من أبى طاهر الخشوعى ، وأبى التمام القلانسى ، وحنبل المكبر ، وأبى اليمن الكندى ، والحافظ عبد الغنى وغيرهم . وتفقه بالشيخ موفق الدين .

وأخذ الحديث عن الحافظ عبد الغنى ، والعربية عن أبى اليمن الكندى وبرع فى الخط المنسوب ، ولبس خرقة التصوف من الشيخ عبد الله البطائحى صاحب الشيخ عبد القادر . ولزم خدمة الشيخ عبد الله اليونينى الزاهد ، صاحب الأحوال والكرامات الذى يقال له : أسد الشام ، وانتفع به .

وكان الشيخ عبد الله — هذا — يثنى على الشيخ الفقيه ويقدمه ، ويقتدى به فى الفتاوى . وكذلك كان شيخه الحافظ عبد الغنى يثنى عليه . وبرع فى الحديث وحفظ فيه الكتب الكبار حفظا متقنا « كالجمع بين الصحيحين » للحميدى « وصحيح مسلم » .

قال ولده قطب الدين موسى صاحب التاريخ : حفظ والدى « الجمع بين الصحيحين » وأكثر « المسند » يعنى مسند الإمام أحمد . وحفظ « صحيح مسلم » فى أربعة أشهر . وحفظ سورة الأنعام فى يوم واحد ، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية فى بعض يوم .

وذكره عمر بن الحاجب الحافظ ، فأطنب فى وصفه وأسهب ، وقال : اشتغل بالفقه والحديث ، إن إلى صار إماما حافظا ـ إلى أن قال : ولم ير فى زمانه مثل نفسه فى كماله وبراعته ، وجمع بين علمى الشريعة والحقيقة .

وكان حسن الخلق والخُلق ، نفَّاعا للخلق ، مطرحا للتكلف . من جملة محفوظه « الجمع بين الصحيحين » وحدثنى أنه حفظ « صحيح مسلم » جميعه ، وكرر عليه فى أربعة أشهر .

وكان يكرر على أكثر «مسند» أحمد من حفظه . وأنه كان يحفظ فى الجلسة الواحدة مايزيد على سبعين حديثا .

وقال الحافظ عز الدين الحسينى : هو أحد المشايخ المشهورين ، الجامعين بين العلم والدين . وكان حفظ كثيرا من الحديث النبوى ، مشهورا بذلك . انتهى .

وكان حريصا على سماع الحديث وقراءته ، مع علو سنه ، وعظم شأنه . وكان أهل بعلبك يسمعون بقراءته على المشايخ الواردين عليهم ، كالقزوينى ، وبهاء الدين المقدسى ، وابن رواحة الحموى ، وغيرهم .

وكان ذا أحوال وكرامات ، وأوراد وعبادات . لايخل بها ، ولا يؤخرها عن وقتها لورود أحد عليه ، ولو كان من الملوك . وكان لايرى إظهار الكرامات ، ويقول : كما أوجب الله على الأنبياء إظهار المعجزات أوجب على الأولياء إخفاء الكرامات ، ويروى عن الشيخ عثمان شيخ دير ناعس ـ وكان من أهل الأحوال ـ قال : قَطَبَ الشيخ الفقيه ثمان عشرة سنة .

وكان له ـ رحمه الله ـ منزلة عالية عند الملوك ، ويحترمونه احتراما زائدا ، حتى كان مرة بقلعة دمشق فى سماع البخارى ، عند الملك الأشرف . فقام الشيخ الفقيه مرة يتوضأ . فقام السلطان ونفض تخفيفته لما فرغ الشيخ من الوضوء ، وقدمها إليه ليتنشف بها ، أو ليطأ عليها برجله ، وحلف أنها طاهرة . وأنه لابد أن يفعل ذلك .

قال الحافظ الذهبي : حدثني بذلك شيخنا أبو الحسين بن اليونيني ، أو ابن الشيخ الفقيه . قال الحافظ : والشك مني .

قال : وسار الملك الأشرف إلى بعلبك مرة ، فبدأ قبل كل شيء ، فأتى دار الشيخ الفقيه ، ونزل فدق الباب ، فقيل : من ذا ؟ فقال : موسى .

قال : ولما قدم الملك الكامل على أخيه الأشرف جعل الأشرف يذكر للكامل محاسن الشيخ الفقيه . فقال : أشتهي أن أراه . فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة فاستحضره ، فوصل إلى دمشق . فنزل الكامل إليه ، وتحادثا بدار السعادة ، وتذاكرا شيئا من العلم .

فذكروا مسألة القتل بالمثقل ، وجرى ذكر حديث « الجارية التي قتلها اليهودي ، فَرضَّ رأسها بين حجرين . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » فقال الملك الكامل : إنه لم يعترف . فقال الشيخ الفقيه : في صحيح مسلم « فاعترف » فقال الكامل : أنا اختصرت صحيح مسلم ، ولم أجد هذا فيه . فقال : بلى ، فأرسل الكامل ، فأحضر اختصاره لمسلم في خمس مجلدات . فأخذ الكامل مجلدا ، والأشرف آخر ، وعماد الدين بن موسك آخر . وأخذ الشيخ الفقيه مجلدا ، فأول مافتحه : وجد الحديث ، كما قال ، فتعجب الكامل من سرعة استحضاره ، وسرعة كشفه . وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية . فأرسله الأشرف سريعا إلى بعلبك . فقال للكامل : إنه لا يؤثر ببعلبك شيئا . فأرسل الكامل إليه ذهبا كثيرا .

وقال ولده قطب الدين موسى : كان والدي يقبل بر الملوك ، ويقول : أنا لي في بيت المال أكثر من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا الوزراء شيئا ، إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه . ويرسل إليهم شيئا من ذلك ، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء .

وذكر أنه أثرى وكثر ماله ، وأن الأشرف كتب له كتابا بقرية يُونين .

فأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة . فلما شعر الشيخ بذلك أخذ الكتاب ومزقه . وقال : أنا في غنية عن ذلك .

قال : وكان والدي لايقبل شيئا من الصدقة . ويزعم أنه من ذرية جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم .

قال : وكان قبل ذلك فقيراً لا مال له .

وكان للشيخ عبد الله زوجة لها ابنة جميلة . فكان الشيخ عبد الله يقول لها : زوجيها من الشيخ محمد ، فتقول له : إنه فقير ، وأنا أحب أن تكون ابنتى سعيدة . فيقول : كأنى أراه وإياها فى دار ، وفيها بركة ، وله رزق كثير ، والملوك يترددون إلى زيارته . فزوجتها منه . فكان الأمر كذلك . وكانت أول زوجاته . وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه . بنو العادل وغيرهم . وكذلك مشايخ العلماء ، كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحاجب ، والحصرى . والقضاة ، كابن سناء الدولة ، وابن الجوزى ، وغيرهم .

وكان الناس ينتفعون بعلومه وفنونه ، ويتلقون عنه الطريقة الحسنة .

وكان عظيم الهيبة ، منور الشيبة ، مليح الصورة ، ضخما ، حسن السمت والوقار .

وكان يلبس قبَمًا صوفه إلى الخارج ، على طريقة شيخه الشيخ عبد الله . وكان كثير الاقتداء به ، والطاعة له .

حكى مرة : أنه كان قد عزم على الرحلة إلى حران ، قال : وكان قد بلغنى أن بها رجلا يعرف علم الفرائض جيداً . فلما كانت الليلة التى أريد فى صبحتها أن أسافر : جاءتنى رسالة الشيخ عبد الله اليونينى . فعزم على إلى القدس الشريف . فكأنى كرهت ذلك ، وفتحت المصحف ، فطلع قوله تعالى (٣٦ : ٢١ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) قال : فخرجت معه إلى القدس . فوجدت ذلك الحرانى بالقدس . فأخذت عنه علم الفرائض ، حتى خيل إلىّ أنى قد صرت أبرع منه فيه .

وقد وقع بين الشيخ و بين أبي شـامة الشافعي منـازعة في الـكلام على حديث الإسراء . وصنف كل منهما في ذلك شيئاً . وحدث الشيخ بالـكثير .

وروى عنه ابناه : أبو الحسـين الحافظ ، والقطب المؤرخ ، وأبو عبد الله ابن أبي الفتح ، و إبراهيم بن حاتم البعلي الزاهد ، ومحمد بن المحب ، وأبو عبد الله ابن الزراد ، و إبراهيم بن القُرشِيَة البعلي ، خاتمة أصحابه بالسماع . وبالإجازة : زينب بنت الـكمال ، وغيرها .

وتوفي ليلة تاسع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ببعلبك . ودفن عند شيخه عبد الله اليونيني رحمة الله عليهما .

٣٨٣ ـ حسن بن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، الصالحي الفقيه ، شرف الدين ، أبو محمد بن الحافظ أبي موسى بن الحافظ أبي محمد .

ولد سـنة خمس وستمائة . وسمع الـكثير من أبي اليُمْن الـكندي ، وجماعة بعده .

وتفقه على الشيخ الموفق ، و برع وأفتى ، ودرس بالجوزية مدة .

قال أبو شامة : كان رجلا خيراً .

توفي ليلة ثامن المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة بدمشق . ودفن بالجبل .

وفي رابع عشر رجب من السنة : توفي الشيخ الصالح أبو العباس : ـ

٣٨٤ ـ أحمد بن أبي الثناء حامد بن أحمد بن حمد بن حامد بن مفرح بن غياث، الأنصاري الأرتاحي، المصري المقرئ الحنبلي ، بمصر. ودفن بسفح المقطم ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

وقرأ بالروايات على والده . وسمع من جده لأمه أبي عبد الله محمد بن أحمد الارتاحي ، والبوصيري ، وإسماعيل بن ياسين ، وأبي الحسن بن نجا ، والحافظ

عبد الغنى ولازمه . وأكثر عنه . وكتب عنه بعض تصانيفه . وتصدر بالجامع العتيق . وأقرأ القرآن مدة . وانتفع به جماعة . وكان خيراً صالحاً . وأبوه : —

٣٨٥ — أبو الثناء قرأ . بالروايات على أبى الجود وغيره . وسمع بمصر من أبى عبد الله محمد بن الحسين البرمكى ، وبمكة من المبارك بن الطباخ . وتصدر للاقراء بالجامع العتيق وغيره . وحدث وأفاد ، وانتفع به جماعة .

قرأ عليه بالسبع : الحافظ المنذرى وغيره . وكان حسن الأداء والصوت ذا مروءة وتفقد لإخوانه .

توفى فى صفر سنة اثنى عشرة وستمائة بمصر .

وكان مولده سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

٣٨٦ — عبد الرزاق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعنى ، الفقيه المحدث المفسر ، عز الدين ، أبو محمد .

ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين الخابور .

وسمع الحديث ببلده من أبي المجد القزوينى ، وغيره ، و ببغداد من عبد العزيز ابن منينا ، والداهرى ، وعمر بن كرم ، وغيرهم .

و بدمشق من أبى اليمن الـكندى ، وابن الحرستانى ، والخضر بن كامل ، والشيخ موفق الدين ، وأبى الفتوح بن الجلاجلى ، وغيرهم .

و بحلب من الافتخار الهاشمى ، و ببلدان أخر . وعنى بالحديث وطلب ، وقرأ بنفسه .

وذكره الذهبى فى طبقات الحفاظ .

وتفقه على الشيخ موفق الدين ، وحفظ كتابه « المقنع » فى الفقه ، وصحب الشيخ العماد ، وطائفة من أهل الدين والعلم والصلاح .

وقرأ العربية والأدب ، وتفنن فى العلوم . وولى مشيخة دار الحديث بالموصل .

وكانت له حرمة وافرة عند بدر الدين صاحب الموصل ، وغيره من ملوك

الجزيرة . وصنف تفسيراً حسناً فى أربع مجلدات ضخمة سماه « رموز الكنوز » وفيه فوائد حسنة . ويروى فيه الأحاديث بإسناده . وصنف كتاب « مصرع الحسين » ألزمه بتصنيفه صاحب الموصل . فكتب فيه ماصح من القتل دون غيره . وكان لما قدم بغداد أنعم عليه المستنصر ، وصنف هذا التفسير ببلده . وأرسله إليه . وهو فى ثمان مجلدات ، وقف المدرسة البشيرية ببغداد .

وكان فاضلا فى فنون من العلم والأدب ، ذا فصاحة وحسن عبارة . وله فى تفسيره مناقشات مع الزمخشرى وغيره فى العربية وغيرها .

وكان متمسكا بالسنة والآثار ، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم .

وله نظم حسن . ومن نظمه : القصيدة النونية المشهورة فى الفرق بين الظاء والضاد .

وذكر شيخنا بالإجازة الإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق فى مشيخته : أن له تصانيف غير تفسيره المشهور : فى التفسير ، والفقه ، والعروض ، وغير ذلك .

وحدث . وسمع منه جماعة . وقدم دمشق رسولا . فقرأ عليه أبو حامد محمد ابن الصابونى جزءاً .

وروى عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق ، والدمياطى الحافظ فى معجمه ، وغير واحد . وبالإجازة : أبو المعالى الأبرقوهى ، وأبو الحسن بن البندنيجى الصوفى ، وزينب بنت الكمال .

روى عنه العلامة أبو الفتح ابن دقيق العيد ، وأخوه ، وأبوه .

قال الحافظ أبو محمد عبد الكريم الحلبى فى تاريخ مصر له : نقلت من خط الحافظ اليغمورى ـ يعنى يوسف بن أحمد بن محمود الدمشقى ـ أنشدنا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبى بكر الجزرى ، أنشدنى ابن دقيق

الصيد بقوص ، أنشدنى عز الدين عبد الرزاق الرسعنى لنفسه :

وكنت أظن فى مصر بحارا   إذا ما جئتها أجد الورودا
فما ألفيتها إلا سرابا   فحينئذ تيممت الصعيدا

قال شيخنا صفى الدين عبد المؤمن : توفى بسنجار فى رجب بخط أبى العلاء الفرضى .

وقال ابن الفوطى : فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ستين وستمائة .

وذكر الذهبى وغيره : أنه توفى ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة . وقيل : فى ثامن عشر ربيع الآخر منها بسنجار .

٣٨٧ - عبد الرحمن بن سالم بن يحيى بن خميس بن يحيى بن هبة الله ابن مواهب الأنصارى الانبارى ، ثم الدمشقى ، الفقيه جمال الدين ، أبو محمد ، وأبو القاسم .

سمع من أبى اليمن الكندى ، وأبى القاسم بن الحرستانى ، وداود بن ملاعب ، وعبد الجليل بن مندويه ، والحافظ عبد القادر الرهاوى .

وتفقه على الشيخ موفق الدين ، وبرع وأفتى ، وحدث . وسمع منه جماعة . وكان يسكن بالمنارة الغربية من جامع دمشق .

قال أبو شامة : وكان يصلى فى الجامع بالمتأخرين صلاة الصبح ، فيطيل بهم إطالة مفرطة ، خارجاً عن المعتاد بكثير إلى أن تكاد تطلع الشمس وهو فى تطويله ، لايتركه كل يوم . رحمه الله .

توفى ليلة سلخ ربيع الآخر سنة إحدى وستين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

٣٨٨ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، المحدث الفاضل ، عز الدين ، أبو محمد وأبو القاسم وأبو الفرج ، ابن الحافظ عز الدين أبى الفتح ، ابن الحافظ الكبير أبى محمد .

ولد فى ربيع الآخر سنة اثنين وستمائة . وحضر على أبى حفص بن طبرزد . وسمع من الكندى وطبقته .

وارتحل إلى بغداد . فسمع من الفتح بن عبد السلام وطائفة . ثم إلى مصر. وكتب الكثير . وعنى بالحديث . وكان يفهم ويذاكر ، وتفقه على الشيخ الموفق وكان فاضلا صالحاً ثقة ، انتفع به جماعة . وحدث

توفى فى نصف ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمة الله تعالى عليه .

٣٨٩ ـ أبو القاسم بن يوسف بن أبى القاسم بن عبد السلام ، الأموى ، الحوارى الصوفى ، الزاهد المشهور ، صاحب الزاوية بحوارى . كان خيراً صالحاً ، له أتباع وأصحاب ومريدون فى كثير من قرايا حوران فى الجبيل والثبنية . ولا يحضرون سماعاً بالدف .

توفى ببلده حوارى سنة ثلاث وستين وستمائة فى آخر السنة . وصلى عليه يوم عيد النحر ببيت المقدس صلاة الغائب . وصلى عليه بدمشق تاسع عشر ذى الحجة . رحمه الله تعالى .

وقام مقامه بعده : ولده الشيخ عبد الله . فكان عنده تفقه وزهادة . وله أصحاب . وكان مقصوداً يزار ببلده . وعمر حتى بلغ التسعين من عمره . خرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكرك من جهة الحجاز . فأدركه أجله هناك فى أول ذى القعدة سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٣٩٠ ـ إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، الصالح الزاهد ، الخطيب عز الدين أبو إسحاق ، ابن الخطيب شرف الدين أبى محمد ، ابن الشيخ أبى عمر .

ولد فى رمضان سنة ست وستمائة .

وسمع من الشيخ موفق الدين ، والشيخ العماد ، وأبى اليمن الكندى ، وأبى القاسم بن الحرستانى ، وخلق . وأجاز له القاسم الصفار وجماعة .

وكان إماماً فى العلم والعمل ، بصيراً بالمذهب ، صالحاً عابداً مخلصاً ، صاحب أحوال وكرامات ، وآمراً بالمعروف ، وقوالاً بالحق . وقد جمع المحدث أبو الفداء ابن الخباز سيرته فى مجلد .

وحدث . وسمع منه جماعة ، وحدثنا من أصحابه : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الحريرى عنه حضوراً . وهو آخر أصحابه .

توفى فى ليلة تاسع عشر ربيع الأول سنة ست وستين وستمائة . ودفن من الغد بسفح قاسيون . رحمه الله .

وهو والد الإمامين : عز الدين الفرائضى . وعز الدين محمد خطيب الجامع المظفرى . رحمهم الله تعالى .

٣٩١ ـ مظفر بن عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد ابن الحنبلى ، تاج الدين ، أبو منصور .

ولد فى سابع عشر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وخمسمائة بدمشق .

وسمع بها من أبى طاهر الخشوعى ، وعمر بن طبرزد ، وحنبل ، وغيرهم .

وتفقه وأفتى . ودرس بمدرسة جده شرف الإسلام مدة . وكان عارفاً بالمذهب . وحدث بدمشق ومصر .

وروى عنه جماعة ، منهم : الحافظ الدمياطى .

توفى فى ثالث صفر سنة سبع وستين وستمائة فجأة بدمشق . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

٣٩٢ ـ أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أحمد بن بكر ، المقدسى الصالحى ، الكاتب المحدث المعمر ، الخطيب زين الدين أبو العباس .

ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة بفندق الشيوخ من أرض نابلس .

وسمع الكثير بدمشق ، ومن يحيي الثقفى ، وأبى عبد الله بن صدقة ، وأبى الحسن بن الموازينى ، وعبد الرحمن الخرقى ، وإسماعيل الجنزوى ، وغيرهم وانفرد فى الدنيا بالرواية عنهم .

ودخل بغداد . وسمع بها من أبى الفرج بن كليب ، والمبارك بن المعطوش ، وأبى الفرج بن الجوزى ، وأبى الفتح بن المندآى ، وعبد الله بن أبى المجد ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وغيرهم .

وسمع بحران من خطيبها الشيخ فخر الدين ، وأجاز له خطيب الموصل أبو الفضل ، وعبد المنعم الفراوى ، وابن شاتيل ، والقزاز . وتفرد بالرواية عنهم أيضاً .

وقرأ بنفسه ، وعنى بالحديث . وتفقه على الشيخ موفق الدين . وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه ، وجمع تاريخاً لنفسه . وكان فاضلا متنبهاً . وله نظم

ولى الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة .

وكان يكتب خطاً حسناً ، ويكتب سريعاً . فكتب مالا يوصف كثرة من الكتب الكبار ، والأجزاء المنثورة لنفسه وبالأجرة ، حتى كان يكتب فى اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس أو أكثر ، ويكتب مع اشتغاله بمصالحه الكراسين والثلاثة . وكتب « الخرقى » فى ليلة واحدة . وكتب « تاريخ الشام » لابن عساكر مرتين و « المغنى » للشيخ موفق الدين مرات . وذكر : أنه كتب بيده ألفى مجلدة ، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة .

وكان حسن الخَلق والخُلق ، متواضعاً ديناً . وحدث بالكثير بضعاً وخمسين سنة . وانتهى إليه علو الإسناد . وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد .

وخرج له ابن الظاهرى مشيخة ، وابن الخباز أخرى .

سمع منه الحفاظ المقدسيون ، كالحافظ ضياء الدين ، والزكى البرزالى ، والسيف بن المجد ، وعمر بن الحاجب .

روى عنه الأئمة الكبار ، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون ، منهم : الشيخ محيي الدين النووى ، والشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، والشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وخلق كثير . آخرهم : شيخنا الشيخ محمد بن إسماعيل بن الخباز ، حضر عليه أجزاء . وآخر من روى عنه بالإجازة : أحمد بن عبد الرحمن الحريرى .

وتوفى يوم الإثنين سابع - كذا قاله الشريف - وقيل : تاسع رجب سنة ثمان وستين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله

ورأى رجل ليلة موته فى المنام : كأن الناس فى الجامع ، وإذا ضجة . فسأل عنها ؟ فقيل له : مات هذه الليلة مالك بن أنس ، قال : فلما أصبحت جئت إلى الجامع ، وأنا مفكر ، وإذا إنسان ينادى : رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم . رحمه الله .

٣٩٣ - يوسف بن على بن أحمد بن البقال البغدادى الصوفى ، عفيف الدين أبو الحجاج ، شيخ رباط المرزبانية . كان صالحا عالما ، ورعاً زاهداً . له تصانيف فى السلوك . منها كتاب « سلوك الخواص » .

وحكى عنه أنه قال : كنت بمصر زمن واقعة بغداد . فبلغنى أمرها . فأنكرته بقلبى ، وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ فرأيت فى المنام رجلا ، وفى يده كتاب . فأخذته فإذا فيه :

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

أجاز لشيخنا على بن عبد الصمد البغدادى .

ونقلت من خطه : أنه توفى ليلة الخميس سادس المحرم سنة ثمان وستين وستمائة وصلى عليه بجامع الحريم . ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

وذكر غيره : أنه توفى سنة ست وستين . والله أعلم .

٣٩٤ - عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد بن سليمان ، البغدادى الأصل الحرانى المولد . الفقيه ، جمال الدين أبو محمد . ويعرف بالبغدادى .

ولد فى أحد الربيعين سنة خمس وثمانين وخمسمائة بحران .

وسمع من عبد القادر الحافظ ، وحنبل ، وابن طبرزد ، وغيرهم .

وتفقه بالشيخ الموفق ، وبرع ، وأفتى ، وانتفع به جماعة . وحدث .

وروى عنه طائفة . حدثنا عنه ابن الخباز . وكان إماماً بحلقة الحنابلة بالجامع .

قال الشيخ عز الدين : كان موصوفا بالفضل والدين ، فقيهاً حسناً مشهوراً . ولى منه إجازة .

توفى فى رابع عشر شعبان سنة سبعين وستمائة بدمشق رحمه الله تعالى . ودفن بسفح قاسيون .

٣٩٥ - محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب الحرانى ، المحدث الرحال ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، نزيل دمشق .

ولد بحران سنة ثلاث وستمائة .

وسمع ببغداد من القطيعى ، وابن روزبة ، والداهرى ، وعمر بن كرم ، ونصر بن عبد الرازق القاضى ، وابن القبيطى ، والمهذب بن قميدة .

وبدمشق من القاضى أبى نصر بن الشيرازى ، ومكرم بن أبى الصقر ، والحسين بن الزبيدى ، وابن اللتى ، وابن صباح وغيرهم . وبالإسكندرية من الصفراوى ، وجعفر الهمدانى ، وابن راح .

وبالقاهرة من مرتضى بن العفيف ، والعلم بن الصابونى ، وغيرهم .

قال الشريف عز الدين : كتب بخطه ، وطلب بنفسه . وكان أحد المعروفين بالطلب والإفادة . وحدث . ولى منه إجازة .

قال الذهبى : عنى بالحديث عناية كلية ، وكتب الكثير . وتعب وحصل

وأسمع الحديث . وتألف الناس على روايته . وفيه دين وحسن عشرة ، ولديه فضيلة ، ومذاكرة جيدة .

أقام بدمشق ، ووقف كتبه وأجزاءه بالضيائية .

وقال البرزالي : كان فاضلا ، كثير الديانة والتحري ، أحد المعروفين بالطلب والإفادة .

وقرأت بخط الدمياطي في حقه : الإمام الحافظ .

وسمع منه جماعة من الأكابر ، كأبي الحسين بن اليونيني ، والحافظ الدمياطي ، وإسماعيل بن الخباز ، وابن أبي الفتح ، وأبي الحسن بن العطار ، وحدثنا عنه محمد بن الخباز .

وتوفي ليلة الأربعاء ثامن شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة بالمارستان الصغير بدمشق . ودفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

وفي حادي عشر شوال من السنة توفي الشيخ فخر الدين أبو الفرج :ـ

٣٩٦ ـ عبد القاهر بن أبي محمد عبد الغني بن الشيخ فخر الدين محمد بن أبي القاسم ابن تيمية بدمشق . ودفن من الغد بمقابر الصوفية .

وكان مولده : سنة اثنتي عشرة وستمائة بحران .

وسمع من جده وابن اللتي . وحدث بدمشق . وخطب بجامع حران .

٣٩٧ ـ علي بن محمد بن محمد بن أبي سعد بن وضاح الشهراباني ، ثم البغدادي ، الفقيه المحدث ، الزاهد الكاتب ، كمال الدين أبو الحسن بن أبي بكر .

ولد في رجب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ـ وقيل : سنة تسعين ـ بشهرابان ، وسمع بها « صحيح مسلم » من أحمد بن محمد بن محمد بن نجم المروزي ، قال : قدم علينا حاجا ، وهو ابن أخي الذي روى عنه ابن الجوزي « صحيح مسلم » وكانا قد سمعاه من الفراوي .

وقدم بغداد ، وسمع بها من أبوى الحسن : القطيعى ، وابن روزبة «صحيح البخارى» عن أبى الوقت ، ومن عمر بن كرم «جامع الترمذى» ومن عبد اللطيف ابن القطيعى «سنن الدارقطنى» وسمع من القاضى أبى صالح ، وأبى حفص السهروردى ، وإبرهيم الكاشغرى ، وغيرهم .

وسمع من الشيخ العارف على بن إدريس البعقوبى ، ولبس منه الخرقة ، وانتفع به ، وسمع بأربل وغيرها .

وعنى بالحديث ، وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه الحسن . وسمع الكتب الكبار واشتغل بالعلم ببغداد ، وتفقه وبرع فى العربية ، وشارك فى فنون من العلم ، وصحب الصالحين ، وكان صديقاً للشيخ يحيى الصرصرى .

قال شيخنا بالإجازة ، الإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق : كان شيخاً صالحاً ، منور الوجه ، كيساً طيب الأخلاق ، سمح النفس ، صحب المشايخ والصالحين . وكان عالماً بالفقه ، والفرائض ، والأحاديث ، ورتب عقب الواقعة مدرساً بالمدرسة المجاهدية ، واستمر بها إلى أن مات .

وهو أحد المكثرين فى الرواية ، فإنه سمع الكثير من الكتب الكبار والأجزاء ، بقراءته وقراءة غيره ، وخرج وصنف مصنفات .

ومن مصنفاته : كتاب «الدليل الواضح ، فى اقتفاء نهج السلف الصالح» وكتاب «الرد على أهل الإلحاد» وغير ذلك .

وله إجازات من جماعة كثيرين ، منهم من دمشق : الشيخ موفق الدين ابن قدامة ، وأبى محمد بن عمرو بن الصلاح وغيرهما .

قلت : وله أجزاء فى مدح العلماء وذم الأغنياء ، والفرق بين أحوال الصالحين وأحوال الإباحية ، أكلة الدنيا بالدين ، سمعه منه أبو الحسن على بن محمد البندنيجى نزيل دمشق .

وله جزء فى أن الإيمان يزيد وينقص ، كتبه جواباً عن سؤال فيمن حلف

بالطلاق على نفى ذلك ، فأفتى بوقوع طلاقه ، و بسط الكلام على المسألة ، وذلك فى زمن المستعصم ، وقد أوذى بسبب ذلك ، هو والمحدث عبد العزيز القحيطى ، من بغداد ، فإنه وافق على هذا الجواب . وأُخرج الشيخ من المدرسة التى كان مقيما بهـا ، وأُخرج القحيطى من بغداد ، وبذلك تحقق قوة إيمانهما ، وكونهما إن شاء الله من خلفاء الرسل فى وقتهما .

وحدث الشيخ بالكثير ، وسمع منه خلق ، وروى عنه ابن حصين الفخرى ، والحافظ الدمياطى فى معجمه ، وأبو الحسن البندنيجى ، و إبراهيم الجعبرى المقرىء ، وأبو الثناء الدقوقى ، وأحمد بن عبد السلام بن عكبر ، وعلى بن عبد الصمد ، وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن المؤذن الوراق ، وروى عنه «صحيح البخارى» وسمعت عليه حضوراً فى الرابعة منه كتاب النكاح بكماله .

وتوفى رحمه الله ، ليلة الجمعة ثالث صفر ، سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

كذا ذكره غير واحد من أهل بغداد من شيوخنا وغيرهم . وهو أصح مما قاله الذهبى : إنه سنة إحدى وسبعين . وأبعد من ذلك : ماقال الدمياطى : إنه توفى سنة ثلاث ، أو أربع ، وهذا قاله بالظن والتقريب لبعد البلاد ، وعدم من يراجعه فى تحقيق ذلك .

قال شيخنا صفى الدين : وكانت جنازته إحدى الجنائز المشهورة ، اجتمع لها عالم لا يحصى ، وغلقت الأسواق يومئذ ، وشد تابوته بالحبال . وحمله الناس على أيديهم ، وصلى عليه بالحال البرانية . ودفن بحضرة قبر الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، مقابل رجليه .

٣٩٨ — على بن عثمان بن عبد القادر بن محمد بن يوسف بن الوجوهى البغدادى المقرىء ، الصوفى الزاهد ، شمس الدين أبو الحسن ، أحد أعيان أهل بغداد فى زمنه .

ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

وقرأ بالروايات على الفخر الموصلى ، صاحب ابن سعدون القرطبى ، وسمع الحديث من ابن روزبة ، والسهروردى وغيرهما . وكان بصيراً بالقرآن ، متحققاً بالأداء ، ديناً خيراً صالحاً ، وعين خازناً بدار الوزير زمن الخليفة ، ثقة بدينه ، وشهد فى ذلك العهد . وكان شيخ رباط ابن الأثير .

وله كتاب « بلغة المستفيد فى القراءات العشر » قرأه عليه ابن خيرون ، وقرأ عليه بالسبع : إبراهيم الجعبرى ، وقال: امتنع من كتابة الإجازة لى لحضورى سماعات الفقراء ، وكان ينكر ذلك .

وروى عنه ابن خروف الموصلى ، وشيوخنا بالإجازة : نجيب الدين على ابن محمد الرفاعى ، وعلى بن عبد الصمد ، ومحمد بن محمد بن الكوفى الهاشمى الواعظ وغيرهم .

وتوفى فى ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب .

أنبأنى غير واحد عن الظهير بن الكازرونى ، قال : حكى لى الشيخ رشيد الدين بن أبى القاسم : أن العدل محب الدين مصدق حدثه ، قال : رأيت ابن الوجوهى بعد موته ، فقلت : مافعل الله بك ؟ فقال : نزلا علىّ ، وأجلسانى وسألانى ، فقلت : ألمثلِ ابن الوجوهى يقال ذلك ؟ وأضحكانى ومضيا . رحمه الله .

وفى سابع عشر شوال سنة اثنتين وسبعين أيضاً : توفى الشيخ : ـ

٣٩٩ ـ سيف الدين بن الناصح عبد الرحمن بن نجم الحنبلى .

وكان مولده سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وقيل : سنة تسعين. وهو آخر من حدث بالسماع عن الخشوعى .

وسمع من حنبل ، وابن طبرزد ، والكندى ، وغيرهم بدمشق ، والموصل ، وبغداد ، وحدث بمصر ودمشق .

وسمع منه العلامة تاج الدين الفزارى ، وأخوه الخطيب شرف الدين ،

والحافظ الدمياطي ، وذكره في معجمه ، وابن العطار ، وابن أبي الفتح ، والشهاب محمود كاتب السر ، وغيرهم .

وحدثنا عنه ابنه شمس الدين يوسف مدرس الصاحبية بجزء ابن زبر الصغير ، كان حضره على أبيه ، ومحمد بن الخباز ، وأحمد بن عبد الرحمن الحريري .

٤٠٠ ـ علي بن أبي غالب بن علي بن غيلان ، البغدادي ، الأزجي القطيعي ، الفرضي المعدل ، موفق الدين أبو الحسن .

ولد في ذي الحجة ، سنة ثلاث وستمائة ، وسمع من ابن المنى وغيره ، وأجاز له غير واحد .

وتفقه . وقرأ الفرائض ، وشهد عند القاضي أبي الفضل بن الدامغاني . وكان من أعيان العدول . وكان خيراً ، كثير التلاوة .

حدث وأجاز لشيخنا صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق ، وعلي بن عبد الصمد .

وتوفي يوم السبت ثالث شوال سنة أربع وسبعين وستمائة ، ودفن بقبر الإمام أحمد .

٤٠١ ـ عثمان بن موسى بن عبد الله الطائي الأربلي ، ثم الآمدي ، الفقيه الزاهد ، إمام حطيم الحنابلة بالحرم الشريف تجاه الكعبة .

كان شيخاً جليلاً ، إماماً عالماً ، فاضلاً ، زاهداً عابداً ورعاً ، ربانياً متألهاً ، منعكفاً على العبادة والخير ، والاشتغال بالله تعالى في جميع أوقاته ، أقام بمكة نحو خمسين سنة .

ذكره القطب اليونيني ، وقال : كنت أود رؤيته ، وأتشوق إلى ذلك ، فاتفق أني حججت سنة ثلاث وسبعين وزرته ، وتمليت برؤيته ، وحصل لي نصيب وافر من إقباله ودعائه . وقدرت وفاته إلى رحمة الله تعالى عقيب ذلك .

وقال الذهبي : سمع بمكة من يعقوب الكحال ، ويعقوب سمع من ابن شاتيل وخطيب الموصل .

وسمع عثمان أيضاً من محمد بن أبي البركات بن حمد .

وروى عنه شيخنا الدمياطي ، وابن العطار في معجميهما . وكتب إلينا بمروياته .

توفي ضحى يوم الخميس ثاني عشر بن محرم سنة أربع وسبعين وستمائة بمكة رحمه الله تعالى . ويقال : إن الدعاء يستجاب عند قبره [1] .

وخلفه في إمامة الحنابلة بمكة ولده :

٤٠٢ - الإمام جمال الدين محمد . وكان إماماً عالماً ديناً . وله رحلة إلى بغداد ، أدرك فيها عبد الصمد بن أبي الجيش وغيره .

وحدث . وروى عنه جماعة من شيوخنا المكيين .

وتوفي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

٤٠٣ - محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني ، الفقيه ، الأصولي المناظر القاضي شمس الدين ، أبو عبد الله .

ولد بحران في حدود العشر والستمائة . وتفقه بهـا على الشيخ مجد الدين ابن تيمية . ولازمه ، حتى برع في الفقه . وكان يستدل بين يديه بحران .

وقرأ الأصول والخلاف على القاضي نجم الدين بن المقدسي الشافعي الذي كان أولا حنبلياً ، فانتقل . وأقام مدة بدمشق يشتغل في الأصول والعربية على علم الدين قاسم الـكوف .

ثم سافر إلى الديار المصرية . وأقام بها مدة يحضر دروس الشيخ عز الدين

---

(١) هذا قول على الله بغير علم ، فضلا عما فيه من ترويج سنن الجاهلية الممقوتة في تعظيم القبور وعبادة الموتى .

ابن عبد السلام . وولى القضاء ببعض أعمال الديار المصرية نيابة عن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز لفضيلته ، وإن كان على غير مذهبه . وهو أول حنبلى حكم بالديار المصرية فى هذا الوقت .

ثم لما ولى الشيخ شمس الدين بن العماد قضاء القضاة الحنابلة استنابه مدة . ثم ترك ذلك ، ورجع إلى دمشق . وأقام بها مدة سنين إلى حين وفاته ، يدرس الفقه بحلقة له فى الجامع . ويكتب خطه فى الفتاوى . وباشر الإعادة بالمدرسة الجوزية بدمشق قبل سفره إلى الديار المصرية ، وبعد رجوعه . وباشر الإمامة بها أيضاً .

ثم أمّ بمحراب الحنابلة بالجامع . ذكر ذلك قطب الدين اليونينى .

وقال : كان فقيهاً إماماً عالماً ، عارفا بعلم الأصول والخلاف ، حسن العبارة ، طويل النفس فى البحث ، كثير التحقيق ، حسن المجالسة والمذاكرة . ويتكلم فى الحقيقة (١) . وهو غزير الدمعة ، رقيق القلب جداً ، وافر الديانة ، كثير العبادة . صحب الفقراء مدة . وله فيهم حسن ظن .

وكان عنده معرفة بالأدب . وله يد جيدة فى النظم . أنشدنى له صاحبنا تقى الدين بن عبد الله بن تمام :

طار قلبى يوم ساروا فرقا ... وسواء فاض دمعى أو رقا
حار فى سقمى من بعدهم ... كل من فى الحى داوى أو رقى
بعدهم لا طَلَّ وادى المنحنى ... وكذا بانُ الحمى لا أورقا

---

(١) الحقيقة عند الصوفية : مقابلة للشريعة ، وهم يزعمون أنهم بهذه الحقيقة يصلون إلى مالم يصل إليه علماء الشريعة من الصحابة والأئمة ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام طويل فى عدة مواضع من كتبه فى إبطال حقيقة الصوفية ، وأنها ترجع إلى عقيدة الوثنية ، والقول بوحدة الوجود ، أو الحلول ، أو الاتحاد . وهم دائما يقولون عن ربهم « الحقيقة الإلهية » .

وابتلى بالفالج قبل موته مدة أربعـة أشهر . وبطل شقه الأيسر ، وثقل لسانه بحيث لايفهم من كلامه إلا اليسير . قرأ عليه جماعة الأصول والفروع .

وتوفى ليلة الجمعـة بين العشائين لست خلون من جماد الأولى سـنة خمس وسبعين وستمائة بدمشق . وصلى عليه بالجامع . ودفن بمقابر الباب الصغير. ونيف على الستين من العمر رحمه الله تعالى .

ورأيت فى الفتاوى المنسوبة إلى الشيخ تاج الدين الفزارى : واقعة وقعت ، وهى وقف وقفه رجل ، وثبت على حاكم : أنه وقفه فى صحة بدنه وعقله . ثم قامت بينة أنه كان حينئذ مريضاً مرض الموت المخوف . فأفتى النووى : أنه تقدم بيّنة المرض ، ويعتبر الوقف من الثلث . ووافقه على ذلك ابن الصيرفى ، وابن عبد الوهاب الحنبليان . وخالف الفزارى ، وقال: تقدم بينة الصحة . قال : لأن من أصلهم أن البينة التى تشهد بما يقتضيه الظاهر تقدم ، ولهـذا تقدم عنـدهم بينة الداخل والأصل . والغالب على النـاس : الصحة . فتقدم البينة الموافقة له .

وعرض على الشيخ تاج الدين الفزارى أيضاً فتاوى جماعة فى حادثة تعارضت فيها بينتان بالسفه والرشد ، حال تصرف ما : أنه تقدم بينة السفه . فخطأهم فى ذلك . وقال : هذا عندى غلط .

وذكر فى موضع آخر : أن الشـيخ شمس الدين بن أبى عمر أفتى فى هـذه المسألة بتقديم بينة الرشد على بينة استمرار الحجر .

ورأيت فتيا بخط محمد بن عبـد الوهاب الحرانى فى وقف بأيدى أقوام من مدة سـنين من غير كتاب بأيديهم . فادعاه آخرون ، وأظهروا كتابا منقطع الإثبات بوقفه عليهم : أنه لاينزع من يد الأولين بمجرد هذا الـكتاب . ووافقه جماعة من الشافعية والحنفية وغيرهم .

٤٠٤ ـ محمد بن تميم الحرانى الفقيه ، أبو عبد الله ، صاحب « المختصر » فى الفقه ، المشهور . وصل فيه إلى أثناء الزكاة . وهو يدل على علم صاحبه ، وفقه نفسه ، وجودة فهمه .

وتفقه على الشيخ مجد الدين ابن تيمية ، وعلى أبى الفرج بن أبى الفهم .

و بلغنى أن ابن حمدان ذكر عنه : أنه سافر ـ أظنه إلى ناصر الدين البيضاوى ـ ليشتغل عليه . فأدركه أجله هناك شاباً . ولم أقف على تاريخ وفاته .

٤٠٥ ـ عبد الصمد بن أحمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبى الحسين ابن أبى الجيش بن عبد الله البغدادى القطفتى ، المقرىء المحدث ، النحوى اللغوى . الخطيب الواعظ الزاهد ، شيخ بغداد وخطيبها ، مجد الدين أبو أحمد ، وأبو الخير ، ابن أبى العباس . سبط الشيخ أبى زيد الحموى الزاهد ، أبوه .

ولد عبد الصمد فى محرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ببغداد .

وقرأ القرآن بالروايات على الفخر الموصلى ، وعبد العزيز بن الناقد ، وعبد العزيز ابن دلف ، والحسين بن الزبيدى ، وغيرهم .

وعنى بالقراءات . وسمع كثيرا من كتبها . وسمع الحديث من ترك بن محمد الحلاج صاحب أبى البدر الكرخى ، وعبد السلام بن البردغولى ، وأبى القاسم ابن أبى الجود ، صاحبى ابن الطلاية ، وعبد السلام الداهرى ، وعبد العزيز بن الناقد ، و إسماعيل بن حمدى ، وأبى نصر بن النرسى ، والحسن والحسين ابنى المبارك الزبيدى ، والحسين بن أبى بكر الحيارى ، وثابت بن مشرف ، وعبداللطيف ابن القبيطى ، والنفيس بن حقنى الزعيمى ، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى وأبى حفص السهروردى ، وابن الخازن ، وابن رُزوبة ، وابن بهروز ، وسعد بن محمد بن ياسين ، والمهذب بن قنيدة ، وابن اللتى ، وأحمد بن يعقوب المارستانى ، وابن الدبيثى الحافظ ، وأبى صالح نصر بن عبد الرزاق ، وغيرهم .

وسمع شيئاً على سليمان بن محمد بن على الموصلى ، وأخيه أبى الحسن على .

وسمع كثيراً من الكتب الكبار والأجزاء . وقرأ بنفسه كثيراً على الشيوخ المتأخرين . وجمع أسماء شيوخه بالسماع والإجازة . فكانوا فوق خمسمائة وخمسين شيخاً . فبعضهم بالإجازة العامة ، وكثير منهم بالإجازة الخاصة من غير سماع .

وذكر فيه : أنه سمع جامع الترمذى على أبى الفتح أحمد بن على الفربرى بسماعه من الكرخى ، . وهذا من أجود ماعنده . والعجب أنه خرج فى بعض تصانيفه حديثا من الترمذى عن أكمل بن مظفر العباسى بإجازة من الكرخى ، وعن أبى المعالى بن شافع عن ابن كليب .

وأجاز له الحافظ أبو الفرج بن الجوزى ، وعبد العزيز بن منينا ، وأبو القاسم ابن الحرستانى ، وأبو اليمن الكندى ، والشيخ موفق الدين المقدسى ، وغيرهم .

وأخذ العربية والأدب عن أبى البقاء العكبرى ، قال : قرأت عليه من حفظى كتاب « اللمع » لابن جنى ، « والتصريف المملوكي » و « الفصيح » لثعلب . وأكثر كتاب «الإيضاح» لأبى على الفارسى . وسمعت عليه المفضليات .

وقال الجعبرى : قرأ ـ يعنى عبد الصمد ـ كتاب سيبويه ، والإيضاح ، والتكملة ، واللمع ، على الكندى . كذا قال . وهو غير صحيح . ولعله أراد أن يقول : العكبرى .

وقرأ طرفا من الفقه . وانتهت إليه مشيخة القراءات والحديث . وله ديوان خطب فى سبع مجلدات على الحروف . وولى فى زمن المستنصر مشيخة المسجد الذى بناه المستنصر ، وجعله دار قرآن وحديث ، ويعرف بمسجد قمرية .

ثم ولى فى زمن المستعصم مشيخة رباط سوسيان . وبعد الواقعة : ولى خزن الديوان والخطابة بالجامع الأكبر ، جامع القصر .

وصار عين شيوخ زمانه ، والمشار إليه فى وقته ، مع الدين والصلاح ، والزهد والورع ، والتقشف والتعفف ، والصبر والتجمل .

قال الحافظ الذهبي : قرأت بخط السيف بن المجد قال : كنت ببغداد ، فبنى المستنصر مسجدا وزخرفه ، وجعل به من يقرأ ويسمع . فاستدعى الوزير جماعة من القراء ، وكان منهم صاحبنا عبد الصمد بن أحمد . فقال له : تنتقل إلى مذهب الشافعي ، فامتنع ، فقال: أليس مذهب الشافعي حسنا ؟ قال: بلى، ولكن مذهبي ماعلمت به عيبا أتركه لأجله . فبلغ الخليفة ذلك ، فأعجبه قوله . وقال : هو يكون إمامه دونهم . وعرض عليه العدالة فأباها .

قال الذهبي : سمعت أبا بكر المقصاتي يقول : طلب مني شيخنا عبد الصمد مقصا ، فعملته وأتيته به . فما أخذه حتى أعطاني فوق قيمته .

وذكره شيخنا صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق في مشيخته ، فقال : هو شيخ بغداد كلها . إليه انتهت رياسة القراءات والحديث بها . كان من العلماء العاملين ، والأئمة الموصوفين بالعلم والفضل والزهد . وصنف الخطب التي انفرد بفنها وأسلوبها ، وما فيها من الصنعة والفصاحة . وجمع منها شيئا كثيرا . ذهب في واقعة بغداد مع كتب له أخرى بخطه وأصوله ، حتى كان يقول: في قلبي حسرتان: ولدي ، وكتبي . فإنه كان له ولد اسمه أحمد ــ وبه يكنى ــ صالح فاضل حسن السمت . خلفه بمسجد قمرية ، لما رتب هو شيخا برباط سوسيان في زمن المستعصم . وكان حسن الصوت حسن القراءة . وعدم في الواقعة . وبقي يتأسف عليه وعلى كتبه .

قال الذهبي : قرأ عليه الشيخ إبراهيم الرقي الزاهد ، والتقي أبي بكر الجزبور المقصاتي ، وأبو عبد الله بن خروف ، وأبو العباس أحمد بن موسى الموصليان ، وجماعة . وكان إماما محققا ، بصيرا بالقراءات وعللها وغريبها ، صالحا زاهدا ، كبير القدر ، بعيد الصيت .

قلت : وحدث بالكثير ، وسمع منه خلائق .

وحكى عنه الحافظ ابن النجار في تاريخه ، وكان شيوخ بغداد يقرأون عليه

كتب الحديث ، وسمع الناس بقراءتهم ، كالشيخ كمال الدين بن وضاح ، مع علو شأنه ، وكبر سنه — وقد توفى قبله — والشيخ عبد الرحيم بن الزجاج ، وأحمد ابن الكسار الحافظ .

وروى عنه خلق كثير من الأعيان ، منهم : ابن وضاح المذكور ، والدمياطى الحافظ فى معجمه ، والشيخ إبراهيم الرقى الزاهد ، والمحدثان أبو العباس أحمد ابن على القلانسى ، وأبو الثناء محمود بن على الدقوقى ، والإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبدالحق ، وابنه أبو الربيع على بن عبد الصمد ، وأكثر عن أبيه . وقد سمعت منه فى الخامسة جزءاً فيه أربعون حديثاً ، أخرجها أبوه لنفسه بسماعه من أبيه ، وحصل فى سماع العشرة الأخيرة بعدٌ عن مجلس القراءة ، فلا أدرى ، أسمعتها أم لا ؟ .

وحضرت أيضاً كتاب النكاح من صحيح البخارى على أبى عبد الله محمد ابن عبد العزيز المؤذن بسماعه للكتاب ، حضوراً على الشيخ عبد الصمد .

وتوفى ضحوة يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة وأخرج من يومه ، وصلى عليه بجامع ابن بهايقا وعدة مواضع ، وأغلق البلد يومئذ . وازدحم الخلق على حمله . ودفن بحضرة الإمام أحمد إلى جانب ابن القاعوس الزاهد . وكان يوماً مشهوداً . رحمه الله تعالى ، ورثاه جماعة من الشعراء .

أنبأنا على بن عبد الصمد بن أحمد البغدادى — بها — أنبأنا أبى أنبأنى غير واحد أنبأنا أكمل بن مظفر العباسى ، وعبد العزيز بن أحمد الجصاص ، وشرف بن على الخالصى ، وعبد السلام بن عبد الله الداهرى ، وأبو بكر بن بهروز ، قالوا : أنبأنا أبو الوقت ثناء أبو الحسن الداودى أنبأنا أبو محمد بن حمويه أنبأنا أبو عمران السمرقندى حدثنا الدارمى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد عن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا صلى فإنما يناجى ربه — أو ربه بينه وبين القبلة — وإذا بزق أحدكم فليبصق عن يساره أو تحت قدمه ،

أو يقول هكذا ، ويزق فى ثوبه ، وذلك بعضه ببعض

٤٠٦ - محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، نزيل مصر ، قاضى القضاة ، شيخ الشيوخ ، شمس الدين ، أبو بكر وأبو عبد الله ، ابن العماد ، وقد سبق ذكر أبيه .

ولد فى يوم السبت رابع عشر صفر - وقيل : الأحد - سنة ثلاث وستمائة بدمشق . وحضر بها على ابن طبرزد .

وسمع من الكندى ، وابن الحرستانى ، وابن ملاعب ، والشيخ موفق الدين . وتفقه عليه ، ثم رحل إلى بغداد ، وأقام بها مدة .

وسمع بها من أبى الفتح بن عبد السلام، والداهرى ، والسهروردى ، وجماعة وتفقه بها ، وتفنن فى علوم شتى . وتزوج بها . ووواد له .

ثم انتقل إلى مصر ، وسكنها إلى أن مات بها . وعظم شأنه بها . وصار شيخ المذهب علماً وصلاحاً ، وديانة ورياسة . وانتفع به الناس . وولى بها مشيخة خانقاه سعيد السعدا ، وتدريس المدرسة الصالحية . وولى قضاء القضاة مدة . ثم عزل منه . واعتقل مدة . ثم أطلق ، فأقام بمنزله يدرس بالصالحية ويفتى ، ويقرئ العلم إلى أن توفى .

قال عبيد الأسعردى الحافظ : كان مشهوراً بمكارم الأخلاق ، وحسن الطريقة ، والمناقب المرضية . تفقه بدمشق ، وبغداد . وأفتى ودرس ، وولى قضاء القضاة بالديار المصرية . وكان شيخ الشيوخ بها .

قال البرزالى فى تاريخه: كان حسن السمت وضىء الوجه ، ونيِّر الشيبة . له معرفة بالفقه والأصول . وكان كثير البر والصلة والصدقة ، كثير التواضع والتودد ، وكان مدرساً بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، ثم ولى القضاء ، ثم عزل وحبس مدة بسبب ودائع أكره على أخذها ، أخذت من بيته سنة سبعين ، واعتقل سنتين ثم أفرج عنه . ولزم بيته يدرس ويفتى ويقرىء ويتعبد ، إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

وقال الذهبي : استوطن مصر بعد الأربعين ، ورأس بها فى مذهب أحمد .
وصار شيخ الإقليم فى الأيام الظاهرية ، وكان إماماً محققاً ، كثير الفضائل ، صالحاً خيراً ، حسن السيرة ، مليح الشكل ، كثير النفع والمحاسن .

وقال القطب اليونيني : كان من أحسن المشايخ صورة ، مع الفضائل الكثيرة التامة ، والديانة المفرطة ، والكرم وسعة الصدر ، وأظنه جعفرى النّسب ، وهو أول من درس بالمدرسة الصالحية للحنابلة . وأول من ولى قضاء القضاة منهم بالديار المصرية . وتولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة مدة . وكان كامل الأدوات ، سيدا صدرا من صدور الإسلام وأئمتهم ، متبحراً فى العلوم ، مع الزهد الخارج عن الحد ، واحتقار الدنيا ، وعدم الالتفات إليها . وكان الصاحب بهاء الدين — يعنى ابن حنا — يتحامل عليه ، ويغرى الملك الظاهر به ؛ لما عنده من الأهلية لكل شىء من أمور الدنيا والآخرة . وهو لا يلتفت إليه ، ولا يخضع له .

حدث بالكثير . وسمع منه الكبار ، منهم : الدمياطى ، والحارثى ، وعبيد الاسعردى ، والشريف أبو القاسم الحسينى الحافظ ، وعبد الكريم الحلبى .

توفى يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ست وسبعين وستمائة بالقاهرة . ودفن من الغد بالقرافة ، عند عمه الحافظ عبد الغنى . وكان الجمع متوفرا . رحمه الله تعالى .

٤٠٧ — يحيى بن أبى منصور بن أبى الفتح بن رافع بن على بن إبراهيم الحرانى ، الفقيه المحدث المعمر ، جمال الدين ، أبو زكريا بن الصيرفى . ويعرف بابن الجيشى أيضاً ، نزيل دمشق .

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بحران .

وسمع بها من الحافظ عبد القادر الرهاوى ، والخطيب فخر الدين وغيرهما .
وكان قد سمع من حماد الحرانى . ولكن لم يظهر سماعه منه .

ورحل إلى بغداد سنة سبع وستمائة . فسمع من ابن طبرزد ، وابن الأخضر ،

وأحمد بن الدبيقى ، وعبد العزيز بن منينا ، وعلى بن محمد الموصلى . وثابت بن مشرف ، وأبى البقاء العكبرى ، ومحمد بن على القبيطى ، وغيرهم .

وسمع بدمشق من أبى اليمن الكندى ، وابن ملاعب ، وابن الحرستانى ، والشيخ موفق الدين ، وغيرهم .

وسمع بالموصل من جماعة . وقرأ بنفسه . وكتب بخطه الأجزاء والطباق .

وأخذ الفقه بدمشق عن الشيخ موفق الدين ، و ببغداد عن أبى بكر بن غنيمة بن الحلاوى ، وأبى البقاء العكبرى ، والفخر إسماعيل ، وغيرهم .

وأخذ العربية عن أبى البقاء . وقرأ عليه جميع كتابه « التبيان فى إعراب القرآن » وأقام ببغداد مدة فى رحلته الثانية إليها . وتزوج بها . وولد له . وكتب الكثير بخطه من الفوائد والنكت . وجمع وصنف ، وعلق فوائد وغرائب حسنة . وأفتى وناظر ودرس . وجالس بحران الشيخ مجد الدين وفقه . وكان ذا عبادة وديانة .

قال البرزالى فى تاريخه : كان من الشيوخ والفقهاء المتعبدين والمعتبرين فى مذهبه ، كثير الديانة والتعبد . وأشغل الناس وأفاد ، وانتفع به .

وقال الذهبى : برع فى المذهب ، ودرس وناظر ، وتخرج به الأصحاب . وكان لطيف القدر جداً ، ضخم العلم والعمل ، صاحب تعبد وأوراد وتهجد .

قرأت بخط الشيخ شمس الدين بن الفخر : كان إماماً كبيراً مفتياً . أفتى ببغداد ، وحران ، ودمشق . وله مناقب جمة .

منها : قيام الليل فى معظم عمره . كان يقوم فى وقت والله يعجز الشباب عن ملازمته ، وهو جوف الليل . يجتهد فى إمرار ذلك ، وسائر عمل التقرب .

ومنها : سخاء النفس ، وحسن الصحبة ، والتعصب فى حق صاحبه بدعائه واجتهاده وتضرعه ، ومساعدته بجاهه وحرمته .

ومنها التعصب فى السنة والمغالاة فيها ، وقمع أهل البدع ، ومجانبتهم ومنابذتهم

ومنها: قول الحق ، وإنكار المنكر على من كان ، لم يكن عنده من المداهنة والمراءاة شيء أصلا ، يقول الحق ويصدع به .

لقى الكبار : كالسامرى ، مصنف المستوعب ، والشيخ أبي البقاء ، والشيخ الموفق . وكان حسن المناظرة والمحاضرة ، حلو العبارة ، عالى الإسناد ، له مختصران ، ومجاميع حسنة .

قال الذهبي : كان له حلقة بجامع دمشق . وتخرج به جماعة . وروى الكثير . حدث بجامع الترمذى ، وبمعالم السنن للخطابى ، وأشياء كثيرة .

قلت : له تصانيف عدة ، منها : كتاب « نوادر المذهب » فيها قواعد عربية . وكتاب « دعائم الإسلام فى وجوب الدعاء للامام » كتبه للمستنصر ، و « انتهاز الفرص فيمن أفتى بالرخص » جزء ، جزء فى « عقوبات الجرائم » كتبه للافتخار الحرانى والى دمشق . وكان له به اختصاص . وكان صالحا عادلا . وله جزء فى « آداب الدعاء » .

وسمع منه الحافظ الدمياطى ، وذكره فى معجمه ، والحافظ الحارثى . وأظنه أخذ عنه العلم أيضاً ، والشيخ على الموصلى ، وابن أبى الفتح البعلى ، والقاضى سليمان بن حمزة ، والشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وأبو الحسن بن العطار وخلق . وحدثنا عنه محمد بن إسماعيل بن الخباز . وكان قد عمر وتغير من الهرم قبل موته بعامين أو أكثر . فحجبه ولده .

ذكره الذهبى . وروى عنه بالإجازة .

وتوفى عشية الجمعة رابع صفر سنة ثمان وسبعين وستمائة بدمشق . ودفن يوم السبت بمقبرة باب الفراديس . رحمه الله تعالى .

قال اليونينى : كانت له جنازة مشهودة جداً .

٤٠٨ ـ إسحاق بن إبراهيم بن يحيي الشقراوى ، القاضى ، صفى الدين : أبو محمد .

ولد بشقرا من ضياع زُرا ـ المعروفة بزرع ـ سنة خمس وستمائة.

وسمع من موسى بن عبد القادر، والشيخ موفق الدين، وأحمد بن طاوس، وابن الزبيدى، وجماعة.

وتفقه. وحدث. وولى الحكم بزرع نيابة عن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر. وكان فقيها فاضلا، حسن الأخلاق.

قال الذهبي: كان رجلا خيرا فقيها، حُفظة للنوادر والأخبار. ولى قضاء زرع مدة. وأعاد بمدرستها.

توفى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وستمائة. ودفن بسفح قاسيون. رحمه الله تعالى.

٤٠٩ ـ عبد الله بن إبراهيم بن محمود بن رفيعا الجزرى، المقرىء الفرضى، نزيل الموصل. وأبو محمد. ويلقب ضياء الدين.

قرأ بالسبع على علي بن مفلح البغدادى نزيل الموصل. وأخذ الحروف عن أبى عمرو بن الحاجب، وأبى عبد الله الفاسى، والسديد عيسى بن أبى الحزم. وسمع الحديث من جماعة.

وصنف تصانيف فى القراءات. ونظم فى القراءات وغيرها، وفى الفرائض قصيدة معروفة لامية، وكان شيخ القراء بالموصل. قرأ عليه ابن خروف الموصلي الحنبلى، وأكثر عنه، وسمع منه «الأحكام» للشيخ مجد الدين ابن تيمية عنه. وأجاز لشيخنا على بن عبد الصمد بن أبى الجيش غير مرة.

وتوفى فى سادس جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وستمائة بالموصل رحمه الله.

٤١٠ ـ عبد الساتر بن عبد الحميد بن محمد بن أبى بكر بن ماضى المقدسى الفقيه، تقى الدين، أبو محمد.

سمع من موسى بن عبد القادر ، وابن الزبيدى ، والشيخ موفق الدين وغيرهم .

وتفقه على التقى بن العز ، ومهر فى المذهب ، وعنى بالسنة . وجمع فيها . وناظر الخصوم وكفَّرهم . وكان صاحب جرأة ، وتحرق على الأشعرية ، فرموه بالتجسيم .

قال الذهبى : ورأيت له مصنفا فى الصفات . فلم أر به بأساً . قال : وكان منابذا للحنابلة . وفيه شراسة أخلاق ، مع صلاح ودين يابس .

توفى فى ثامن شعبان سنة تسع وسبعين وستمائة عن نيف وسبعين سنة رحمه الله .

قلت : حدثنا عنه ابن الخباز ، وعن إسحاق بن الشقراوى المتقدم ذكره .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصارى أخبرنا عبد الساتر بن عبد الحميد ، وإسحاق بن إبراهيم قالا : حدثنا الحسين بن الزبيدى أنبأنا أبو الوقت أنبأنا الداودى أخبرنا الحموى أخبرنا الفربرى حدثنا البخارى قال : حدثنا المكى بن إبراهيم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال « كنا نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب » .

وفى حادى عشرين رمضان سنة تسع وسبعين أيضاً : توفى الفقيه شمس الدين أبو عبد الله : —

٤١١ — محمد بن داود بن إلياس البعلى الحنبلى ، ودفن بظاهر بعلبك .

ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وسمع من الشيخ موفق الدين ، وابن المنى ، وطائفة ، وخدم الشيخ الفقيه اليونينى مدة .

قال القطب ابن اليونينى : سمع من حنبل ، والكندى ، وابن الزبيدى ، ورحل إلى البلاد للسماع ، وخدم والدى مدة ، وقرأ عليه القرآن ، واشتغل عليه ، وحفظ « المقنع » وعرف الفرائض .

وكان ذا ديانة وافرة ، وصدق ، وأمانة ، وتحرّ فى شهاداته وأقواله ، وحدث بمسموعاته .

٤١٢ ـ عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن أبى نصر بن عبد الله بن عبد الباقى بن عكبر الزاهد بن عبد الخالق بن محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن منصور بن سالم بن تميم بن أبى نصر بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب . هكذا رأيت نسبه ، وفيه نظر ، والله أعلم ، البغدادى ، العَكبرىّ ، الفقيه المفسر الأصولى ، الواعظ ، جلال الدين أبو محمد .

ولد سنة تسع عشرة وستمائة ببغداد .

ونسبه الذهبى فى المشتبه : عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن عبد الباقى ابن عكبر بن مهلهل بن عكبر العكبرى ، ـ بفتح العين ـ البغدادى ، شيخ الحنابلة ، وشيخ الوعاظ فى زمانه ، صنف التفسير وكتاب « إيقاظ الوعاظ » وكتاب « المقدمة فى أصول الفقه » .

وسمع من ابن اللتى ، والقاضى أبى صالح الجيلى ، وأحمد بن يعقوب بن المارستانى ، ومحمد بن أبى السهل الواسطى ، وأحمد بن عمر القادسى ، وغيرهم .

واشتغل بالفقه والأصول ، والتفسير ، والوعظ ، وبرع فى ذلك ، وله النظم والنثر ، والتصانيف الكثيرة ، منها : تفسير القرآن فى ثمان مجلدات ، ودرس بالمستنصرية .

قال شيخنا بالإجازة صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، فى حقه : شيخ الوعاظ ببغداد ، ومتقدمهم . كان فى صباه خياطاً ، واشتغل بالطب مدة ، ثم رتب فقيهاً بالمستنصرية ، واشتغل بالفقه والتفسير ، وطالع . وكان يجلس للوعظ بمجلس القاعُوس بدرب الحب ، ثم اختير فى أواخر زمن الخليفة للوعظ بباب بدر ، تحت منظرة الخليفة ، ولم يزل على ذلك إلى واقعة بغداد ، واستؤسر فاشتراه بدر الدين صاحب الموصل ، فحمله إلى الموصل فوعظ بها ، ثم حدّره إلى

بغداد ، فرتب مدرساً للحنابلة بالمدرسة المستنصرية ، ولم يزل يعقد مجالس الوعظ في الجمعات بجامع الخليفة إلى أن توفي ، وله تفسير الكتاب الكريم ، ومسائل خلاف ، وأربعون حديثاً تكلم عليها ، وله مسموعات كثيرة ومجازات .

قلت : سمع منه جماعة ، منهم : نسيبه نصير الدين أحمد بن عبد السلام ابن عكبر .

وروى عنه بالإجازة جماعة من شيوخنا ، منهم : صفي الدين عبد المؤمن المذكور في مشيخته . وقال : توفي يوم الإثنين سابع عشرين شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ودفن في دويرة له مجاور مسجد ابن بورنداز . وكان يوماً مشهوداً ، رحمه الله تعالى .

٤١٣ — عبد الله بن أبي بكر بن أبي البدر محمد ، الحربي البغدادي الفقيه ، الفقير ، الزاهد القدوة ، بقية شيوخ العراق . ويعرف بكتيلة ، ووجدت في طبقته : سماع أبيه أبي بكر بن أبي البدر من درة بنت الحلاوي . وأنه يعرف بكتيلة .

ولد الشيخ عبد الله سنة خمس وستمائة .

وسمع الحديث بدمشق من الحافظ الضياء المقدسي ، وسليمان الأسعردي . وأجاز له الشيخ موفق الدين . وتفقه في المذهب ببغداد على القاضي أبي صالح . وارتحل .

وتفقه بحران على الشيخ مجد الدين ابن تيمية ، وابن تميم صاحب « المختصر » وبدمشق على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وغيره . وبمصر على أبي عبد الله ابن حمدان ، ونقل عنهم فوائد ، وشرح كتاب « الخرقي » وسماه « المهم » وله تصانيف أخر ، منها : مجلد في أصول الدين ، سماه « العدة للشدة » وله مصنف في السماع .

وحدث وسمع منه عبد الرزاق بن الفوطي ، وغيره .

وكان قدوة زاهداً عابداً ذا أحوال وكرامات . وكان أرباب الدولة وغيرهم

يعظمونه ويحترمونه ، وله أتباع وأصحاب ، وصحب الشيخ أحمد المهندز وغيره من الصالحين ، وحكى عنه أبو عبد الله بن الدباهى الزاهد .

قال الذهبي : حدثنا ابن الدباهى عن الشيخ : أنه ـ مع جلالته ـ كان فى بعض الأوقات يترنم ويغنى لنفسه ، وأنه كان فيه كيس وظرف وبشاشة ، وقال : سمعته يقول : كنت على سطح ببغداد يوم عرفة ، وأنا مستلق على ظهرى ، قال : فما شعرت إلا وأنا واقف بعرفة مع الركب سويعة ، ثم لم أشعر إلا وأنا على حالتى الأولى مستلق ، قال : فلما قدم الركب جاءنى إنسان صارخاً ، فقال : ياسيدى ، أنا قد حلفت بالطلاق : أنى رأيتك بعرفة العام ، وقال لى واحد وجماعة : أنت واهم ، الشيخ ماحج فى هذا العام ، قال: فقلت له : امض ، لم يقع عليك طلاق[1]

توفى رحمه الله يوم الجمعة منتصف رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة ببغداد ، رحمه الله ، وهو فى عشر الثمانين .

٤١٤ ـ يوسف بن جامع بن أبى البركات البغدادى القفصى الضرير ، المقرىء ، النحوى الفرضى ، جمال الدين ، أبو إسحاق .

ولد سابع رجب سنة ست وستمائة بالقفص ، من قرى دجيل ، من أعمال بغداد . وقرأ القرآن بالروايات على أبى عبد الله محمد بن سالم صاحب البطائحى ، وعلى بن الحسين اليوسفى ، صاحب أبى طالب العكبرى ، وغيرهم .

وسمع الحديث من عمر بن عبد العزيز بن الناقد ، وأخته تاج النساء عجيبة ، وأجاز له عبد العزيز بن منينا ، وريحان بن تيكان ، وأبو منصور بن عقبجة ،

---

(١) هذه أوهام تغلب على المتعبدين من استيلاء الأحوال المبتدعة التى ليست على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة الهدى من بعدهم ، ويفرح بها الشيطان وحزبه ، ويشيعونها فى الدهماء على أنها حقائق لترويج البدع والخرافات الجاهلية ، وقد برأ الله الصحابة وأئمة الهدى من ذلك .

والشرف الخالصى ، وعبد اللطيف بن القبيطى ، وزكريا العلثى ، وطائفة .

وبرع فى العربية والقراءة والفرائض ، وغير ذلك . وانتفع الناس به فى هذه العلوم . وصنف فيها التصانيف

قال شيخنا بالإجازة صفى الدين عبد المؤمن فى مشيخته : شيخ عالم بالقراءة والعربية من مشايخ القراء . وصنف فى القراءات وغيرها . وله قصيدة فى التجويد وشروحه . وشرح كتاب « التلقين » لأبى البقاء العكبرى فى النحو . وله مصنفات غير ذلك .

قال إبراهيم الجعبرى : جَمَّاعة لعلوم القرآن . قرأت عليه « المصباح » فى القراءات . ورواة التذكرة . ووقف ابن الأنبارى ، و« اللباب » عن مؤلفه أبى البقاء

ثم رحل إلى الشام ، فقرأ على العلم المايوقى شرح « المفصل » و « الجزولية » و « الشاطبية » وصنف « الشافى » فى العشرة ، وأرجوزة وغيرهما .

وقال أبو العلاء الفرضى فى معجمه : كان شيخا فقيها عالماً ، إماماً فاضلا ، مقرئاً ، عارفاً بروايات السبعة والشواذ وعللها ، جامعاً للعلوم ، وله فى ذلك تصانيف كثيرة .

وقال الشريف عز الدين الحافظ : متفنن ، له معرفة باللغة العربية ، ووجوه القراءات ، وطرق القراء . وله فى ذلك تصانيف تدل على فضله .

وقال الذهبى فى تاريخه : كان مقرىء بغداد ، عارفا باللغة والنحو ، بصيراً بعلل القراءات ، متصديا لإقرائها ، ودخل دمشق ومصر ، وسمع من شيوخها ،

وقال فى الطبقات : كان عارفا باللغة والنحو ، جم الفضائل ، وكان لايتقدمه أحد فى زمانه فى الإقراء . أخذ عنه على بن أحمد بن موسى الجزرى .

وسمع منه أبو العلاء الفرضى ، وأحمد بن القلانسى .

وحدثنى البرزالى : أنه قدم دمشق فى الكهولة ، وقرأ ختمة السبعة فى نحو ثمانية أيام على العلَم القاسم بن أحمد ، وإنما قصد اتصال طريق التيسير له ، وإلا فشيوخه أسند من العلَم.

قلت : أجاز لغير واحـد من شيوخنا ، كالعلم البرزالى ، وعبـد المؤمن بن عبد الحق ، وعلى بن عبد الصمد .

وتوفى يوم الجمعة تاسع عشرين ـ أو يوم السبت سلخ صفر ـ سنة اثنين وثمانين وستمائة ببغداد ، وصلى عليه يوم السبت ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

٤١٥ ـ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى ، الجماعيلى الأصل الصالحى ، الفقيه الامام ، الزاهد الخطيب ، قاضى القضاة ، شيخ الإسلام ، شمس الدين ، أبو محمد ، وأبو الفرج ، ابن الشيخ أبى عمر .

ولد فى المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالدير بسفح قاسيون .

وسمع من أبيه ، وعمه الشيخ موفق الدين ، و بإفادتهما من عمر بن طبرزد ، وحنبل ، وأبى اليمن الـكندى ، وأبى القاسم بن الحرستانى ، وابن ملاعب ، وجماعة . أوجاز له الصيدلانى ، وابن الجوزى ، وجماعة ثم سمع بنفسه من أصحاب السلفى . وقرأ الناس على ابن الزبيدى ، وابن اللتى وجماعة . وعنى بالحديث وكتب بخطه الأجزاء والطباق .

وتفقه على عمه شيخ الإسلام موفق الدين . وعرض عليه كتاب « المقنع » وشرحه عليه . وأذن له فى إقرائه ، و إصلاح ما يرى أنه يحتاج إلى إصلاح فيه . ثم شرحه بعده فى عشر مجلدات . واستمد فيه من « المغنى » لعمه .

وأخذ الأصول عن السيف الآمدى . ودرس وأفتى . وأقرأ العلم زمانا طويلا وانتفع به الناس ، وانتهت إليـه رياسة المذهب فى عصره ، بل رياسة العـلم فى زمانه .

وكان معظما عند الخاص والعام ، عظيم الهيبة لدى الملوك وغيرهم ، كثير الفضائل والمحاسن ، متين الديانة والورع .

وقد جمع المحدث إسماعيل بن الخباز ترجمته وأخباره فى مائة وخمسين جزءاً ، و بالغ ، و بقى كلما أثنى عليه بنعت من الفقه ، أو الزهد ، أو التواضع : سرد ماورد

فى ذلك بأسانيده الطويلة الثقيلة ، ثم تحول إلى ذكر شيوخه ، فترجمهم ، ثم إلى ذكر الإمام أحمد ، فأورد سيرته ومحنته كلها ، كما أوردها ابن الجوزى ، ثم أورد السيرة النبوية ، لكونه من أمة النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ الذهبى : وما رأيت سيرة عالم أطول منها أبداً .

وقال الذهبى فى معجم شيوخه ، فى ترجمة الشيخ شمس الدين : شيخ الحنابلة ، بل شيخ الإسلام ، وفقيه الشام ، وقدوة العباد ، وفريد وقته . من اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه . حدث نحواً من ستين سنة . وكتب عنه أبو الفتح ابن الحاجب .

وقال : سألت عنه الحافظ محمد بن عبد الواحد ـ يعنى الضياء ـ فقال : إمام عالم ، خير دين .

قال الذهبى : وكان الشيخ محيى الدين ـ يعنى النووى ـ يقول : هذا أجل شيوخى .

وأول ماولى : مشيخة دار الحديث سنة خمس وستين . حدث عنه بها فى حياته

قلت : وروى عنه الشيخ محيى الدين فى كتاب « الرخصة فى القيام » له .

وقال : حدثنا الشيخ الإمام العالم المتفق على إمامته وفضله وجلالته : الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام العالم ، العامل الزاهد أبى عمر المقدسى رضى الله عنه .

قال الذهبى : وروى عنه أيضاً الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم ، وهو أكبر منه وأسند . وذكره فى تاريخه الكبير . وأطال ترجمته . وذكر فضائله وعبادته وأوراده ، وكرمه ونفعه العام ، وأنه حج ثلاث مرات . فكان آخرها : قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يطلبه ، فحج ذلك العام . وحضر الفتوحات ، وأنه كان رقيق القلب ، سريع الدمعة ، كريم النفس ، كثير الذكر لله ، والقيام بالليل ، محافظا على صلاة الضحى . ويصلى بين العشاءين ما تيسر ، ويؤثر بما يأتيه من صلة الملوك وغيرهم . وكان متواضعاً عند العامة ،

مترفعاً عند الملوك . وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الدين . وأوقع الله محبته فى قلوب الخلق . ولم يكن فى زمانه من يصلى أحسن منه ، ولا أتم خشوعا . وكان كثير الدعاء والابتهال ، لا سيما فى الأماكن المرجو فيها الإجابة ، و بعد قراءة آيات الحرس بالجامع بعد العشاء ، كثير الاهتمام بأمور الناس ، لايكاد يعلم بمريض إلا افتقده ، ولا مات أحد من أهل الجبل إلا شيعه .

وذكر فخر الدين البعلبكى : أنه منذ عرفه ما رآه غضب ، وعرفه نحو خمسين سنة .

وقد ولى القضاء مدة تزيد على اثنى عشرة سنة ، على كره منه . ولم يتناول معلوما . ثم عزل نفسه فى آخر عمره . و بقى قضاء الحنابلة شاغرا مدة ، حتى ولى ولده نجم الدين فى آخر حياة الشيخ . وكان الشيخ نزل فى ولايته للحكم على بهيمة إلى البلد .

وقد ذكر أبو شامة فى ذيله : ولاية الشيخ سنة أربع وستين ، قال: جاء من مصر ثلاثة عهود بقضاء القضاة لثلاثة من القضاة : ابن عطاء ، والزواوى ، وابن أبى عمر . فلم يقبل المالكى والحنبلى ، وقبل الحنفى . ثم ورد الأمر بإلزامهما بذلك ، وقيل : إن لم يقبلاها و إلا يؤخذ ما بأيديهما من الأوقاف . ففعلا ، وامتنعا من أخذ جامكية ، وقالا : نحن فى كفاية ، فأعفيا منها .

وذكر الذهبى عن أبى إسحاق اللوزى المالكى ـ وكان شيخ المالكية ، ومن أهل العلم والدين والحديث ـ أنه قال : كان شيخنا شيخ الإسلام شمس الدين قدوة الأنام ، حسنة الأيام ، ممن تفتخر به دمشق على سائر البلدان ، بل يزهو به عصره على متقدم العصور والأزمان ، لما جمع الله له من المناقب والفضائل التى أوجبت للأواخر الافتخار على الأوائل .

منها : التواضع ، مع عظمته فى الصدور ، وترك التنازع فيما يفضى إلى التشاجر والنفور ، والاقتصاد فى كل ما يتعاطاه من جميع الأمور ، لا عجرفة فى كلامه

ولا تقعر ، ولا تعظم فى مشيته ولا تبختر ، ولا شطط فى ملبسه ولا تكثر ، ومع هذا فكانت له صدور المجالس والمحافل ، وإلى قوله المنتهى فى الفصل بين العشائر والقبائل ، مع ما أمده الله عليه من سعة العلم ، وفطره عليه من الرأفة والحلم . وكان لايوفر جانبه عمن قصده ، قريباً كان أو أجنبياً . ولا يدخر شفاعته عمن اعتمده ، مسلماً كان أو ذمياً . ينتاب بابه الأمراء والملوك . فيساوى فى إقباله عليهم بين المالك والملوك .

ولى الشيخ قضاء القضاة فى جمادى الأولى سنة أربع وستين على كره منه . وكان الشيخ رحمه الله رحمة على المسلمين ، ولولاه لراحت أملاك الناس لما تعرض إليها السلطان . فقام فيها قيام المؤمنين وأثبتها لهم . وعاداه جماعة الحكام ، وعملوا فى حقه المجهود . وتحدثوا فيه بما لايليق . ونصره الله عليهم بحسن نيته . ويكفيه هذا عند الله .

وقال البرزالى فى تاريخه : كان الشيخ شيخ الوقت ، وبركة العصر . ولى الحكم والخطابة ، والمشيخة والتدريس مدة طويلة ، ومراده خطابة الجبل ومشيخة دار الحديث الأشرفية به .

وقال اليونينى فى تاريخه : شيخ الإسلام ، علما وزهدا وورعا ، وديانة وأمانة ، كبير القدر ، جم الفضائل . انتهت إليه الرياسة فى الفقه على مذهب الإمام أحمد ، وشرح كتاب « المقنع » لعمه الشيخ موفق الدين ، وإن كان معظم الشرح مأخوذ من كلام عمه . وكانت له اليد الطولى فى معرفة الحديث ، والأصول والنحو وغير ذلك من العلوم الشرعية ، مع العبادة الكثيرة ، والتواضع واللطف بكرم الأخلاق ، ولين الجانب ، والإحسان إلى القريب والبعيد ، والاحتمال . وولى قضاء القضاة مكرها . وباشر ذلك مدة . ثم عزل نفسه ، وامتنع من الحكم ، وبقى متوفراً على العبادة والتدريس ، وإشغال الطلبة والتصنيف . وكان أوحد زمانه فى تعدد الفضائل ، والتفرد بالمحامد ، ولم يكن له نظير فى خُلقه ورياضته وما هو عليه ،

وانتفع به خلق كثير . وكان على قدم السلف الصالح فى معظم أحواله .

اشتغل على الشيخ شمس الدين رحمه الله خلق كثير .

وممن أخذ عنه العلم : الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، والشيخ مجد الدين إسماعيل ابن محمد الحرانى ، وكان يقول : ما رأيت بعينى مثله .

وحدث بالكثير . وخرج له أبو الحسن ابن اللبان مشيخة فى أحد عشر جزءاً . وأخرج له الحافظ الحارثى أخرى . وحدث بهما .

وروى عنه خلق كثير من الأئمة والحفاظ ، منهم : الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وأبو محمد الحارثى ، وأبو الحسن بن العطار ، والمزى ، والبرزالى .

وحدثنا عنه جماعة ، منهم : داود بن العطار أخو أبى الحسن ، وأبو عبد الله ابن الخباز ، وأحمد بن عبد الرحمن الحريرى ، وغيرهم .

وتوفى ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، ودفن من الغد عند والده بسفح قاسيون . وكانت جنازته مشهودة ، حضرها أمم لا يحصون ويقال : إنه لم يسمع بمثلها من دهر طويل .

قال الذهبي : ورأيت وفاة الشيخ شمس الدين بن أبى عمر بخط شيخنا شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية . فمن ذلك : توفى شيخنا الإمام ، سيد أهل الإسلام فى زمانه ، وقطب فلك الأنام فى أوانه ، وحيد الزمان حقاً حقاً ، وفريد العصر صدقاً صدقاً ، الجامع لأنواع المحاسن، والمعافى البرىء عن جميع النقائص والمساوى ، القارن بين خلتى العلم والحلم ، والحسب والنسب ، والعقل والفضل ، والخلق والخلق ، ذى الأخلاق الزكية ، والأعمال المرضية ، مع سلامة الصدر والطبع ، واللطف والرفق ، وحسن النية ، وطيب الطوية ، حتى إن كان المتعنت ليطلب له عيبا فيعوزه ـ إلى أن قال ـ وبكت عليه العيون بأسرها ، وعم مصابه جميع الطوائف ، وسائر الفرق . فأى دمع ما انسجم ، وأى أصل ماجُذم ، وأى ركن ما هدم ، وأى فضل ما عدم ؟! يا له من خطب ما أعظمه ، وأجل ما أقدره ، ومصاب ما أفحمه ؟ وأكبر ذكره .

وبالجملة: فقد كان الشيخ أوحد العصر فى أنواع الفضائل، بل هذا حكم مسلم من جميع الطوائف . وكان مصابه أجل من أن تحيط به العبارة ، فرحمه الله ورضى عنه ، وأسكنه بحبوحة جنته ، ونفعنا بمحبته . إنه جواد كريم . انتهى .

وقد رثاه نحو ثلاثين شاعراً ، منهم الشهاب محمود ، وكان من تلامذته ، فقال:

ماللوجود ، وقد علاه ظلام ؟ ... أعراه خطب أم عداه مرام ؟
أم قد أصيب بشمسه فقداً ؟ وقد ... لبست عليه حدادها الأيام
لم أدر: هل نبذ الظلام نجومه ؟ ... أم حل للفلك الأثير نظام ؟
أترى درى صرف الردى لما رمى ... أن المصاب بسهمه الإسلام ؟
أو أنه ماخص بالسهم الذى ... أصمى به دون العراق الشام
سهم تقصد واحداً فغدا وفى ... كل القلوب لوقعه آلام
ماخلت أن يد المنون لها على ... شمس المعارف والهدى إقدام
من كان يستسقى بغرة وجهه ... إن عاد وجه الغيث وهو جهام
وتنير للسارى أسِرَّةُ فضله ... فكأنما هى للهدى أعلام
كانت تطيب لنا الحياة بأنسه ... وبقربه . فعلى الحياة سلام
كانت ليالينا بنور بقائِه ... فينا تضىء كأنها أيام
من للعلوم ؟ وقد علت وغلت به ... أضحت تسامى بعده وتسام
من للحديث ؟ وكان حافظ سربه ... من أن يضم إلى الصحاح سقام
وله إذا ذكر العلوم مراتب ... تسمو فتقصر دونها الأوهام
يروى فيُروِى كل ذى ظمأ له ... يحمى الحديث تعلق وهيام
من للقضايا المشكلات إذا نبت ... عنها العقول وحارت الأفهام ؟
هل للفتاوى من إذا وافى بها ... قضى القضاء وجفت الأقلام ؟
من للمنابر وهو فارسها الذى ... تحيى القلوب به وهن رمام ؟
وله إذا أمَّ الدروس مواقف ... مشهودة مالها من إمام

ولديه فى علم الكلام جواهر غرر يحير بحسنها النظام
من للزمان ؟ وكان طول حياته لليل يحيي والهجير يصام
وذوو الحوائج ماأتوه لحادث إلا ونالوا عنده ماراموا

وهى طويلة . ومما أفتى به الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، ونقلته من خطه فى رجل استأجر أرض قرية فى زمن الأمن ، ثم وقع فيها الخوف من الإفرنج ، وتعذر عليه زرع أكثر أراضيها بسبب الخوف : أنه يجوز له الفسخ بذلك . ووافقه عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعى . وهو أبو شامة ، وكذلك على الشافعى ، ولا أعرف من هو .

وأفتى أيضاً فى وقف على جماعة مقربين فى قرية ، حصل لهم حاصل من فعل القرية ، فطلبوا أن يأخذوا ما استحقوه عن الماضى — وهو سنة خمس مثلاً — فهل يصرف إليهم الناظر بحساب سنة خمس الهلالية ، أو بحساب سنة المغل ؟ مع أنه قد نزل بعد هؤلاء المتقدمين جماعة ، وشاركوهم فى حساب سنة المغل ، فإن أخذ أولئك على حساب السنة الهلالية لم يبق للمتأخرين إلا شيء يسير .

أجاب هو ، وأبو شامة ، وابن رزين الشافعى ، وسليمان الحنفى : لا يحسب إلا بسنة المغل دون الهلالية .

٤١٦ — عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد ابن الخضر ابن تيمية الحرانى ، نزيل دمشق ، الشيخ شهاب الدين أبو المحاسن ، وأبو أحمد بن الشيخ مجد الدين أبى البركات ، وقد سبق ذكر أبيه ، وهو والد شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس .

ولد سنة سبع وعشرين وستمائة بحران .

وسمع من والده وغيره . ورحل فى صغره إلى حلب ، وسمع بها من ابن اللتى وابن رواحة ، ويوسف بن خليل ، ويعيش النحوى . وقرأ العلم على والده ، وتفنن فى الفضائل .

قال الذهبي : قرأ المذهب حتى أتقنه على والده ، ودرس وأفتى وصنف ، وصار شيخ البلد بعد أبيه ، وخطيبه وحاكمه . وكان إماماً محققاً لما ينقله ، كثير الفوائد ، جيد المشاركة فى العلوم ، له يد طولى فى الفرائض ، والحساب والهيئة ، وكان ديناً متواضعاً ، حسن الأخلاق جواداً ، من حسنات العصر ، تفقه عليه ولداه : أبو العباس ، وأبو محمد ، وحدثنا عنه على المنبر ولده ، وكان قدومه إلى دمشق بأهله وأقاربه مهاجراً سنة سبع وستين .

قال : وكان الشيخ شهاب الدين من أنجم الهدى . وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس ، يشير إلى أبيه وابنه ، فإن فضائله وعلومه انغمرت بين فضائلهما وعلومهما .

وقال البرزالى : كان من أعيان الحنابلة ، عنده فضائل وفنون ، وباشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعيين ، وبها كان يسكن . وكان له كرسى بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه ، ولما توفى خلفه فيها ولده أبو العباس

وله تعاليق وفوائد ، وصنف فى علوم عديدة .

توفى رحمه الله ليلة الأحد ، سلخ ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، ودفن بدمشق من الغد بسفح قاسيون .

٤١٧ — مظفر بن أبى بكر بن مظفر بن على الجوسقى ، ثم البغدادى ، الفقيه الأصولى النظار ، تقى الدين أبو اليامن . ويعرف بالحاج .

ولد فى مستهل رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وسمع من أبى الفضل محمد بن محمد بن الحسن السباك .

وتفقه وبرع فى المذهب والخلاف والأصول ، وناظر وأفتى ، ودرس بالمدرسة البشيرية لطائفة الحنابلة . وكان من أعيان الفقهاء وأئمة المذهب .

قال عبد الرزاق بن الفوطى: سمعت شيخنا الإمام أبا حامد محمد بن المطرزى — لما قدم من بغداد إلى مراغة ، وقد سئل عمن بقى ببغداد من الأئمة ؟ — فقال : لم

أعرف بها فاضلا فقيها عالما بالأصول والفروع ، غير تقى الدين الجوسقى . قال : وكفاك شهادة مثل هذا الكامل لهذا الفاضل .

وحدث . وسمع منه القلانسى، والفرضى . وأجاز لشيخنا على بن عبد الصمد .

وتوفى فى آخر نهار السبت رابع عشرين ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وصلى عليه من الغد بالبشيرية . ودفن بحضرة قبر الإمام أحمد إلى جانب الشيخ عبد الصمد . رحمهم الله تعالى .

٤١٨ ـ محمد بن عبد الولى بن جبارة بن عبد الولى المقدسى ، الفقيه تقى الدين .

سمع بدمشق من أبى القاسم بن صصرى وغيره ، و ببغداد من أبى الحسن القطيعى وطبقته . وكان فاضلا متقنا صالحا . وهو والد الشيخ شهاب الدين أحمد ابن جبارة الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين وستمائة بسفح قاسيون . ودفن به رحمه الله تعالى .

٤١٩ ـ عبيد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، الفقيه شمس الدين .

ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وسمع من كريمة القرشية ، وغيرها . وتفقه و برع فى المذهب ، وأفتى ودرس . قال اليونينى فى تاريخه : كان من الفضلاء ، الصلحاء الأخيار . سمع الكثير ، وكتب بخطه . وشرع فى تأليف كتاب فى الحديث مرتبا على أبواب الفقه ، ولو تم لكان نافعا .

ورأى بعض الصلحاء فى جبل الصالحية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقد جاء إلى الجبل ، فقال له الرائى : يارسول الله ، فيم جئت إلى هنا ؟ فقال: جئنا نقبس عبيد الله من نورنا .

وكان شيخنا شمس الدين عبد الرحمن - يعنى ابن أبى عمر - يحبه كثيرا ، ويفضله على سائر أهله . وكان أهلا لذلك . ولقد كان من حسنات المقادسة ، كثير الكرم والخدمة والتواضع ، والسعى فى قضاء حوائج الإخوان والأصحاب .

توفى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة ، بقرية جُماعيل ، من عمل نابلس ، ودفن بها . رحمه الله تعالى .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة توفى :-

٤٢٠ - إسماعيل بن إبراهيم بن على الفراء الصالحى بالسفح .

وكان صالحا ، زاهداً ورعا ، ذا كرامات ظاهرة ، وأخلاق طاهرة ، ومعاملات باطنة . صحب الشيخ الفقيه اليونينى .

وكان يقال : إنه يعرف الاسم الأعظم ، رحمه الله تعالى .

٤٢١ - عبد الرحمن بن عمر بن أبى القاسم بن على بن عثمان البصرى ، الفقيه الضرير ، الإمام نور الدين أبو طالب . نزيل بغداد .

ولد يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة بناحية عبدليان ، من قرى البصرة .

وحفظ القرآن بالبصرة سنة إحدى وثلاثين على الشيخ حسن بن دويرة المذكور .

وقدم بغداد . وسكن بمدرسة أبى حكيم ، وحفظ بها كتاب « الهداية » لأبى الخطاب ، وجعل فقيها بالمستنصرية ، ولازم الاشتغال حتى أذن له فى الفتوى سنة ثمان وأربعين .

وسمع ببغداد من أبى بكر الخازن ، ومحمد بن على بن أبى السهل ، والصاحب أبى محمد بن الجوزى ، وغيرهم .

وسمع من الشيخ مجد الدين بن تيمية أحكامه ، وكتابه « المحرر » فى الفقه . وكان بارعاً فى الفقه . وله معرفة فى الحديث والتفسير .

ولما توفى شيخه ابن دويره بالبصرة ولى التدريس بمدرسة شيخه ، وخلع عليه ببغداد خلعة ، وألبس الطرحة السوداء فى خلافة المستعصم سنة اثنين وخمسين .

وذكر ابن الساعى : أنه لم يلبس الطرحة أعمى بعد أبى طالب بن الحنبلى سوى الشيخ نور الدين هذا . ثم بعد واقعة بغداد : طلب إليها ليولى تدريس الحنابلة بالمستنصرية ، فلم يتفق . وتقدم الشيخ جلال الدين بن عكبر ـ الذى سبق ذكره ـ فرتب الشيخ نور الدين مدرسا بالبشيرية . فلما توفى ابن عكبر المذكور نقل إلى تدريس المستنصرية فى شوال سنة إحدى وثمانين .

وله تصانيف عديدة ، منها : كتاب « جامع العلوم فى تفسير كتاب الله الحى القيوم » كتاب « الحاوى » فى الفقه ، فى مجلدين « الكافى » فى شرح الخرقى « الواضح » فى شرح الخرقى ، « الشافى » فى المذهب « مشكل كتاب الشهادات » طريقه فى الخلاف يحتوى على عشرين مسألة .

تفقه عليه جماعة ، منهم : الإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، وسمع منه . وكان يكتب عنه فى الفتاوى ، ثم أذن له فكتب عن نفسه ، وقال عنه : كان شيخنا من العلماء المجتهدين ، والفقهاء المنفردين .

وروى عنه جماعة من شيوخنا بالإجازة . وكانت له فطنة عظيمة ، وبادرة عجيبة .

أنبأنى محمد بن إبراهيم الخالدى ـ وكان ملازما للشيخ نور الدين حتى زوجه الشيخ ابنته ـ قال : عقد مرة مجلس بالمستنصرية المظالم ، وحضر فيه الأعيان ، فاتفق جلوس الشيخ إلى جانب بهاء الدين بن الفخر عيسى ، كاتب ديوان الإنشاء ، وتكلم الجماعة . فبرز الشيخ نور الدين عليهم بالبحث ، ورجع إلى قوله ، فقال له ابن الفخر عيسى : من أين الشيخ ؟ قال : من البصرة . قال : والمذهب ؟ قال : حنبلى . قال : عجباً ! بصرى حنبلى ؟ فقال الشيخ : هذا أعجب

من هذا : كردى رافضى . فخجل ابن الفخر عيسى وسكت . وكان كرديا رافضيا . والرفض فى الأكراد معدوم أو نادر .

توفى الشيخ نور الدين ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة أربع وثمانين وستمائة . ودفن فى دكة القبور بين يدى قبر الإمام أحمد رضى الله عنه .

ومن فوائده : أنه اختار : أن الماء لاينجس إلا بالتغير ، وإن كان قليلا . وفاقا للامام . وأن الترتيب يجب فى التيمم إذا تيمم بضربتين ، ولا يجب إذا تيمم بواحدة . وأن الريق يطهر أفواه الحيوانات والولدان . وأن بنى هاشم يجوز لهم أخذ الزكاة إذا منعوا حقهم من الخمس .

وحكى فى جواز التيمم لصلاة العيد إذا خيف فواتها روايتين .

٤٢٢ — عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن راضى بن الزجاج العلثى ، ثم البغدادى ، الفقيه ، المحدث الزاهد الأثرى ، عفيف الدين أبو محمد ، أحد مشايخ العراق .

ولد فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة وستمائة بالمأمونية ببغداد .

وسمع من عبد السلام بن يوسف العبرتى ، من أصحاب ابن ناصر ، والفتح ابن عبد السلام ، وأحمد بن صرما ، وعلى بن بورنداز ، والقطيعى ، وابن روزبة وابن اللتي ، والكاشغرى ، وابن الخازن ، ونصر بن عبد الرزاق القاضى ، وابن القبيطى ، وابن السباك ، والمبارك بن بيبا ، وأحمد بن الشاذلى ، وغيرهم .

وسمع بماردين من النشتبرى ، وأجاز له من دمشق أبو القاسم بن الحرستاني والافتخار الهاشمى وجماعة ، وعنى بالحديث أتم عناية ، وقرأ بنفسه الكثير ، والعالى والنازل ، وسمع الناس بقراءته ، وكتب بخطه الكثير .

قال أبو العلاء الفرضى : كان شيخنا عالماً ، فقيهاً محدثاً ، مكثراً مفيداً ، زاهداً عابداً ، من بيت الحديث ، تابعاً للسنة ، شديداً على المبتدعة ، ملازماً لقراءة القرآن والعبادة .

وقال محب الدين محمد بن عمر خطيب غرناطة ـ وقد سمع منه ـ فقيه ، نحوى ، لغوى ، مفت ، وأثنى عليه كثيراً .

قال شيخنا ـ بالإجازة ـ صفى الدين عبد المؤمن : كان شيخاً جليلاً ، عالماً ، عارفاً من أجلّ شيوخ الحديث ، ملتزماً بالسنة ، زاهداً ذا فضل وورع ، وأدب وعلم .

وقال البرزالى عنه : محدث بغداد فى وقته ؛ موصوف باتباع السنة ونصرها ، والذبّ عنها .

قال الذهبي : وله أتباع وأصحاب ، يقومون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حدث بالكثير ببغداد و بدمشق .

سمع منه بدمشق الكبار ، كالشيخ على بن النفيس الموصلى ، ومحمود الأرموى ، والمزى، والبرزالى ، والشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وغيرهم .

و ببغداد خلق ؛ منهم : إبراهيم الجعبرى ، والفرضى ، وابن الغوطى، وشيخنا على بن عبد الصمد .

حدثنا عنه ببغداد العفيف محمد بن السابق . شيخ المستنصرية . و بدمشق محمد بن الخباز .

وتوفى بطريق مكة الشامى ، بذات عرق ـ عند عوده من الحج ـ يوم الجمعة وقت الصلاة سابع عشر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة .

وحكى عنه : أنه لما مر على الوادى المذكور متوجها إلى مكة ـ شرفها الله تعالى ـ من دمشق رأى قبور جماعة ماتوا هناك من قبل ، فقرأ واستغفر لهم ، وقال : طوبى لمن دفن معكم ، فتوفى لما عاد ، ودفن معهم ، رحمه الله تعالى .

٤٢٣ ـ خليل بن أبى بكر بن صديق المراغى ، المقرئ الفقيه ، الأصولى القاضى ، صفى الدين أبو الصفاء ، نزيل مصر .

ولد بمراغة سنة بضع وتسعين وخمسمائة .

وقدم دمشق وله نحو عشرين سنة ، فقرأ بها القرآن بالعشرة على ابن تاسونة . وهو آخر من بقى من أصحابه .

وسمع بها من ابن الحرستانى بعض مشيخته ، ولم يظهر ذلك .

وسمع من أبى الفتوح البكرى ، وابن ملاعب ، والعطار ، والشيخ موفق الدين ، وموسى بن عبد القادر ، والشيخ العماد ، وابن أبى لقمة ، وابن البنى والقزوينى ، وابن صصرى ، والزبيدى ، وابن الصباح ، وغيرهم .

وتفقه على الشيخ موفق الدين ، وبرع وأفتى .

وقرأ أصول الفقه على السيف الآمدى ولازمه ، وأقام بدمشق مدة ، ثم توجه إلى الديار المصرية ، فأقام بها إلى أن مات ، وناب فى القضاء بالقاهرة ، فحمدت طرائقه ، وشكرت خلائقه .

قال الذهبى : كان مجموع الفضائل ، كثير المناقب ، متين الديانة ، عارفا بالقرآن بعض المعرفة ، صحيح الأخذ ، بصير بالمذهب ، عالما بالخلاف والطب

قرأ عليه بالروايات : بدر الدين بن الجوهرى ، وأبو بكر الجعبرى ، وجماعة من البصريين .

وسمع منه ابن الظاهرى ، وابنه أبو عمر ، والقاضى أبو محمد الحارثى ، والحافظ المزى ، وأبو حيان ، والحافظ عبد الكريم بن منير ، وخلق سواهم .

وخرج له الحارثى مشيخة ، سمعها منه أبو الحسن محمد بن نباتة .

وقال اليونينى : كان فاضلا ، عارفا بالمذهب .

توفى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة خمس وثمانين وستمائة بالقاهرة . ودفن من الغد بمقابر باب النصر . رحمه الله تعالى .

وفى رجب من هذه السنة توفى الشيخ :ـ

٤٢٤ ــ موفق الدين أبو الحسن على بن الحسين بن يوسف بن الصياد المقرئ الفقيه الحنبلى ، المعدل ببغداد ، ببعض أعمالها ، وكان أحد المعيدين بالمستنصرية .

حدث عن ابن اللتى ، وأجاز لجماعة من شيوخنا ، وأبو العباس أحمد بن سنان ابن تغلب ، المؤدب الصالحى الكاتب ، أحد المسندين فى صفر بقاسيون .

روى عن حنبل ، وابن طبرزد ، والكندى ، والطبقة ، وله نظم جيد ، وكذلك كان أبوه .

وفى آخر السنة توفى :ـ

٤٢٥ ـ أبو الفضل محمد بن محمد بن على بن الزيات البابصرى البغدادى الواعظ ، أحد شيوخ بغداد المسندين .

حدث عن ابن صرما ، والمبارك بن أبى الجود ، والفتح بن عبد السلام ، وغيرهم .

وسمع منه خلق كثير ، منهم الفرضى .

قال : وكان عالماً زاهداً ، عارفاً ، ثقة عدلاً ، مسنداً ، من بيت الحديث والزهد . وعظ فى شبابه ، ثم ترك .

وفى جماى الأولى من السنة توفى :ـ

٤٢٦ ـ القاضى جلال الدين أبو إسحاق إسماعيل بن جمعة بن عبد الرزاق قاضى سامرّا .

وكان فاضلا أديبا ، له نظم حسن .

سمع من الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن طلحة بن غانم العلثي «فضائل القدس» لابن الجوزى بسماعه منه ، وأجاز لغير واحد من أشياخنا .

٤٢٧ ـ أحمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، الصالحى الفقيه ، الزاهد الفرضى ، شرف الدين أبو العباس .

ولد فى رابع عشر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة .

وسمع من الشيخ موفق الدين ـ وهو جده لأمه ، وعم أبيه ـ ومن البهاء عبد الرحمن ، وابن أبى لقمة ، ومن ابن اللتى ، وابن صصرى ، والحسين بن

الزبيدى . وحضر على موسى بن عبد القادر . وأجاز له ابن الحرستانى ، وجماعة . وتفقه على التقى ابن العز .

وكان شيخا صالحا ، زاهداً عابداً ، ذا عفة وقناعة باليسير . وله معرفة بالفرائض ، والجبر والمقابلة . وله حلقه بالجامع المظفرى ، يشتغل بها احتسابا بغير معلوم ، وانتفع به جماعة . حدث . روى عنه جماعة .

توفى ليلة الثلاثاء خامس المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة . ودفن من الغد عند جده الشيخ موفق الدين بالروضة بالجبل . رحمه الله تعالى .

٤٢٨ - عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن نصر البعلى ، الفقيه المحدث الزاهد ، فخر الدين أبو محمد .

ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ببعلبك .

وقرأ القرآن على خاله صدر الدين عبد الرحيم بن نصر قاضى بعلبك .

وسمع الحديث من أبى المجد القزوينى ، والبهاء المقدسى ، وابن اللتى ، والناصح بن الحنبلى ، ومكرم بن أبى الصقر ، وغيرهم .

وتفقه على تقى الدين أحمد بن العزوانى سليمان بن عبد الرحمن بن الحافظ ، وشمس الدين عمر بن المنجا . وحفظ « علوم الحديث » وعرضه من حفظه على مؤلفه الحافظ تقى الدين بن الصلاح . وقرأ الأصول وشيئاً من الخلاف على السيف الآمدى ، والقاضى نجم الدين بن راجح اللذين انتقلا إلى مذهب الشافعى .

وقرأ النحو على أبى عمرو بن الحاجب ، ثم على مجد الدين بن الأربلى الحنبلى . وصحب الشيخ الفقيه اليونينى ، وإبراهيم البطائحى ، والنووى ، وغيرهم .

وكان الشيخ الفقيه يحبه ، ويقدمه على أولاده ، حتى جعله إماما لمسجد الحنابلة إلى أن انتقل إلى دمشق . ودرس بدمشق بالجوزية نيابة عن القاضى نجم الدين ابن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، وبالصدرية والمسمارية نيابة عن بنى المنجا . وباشر حلقة الجامع . وولى مشيخة الحديث بمشهد عروة ، وبدار الحديث النورية وبالصدرية . وتخرج به جماعة من الفقهاء .

وكان دائم البشر ، يحب الخمول ويؤثره ، ويلازم قيام الليل من الثلث الآخر ، ويتلو بين العشائين ، ويصوم الأيام البيض ، وستا من شوال ، وعشر ذى الحجة والمحرم . ولا يخل بذلك . ذكر ذلك كله ولده الشيخ عز الدين .

قال : ولقد أخبر بأشياء ، فوقعت كما قال الخلائق . وذلك مشهور عند من يعرفه . ولقد قال لى فى صحته وعافيته : أنا أعيش عمر الإمام أحمد ، لكن شتان مابينى و بينه ، فكان كما قال . وقال لى : يابنى ، تنزهت عن الأوقاف ، إذ كان يمكننى . وكان لى شىء ، فلما احتجت تناولت منها .

وقال ابن اليونينى : كان رجلا صالحاً زاهداً ، فاضلا عابداً ، وهو من أصحاب والدى ، اشتغل عليه ، وقدمه يصلى به فى مسجد الحنابلة ، رافقته فى طريق مكة ، فرأيته قليل المثل فى ديانته وتعبده ، وحسن أوصافه، وكان من خيار الشيوخ علماً وعملا ، وصلاحا وتواضعاً ، وسلامة صدر ، وحسن سمت ، وصفاء قلب وتلاوة قرآن وذكر . وكان أحد عباد الله الصالحين ، ثم ذكر نحواً مما قال ولده وقال : حدث بالكثير . وسمع منه جماعة من الأئمة والحفاظ .

وقال البرزالى : كان من خيار المسلمين ، وكبار الصالحين .

توفى ليلة الأربعاء سابع رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة بدمشق . ودفن من الغد بالقرب من قبر الشيخ موفق الدين بروضة الجبل . رحمه الله تعالى .

٤٢٩ — محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدى المقدسى ، الصالحى ، المحدث ، الزاهد القدوة ، شمس الدين ، أبو عبد الله بن الكمال وهو ابن أخى الحافظ الضياء .

ولد فى ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة سنة سبع وستمائة بقاسيون . وحضر على ابن الحرستانى ، والكندى .

وسمع من ابن ملاعب ، وابن أبى لقمة ، والشيخ موفق الدين ، وابن البنى

والقزويني ، وموسى بن عبد القادر ، وابن صباح ، وابن الزبيدى ، وابن اللتى ، وخلق كثير .

وقيل : إنه سمع ببغداد من المهذب ابن منده ، وتحقق ذلك . ولازم عمه الحافظ الضياء ، وتخرج به . وكتب الكثير بخطه . وخرج وانتخب ، وقرأ على الشيوخ ، وعني بالحديث ، وتمم تصنيف «الأحكام» الذى جمعه عمه الحافظ ضياء الدين وخرج غير ذلك من الأجزاء والتخاريج ، منها كتاب « فضل العيدين » .

وكان يدرس الفقه بمدرسة عمه الشيخ ضياء الدين ، وشيخ الحديث أيضاً بها و بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، وكان للطلبة عليه مواعيد يعلمهم فيهـا قراءة الحديث و يفيدهم ، و يرد عليهم الغلط . انتفع به جماعة .

قال الذهبي : كان إماماً فقيهـاً ، محدثاً زاهداً عابداً ، كثير الخير ، له قدم راسخ فى التقوى ، ووقع فى النفوس .

وقال اليونيني : كان صالحاً زاهداً عابداً ، متقللا من الدنيا . وعنده فضيلة .

وكان من سادات الشيوخ علماً وعملا ، وصلاحاً وعبادة .

وحكى لى عنه : أنه كان يحضر مكاناً فى جبل الصالحية لبعض شأنه ، فوجد جرة مملوءة دنانير ، وكانت زوجته معه تعينه فى الحفر ، فاسترجع وطم المكان كما كان أولا ، وقال لزوجته : هذه فتنة ، ولعل لها مستحقين لا نعرفهم ، وعاهدها على أنهـا لا تشعر بذلك أحداً ، ولا تتعرض إليه . وكانت صالحة مثله ، فتركا ذلك تورعاً مع فقرهما وحاجتهما . وهذا غاية الورع والزهد . رحمهما الله تعالى .

حدث رحمه الله بالكثير نحواً من أربعين سنة . وسمع منه خلق كثير . وروى عنه جماعة من الأكابر .

وحدثنا عنه جماعة ، منهم : ابن الخباز ، وعبد الله بن محمد بن قيم الضيائية ، وأحمد الحريرى ، وأبو الفضل بن الحموى ، وعمر بن عثمان بن سالم المقدسى .

وتوفى بعد عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء تاسع جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين

وستمائة بمنزله بمدرسة عمه أبى عمر بالجبل . ودفن من الغد عند الشيخ موفق الدين بالروضة . رحمه الله تعالى .

٤٣٠ – أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، الصالحى ، قاضى القضاة ، شيخ الإسلام ، شمس الدين أبى محمد ، ابن الشيخ أبى عمر ، وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد فى شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة .

وسمع الحديث ولم يبلغ أوان الرواية . وتفقه على والده . وولى القضاء فى حياة والده بإشارته .

قال البرزالى : كان خطيب الجبل ، وقاضى القضاة ، ومدرس أكثر المدارس وشيخ الحنابلة ، وكان فقيهاً فاضلا ، سريع الحفظ ، جيد الفهم ، كثير المكارم شهماً شجاعاً ، ولى القضاء ولم يبلغ ثلاثين سنة ، فقام به أتم قيام .

وقال اليونينى : كانت له الخطابة بالجامع المظفرى ، والإمامة بحلقة الحنابلة بجامع دمشق ، ونظر أوقاف الحنابلة . وكان مشكور السيرة فى ولايته ، وعنده معرفة بالأحكام ، وفقه نفيس ، وفضيلة ومشاركة فى كثير من العلوم من غير استقلال ، وكان يركب الخيل ، ويلبس السلاح ، ويحضر الغزوات . وحج مراراً

وقال غيره : ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، وشهد فتح طرابلس مع السلطان الملك المنصور . وكان شاباً مليحاً مهيباً ، تام الشكل بديناً ، ليس له من اللحية إلا شعيرات يسيرة ، وكان مليح السيرة ، ذكياً مليح الدروس ، له قدرة على الحفظ ، ومشاركة جيدة فى العلوم ، وله شعر جيد ، فمنه :

آيات كتب الغرام أدرسها ... وعَبرتى لا أطيق أحبسها
لبست ثوب الضنى على جسدى ... وحلة الصبر لست ألبسها
وشادن ما رمى بمقلته ... إلا سبى العالمين نرجسها
فوجهه جنة مزخرفة ... لكن بنبل الجفون يحرسها

وريقــه خمرة معتقــة   دارت علينا من فيه أكؤسها
يا قمراً أصبحت ملاحته   لا يعتريها عيب يدنسهـا
صِل هائماً إن جرت مدامعه   تلحقهـا زفرة تيبسها

توفى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وستمائة ، بمنزله بقاسيون . وصلى عليه ضحوة يوم الأربعاء خارج جامع الجبل ، وحضره نائب السلطنة والأمراء والقضاة والأعيان ، ودفن عند أبيه وجده ، رحمهما الله تعـالى وكان عمره ثمانية وثلاثين سنة .

٤٣١ - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد ابن مفلح بن هبة الله بن نمير المقدسى ، ثم الصالحى ، المحدث الزاهد ، شمس الدين أبو الفرج ابن الزين .

ولد فى ذى القعدة سنة ست وستمائة بقاسيون .

وسمع بدمشق من الكندى ، وابن الحرستانى ، وابن مندويه ، حضوراً وسماعاً من ابن البناء ، وابن الجلاجلى ، وابن ملاعب ، والشيخ موفق الدين ، وجماعة .

و ببغداد من الفتح بن عبد السلام ، والداهرى ، والعاشى ، والسهروردى ، والحسن بن الجواليقى ، وابن بورانداز ، وغيرهم .

وسمع بحلب وحران والموصل ، وعنى بالسماع . وكتب بخطه ، وأثبت لنفسه وله إجازة من أسعد بن روح ، وعائشة بنت الفاخر ، وزاهر الثقفى ، وغيرهم .

قال الذهبى : كان فقيهاً زاهداً ، ثقة نبيلا .

وقال أيضاً : كان من أولى العلم والعمل ، والصدق والورع . وحدث بالكثير وأكثر عنه ابن نفيس ، والمزى ، والبرزالى ، وحدثنى عنه جماعة .

وتوفى يوم الإثنين تاسع عشرين ذى القعدة سنة تسع وثمـانين وستمائة ، بالسفح ، ودفن من يومه بالقرب من قبر الشيخ أبى عمر ، رحمه الله .

وفى هذه السنة – أعنى سنة تسع وثمانين – توفى من أصحابنا : الشيخ شمس الدين أبو الفضائل : –

٤٣٢ – محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعنى ، وقد سبق ذكر أبيه .

وكان ابنه هذا فقيهاً شاعراً ، أديباً معدلا .

حدث عن ابن روزبة ، وابن القبيطى ، وغيرهم .

وذكر أبوه فى تفسيره غير مرة : أنه كان يسأله عن غوامض فى التفسير ، ويتكلم فيه بكلام جيد .

غرق بنهر الشريعة من الغور فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

وكان أحد الشهود بدمشق ، ويؤم بمسجد الرماحين . ومن شعره :

ولو أن إنساناً يبلغ لوعتى ووجدى وأشجانى إلى ذلك الرشا
لأسكنته عينى ، ولم أرضها له ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

وله :

أآيس من بر ، وجودك واصل إلى كل مخلوق ، وأنت كريم ؟
وأجزع من ذنب ، وعفوك شامل لكل الورى طراً ، وأنت رحيم ؟
وأجهد فى تدبير حالى جهالة وأنت بتدبير الأنام حكيم ؟
وأشكو إلى نعماك ذلى وحاجتى وأنت بحالى ياعزيز عليم ؟

وتوفى فى هذه السنة أيضاً : –

٤٣٣ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عون الدين يحيى بن شمس الدين على بن عز الدين محمد بن الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، نزيل بلبيس ، بها ، وكان ناظراً على ديوانها .

حدث عن الداهرى ، ونصر بن عبد الرزاق . وابن اللتى .

سمع منه الحارثى ، والمزى ، والقطب عبد الكريم ، والبرزالى ، والفرضى ، وغيرهم . وكان فاضلاً . وله شعر حسن .

٣٣٤ - علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي ، المقدسي الصالحي ، الفقيه المحدث المعمر ، سند الوقت ، فخر الدين أبو الحسن ، ابن الشيخ شمس الدين البخاري ، وقد سبق ذكر أبيه ، وعمه الحافظ الضياء .

ولد في آخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، أو أول سنة ست وسبعين .

سمع بدمشق من ابن طبرزد ، وحنبل ، وأبي المحاسن بن كامل ، وأبي اليمن الكندي ، وابن الحرستاني ، وابن الدنف ، والخضر بن كامل ، وابن ملاعب ، وهبة الله بن طاوس ، وأبي الفضل بن سيدهم ، وأبي المعالي بن المنجا ، وأخيه عبد الوهاب ، والشيخ موفق الدين ، وأخيه أبي عمر ، وغيرهم .

وسمع بالقدس : من أبي علي الأوقي ، و بمصر : من أبي البركات بن الحباب ، وأبي عبد الله بن الرداد ، و بالإسكندرية : من جعفر الهمداني ، وظافر بن سحم ، وابن رواح ، و بحلب من ابن خليل الحافظ ، و بحمص : من أبيه الشمس البخاري الفقيه ، و ببغداد : من عبد السلام الداهري ، وعمر بن كرم . وتفرد بالرواية عن جماعة منهم ، وقرأ بنفسه .

وسمع كثيراً من الكتب الكبار والأجزاء . واستجاز له عمه الحافظ الضياء من خلق ، منهم : أبو المكارم اللبان ، وأبو جعفر الصيدلاني ، والكراني ، وعفيفة الفارقانية ، وأبو سعد الصفار ، وأسعد العجلي ، وعبد الواحد الصيدلاني ، وأبو طاهر الخشوعي ، وأبو الفرج بن الجوزي ، والمبارك بن المعطوش ، وهبة الله ابن السبط وغيرهم . وتفرد في الدنيا بالرواية العالية .

وتفقه على الشيخ موفق الدين ، وقرأ عليه المقنع ، وأذن له في إقرائه ، وقرأ مقدمة في النحو ، وصار محدث الإسلام وراويته ، روى الحديث فوق ستين سنة وسمع منه الأئمة الحفاظ المتقدمون ، وقد ماتوا قبله بدهر ، وخرج له عمه الحافظ ضياء الدين جزءاً من عواليه ، وحدث كثيراً ، سمعنا من أصحابه .

وذكر عمر بن الحاجب فى معجم شيوخه ، فقال : تفقه على والده ، وعلى الشيخ موفق الدين ، قال : وهو فاضل ، كريم النفس ، كيس الأخلاق ، حسن الوجه ، قاض للحاجة ، كثير التعصب ، محمود السيرة ، سألت عمه الشيخ ضياء الدين عنه ؟ فأثنى عليه ، ووصفه بالخلق الجميل ، والمروءة التامة .

وقال الفرضى فى معجمه : كان شيخاً عالماً فقيها ، زاهداً عابداً ، مسنداً مكثراً ، وقوراً ، صبوراً على قراءة الحديث ، مكرماً للطلبة ، ملازماً لبيته ، مواظباً على العبادة ، ألحق الأحفاد بالأجداد ، وحدث نحواً من ستين سنة ، وتفرد بالرواية عن شيوخ كثيرة .

وقال الشيخ تاج الدين الفراوى فى تاريخه : انتهت إليه الرياسة فى الرواية ، وقصده المحدثون من الأقطار .

وقال الحافظ البرزالى : كان يحفظ كثيرًا من الأحاديث وألفاظها المشكلة ، وكثيرًا من الحكايات والنوادر ، ، ويرد على من يقرأ عليه مواضع ، يدل رده على فضل ومطالعة ومعرفة ، سألت ابن عبد القوى عنه ؟ وعن ابن عبد الدائم ؟ فرجح فضيلته على فضيلة ابن عبد الدائم .

وقال الذهبى : كان فقيهاً عارفاً بالمذهب ، فصيحاً ، صادق اللهجة . يرد على الطلبة ، مع الورع والتقوى ، والسكينة والجلالة .

وقال أيضاً : كان فقيهاً إماماً فاضلا ، أديباً زاهدًا صالحاً خَيِّرًا ، عدلاً مأمونًا ، وقال : سألت المزى عنه ؟ فقال : أحد المشايخ الأكابر ، والأعيان الأماثل ، من بيت العلم والحديث . قال : ولا يعلم أن أحدًا حصل له من الحظوة فى الرواية فى هذه الأزمان مثل ماحصل له .

قال شيخنا ابن تيمية : ينشرح صدرى إذا أدخلت ابن البخارى بينى و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث .

وكان الشيخ فخر الدين فى أول أمره يتعاطى السفر للتجارة ، فلما أسَنَّ لزم

بيته متوفراً على العبادة والرواية ، ولم يتدنس من الأوقاف بشيء ، بل هو وقف على مدرسة عمه الحافظ ضياء الدين من ماله ، حدث من بعد العشرين والستمائة ، وسمع منه الحفاظ والمتقدمون عمر بن الحاجب — ومات سنة ثلاثين وستمائة — والحافظ زكى الدين المنذرى ، والرشيد العطار ، حافظ الديار المصرية ، وتكاثر عليه الطلبة من نحو الخمسين والستمائة ، وازدحموا بعد الثمانين ، حتى كان يكون لهم فى اليوم الواحد عليه ثلاثة مواعيد .

وحدث ببلاد كثيرة ، بدمشق ، ومصر ، و بغداد ، والموصل ، وتدمر ، والرحبة ، والحديثة ، وزرع .

وحدث بالغزوات أيام الملك الظاهر ، وخرج له أبو القاسم على بن بلبان مشيخة حدث بها ، سمعناها من أبى عبد الله محمد بن الخباز عنه .

وفى آخر عمره : خرج له الحافظ بن الظاهرى مشيخة بمصر ، وأرسلها مع البريد ففودى لها بدمشق ، وفوّه بذكرها المحدثون والفقهاء ، وسارعوا إلى سماعها ، وجمع لها صبيان كثير ، وانتدب لقراءتها الشيخ شرف الدين الفزارى ، فقرأها فى ثلاثة مجالس ، اجتمع لها فى المجلس الأخير : ألف نفس أو أكثر ، ولم يعهد فى هذه الأزمان مثل ذلك ، ثم حدث بها مراراً عديدة . ورحل إليه الحفاظ والطلبة من الأقطار . وتكاثرت عليه الإجازات من أطراف البلاد ، ولزمه المحدثون .

قال الذهبى : لايدرى ما قرأه عليه الموصلى والمزى من الكتب والأجزاء . فأما البرزالى ، فقال : سمعت منه بقراءتى عليه وقراءة غيرى ثلاثة وعشرين مجلداً ، وأكثر من خمسمائة جزء .

وممن سمع منه من الحفاظ والأكابر : الدمياطى ، وابن دقيق العيد ، والحارثى ، والقاضى تقى الدين سليمان بن حمزة ، والشيخ شمس الدين بن الكمال — قرأ عليه عدة أجزاء ، ومات قبله — والشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وابن جماعة . ورحل إليه أبو الفتح بن سيد الناس . فوجده مات قبل وصوله بيومين ، فتألم لذلك .

قال الذهبي : وهو آخر من كان فى الدنيا بينه و بين النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال ثقات .

قلت : يريد بالسماع المتصل .

قال : وإن كان للدنيا بقاء فليتأخرن أصحابه إن شاء الله تعالى إلى بعد السبعين وسبعمائة ـ يريد أكثرتهم ـ وكذا وقع . فإنا نحن الآن بعد السبعين . ومن أصحابه جماعة أحياء . وآخر من مات منهم : صلاح الدين محمد بن عبد الله ابن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر المقدسى ، أقام بمدرسة جده أبى عمر .

توفى فى شوال سنة ثمانين وسبعمائة . وله نظم جيد ، فمنه ، أى لابن البخارى:

تكررت السنون على حتى ... بليت وصرت من سقط المتاع
وقل النفع عندى ، غير أنى ... أعلل للرواية والسماع
فإن يك خالصاً فله جزاء ... وإن يك مانعا فإلى ضياع

وله رحمه الله تعالى :

إليك اعتذارى من صلاتى قاعدا ... وعجزى عن سعى إلى الجمعات
وتركى صلاة الفرض فى كل مسجد ... تجمع فيه الناس للصلوات
فيا رب لا تمقت صلاتى ، ونجنى ... من النار ، واصفح لى عن الهفوات

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أتتك مقدمات الموت تسعى ... وقلبك غافل عنها وساهى
فجدّ ، فقد دنت منك المنايا ... ودع عنك التشاغل بالملاهى
فلا تأمنْ لمكر الله ، واحذر ... وكن متقاصراً عند التناهى
فكم ممن يساق إلى جحيم ... صحائفه مسوّدة كما هى
وليس كمن يساق إلى نعيم ... وجنات مزخرفة زواهى
فلا تظنن بربك ظنّ سوء ... فحسن الظن جد غير واهى

وله :

أتاك الموت يا ولد البخـارى فقدم صالحاً ، واسمح ودارى
وأيقن أن يوم البعث يأتى فيؤخـذ بالصغار و بالـكبار
كأنك فوق نعشك مستقر وتحملك الرجال إلى الصحارى
وتنزل مفرداً فى قعر لحـد ويحثى الترب فوقك بالمدارى
فلا ، والله ، ما ينفعك شىء تخلف من متـاع أو عقـار
بلى إن كنت تتركه حبيسـاً على الفقراء أطراف النهـار
لعـل الله أن يعفو و يغفر لمـا أسلفت يا ولد البخارى

سمعنا الـكثير من خلق من أصحابه .

وتوفى ـ رضى الله عنـه ـ ضحى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة . وصلى عليه وقت الظهر بالجامع المظفرى . ودفن عند والده بسفح قاسيون . وكانت له جنازة مشهودة . شهدها القضاة والأمراء والأعيان وخلق كثير . رحمه الله تعالى .

٤٣٥ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن المعرى ، المعرى البعلى ، الفقيه الزاهد العابد ، زكى الدين أبو إسحاق .

حضر على الشيخ موفق الدين . وسمع من البهاء عبد الرحمن وغيره . وتفقه وحفظ « المقنع » . وكان صالحاً ، عالماً عابداً ، زاهداً ورعاً . اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه . ذكره ابن اليونينى .

وقال الذهبى : كان من أعْبَد البشر .

توفى ليلة السبت سابع شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ببعلبك . وصلى عليه من الغد . ودفن بمقابر باب بطحا ، وله إحدى وثمانون سنة . رحمه الله تعالى .

٤٣٦ ـ إبراهيم بن على بن أحمـد بن فضل ، الواسطى الصالحى ، الفقيه الزاهد العابد ، شيخ الإسلام ، بركة الشام ، قطب الوقت ، تقى الدين أبو إسحاق

ولد سنة اثنتين وستمائة .

وسمع بدمشق من ابن الحرستانى ، وابن البناء ، وابن ملاعب ، وابن الجلاجلى، والشمس العطار السلمى، وموسى بن عبد القادر ، والشيخ موفق الدين وابن أبى لقمة ، وجماعة آخرين . ورحل فى طلب الحديث والعلم .

وسمع ببغداد من الشيخ أبى الفتح بن عبد السلام ، وابن الجواليقى ، والداهرى ، وعمر بن كرم ، وعلى بن نورنداز ، والسهروردى ، وأبى منصور بن عفيجة ، وأبى نصر النرسى ، وابن الزبيدى ، وخلق .

وسمع من عبد الرحمن بن علوان بحلب ، ومن أحمد بن سلامة النجار بحران ، ومحمود بن أبى العز بن الشطيطى بالموصل ، وغيرهم .

وسمع كثيرا من الكتب الكبار والأجزاء . وعنى بالحديث. وقرأ بنفسه . وله إجازة من جماعة من الأصبهانين والبغداديين ، كأسعد بن روح ، وعائشة بنت معمر ، وزاهر الثقفى ، وابن طبرزد ، وابن سكينة ، وابن الأخضر ، وغيرهم .

وتفقه فى المذهب ، وأفتى ، ودرس بالمدرسة الصاحبية بقاسيون نحوا من عشرين سنة ، و بمدرسة الشيخ أبى عمر . وولى فى آخر عمره مشيخة دار الحديث الظاهرية . وحدث بها مدة . وكان من خير خلق الله علماً وعملا .

قال الذهبى : قرأت بخط العلامة كمال الدين بن الزملكانى فى حقه : كان كبير القدر ، له وقع فى القلوب وجلالة ، ملازم للتعبد ليلا ونهاراً ، قائم بما يعجز عنه غيره ، مبالغ فى إنكار المنكر . بائع نفسه فيه ، لايبالى على من أنكر . يعود المرضى ، ويشيع الجنائز ، ويعظم الشعائر والحرمات . وعنده علم جيد . وفقه حسن . وكان داعية إلى عقيدة أهل السنة والسلف الصالح ، مثابرا على السعى فى هداية من يرى فيه زيغا عنها . وكانت جنازته مشهودة . إلى آخر كلامه .

وقال البرزالى : تفرد بعلو الإسناد ، وكثرة الرواية والعبادة ، ولم يخلق مثله .

قلت : حدث بالكثير . وروى عنه خلق كثير . وحدثنا عنه جماعة من أصحابه .

وتوفى فى آخر نهار يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة . وصلى عليه بكرة السبت . ودفن بتربة الشيخ موفق الدين . وكانت جنازته مشهودة بكثرة الخلق . وحضرها القضاة والأمراء والصاحب بن السلعوس والأعيان . رحمه الله تعالى .

٤٣٧ ـ أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن محمود بن شبيب بن غياث بن سابق بن وثاب النمرى الحرانى ، الفقيه الأصولى ، القاضى نجم الدين ، أبو عبد الله بن أبى الثناء ، نزيل القاهرة ، وصاحب التصانيف .

ولد سنة ثلاث وستمائة بحران .

وسمع الكثير بحران من الحافظ عبد القادر الرهاوى . وهو آخر من روى عنه ، ومن الخطيب أبى عبد الله ابن تيمية ، وابن روزبة ، وغيرهم .

وسمع بحلب من الحافظ ابن خليل ، وغيره ، و بدمشق : من ابن غسان ، وابن صباح ، و بالقدس : من الاوتى ، وغيرهم . وطلب بنفسه ، وقرأ على الشيوخ وتفقه على الناصحين الحرانيين : ابن أبى الفهم ، وابن جميع . وأخذ عن الخطيب فخر الدين ، وجالس ابن عمه الشيخ مجد الدين ، و بحث معه كثيرا ، و برع فى الفقه ، وانتهت إليه معرفة المذهب ، ودقائقه وغوامضه .

وكان عارفاً بالأصلين والخلاف والأدب . وصنف تصانيف كثيرة .

منها « الرعاية الصغرى » فى الفقه ، و « الرعاية الكبرى » وفيها نُقُولٌ كثيرة جدا ، لكنها غير محررة ، وكتابىْ « الوافى » فى أصول الفقه ، ومقدمة أصول الدين ، وقصيدة طويلة فى السنة ، وكتاب « صفة المفتى والمستفتى » :

وولى نيابة القضاء بالقاهرة . وأظنه ولى قضاء المحلة أيضاً .

وتفقه به وتخرج عليه جماعة ، وحدث بالكثير . وعمر وأسن وأضر .

وروى عنه الدمياطى ، والحارثى ، وابنه ، والمزى ، وأبو الفتح اليعمرى ، والبرزالى ، وغيرهم . وحدثنا عنه محمد بن أبى القاسم الفارقى الشاهد بالقاهرة

وتوفى يوم الخميس سادس صفر سنة خمس وتسعين وستمائة بالقاهرة .

وتوفى أخوه : —

٤٣٨ — تقى الدين شبيب ، الأديب البارع ، الشـاعر المفلق ، الطبيب الـكحال — فى ربيع الآخر من السنة أيضاً . وهو فى عشر الثمانين .

سمع من ابن روزبة ، وطائفة ، وقد عارض « بانت سعاد » بقصيدة عظيمة يقول فيها :

مجد كبا الوهم عن إدراك غايته ورد عقل البرايا ، وهو معقول

طوبى لطيبة ، بل طوبى لـكل فتى له بطيب ثراها الجعد تقبيل

٤٣٩ — المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل التنوخى ، المعرى الأصل ، الدمشقى ، الفقيه الأصولى ، المفسر النحوى ، زين الدين أبو البركات بن عز الدين أبى عمر بن القاضى وجيه الدين أبى المعالى ، وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد فى عاشر ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

وحضر على أبى الحسن بن المقير ، وجعفر الهمدانى ، وسالم بن صصرى .

وسمع من السخاوى ، وابن مسلمة ، والقرطبى ، وجماعة وتفقه على أصحاب جده ، وأصحاب الشيخ موفق الدين ، وقرأ الأصول على كمال الدين التفليسى ، وغيره . وقرأ النحو على ابن مالك ، وبرع فى ذلك كله ، ودرس وأفتي ، وناظر وصنف ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بالشام فى وقته .

ومن تصانيفه «شرح المقنع» فى أربع مجلدات « وتفسير القرآن الـكريم » وهو كبير ، لـكنه لم يبيضه ، وألقاه جميعه دروساً ، وشرع فى « شرح المحصول »

ولم يكمله . واختصر نصفه . وله تعاليق كثيرة ، ومسودات فى الفقه والأصول وغير ذلك لم تبيض .

وكان له فى الجامع حلقة للاشتغال والفتوى نحو ثلاثين سنة ، متبرعاً لا يتناول على ذلك معلوماً . وكانت له أوراد صالحة من صلاة وذكر . وله إيثار كثير وبر ، يفطر عنده الفقراء فى بعض الليالى، وفى شهر رمضان كله . وكان حسن الأخلاق .

ذكر ذلك بمعناه الذهبى ، وقال : كان معروفاً بالذكاء ، وصحة الذهن ، وجودة المناظرة ، وطول النفس فى البحث .

وقال البرزالى : كان عالماً بفنون شتى : من الفقه ، والأصلين ، والنحو . وله يد فى التفسير . وانتهت إليه رئاسة مذهبه ، وله مصنف فى « أصول الفقه » وشرح المقنع فى الفقه ، وتعاليق فى التفسير . واجتمع له العلم والدين، والمال والجاه وحسن الهيئة . وكان صحيح الذهن ، جيد المناظرة صبوراً فيها . وله بر وصدقة . وكان ملازماً للاقراء بجامع دمشق من غير معلوم .

وسئل الشيخ جمال الدين بن مالك أن يشرح ألفيته فى النحو ؟ فقال : ابن المنجا يشرحها لكم .

قلت : درس الشيخ زين الدين بالحنبلية والصدرية . وأخذ عنه الفقه الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، والشيخ شمس الدين بن الفخر البعلى ، والشيخ تقى الزريرانى وحدث . وسمع منه ابن العطار ، والمزى ، والبرزالى . وحدثنا عنه أبو الفضل ابن الحموى وغيره

وتوفى يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وتسعين وستمائة بدمشق . وتوفيت زوجته أم محمد ست البهاء بنت الصدر الخُجندى ليلة الجمعة خامس الشهر ، وصلى عليهما معاً عقيب صلاة الجمعة بجامع دمشق ، ودفنا بتربة بيت المنجا بسفح قاسيون . رحمهما الله تعالى .

٤٤٠ ـ الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي ، قاضي القضاة ، شرف الدين ، أبو الفضل بن الخطيب شرف الدين ابن أبي بكر بن الشيخ أبي عمر ، وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد في شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

وسمع من ابن القميرة ، ولكن لم يظهر سماعه منه في حياته ، ومن المرسي ابن مسلمة ، وغيرهم . وقرأ بنفسه على الكَفَرْطابي . وتفقه و برع في المذهب . وشارك في الفضائل . وولي القضاء بعد نجم الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين . واستمر إلى حين وفاته .

قال البرزالي : كان قاضياً بالشام على مذهب الإمام أحمد ، ومدرساً بدار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون ، ومدرسة جده . وكان مليح الشكل ، حسن المناظرة ، كثير المحفوظ ، عنده فقه ونحو ولغة . روى لنا عن ابن مسلمة .

وقال الذهبي : كان من أئمة المذهب ، بقي في القضاء ست سنين .

ومات في ليلة الخميس ثاني عشر شوال سنة خمس وتسعين وستمائة ، ودفن ضحى يوم الخميس بمقبرة جده بسفح قاسيون ، وحضر جنازته نائب السلطنة ، والقضاة والأكابر ، وعمل عزاؤه بكرة الجمع بالجامع المظفري . وحضره خلق كثير ذكره البرزالي . وهو والد الشيخ شرف الدين أبي العباس أحمد ، المعروف بابن قاضي الجبل .

٤٤١ ـ عبد السلام بن محمد بن مرزوع بن أحمد بن عزاز المصري البصري ، الفقيه ، المحدث الحافظ ، نزيل المدينة النبوية ، عفيف الدين أبو محمد

ولد في شوال سنة خمس وعشرين وستمائة بالبصرة .

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من ابن قميرة ، وإبراهيم الزغبي ، وعلي بن معالي الرصافي ، والمبارك الخواص ، وعلي بن الخيمي ، وفضل الله الجيلي . وعني بالأثر . وقرأ بنفسه .

وتفقه على الشيخ كمال الدين بن وضاح . وقرأ عليه « المحرر » فى الفقه . ثم انتقل إلى المدينة ، واستوطنها نحواً من خمسين سنة ، إلى أن مات بها . وحج منها أربعين حجة على الولاء ، ودرس بها الفقه بالمدرسة الشهابية للحنابلة ، والشافعية .

وحدث بالكثير بالحجاز ، و ببغداد ، و بمصر ، ودمشق .

وسمع منه جماعة من شيوخنا ببغداد ، و بالحجاز : على بن جابر الهاشمى ، وعتيق العمرى ، والقاضى أبو عبد الله بن مسلم ، و بدمشق : البرزالى ، وابن الخباز شيخنا وغيره ، و بالقاهرة الحارثى ، وجماعة .

ذكره الفرضى فى معجم شيوخه ، فقال : إمام فاضل ، عالم فقيه ، زاهد عابد ، عارف بفنون العلم والأدب .

وقال البرزالى : شيخ عالم ، متدين ، عارف بفن الأدب . جاور بالمدينة مدة طويلة ، ودرس بها ، وأفتى على مذهب الإمام أحمد .

وقال أيضاً : الشيخ الإمام الحافظ ، السيد القدوة ، عفيف الدين . كان رجلا فاضلا ، عاقلا خيراً ، حسن الهيئة . سمع وحدث . وذكر : أنه سمع منه بدمشق والمدينة النبوية ، و برابغ ، وخليص .

قال : وتوفى بالمدينة يوم الثلاثاء بعد الصبح ، سابع عشرين صفر سنة ست وتسعين وستمائة . ودفن من يومه بالبقيع وقيل : إنه مات فى ثالث عشرين صفر ، وصلى عليه بجامع دمشق صلاة الغائب فى شهر رمضان

وفى صفر أيضاً من هذه السنة : توفى قاضى القضاة بالديار المصرية : —

٤٤٢ — عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى بالقاهرة . ودفن بتربة الحافظ عبد الغنى ، وله ست وستون سنة .

حضر على ابن اللتى . وسمع من جعفر الهمدانى ، وابن رواح ودرس ، وأفتى وكان محمود القضايا ، مشكور السيرة ، متثبتاً فى الأحكام ، مليح الشكل .

قرأت بخط الذهبي : إمام ، جامع للفضائل ، محمود القضايا ، متثبت . كان ابن جماعة يعتمد على إثباتاته ، وسمع منه الذهبي بالقاهرة .

وفي ذي الحجة من السنة : توفي الفقيه الزاهد القدوة :ـ

٤٤٣ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حازم بن حامد بن حسن المقدسي بنابلس ، في رجوعه من زيارة المسجد الأقصى ، وهو في عشر الثمانين .

وكان كثير الذكر ، حسن السمت ، فقيهاً فاضلا ، عابداً .

سمع من ابن صصرى ، والناصح بن الحنبلي ، وابن الزبيدي ، وابن غسان ، والضياء الحافظ ، وأكثر عنه ، حدث بالكثير . رحمه الله تعالى .

٤٤٤ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة ، المقدسي ، النابلسي العابد الفقيه المحدث ، شهاب الدين أبو العباس ، ابن الشيخ جمال الدين . وقد سبق ذكر أبيه .

ولد ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة بنابلس .

وسمع بها من عمه تقي الدين يوسف ، ومن الصاحب محيي الدين بن الجوزي وحضر في الرابعة على سليمان الأسعردي ، وسمع من ابن الحميري ، وابن رواح ، والساوي ، وسبط السلفي وغيرهم .

ورحل إلى مصر ، ودمشق ، والإسكندرية . وقرأ بنفسه على القوصي ، وأجاز له محمود بن منده ، ومحمد بن عبد الواحد المديني والسهروردي ، وابن روزبة . وتفقه في المذهب ، وبرع في معرفة تعبير الرؤيا ، وانفرد بذلك بحيث لم يشاركه فيه ، ولم يدرك شأوه . وكان الناس يتحيرون منه إذا عبر الرؤيا ، لما يخبر الرائي بأمور جرت له ، وربما أخبره باسمه وبلده ومنزله ، ويكون من بلد ناء . وله في ذلك حكايات كثيرة غريبة مشهورة ، وهي من أعجب العجب .

وكان جماعة من العلماء يقولون : إن له رِئيًّا من الجن ، وكان ـ مع ذلك ـ

كثير العبادة والأوراد والصلاة . لكن يقال : إنه كان يتعبد على وجوه غير مشروعة ، كالصلاة فى وقت النهى .

وذكر عنه بعض أقاربه : أنه رأى عنده شيئاً من آثار الجن .

وقد رأيت لأبى العباس القرافى المالكى صاحب «القواعد» كلاما حسناً فى التعبير ، فرأيت أن أذكره هٰهنا .

قال : اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته ، وتشعبت تخصيصاته ، وتنوعت تفريعاته بحيث صار لا يقدر الإنسان يعتمد على مجرد المنقولات لكثرة التخصيصات بأحوال الرائين ، بخلاف تفسير القرآن الكريم ، والتحدث فى الفقه ، والكتاب والسنة ، وغير ذلك من العلوم . فإن ضوابطها محصورة ، أو قريبة من الحصر . وعلم المنامات منتشر انتشاراً شديداً ، لا يدخل تحت ضبط . لاجرم إن احتاج الناظر فيه — مع ضوابطه وقوانينه — إلى قوة من قوى النفس المعينة على الفراسة والاطلاع على المغيبات ، بحيث إذا توجه الحزر إلى شىء لا يكاد يخطىء ، بسبب مايخلقه الله تعالى فى تلك النفس من القوة المعينة على تقريب الغيب أو تحقيقه . فمن الناس من هو كذلك . وقد يكون ذلك عاماً فى جميع الأنواع . وقد يهبه الله تعالى ذلك باعتبار المنامات فقط ، أو بحسب علم الرمل فقط ، فلا يفتح له صحة القول والنطق فى غيره . ومن ليس له قوة نفس فى هذا النوع ، صالحة فى ذلك لعلم تعبير الرؤيا لا يكاد يصيب إلا على الندور ، فلا ينبغى له التوجه لعلم التعبير . ومن كانت له قوة نفس هو الذى ينتفع بتعبيره . وقد رأيت من له قوة نفس مع القواعد . فكان يتحدث بالعجائب والغرائب فى المنام اللطيف ، ويخرج منه الأشياء الكثيرة ، والأحوال المتباينة ، ويخبر فيه عن الماضيات والحاضرات والمستقبلات ، وينتهى فى المنام اليسير إلى نحو مائة من الأحكام بالعجائب والغرائب ، حتى يقول من لا يعلم أحوال قوى النفوس : إن هذا من الجان والمكاشفة ، وليس كما قال ، بل هو قوة نفس ، تجد بسببها تلك

الأحوال عند توجهه للمنــام . ورأيت أنا جماعة من هذا النوع واختبرتهم انتهى كلامه .

وأظنه يشير إلى الشيخ شهــاب الدين المذكور ، فإنه كان معاصره . و مصنف فى هذا العلم ، سماه « النور المنير » .

قال الذهبى : كان إماماً فاضلا . وله مصنف نفيس فى الأحكام . وأقام م بالقاهرة ، ومدة بدمشق . وبها مات . وولى بها مدة شهور مشيخة دار الحدي الأشرفية بسفح قاسيون ، وأسمع بهــا الحديث ، ثم صرف عنها . وذكر م لقضاء الحنابلة .

وحدث بدمشق ومصر وغيرها .

وسمع منه خلق من الحفاظ وغيرهم ، كالمزى ، والبرزالى ، والذهبى ، وشي ابن القيم . وحدثنا عنه غير واحد .

توفى يوم الأحد تاسع وعشرين ذى القعدة سنة سبع وتسعين وستمائة بدمش ودفن من يومه بمقابر باب الصغير بتربة ابن أبى الطيب . وكانت جنازته حاف وخرج نائب السلطنة للصلاة عليه والقضاة والأكابر . رحمه الله تعالى .

٤٤٥ ـ عبد العزيز بن أبى القاسم بن عثمان بن عبد الوهاب البابصرى الفقيه الأديب الصوفى ، عز الدين أبو محمد . نزيل دمشق .

ولد فى صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة ببغداد .

وسمع بهــا من أبى الفضل يحيى بن محمد بن الأجل مشيخة الباقرجى سما من ذاكر بن كامل ، ولم يظهر هذا إلا بعد موته .

وسمع أيضاً من إبراهيم بن أبى المفاخر الخياط ، وبدمشق من الصيرفى ا الفقيه ، وغيره . وأجاز له عبد الصمد بن أبى الجيش ، والداعى الرشيدى .

قال الذهبى : سكن دمشق ، وأقام بالخانقاه . وكان فقيهاً عالماً صالحاً .

وقال فى تاريخه : كان عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأدب والشعر وأيام الناس

ضعف بصره . وطلب من الجماعة أن يسمعوا منه شيئاً لتناله بركة الحديث .

وقال البرزالى فى معجمه : كان له نظم جيد ، ومعرفة بالتاريخ ، وكتب لنفسه استجازات منظومة . وأجابه جماعة من الشيوخ نظما ، منهم : ابن وضاح ، وأبو اليمن بن عساكر . وكان فقيهاً فاضلا ، من أعيان الحنابلة ، وانقطع فى آخر عمره بالخانقاة الشميساطية . وبها مات .

وقال غيره : سمع منه صديقه شمس الدين بن الفخر البعلى ، والبرزالى ، والذهبى ، وغيرهم .

وتوفى يوم الأحد سابع عشر شوال سنة سبع وتسعين وستمائة . ودفن من الغد ضحى بمقابر الصوفية . رحمه الله تعالى .

٤٤٦ - أحمد بن محمد بن الأنجب بن الكسار ، الواسطى الأصل ، البغدادى المحدث الحافظ ، صدر الدين أبو عبد الله .

ولد سنة ست وعشرين وستمائة .

وسمع ببغداد من ابن القطيعى ، وابن اللتى ، وابن القبيطى ، وابن قميرة ، وغيرهم . وأكثر عن المتأخرين بعدهم .

وسمع بواسطة من الشريف الداعى الرشيدى ، وقرأ كثيرا من الكتب والأجزاء ، وعنى بالحديث ، وكانت له معرفة حسنة به .

قال شيخنا بالإجازة صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق : تفرد فى زمانه بمعرفة الحديث وأسماء الرواة ، وكتب بخطه كثيرا ، وحصل أصولا كثيرة ، وكان ضنيناً بالفوائد ، سمعت عليه كتاب «الفرج بعد الشدة» لابن أبى الدنيا ، عن ابن قميرة ، بقراءة أبى العلاء الفرضى .

وقال الذهبى : قال لنا الفرضى : كان فقيهاً محدثاً حافظاً ، له معرفة بشىء من الشيوخ والعلل وغير ذلك .

وقال الذهبي : و بلغنى أنه تـكلم فيه ، وهو متماسك ، وله عمل كثير فى الحديث ، وشهرة بطلبه .

قلت : وكان قارئا بدار الحديث المستنصرية ، أو معيداً بها . وكان حافظا ، ذا معرفه بالحديث وفقهه ومعانيه .

و بلغنى : أن رجلا من أهل « سَامِرَّا » أشْـكل عليه الجمع بين حديثين ، وهما قوله صلى الله عليه وسلم « من هَمَّ بسيئة فلم يعملها : كتبت له حسنة » وقوله فى الذى رآى ذا المال الذى ينفقه فى المعاصى « لو أن لى مثل ما افلان لفعلت مثل ما فعل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هما فى الوِزْرِ سواء» فقدم بغداد ، فلم يجبه أحد بجواب شافٍ ، حتى دُلَّ على ابن الـكسار ، فقال له على الفور ما معناه : إن المعْفُوَّ عنه إنما هو الهَمُّ المجرد . فأما إذا اقترن به القول أو العمل : لم يكن معفوا عنه . وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت بها أنفسها ، ما لم تكلّم به ، أو تعمل » .

وكان رحمه الله زرىَّ اللباس ، وسخ الثياب ، على نحو طريقة أبى محمد بن الخشاب النحوى ، كما سبق ذكره . وكان بعض الشيوخ الأكابر يتكلم فيه ، و ينسبه إلى التهاون فى الصلاة . وكان الدقوقى يقول : إنهم كانوا يحسدونه ؛ لأنه كان يبرز عليهم فى الـكلام فى المجالس . والله أعلم بحقيقة أمره .

سمع منه خلق كثير من شيوخنا وغيرهم . وحدثنا عنه محمد بن عبد الرزاق ابن الفوطى ببغداد . وقد سبقت الرواية عنه فى ترجمة ابن هبيرة الوزير .

وتوفى فى رجب سـنة ثمان وتسـعين وستمائة . ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى .

وفى هذه السنة توفى الفقيه :ـ

٤٤٧ ـ كمال الدين أبو غالب هبة الله بن أبى القاسم علي بن عبد الله بن محمد ابن أحمد السامرى الأصل ، البغدادى ، الأزجى ببغداد . وقد سبق ذكر جده .

ولد سنة ست عشرة وستمائة .

وسمع من محاسن الحرانى ، وابن القبيطى . وحدث .

وسمع منه ابن شامة ، والفرضى ، وقال فى معجمه : كان شيخاً عالماً ، فقيهاً ، زاهدا عابدا ، جليلا ثقة ، من بيت العلم والحديث .

وفى ذى الحجة من هذه السنة أيضا : توفى الفقيه الزاهد القدوة عماد الدين أبو محمد : ـ

٤٤٨ ـ عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان ، المقدسى ، النابلسى بها . ودفن بزاويته بطور عسكر ، وله نحو تسعين سنة .

سمع من الشيخ الموفق ، والبهاء ، وموسى بن عبد القادر ، وأبى المعالى بن طاوس . وأجاز له ابن الحرستانى ، وابن ملاعب .

قال الذهبى : إمام فقيه عابد ، بنى بنابلس مدرسة وطهارة . وكان مواظباً على التلاوة والانقطاع . قال : ورحلت إليه .

قلت : حدثنا عنه جماعة من أصحابه بدمشق ونابلس . وقرأت « سنن ابن ماجة » بدمشق على الشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد النابلسى الفقيه الفرضى بسماعه منه .

٤٤٩ ـ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد ، البعلى ، ثم الدمشقى الفقيه ، المناظر المتفنن ، شمس الدين أبو عبد الله بن الشيخ فخر الدين أبى محمد . وقد سبق ذكر أبيه .

ولد فى أواخر سنة أربع وأربعين وستمائة .

وسمع الكثير من خطيب مِردا ، وشيخ شيوخ حماة ، وابن عبد الدايم ، والفقيه اليونينى ، وغيرهم . وتفقه ، فبرع ، وأفتى وناظر ، وحفظ عدة كتب ، ودرس بالمسمارية ، وحلقة بالجامع ، وكان موصوفاً بالذكاء المفرط ، والتقدم فى الفقه وأصوله ، والعربية ، والحديث ، وغير ذلك ، قاله الذهبى .

وقال أيضاً عنه : طلب الحديث ، وقرأ وعلق ، ولم يتفرغ له ،كان مشغولاً بأصول المذهب وفروعه ، حضرت بحوثه مع شيخنـا ابن تيمية ، ولى منه إجازة . انتهى .

و بلغنى : أنه كان يحفظ « الـكافى » فى الفقه .

قال البرزالى : كان من فضلاء الحنابلة فى الفقه ، والأصول ، والنحو ، والحديث ، والأدب ، وله ذهن جيد و بحث فصيح ، ودرس وأعاد ، وأفتى ، وروى الحديث .

توفى ليلة الأحد بين العشاءين تاسع رمضان سنة تسع وتسعين وستمائة بدمشق ، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموى وقت الظهر ، ودفن بمقابر باب توما ، قبل مقبرة الشيخ رسلان ، وحضر جنازته جمع كثير ، رحمه الله تعالى .

٤٥٠ ـ محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبدالله المقدسى ، المرداوى ، الفقيه المحدث النحوى ، شمس الدين أبو عبد الله .

ولد سنة ثلاثة وستمائة بمردا

وسمع الحديث من خطيب مردا، وعثمان بن خطيب القرافة، وابن عبد الهادى، و إبراهيم بن خليل ، وغيرهم . وطلب وقرأ بنفسه . وتفقه على الشيخ شمس الدين ابن أبى عمر وغيره ، و برع فى العربية واللغة ، واشتغل ودرس ، وأفتى وصنف

قال الذهبى : كان حسن الديانة ، دمث الأخلاق ، كثير الإفادة ، مطرحاً التكلف . ولى تدريس الصاحبية مدة . وكان يحضر دار الحديث ، و يشتغل بها ، و بالجبل . وله حكايات ونوادر . وكان من محاسن الشيوخ . قال : وجلست عنده ، وسمعت كلامه ، ولى منه إجازة .

قلت : درس بالمدرسة الصاحبية بعد ابن الواسطى . وتخرج به جماعة من الفضلاء . وممن قرأ عليه العربية : الشيخ تقى الدين ابن تيمية . وله تصانيف ، منها فى الفقه « القصيدة » الطويلة الدالية ، وكتاب « مجمع البحرين » لم يتمه ،

وكتاب « الفروق » وعمل طبقات للأصحاب . وحدث . روى عنه إسماعيل ابن الخباز فى مشيخته .

وتوفى فى ثانى عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٤٥١ ـ عبد الله بن عبد الولي بن جبارة بن عبد الولى ، المقدسى ، ثم الصالحى ، تقى الدين أبو محمد .

قال الذهبي : إمام مفت ، مدرس صالح ، عارف بالمذهب ، متبحر فى الفرائض ، والجبر والمقابلة ، كبير السن .

توفى فى العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة بجبل قاسيون . رحمه الله تعالى .

وممن عدم فى هذه السنة من أصحابنا : الفقيه سيف الدين : ـ

٤٥٢ ـ أبو بكر بن الشهاب أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم النابلسى ، لما انجفل من التتار بأهله عند دخولهم الشام .

وكان مولده سنة سبعين وستمائة أو بعدها .

روى عنه الذهبي فى معجمه ، وقال : كان فقيها ، مناظراً صالحاً ، يتوسوس فى الماء .

سمع بمصر من جماعة ، وتفقه على ابن حمدان .

وسمع بدمشق بعد الثمانين . وسمع معنا كثيراً . وكان مطبوعاً .

وقال أيضاً عنه : كتب الطباق ، ودار على الشيوخ . وكان عارفاً بالمذهب ، مناظراً ذكياً ، حسن المذاكرة .

وقتل فيها الشيخ : ـ

٤٥٣ ـ أبو الحسن على بن الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمن بن أبى عمر المقدسى ، قتله التتر على مرحلتين من البيرة .

قال البرزالى : كان رجلا حسنا ، درس بحلقة الحنـابلة ، بجامع دمشق ، و بمدرسة الشيخ أبى عمر ، وأمَّ بالجامع المظفرى ، وقتل معه جماعة من الحنابلة — رحمهم الله تعالى .

وكان ببغداد فى حدود السبعمائه جماعة لا أتحقق وفاتهم ، فمنهم :

٤٥٤ — داود بن عبد الله بن كوشيار الحنبلى الفقيه ، المناظر الأصولى ، شرف الدين أبو أحمد .

كان فقيهاً بارعاً ، عارفاً بالفقه والأصلين ، درس ببغداد بالمدرسة المستعصمية ، ثم درس المستنصرية بعد وفاة الشيخ نور الدين البصرى المتقدم ذكره ، وصنف فى أصول الفقه كتاباً سماه « الحاوى » وفى أصول الدين كتاباً سماه « تحرير الدلائل » .

وتوفى — فيما يغلب على ظنى — بعد التسعين وستمائة ، رحمه الله .

ومنهم :—

٤٥٥ — عبد الرحمن بن سليمان بن عبدالعزيزالجلاخ الحربى ، الضرير ، الفقيه ، مفيد الدين أبو محمد ، معيد الحنابلة بالمستنصرية .

سمع من الشيخ مجد الدين ابن تيمية ، وغيره من المتأخرين ، وروى كتاب « الخرقى » عن فضل الله بن عبد الرزاق الجيلى .

وكان من أكابر الشيوخ وأعيانهم ، عالماً بالفقه والحديث . والعربية ، قرأ عليه الفقه جماعة ، وسمع منه ابن الدقوقى ، وجماعة من شيوخنا . و بقى إلى قريب السبعمائة .

و بلغنى : أنه توفى سنة سبعمائة . رحمه الله .

وفيات المائة الثامنة

من سنة ٧٠١ إلى سنة ٧٥١

٤٥٦ – علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد اليونيني البعلي ، الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين ، ابن الشيخ الفقيه أبي عبد الله المتقدم ذكره .

ولد في حادي عشر رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة ببعلبك .

وحضر بها عدة أجزاء على البهاء عبد الرحمن المقدسي . وسمع بها من عبد الواحد بن أبي المضاو الأرالي ، وابن رواحة ، ووالده الشيخ الفقيه ، وغيرهم .

وتردد إلى دمشق . وسمع بها من ابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وابن الصلاح وجعفر الهمداني ، ومكرم بن أبي الصقر ، وابن الشيرازي ، وغيرهم

وارتحل بعد الأربعين إلى مصر لطلب العلم والحديث . فسمع بها من ابن الجميزي ، وابن رواح ، والساوي ، وغيرهم . ولازم الحافظ عبد العظيم المنذري ، وتخرج به ، وعني بعلم الحديث . وارتحل إلى مصر خمس مرات . واستنسخ « صحيح البخاري » واعتنى بأمره كثيراً .

قال الذهبي : حدثني أنه في سنة واحدة قابله ، وأسمعه إحدى عشر مرة . وقرأ بنفسه . وكتب بخطه كثيرا . وتفقه . وأفتى ودرس ، وعني باللغة ، وحصل أطرافا من العلوم .

وقال البرزالي : كان شيخا جليلا ، حسن الوجه ، بهيّ المنظر . له سمت حسن ، وعليه سكينة . ولديه فضل كثير . يحفظ كثيرا من الأحاديث بلفظها ، ويفهم معانيها ، ويعرف كثيرا من اللغة . وكان فصيح العبارة ، حسن الكلام وكان له قبول من الناس . وهو كثير التودد إليهم ، قاضٍ للحقوق .

وقال الذهبي : كان إماما محدثا ، متقنا مفيداً ، فقيها مفتيا ، خبيرا باللغة

والغريب ، غزير الفوائد ، كثير التحرى فيما يورده ، مُكرَّماً بين الملوك والأئمة ، مهيباً كثير التواضع ، حسن البشر ، حلو المجالسة ، يعطى كل ذى فضيلة حقه .

وقال أيضا : كان ذا عناية بالغريب ، والأسماء وضبطها ، مديما للمطالعة ، كثير المحاسن ، منور الشيبة ، عظيم الهيبة .

وقال فى آخر طبقات الحفاظ : انتفعت به ، وتخرجت به . وكان عارفا بقوانين الرواية ، حسن الدراية ، جيد المشاركة فى الألفاظ والرجال ، صاحب رحلة وأصول ، وكتب وأجزاء ومحاسن اه .

حدث بالكثير . وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة . وأكثر عنه البرزالى والذهبي بدمشق و بعلبك . وسمعنا من جماعة من أصحابه . وقد خرج له ابن أبى الفتح البعلى النحوى مشيخة فى ثلاثة عشر جزءاً ، والحافظ الذهبي عوالى . وحدث بالجميع

وتوفى يوم الخميس حادى عشر رمضان سنة إحد وسبعمائة ببعلبك . ودفن من يومه بباب سطحا . وصلى عليه يوم الجمعة بجامع دمشق صلاة الغائب ، وأسف الناس عليه .

وكان موته بشهادة رحمه الله ، فإنه دخل إليه ـ يوم الجمعة خامس رمضان وهو فى خزانة الكتب بمسجد الحنابلة ـ شخص ، فضربه بعصى على رأسه مرات وجرحه فى رأسه بسكين ، فاتقى بيده ، فجرحه فيها ، وأمسك الضارب ، وضرب ضربا عظيما ، وحبس . وأظهر الاختلال . وحمل الشيخ إلى داره ، وأقبل على أصحابه يحدثهم ، وينشدهم على عادته ، وأتم صيامه يومه . ثم حصل له بعد ذلك حمى ، واشتد مرضه حتى توفى يوم الخميس المذكور فى الساعة الثامنة منه . وغبطه الناس بموته شهيدا فى رمضان ليلة الجمعة عقب رجوعه من دمشق ، وإفادته الناس ، وإسماعه الحديث رضى الله عنه .

ومات قبله فى شعبان من السنة المذكورة : الشيخ وجيه الدين ، صدر الرؤساء ، أبو المعالى : —

٤٥٧ — محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى ، أخو الشيخ زين الدين بن المنجا بن عثمان المتقدم ذكره .

وكان مولده سنة ثلاثين وستمائة .

حضر على ابن اللتى ، ومكرم ، وابن المقير . وسمع من جعفر الهمدانى ، والسخاوى ، وجماعة .

وكان شيخا عالما فاضلا ، كثير المعروف والصدقات ، والبر والتواضع للفقراء ، موسعا عليه فى الدنيا ، وله هيبة وسطوة ، وجلالة وحرمة وافرة ، عنده عبادة وخشوع ، و بنى بدمشق دار قرآن معروفة به .

ودرس فى أول عمره بالمسمارية والصدرية ، ثم تركهما لولده ، ومات فى حياته ، وولى نظر الجامع ، وأحسن فيه السيرة . وحدث ، وروى عنه جماعة .

وفى شعبان أيضا من السنة توفى ببعلبك : الفقيه المقرئ المحدث أمين الدين أبو عبد الله : —

٤٥٨ — محمد بن عبد الولى بن أبى محمد بن خولان ، البعلى ، التاجر

وكان مولده سنة أربع وأربعين وستمائة .

سمع من الشيخ الفقيه ، ومن ابن عبد الدايم ، وجماعة . وقرأ ونظر فى علوم الحديث .

وقال الذهبى : سمعت منه ببعلبك والمدينة ، وتبوك . وكان من خيار الناس وعلمائهم ، وألف كتابا سماه « العدة القوية فى اللغة التركية » جوده ، وذكره فى معجمه .

وقال : كان مقرئا فقيها ، محدثا متقنا ، صالحا عدلا ، ملازما للتحصيل ، كل يثنى عليه ببلده .

٤٥٩ — علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر، المقدسي النابلسي، الفقيه، الإمام فخر الدين أبو الحسن، ابن الشيخ جمال الدين المتقدم ذكره.

ولد سنة ثلاثين وستمائة بنابلس.

وسمع من ابن الجيزى، وابن رواج بمصر، ومن سبط السلفى بالإسكندرية، ومن خطيب مردا، ومحيي الدين بن الجوزى لما قدم إلى الشام رسولا. وتفقه بالمذهب، وأفتى. وكان مفتى الأرض المقدسة.

قال البرزالى: كان شيخا صالحا عالما، كثير التواضع، محسنا إلى الناس أقام يفتى بنابلس مدة أربعين سنة.

قال الذهبي: كان عارفا بالمذهب، ثقة صالحاً ورعاً، وذكر: أنه سمع منه بنابلس.

توفى ليلة الأحد مستهل المحرم سنة اثنتين وسبعمائة بمدينة نابلس. ودفن من الغد عند والده بمقبرة الزاهرية. واجتمع خلق كثير فى جنازته، وحضر أهل القرى من البر. رحمه الله.

٤٦٠ — موسى بن إبراهيم بن يحيى بن علوان بن محمد الأزدى، الشقراوى، الصالحى، الفقيه المحدث، النحوى العدل، نجم الدين أبو إبراهيم.

ولد فى رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة.

وسمع من أبيه والحافظين: إسماعيل بن ظفر، والضياء المقدسى، وخطيب مردا، ويوسف سبط ابن الجوزى. وقرأ الكثير على ابن عبد الدايم، ومن بعده، كابن أبى عمر، وطبقته. وعنى بالحديث. وقرأ بنفسه على الحافظ الضياء ومن بعده. وكتب بخطه ما لا يوصف.

وتفقه وأفتى، وقرأ العربية واللغة والأدب، وولى مشيخة دار الحديث العالمية بالسفح، ودار الحديث المعزية بالشرف الأعلى.

قرأت بخط الذهبي : كان فقيهاً ، إماماً مفتياً . له معرفة بالحديث واللغة والعربية ، كثير المحفوظ والنوادر .

وقال غيره : كان ذا حظ من الأدب والنظم ، ينقل كثيراً من اللغة ، وعنده جملة من التاريخ ، حسن المجالسة ، مفيد المذاكرة . حدث وروى عنه الذهبي وجماعة

توفى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعمائة . ودفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله .

٤٦١ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد بن عبد الكريم الرقى ، الزاهد العالم ، القدوة الربانى ، أبو إسحاق .

ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ـ تقريباً ـ بالرقة .

وقرأ ببغداد بالروايات العشر على يوسف بن جامع القفصى المقدم ذكره . وسمع بها الحديث بعد الستين من الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش ، وصحبه .

قال الذهبى : وعنى بتفسير القرآن ، وبالفقه ، وتقدم فى علم الطب ، وشارك فى علوم الإسلام ، فبرع فى التذكير . وله المواعظ المحركة إلى الله ، والنظم العذب ، والعناية بالآثار النبوية ، والتصانيف النافعة ، وحسن التربية ، مع الزهد والقناعة باليسير فى المطعم والملبس .

وقال أيضاً : كان إماماً زاهداً ، عارفاً قدوة ، سيد أهل زمانه . له التصانيف الكثيرة فى الوعظ والطريق إلى الله تعالى [منها «أحاسن المحاسن» فى الوعظ . اختصره من صفوة الصفوة . قاله فى «كشف الظنون»][1] والآثار والخطب . وله النظم الرائق ، يستحق أن تطوى إلى لقياه مراحل . وكان كلمة إجماع . وكان ربما حضر السماع ، وتواجد . وله اعتقاد فى سليمان الكلاب ـ يعنى رجلا كان

---

(١) مابين المربعين فى نسخة الشيخ محمد نصيف ، وليس فى مخطوطة الثقافة ، والظاهر : أنها مزيدة من بعض النساخ

يخالط الكلاب ، ولا يصلي ـ وكان يغلط فيه ، وله يد طولى فى علوم كثيرة ، ولقد كتب شيخنا كمال الدين ـ يعنى ابن الزملكانى ـ فى شأنه و بالغ ، وأحسن ترجمته .

وقال البرزالى : كان رجلا صالحا ، عالما ، كثير الخير ، قاصدا للنفع ، كبير القدر ، زاهداً فى الدنيا ، صابراً على مُرِّ العيش ، عظيم السكون ، ملازما للخشوع والانقطاع ، قائما بعياله . وكان عارفا بالتفسير والحديث والفقه والأصلين ، وغير ذلك . ورزقه الله حسن العبارة ، وسرعة الجواب . وله خطب حسنة ، وأشعار فى الزهد ، ومواعظ ومجموعات .

قلت : صنف كثيراً فى الرقائق والمواعظ . واختصر جملة من كتب الزهد ، وصنف تفسيراً للقرآن ، ولا أعلم هل كمله أم لا ؟ وحدث .

سمع منه البرازلى ، والذهبى ، وغيرهما . وكان يسكن بأهله فى أسفل المأذنة الشرقية بالجامع .

وهناك : توفى ليلة الجمعة خامس عشر محرم سنة ثلاث وسبعمائة . وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع ، وحمل على الأعناق والرءوس إلى سفح قاسيون ، فدفن بتربة الشيخ أبى عمر . وتأسف المسلمون عليه رضى الله عنه .

٤٦٢ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب بن سعد بن ركاب بن سعد بن كامل بن عبد الله بن عمر بن عبد البارى بن عبيد بن عبدالباق ـ وقيل: باقى بن وفاء . ويقال : فايد ـ بن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصارى، العبادى ، الصالحى ، المحدث المكثر المؤدب ، نجم الدين أبو الفداء .

ولد سنة تسع وعشرين وستمائة .

وسمع من الحافظ ضياء الدين ، وعبد الحق بن خلف ، وعبد الله بن الشيخ أبى عمر ، والمرسى ، ثم طلب بنفسه ، وجد واجتهد من سنة أربع وخمسين ، وإلى أن مات .

وسمع وكتب ما لا يوصف كثرة من الرقائق وغيرها . وخرج لنفسه مشيخة في مائة جزء عن أكثر من ألفي شيخ ؛ فإنه كتب العالي والنازل ، وعمن دب ودرج . وخرج سيرة لابن أبي عمر في مائة وخمسين جزءاً . وخرج أجزاء كثيرة لنفسه من أصحاب ابن كليب ، والخشوعي ، وابن الجوزي ، وحنبل ، وابن طبرزد ، وممن بعدهم . و بالغ حتى كتب عمن دونه أكثر من ستمائة جزء . وحدث بها أيام الجمع على كرسيه بالجامع ، وخرج أحاديث كثيرة في الملاحم والفتن ، وخرج لابن عبد الدايم مشيخة ، ولغيره من الشيوخ . ولم يكن بالمتقن فيما يجمعه ، وخطه رديء سقيم . وكان متودداً ، حسن الأخلاق متواضعاً ، وحصل كتبا وأصولا جيدة .

سمع منه خلق من الحفاظ وغيرهم ، كالمزي ، والذهبي ، وحدثنا عنه ولده مسند وقته أبو عبد الله محمد ، وغير واحد .

توفي في يوم الثلاثاء حادي عشر صفر سنة ثلاث وسبعمائة بدمشق . ودفن من الغد بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٤٦٣ – علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي ، ثم الحلبي ، الصوفي المحدث ، الحافظ الزاهد أبو الحسن . نزيل دمشق .

ولد سنة أربع وثلاثين وستمائة .

وسمع بحلب من ابن رواحة ، وإبراهيم بن خليل . وذكر أنه سمع بها من يوسف بن خليل الحافظ ، لكنه لم يظفر بذلك .

وسمع بمصر من الكمال الضرير ، والرشيد العطار ، وغيرهما من أصحاب البوصيري ، وابن ياسين . و بدمشق: من ابن عبد الدائم ، والكرماني ، وجماعة من أصحاب الخشوعي ، وأكثر عن أصحاب حنبل ، وابن طبرزد ، وطبقتهما . وقرأ كتبا مطولة مرارا .

وعنى بالحديث عناية تامة . وكانت قراءته مفسرة حسنة . وحصل الأصول . وكان يجوع ويشترى الأجزاء ، ويتعفف ويقنع بكسرة فيسوء خُلقه ، مع التقوى والصلاح . وكان فقيها على مذهب أحمد ، ينقل منه ، ووقف كتبه وأجزاءه .

وحدث . وسمع منه الذهبى ، وجماعة .

وتوفى فى صفر سنة أربع وسبعمائة بالمارستان الصغير بدمشق ، وحمل إلى سفح قاسيون ، فدفن به مقابل زاوية ابن قوام ، وشيعه الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وجماعة . رحمه الله تعالى .

٤٦٤ - محمد بن إسماعيل بن أبى سعد بن على بن المنصور بن محمد بن الحسين الشيبانى ، الآمدى ، ثم المصرى ، الكبير الأديب ، شمس الدين أبو عبد الله ، ابن الصاحب الكبير شرف الدين بن أبى الفداء بن البنى .

ولد بمصر بكرة الأحد ثالث عشر المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة .

وسمع بمصر : من ابن الجيزى ، وابن المقير . وبدمشق : من جماعة . وبماردين : من عبد الخالق النشترى . ونشأ بماردين . وكان والده الصاحب شرف الدين من العلماء الفضلاء ، جمع تاريخاً لمدينة «آمد» وله نظم ونثر ، وسمع الحديث ورواه . وكان محدثا فاضلا ، متقنا .

توفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

وكان وزيراً للملك السعيد الأرتقى ، صاحب ماردين ، وصار ابنه شمس الدين هذا مع ابن الملك المظفر بن السعيد نائباً لمملكته ، ومدبراً للدولة ، إلى أن ذهب رسولا من عند أمير أحمد ملك التتر إلى الملك المنصور قلاوون صاحب مصر ، فحبسه ست سنين ، حتى ولى ابنه الملك الأشرف ، فأخرجه وأنعم عليه ، وولاه نيابته بدار العدل . فباشرها مدة .

وكان عالماً فاضلا أديباً منشئاً ، ذا معرفة بالحديث والتاريخ ، والسِّيَر والنحو

واللغة ، وافر العقل مليح العبارة ، حسن الخط والنظم والنثر . جميل الهيئة . له خبرة تامة بسير الملوك والمتقدمين ودولهم ، لا تمل مجالسته .

قال الإمام صفى الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق : سمعته يتكلم على الحديث بعلم ومعرفة بالأسانيد ، وكان يحفظ فوائد حسنة من الحديث واللغة والنحو .

وذكر الذهبى : أنه نسب إلى نقص فى دينه ، والله أعلم .

حدث . وسمع منه جماعة ، منهم : الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، والمزى ، والبرزالى ، والذهبى ، وصفى الدين عبد المؤمن المذكور .

وتوفى بمصر ليلة الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة سنة أربع وسبعمائة . ودفن بالقرافة ، وكان سبب موته : أنه سقط من فرس ، فكسرت أعضاؤه ، وبقى أياما ثم مات رحمه الله تعالى وسامحه .

٤٦٥ ـ أحمد بن علي بن عبد الله بن أبى البدر القلانسى الباجِسْرِى ؛ ثم البغدادى جمال الدين أبو بكر محدث بغداد ومفيدها .

ولد فى جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة .

وعنى بالحديث . وسمع الكثير من حدود الستين ، وإلى حين وفاته . وسمع من ابن أبى الدينة ، والشيخ عبد الصمد . وابن ورخز ، والطبقة . وقرأ الكثير بنفسه ، وكتب بخطه ، وخطه جيد متقن ، وخرج لغير واحد من الشيوخ . والظاهر : أنه كان قارىء الحديث بالمستنصرية .

وسمعت بعض شيوخنا ، القدماء ببغداد ، يحكى أنه ولى حسبة بغداد ، وحدث بالقليل .

سمع منه بعض شيوخنا ، وغيرهم . وأجاز لجماعة ، منهم : الحافظ الذهبى .

وتوفى فى رجب سنة أربع وسبعمائة ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

٤٦٦ ـ محمد بن عبد الله بن عمر بن أبى القاسم البغدادى المقرئ ، المحدث الصوفى الكاتب ، رشيد الدين أبو عبد الله بن أبى القاسم .

ولد ليلة الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وسمع الكثير من ابن روزبة ، والسهروردى ، وابن الخازن ، وابن بهروز ، وابن اللتي ، والحسن بن مرتضى العلوى ، وعمر بن كرم ، وغيرهم .

وعنى بالحديث . وسمع الكتب الكبار والأجزاء ، وكتب بخطه الأجزاء والطباق ، وكثيراً من الكتب المطولة ، وخطه فى غاية الحسن . وخرج لنفسه سباعيات ضعيفة من طريق « خراش » ونحوه ، وكان عالماً صالحاً من محاسن البغداديين وأعيانهم ، ذا لطف وسهولة ، وحسن أخلاق ، ومن أجلاء العدول . ولى مشيخة رباط الأرجوانية بدرب راخى ببغداد ، ومشيخة دار الحديث المستنصرية ، ولبس خرقة التصوف من السهروردى ، وحدث بالكثير .

وسمع منه خلق من أهل بغداد والرحالين ، وانتهى إليه علو الإسناد ، سمعنا من جماعة من أصحابه ببغداد ودمشق .

وتوفى فى تاسع جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب رحمه الله تعالى .

٤٦٧ ـ علي بن عبد الحميد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن بكير الفنيدقى الفقيه ، نور الدين أبو الحسن .

ولد سنة ست ـ أو خمس ـ وثلاثين وستمائة .

وسمع من أبى عبد الله بن سعد المقدسى ، وجده لأمه خطيب مردا ، وعبد الحميد بن عبد الهادى ، و بمصر من الرشيد العطار ، وجماعة . وتفقه و برع ، وأفتى ، وكتب بخطه كتباً كثيرة ، ودرس مع دين وتواضع وصدق ، وسكن بنابلس مدة ، ثم قدم دمشق . وأضر بآخره .

وسمع منه الذهبى ، وروى عنه فى معجمه .

وتوفى بجبل نابلس فى رجب سنة سبع وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

٤٦٨ - محمد بن عبد الرحمن بن شامة بن كوكب بن العز - أو ابن أبي العز - ابن حميد الطائى ، السنتبسى السوادي الحكمى - و « حَكَمه » بالفتح قرية من قرى السواد - المحدث الحافظ ، الزاهد العابد ، شمس الدين أبو عبد الله .

ولد فى رجب سنة اثنين وستين وستمائة .

وحضر بدمشق على ابن عبد الدايم . وسمع من عبد الوهاب المقدسى . وطلب بنفسه ، وسمع من أحمد بن أبى الخير ، وابن أبى عمر ، وإبراهيم بن الدرجى ، ويحيى بن الصيرفى الفقيه ، وابن البخارى ، وخلق من هذه الطبقة .

ورحل سنة ثلاث وثمانين إلى مصر . وسمع بها من العز الحرانى ، وابن خطيب المزة ، وغازى الحلاوى ، وابن الأنماطى ، وابن القسطلانى ، وغيرهم .

وسمع بالإسكندرية من ابن طرخان ، وجماعة .

ورحل إلى بغداد . وسمع بها من أبى الفضل بن الزيات ، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف البزاز ، وابن المالحانى ، والرشيد بن أبى القاسم ، وابن الطبال ، وغيرهم

وسمع بأصبهان ، والبصرة ، وحلب ، وواسط . وعنى بهذا الفن ، وحصل الأصول ، وكتب العالى والنازل ، وخرج لنفسه .

قال الحافظ عبد الكريم الحلبى : كان إماماً عالماً ، فاضلا حسن القراءة ، فصيحاً ضابطاً متقناً ، كتب الكثير بخطه وطاف البلاد . وقرأ الكثير . وسمع من صغره إلى حين وفاته .

وقال البرزالى : سافر إلى حلب مرتين للسماع . وعلت همته ، فسافر إلى العراق . ودخل إصبهان وغيرها من البلاد . وكان ثقة ، ولديه فضل وقراءة حسنة فصيحة ، صحيحة معربة ، وخالط الفقراء . وصارت له أوراد كثيرة ، وكثرة تلاوة . واستوطن ديار مصر . وتزوج وولد له بها ، وصارت له بها حظوة وشهرة بالحديث وقراءته .

وكان يسكن مصر ، ويتردد إلى القاهرة لوظائفه ومواعيده . وكان ملازما

التلاوة فى مشيه ، مواظبا على قيام الليل ، كثير القراءة للحديث والكتابة والنسخ ، معمور الأوقات بالطاعات ، ونسخ « الصحيحين » بخطه ، وقابلهما وقرأهما ، وبيعا فى تركته بألف درهم رغبة فيه ، وفى تصحيحه ، واعتقاداً فى فضيلته وديانته .

وقال الذهبى فى معجمه : أحد الرحالين والحفاظ والمكثرين . دخل إلى أصبهان ، طمعا أن يجد بها رواة ، فلم يلق شيوخا ولا طلَبة فرجع . وكتب بخطه كتبا كبارا ، وسمعها مررا . وكان ثقة ، صحيح النقل ، عارفا بالأسماء ، من أهل الدين والعبادة ، مفيداً للطلبة بمصر . وكان كثير التلاوة والصلاة ، على طريقة السلف فى لبسه وتواضعه ، وترك التكلف .

ووصفه فى موضع آخر بالفضيلة . والفصاحة وسرعة القراءة .

وحدث . وسمع منه البرزالى ، والذهبى وعبد الكريم الحلبى ؛ وذكروه فى معاجمهم ، وابن المهندس ، وغيرهم .

توفى فى آخر نهار الثلاثاء رابع عشرى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة بمصر . وصلى عليه من الغد بجامع عمرو بن العاص ، ودفن بالقرافة بالقرب من الشافعى . رضى الله عنه .

٤٦٩ ـ محمد بن أبى الفتح بن أبى المفضل البعلى ، الفقيه المحدث ، النحوى اللغوى . شمس الدين أبو عبد الله .

ولد سنة خمس وأربعين وستمائة . قاله الذهبى . وقال غيره : فى أول سنة أربع وأربعين ببعلبك .

وسمع بها من الفقيه محمد اليونينى . وبدمشق : من إبراهيم بن خليل ، ومحمد ابن عبد الهادى ، وابن عبد الدايم ، وعمر الكرمانى ، وابن مهير البغدادى صاحب ابن بوش ، وجماعة من أصحاب الخشوعى ، وابن طبرزد . وطبقته .

وعنى بالحديث . وطلب وقرأ بنفسه . وكتب بخطه ، وتفقه على ابن أبى عمر وغيره ، حتى برع وأفتى . وقرأ العربية واللغة على ابن مالك ، ولازمه حتى برع فى ذلك .

وصنف تصانيف . منها : كتاب « شرح الجرجانية » فى مجلدتين و « شرح الألفية » لابن مالك ، وكتاب « المطلع على أبواب المقنع » فى شرح غريب ألفاظه ولغاته ، وابتدأ فى « شرح الرعاية » فى الفقه ، لابن حمدان . وله تعاليق كثيرة فى الفقه والنحو ، وتخاريج كثيرة فى الحديث ، يروى فيها الحديث بأسانيده . وتكلم على المتون من جهة الإعراب والفقه ، وغير ذلك وخرج لغيره أيضاً .

وأمّ بمحراب الحنابلة بجامع دمشق مدة طويلة ، ودرس به بحلقة الصالح بن صاحب حمص . ودرس بالصدرية ، فأظنه درس الحديث بها ، وأعاد بمدرسة الحنبلية وغيرها من المدارس . ودرس بالحنبلية وقتا . وأفتى زمنا طويلا . وتصدى للاشتغال ، وتخرج به جماعة ، وانتفعوا به .

قال الذهبي: كان إماما فى المذهب ، والعربية والحديث ، غزير الفوائد متقنا . صنف كتبا كثيرة مفيدة . وكان ثقة صالحا ، متواضعا على طريقة السلف ، مطرح للتكلف فى أموره ، حسن البشر ، حدثنا بدمشق و بلعبك وطرابلس .

وتوفى بالقاهرة فى ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبعمائة . وذلك بعد دخوله إياها بدون شهر . وكان زار القدس . وسار إلى مصر ليُسْمِع ابنه ، و يطلب له مدرسة ، أو زيادة رزق .

وذكر فى تاريخه : أنه توفى ليلة السبت وقت العشاء بالمدرسة المنصورية بمارستانها . ودفن عند الحافظ عبد الغنى بالقرافة . وحصل التأسف عليه رحمه الله .

وفى ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول من السنة : توفى قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية الشيخ :ـ

٤٧٠ ـ شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن قاضى حران عبد الله ابن نصر بن أبى بكر الحرانى . ودفن من بكرة الغد بالقرافة

وكان مولده فى رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة .

روى جزء ابن عرفة عن شيخ الشيوخ الأنصارى . سمع منه الطلبة . وولى نظر الخزانة السلطانية مدة . ثم أضيف إليه القضاء ، وتدريس الصالحية . وكان مشكور السيرة ، كثير المكارم ، حسن الخلق والخلق ، مزجى البضاعة من العلم.

٤٧١ ـ أحمد بن حسن بن عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على ابن سرور المقدسى ، ثم الصالحى ، الفقيه ، قاضى القضاة ، شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ شرف الدين بن الحافظ أبى موسى بن الحافظ الكبير أبى محمد . وقد تقدم ذكر آبائه .

ولد فى ثانى عشر صفر سنة ست وخمسين وستمائة بسفح قاسيون

وسمع من ابن عبد الدايم وغيره . وتفقه و برع ، ودرس وأفتى ، ودرس بالمدرسة الصاحبية ، و بحلقة الحنابلة بالجامع ، وأم بمحراب الحنابلة بالجامع أيضا . وولى القضاء بالشام نحو ثلاثة أشهر سنة تسع وسبعمائة فى دولة المظفر الششنكير . ثم عزل لما عاد الملك الناصر إلى الملك . وأعيد القاضى تقى الدين سليمان .

قال البرزالى : كان رجلا جيداً من أعيان الحنابلة وفضلائهم . وكان فقيهاً حسن العبارة . وقرأ الحديث ، وروى لنا عن ابن عبد الدايم

وتوفى يوم الأربعاء تاسع عشرين ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة . ودفن من الغد بتربة الشيخ أبى عمر بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٤٧٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطى الحزامى ، الزاهد القدوة العارف ، عماد الدين أبو العباس ، ابن شيخ الحزاميين

ولد فى حادى عشر ـ أو ثانى عشر ـ ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقى واسط .

وكان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية . ونشأ الشيخ عماد الدين بينهم ، وألهمه الله من صغره طلب الحق ومحبته ،والنفور عن البدع وأهلها ، فاجتمع بالفقهاء بواسط كالشيخ عز الدين الفاروثى وغيره . وقرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعى ، ثم دخل بغداد ، وصحب بها طوائف من الفقهاء ، وحج واجتمع بمكة بجماعة منهم . وأقام بالقاهرة مدة ببعض خوانقها ، وخالط طوائف الفقهاء ، ولم يسكن قلبه إلى شىء من الطوائف المحدثة . واجتمع بالإسكندرية بالطائفة الشاذلية، فوجد عندهم ما يطلبه من لوايح المعرفة ، والمحبة والسلوك[1] ، فأخذ ذلك عنهم ، وانتفع بهم ، واقتفى طريقتهم وهديهم .

ثم قدم دمشق ، فرأى الشيخ تقى الدين ابن تيمية وصاحبه ، فدله على مطالعة السيرة النبوية ، فأقبل على سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام ، فلخصها واختصرها ، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى من جميع طرائقه وأحواله ، وأذواقه وسلوكه ، واقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه ، وطرائقه المأثورة عنه فى كتب السنن والآثار ، واعتنى بأمر السنة أصولا وفروعا ، وشرع فى الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم ، وبين عوراتهم ، وكشف أستارهم ، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد . وبلغنى : أنه كان يقرأ فى « الكافى » على الشيخ مجد الدين الحرانى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى . واختصره فى مجلد سماه « البلغة » وألف تآليف كثيرة فى الطريقة النبوية ، والسلوك الأثرى والفقر المحمدى، وهى من أنفع كتب الصوفية للمريدين، انتفع بها خلق من متصوفة أهل الحديث ومتعبديها .

---

(١) لايمتاز الشاذلية عن غيرهم من الصوفية إلا فى إحداثهم إسم «آه» والكل فى البدع والمحدثات واحد ولذلك تركها كلها إلى اتباع السنة التى دله عليها شيخ الإسلام

وكان الشيخ تقى الدين ابن تيمية يعظمه ويجله ، ويقول عنه : هو جنيد وقته . وكتب إليه كتابا من مصر أوله «إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك».

قال البرزالى عنه فى معجمه : رجل صالح عارف ، صاحب نسك وعبادة ، وانقطاع وعزوف عن الدنيا . وله كلام متين فى التصوف الصحيح . وهو داعية إلى طريق الله تعالى ، وقلمه أبسط من عبارته . واختصر السيرة النبوية . وكان يتقوت من النسخ ، ولا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضرورة . وكان محبا لأهل الحديث ، معظما لهم . وأوقاته محفوظة .

وقال الذهبى : كان سيداً عارفا كبير الشأن ، منقطعا إلى الله تعالى . وكان ينسخ بالأجرة ويتقوت ، ولا يكاد يقبل من أحد شيئاً إلا فى النادر . صنف أجزاء عديدة فى السلوك والسير إلى الله تعالى ، وفى الرد على الاتحادية والمبتدعة . وكان داعية إلى السنة ، ومذهبه مذهب السلف الصالح فى الصفات ، يُمِرُّها كما جاءت . وقد انتفع به جماعة صحبوه ، ولا أعلم خلف بدمشق فى طريقته مثله .

قلت : ومن تصانيفه «شرح منازل السائرين» ولم يتمه ، وله نظم حسن فى السلوك .

كتب عنه الذهبى والبرزالى ، وسمع منه جماعة من شيوخنا وغيرهم ، وكان له مشاركة جيدة فى العلوم ، وعبارة حسنة قوية ، وفهم جيد ، وخط حسن فى غاية الحسن . وكان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات ، والتصنيف ، والمطالعة ، والذكر والفكر ، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة ، والأنس بالله ، وقطع الشواغل والعوائق عنه ، حثيث السير إلى وادى الفناء بالله ، والبقاء به ، كثير اللهج بالأذواق والتجليات ، والأنوار القلبية ، منزوياً عن الناس ، لا يجتمع إلا بمن يحبه ، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفى آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة . بالمارستان الصغير بدمشق ، وصلى عليه من الغد بالجامع ، ودفن بسفح قاسيون ، قبالة زاوية السيوفى ، رضى الله عنه .

٤٧٣ - محمد بن أحمد بن أبى نصر بن الدباهى البغـدادى ، الزاهد شمس الدين ، أبو عبد الله بن أبى العباس .

ولد سنة ست - أو سبع - وثلاثين وستمائة ببغداد .

وصحب الشيخ يحيى الصرصري ، وكان خال والدته ، والشيخ عبد الله كتيلة مدة ، وسافر معه ، وأجاز له التسترى من ماردين ، وجاور بمكة عشر سنين ، ودخل الروم ، والجزيرة ، ومصر ، والشام ، ثم استوطن دمشق ، وتوفى بها .

قال الشيخ كمال الدين بن الزملـكانى عنه : شيخ صالح ، عارف زاهد ، كثير الرغبة فى العلم وأهله ، والحرص على الخير ، والاجتهاد فى العبادة ، تخلى عن الدنيا ، وخرج عنها ، ولازم العبادة ، والعمل الدائم والجد ، واستغرق أوقاته فى الخير ، وكان لديه فضل . وعنده مشاركات جيدة فى علوم . وله عبارة حسنة فيما يكتبه ، وطلب الفوائد الدينية . متقشف ورع ، صلب فى الدين ، مجانب لمن يخشى على دينه منه ، محب للصالحين وأهل الخير ، منقطع عن الناس مهيب . يقوم الليل ويكثر الصوم ، ويطيل الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق ، ويتلو القرآن العظيم ، لا يرى خالياً من أفعال الخير وأعمال البر ، ويتصدق فى السر ، وينصح الإخوان ، ويسعى فى مصالحهم ، ويحسن القيام على عياله ، ويلازم الجماعات فى الجامع ، ولا يغشى السلاطين ولا الولاة ، ولا أهل الدنيا ، إلا عند ضرورة دينية . وكان يخشن مأكله وملبسه ، ويحب طريق السلف الصالح ، وإذا رآه إنسان عرف الجد فى وجهه ، يقوم فيما يظهر له من الحق ، ويأمر بما يمكنه من المعروف ، وينهى عما يقدر على النهى عنه من المنكر ، ولم يزل كذلك حتى توفى .

قال البرزالى : أحد المشـايخ العارفين الصالحين ، وله كلام حسن . وجمع وتأليف ، وهو حسن الجملة ، عديم التـكلف ، وافر الإخلاص ، متبع للسنة ، حسن المشاركة فى العلم ، سيد من السادات .

وقال الذهبي : كان إماماً فقيه النفس ، عارفاً بمعاملات القلوب ، صحب

خلقاً من المشايخ ، وأخذ عنهم أخلاق القوم وطريقهم ، وكان حسن المجالسة ، متبعاً للسنة ، محذراً من البدعة ، كثير الطلب ، ترك أباه ونعمته وتجرد ، ودخل الروم ، والجزيرة ، والشام ، ومصر ، والحجاز ، يصحب بقايا الصوفية ، ويقتفي آثارهم ، وحفظ كثيراً عنهم وعن مشايخ الطريق ، وأنفق كثيراً من الأموال من ميراثه على الفقراء .

وقرأ الفقه في شبيبته على مذهب أحمد ، وجاور بالحرمين بضع عشرة سنة ، وتأهَّلَ وولد له ، فلما لمعت له أنوار شيخنا ـ يعني : ابن تيمية ـ وظفر بأضعاف تطلبه : ارتحل إلى دمشق بأهله ، واستوطنها .

علقت عنه : أشياء ، وسمعت من تآليفه خطبة بليغة ، وصحبته بضع عشرة سنة ، وسمعت منه جزءا بإجازته من القشتبري .

قلت : سمع منه البرزالي ، والذهبي ، وذكراه في معجميهما .

قال الذهبي : ابتلي بضيق النفَس سبعة أشهر ، ثم بالاستسقاء .

وانتقل إلى رحمة الله يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى عشر وسبعمائة . ودفن بقاسيون قبل الشيخ عماد الدين الواسطي بيومين . وأنشدني بعضهم :

الدهر ساومني عمري ، فقلت له لا بعت عمري بالدنيا وما فيها
ثم اشتراه تفاريقا بلا ثمن تَبَّت يدا صفقة قد خاب شاريها

وذكر البرزالي : أنه توفي آخر نهار الخميس المذكور عند الغروب ، وصلى عليه ضحى نهار الجمعة بالجامع ، ودفن غربي تربة الشيخ أبي عمر ، رضي الله عنهما .

٤٧٤ ـ مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد بن عياش الحارثي البغدادي ، ثم المصري الفقيه ، المحدث الحافظ ، قاضي القضاة سعد الدين أبو محمد ، وأبو عبد الرحمن .

ولد سنة اثنين ـ أو ثلاث ـ وخمسين وستمائة .

وسمع بمصر من الرضى بن البرهان ، والنجيب الحرانى ، وابن علاف ، وجماعة من أصحاب البوصيرى وطبقته . وبالإسكندرية : من عثمان بن عوف ، وابن الفرات ، وبدمشق : من أحمد بن أبى الخير . وأبى زكريا بن الصيرفى . وخلق من هذه الطبقة .

وعنى بالحديث . وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه الكثير . وخرج لجماعة من الشيوخ معاجم . منهم : الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، والأبرقوهى وغيرهما .

وتفقه على ابن أبى عمر وغيره . وبرع وأفتى .

وصنف ، شرح بعض سنن أبى داود . وخرج لنفسه آمالى وتكلم فيها على الحديث ورجاله . وعلى التراجم . فأحسن وشفى . وشرح قطعة من كتاب « المقنع » فى الفقه من العارية إلى آخر الوصايا ، وكلامه فى الحديث أجود من كلامه فى الفقه ؛ فإنه كان أجود فنونه .

وكان يكتب خطاً حسناً حلواً متقناً . وخطه معروف ، وحج غير مرة . ودرس بعدة أماكن ، كالمنصورية ، وجامع الحاكم ، وولى القضاء سنتين ونصفاً . وكان سُنِّيًّا أثريًّا ، متمسكا بالحديث .

قال الذهبى فى معجمه : كان فقيهاً مناظراً مفتياً ، عالماً بالحديث وفنونه ، حسن الكلام عليه وعلى الأسماء ، ذا حظ من عربية وأصول . خرج لغير واحد ، وأقرأ المذهب ودرس ، ورأس الحنابلة .

وروى عنه إسماعيل بن الخباز ـ وهو أسن منه ـ وأبو الحجاج المزى ، وأبو محمد البرزالى .

وذكره الذهبى أيضاً فى طبقات الحفاظ ، وقال : كان عارفاً بمذهبه ثقة ، متقنا صينا ، مليح الشكل . فصيح العبارة . وافر التجمل ، كبير القدر . وروى عنه حديث من جزء ابن عرفة .

وقال فى المعجم المختصر : كان عارفًا بمذهبه، بصيراً بكثير من الحديث وعلله ورجاله . مليح التخريج ، من كبار أهل الفن .

قلت : حدث بالكثير ، وروى عنه جماعة من شيوخنا ، وغيرهم .

وتوفى فى سحر يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالقاهرة ، ودفن من يومه بالقرافة ، رحمه الله .

والحارثى : نسبة إلى « الحارثية » قرية من قرى بغداد غربيها ، كان أبوه منها ، وكان تاجرًا بخط حنش . ولد الشيخ بقرية قريبة من مقبرة معروف الكرخى غربى بغداد .

٤٧٥ ـ سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى . ثم الصالحى . قاضى القضاة ، تقى الدين أبو الفضل .

ولد فى منتصف رجب ، سنة ثمان وعشرين وستمائة .

وحضر على ابن الزبيدى صحيح البخارى ، وعلى الفخر الأربلى ، وابن المقير وجماعة . وسمع من ابن اللتى ، وجعفر الهمدانى ، وكريمة القرشية ، وابن الجميزى، وإسماعيل بن ظفر ، والحافظ ضياء الدين ، وابن قميرة ، وغيرهم . وأكثر عن الحافظ ضياء الدين ، حتى قال : سمعت منه نحو ألف جزء .

وقرأ بنفسه على ابن عبد الدايم وغيره كثيراً من الكتب الكبار والأجزاء ، وأجاز له خلق من البغداديين : كالسهروردى والقطيعى ، وابن روزبة ، وعمر ابن كرم ، وإسماعيل بن باتكين ، وزكريا العاثى ، والأنجب الحمامى .

ومن المصريين : كابن العماد ، وعيسى بن عبد العزيز ، وابن باقا .

ومن الأصبهانيين : كمحمد بن عبد الواحد المدينى ، ومحمد بن زهير شعرانة ، وثابت بن محمد الخجندى ، ومحمود بن منده ، وطائفة وجماعة من الشاميين وغيرهم .

ولازم الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، وأخذ عنه الفقه والفرائض ، وغير ذلك .

قال البرزالى : شيوخه بالسماع نحو مائة شيخ ، وبالإجازة : أكثر من سبعمائة ، وخرجت له المشيخات ، والعوالى والمصافحات ، والموافقات ، ولم يزل يقرأ عليه إلى قبيل وفاته بيوم .

قال : وكان شيخاً جليلا ، فقيهاً كبيراً ، بهى المنظر ، وضيء الشيبة ، حسن الشكل ، مواظباً على حضور الجماعات ، وعلى قيام الليل والتلاوة والصيام ، له أوراد وعبادة . وكان عارفاً بالفقه ، خصوصاً كتاب «المقنع» قرأه وأقرأه مرات كثيرة . وكانت له حلقه بالجامع المظفرى . وقرأ عليه جماعة ، ودرس « الكافى » جميعه . وكان يذكر الدرس ذكراً حسناً متقناً ، ويحفظه من ثلاث مرات ونحوها . وكان قوى النفس ، لين الجانب ، حسن الخلق ، متودداً إلى الناس ، حريصاً على قضاء الحوائج ، وعلى النفع المتعدى .

وحدث بثلاثيات البخارى سنة ست وخمسين وستمائة ، وحدث بجميع الصحيح سنة ستين ، وولى القضاء سنة خمس وتسعين .

قال الذهبى : كان فقيها إماماً محدثاً ، أفتى نيفاً وخمسين سنة ، ودرس بالجوزية وغيرها . وبرع فى المذهب ، وتخرج به الفقهاء ، وروى الكثير ، وتفرد فى زمانه ، وكان كيساً متواضعاً ، حسن الأخلاق ، وافر الجلالة ، ذا تعبد وتهجد وإيثار .

وقال أيضاً : كان صاحب ليل ومعروف ، ولين كلمة ، وجبر للأرملة والضعيف ، ولم يخلف مثله .

وقال أيضاً : ولكنه يجرى فى أحكامه ما الله به أعلم . والآفة من سبطه . والله المستعان . ولولا دخوله فى القضاء لعُدّ من العلماء العاملين . وهو مع هذا مسلم ، ذو حظ من عبادة ، وتواضع ولين وفتوة .

قلت : وسمعت شيخنا الحافظ أبا سعيد العلائى ببيت المقدس يقول: رحمه الله شيخنا القاضى تقى الدين سليمان ، سمعته يقول : لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين ، وكأنى لم أصلهما قط .

حدث بالكثير . وسمع منه الأبيوردي ، وذكره في معجمه — وتوفي قبله بدهر — وابن الخباز — وتوفي قبله بمدة — وحدث عنه من بعد الستين . وسمع منه أئمة وحفاظ . وروى عنه خلق كثير . حدثنا عنه جماعة كثيرة من أصحابه .

وتوفي ليلة الإثنين حادي عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة بمنزله بالدير فجأة . وكان قد حكم يوم الأحد بالمدينة . وطلع إلى الجبل إلى آخر النهار ، فعرض له تغير يسير ، وتوضأ للمغرب ، ومات عقب الصلاة ، ودفن من الغد بتربة جده الشيخ أبي عمر ، وحضره خلق كثير رحمه الله تعالى .

٤٧٦ — سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد ، الطوفي الصرصري ثم البغدادي ، الفقيه الأصولي ، المتفنن ، نجم الدين أبو الربيع .

ولد سنة بضع وسبعين وستمائة بقرية «طوفى» من أعمال «صرصر» وحفظ بها «مختصر الخرقي» في الفقه ، و «اللمع» في النحو لابن جني . وتردد إلى صرصر . وقرأ الفقه بها على الشيخ زين الدين علي بن محمد الصرصري الحنبلي النحوي ، ويعرف بابن البوقي . وكان فاضلا صالحاً .

ثم دخل بغداد سنة إحدى وتسعين فحفظ «المحرر» في الفقه ، وبحثه على الشيخ تقي الدين الزريراتي .

وقرأ العربية والتصريف على أبي عبد الله محمد بن الحسين الموصلي ، والأصول على النصر الفاروقي وغيره . وقرأ الفرائض وشيئاً من المنطق ، وجالس فضلاء بغداد في أنواع الفنون ، وعلق عنهم .

وسمع الحديث من الرشيد بن أبي القاسم ، وإسماعيل بن الطبال ، والمفيد عبد الرحمن بن سليمان الحراني ، والمحدث أبي بكر القلانسي وغيرهم .

ثم سافر إلى دمشق سنة أربع وسبعمائة ، فسمع بها الحديث من القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة وغيره . ولقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، والمزي

والشيخ مجد الدين الحرانى ، وجالسهم . وقرأ على ابن أبى الفتح البعلى بعض ألفية ابن مالك .

ثم سافر إلى ديار مصر سنة خمس وسبعمائة ، فسمع بها من الحافظ عبد المؤمن ابن خلف ، والقاضى سعد الدين الحارثى . وقرأ على أبى حيان النحوى ، مختصره لكتاب سيبويه ، وجالسه .

ثم سافر إلى الصعيد ، ولقى بها جماعة ، وحج ، وجاور بالحرمين الشريفين ، وسمع بها . وقرأ بنفسه كثيراً من الكتب والأجزاء ، وأقام بالقاهرة مدة ، وولى بها الإعادة بالمدرستين : المنصورية ، والناصرية ، فى ولاية الحارثى .

وصنف تصانيف كثيرة . ويقال : إن له بقوص خزانة كتب من تصانيفه فإنه أقام بها مدة .

ومن تصانيفه « بغية السائل فى أمهات المسائل » فى أصول الدين ، وقصيدة فى العقيدة وشرحها ، «مختصر الروضة» فى أصول الفقه ، وشرحه فى ثلاث مجلدات ، «مختصر الحاصل» فى أصول الفقه ، «القواعد الكبرى» و «القواعد الصغرى» «الإكسير فى قواعد التفسير» ، « الرياض النواضر فى الأشباه والنظائر » ، « بغية الواصل إلى معرفة الفواصل» مصنف فى الجدل ، وآخر صغير ، «درء القول القبيح فى التحسين والتقبيح» ، «مختصر المحصول» ، «دفع التعارض عما يوهم التناقض» فى الكتاب والسنة ، «معراج الوصول إلى علم الأصول» فى أصول الفقه ، «الرسالة العلوية فى القواعد العربية » ، « غفلة المجتاز فى علم الحقيقة والمجاز » ، « الباهر فى أحكام الباطن والظاهر » ، «رد على الاتحادية» ، « مختصر المعالين » جزءين فيه : أن الفاتحة متضمنة لجميع القرآن ، « الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة » ، « الرحيق السلسل فى الأدب المسلسل » ، « تحفة أهل الأدب فى معرفة لسان العرب » ، «الانتصارات الإسلامية فى دفع شبه النصرانية» ، «تعاليق» على الرد على جماعة من النصارى «تعاليق» على الأناجيل وتناقضها ، شرح نصف «مختصر

الخرقى » فى الفقه ، « مقدمة فى علم الفرائض » ، « شرح مختصر التبريزى » ، «شرح مقامات الحريرى » مجلدين ، « موائد الحيس فى شعر امرىء القيس » ، « شرح أربعين النووى » . واختصر كثيراً من كتب الأصول ، ومن كتب الحديث أيضاً ، ولكن لم يكن له فيه يد . ففى كلامه تخبيط كثير .

وله نظم كثير رائق ، وقصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وقصيدة طويلة فى مدح الإمام أحمد . وكان مع ذلك كله شيعياً منحرفاً فى الاعتقاد عن السنة ، حتى إنه قال فى نفسه :

حنبلى رافضى أشعرى ؟   هذه أحـــد العبر

ووجد له فى الرفض قصائد ، وهو يلوح فى كثير من تصانيفه ، حتى إنه صنف كتاباً سماه « العذاب الواصب على أرواح النواصب » .

ومن دسائسه الخبيثة : أنه قال فى شرح الأربعين للنووى : اعلم أن من أسباب الخلاف الواقع بين العلماء : تعارض الروايات والنصوص ، و بعض الناس يزعم أن السبب فى ذلك : عمر بن الخطاب ، وذلك أن الصحابة استأذنوه فى تدوين السنة من ذلك الزمان ، فمنعهم من ذلك . وقال : لا أكتب مع القرآن غيره ، مع علمه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «اكتبوا لأبى شاه خطبة الوداع» وقال : « قيدوا العلم بالكتابة » . قالوا : فلو ترك الصحابة يدون كل واحد منهم ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لانضبطت السنة ، ولم يبق بين آخر الأمة و بين النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حديث إلا الصحابى الذى دون روايته ، لأن تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم إلينا ، كما تواتر البخارى ومسلم ونحوهما .

فانظر إلى هذا الكلام الخبيث المتضمن : أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه هو الذى أضل الأمة ، قصداً منه وتعمدا . ولقد كذب فى ذلك وفجر .

ثم إن تدوين السنة أكثر ما يفيد صحتها : وتواترها . وقد صحت بحمد الله تعالى ، وحصل العلم بكثير من الأحاديث الصحيحة المتفق عليها ــ أو أكثرها ــ

لأهل الحديث العارفين به من طرق كثيرة ، دون من أعمى الله بصيرته ، لاشتغاله عنها بشبه أهل البدع والضلال . والاختلاف لم يقع لعدم تواترها ، بل وقع من تفاوت فهم معانيها . وهذا موجود ، سواء دونت وتواترت أم لا . وفى كلامه إشارة إلى أن حقها اختلط بباطلها ، ولم يتميز . وهذا جهل عظيم .

وقد كان الطوفى أقام بالمدينة النبوية مدة يصحب الرافضة : السكاكينى المعتزلى ، ويجتمعان على ضلالتهما ، وقد هتكه الله ، وعجل الانتقام منه بالديار المصرية

قال تاج الدين أحمد بن مكتوم القيسى فى حق الطوفى : قدم علينا — يعنى الديار المصرية — فى زىِّ أهل الفقر ، وأقام على ذلك مدة ، ثم تقدم عند الحنابلة ، وتولى الإعادة فى بعض مدارسهم ، وصار له ذكر بينهم . وكان يشارك فى علوم ، ويرجع إلى ذكاء وتحقيق ، وسكون نفس ، إلا أنه كان قليل النقل والحفظ ، وخصوصاً للنحو على مشاركة فيه ، واشتهر عنه الرفض ، والوقوع فى أبى بكر وابنته عائشة رضى الله عنهما ، وفى غيرهما من جملة الصحابة رضى الله عنهم ، وظهر له فى هذا المعنى أشعار بخطه ، نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له ، منها قوله فى قصيدة :

كم بين من شك فى خلافته ... وبين من قيل : إنه الله

فرفع أمر ذلك إلى قاضى قضاة الحنابلة سعد الدين الحارثى ، وقامت عليه بذلك البينة ، فتقدم إلى بعض نوابه بضربه وتعزيزه وإشهاره ، وطيف به ، ونودى عليه بذلك ، وصرف عن جميع ما كان بيده من المدارس ، وحبس أياماً ، ثم أطلق . فخرج من حينه مسافراً ، فبلغ إلى « قوص » من صعيد مصر ، وأقام بها مدة ، ثم حج فى أواخر سنة أربع عشرة . وجاور سنة خمس عشرة . ثم حج ، ثم نزل إلى الشام إلى الأرض المقدسة ، فأدركه الأجل فى بلد الخليل عليه السلام فى شهر رجب سنة ست عشرة وسبعمائة .

قلت : وقد ذكر بعض شيوخنا عمن حدثه عن آخر : أنه أظهر له التوبة

وهو محبوس . وهذا من تقيته ونفاقه ؛ فإنه فى آخر عمره لما جاور بالمدينة كان يجتمع هو والسكاكينى شيخ الرافضة ، ويصحبه . ونظم فى ذلك ما يتضمن السب لأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وقد ذكر ذلك عنه شيخنا المطرى ، حافظ المدينة ومؤرخها . وكان قد صحبه بالمدينة ، وكان الطوفى بعد سجنه قد نفى إلى الشام ، فلم يمكنه الدخول إليها ؛ لأنه كان قد هجا أهلها وسبهم ، فخشى منهم ، فسار إلى دمياط ، فأقام بها مدة ، ثم توجه إلى الصعيد .

٤٧٧ — أبو القاسم بن محمد بن خالد بن إبراهيم ، الحرانى ، الفقيه التاجر بدر الدين ، أخو الشيخ تقى الدين ابن تيمية لأمه .

ولد سنة خمسين وستمائة تقريباً — أو سنة إحدى وخمسين — بحران .

وسمع بدمشق من ابن عبد الدايم ، وابن أبى اليسر ، وابن الصيرفى ، وابن أبى عمر ، وغيرهم . وتفقه ، ولازم الاشتغال على شيوخ المذهب مدة وأفتى ، وأمّ بالمدرسة الجوزية ، بمسجد الرماحين ، ودرس بالمدرسة الحنبلية نيابة عن أخيه الشيخ تقى الدين مدة .

قال البرزالى : كان فقيها مباركا ، كثير الخير ، قليل الشر ، حسن الخلق ، منقطعا عن الناس . وكان يتجر ويتكسب ، وخلف لأولاده تركة ، وروى جزء ابن عرفة مرات عديدة .

وقال الذهبى : كان فقيها عالما إماما بالجوزية . وله رأس مال يتجر فيه . وكان قد تفقه على أبى زكريا بن الصيرفى ، وابن المنجا ، وغيرهما بدمشق . سمعنا منه جزء ابن عرفة غير مرة ، ودرس بالحنبلية ثمانية أعوام . وكان خيراً متواضعاً .

قال البرزالى : وتوفى يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبعمائة . ودفن من يومه بمقابر الصوفية عند والدته ، وحضر جمع كثير . رحمه الله تعالى .

٤٧٨ ـ عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان المكى الصالحى ، الأديب الزاهد ، تقى الدين أبو محمد .

ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة .

سمع الحديث من ابن قميرة ، والمرسى ، وإبراهيم بن خليل ، والبلدانى ، وخطيب مردا . وجماعة .

وقرأ النحو والأدب على الشيخ جمال الدين بن مالك وعلى والده بدر الدين ، وصحبه ولازمه مدة ، وأقام بالحجاز مدة . واجتمع بالشيخ تقى الدين الحورانى الزاهد وغيره ، وسافر إلى الديار المصرية ، وأقام بهامدة . وله نظم كثير حسن رائق .

قال البرزالى : كان شيخا فاضلا ، بارعا فى الأدب ، حسن الصحبة ، مليح المحاضرة ، صحب الفقراء والفضلاء ، وتخلق بالأخلاق الجميلة ، وخرج له فخر الدين ابن البعلبكى مشيخة قرأتها عليه وكتبنا عنه من نظمه . وكان زاهداً متقللا من الدنيا ، لم يكن له أثاث ولا طاسة ولا فراش ، ولا سراج ولا زبدية ، بل كان بيته خاليا من ذلك كله . حدثنى بذلك أخوه الشيخ محمد .

وقال لى القاضى شهاب الدين محمود الكاتب : صحبته أكثر من خمسين سنة . وأثنى عليه ثناء جميلا ، وعظمه وبجّله ، ووصفه بالزهد والفراغ من الدنيا ، وذكر نحو ما ذكر أخوه .

توفى ليلة السبت ثالث ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ودفن من الغد بمقابر المرداويين بالقرب من تربة الشيخ أبى عمر . رحمه الله تعالى .

أنشدنا أبو العباس المقدسى . أنشدنا عبد الله بن تمام لنفسه :

أشاهد من محاسنكم منارا ... يكاد البدر يشبهه شقيقا
وأصحب من جمالكم خيالا ... فأنّى سرت يرشدنى الطريقا
أرى نجم الزمان بكم سعيداً ... ومعنى حسنكم معنى دقيقا

و بدر التِّم يزهى من سناكم   وشمس جمالكم برزت شروقا
وروض عبير أرضكم نهارا   جرى ذهب الأصيل به خلوقا
حديثى والغرام بكم قديم   وشوقى يزعج القلب المشوقا
وأنفاسى بعثت بها إليكم   سلوا عنها النسيم أو البروقا
ولي صدق المودة فى حماكم   سقى الله الحمى ، ورعى الصديقا

وأنشدنا أيضا عن ابن تمام لنفسه :

أكرر فيكم أبدا حديثى   فيحلوا ، والحديث بكم شجون
وأنظمه عقودا من دموعى   فتنثره المحاجر والجفون
وأبتكر المعانى فى هواكم   وفيكم كل قافية تهون
وأعتنق النسيم ؛ لأن فيه   شمائل من معاطفكم تبين
وأسأل عنكم النكباء سرا   وسر هواكم عندى مصون
وكم لى فى محبتكم غرام ؟   وكم لى فى الغرام بكم فنون ؟

وفى ثالث ذى القعدة سنة ثمان عشرة أيضا : توفى الفقيه الفاضل : —

٤٧٩ — برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ عماد الدين عبد الحافظ ابن أبى محمد عبد الحميد بن محمد بن أبى بكر ، قاضى القدس الحنبلى . ودفن بتربة الشيخ موفق الدين . وكان من أبناء السبعين .

حضر على خطيب مردا بنابلس . وأقام بدمشق . وتفقه بها وسمع . وكتب بخطه كثيراً .

وكان عدلا وفقيها فى المدارس ، من أهل الدين والعفاف والفضيلة . وكان كثير السكوت ، قليل الكلام . وله قصيدة حسنة رثى بها الشيخ شمس الدين ابن أبى عمر . ذكر ذلك البرزالى .

وقال الذهبى : كان فقيها إماما ، عارفا بالفقه والعربية ، وفيه دين وتواضع

وصلاح . قال : وسمعت منه قصيدته التى رثى بها الشيخ شمس الدين ، ثم روى عنه حديثا .

٤٨٠ - محمد بن عمر بن عبد المحمود بن زباطر الحرانى ، الفقيه الزاهد ، شمس الدين أبو عبد الله . نزيل دمشق .

ولد سنة سبع وثلاثين وستمائة بحران .

وسمع بها من عيسى الخياط ، والشيخ مجد الدين ابن تيمية .

وسمع بدمشق من إبراهيم بن خليل ، ومحمد بن عبد الهادى ، والبلدانى ، وابن عبد الدايم ، وخطيب مرادا . وعنى بسماع الحديث إلى آخر عمره . وكان يَرُدُّ على القارىء وقت القراءة أشياء مفيدة ، ولديه فقه وفضائل ، وأمّ بمسجد الوزير ظاهر دمشق .

قال الذهبى : كان فقيها زاهداً ناسكا ، سلفى الجملة ، عارفا بمذهب الإمام أحمد . وحدث ، سمع منه جماعة ، منهم : الذهبى ، وصفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق . وسافر سنة إحدى عشرة إلى مصر لزيارة الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، فأسر من سبخة بردويل ، وبقى مدة فى الأسر .

ويقال : إن الفرنج لما رأوا ديانته وأمانته واجتهاده أكرموه واحترموه ، وبقى عندهم مدة ، وانقطع خبره قبل العشرين . ويقال : إن وفاته كانت بقبرص سنة ثمان عشرة وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٤٨١ - أحمد بن حامد المعروف بابن عصية ، البغدادى ، القاضى : جمال الدين .

قال الطوفى : حضرت درسه . وكان بارعا فى الفقه والتفسير والفرائض . وأما معرفة القضاء والأحكام : فكان أوحد عصره فى ذلك .

قلت : كان ذا هيبة ، وحسن شيبة . ولى القضاء بالجانب الشرقى ببغداد ،

ودرس للحنابلة بالبشيرية ، ثم عزل ، ونالته محنة ، ثم أعيد إلى التدريس سنة ثلاث عشرة . وأظنه توفى فى حدود العشرين وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٤٨٢ – عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالى محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن أبي المعالى الفضل بن العباس بن عبد الله بن معن ابن زائدة الشيبانى ، المروزى الأصل ، البغدادى الأخبارى ، المؤرخ الكاتب الأديب ، كمال الدين أبو الفضل بن الصابونى ، ويعرف بابن الفوطى ، وهو جد أبيه لأمه .

ولد فى سابع عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وستمائة بدار الخلافة من بغداد .

وسمع بها من الصاحب محيى الدين بن الجوزى ، ثم أسر فى وقعة بغداد ، وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف وزير الملاحدة ، فلازمه ، وأخذ عنه علوم الأوائل ، وبرع فى الفلسفة وغيرها ، وأمره بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم ، واشتغل على غيره فى اللغة والأدب ، حتى برع ومهر فى التاريخ والشعر وأيام الناس ، وأقام بمراغة مدة ، وولى بها خزن كتب الرصد بضع عشرة سنة ، وظفر بها بكتب نفيسة ، وحصل من التواريخ مالا مزيد عليه .

وسمع بها من المبارك بن المستعصم بالله سنة ست وستين ، ثم عاد إلى بغداد ، وولى خزن كتب المستنصرية ، فبقى عليها إلى أن مات . ويقال : إنه ليس بالبلاد أكثر من كتب هاتين الخزانتين اللتين باشرهما .

وسمع ببغداد الكثير من محمد بن أبي الربيع وطبقته . وعنى بالحديث . وقرأ وكتب الكثير بخطه المليح ، وصنف فى الأخبار والتاريخ والأنساب شيئا كثيرا . ذكره الذهبي فى طبقات الحفاظ ، وقال : له النظم والنثر ، والباع الأطول فى ترصيع تراجم الناس ، وله ذكاء مفرط ، وخط منسوب رشيق ، وفضائل كثيرة .

سمع الكثير ، وعنى بهذا الشأن ، وجمع وأفاد ، فلعل الحديث أن يُكَفَّر به عنه ، وكتب من التواريخ مالا يوصف . ومصنفاته وَقْرَ بعير .

عمل تاريخا كبيرا لم يبيضه ، ثم عمل آخر دونه فى خمسين مجلداً ، سماه « مجمع الآداب فى معجم الأسماء على معجم الألقاب » وألف كتاب « درر الأصداف فى غرر الأوصاف » وهو كبير جداً ، وذكر : أنه جمعه من ألف مصنف من التواريخ والدواوين ، والأنساب والمجاميع ، عشرون مجلداً ، بيض منها خمسة ، وكتاب « المؤتلف والمختلف » رتبه مجدولا . وله كتاب « التاريخ على الحوادث » وكتاب « حوادث المائة السابعة » وإلى أن مات ، وكتاب نظم « الدرر الناصعة فى شعراء المائة السابعة » فى عدة مجلدات .

وذكر الذهبى أيضا فى « المعجم المختصر » : أن ابن الفوطى خرج معجما لشيوخه ، و بلغوا نحو خمسمائة شيخ بالسماع والإجازة .

وذكر غيره : أنه جمع الوفيات من سنة ستمائة ، سماه « الحوادث الجامعة ، والتجارت النافعة ، الواقعة فى المائة السابعة » وهذا هو الذى أشار إليه الذهبى .

قال : وذَيَّل على تاريخ ابن الساعى شيخه نحوا من ثمانين مجلدة ، عمله للصاحب عطاء الملك . وله « تلقيح الأفهام فى تنقيح الأوهام » وله وفيات أخر ، وأشياء كثيرة فى الأنساب وغيرها ، ونظم كثير حسن ، وخطه فى غاية الحسن . وقد تُكُلِّم فى عقيدته وفى عدالته .

وسمعت من بعض شيوخنا ببغداد شيئا من ذلك . وقد ذكر الذهبى طرفا من ذلك، وأنه كان يترخص فى إثبات مايرصمه ، ويبالغ فى تقريظ المغول وأعوانهم .

قال : وهو فى الجملة إخبارى علامة ، ماهو بدون أبى الفرج الإصبهانى . وكان ظريفا متواضعاً ، حسن الأخلاق ، فالله يسامحه .

وقلت : حدث . سمع منه جماعة .

روى لنا عنه ولده أبو المعالى محمد ، وغيره ببغداد . وقد سمع منه محمود بن خليفة ، وغيره من أهل الشام .

وأصابه فالج فى آخر عمره فوق سبعة أشهر . ثم توفى فى آخر نهار الإثنين غرة المحرم – وقيل : ثالث المحرم ، وقيل : فى ثانى عشره – سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ببغداد . ودفن بالشونيزية . سامحه الله تعالى .

٤٨٣ – محمد بن سعد بن عبد الأحد بن سعدالله بن عبد القاهر بن عبدالأحد ابن عمر بن نجيح الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الإمام ، شرف الدين أبو عبد الله ابن سعد الدين .

سمع من الفخر بن البخارى وغيره . وطلب الحديث . وقرأ بنفسه . وتفقه وأفتى . وصحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، ولازمه . وكان صحيح الذهن ، جيد المشاركة فى العلوم ، من خيار الناس وعقلائهم وعلمائهم .

توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بوادى بنى سالم فى رجوعه من الحج ، وحمل إلى المدينة النبوية على أعناق الرجال . ودفن بالبقيع . وكان كهلا . رحمه الله تعالى .

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين أيضاً : توفى الشيخ الإمام الفقيه شمس الدين أبو عبد الله : –

٤٨٤ – محمد بن محمود الجيلى . نزيل بغداد ، المدرس للحنابلة بالبشيرية بها .

وكان فقيهاً فاضلا . له مصنف فى الفقه ، سماه « الكفاية » لم يتمه . وذكر فيه : أن أحمد نص على أن من وصى بقضاء الصلاة المفروضة عنه نفذت وصيته .

٤٨٥ – محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدى ، ثم المصرى الخطيب ، الإمام ، الصدر ، الرئيس ، الفقيه ، بدر الدين أبو عبد الله ، خطيب دمشق وحلب .

سمع الحديث . وتفقه بالديار المصرية ، وحفظ « المحرر » وشرحه على ابن حمدان ، ولازمه مدة من السنين حتى قرأه عليه ، وبرع فى الفقه . وكان ابن حمدان يشكره ، ويثنى عليه كثيراً ، ثم اشتغل بالكتابة ، واتصل بالأمير قَرَاسُنْقُر المنصورى بحلب ، فولاه نظر الأوقاف ، وخطابة جامع حلب .

ثم لما صار قراسنقر نائباً بدمشق ولاه خطابة جامعها فى آخر ذى القعدة سنة تسع وسبعمائة ، وصرف عنه جلال الدين القزوينى ، فاستمر يباشر الخطابة والإمامة بالجامع إلى ثانى عشر محرم سنة عشر ، فأعيد القزوينى بمرسوم السلطان وولى ابن الحداد حينئذ نظر المارستان ، ثم ولى حسبة دمشق ، ونظر الجامع ، واستمر فى نظره إلى حين وفاته ، وعين لقضاء الحنابلة فى وقت .

توفى ليلة الأربعاء سابع جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبعمائة . ودفن بمقبرة الباب الصغير . رحمه الله تعالى .

٤٨٦ ـ محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى ، الدمشقى ، الشيخ شرف الدين أبو عبد الله ، ابن الشيخ زين الدين أبى البركات . وقد سبق ذكر آبائه .

ولد سنة خمس وسبعين وستمائة .

وأسمعه والده الكثير من المسلم بن علان ، وابن أبى عمر ، وجماعة من طبقتهما ، وسمع « المسند » والكتب الكبار . وتفقه وأفتى ، ودرس بالمسمارية . وكان من خواص أصحاب الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وملازميه حضراً وسفراً ومشهور بالديانة والتقوى ، ذا خصال جميلة ، وعلم وشجاعة .

روى عنه الذهبى فى معجمه . وقال : كان فقيهاً إماماً ، حسن الفهم صالحاً متواضعاً ، كيس الجملة .

توفى إلى رضوان الله تعالى فى رابع شوال سنة أربع وعشرين وسبعمائة . وشيعه الخلق الكثير . ودفن بسفح قاسيون . رحمه الله .

٤٨٧ - محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ، ثم الدمشقي ، شهاب الدين أبو الثناء ، كاتب السر ، وعلامة الأدب .

ولد سنة أربع وأربعين وستمائة بحلب ، وانتقل مع والده إلى دمشق سنة أربع وخمسين.

وسمع بها من الرضى بن البرهان ، وابن عبد الدايم ، ويحيى بن الناصح بن الحنبلي وغيرهم . وتعلم الخط المنسوب ، ونسخ بالأجرة بخطه الأنيق كثيراً .

واشتغل بالفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر . وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مالك ، وتأدب بالمجد بن الظهير وغيره . وفتح له في النظم والنثر ، ثم ترقت حاله ، واحتيج إليه ، وطلب إلى الديار المصرية ، واشتهر اسمه ، وبعُد صيته ، وصار المشار إليه في هذا الشأن في الديار الشامية والمصرية . وكان يكتب التقاليد الكبار بلا مسودة .

وله تصانيف في الإنشاء وغيره ، ودون الفضلاء نظمه ونثره . ويقال : إنه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله ، وله من الخصائص ما ليس للفاضل من كثرة القصائد المطولة الحسنة الأنيقة ، وبقي في ديوان الإنشاء نحواً من خمسين سنة بدمشق ومصر ، وولي كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين قبل وفاته .

وحدث . وروى عنه الذهبي في معجمه ، وقال : كان ديناً متعبداً ، مؤثراً للانقطاع والسكون ، حسن المحاورة ، كثير الفضائل .

توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وسبعمائة بدمشق بداره ، وهي دار القاضي الفاضل بالقرب من باب الناطفانيين . وشيعه أعيان الدولة . وحضر الصلاة عليه بسوق الخيل نائب السلطنة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرب من اليغمورية . رحمه الله تعالى .

٤٨٨ - يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام بن البتى البغدادى ، المقرىء الفقيه ، الأديب النحوى ، المتفنن جمال الدين .

قرأ بالروايات ، وسمع الحديث من محمد بن حلاوة ، وعلى بن حصين ، وعبد الرزاق بن الفوطى ، وغيرهم .

وقرأ بنفسه على ابن الطبال . وأخذ عن الشيخ عز الدين عبد العزيز ابن جماعة بن القواس الموصلى شارح ألفية ابن معطى : الأدب والعربية والمنطق ، وغير ذلك ، واستفاد فى الفقه من الشيخ تقى الدين بن الزريرانى . ويقال : إنه قرأ عليه . وكان معيداً عنده بالمستنصرية .

وقال الطوفى : استفدت منه كثيراً . وكان نحوى العراق ومقرئه ، عالما بالقرآن والعربية والأدب . وله حظ من الفقه والأصول والفرائض والمنطق .

قلت : ودرس للحنابلة بالبشيرية غربى بغداد ، ونالته فى آخر عمره محنة ، واعتقل بسبب موافقته الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى مسألة الزيارة . وكاتبه عليها مع جماعة من علماء بغداد ، وتخرج به جماعة ، وأقرأ العلم مدة ، ولا يعرف أنه حدث .

وتوفى فى حادى عشر شوال سنة ست وعشرين وسبعمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه . وكان كهلا . رحمه الله تعالى .

وفى هذا الشهر ليلة الخميس ثالث عشرة توفى المؤرخ : ـ

٤٨٩ - قطب الدين موسى بن الشيخ الفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى الحسين اليونينى ببعلبك . ودفن عند أخيه بباب سطحا .

وكان مولده فى ثامن صفر سنة أربعين وستمائة بدمشق .

وسمع من أبيه ، وبدمشق من ابن عبد الدايم ، وعبد العزيز شيخ شيوخ حماة ، وبمصر من الرشيد العطار ، وإسماعيل بن صارم ، وجماعة . وأجاز له ابن رواج ، والتشتبرى .

قال الذهبي : كان عالما فاضلا ، مليح المحاضرة ، كريم النفس ، معظما جليلا . حدثنا بدمشق و بعلبك ، وجمع تاريخا حسنا ، ذيل به على « مرآة الزمان » واختصر « المرآة » .

قال : وانتفعت بتاريخه ، ونقلت منه فوائد جمة . وقد حسنت فى آخر عمره حالته ، وأكثر من العزلة والعبادة وكان مقتصداً فى لباسه وزيّه ، صدوقا فى نفسه ، مليح الشيبة ، كثير الهيبة ، وافر الحرمة . رحمه الله تعالى .

٤٩٠ – محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الزينى الصالحى ، الفقيه الصالح الزاهد ، قاضى القضاة ، شمس الدين أبو عبد الله .

ولد سنة اثنتين وستين وستمائة .

وتوفى أبوه سنة ثمان وستين – وكان من الصالحين – فنشأ يتيما فقيرا . وكان قد حضر على ابن عبد الدايم ، وعمر الكرمانى . ثم سمع من ابن البخارى وطبقته ، وأكثر عن ابن الكمال . وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه ، وعنى بالحديث ، وتفقه وبرع وأفتى ، وبرع فى العربية ، وتصدى للاشتغال والإفادة ، واشتهر اسمه ، مع الديانة والورع ، والزهد والاقتناع باليسير .

ثم بعد موت القاضى تقى الدين سليمان : ورد تقليده للقضاء فى صفر سنة ست عشرة عوضه . فتوقف فى القبول . ثم استخار الله وقبل ، بعد أن شرط أن لا يلبس خلعة حرير ، ولا يركب فى المواكب ، ولا يقتنى مركوبا . فأجيب إلى ذلك .

ولما لبس الخلعة بدار السعادة : خرج بها ماشياً إلى الجامع ، ومعه الصاحب . وجماعة من الأعيان مشاة ، فقرىء تقليده ، ثم خلعها ، وتوجه إلى الصالحية .

قال الذهبي فى معجمه المختصر برع فى المذهب والعربية . وأقرأ الناس مدة . على ورع وعفاف . ومحاسن جمة . ثم ولى القضاء بعد تمنع ، وشُكِر وحُمِد . ولم يغير زيه . ولا اقتنى دابة ، ولا أخذ مدرسة . واجتهد فى الخير وفى عمارة أوقاف الحنابلة . اهـ

وكان من قضاة العدل ، مصمما على الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم . وهو الذى حكم على ابن تيمية بمنعه من الفتيا بمسائل الطلاق وغيرها مما يخالف المذهب .

وقد حدث . وسمع منه جماعة . وخرج له المحدثون تخاريج عدة . وحج ثلاث مرات . ثم حج رابعة فتمرض فى طريقه بعد رحيلهم من العُلى . فورد المدينة النبوية يوم الإثنين ثالث عشرى ذى القعدة سنة ست وعشرين وسبعمائة وهو ضعيف ، فصلى فى المسجد . ثم سلم على النبى صلى الله عليه وسلم . وكان بالأشواق إلى ذلك فى مرضه . ثم ماتَ عشية ذلك اليوم .

وقيل : من أواخر الليلة المقبلة . وصلى عليه بالروضة . ودفن بالبقيع شرقى قبر عقيل رضى الله عنه . وتأسف أهل الخير لفقده . رحمه الله تعالى .

٤٩١ ـ محمد بن على بن أبى القاسم بن أبى العشرين الوراق . الموصلى . المقرئ الفقيه . المحدث النحوى . شمس الدين أبو عبد الله ، ويعرف بابن خروف .

ولد فى حدود الأربعين وستمائة بالموصل ، أو قبلها .

وقرأ بها القرآن على عبد الله بن إبراهيم الجزدى الزاهد . وقد تقدم ذكره . وقصد الإمام أبا عبد الله شعلة ، ليقرأ عليه ، فوجده مريضا مرض الموت . ثم رحل ابن خروف إلى بغداد بعد الستين ، وقرأ بها القراءات بكتب كثيرة فى السبع والعشر ، على الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش ، ولازمه مدة طويلة . وقرأ القراءات أيضا على أبى الحسن بن الوجوهى . وسمع الحديث منهما ، ومن ابن وضاح

وذكر البرزالى : أنه عرض عليه « المقنع » فى الفقه للشيخ موفق الدين .

وذكر الذهبى : أنه حفظ « الخرقى » وعنى بالحديث ، وقرأ بالموصل على أبى العباس الكواشى المفسر كتابه « التلخيص » فى التفسير . وقرأ بها على أبى عبد الله محمد بن مسعود بن عمر العجمى « جامع الترمذى » بسماعه من أبى الفتح الغزنوى . وقرأ عليه أيضا « معالم التنزيل » للبغوى ، بسماعه من ابن أبى المجد القزوينى .

ونظر فى العربية ، وشارك فى الفضائل ، وله نظم حسن . تصدى للاشغال والإقراء فى بلده مدة . وقرأ عليه جماعة .

وقدم الشام سنة سبع عشرة ، وولى بها مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية بعد المجد اليونينى . وحدث بها .

وسمع منه الذهبى ، والبرزالى ، وذكره فى معجمه ، وقال : كان شيخا صالحا ، متوددا إلى الناس ، حسن المحاضرة ، طيب المجالسة . مكرما عند كل أحد ؛ لحسن خلقه ، وشيخوخته وفضله . ونزل بالحلبية بالجامع .

وسمع منه أيضاً أبو حيان . وعبد الكريم الحلبى . وذكره فى معجمه وأظنه ذهب إلى الديار المصرية أيضاً .

ورجع إلى بلده . وبها توفى فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبعمائة . ودفن بمقبرة المعافى ابن عمران رضى الله عنه .

٤٩٢ — عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الإمام ، الزاهد ، العابد القدوة المتفنن ، شرف الدين أبو محمد ، أخو الشيخ تقى الدين .

ولد فى حادى عشر محرم سنة ست وستين وستمائة بحران .

وقدم مع أهله إلى دمشق رضيعا ، فحضر بها على ابن أبى اليسر ، وغيره . ثم سمع من ابن علان ، وابن الصيرفى ، وأحمد بن أبى الخير ، ومن ابن أبى عمر ، والقاسم الأربلى ، وخلق من هذه الطبقة .

وسمع « المسند » و « الصحيحين » وكتب السنن . وتفقه فى المذهب حتى برع وأفتى . وبرع أيضا فى الفرائض والحساب ، وعلم الهيئة ، وفى الأصلين والعربية . وله مشاركة قوية فى الحديث . ودرس بالحنبلية مدة .

وكان صاحب صدق وإخلاص ، قانعا باليسير ، شريف النفس ، شجاعا مقداما ، مجاهداً زاهدا ، عابداً ورعاً ، يخرج من بيته ليلا ، ويأوى إليه ليلا ،

ولا يجلس في مكان معين ، بحيث يقصد فيه ، لـكنه يأوى إلى المساجد المهجورة خارج البلد ، فيختلى فيها للصلاة والذكر . وكان كثير العبادة والتأله ، والمراقبة والخوف من الله تعالى ، ذا كرامات وكشوف .

ومما اشتهر عنه : أنه كثير الصدقات ، والإيثار بالذهب والفضة فى حضره وسفره ، مع فقره وقلة ذات يده . وكان رفيقه فى المحمل فى الحج يفتش رحله فلا يجد فيه شيئا ، ثم يراه يتصدق بذهب كثير جدا . وهذا أمر مشهور معروف عنه . وحج مرات متعددة .

وكان له يد طولى فى معرفة تراجم السلف ووفياتهم ، وفى التواريخ المتقدمة والمتأخرة . وحبس مع أخيه بالديار المصرية مدة . وقد استدعي غير مرة وحده إلى المناظرة ، فناظر ، وأفحم الخصوم .

وسئل عنه الشيخ كمال الدين بن الزملكانى؟ فقال: هو بارع فى فنون عديدة من الفقه ، والنحو والأصول ، ملازم لأنواع الخير ، وتعليم العلم ، حسن العبارة ، قوى فى دينه ، جيد التفقه ، مستحضر لمذهبه ، مليح البحث ، صحيح الذهن ، قوى الفهم . رحمه الله تعالى .

وذكره الذهبي فى « المعجم المختصر » فقال : كان بصيراً بكثير من علل الحديث ورجاله ، فصيح العبارة ، عالما بالعربية ، نقالا للفقه ، كثير المطالعة لفنون العلم ، حلو المذاكرة ، مع الدين والتقوى ، وإيثار الانقطاع ، وترك التـكلف والقناعة باليسير ، والنصح للمسلمين رضى الله عنه .

وذكره أيضا فى معجم شيوخه ، فقال: كان إماما بارعا ، فقيها عارفا بالمذهب وأصوله ، وأصول الديانات ، عارفا بدقائق العربية ، وبالفرائض والحساب والهيئة كثير المحفوظ ، له مشاركة جيدة فى الحديث ، ومشاهير الأئمة والحوادث ، ويعرف قطعة كثيرة من السيرة . وكان متقنا للمناظرة وقواعدها ، والخلاف . وكان حلو المحاضرة متواضعا ، كثير العبادة والخير ، ذا حظ من صدق وإخلاص

وتوجه وعرفان ، وانقطاع بالكلية عن الناس ، قانعا بيسير اللباس اه .

توفى رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبعمائة بدمشق . وصلى عليه الظهر بالجامع ، وحمل إلى باب القلعة فصلى عليه هناك مرة أخرى . وصلى عليه أخوه الشيخ تقى الدين ، وزين الدين عبد الرحمن ، وهما محبوسان بالقلعة ، وخلق معهما من داخل القلعة . وكان التكبير يبلغهم ، وكثر البكاء تلك الساعة . فكان وقتا مشهودا . ثم صلى عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحمل على الرءوس والأصابع إلى مقابر الصوفية ، فدفن بها . وحضر جنازته جمع كثير ، وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه . رحمه الله .

٤٩٣ ـ محمد بن عبد المحسن بن أبى الحسن بن عبد الغفار بن الخراط ، البغدادى ، القطيعى ، الأزجى ، المحدث ، الواعظ ، عفيف الدين أبو عبد الله ، ويعرف بابن الدواليبى .

قرأت بخطه : مولدى فى آخر سنة أربع وثلاثين وستمائة . وكان قد اختلف قوله فى ذلك .

فنقل البرزالى عنه : أن مولده فى ربيع الأول فى سنة ثمان وثلاثين فى ثالث عشره ـ أو رابع عشره ـ على الشك منه .

وذكر غيره عنه : أن مولده سنة تسع وثلاثين .

وسمع من عبد الملك بن قيبا ، وإبراهيم بن الخير ، والأعز بن العليق ، ومحمد بن مقبل بن المنى ، ويحيى بن قميرة ، وأخيه أحمد ، وعلى بن معالى الرصافى ، وعبد الله بن على النعال .

وسمع من أحمد الباذبينى « صحيح مسلم » ومن الشيخ مجد الدين ابن تيمية أحكامه ، ونصف المحرر ، ومن الصاحب أبى المظفر بن الجوزى ، وعجيبة بنت الباقدارى ، وغيرهم . وأجاز له جماعة كثيرون .

وسمع « المسند » من جماعة ، ووعظ مدة طويلة ، وشارك فى العلوم ، وعمّر وصار مسند أهل العراق فى وقته .

وحدث بالكثير : وكان قد سمع كثيراً من الكتب العوالى على شيوخه القدماء ، ولكن لم يظفر أهل بغداد بذلك . وإنما اشتهر عندهم سماعه للمسند ، و « صحيح مسلم » وقد شاركه فى سماعهما بمثل إسناده خلق كثير ، حتى أدركنا منهم جماعة . وسمعنا الكتابين على مثله .

سمع منه الفرضى ، وذكره فى معجمه ، مع تقدم وفاته ، فقال : كان شيخا عالما ، فقيها فاضلا ، واعظا زاهدا ، عابدا ثقة دينا . وقدم دمشق حاجاً .

وسمع منه جماعة ، منهم : البرزالى . وذكره فى معجمه ، فقل : شيخ فاضل فى الوعظ ، تكلم على الناس مدة طويلة ، وحفظ « الخرقى » فى الفقه ، و « اللمع » لابن جنى ، وحج مرات ، وهو من أهل الصلاح ، كثير القناعة والتعفف ، ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وحرمته وافرة ، ومكانته معروفة . قدم علينا حاجا سنة ثمان وتسعين ، ونزل ظاهر البلد ، فخرجنا إليه ، وسمعنا منه ، وجلس للوعظ بجامع دمشق فى أواخر رمضان من هذه السنة . وحضرنا مجلسه ، وسمعنا تذكيره . وتفرد فى زمانه ، وولى مشيخة المستنصرية ، وهو قادرى . كان أبوه من أصحاب الشيخ أبى صالح نصر بن عبد الرزاق .

وذكره الذهبى فى معجمه ، وقال : كان عالما واعظا ، حسن المحاضرة ، صحبناه فى طريق الحج . حدث ببغداد ، ودمشق ، والمدينة ، والعلا .

وذكره شيخنا بالإجازة صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق فى معجمه ، فقال : شيخ جليل ، كثير المسموعات ، سكن براط ابن الغزال بالقطيعة ، من باب الأزج ، ولازم الوعظ به مدة طويلة ، ووعظ بجامع الخليفة . ورتب مسمعا بدار الحديث المستنصرية بعد وفاة ابن حصين سنة ثمان عشرة .

قلت : سمع منه خلق كثير من شيوخنا وغيرهم ، كأبى حفص القزوينى ،

ومحمود بن خليفة ، وابن الفصيح الكوفى ؛ ووالدى ، وعمر البزار . وكان ينظم الشعر

توفى يوم الخميس رابع عشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وشيعه خلق كثير ودفن بمقابر الشهداء من باب حرب . رحمه الله .

قال لى : وعظت زمن المستعصم . وأنشدنى لنفسه ـ كان وكان ـ عند سماعى منه « صحيح مسلم » :

ترى ربيع التواصل يقدم وتفنى شقوتى — ويقبل الصيف وجيشو على الشتاء منصور
وابصر مجيمر هجرى على المزابل مكسرة — وبيت كانون حزنى أرجع ازىّ مهجور
وأخلع بنفسج صبرى على عواذل سلوتى — وياسمين انتظارى ورى العدى منثور

٤٩٤ ـ أحمد بن محمد بن عبد الولى بن جبارة المقدسى المقرىء ، الفقيه الأصولى النحوى ، شهاب الدين، أبو العباس بن الشيخ تقى الدين أبى عبد الله . وقد سبق ذكر والده .

ولد سنة سبع ـ أو ثمان ـ وأربعين وستمائة

وقال البرزالى : سنة تسع وأربعين . أظنه بقاسيون

وسمع من خطيب مردا حضورا ، ومن ابن عبد الدايم ، وجماعة

وارتحل إلى مصر بعد الثمانين ـ كذا فى الطبقات ـ وفى التاريخ : سنة ثلاث وسبعين ، فقرأ بها القراءات على الشيخ حسن الراشدى ، وصحبه إلى أن مات ، وقرأ الأصول على شهاب الدين القرافى المالكى ، والعربية على بهاء الدين ابن النحاس ، وبرع فى ذلك ، وتفقه فى المذهب ، لعله على ابن حمدان .

وقدم دمشق بعد التسعين ، فأقرأ بها القراءات ، ثم تحول إلى حلب ، فأقرأ بها أيضاً ، ثم استوطن بيت المقدس ، وتَصَدَّر لإقراء القرآن ، والعربية ، وصنف شرحاً كبيراً للشاطبية ، وشرحاً آخر للرائية فى الرسم . وشرحاً لألفية ابن معطى ، ولا أدرى أكمله أم لا ؟ وصنف تفسيراً وأشياء فى القراءات .

قال الذهبي في طبقات القراء : هو صالح متعفف ، خشن العيش ، جمّ الفضائل ، ماهر بالفن ، قلّ من رأيت بعد رفيقه مجد الدين – يعنى التونسي – مثله ، وذكره في معجم شيوخه ، فقال : كان إماماً مقرئاً بارعاً ، فقيهاً متقناً ، نحوياً ، نشأ إلى اليوم في صلاح وزهد ودين . سمعت منه مجلس البطاقة ، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس .

وذكره البرزالي في تاريخه ، وذكر : أنه حج وجاور بمكة ، قال : وكان رجلا صالحاً ، مباركا عفيفاً منقطعاً ، يعد في العلماء الصّالحين الأخيار ، قرأت عليه بدمشق والقدس ، عدة أجزاء .

وتوفى بالقدس سحر يوم الأحد رابع رجب سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ودفن في اليوم المذكور بمقبرة ماملا ، وصلى عليه بجامع دمشق صلاة الغائب ، في سادس عشر الشهر .

وذكر الذهبي : أنه مات فجأة ، رحمه الله تعالى .

٤٩٥ – **أحمد بن عبد الحليم** بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني ، ثم الدمشقي ، الإمام الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ المفسر ، الأصولي الزاهد . تقى الدين أبو العباس ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام ، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره ، والإسهاب في أمره .

ولد يوم الإثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران .

وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق ، عند استيلاء التتر على البلاد ، سنة سبع وستين .

فسمع الشيخ بها من ابن عبد الدايم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبد ، والمجد ابن عساكر ، ويحيى بن الصيرفي الفقيه ، وأحمد بن أبي الخير الحداد ، والقاسم الأربلي ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، والمسلم بن علان ، وإبراهيم بن الدرجي ، وخلق كثير .

وعنى بالحديث . وسمع «المسند» مرات ، والكتب الستة ، ومُعجم الطبرانى الكبير ، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء . وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه جملة من الأجزاء ، وأقبل على العلوم فى صغره . فأخذ الفقه والأصول . عن والده ، وعن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، والشيخ زين الدين بن المنجا . وبرع فى ذلك ، وناظر . وقرأ فى العربية أياماً على سليمان بن عبد القوى ، ثم أخذ كتاب سيبويه ، فتأمله ففهمه . وأقبل على تفسير القرآن الكريم ، فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه ، والفرائض ، والحساب والجبر والمقابلة ، وغير ذلك من العلوم ، ونظر فى علم الكلام والفلسفة ، وبرز فى ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وأكابرهم ، ومهر فى هذه الفضائل ، وتأهل للفتوى والتدريس ، وله دون العشرين سنة ، وأفتى من قبل العشرين أيضاً ، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ ، وقوة الإدراك والفهم ، وبطْء النسيان ، حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه .

ثم توفى والده الشيخ شهاب الدين ، المتقدم ذكره ، وكان له حينئذ إحدى وعشرين سنة . فقام بوظائفه بعده . فدرس بدار الحديث السكرية فى أول سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى . والشيخ تاج الدين الفزارى ، وزين الدين بن المرجل . والشيخ زين الدين بن المنجا ، وجماعة ، وذكر درساً عظيما فى البسملة . وهو مشهور بين الناس ، وعظمه الجماعة الحاضرون ، وأثنوا عليه ثناء كثيراً .

قال الذهبى : وكان الشيخ تاج الدين الفزارى ، يبالغ فى تعظيمه الشيخ تقى الدين ، بحيث إنه علق بخطه درسه بالسكرية .

ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع ، لتفسير القرآن العظيم ، وشرع من أول القرآن . فكان يورد من حفظه فى المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقى يفسر فى سورة نوح ، عدة سنين أيام الجمع .

وفى سنة تسعين : ذكر على الكرسى يوم جمعة شيئًا من الصفات ، فقام بعض المخالفين ، وسعوا فى منعه من الجلوس ، فلم يمكنهم ذلك .

وقال قاضى القضاة شهاب الدين الخوّى : أنا على اعتقاد الشيخ تقى الدين ، فعوتب فى ذلك . فقال : لأن ذهنه صحيح ، ومواده كثيرة . فهو لا يقول إلا الصحيح .

وقال الشيخ شرف الدين المقدسى : أنا أرجو بركته ودعاءه ، وهو صاحبى وأخى . ذكر ذلك البرزالى فى تاريخه .

وشرع الشيخ فى الجمع والتصنيف ، من دون العشرين ، ولم يزل فى علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره .

قال الذهبى فى معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحليم ـ وساق نسبه ـ الحرانى ، ثم الدمشقى ، الحنبلى أبو العباس ، تقى الدين ، شيخنا وشيخ الإسلام ، وفريد العصر علماً ومعرفة ، وشجاعة وذكاء ، وتنويرًا إلهيًا ، وكرمًا ونصحًا للأمة ، وأمراً بالمعروف ونهيًا عن المنكر . سمع الحديث ، وأكثر بنفسه من طلبه ، وكتب وخرج ، ونظر فى الرجال والطبقات ، وحصل مالم يحصله غيره . برع فى تفسير القرآن ، وغاص فى دقيق معانيه بطابع سيال ، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال ، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها . وبرع فى الحديث وحفظه ، فقلّ من يحفظ مايحفظه من الحديث ، معزوا إلى أصوله وصحابته ، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل . وفاق الناس فى معرفة الفقه ، واختلاف المذاهب ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب ، بل يقوم بما دليله عنده . وأتقن العربية أصولا وفروعاً ، وتعليلا واختلافا . ونظر فى العقليات ، وعرف أقوال المتكلمين ، وَرَدَّ عليهم ، وَنَبَّه على خطئهم ، وحذَّر منهم . ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين . وأوذى فى ذات الله من المخالفين ، وأخيف فى نصر السنة المحضة ، حتى أعلى الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته

والدعاء له ، وَكَبَتَ أعداءه ، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً ، وعلى طاعته ، وأحيى به الشام ، بل والإسلام ، بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولى الأمر لما أقبل حزب التتر والبغى فى خيلائهم ، فظُنت بالله الظنون ، وزلزل المؤمنون ، واشرَأبَّ النفاق وأبدى صفحته . ومحاسنه كثيرة ، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى ، فلو حلفت بين الركن والمقام ، لحلفت : أنى ما رأيت بعينى مثله ، وأنه ما رأى مثل نفسه .

وقد قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزملكانى ، ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم « ابن تيمية » كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع : أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه فى مذهبهم أشياء ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع منه ، ولا تكلم فى علم من العلوم — سواء كان من علوم الشرع أو غيرها — إلا فاق فيه أهله ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وقال الذهبى فى معجمه المختصر : كان إماماً متبحراً فى علوم الديانة ، صحيح الذهن ، سريع الإدراك ، سيال الفهم ، كثير المحاسن ، موصوفا بفرط الشجاعة والكرم ، فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع ، لا لذة له فى غير نشر العلم وتدوينه . والعمل بمقتضاه .

قلت : وقد عرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين ، ومشيخة الشيوخ ، فلم يقبل شيئاً من ذلك . قرأت ذلك بخطه .

قال الذهبى : ذكره أبو الفتح اليعمرى الحافظ — يعنى ابن سيد الناس — فى جواب سؤالات أبى العباس بن الدمياطى الحافظ ، فقال : أَلْفَيْتُه ممن أدرك من العلوم حظا . وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، وإن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه ،

وذو زوايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته ، ولا أرفع من درايته .
برز فى كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه

وقد كتب الذهبي فى تاريخه الكبير للشيخ ترجمة مطولة ، وقال فيها : وله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم وتعديلهم ، وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالى والنازل ، والصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه ، الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجيب فى استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة ، والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث .

وقال : ولما كان معتقلا بالإسكندرية : التمس منه صاحب سبتة أن يجيز لأولاده ، فكتب لهم فى ذلك نحواً من ستمائة سطر ، منها سبعة أحاديث بأسانيدها ، والكلام على صحتها ومعانيها ، وبحث وعمل ما إذا نظر فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث . وذكر أسانيده فى عدة كتب . ونبَّه على العوالى . عمل ذلك كله من حفظه ، من غير أن يكون عنده ثَبَت أو من يراجعه .

ولقد كان عجيباً فى معرفة علم الحديث . فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند : فما رأيت من يُدانيه فى ذلك أصلا .

قال : وأما التفسير فمسلم إليه . وله من استحضار الآيات من القرآن ـ وقت إقامة الدليل بها على المسألة ـ قوة عجيبة . وإذا رآه المقرىء تحير فيه . ولفرط إمامته فى التفسير ، وعظم اطلاعه . يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين . ويُوهى أقوالا عديدة . وينصر قولا واحداً ، موافقا لما دل عليه القرآن والحديث . ويكتب فى اليوم والليلة من التفسير ، أو من الفقه ، أو من الأصلين ، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل : نحواً من أربعة كراريس أو أزيد .

قلت : وقد كتب « الحموية » فى قعدة واحدة . وهى أزيد من ذلك . وكتب فى بعض الأحيان فى اليوم مايبيض منه مجلد .

وكان رحمه الله فريد دهره فى فهم القرآن . ومعرفة حقائق الإيمان . وله يد طولى فى الكلام على المعارف والأحوال . والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه وقويمه .

وقد كتب ابن الزملكانى بخطه على كتاب « إبطال التحليل » للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ . وترجم له ترجمة عظيمة . وأثنى عليه ثناء عظيما . وكتب أيضاً تحت ذلك :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلَّتْ عن الحصر
هو حجة لله قاهرة   هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة   أنوارها أربت على الفجر

وللشيخ أثير الدين أبى حيان الأندلسى النحوى ـ لما دخل الشيخ مصر واجتمع به ـ ويقال : إن أبا حيان لم يقل أبياتا خيرا منها ولا أفحل :

لما رأينا تقى الدين لاح لنا   داعٍ إلى الله فردًا . ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا   خير البرية نورٌ دونه القمر
حَبْر تسربل منه دهره حِبَرًا   بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا   مقام سيِّد تَيْمٍ إذْ عَصَتْ مُضر
فأظهر الدين إذْ آثاره درست   وأخمد الشرك إذ طارت له شرر
يامن تحدث عن علم الكتاب أصِخْ   هذا الإمام الذى قد كان ينتظر

وحكى الذهبى عن الشيخ : أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد قال له ـ عند اجتماعه به وسماعه لكلامه ـ : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك.

ومما وجد فى كتاب كتبه العلامة قاضى القضاة أبو الحسن السبكى إلى الحافظ أبى عبد الله الذهبى فى أمر الشيخ تقى الدين المذكور : أما قول سيدى فى الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره . وزخارة بحره . وتوسعه فى العلوم الشرعية والعقلية . وفرط ذكائه واجتهاده . وبلوغه فى كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز

الوصف . والمملوك يقول ذلك دائماً . وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجلّ . مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة . ونصرة الحق . والقيام فيه لا لغرض سواه . وجريه على سنن السلف . وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى . وغرابة مثله فى هذا الزمان . بل من أزمان .

وكان الحافظ أبو الحجاج المزى : يبالغ فى تعظيم الشيخ والثناء عليه ، حتى كان يقول : لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة .

وبلغنى من طريق صحيح عن ابن الزملكانى : أنه سئل عن الشيخ ؟ فقال : لم ير من خمسمائة سنة ، أو أربعمائة سنة — الشك من الناقل . وغالب ظنه : أنه قال : من خمسمائة — أحفظ منه .

وكذلك كان أخوه الشيخ شرف الدين يبالغ فى تعظيمه جدا ، وكذلك المشايخ العارفون ، كالقدوة أبى عبد الله محمد بن قوام . ويحكى عنه أنه كان يقول : ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية .

والشيخ عماد الدين الواسطى كان يعظمه جداً ، وتتلمذ له ، مع أنه كان أسن منه . وكان يقول : قد شارف مقام الأئمة الكبار ، ويناسب قيامه فى بعض الأمور قيام الصديقيين .

وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه ، ويعرفهم حقوقه ، ويذكر فيها : أنه طاف أعيان بلاد الإسلام ، ولم ير فيها مثل الشيخ علما وعملا ، وحالا وخلقا واتباعا ، وكرما وحلما فى حق نفسه ، وقياما فى حق الله تعالى ، عند انتهاك حرماته . وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات .

ثم قال : أصدق الناس عقدا ، وأصحهم علما وعزما ، وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه ، وأسخاهم كفا ، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح : أن هذا هو الاتباع حقيقة .

ولكن كان هو وجماعة من خواص أصحابه ربما أنكروا من الشيخ كلامه فى بعض الأئمة الأكابر الأعيان ، أو فى أهل التخلى والانقطاع ونحو ذلك .

وكان الشيخ رحمه الله لايقصد بذلك إلا الخير ، والانتصار للحق إن شاء الله تعالى .

وطوائف من أئمة أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم : كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه ، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة ، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين ، كالشافعى وأحمد وإسحاق وأبى عبيد ونحوهم ، وكذلك كثير من العلماء من الفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التى أنكرها السلف على من شذ بها[1] ، حتى إن بعض قضاة العدل من أصحابنا منعه من الإفتاء ببعض ذلك .

قال الذهبى : وغالب حطه على الفضلاء والمتزهدة فبحق ، وفى بعضه هو مجتهد ، ومذهبه توسعة العذر للخلق ، ولا يكفر أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه .

قال : ولقد نصر السنة المحضة ، والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمات ، وأمور لم يسبق إليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدّعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولا يحابى ، بل يقول الحق المرّ الذى أدّاه إليه اجتهاده ، وحدة ذهنه ، وسعة دائرته فى السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر ، وسرعة الإدراك ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرمات الله .

فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة ، فينجيه الله . فإنه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ،

---

(١) ما كان الشيخ رضى الله عنه إلا محيياً لآثار السلف رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين . وليس كل من تقدم قبل زمن الشيخ يكون من السلف .

والاستعانة به ، قوى التوكل ، ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يُدْمنها بكيفية وجمعية . وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تحبه ؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهاراً ، بلسانه وقلمه .

وأما شجاعته : فبها تضرب الأمثال ، و ببعضها يتشبه أكابر الأبطال . ولقد أقامه الله تعالى فى نوبة قازان . والتقى أعباء الأمر بنفسه . وقام وقعد وطلع ، ودخل وخرج ، واجتمع بالملك ـ يعنى قازان ـ مرتين ، و بِقَطْلو شاه ، و بُولاى . وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرائته على المغول .

وله حدة قوية تعتريه فى البحث ، حتى كأنه ليث حَرِب . وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته . وفيه قلة مداراة ، وعدم تؤدة غالبا ، والله يغفر له . وله إقدام وشهامة ، وقوة نفس توقعه فى أمور صعبة ، فيدفع الله عنه .

وله نظم قليل وسط . ولم يتزوج ، ولا تسرى ، ولا له من المعلوم إلا شىء قليل . وأخوه يقوم بمصالحه ، ولا يطلب منهم غداء ولا عشاء فى غالب الوقت .

ومارأيت فى العالم أكرم منه ، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم ، لايذكره ، ولا أظنه يدور فى ذهنه . وفيه مروءة ، وقيام مع أصحابه ، وسعى فى مصالحهم . وهو فقير لا مال له . وملبوسه كآحاد الفقهاء : فَرَّجِيَّه ، ودِلْق ، وعمامة تكون قيمة ثلاثين درهما ، ومداس ضعيف الثمن . وشعره مقصوص .

وهو رَبْع القامة ، بعيد مابين المنكبين ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ويصلى بالناس صلاة لا يكون أطول من ركوعها وسجود . وربما قام لمن يجىء من سفر أو غاب عنه ، وإذا جاء فربما يقومون له ، الكل عنده سواء ، كأنه فارغ من هذه الرسوم ، ولم ينحن لأحد قط ، وإنما يسلم ويصافح ويبتسم . وقد يعظم جليسه مرة ، ويهينه فى المحاورة مرات .

قلت : وقد سافر الشيخ مرة على البريد إلى الديار المصرية يستنفر السلطان

عند مجيء التتر سنة من السنين ، وتلا عليهم آيات الجهاد ، وقال : إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذَّبِّ عنهم ، فإن الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم ، ويستبدل بكم سواكم . وتلا قوله تعالى (٤٧ : ٣٨ وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم) وقوله تعالى (٩ : ٣٩ إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُم عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً) .

وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ـ وكان هو القاضي حينئذ ـ فاستحسن ذلك ، وأعجبه هذا الاستنباط ، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام .

وأما مِحَنُ الشيخ : فكثيرة ، وشرحها يطول جداً .

وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلا ، بسبب قيامه على نصراني سَبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفارقي ، ثم أطلقهما مكرمين .

ولما صنف المسألة «الحموية» في الصفات : شنَّع بها جماعة ، ونودي عليها في الأسواق على قصبة ، وأن لا يستفتى من جهة بعض القضاة الحنفية . ثم انتصر للشيخ بعض الولاة ، ولم يكن في البلد حينئذ نائب ، وضُرب المنادي و بعض من معه ، وسكن الأمر .

ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان ؟ فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر ، وأحضر الشيخ ، وسأله عن ذلك ؟ فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرءوها في ثلاث مجالس، وحاققُوه ، و بحثوا معه ، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سُنية سلفية ، فمنهم من قال ذلك طوعا ، ومنهم من قاله كرها .

وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه : إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف .

ثم إن المصريين دبروا الحيلة فى أمر الشيخ ، ورأوا أنه لا يمكن البحث معه ، ولكن يعقد له مجلس ، ويُدَّعى عليه ، وتقام عليه الشهادات . وكان القائمون فى ذلك منهم : بيبرس الجاشنكير ، الذى تسلطن بعد ذلك ، ونصر المنبجى وابن مخلوف قاضى المالكية ، فطُلب الشيخ على البريد إلى القاهرة ، وعُقد له ثانى يوم وصوله — وهو ثانى عشرين رمضان سنة خمس وسبعمائة — مجلس بالقلعة ، وادُّعِى عليه عند ابن مخلوف قاضى المالكية ، أنه يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه على العرش بذاته ، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية .

وقال المدعى : أطلب تعزيره على ذلك ، التعزير البليغ — يشير إلى القتل على مذهب مالك — فقال القاضى : ماتقول يا فقيه ؟ فحمد الله وأثنى عليه ، فقيل له : أسرع ماجئت لتخطب ، فقال : أأُمنع من الثناء على الله تعالى ؟ فقال القاضى : أجب ، فقد حمدت الله تعالى . فسكت الشيخ ، فقال : أجب . فقال الشيخ له : من هو الحاكم فىّ ؟ فأشاروا : القاضى هو الحاكم ، فقال الشيخ لابن مخلوف : أنت خصمى ، كيف تحكم فىّ ؟ وغضب ، ومراده : إنى وإياك متنازعان فى هذه المسائل ، فكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر فيها ؟ فأقيم الشيخ ومعه أخواه ، ثم رد الشيخ ، وقال : رضيت أن تحكم فىّ ، فلم يمكَّن من الجلوس ، ويقال : إن أخاه الشيخ شرف الدين ابتهل ، ودعا الله عليهم فى حال خروجهم ، فمنعه الشيخ ، وقال له : بل قل : اللهم هب لهم نورا يهتدون به إلى الحق .

ثم حبسوا فى بُرْج أياما ، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر ، ثم بعث كتاب سلطانى إلى الشام بالحط على الشيخ ، وإلزم الناس — خصوصا أهل مذهبه — بالرجوع عن عقيدته ، والتهديد بالعزل والحبس ، ونودى بذلك فى الجامع والأسواق . ثم قرئ الكتاب بسُدَّة الجامع بعد الجمعة ، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة ، وحبس بعضهم ، وأخذ خطوط بعضهم بالرجوع . وكان قاضيهم الحرانى قليل العلم .

ثم فى سلخ رمضان سنة ست : أحضر سلار ـ نائب السلطان بمصر ـ القضاة والفقهاء ، وتكلم فى إخراج الشيخ ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، فأرسلوا إليه من يحضره ، وليتكلموا معه فى ذلك ، فلم يجب إلى الحضور ، وتكرر الرسول إليه فى ذلك ست مرات ، وصمم على عدم الحضور ، فطال عليهم المجلس ، فانصرفوا من غير شىء .

ثم فى آخر هذه السنة وصل كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق من الشيخ ، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه ، وأثنى عليه : وقال : ما رأيت مثله ، ولا أشجع منه . وذكر ما هو عليه فى السجن : من التوجه إلى الله تعالى ، وأنه لا يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ، ولا من الأدرار السلطانى ، ولا تدنس بشىء من ذلك .

ثم فى ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى السجن ، وأخرج الشيخ منه ، بعد أن استأذن فى ذلك ، وعقد للشيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء ، وانفصلت على خير

وذكر الذهبى والبرزالى وغيرهما : أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملا من القول وألفاظاً فيها بعض ما فيها ، لما خاف وهدد بالقتل ، ثم أطلق وامتنع من المجىء إلى دمشق . وأقام بالقاهرة يقرىء العلم ، ويتكلم فى الجوامع والمجالس العامة ، ويجتمع عليه خلق .

ثم فى شوال من السنة المذكورة : اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية ، وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعى ، وعقد له مجلس لكلامه فى ابن عربى وغيره ، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء ، ولم يثبت منها شيئا ، لكنه اعترف أنه قال : لا يستغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم ، استغاثة بمعنى العبادة ، ولكن يتوسل به ، فبعض الحاضرين قال : ليس فى هذا شىء .

ورأى الحاكم ابن جماعة : أن هذا إساءة أدب ، وعنفه على ذلك ، فحضرت

رسالة إلى القاضى : أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة فى ذلك ، فقال القاضى : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء ، وهى الإقامة بدمشق ، أو بالاسكندرية ، بشروط ، أو الحبس ، فاختار الحبس . فدخل عليه أصحابه فى السفر إلى دمشق، ملتزما ماشرط عليه ، فأجابهم ، فأركبوه خيل البريد ، ثم ردوه فى الغد ، وحضر عند القاضى بحضور جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : ما ترضى الدولة إلا بالحبس . فقال القاضى : وفيه مصلحة له ، واستناب التونسى المالكى وأذن له أن يحكم عليه بالحبس ، فامتنع ، وقال : ماثبت عليه شىء ، فأذن لنور الدين الزواوى المالكى ، فتحير ، فقال الشيخ : أنا أمضى إلى الحبس ، وأتبع ماتقتضيه المصلحة ، فقال الزواوى المذكور : فيكون فى موضع يصلح لمثله ، فقيل له : ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس ، فأرسل إلى حبس القاضى وأجلس فى الموضع الذى أجلس فيه القاضى تقى الدين ابن بنت الأعز لما حبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه . وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجى .

واستمر الشيخ فى الحبس يستفتى ويقصده الناس ، ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس .

وكان أصحابه يدخلون عليه أولا سرا ، ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه ، فأخرجوه فى سلطنة الششنكير الملقب بالمظفر ، إلى الإسكندرية على البريد ، وحبس فيها فى برج حسن مضىء متسع ، يدخل عليه من شاء ، ويمنع هو من شاء ، ويخرج إلى الحمام إذا شاء . وكان قد أخرج وحده ، وأرجف الأعداء بقتله وتفريقه غير مرة ، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره ، وكثر الدعاء له . وبقى فى الإسكندرية مدة سلطنة المظفر .

فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن ، وأهلك المظفر ، وحمل شيخه نصر المنبجى ، واشتدت موجدة السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر ، وعزل بعضهم :

بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرما فى شوال سنة تسع وسبعمائة ، وأكرمه السلطان إكراما زائداً ، وقام إليه ، وتلقاه فى مجلس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، والفقهاء وأعيان الدولة . وزاد فى إكرامه عليهم ، وبقى يُسارّه ويستشيره سويعة ، وأثنى عليه بحضورهم ثناء كثيرا ، وأصلح بينه وبينهم . ويقال : إنه شاوره فى أمرهم به فى حق القضاة ، فصرفه عن ذلك ، وأثنى عليهم ، وأن ابن مخلوف كان يقول : ما رأينا أفتى من ابن تيمية ، سعينا فى دمه . فلما قدر علينا عفا عنا.

واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر ، وسكن الشيخ بالقاهرة ، والناس يترددون إليه ، والأمراء والجند ، وطائفة من الفقهاء ، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع .

قال الذهبي : وفى شعبان سنة إحدى عشرة : وصل النبأ : أن الفقيه البكرى ـ أحد المبغضين للشيخ ـ استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه ، ونتش بأطواقه ، وقال : احضر معى إلى الشرع ، فلى عليك دعوى ، فلما تكاثر الناس انملص ، فطلب من جهة الدولة ، فهرب واختفى

وذكر غيره : أنه ثار بسبب ذلك فتنة ، وأراد جماعة الانتصار من البكرى فلم يمكنهم الشيخ من ذلك .

واتفق بعد مدة : أن البكرى همّ السلطان بقتله ، ثم رسم بقطع لسانه ؛ لكثرة فضوله وجراءته ، ثم شفع فيه ، فنفى إلى الصعيد ، ومنع من الفتوى بالكلام فى العلم . وكان الشيخ فى هذه المدة يقرئ العلم ، ويجلس للناس فى مجالس عامة .

قدم إلى الشام هو وإخوته سنة اثنتى عشرة بنية الجهاد ، لما قدم السلطان لكشف التتر عن الشام . فخرج مع الجيش ، وفارقهم من عسقلان ، وزار البيت المقدس .

ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير لتلقيه ، وسُرَّ الناس بمقدمه ، واستمر على ما كان عليه أولا ، من إقراء العلم ، وتدريسه بمدرسة السكرية ، والحنبلية ، وإفتاء الناس ونفعهم .

ثم فى سنة ثمان عشرة : ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى فى مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير ، وعقد له مجلس بدار السعادة ، ومنع من ذلك ، ونودى به فى البلد .

ثم فى سنة تسع عشرة عقد له مجلس أيضا كالمجلس الأول ، وقرىء كتاب السلطان بمنعه من ذلك ، وعوتب على فتياه بعد المنع ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع .

ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك ، وعوتب وحبس بالقلعة . ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى . ومنع بسببه من الفتيا مطلقا ، فأقام مدة يفتى بلسانه ، ويقول : لا يسعنى كتم العلم .

وفى آخر الأمر : دبروا عليه الحيلة فى مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء ، وذلك كفر ، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء ، وهم ثمانية عشر نفسا ، رأسهم القاضى الإخنائى المالكى وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه ، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهراً . وبها مات رحمه الله تعالى .

وقد بين رحمه الله : أن ما حكم عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جداً ، وأفتى جماعة بأنه يخطىء فى ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم ، ووافقه جماعة من علماء بغداد ، وغيرهم . وكذلك ابنا أبى الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا : أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلا ، وأنه نقل خلاف العلماء فى المسألة ، ورجح أحد القولين فيها .

وبقى مدة فى القلعة يكتب العلم ويصنفه ، ويرسل إلى أصحابه الرسائل ، ويذكر ما فتح الله به عليه فى هذه المرة من العلوم العظيمة ، والأحوال الجسيمة وقال : قد فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء ، كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن ، ثم إنه منع من الكتابة ، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق ، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر .

قال شيخنا أبو عبد الله ابن القيم : سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . قال : وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، أين رحت فهى معى ، لا تفارقنى ، أنا حبسى خلوة . وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة .

وكان فى حبسه فى القلعة يقول : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة ـ أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ـ ونحو هذا .

وكان يقول فى سجوده ، وهو محبوس : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، ما شاء الله .

وقال مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة ، وصار داخل سورها نظر إليه ، وقال (٥٧: ١٣ فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب) .

قال شيخنا : وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط ، مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف ؛ وهو مع ذلك أطيب الناس عيشا ، وأشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا ، وأسرهم نفسا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه . وكنا إذا

اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض : أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب عنا ذلك كله ، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، فأتاهم من رَوحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها ، والمسابقة إليها اه .

وأما تصانيفه رحمه الله : فهى أشهر من أن تذكر ، وأعرف من أن تنكر . سارت مسير الشمس فى الأقطار ، وامتلأت بها البلاد والأمصار . قد جاوزت حد الكثرة ، فلا يمكن أحد حصرها ، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها ، ولا ذكرها .

ولنذكر نبذة من أسماء أعيان المصنفات الكبار : كتاب « الايمان » مجلد ، كتاب « الاستقامة » مجلدان « جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية » أربع مجلدات ، كتاب « تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية » فى ست مجلدات كبار ، كتاب « المحنة المصرية » مجلدان « المسائل الاسكندرانية » مجلد « الفتاوى المصرية » سبع مجلدات .

وكل هذه التصانيف ماعدا كتاب « الإيمان » كتبه وهو بمصر فى مدة سبع سنين صنفها فى السجن . وكتب معها أكثر من مائة لَفَّة ورق أيضاً ، كتاب « درء تعارض العقل والنقل » أربع مجلدات كبار . والجواب عما أورده الشيخ كمال الدين بن الشريشى على هذا الكتاب ، نحو مجلد كتاب « منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية » أربع مجلدات « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » مجلدان « شرح أول المحصل للرازى » مجلد « شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين للرازى » مجلدان « الرد على المنطق » مجلد كبير « الرد على البكرى فى مسألة الاستغاثة » مجلد « الرد على أهل كسروان الروافض » مجلدان « الصفدية » ، « جواب من قال : إن

معجزات الأنبياء قوى نفسانيـة » مجلد « الملاونية » مجلد « شرح عقيدة الأصبهانى » مجلد « شرح العمدة » للشيخ موفق الدين . كتب منه نحو أربع مجلدات « تعليقة على المحرر » فى الفقه لجده عدة مجلدات « الصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد ، « بيان الدليل على بطلان التحليل » مجلد « اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم » مجلد « التحرير فى مسألة حفير » مجلد فى مسألة من القسمة ، كتبها اعتراضا على الحوى فى حادثة حكم فيها « الرد الـكبير على من اعترض عليه فى مسألة الحلف بالطلاق » ثلاث مجلدات ، كتاب « تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان » مجلد كبير « الرد على الاخنائى فى مسألة الزيارة » مجلد . وأما القواعد المتوسطة و الصغار و أجو بة الفتاوى : فلا يمكن الإحاطة بها ، لـكثرتها وانتشارها وتفرقها . ومن أشهرها « الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليـاء الشيطان » مجلد لطيف « الفرقان بين الحق والبطلان » مجلد لطيف « الفرقان بين الطلاق والأيمان » مجلد لطيف « السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية » مجلد لطيف « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » مجلد لطيف .

ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه

اختار ارتفاع الحديث بالمياه المتعصرة ، كماء الورد ونحوه ، واختار جواز المسح على النعلين ، والقدمين ، وكل ما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى ، فإنه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين .

واختار أن المسح على الخفين لايتوقف مع الحاجة ، كالمسافر على البريد ونحوه ، وفعل ذلك فى ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد ويتوقف مع إمكان النزع وتيسره .

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها .

واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت فى حق غير المعذور ، كمن أخر

الصلاة عمداً حتى تضايق وقتها . وكذا من خشى فوات الجمعة والعيدين وهو محدث . فأما من استيقظ أوذكرفى آخر وقت الصلاة : فإنه يتطهر بالماء ويصلى ، لأن الوقت متسع فى حقه .

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال فى البيت ، أوشق عليها النزول إلى الحمام وتكرره : أنها تتيمم وتصلى .

واختار أن لا حَدَّ لأقلِّ الحيض ولا لأكثره ، ولا لأقلِّ الطهر بين الحيضتين ، ولا لسنِّ الإياس من الحيض . وأن ذلك راجع إلى ماتعرفه كل امرأة من نفسها .

واختار أن تارك الصلاة عمداً : لايجب عليه القضاء[1] . ولا يشرع له . بل يكثر من النوافل ، وأن القصر يجوز فى قصير السفر وطويله ، وأن سجود التلاوة لا يشترط له طهارة .

ذكر وفاته

مكث الشيخ فى القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ، ثم مرض بضعة وعشرين يوما ، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ، ولم يفجأهم إلا موته

وكانت وفاته فى سحر ليلة الإثنين عشرى ذى القعدة ، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع ، وتكلم به الحرس على الأبراج ، فتسامع الناس بذلك ، وبعضهم أعلم به فى منامه ، وأصبح الناس ، واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا ، ولا فتحوا

---

(١) الذى حققه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم : أن تارك الصلاة كافر . فإذا تاب ودخل الإسلام ، فشأنه شأن كل كافر ومشرك يدخل الإسلام . لا يمكنه أن يتدارك مافاته إلا بالإكثار من صالح الأعمال .

كثيرا من الدكاكين التى من شأنها أن تفتح أول النهار . وفتح باب القلعة .

وكان نائب السلطنة غائبا عن البلد ، فجاء الصاحب إلى نائب القلعة ، فعزاه به وجلس عنده ، واجتمع عند الشيخ فى القلعة خلق كثير من أصحابه ، يبكون ويثنون ، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن : أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة ، وشرعا فى الحادية والثمانين ، فانتهيا إلى قوله تعالى (٥٤: ٥٤ ، ٥٥ إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فشرع حينئذ الشيخان الصالحان : عبد الله بن المحب الصالحى ، والزرعى الضرير ــ وكان الشيخ يحب قراءتهما ــ فابتدأ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن . وخرج الرجال ، ودخل النساء من أقارب الشيخ ، فشاهدوه ثم خرجوا ، واقتصروا على من يغسله ، ويساعد على تغسيله ، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم ، كالمزى وغيره ، ولم يفرغ من غسله حتى امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلى الجامع ، فصلى عليه بدركات القلعة : الزاهد القدوة محمد بن تمام . وضج الناس حينئذ بالبكاء والثناء ، وبالدعاء والترحم .

وأخرج الشيخ إلى جامع دمشق فى الساعة الرابعة أو نحوها . وكان قد امتلأ الجامع وصحنه ، والكلاسة ، وباب البريد ، وباب الساعات إلى الميادين والفوارة . وكان الجمع أعظم من جمع الجمعة ، ووضع الشيخ فى موضع الجنائز ، مما يلى المقصورة ، والجند يحفظون الجنازة من الزحام ، وجلس الناس على غير صفوف ، بل مرصوصين ، لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة . وكثر الناس كثرة لا توصف .

فلما أذن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة على السدة ، بخلاف العادة ، وصلوا الظهر ، ثم صلوا على الشيخ . وكان الإمام نائب الخطابة علاء الدين ابن الخراط لغيبة القزوينى بالديار المصرية ، ثم ساروا به ، والناس فى بكاء ودعاء وثناء ، وتهليل وتأسف ، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يدعين ويبكين.

أيضا . وكان يوما مشهوداً ، لم يعهد بدمشق مثله ، ولم يتخلف من اهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والمخدرات ، وصرخ صارخ : هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة . فبكا الناس بكاء كثيرا عند ذلك .

وأخرج من باب البريد ، واشتد الزحام ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم ، وصار النعش على الرءوس ، يتقدم تارة ، ويتأخر أخرى . وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وهى مزدحمة . ثم من أبواب المدينة كلها ، لكن كان المعظم من باب الفرج ، ومنه خرجت الجنازة ، و باب الفراديس ، و باب النصر ، و باب الجابية ، وعظم الأمر بسوق الخيل .

وتقدم فى الصلاة عليه هناك : أخوه زين الدين عبد الرحمن .

ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية ، وحُزِر الرجال : بستين ألفاً وأكثر ، إلى مائتى ألف ، والنساء بخمسة عشر ألفا ، وظهر بذلك قول الإمام أحمد « بيننا و بين أهل البدع يوم الجنائز » .

وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة ، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما كثيرة ، ليلا ونهارا ، ورئيت له منامات كثيرة صالحة . ورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى ، وأقطار متباعدة ، وتأسف المسلمون لفقده . رضى الله عنه ورحمه ، وغفر له .

وصلى عليه صلاة الغائب فى غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة ، حتى فى اليمن والصين . وأخبر المسافرون : أنه نودى بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة « الصلاة على ترجمان القرآن » .

وقد أفرد الحافظ أبو عبد الله بن عبد الهادى له ترجمة فى مجلدة ، وكذلك أبو حفص عمر بن على البزار البغدادى فى كراريس . وإنما ذكرناها هنا على وجه الاقتصار مايليق بتراجم هذا الكتاب .

وقد حدث الشيخ كثيرا . وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث ، ومن تصانيفه ، وخرج له ابن الوانى أربعين حديثا حدث بها .

٤٩٦ ـ أحمد بن يحيى بن محمد بن بدر الجزرى ، ثم الصالحى ، المقرىء ، الفقيه ، شهاب الدين أبو العباس .

ولد فى حدود السبعين وستمائة .

وقرأ بالروايات على الشيخ جمال الدين البدوى .

وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزد ، والكندى ، ولزم المجد التونسى مدة . وأخذ عنه علم القراءات حتى مهر فيها ، وأقبل على الفقه ، وصحب القاضى ابن مسلم مدة ، وانتفع به .

وكان من خيار الناس دينا وعقلا ، وتعففا ومروءة وتعففا وحياءا . أقرأ القرآن وحدث .

وتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى .

٤٩٧ ـ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الإمام الزاهد ، مجد الدين أبو الفداء ، شيخ المذهب .

ولد سنة خمس ـ أو ست ـ وأربعين وستمائة بحران .

وقدم دمشق مع أهله سنة إحدى وسبعين ، وسمع بها الكثير من ابن أبى عمر ، وابن الصيرفى ، والكمال عبد الرحيم ، وابن البخارى ، والقاسم الأربلى ، وأبى حامد بن الصابونى ، وأبى بكر العامرى ، وغيرهم .

وطلب بنفسه ، وسمع المسند ، والكتب الكبار . وتفقه بالشيخ شمس الدين ابن أبى عمر وغيره ، ولازمه حتى برع فى الفقه ، وله معرفة بالحديث والأصول ، وغير ذلك . وكتب بخطه الكثير ، وتصدى للاشتغال والفتوى مدة طويلة وانتفع به خلق كثير ، مع الديانة والتقوى ، وضبط اللسان ، والورع فى المنطق وغيره ، واطراح التكلف فى الملبس وغيره .

قال الطوفى : وكان من أصلح خلق الله وأدينهم ، كأن على رأسه الطير .
وكان عالما بالفقه والحديث ، وأصول الفقه ، والفرائض ، والجبر والمقابلة .

وقال الذهبى : كان شيخ الحنابلة . وكان حافظا لأحاديث الأحكام . طلب مدة .

وقال غيره : وكان كثير النقل ، له خبرة تامة بالمذهب ، يقرىء « المقنع » و « الكافى » ويعرفهما ، وكتب بخطه « المغنى » و « الكافى » وغيرهما . ويقال : إنه أقرأ « المقنع » مائة مرة .

وكان شيخا صالحا ، ملازما للتعليم والاشتغال ، وجواب الطلبة ، بنقل صحيح محقق .

وكان يفتى ، ويتحرى كثيرا . وكان عديم التكلف ، ويحمل حاجته بنفسه ، وليس له كلام فى غير العلم ، ولا يخالط أحداً ، وأوقاته محفوظة .

وقال : ما وقع فى قلبى الترفع على أحد من النـاس ؛ فإنى خبير بنفسى ، ولست أعرف أحوال الناس .

وكان يلازم وظائفه ، ويحافظ عليها ، لا ينقطع يوم بطالة ولا غيرها ، بحيث ذكر عنه : أنه كان يتصدى يوم العيد ، فإن حضر أحد أقرأه .

وأكثر الفقهاء الذين تنبهوا قرأوا عليه ، ثم إن جماعة منهم درسوا فى المدارس ، وهو معيد عندهم ، يلازم الحضور ويكرمهم ، ويخاطبهم بالمشيخة . رحمه الله .

قلت : وكان سريع الدمعة .

وسمعت بعض شيوخنا يذكر عنه : أنه كان لا يذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى درسه إلا ودموعه جارية ، ولا سيما إن ذكر شيئاً من الرقائق ، أو أحاديث الوعيد . ونحو ذلك .

وقد قرأ عليه عامة أكابر شيوخنا ومن قبلهم ، حتى الشيخ تقى الدين بن

الزريرانى شيخ العراق . وحدث ، فسمع منه جماعة ، منهم : الذهبى ، وغيره .

وتوفى ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة بالمدرسة الجوزية . ودفن بمقابر الباب الصغير . رحمه الله تعالى .

وقد رأيت جزءاً فيه مسألتان ـ قيل : إنهما من كلامه ـ إحداهما : فى طلاق الغضبان ، وأنه لايقع . والثانية : فى مسألة الظفر ، ونصر جواز الأخذ مطلقاً ، والظاهر من حاله وورعه وشدة تمسكه بمذهبه : يشهد بعدم صحة[1] ذلك عنه . والله أعلم .

٤٩٨ ـ محمد بن عبد العزيز بن محمد الخطائرى ، البغدادى ، الأزجى ، الفقيه الفرضى ، الكاتب شمس الدين أبو عبد الله .

تفقه على الشيخ تقى الدين الزريرانى، وبرع فى الفقه والفرائض. وكان فاضلاً ذكياً قدم دمشق ، وتنقل فى الخدم ، وصار ناظراً على المساجد .

توفى بقباقب : إما سنة تسع عشرة ، وإما سنة عشرين وسبعمائة . رحمه الله تعالى

٤٩٩ ـ عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن أبى البركات بن مكى ابن أحمد الزريرانى ، ثم البغدادى ، الإمام فقيه العراق ، ومفتى الآفاق ، تقى الدين أبو بكر .

ولد فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وستمائة .

وحفظ القرآن وله سبع سنين . وسمع الحديث من إسماعيل بن الطبال، ومحمد ابن ناصر بن حلاوة ، وأبى عنان الطيبى ، وست الملوك فاطمة بنت أبى البدر ، وغيرهم .

وتفقه ببغداد على جماعة ، منهم : الشيخ مفيد الدين الحربى ، وغيره .

ثم ارتحل إلى دمشق ، فقرأ المذهب على الشيخ زين الدين بن المنجا ، والشيخ مجد الدين الحرانى ، ثم عاد إلى بلده ، وبرع فى الفقه وأصوله ، ومعرفة المذهب والخلاف ، والفرائض ومتعلقاتها .

---

(١) فى مخطوطة الثقافة « يشهد بصحة ذلك عنه »

وكان عارفا بأصول الدين، ومعرفة المذهب والخلاف، وبالحديث، وبأسماء الرجال والتواريخ، وباللغة العربية وغير ذلك، وانتهت إليه معرفة الفقه بالعراق.

ومن محفوظاته فى المذهب: كتاب «المحرر» و«الهداية» لأبى الخطاب. وذكر أنه طالع «المغنى» للشيخ موفق الدين ثلاثا وعشرين مرة. وكان يستحضر كثيرا منه، أو أكثره، وعلق عليه حواشى، وفوائد. وشرع فى شرح «المحرر» فكتب من أوله قطعة، وولى القضاء، ودرس بالبشيرية ثم بالمستنصرية، واستمر فيها إلى حين وفاته.

وكان يورد دروسا مطولة فصيحة منقحة. وله اليد الطولى فى المناظرة والبحث، وكثرة النقل، ومعرفة مذاهب الناس. وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد من غير مدافع. وأقر له الموافق والمخالف. وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به، يستفيدون منه فى مذاهبهم، ويتأدبون معه، ويرجعون إلى قوله ونقله لمذاهبهم، ويردهم عن فتاويهم، فيذعنون له، ويرجعون إلى ما يقوله، ويعترفون له بإفادتهم فى مذاهبهم، حتى ابن المطهر شيخ الشيعة: كان الشيخ تقى الدين يبين له خطأه فى نقله لمذهب الشيعة فيذعن له. وقال له مرة بعض أئمة الشافعية ـ وقد بحث معه ـ أنت اليوم شيخ الطوائف ببغداد.

وقال العلامة الشيخ شمس الدين البرزبى والد الشيخ شمس الدين مدرس المستنصرية: ما درس أحد بالمستنصرية منذ فتحت إلى الآن أفقه منه.

ويوم وفاته قال الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن عسكر شيخ المالكية: لم يبق ببغداد من يراجع فى علوم الدين مثله.

قرأ عليه جماعة من الفقهاء، وتخرج به أئمة، وأجاز لجماعة، وما أظنه حدث.

وكان فى مبدأ أمره متزهدا قبل دخوله فى القضاء. وكان ذا جلالة ومهابة، وحسن شكل ولباس وهيئة، وذكاء مفرط، ولطف وكيس ومروءة، وتلطف بالطلبة، وعفة وصيانة فى حكمه. وركبه دين فى آخر عمره.

توفى ليلة الجمعة ثانى عشرين جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وصلى عليه من الغد بالمستنصرية . وحضره خلق كثير . وكان يوما مشهودا ، وكثر البكاء والتأسف والترحم عليه . ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، قريبا من القاضى أبى يعلى رحمهم الله تعالى .

وللجماعة من أهل بغداد فيه مدائح ومراث كثيرة ، منهم الشيخ تقى الدين الدقوقى محدث بغداد . فمن قوله فيه من مرثية له :

خدين التقى، مذ كان طفلا ويافعاً ... تسامت به تقواه عن كل مأثم
لقد كان شيخا فى الحديث بقية ... من السلف الماضين أهل التقدم
فلما مضى مات الحديث بموته ... فأكرم به ، أكرم به ، ثم أكرم
لقد مات محمودا سعيدا ، ولم نجد ... له خلفاً ، فاتبع مقالى وسلم
هنيئا له من حاكم متثبت ... غزير الندى ، سهل لعافيه مكرم
فتى صيغ من فقه ، بل الفقه صوغه ... حنفيٌّ بإيضاح الدلائل قيم
عليم بمنسوخ الحديث وفقهه ... وناسخه ، بحر من العلم مفعم
لقد عظمت فى المسلمين رزية ... غداة نعى الناعون أورع مسلم
فمن ذا الذى يؤتَى فيسأل بعده ؟ ... ومن ذا ترى يجلو دجى كل مبهم؟
فقدناه شيخا عالما ، ذا نزاهة ... حييا سخيا ، ذا أيادٍ وأنعُم
وها سُدَّةُ التدريس من بعده وها ... مشيد علاها الشامخ المتسنم
وجاور بعد الموت قبر ابن حنبل ... إمام ، إليه الزهد ينمى وينتمى
وما خاب من أمسى مجاور قبره ... لحط رحال الشوق ثَمَّ ، وخَيَّمَ

وهى طويلة

ومن فتاوى الشيخ تقى الدين الزريرانى المعروفة : أن من أغرَى ظالما بأخذ مال إنسان ، ودلّه عليه : فإنه يلزمه الضمان بذلك .

ومن المعيدين عنده بالمستنصرية :

٥٠٠ - جمال الدين القبلوي خطيب جامع المنصور كان ينافسه فى التدريس. وكان طويل الروح على المشتغلين . اشتغل عليه جمال الدين الدارقزى خطيبها ، وإمام الضيائية بدمشق المقرئ للسبيع .

توفى بدمشق فى جمادى الأولى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، رحمه الله من السكيلانيين وغيرهم - والشيخ

٥٠١ - حمزة الضرير إمام التعبير . كان يحفظ القرآن . يقرأ السورة من آخرها إلى أولها ذكيا .

ولازمه محمد بن عبد الله المقرىء ، ومحمد بن داود وإبراهيم الكاتب ، والشيخ على بن سوكه القطان الزاهد الحيرى ، وحموه الصالح محمد الحضايرى . أخرج بعد مدة . ودفن بمقبرة أحمد . وكفنه باق وهو طرى . وكان هو بنفسه يصحب محمد بن القيمة بباب الأزج . وانتفع به .

ومن خواصه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن السقامُرّبى الطائفة ، والشيخ أحمد ابن محمد التماشكى المعيد ، صنف كتابا فى الفقه وعرضه عليه ، وولده محمد الفرضى ، وشيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الشيرجى الزاهد ، أعاد بعده بالمستنصرية ، عند شمس الدين محمد بن سليمان النهرمارىّ المدرس بالمستنصرية إلى الآن - توفى سنة أربع وستين

٥٠٢ - والقاضى جمال الدين عبد الصمد بن خليل الخضرى المدرس بالبشيرية محدث بغداد . كان يحدث بمسجد يانس ، يقول تفسير الرسعنى من حفظه ، ويحضره الخلق ، منهم المدرسون والأكابر . وله ديوان شعر حسن الخطابة والوعظ .

وقد مدح الزريراتى بقصائد ، ورثاه ورثى ابن تيمية أيضا .

توفى سنة خمس وستين فى رمضان . وولى بعده الحديث بمسجد يانس : -

٥٠٣ - نور الدين محمد بن محمود المحدث الفقيه ، المعيد المقرىء . كان شيخنا الدقوقي يقدمه على المحيي بن السكواز ، وغيره من أصحابه ، ويقول : هو أحفظ الجماعة ، وأضبط .

وسمع وأفتى . وخرج وقرأ على شيخنا ابن مؤمن وتميز .

وتوفى سنة ست وستين وسبعمائة .

وكلهم دفن بمقبرة الإمام أحمد رحمهم الله أجمعين ، ورضى عنا وعنهم ، وجميع إخواننا .

٥٠٤ - إسحاق بن أبي بكر بن المسي بن أطس التركى ، ثم المصرى ، الفقيه المحدث ، الأديب الشاعر ، نجم الدين أبو الفضل .

ولد سنة سبعين وستمائة .

وسمع بمصر من الأبرقوهى .

ورحل . وسمع بالإسكندرية من القرافى . وبدمشق : من ابن حفص بن القواس ، وإسماعيل بن الفراء ، وبحلب : من سنقر الزينى . وتفقه ، وقال الشعر الحسن .

وسمع منه الحافظ الذهبي بحلب ، ثم دخل العراق بعد السبعمائة . وتنقل فى البلاد ، وسكن أذربيجان ، ولم تكن سيرته هناك مشكورة ، وبقى إلى بعد العشرين وسبعمائة ، ولم يتحقق سنة وفاته .

وله قصيدة حسنة طويلة فى مدح الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، منها :

يعنفنى فى بغيتى رتبة العلى　　جهول أراه راكبا غير مركبى
له همة دون الحضيض محلها　　ولى همة تسمو على كل كوكب
فلو كان ذا جهل بسيط عذرته　　ولكنه يدلى بجهل مركب
يقول:علام اخترت مذهب أحمد؟　　فقلت له : إذ كان أحمدَ مذهب
وهل فى ابن شيبان مقال لقائل　　وهل فيه من طعن لصاحب مضرب؟

أليس الذى قد طار فى الأرض ذكره وطبقها مابين شرق ومغرب ؟

ثم ذكر محنته — إلى أن قال :

وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم على دينهم طعن امرىء جاهل غبى
هم الظاهرون القائمون بدينهم إلى الحشر ، لم يغلبهم ذو تغلب
لنا منهم فى كل عصر أئمة هداة إلى العليا ، مصابيح مرقب
وقد علم الرحمن أن زماننا تشعب فيه الرأى أى تشعب
فجاء بحبر عالم من سَراتهم كسبع متين بعد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين بعد اعوجاجها وينقذها من قبضة المتعصب
فذاك فتى تيمية خير سيد نجيب أتانا من سلالة منجب
عليم بأدواء النفوس ، يسوسها بحكمته ، فعل الطبيب المجرب
بعيد عن الفحشاء والبغى والأذى قريب إلى أهل التقى ، ذو تحبب
يرى نُصْرةَ الإسلام أكرم مَغْنم وإظهار دين الله أربح مكسب
وكم قد غدا بالفعل والقول مبطلا ضلالة كذاب ، ورأى مكذب
ولم يلق من أعداه غير منافق وآخر عن نهج السبيل منكب

وهى طويلة . ومنها :

وليس له فى الزهد والعلم مشبه سوى الحسن البصرى وابن المسيب

ومدح فى آخرها شرف الدين عبد الله أخا الشيخ .

٥٠٥ — محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبى عمر المقدسى ، ثم الصالحى ، قاضى القضاة ، عز الدين أبو عبد الله ، ابن قاضى القضاة تقى الدين ابن أبى الفضل

ولد فى عشرين ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة

وسمع من الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، والفخر ، وأبى بكر الهروى ، وغيرهم : وأجاز له ابن عبد الدايم ، وغيره .

ثم اشتغل وقرأ الفقه على أبيه وغيره . وناب عن والده فى الحكم ، وترك له والده تدريس الجوزية ، فدرس بهما فى حياته ، وكتب فى الفتوى ، ودرس بعد موت والده بدار الحديث الأشرفية بالسفح .

ثم ولى القضاء مستقلا بعد موت ابن مسلم . وكان ذا فضل وعقل ، وحسن خلق ، وتودد ، وقضاء لحوائج الناس ، وتهجد من الليل وتلاوة ، وحج ست مرات .

وتوفى فى تاسع صفر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . ودفن بتربة جده الشيخ أبى عمر . وحضره خلق كثير . رحمه الله تعالى

٥٠٦ — عبد الرحمن بن أبى محمد بن محمد بن سلطان بن محمد بن على القرامزى ، الفقيه العابد أبو محمد ، وأبو الفرج

ولد سنة أربع وأربعين وستمائة تقريباً .

وقرأ بالروايات . وسمع من ابن عبد الدايم ، وإسماعيل بن أبى اليسر وجماعة . وتفقه فى المذهب ، ثم تزهد ، وأقبل على العبادة والطاعة ، وملازمة الجامع ، وكثرة الصلوات به . واشتهر بذلك . وصار له قبول وعظمة عند الأكابر .

وقد غمزه الذهبى بأنه نال بذلك سعادة دنيوية ، وتمتع بالدنيا وشهواتها التى لا تناسب الزاهدين

قال : وسمعت منه « اقتضاء العلم » للخطيب . وكان قوى النفس لا يقوم لأحد . وله محبون . ومن حسناته أنه كان من اللعانين للاتحادية اه .

توفى مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ببستانه بأرض جوبر وصلى عليه بجامع جراح . ودفن بمقبرة الباب الصغير . رحمه الله تعالى .

٥٠٧ — عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المقريزى ، البعلى ، المحدث ، الفقيه ، محى الدين أبو محمد .

ولد فى حدود سنة سبع وسبعين وستمائة .

وسمع بدمشق من عمر بن القواس وطائفة . و بمصر من أبى الحسن ابن القاسم وسبط زيادة ، وغيرهما . وعنى بالحديث . وقرأ وكتب بخطه كثيرا وخرج ، وتفقه

قال الذهبى : له مشاركة فى علوم الإسلام ، ومشيخة الحديث بالبهائية ، وغير ذلك . علقت عنه فوائد . وسمع منه جماعة .

توفى ليلة الإثنين ثامن عشرين ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة . ودفن بمقبرة الصوفية بالقرب من قبر الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى

٥٠٨ ـ الحسين بن يوسف بن محمد بن أبى السرى الدجيلى ، ثم البغدادى ، الفقيه ، المقرىء الفرضى ، النحوى الأديب ، سراج الدين أبو عبد الله

ولد سنة أربع وستين وستمائة . وحفظ القرآن فى صباه . ويقال : إنه تلقن سورة البقرة فى مجلسين ، والحواميم فى سبعة أيام

وسمع الحديث ببغداد من إسماعيل بن الطبال ، ومفيد الدين الحربى الضرير وابن الدواليبى ، وغيرهم

و بدمشق من أبى الفتح البعلى ، والمزى الحافظ ، وغيرهما . وله إجازة من الكمال البزار ، وعبد الحميد بن الزجاج ، وجماعة من القدماء ، وحفظ كتبا فى العلوم ، منها « المقنع » فى الفقه و« الشاطبية » و « الألفيتان » فى النحو ، و «مقامات الحريرى » و « عروض ابن الحاجب » و « الدريدية » ومقدمة فى الحساب . وقرأ الأصلين ، وعنى بالعربية واللغة ، وعلوم الأدب .

وتفقه على الزريرانى . وكان فى مبدأ أمره : يسلك طريق الزهد ، والتقشف البليغ ، والعبادة الكثيرة ، ثم فتحت عليه الدنيا . وكان له مع ذلك أوراد ونوافل . وصنف كتاب « الوجيز » فى الفقه ، وعرضه على شيخه الزريرانى ؛ فما كتب له عليه .

ألفيته كتابا وجيزا كما وسمه ، جامعا لمسائل كثيرة ، وفوائد غزيرة قل أن

يجتمع مثلها فى أمثاله ، أو يتهيأ لمصنف أن ينسخ على منواله .

وصنف كتابا فى أصول الدين ، وكتاب «نزهة الناظرين ، وتنبيه الغافلين» وله قصيدة لامية فى الفرائض .

وكان خيرا فاضلا ، متمسكا بالسنة ، كثير الذكاء ، حسن الشكل ، دمث الأخلاق ، متواضعا . اشتغل عليه جماعة ، وانتفعوا به فى الفقه وفى الفرائض ، منهم : يوسف بن محمد السرمرى ، والشرف بن سلوم قاضى حرى . وحدث

وتوفى ليلة السبت سادس ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة . ودفن بالشهيل ، قرية من أعمال دجيل . رحمه الله تعالى

٥٠٩ ـ عبد الله بن حسن بن عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى ، الصالحى ، الفقيه المحدث ، قاضى القضاة ، شرف الدين أبو محمد بن شهاب الدين أبي محمد بن الحافظ أبي موسى بن الحافظ الكبير أبي محمد .

ولد فى رمضان سنة ست وأربعين وستمائة .

وسمع من مكى بن علان ، ومحمد بن عبد الهادى ، والبلدانى ، وخطيب مردا وإبراهيم بن خليل وغيرهم . وأجازله جماعة . وطلب بنفسه . وقرأ على ابن عبد الدائم وغيره .

وتفقه ، وأفتى ، وناب فى الحكم عن أخيه ، ثم عن ابن مسلم مدة ولايتهما .

ثم ولى القضاء فى آخر عمره مستقلا فوق سنة ، ودرس بالصاحبية ، وتولى مشيخة الحديث بالصدرية والعالمية ، ثم بدار الحديث الأشرفية . وكان فقيهاً عالمًا خيراً صالحًا ، منفرداً بنفسه ، ذا فضيلة جيدة ، حسن القراءة ، حميد السيرة فى القضاء ، فعمر وتفرد وحدث . وسمع منه الذهبى ، وخلق .

توفى فجأة ـ وهو يتوضأ للمغرب ـ آخر نهار الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمنزله بالدير . وكان قد حكم ذلك اليوم بالمدينة ، ثم

توجه آخر النهـار إلى السفح . ودفن من الغد بتربة الشيخ أبي عمر . وحضره جمع كثير . رحمه الله تعالى .

٥١٠ ـ عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المقدسي ، الفرضي ، الزاهد القدرة ، عز الدين أبو الفرج ابن الشيخ عز الدين أبي إسحاق ابن الخطيب شرف الدين ، أبي بكر ، ابن القدوة الـكبير أبو عمر .

ولد في تاسع عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة .

وسمع من ابن عبد الدائم ، وغيره . وحج صحبة الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وكمل عليه قراءة كتاب «المقنع» بالمدينة النبوية . وحج بعد ذلك مرات . وكان ذا معرفة تامة بالفرائض ومتعلقاتها .

حدث . وسمع منه الذهبي ، وذكره في معجمه . وقال : كان فقيهـاً عالماً ، متواضعاً صالحاً ، على طريقة السلف . وكان عارفاً بمذهب أحمد . له فهم ومعرفة تامة بالفرائض . وفيه تودد وانطباع ، وعدم تـكلف .

وقال غيره : كان رجلا صالحاً ، بشوش الوجه ، كثير الخير ، مواظباً على أفعال البر . أخذ عنه الفرائض جماعة ، وانتفعوا به .

توفي في ثامن شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . ودفن بتربة الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٥١١ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن نصر البعلي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المحدث ، فخر الدين أبو بكر محمد بن الشيخ شمس الدين أبي عبد الله ، ابن الإمام فخر الدين أبي محمد ، وقد سبق ذكر أبيه وجده .

ولد يوم الخميس رابع عشرين ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وستمائة .

وسمع من ابن البخاري في الخامسة ، ومن الشيخ تقى الدين الواسطى ، وعمر ابن القواس . وعنى بالحديث . وارتحل فيه مرات ، وكتب العالى والنازل من سنة خمس وسبعمائة ، وهلم جرا . وخرج لغير واحد من الشيوخ . وأفاد وتفقه ، وأفتى في آخر عمره ، وولى مشيخة الصدرية والإعادة بالمسمارية ، وجمع عدة تآليف ، وفسر بعض القرآن الكريم .

وحدث ، وسمع منه الذهبي ، وجماعة .

وكان فقيهاً محدثاً ، كثير الاشتغال بالعلم ، عفيفاً ديناً ، حج مرات ، وأقام بمكة شهراً ، وكان مواظباً على قراءة جزءين من القرآن في الصلاة في كل ليلة . وله مواعيد كثيرة لقراءة الحديث ، والرقائق على الناس ، وجمع في ذلك مجموعات حسنة ، منها كتاب « الثمر الرائق المجتنى من الحدائق » وانتفع بمجالسه الناس .

وتوفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وصلى عليه بالجامع ، وحضر جنازته جمع كثير ، وحمل على الرقاب ، ودفن بمقبرة الصوفية ، ولم يعقب رحمه الله تعالى .

وأخبرنى بعض أقاربه ـ وكان يخدمه في مرضه الذى توفى فيه ـ قال : آخر ما سمعت عند موته ، أن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان آخر قوله لا إله إلا الله » ثم مات .

٥١٣ ـ عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى ، ثم المصرى ، الفقيه المناظر الأصولى ، شمس الدين أبو الفرج ، ابن الحافظ قاضى القضاة سعد الدين المتقدم ذكره .

ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وسمع بقراءة والده الكثير بالديار المصرية من العز الحرانى ، ومن خطيب المزة ، وغازى الحلاوى ، وشامية بنت البكرى ، وغيرهم .

و بدمشق من ابن البخارى ، وابن المنجا وجماعة . وسمع بالاسكندرية من القرافى .

وقدم دمشق مرة ثانية بنفسه . فسمع من عمر بن القواس وغيره .

وعنى بالسماع والطلب ، وتفقه فى المذهب حتى برع ، وأفتى وناظر ، وأخذ الأصول عن ابن دقيق العيد ، والعربية عن ابن النحاس ، وناب عن والده وغيره فى الحكم ، ودرس بالمنصورية ، وجامع ابن طولون وغيرهما ، وتصدى للاشتغال .

وكان شيخ المذهب بالديار المصرية . وله مشاركة فى التفسير والحديث ، و يذكر لقضاء مصر والشام ، مع الديانة والورع والجلالة، يعد من العلماء العاملين وحدث ، وسمع منه جماعة .

وتوفى يوم الجمعه سادس عشر ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية بالقاهرة . ودفن إلى جانب والده بالقرافة ، رحمهما الله تعالى .

ومما رأيت من فتاويه : أن صلاة التراويح ، قبل صلاة العشاء ، لا تصح وأنها بدعة ينهى عنها ، ووافقه على ذلك ابن جماعة قاضى الشافعية ، وغيره من المالكية ، وقد صرح بهذا القاضى أبو يعلى . مما قرأته بخطه على ظهر جزء من خلافه . قال القاضى : ولكن يجوز تقديمها على الوتر، لأنها من قيام الليل ، فتجوز قبل الوتر و بعده .

٥١٣ ـ محمود بن على بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقى ، ثم البغدادى ، المحدث الحافظ الواعظ ، تقى الدين أبو الثناء .

ولد فى بكرة الإثنين سادس عشر ين جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة .

وسمع الكثير بإفادة والده ، ومن عبد الصمد بن أبى الجيش، وعلى بن وضاح وابن الساعى ، وعبد الله بن بلدجى ، وعبد الجبار بن عكبر ، وعبد الرحيم

ابن الزجاج ، ومحمد بن أبى الدنية ، وأبى الحسن بن الوجوهى ، ومحمد بن أحمد ابن معضاد ، وعبد الله بن ورخز ، وخلق وأجاز له جماعة كثيرة من أهل الشام والعراق .

ثم طلب بنفسه وقرأ مالا يوصف كثرة على الشيوخ بعد هذه الطبقة . قريباً من خمسين سنة ، وكان قارىء الحديث بدار الحديث المستنصرية مدة . ثم ولى المشيخة بها بعد وفاة الدواليبى المتقدم ذكره .

وكان يقرأ الحديث فى دار الحديث التى كانت تُعرف بمسجد يانس ، ويجتمع عنده خلق كثير ، يبلغون عدة آلاف ، ويعظ بها وبغيرها . وانتهى إليه علم الحديث والوعظ ببغداد ، ولم يكن بها فى وقته أحسن قراءة للحديث منه ، ولا معرفة بلغاته وضبطه ، وله اليد الطولى فى النظم والنثر ، وإنشاء الخطب والمواعظ ..

كتب بخطه الكثير من الفقه والحديث ، وله مشاركة فى الفقه ، وحفظ « الخرقى » فى صغره ، وكان لطيفاً ، حلو النادرة ، مليح الفكاهة ، ذا حرمة وجلالة وهيبة ، ومنزلة عند الأكابر ، وجمع عدة أربعينيات فى معارف مختلفة ، وله كتاب « مطالع الأنوار ، فى الأخبار والآثار الخالية عن السند والتكرار » وكتاب « الكواكب الدرية ، فى المناقب العلوية » وذكر : أنه جمع تاريخاً ولم يوجد . ويقال : إنه جمع كتاباً فى الأسماء المبهمة فى الحديث ، ولم يوجد أيضاً ، وله شعر كثير ، لو جمع لجاء منه ديوان . تخرج به جماعة فى علم الحديث ، وانتفعوا به .

وسمع منه خلق ، وحدث عنه طائفة .

توفى يوم الإثنين بعد العصر ، عشرى المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ثم بالمستنصرية وغيرها ، وشيعه خلق كثير من القضاة والعلماء والأعيان وغيرهم ، وكثر البكاء والثناء عليه ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه . ورثاه غير واحد . رحمه الله تعالى .

أنشدنى والدى قال : أنشدنا أبو الثناء الدقوقى لنفسه :

جاهد بنفسك فى الفضائل تغنم وخُضِ المهالك فى المحبة تسلم
وذَرِ التعلل بالمنى ، فهى العنا واطرح سلاحك فى الهوى واستسلم
من لم يذق فى حبنا طعم الفنا لم يلفنا نكفيه ثقل المغرم
خاطر بنفسك فى هوانا واسترح إن شئت تحظى بالمحل الأعظم
مَرِّغْ خدودك فى ثرى أعتابنا لتفوز بالحسنى وفيض الأنعم
لا يَصْدِفَنَّك صادفٌ عن مطلب فالعز مقرون بجدّ الخِذم
من ذا الذى ألفى بساحل جودنا فشكى الظما ، أوخاف فوت الموسم
نحن الذين إذا أتانا سائل نوليه إحساناً وفضل تكرم
نعفو عن الجانى ، ونقبل عذره ونقبل عَثْرَةَ تائبٍ متندم
ونقول فى الأسحار : «هل من سائل مستغفر » لينال طيب المغنم ؟
لا يلهينك شاغل عن وصلنا وانهض على قدم الرجاء وقدم

وهى طويلة . مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضى الله عنهم

٥١٤ — عبد الرحمن بن محمود بن عبيد البعلى ، الفقيه الزاهد العارف ، زين الدين أبو الفرج .

ولد سنة خمس وسبعين وستمائة .

وسمع الحديث . وتفقه على الشيخ تقى الدين وغيره . وبرع وأفتى . وكان إماماً ، عارفاً بالفقه وغوامضه ، والأصول والحديث ، والعربية والتصوف ، زاهداً عابداً ، ورعاً متألهاً ربانياً . صحب الشيخ عماد الدين الواسطى ، وتخرج به فى السلوك ويذكر له أحوال وكرامات . ويقال : إنه كان يطلع على ليلة القدر كل سنة وقد نالته مرة محنة بسبب حال حصل له ، اطلع عليه بعض أصحابه ، فأشاع ذلك عنه ، وأظهر به خطه . فعقد له مجلس بدار السعادة بدمشق سنة ثمان عشرة ، حضره القضاة والفقهاء ، وأحضروا خطه بأنه :

رأى الحق سبحانه وتعالى ، وشاهد الملكوت الأعلى ، ورأى الفردوس ، ورفع إلى فوق العرش ، وسمع الخطاب ، وقيل له : قد وهبتك حال الشيخ عبد القادر ، وأن الله تعالى أخذ شيئاً كالرداء من عبد القادر ، فوضعه عليه ، وأنه سقاه ثلاثة أشربة مختلفة الألوان ، وأنه قعد بين يدى الله تعالى مع محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والخضر عليهم السلام ، وقيل له : هذا مكان مايجاوزه ولى قط . وقيل له : إنك تبقى قطباً عشرين سنة .

وذكر أشياء أخر . فاعترف أنه خطه . فأنكر ذلك عليه ، فبادر ، وجدد إسلامه ، وحكم الحاكم بحقن دمه ، وأمر بتأديبه . وحبس أياماً .

ثم أخرج ومنع من الفتوى وعقود الأنكحة ، ثم بان له غلطه ، وأن هذا لم يكن له وجود فى الخارج ، وإنما هى أخيلة وشواهد وأنوار قلبية ، لاأمور خارجية وشيخه الواسطى مع سائر أئمة الطريق أهل الاستقامة ، وصوفية أهل الحديث يقررون ذلك ، ويحذرون من الغلط فيه ، كما زل فى ذلك طوائف من أكابر الصوفية .

وكان أكثر إقامة الشيخ زين الدين بدمشق ، يعيد بالمدارس ، ويتصدى للاشتغال والإفادة ، وإقراء الحديث والفقه وأصوله ، وانتفع به جماعة ، وتخرجوا به ، منهم : الإمام العلامة عز الدين حمزة بن شيخ السلامية وغيره .

وسافر مرة إلى حماة ، واجتمع بقاضيها الشيخ شرف الدين بن البارزى . وكان إماماً متقناً ، ذا قدم راسخ فى السلوك . فبلغنى عن ابن البارزى : أنه كان بعد ذلك يثنى على الشيخ زين الدين ثناء كثيراً ، ويذكر أنه لم ير مثله ، هذا أو نحوه .

وصنف كتاباً فى الأحكام على أبواب « المقنع » سماه « المطلع » وشرح قطعة من أول « المقنع » وجمع « زوائد المحرر على المقنع» وله كلام فى التصوف . وحدث بشىء من مصنفاته .

توفى فى منتصف صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ببعلبك ، وشيعه عامة أهل البلد ، وحمل على الرءوس . ودفن بمقبرة باب سطحان . رحمه الله تعالى .

٥١٥ — عبد الرحمن بن حسين بن يحيى بن عمر بن النجمى المصرى القبابى ، و « قباب » قرية من قرى أشموم الرمان بالصعيد — نزيل حماة . الفقيه الزاهد العابد القدوة ، نجم الدين أبو عمر .

كان رجلا صالحاً ، زاهداً عابداً ، عالماً قدوة ، عارفاً فقيهاً ، ذا فضيلة ومعرفة . وله اشتغال بالمذهب . أقام بحماة مدة فى زاوية يزار بها . وكان معظماً عند الخاص والعام ، وأئمة وقته يثنون عليه ، كالشيخ تقى الدين ابن تيمية وغيره . وكان أماراً بالمعروف ، نهاءًا عن المنكر ، من العلماء الربانيين ، و بقايا السلف الصالحين . وله كلام حسن يؤثر عنه .

توفى فى آخر نهار الإثنين رابع عشر رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . بحماة . وكانت جنازته مشهودة عظيمة جداً ، وحمل على الرءوس . ودفن شمالى البلد ، وتأسف الناس عليه . رضى الله عنه .

وتوفى ولده : — .

٥١٦ — سراج الدين عمر بالقدس . وكان جامعا بين العلم والعمل واشتغل وانتفع بابن تيمية ، ولم أر على طريقه فى الصلاح مثله رحمه الله تعالى .

٥١٧ — محمد بن محمد بن محمود بن قاسم بن البزرتى ، البغدادى ، الفقيه الأصولى ، الأديب النحوى ، شمس الدين أبو عبدالله ، ابن الإمام أبو الفضائل .

قرأ الفقه على الشيخ تقى الدين بن الزيراتى . وكان إماما عالما ، متقنا بارعا فى الفقه والأصلين ، والأدب والتفسير ، وغير ذلك . وله نظم حسن ، وخط مليح ، ودرس بالمستنصرية بعد شيخه الزيراتى . وكان من فضلاء أهل بغداد .

توفى أبو عبد الله بن البزرتى فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ببغداد .

وكذلك كان والده أبو الفضل إماما عالما ، مفتيا صالحا .

وتوفى فى جمادى الأولى من السنة أيضا : ـ

٥١٨ ـ نصير الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد السلام بن تميم بن أبى نصر بن عبد الباقى ابن عكبر البغدادى ، المعمر ببغداد ، عن خمس وتسعين سنة . ودفن بباب حرب

سمع الكثير من عبد الصمد بن أبى الجيش ، وابن وضاح ، وابن أبى الدنية وابن الدباب وطبقتهم .

وحدث . سمع منه خلق ، وتفقه . وأعاد بالمدرسة البشيرية للحنابلة ، وأضر فى آخر عمره ، وانقطع فى بيته رحمه الله تعالى .

وذكر : أنه من أولاد عكبر الذى تاب هو أصحابه من قطع الطريق ، لرؤيته عصفورا ينقل رطبا من نخلة حامل إلى أخرى حائل ، فصعد فنظر ، فإذا هو بحية عمياء ، والعصفور يأتيها برزقها ، فتاب هو وأصحابه . وذكره ابن الجوزى فى « صفوة الصفوة » فنسبت بنى عكبر إليه . والله أعلم .

وكان يحط على عبد الصمد بن أبى الجيش ، ويقول : أنا أقدم منه ، فكيف يقدم على فى مشيخة الحديث بالمستنصرية ؟ ولم يبق فى سنى أحد ببغداد .

٥١٩ ـ عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم ابن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور ، السعدى الصالحى ، المقدسى الأصل ، المحدث الصالح ، القدوة الزاهد ، محب الدين أبو محمد بن أبى العباس بن المحب . وقد سبق ذكر جده .

ولد يوم الأحد ثانى عشر المحرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة بقاسيون .

وأسمعه والده من الفخر بن البخارى ، وابن الكمال ، وزينب بنت مكى وجماعة . ثم طلب بنفسه ، وسمع من عمر بن القواس ، وأبى الفهم بن عساكر ، ويوسف الفسولى ، وخلق من بعدهم . وذكر كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم نحواً

من ألف شيخ . وقرأ بنفسه الكثير ، وعنى بهذا الشأن . وكتب بخطه الكثير ، والعالى والنازل . وخرج التخاريج لجماعةمن الشيوخ ، وانتقى وأفاد .

وقال الذهبي : كان فصيح القراءة ، جهورى الصوت ، منطلق اللسان بالآثار ، سريع القراءة ، طيب الصوت بالقرآن ، صالحا خائفا من الله صادقا ، انتفع الناس بتذكيره و بمواعيده .

وذكره أيضا فى « معجم » شيوخه ، وقال : كان شابا صالحا ، فى سمعه ثقل ما وقد حدث كثيرا . وسمع منه جماعة .

وتوفى يوم الإثنين سابع ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . وكانت جنازته مشهودة ، شيعه الخلق الكثير ، وكثر الثناء والتأسف عليه .

ودفن بالقرب من الشيخ موفق الدين بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

وكان والده : —

٥٢٠ — أبو العباس من كبار الصالحين الأتقياء الأخفياء .

حدث عن إبراهيم بن خليل وابن عبد الدايم ، وجماعة .

سمع منه الذهبي وجماعة ، وقال : سألت عنه ولده ؟ فقال : ما أعلم عليه شيئاً يشينه فى دينه .

قال الذهبي : ما هو عندى بدون شيخنا محمد بن تمام . وذكره فى « المعجم المختصر » فقال : الإمام الزاهد الصالح . بقية السلف الأخيار .

ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وعنى بطلب الحديث . وكتب وأفتى ، ونسخ لنفسه وللناس . وكان بهىّ الشيبة ، كثير الوقار والسكينة ، ذا حظ من عبادة وتأله وتواضع ، وحسن هدى ، واتباع للأثر ، وانقباض عن الناس ، وانتقيت له جزءاً . وهو شيخ الحديث بالضيائية حدث بالكثير . وروى عنه ابن الخباز ، وطائفة .

وتوفى فى ذى الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٥٢١ - عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى ، النابلسى ، الفقيه الزاهد القدوة ، شمس الدين ، أبو محمد بن العفيف ، ابن الشيخ تقى الدين . وقد سبق ذكر جده شيخ نابلس .

ولد سنة تسع وأربعين وستمائة .

وحضر على خطيب مردا . وسمع من عم أبيه جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم . وأجاز له سبط السلفى . وتفقه وأفتى ، وأمّ بمسجد الحنابلة بنابلس نحواً من سبعين سنة .

وكان كثير العبادة ، حسن الشكل والصوت ، عليه البهاء والوقار . حدث . وسمع منه طائفة .

توفى يوم الخميس ثانى عشرين ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بنابلس ، ودفن بها ، وتأسف الناس عليه . رحمه الله تعالى .

وتوفى قبله فى ربيع الأول من السنة بنابلس أيضاً : الإمام المفتى .

٥٢٢ - عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة .

٥٢٣ - عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله بن على بن مسعود القطيعى الأصل ، البغدادى ، الفقيه ، الإمام الفرضى المتقن ، صفى الدين أبو الفضائل ، ابن الخطيب كمال الدين أبى محمد .

كان والده خطيباً بجامع ابن عبد المطلب ببغداد احتسابا . وكان جده يعرف بابن شمائل .

ولد الشيخ صفى الدين فى سابع عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة ببغداد .

وسمع بها الحديث من عبد الصمد بن أبي الجيش ، وأبي الفضل بن الدباب ، والكمال البزار ، وابن الكسار . وغيرهم .

وسمع بدمشق : من الشرف أحمد بن هبة الله بن عساكر ، وست الأهل بنت علوان ، وجماعة ، وبمكة من الفخر التوريزى . وأجاز له ابن البخارى ، وأحمد بن ابن شيبان ، وزينب بنت مكى ، وابن وضاح ، وخلق من أهل الشام ومصر والعراق

وتفقه على أبي طالب عبد الرحمن بن عمر البصرى المتقدم ذكره ، ولازمه حتى برع وأفتى ، ومهر فى علم الفرائض والحساب ، والجبر والمقابلة والهندسة والمساحة ، ونحو ذلك .

واشتغل فى أول عمره ـ بعد الفقه ـ بالكتابة والأعمال الديوانية مدة ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على العلم ، ولازمه مدة مطالعة وكتابة ، وتصنيفاً وتدريساً ، واشتغالا وإفتاء ، إلى حين وفاته .

وكتب الكثير بخطه الحسن المليح الحلو . وكان ذا ذهن حادّ ، وذكاء وفطنة . وعنده خميرة جيدة من أول عمره فى العلم ، فأقبل آخراً على التصنيف ، فصنف فى علوم كثيرة . منها : ما لم يكن سبق له فيها اشتغال . وصنف فى الفقه والأصلين ، والجدل والحساب ، والفرائض والوصايا ، وفى التاريخ والحديث ، والطب ، وغير ذلك . واختصر كتبا كثيرة .

فمن تصانيفه « شرح المحرر » فى الفقه ست مجلدات ، « شرح العمدة » فى الفقه مجلدان « إدراك الغاية فى اختصار الهداية » فى الفقه مجلد لطيف ، وشرحه فى أربع مجلدات « شرح المسائل الحسابية » من « الرعاية الكبرى » لابن حمدان ، مجلد لطيف « تلخيص المنقح فى الجدل » ، « تحقيق الأمل ، فى علمى الأصول والجدل » ، « تسهيل الوصول إلى علم الأصول » ، « قواعد الأصول ومعاقد الفصول » و « اللامع المغيث فى علم المواريث و « أسرار المواريث » جزء ، تكلم فيه على حكم الإرث ومصالحه ، واختصر « تاريخ الطبرى » فى أربع مجلدات ، واختصر

« الرد على الرافضى » للشيخ تقى الدين ابن تيمية فى مجلدين لطيفين ، واختصر « معجم البلدان » لياقوت الحموى وغير ذلك .

وعنى بالحديث ، فنسخ واستنسخ كثيرًا من أجزائه ، وخرج لنفسه معجماً لشيوخه بالسماع والإجازة عن نحو ثلاثمائة شيخ ، وأكثرهم بالإجازة ، وتكلم فيه على أحوالهم ووفياتهم ، واستعان فى معرفة أحوال الشاميين بالذهبى والبرزالى ، وحدث به ، وبكثير من مسموعاته ، وغيرها بالإجازة .

سمع منه خلق كثيرون . وأجاز لى مايجوز له روايته غير مرة ، ودرس بالمدرسة البشيرية للحنابلة .

وكان إماماً فاضلا ، ذا مروءة ، وأخلاق حسنة ، وحسن هيئة وشكل ، عظيم الحرمة ، شريف النفس ، منفردًا فى بيته ، لايغشى الأكابر ولا يخالطهم ، ولايزاحمهم فى المناصب ؛ بل الأكابر يترددن إليه ، وقد نهى أصحابه عن السعى له فى تدريس المستنصرية ، ولم يتعرض لها ، مع تمكنه من ذلك ، ولما حبس الجماعة الذين كتبوا على مسألة الزيارة ، موافقة للشيخ تقى الدين لم يتعرض له ، هيبة له واحتراماً ، وحبس سائرهم وأوذوا .

وله شعر كثير جيد ، لعله ديوان تمام ، وتفرد فى وقته ببغداد ، فى علم الفرائض ، والحساب ، حتى يقال : إن الزريراتى كان يراجعه فى ذلك ، ويستفيد منه .

ونقل بعضهم عن القاضى برهان الدين الزرعى ، أنه كان يقول : هو إمامنا فى علم الفرائض والجبر والقابلة ، وأنه كان يثنى عليه ويقول : لو أمكننى الرحلة إليه لرحلت إليه ، وكان قد رأى الشيخ تقى الدين ابن تيمية بدمشق ، واجتمع معه . ولما صنف « شرح المحرر » أرسل إلى الشيخ تقى الدين يسأله عن مسائل فيه وقد ذكر عنه فى شرحه شيئاً من ذلك ، فى مسائل « ميراث المعتق بعضه » ولم يدرك ماقاله الشيخ على وجهه .

وله رحمه الله : أوهام كثيرة فى تصانيفه ، حتى فى الفرائض ، من حيث توجيه

المسائل وتعليلها ، رحمه الله تعالى وسامحه . فلقد كان من محاسن زمانه في بلده .

توفي إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة عاشر صفر ، سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وصلي عليه من الغد ، وحمل على الأيدي والرءوس ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب ، وكانت جنازته مشهودة ، رحمه الله تعالى .

أنشدني الإمام صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، في كتابه لنفسه :

لا تَرْجُ غير الله سبحانه ... واقطع عُرَى الآمال من خلقه
لا تطْلُبَنَّ الفضل من غيره ... واضنن بماء الوجه واسْتَبْقِه
فالرزق مقسوم ، وما لامرِئٍ ... سوى الذي قُدِّرَ من رزقه
والفقر خير للفتى من غنى ... يكون طول الدهر في رقه

وأنشدني لنفسه في كتابه :

يارب ، أنت رجائي ... وفيك أحسنت ظني
يارب ، فاغفر ذنوبي ... وعافني ، واعف عني

وأعاد بعده بالبشيرية :ـ

٥٢٤ ـ النضر بن عكبر

و بعده :

٥٢٥ ـ شمس الدين بن رمضان المرتب، الفقيه الأصولي، اختصر المذهب من المغني .

وتطاول زمن الزريراني لتدريس المستنصرية ، واشتغل عليه جماعة في الأصول والفروع ، وله شعر أكثره هجو للتراقني وغيره ، حتى قال في نفسه :

تلامذة المرتب كل فَدْم ... بعيد الذهن ، لافضل لديه
لقد صدق الذي قد قال قدما ... شبيه الشيء منجذب إليه

وقال لي طرافة أهل بغداد نفسي .

مولده سنة ست وستين وستمائة .

ومن أصحاب صفى الدين :ـ

٥٣٦ ـ عبد الله بن علام السامرى .

حفظ « المحرر » وقرأ عليه شرحه تصنيفه . وكان ذكياً .

وتوفى بدمشق بالطاعون .

وكذلك منهم :ـ

٥٣٧ ـ عبد العزيز بن هاشولا

حفظ كتابه فى الفقه والأصول ، ووعظ ببغداد فى الثوالث ، ونظم الشعر ، وكان حسناً .

توفى بالطاعون ببغداد .

٥٣٨ ـ وابن النباسه ، كان آية فى الحفظ ، غاص فى البحر ولم يعلم له خبر .

قرأت عليه « مختصر الخرقى » من حفظى ، وسمعت عليه أجزاء كثيرة من مصنفاته وصحبته إلى الممات، ورأى عند وفاته طيوراً بيضاء نازلة . رحمه الله تعالى .

٥٣٩ ـ عبادة بن عبد الغنى بن منصور بن منصور بن عبادة الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه المفتى ، الشروطى ، المؤذن ، زين الدين ، أبو محمد وأبو سعيد .

ولد فى رجب سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وسمع من القاسم الأربلى ، وأبى الفضل بن عساكر ، وجماعة . وطلب الحديث ، وكتب الأجزاء .

وتفقه على الشيخ زين الدين بن المنجا ، ثم على الشيخ تقى الدين ابن تيمية .

قال الذهبي : تقدم فى الفقه ، وناظر وتميز ، عنده «صحيح مسلم» عن القاسم الأربلى . وذكره فى معجم شيوخه . وقال : كان فقيهاً عالماً ، جيد الفهم ، يفهم

شيئاً من العربية والأصول . وكان صالحاً ديناً ، ذا حظ من تهجد ، وإيثار وتواضع ، اصطحبنا مدة ، ونعم والله الصاحب هو . كان يسع الجماعة بالخدمة والإفضال والحلم . خرجت له جزءاً . وحدث بصحيح مسلم . انتهى .

وكان يلى العقود والفسوخ ، ويكثر الكتابة فى الفتاوى ، ثم منع من الفسوخ فى آخر عمره ، سمع منه جماعة .

وتوفى فى شوال سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق من القضاة والعلماء وغيرهم ، وحسن الثناء عليه رحمه الله .

وكان أبوه :

٥٣٠ – شرف الدين عبد الغنى : فقيها أديبا ، عدلا مؤذنا أيضا . أذن زمانا بجامع دمشق .

وحدث عن عيسى الخياط ، والشيخ مجد الدين ابن تيمية . سمع منهما بحران .

وتوفى فى ربيع الآخر سنة خمس وسبعمائة رحمه الله تعالى .

ومما أفتى به عبادة – ورأيته بخطه – فى أوقاف وقفها جماعة على جهة واحدة من جهات البر . فإذا خرب أحدها ، وليس له ما يعمر به : أنه يجوز لمباشر الأوقاف : أن يعمره من الوقف الآخر . ووافقته طائفة من الحنفية .

٥٣١ – محمد بن أحمد بن تمام بن حسان التلى ، ثم الصالحى ، القدوة الزاهد أبو عبد الله .

ولد سنة إحدى وخمسين وستمائة .

وسمع من أبى حفص عمر بن عوة الجزرى صاحب البوصيرى . وهو آخر من حدث عنه ، ومن أبى طالب بن السرورى ، وابن عبد الدائم وجماعة . وصحب الشيخ شمس الدين بن الكمال ، وغيره من العلماء والصلحاء .

وكان صالحاً تقياً ، من خيار عباد الله ، يقتات من عمل يده . وكان عظيم

الحرمة ، مقبول الكلمة عند الملوك . وولاة الأمور ، يرجع إلى قوله ورأيه ، أماراً بالمعروف ، نهاءاً عن المنكر .

ذكره الذهبي في معجم شيوخه ، وقال : كان مشاراً إليه في الوقت بالإخلاص وسلامة الصدر ، والتقوى والزهد ، والتواضع التام ، والبشاشة ، ما أعلم فيه شيئاً يشينه في دينه أصلا .

قلت : حدث بالكثير ، وسمع منه خلق . وأجاز لي ما يجوز له روايته بخط يده .

توفي ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

٥٣٢ – إبراهيم بن أحمد بن هلال الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي المناظر الفرضي ، القاضي برهان الدين أبو إسحاق .

سمع بدمشق من عمر بن القواس ، وأبي الفضل بن عساكر ، وأبي الحسين اليونيني . وتفقه وأفتى قديماً ، ودرس وناظر .

وولي نيابة الحكم عن القاضي عز الدين بين القاضي تقي الدين سليمان ، ثم عن القاضي علاء الدين بن المنجا .

ودرس بالحنبلية من حين سجن الشيخ تقي الدين بالقلعة في المرة الذي توفي فيها ، فساء ذلك أصحاب الشيخ ومحبيه ، وشق ذلك عليهم كثيراً ، واستمر بها إلى حين وفاته .

وكان بارعاً في أصول الفقه ، وفي الفرائض والحساب ، عارفاً بالمناظرة . وإليه المنتهى في التحري ، وجودة الخط وصحة الذهن ، وسرعة الإدراك ، وقوة المناظرة ، وجودة التقرير ، وحسن الخلق ، لكنه كان قليل الاستحضار لنقل المذهب . وكان فضلاء وقته يعظمونه ، ويثنون عليه . وكان قاضي القضاة أبو الحسن السبكي يسميه : فقيه الشام . وكان فيه لعب ، وعليه في دينه مأخذ ، سامحه الله .

تفقه عليه جماعة ، وتخرجوا به فى الفقه وأصـوله . وحدث . ولم يصنف كتاباً معروفاً .

توفى وقت صلاة الجمعة سادس عشر رجب سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . ودفن بمقبرة الباب الصغير .

٥٣٣ ـ شافع بن عمر بن إسماعيل الجيلى ، الفقيه الأصولى ، ركن الدين، نزيل بغداد

سمع الحديث ببغداد على إسماعيل بن الطبال ، وابن الدواليبى وغيرهما .

وتفقه على الشيخ تقى الدين الزريراتى ، وصاهره على ابنته ، وأعاد عنده بالمستنصرية ، وكان رئيسا فاضلا نبيـلا ، عارفا بالفقه والأصول ، وبالطب ، ومراعيا لقوانينه فى مأكله ومشربه . ودرس بالمدرسة المجاهدية وأقرأ الفقه مدة

قرأ عليه جماعة ، منهم : والدى . وله تصنيف فى مناقب أرباب المذاهب الأربعة ، سماه « زبدة الأخبار فى مناقب الأئمة الأربعة الأخيار » .

وكان فقيها فاضلا ، لـكنه قاصر العبارة ، فى لسانه عجمة .

توفى يوم الجمعة ثانى عشر شوال سنة إحـدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن بدهليز تربة الإمام أحمد ، رضى الله عنه .

٥٣٤ ـ عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل الزريرتى البغدادى ، الفقيه ، الإمام شرف الدين أبو محمد ، ابن شيخ العراق تقى الدين أبى بكر المتقدم ذكره .

وولد ببغداد ، ونشأ بها وقرأ القرآن ، وحفظ «المحرر» وسمع الحديث واشتغل ثم رحل إلى دمشق ، سمع بهـا من زينب بنت الـكمال ، وجماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ، وخطيب مردا ، وطبقتهما .

وارتحل إلى مصر ، وسمع بها من مسندها يحيى بن المصرى وغيره ، ولقى بها أبا حيان وغيره .

وأقام بدمشق مدة ، يقرأ فى المحرر على القاضى برهان الدين الزرعى ، ثم رجع إلى بغداد بفضائل ، ودرس بها بالمدرسة البشيرية للحنابلة بعد وفاة الشيخ صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق . ثم درس بالمجاهدية بعد موت صهره شافع المذكور قبله ، ولم تطل بها مدته . وحضرت درسه وأنا إذ ذاك صغير لا أحقه جيدا

وناب فى القضاء ببغداد ، واشتهرت فضائله ، وخطه فى غاية الحسن ، وقد اختصر « فروق السامرى » وزاد عليها فوائد واستدراكات من كلام أبيه وغيره واختصر « طبقات الأصحاب » للقاضى أبى الحسين ، وذيل عليها ، وتطلبتها فلم أجدها . واختصر « المطلع » لابن أبى الفتح ، وغير ذلك .

توفى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجـة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . ودفن عند والده بمقبرة الإمام أحمد . وله من العمر نحو الثلاثين سنة . رحمه الله

٥٣٥ ـ محمد بن أحمد بن عبد الهـادى بن عبد الحميد بن عبـد الهـادى ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى ، الجماعيلى الأصل ، ثم الصالحى ، ثم المقرئ الفقيه المحدث ، الحافظ الناقد ، النحوى المتفنن ، شمس الدين أبو عبدالله بن العماد أبى العباس .

ولد فى رجب سنة أربع وسبعمائة .

وقرأ بالروايات ، وسمع الـكثير من القاضى أبى الفضل سليمان بن حمزة ، وأبى بكر بن عبـد الدايم ، وعيسى المطعم ، والحجار ، وزينب بنت الـكمال ، وخلق كثير .

وعنى بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل . وبرع فى ذلك . وتفقه فى المذهب وأفتى . وقرأ الأصلين والعربية ، وبرع فيها . ولازم الشيخ تقى الدين ابن تيمية مدة . وقرأ عليه قطعة من الأربعين فى أصول الدين للرازى .

قرأ الفقه على الشيخ مجد الدين الحرانى ، ولازم أبا الحجاج المزى الحافظ ، حتى برع عليه فى الرجال ، وأخذ عن الذهبى وغيره .

وقد ذكره الذهبي في طبقات الحفاظ ، قال : ولد سنة خمس ـ أو ست ـ وسبعمائة . واعتنى بالرجال والملل ، وبرع وجمع ، وتصدى للافادة والاشتغال في القراءة والحديث ، والفقه والأصلين ، والنحو . وله توسع في العلوم وذهن سيال

وذكره في معجمه المختص ، وقال : عني بفنون الحديث ، ومعرفة رجاله ، وذهنه مليح ، وله عدة محفوظات وتآليف ، وتعاليق مفيدة . كتب عني ، واستفدت منه .

قال : وقد سمعت منه حديثا يوم درسه بالصدرية .

ثم قال : أخبرنا المزى إجازة أخبرنا أبو عبد الله السروجى أخبرنا ابن عبد الهادى ـ [فذكر حديثا هذا لفظه : درس ابن عبد الهادى بالصدرية](١) درس الحديث و بغيرها بالسفح . وكتب بخطه الحسن المتقن الكثير . وصنف تصانيف كثيرة بعضها كملت ، و بعضها لم يكمله ؛ لهجوم المنية عليه في سن الأربعين .

فمن تصانيفه « تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق » لابن الجوزى مجلدان « الأحكام الكبرى » المرتبة على أحكام الحافظ الضياء ، كل منها سبع مجلدات « الرد على أبي بكر الخطيب الحافظ في مسئلة الجهر بالبسملة » مجلد « المحرر في الأحكام » مجلد « فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على أحاديث : « أفطر الحاجم والمحجوم » مجلد لطيف « الكلام على أحاديث مس الذكر » جزء كبير « الكلام على أحديث : البحر هو الطهور ماؤه » جزء كبير « الكلام على أحاديث القلتين » جزء « الكلام على حديث معاذ في الحكم بالرأى » جزء كبير ، الكلام على حديث « أصحابى كالنجوم » جزء ، الكلام على حديث أبي سفيان « ثلاث أعطيتهن يارسول الله » والرد على

---

(١) ما بين المربعين غير موجود بمخطوطة الثقافة . والكلام على كل حال يحتاج إلى تأمل .

ابن حزم فى قوله : إنه موضوع . كتاب « العمدة » فى الحفاظ ، كل منه مجلدان « تعليقة فى الثقات » كل منه مجلدان ، الكلام على أحاديث « مختصر ابن الحاجب » مختصر ومطول ، الكلام على أحاديث كثيرة فيها ضعف من « المستدرك » للحاكم ، أحاديث الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، جزء منتقى من « مختصر المختصر » لابن خزيمة ، ومناقشته على أحاديث أخرجها فيه ، فيها مقال ، مجلد ، الكلام على « أحاديث الزيارة » جزء ، مصنف « فى الزيارة » مجلد ، الكلام على أحاديث « محلل السباق » جزء ، جزء فى « مسافة القصر » جزء فى قوله تعالى (٩ : ١٠٨ لمسجد أسس على التقوى ـ الآية) جزء فى أحاديث « الجمع بين الصلاتين فى الحضر » ، « الإعلام فى ذكر مشايخ الأئمة الأعلام » أصحاب الكتب الستة . عدة أجزاء ، الكلام على حديث « الطواف بالبيت صلاة » ، « جزء كبير فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم » تعليقة على « سنن البيهقى الكبرى » كل منها مجلدان ، جزء كبير فى « المعجزات والكرامات » جزء فى « تحريم الربا » جزء فى « تملك الأب من مال ولده ماشاء » جزء فى « العقيقة » جزء فى « الأكل من الثمار التى لاحائط عليها » ، « الرد على ألكيا الهرّاسى » جزء كبير ، « ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية [1] » مجلد « منتقى من تهذيب الكمال للمزى » كل منه خمسة أجزاء « إقامة البرهان على عدم وجوب صوم يوم الثلاثين من شعبان » جزء ، جزء فى « فضائل الحسن البصرى » رضى الله عنه « جزء فى حجب الأم بالإخوة ، وأنها تحجب بدون ثلاثة » جزء « فى الصبر » جزء « فى فضائل الشام » « صلاة التراويح » جزء كبير ، الكلام على أحاديث « لبس الخفين للمحرم » جزء كبير ، جزء فى « صفة الجنة » جزء فى « المراسيل » جزء فى مسألة « الجد والآخوة » ، « منتخب من مسند الإمام أحمد » مجلدان « منتخب من سنن البيهقى » مجلد « منتخب من سنن أبى داود » مجلد لطيف

---

(١) سماها العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية . طبع بتحقيق محمد حامد الفقى سنة ١٣٥٦

«تعليقه على التسهيل فى النحو ، كل منها مجلدان ، جزء فى الكلام على حديث « أفرضكم زيد » أحاديث «حياة الأنبياء فى قبورهم» جزء ، تعليقة ، على « العلل » لابن أبى حاتم ، كل منها مجلدان . تعليقة على « الأحكام » لأبى البركات ابن تيمية لم تكمل « منتقى من علل الدارقطنى » مجلد ، جزء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « شرح لألفية[1] ابن مالك » جزء . ما أخذ على تصانيف أبى عبد الله الذهبى الحافظ شيخه عدة أجزاء . حواشى على كتاب «الإلمام» جزء فى الرد على أبى حيان النحوى فيما رده على ابن مالك وأخطأ فيه ، جزء فى «اجتماع الضميرين» جزء « فى تحقيق الهمز والإبدال فى القراءات » وله رد على ابن طاهر ، وابن دحية ، وغيرهما ، وتعاليق كثيرة فى الفقه وأصوله ، والحديث ، ومنتخبات كثيرة فى أنواع العلم .

وحدث بشىء من مسموعاته . وسمع منه غير واحد ، وقد سمعت من أبيه ، فإنه عاش بعده نحو عشر سنين

توفى الحافظ أبو عبد الله فى عاشر جمادى الأول سنة أربع وأربعين وسبعمائة ودفن بسفح قاسيون ، وشيعه خلق كثير ، وتأسفوا عليه ، ورئيت له منامات حسنة . رحمه الله تعالى .

٥٣٦ ـ محمود بن على بن عبد الولى بن خولان البعلى ، الفقيه الفرضى ، بهاء الدين أبو الثناء .

ولد فى حدود السبعمائة .

وسمع الحديث من جماعة . وقرأ على الحافظ الذهبى عدة أجزاء . وتفقه على الشيخ مجد الدين الحرانى ، ولازم الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وبرع فى الفرائض والوصايا ، والجبر والمقابلة .

وكان قيما بنقل المذهب ، واستحضار أكثر المسائل ، فقيهاً مفتياً ،

(٢) فى مخطوطة الثقافة « لامية »

ديناً . وله معرفة بالنحو . وخطه حسن . وكتب كثيراً . وكان متواضعاً متودداً ، ملازماً للاشغال ، حريصاً على إفادة الطلبة ، بارًّا بهم ، محسناً إليهم . تفقه به جماعة ، وانتفعوا به ، وبرع منهم طائفة .

توفى فى رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة ببعلبك رحمه الله تعالى .

وحدثنى بعض أصحابه : أنه رآه فى النوم بعد وفاته فقال له : أين أنت ؟ قال : لى ثلاثة أيام هبطت إلى الفردوس . قال : فقلت له : فأين كنت قبلها ؟ قال : فى الضيافة .

٥٣٧ ـ أحمد بن محمّد بن أحمد بن عبد الغنى العلانى ، الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه شهاب الدين أبو العباس .

ولد سنة اثنتين وسبعمائة .

وسمع من ابن الموازينى ، والدشتى ، والقاضى سليمان بن حمزة ، وجماعة . وطلب بنفسه ، وسمع الكثير ، وكتب الأجزاء . وتفقه . وقرأ أصول الفقه ، وناظر . وهو الذى بيض « مسودة الأصول » لبنى تيمية ، ورتبها ، و بيض من « شرح الهداية » أيضا .

ذكره الذهبى فى المعجم المختص ، وقال : من أعيان مذهبه ، فيه دين وتقوى ومعرفة بالفقه . أخذ عنى ومعى ، وقرأ علىّ « سير النبلاء » .

توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بدمشق . ودفن بمقبرة الباب الصغير . رحمه الله .

٥٣٨ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى ، الدمشقى ، الفقيه المفتى ، المدرس المحتسب ، عز الدين أبو عبد الله بن وجيه الدين

ولد فى أول سنة ثمان وثمانين وستمائة .

حضر على الفخر ابن البخارى ، وزينب بنت مكى وغيرهما . وحدث

كان ذكيا مخالطا للشافعية ، جماعا للكتب .

وولى حسبة دمشق . ونظر الجامع . ودرس فى أماكن . وكان صدرا رئيسا كثير الحشمة والمروءة ، حسن الشكل ، محبا لأهل العلم

وتوفى فى جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبعمائة . وهو والد فاطمة أم الحسن .

٥٣٩ — عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الحسين اليونينى ، محيى الدين ابن الحافظ شرف الدين بن الفقيه أبى عبد الله اليونينى .

ولد سنة ثمانين وستمائة .

وتوفى سنة سبع وأربعين وسبعمائه . رحمه الله تعالى .

٥٤٠ — سليمان بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن يحيى بن أبى نوح الشيبانى ، النهرمارى ، ثم البغدادى ، الفقيه الإمام القاضى ، نجم الدين ، أبو المحامد الرافقى .

قدم بغداد . وسمع بها . وأجازله الكمال البزار ، والرشيد بن أبى القاسم ، وغيرهما .

وتفقه على الشيخ تقى الدين الزريرانى ، حتى برع وأفتى ، وأعاد عنده بالمستنصرية ، ثم درس بالمستنصرية للحنابلة بعد موت ابن البرزى المتقدم ذكره وناب فى القضاء وحدث . وسمع منه جماعة .

وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وصلى عليه بجامع قصر الخلافة ، وحضرت الصلاة عليه . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب

٥٤١ — محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد ابن محمد بن قدامة المقدسى ، الخطيب الصالح ، العالم القدوة ، عز الدين أبو عبد الله بن الشيخ العز .

ولد فى رجب سنة ثلاث وستين وستمائة .

وسمع من ابن عبد الدايم ، والكرمانى حضورا ، وسمع الكثير من أبى عمر وطبقته ، وتفقه قديما بعم أبيه الشيخ شمس الدين ابن أبى عمر ، ودرس بمدرسة جدهم الشيخ أبى عمر ، و بالضيائية . وخطب بالجامع المظفرى دهرا .

وكان من الصالحين الأخيار المتفق عليهم ، وعَمَّر . وحدث بالكثير ، وخرَّجوا له مشيخة فى أربعة أجزاء . سمع منه خلق ، وأجاز لى مروياته .

ذكره الذهبى فى معجم شيوخه ، فقال : كان فقيها عالما ، صالحاً خيرا ، متواضعا ، على طريقة سلفه .

توفى يوم الإثنين عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ودفن بتربة جده الشيخ أبى عمر . رحمه الله تعالى .

٥٤٢ ـ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبى الفرج بن أبى الحسن بن سرايا ابن الوليد الحرانى . نزيل مصر ، الفقيه القاضى ، بدر الدين أبو عبد الله ، ويعرف بابن الحبال .

ولد بعد السبعين وستمائة تقريباً .

وسمع من العز الحرانى ، وابن خطيب المزة ، والشيخ نجم الدين بن حمدان ، وغيرهم . وتفقه و برع ، وأفتى ، وأعاد بعدة مدارس ، وناب فى الحكم بظاهر القاهرة .

وصنف تصانيف عديدة ، منها : « شرح الخرقى » وهو مختصر جدًّا ، وكتاب « الفنون » .

وحدث ، وروى عنه جماعة ، منهم : ابن رافع ، وكان حسن المناضرة ، لين الجانب ، لطيف الذات ، ذا ذهن ثاقب .

توفى فى تاسع عشر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

٥٤٣ - عمر بن سعد الله بن عبد الأحد الحرانى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الفرضى ، القاضى ، زين الدين أبو حفص بن سعد الدين بن نجيح ، أخو شرف الدين محمد السابق ذكره .

ولد سنة خمس وثمانين وستمائة .

وحضر على أبى الحسن بن البخارى . وسمع من يوسف الغسولى . وغيره ، وسمع بالقاهرة وغيرها .

ودخل بغداد ، وأقام بها ثلاثة أيام . وتفقه وبرع فى الفقه والفرائض ، ولازم الشيخ تقى الدين وغيره . وكتب بخطه الكثير من كتب المذهب .

وولى نيابة الحكم عن ابن المنجا . وكان خيرا دينا ، حسن الأخلاق ، متواضعاً ، بشوش الوجه ، فقيها فرضياً فاضلا منبتاً ، سديداً فى الأقضية والأحكام .

وحدثنى الإمام العلامة عز الدين حمزة بن شيخ السلامية عنه : أنه قال له : لم أقض قضية إلا وقد أعددت لها الجواب بين يدى الله تعالى . وقد خرجوا له جزءا عن شيوخه . وحدث به و بغيره .

ذكره الذهبى فى المختصر ، وقال : عالم ذكى ، خير وقور ، متواضع ، بصير بالفقه والعربية . سمع الكثير ، وولى مشيخة الضيائية ، فألقى دروسا محررة . وتخرج بابن تيمية وغيره . وناب فى الحكم .

توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة مطعوناً شهيداً . رحمه الله تعالى .

٥٤٤ - الحسين بن بدران بن داود البابصرى ، البغدادى ، الخطيب الفقيه المحدث النحوى ، الأديب ، صفى الدين أبو عبد الله .

ولد فى آخر نهار عرفة سنة اثنى عشرة وسبعمائة .

وسمع الحديث - متأخراً - من جماعة من شيوخنا وغيرهم . وعنى بالحديث ، وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه الكثير ، وتفقه ، وبرع فى العربية والأدب ، ونظم الشعر الحسن .

وصنف فى علوم الحديث وغيرها ، واختصر « الإكمال » لابن ماكولا ، وعلقه فى حياته ، وقرأ عليه بعضه ، وسمعت بقراءته « صحيح البخارى » على الشيخ جمال الدين مسافر بن إبراهيم الخالدى ، بسماعه من الرشيد بن أبى القاسم

وولى إفادة المحدثين بدار الحديث المستنصرية ، فكان يقرىء بها علوم الحديث وغيرها ، وحضرت مجالسه كثيرا . وكان له مشاركة حسنة فى علوم الحديث والتواريخ ، مع براعة فى الأدب والعربية ، والصيانة والديانة .

توفى يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة مطعونا شهيداً . ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

٥٤٥ ـ عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادى ، الأزجى ، البزار ، الفقيه المحدث ، سراج الدين أبو حفص .

ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة تقريباً .

وسمع من إسماعيل بن الطبال ، وعلى بن أبى القاسم أخو الرشيد وابن الدواليبى ، وجماعة . وعنى بالحديث ، وقرأ الكثير ، ورحل إلى دمشق . وقرأ بها صحيح البخارى على الحجار بالحنبلية وحضر قراءته الشيخ تقى الدين ابن تيمية وخلق كثير ، وجالس الشيخ تقى الدين وأخذ عنه ، وتلا ببغداد ختمة لأبى عمر ، وعلى شيخنا عبد الله بن عبد المؤمن الواسطى ، وقرأ عليه بعض تصانيفه فى القراءات . وحج مراراً ، وأعاد بالمستنصرية .

وولى إمامة جامع الخليفة ببغداد مدة يسيرة ، ثم أقام بدمشق مدة ، أو أمّ بها بالضيائية . وكان حسن القراءة للقرآن والحديث ، ذا عبادة وتهجد ، وصنف كثيرا فى الحديث وعلومه ، وفى الفقه والرقائق .

وقدم فى آخر عمره إلى بغداد ، فأقام بها يسيرا ، ثم توجه إلى الحج سنة تسع وأربعين ، وحججت نا تلك السنة أيضا مع والدى ، فقرأت على شيخنا أبى حفص عمر ثلاثيات البخارى بالحلة اليزيدية .

ثم توفى رحمه الله قبل وصوله إلى مكة ، بمنزلة حاجر ، صبيحة يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ويقال : إنه كان نوى الإحرام ، وذلك قبل الوصول إلى الميقات .

ودفن بتلك المنزلة ، ومعه نحو من خمسين نفسا بالطاعون . رحمهم الله تعالى .

وفى هذه المدة . توفى بدمشق المحدث الكبير المورخ الحافظ : ـ

٥٤٦ ـ أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهبى ، الحريرى ، مولى الصدر صلاح الدين عبد الرحمن بن عمر الحريرى .

وكان مولده ـ تقديرا ـ سنة اثنى عشرة وسبعمائة .

سمع ببغداد من الدقوقى ، وخلق ، وبدمشق من زينب بنت الكمال ، وأمم وبالقاهرة والإسكندرية وبلدان شتى .

وعنى بالحديث ، وأكثر من السماع والشيوخ ، وخرج وجمع تراجم كثيرة لأعيان أهل بغداد ، وخرج الكثير ، وكتب بخطه الرديء كثيرا .

وقال الذهبى : له رحلة . وعمل جيد ، وهمة فى التاريخ ، وتكثير المشايخ ، والأجزاء وهو ذكى ، صحيح الذهن ، عارف بالرجال حافظ .

٥٤٧ ـ أحمد بن على بن محمد البابصرى ، البغدادى ، الفقيه الفرضى ، الأديب ، جمال الدين أبو العباس .

ولد سنة سبع وسبعمائة تقريبا .

وسمع الحديث متأخرا على شيوخنا ، كالشيخ صفى الدين بن عبد الحق ، وعلى بن عبد الصمد ، وغيرهما .

وتفقه على الشيخ صفى الدين ، ولازمه وعلى غيره ، وبرع فى الفقه والفرائض والحساب . وقرأ الأصول ، والعربية ، والعروض ، والأدب ، ونظم الشعر الحسن ، وكتب بخطه الحسن كثيرا ، وأعاد بالمستنصرية . واشتهر بالاشغال والفتيا ،

ومعرفة المذهب، وأثنى عليه فضلاء الطوائف . ودرس بالمدرسة المتعصمية للحنابلة . وكان صالحا دينا متواضعاً ، حسن الأخلاق ، مطرحاً للتكلف ، حضرت دروسه و إشغاله غير مرة . وسمعت بقراءته الحديث .

وتوفى فى طاعون سنة خمسين وسبعمائة ببغداد بعد رجوعه من الحج ، وصلى عليه وعلى جماعة من أعيان بغداد بدمشق صلاة الغائب رحمه الله تعالى .

وممن اشتغل عليه ـ أعنى البابصرى ـ وانتفع به : القاضى : ـ

٥٤٨ ـ جمال الدين الأنبارى ، الشهيد ، الإمام فى الترسل والنظم . له نظم فى مسائل فى الفرائض بحثنه عليها[1] . ولازمه مدة ، والشرف بن سلوم قاضى حر بى، وعلى الأوانى الفرضى قاضى أوانا ، والشيخ سعد الحصينى ، وخلق ، و بينه و بين قاضى القضاة شرف الدين مراسلات بأشعار حسنة ، وكذلك المرداوى راسله أيضا فى مدة حكمه . رحمهم الله تعالى .

وانتفع به أيضا الشيخ : ـ

٥٤٩ ـ شمس الدين محمد بن الشيخ أحمد السقاء مربى الطائفة .

ودرس بالمجاهدية ، واشتغل على صفى الدين ، وَحَفَّظه « مختصر الهداية » له ، وكتب شرحه ـ وعنى به القاضى جمال الدين الأنبارى ـ وعلا ببغداد قدره ، واشتغل عليه جماعة ، منهم : القاضى شمس الدين ببغداد الآن ، محمد البرفطى ، بعد الأنبارى ، ودرس بالبشيرية بعد ابن الحصرى ، والقاضى سعد ، والحصينى ، ونصر الله المحدث ، وغيرهما .

وأما القاضى : جمال الدين عمر بن إدريس الأنبارى : فإنه نصر المذهب وأقام السنة ، وقمع البدعة ببغداد ، وأزال المنكرات ، وارتفع حتى لم يكن فى المذهب أجل منه فى زمانه ، ثم وزر لـكبير بعض الرافضة فظفروا به ، وعاقبوه

(١) كذا فى النصيفية . وفى مخطوطة الثقافة غير منقوطة « بحثه »

مدة ، فصبر . ثم إن أعداءه أهلكهم الله تعالى عاجلا بعد استشهاده ، وفرح أهل بغداد بهلاكهم ، وذلك عقيب موته فى سنة خمس وستين وسبعمائة .

ثم دفن بمقبرة الامام أحمد عند المدرسة التى عمرها بها . وعمل له الختمات ، ورثى ، وتردد أهل بغداد إلى المقبرة مدة ، وانتقم من أعدائه سريعا . رحمه الله تعالى .

وقد جمعت بينه و بين قاضى قضاة مصر الموفق ، وابن جماعة ، بمنى يوم القَرِّ عام ثلاث وستين . وستمائة .

وفى شعبان من هذه السنة : توفى قاضى القضاة :

٥٥٠ ـ علاء الدين أبو الحسن على بن الشيخ زين الدين المنجا عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى ، بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون

وكان مولده فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

وسمع الكثير من ابن البخارى ، وأحمد بن شيبان ، وخلق . وولى القضاء من سنة اثنتين وثلاثين بعد وفاة ابن الحافظ .

وحدث بالكثير ، قرأت عليه جزءاً فيه الأحاديث التى رواها مسلم فى صحيحه عن الإمام أحمد بسماعه الصحيح من أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بن أبى عصرون ، بإجازته من المؤيد .

٥٥١ ـ محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعى ، ثم الدمشقى الفقيه الأصولى ، المفسر النحوى ، العارف ، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، شيخنا .

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة .

وسمع من الشهاب النابلسى العابر ، والقاضى تقى الدين سليمان ، وفاطمة بنت جوهر ، وعيسى المطعم ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، وجماعة .

وتفقه فى المذهب ، وبرع وأفتى ، ولازم الشيخ تقى الدين وأخذ عنه . وتفنن فى علوم الإسلام . وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، وإليه فيهما المنتهى . والحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق فى ذلك ، وبالفقه وأصوله وبالعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك ، وكان عالما بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف ، وإشاراتهم ، ودقائقهم . له فى كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

قال الذهبى فى المختصر : عنى بالحديث ومتونه ، وبعض رجاله . وكان يشتغل فى الفقه ، ويجيد تقريره وتدريسه ، وفى الأصلين . وقد حبس مدة ، لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل ، وتصدى للاشتغال ، وإقراء العلم ونشره .

قلت : وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة ، والإنابة والاستغفار ، والافتقار إلى الله ، والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله فى ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو المعصوم ، ولكن لم أر فى معناه مثله . وقد امتحن وأوذى مرات ، وحبس مع الشيخ تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة ، منفردا عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ

وكان فى مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف ، والدخول فى غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة . وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة ، وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه . ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة ، وسمعت عليه « قصيدته النونية الطويلة » فى السنة ، وأشياء من تصانيفه ، وغيرها

وأخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به ، وكان الفضلاء يعظمونه ، ويتتلمذون له ، كابن عبد الهادى وغيره .

وقال القاضى برهان الدين الزرعى عنه : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه ودرس بالصدرية . وأمّ بالجوزية مدة طويلة . وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة .

وصنف تصانيف كثيرة جداً فى أنواع العلم . وكان شديد المحبة للعلم ، وكتابته ومطالعته وتصنيفه ، واقتناء الكتب ، واقتنى من الكتب مالم يحصل لغيره .

فمن تصانيفه : كتاب « تهذيب سنن أبى داود » وإيضاح مشكلاته ، والكلام على مافيه من الأحاديث المعلولة مجلد[1] ، كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم ، كتاب « مراحل السائرين بين منازل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) » مجلدان ، وهو شرح « منازل السائرين » لشيخ الإسلام الأنصارى ، كتاب جليل القدر ، كتاب « عقد محكم الأحباء ، بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء » مجلد ضخم ، كتاب « شرح أسماء الكتاب العزيز » مجلد ، كتاب « زاد المسافرين إلى منازل السعداء فى هدى خاتم الأنبياء » مجلد ، كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » أربع مجلدات ، وهو كتاب عظيم جداً[2] ، كتاب « جلاء الأفهام فى ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام » وبيان أحاديثها وعللها مجلد ، كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » مجلد ، كتاب « نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول » مجلد ، كتاب

(١) طبع بمطبعة السنة المحمدية على نفقة ولى عهد المملكة العربية السعودية : الأمير سعود ، حفظه الله ووفقه لعمل الصالحات .

(٢) طبع بمطبعة السنة وروجع وصحح على نسختين خطيتين بدار الكتب المصرية ، وروجعت أحاديثه وخرج الكثير منها ، فخرج بحمد الله جيد الطبع ، نفع الله به العباد والبلاد .

« إعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات ، كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان « الشافية الكافية فى الانتصار للفرقة الناجية » وهى « القصيدة النونية فى السنة » مجلد ، كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة » فى مجلدات ، كتاب « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » وهو كتاب « صفة الجنة » مجلد ، كتاب « نزهة المشتاقين وروضة المحبين » مجلد ، كتاب « الداء والدواء » مجلد ، كتاب « تحفة الودود فى أحكام المولود » مجلد لطيف ، كتاب « مفتاح دار السعادة » مجلد ضخم ، كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية » مجلد ، كتاب « مصائد الشيطان » مجلد . كتاب « الطرق الحكمية » مجلد « رفع اليدين فى الصلاة » مجلد . كتاب « نكاح المحرم » مجلد « تفضيل مكة على المدينة » مجلد « فضل العلماء » مجلد « عدة الصابرين » مجلد كتاب « الكبائر » مجلد « حكم تارك الصلاة » مجلد ، كتاب « نور المؤمن وحياته » مجلد ، كتاب « حكم إغمام هلال رمضان » ، « التحرير فيما يحل ، ويحرم من لباس الحرير » ، « جوابات عابدى الصلبان ، وأن ما هم عليه دين الشيطان » ، « بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً » مجلد « الفرق بين الخلة والمحبة ، ومناظرة الخليل لقومه » مجلد « الكلم الطيب والعمل الصالح » مجلد لطيف « الفتح القدسى » ، « التحفة المكية » كتاب « أمثال القرآن » « شرح الأسماء الحسنى » « أيمان القرآن » ، « المسائل الطرابلسية » ثلاث مجلدات « الصراط المستقيم فى أحكام أهل الجحيم » مجلدان ، كتاب « الطاعون » مجلد لطيف .

توفى رحمه الله وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . وصلى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر ، ثم بجامع جراح . ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق كثير ، ورئيت له منامات كثيرة حسنة رضى الله عنه .

وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقى الدين رحمه الله فى النوم ، وسأله

عن منزلته ؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر . ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن فى طبقة ابن خزيمة رحمه الله .

وقرئ على شيخنا الإمام العلامة أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب — وأنا أسمع — هذه القصيدة من نظمه فى أول كتابه «صفة الجنة» :

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفؤها ، والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلله ما فى حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله ذاك العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المـ ... ـزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مَغْنم
ولله أفراح المحبين عند ما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ، ولا هى تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خِيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيالذة الأبصار إذ هى أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خجلة البحرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم

وذكر أبياتا ، ثم قال :

فيا خاطب الحسناء ، إن كنت باغيا ... فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مبغضا للخائنات لحبها ... فتحظى بها من بينهن وتنعم
وكن أيِّما ممن سواها ، فإنها ... لمثلك فى جنات عدن تأيَّم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ، ولا تقنع بعيش منغص ... فما فاز باللذات من ليس يقدم

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحى على جنات عدن ، فإنها منازلك الأولى ، وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو ، فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم ؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مُعْدَم[1]
وأى اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تحكم ؟
وحى على السوق الذى فيه يلتقى المـ ـحبوب ، ذاك السوق للقوم معلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحى على يوم المزيد الذى به زيارة رب العرش ، فاليوم موسم
وحى على واد هنالك أفيح وتربته من أذفَرِ المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ومن خالص العقيان لا تتفصم
وكُثبان مسك قد جعلن مقاعداً لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا هم فى عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذاهم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم ، يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يُسَلِّم
يقول: سلونى ماشتهيتم ، فكل ما تريدون عندى ، إننى أنا أرحم
فقالوا جميعاً : نحن نسألك الرضا فأنت الذى تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم عليه ، تعالى الله ، فالله أكرم
فيابائعاً هذا ببخس معجل كأنك لاتدرى ، بلى ، فسوف تعلم
فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى ، فالمصيبة أعظم[2]

---

(١) مخطوطة الثقافة « معدم »

(٢) إلى هنا انتهت مخطوطة دار الثقافة . ونص ماجاء فى آخرها :
كمل الجزء الثانى. وبه تم جميع الكتاب «طبقات فقهاء أصحاب الإمام أبى عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى، تغمده الله تعالى برحمته . وأسكنه فسيح جنته.=

٥٥٢ ـ أحمد بن الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر قاضي القضاة ، أبو العباس ، أحد الأعلام .

كان من أهل البراعة والفهم ، والرياسة فى العلم ، متقناً عالماً بالحديث وعلله ، والنحو والفقه ، والأصلين ، والمنطق ، وغير ذلك .

وكان له باع طويل فى التفسير ، لايمكن وصفه ، كان له فى الأصول والفروع القدم العالى ، وفى شرف الدين والدنيا المحل السامى ، وله معرفة بالعلوم الأدبية والفنون القديمة الأولية ، وكيف لا ؟ وهو تلميذ ابن تيمية ، وقد قرأ عليه ، واشتغل كثيراً ، وقرأ عليه مصنفات فى علوم شتى ، منها : «المحصل» للفخر الرازى ، ولقد قال لى مرة : كنت فى حال الشبوبية ماأتغدى إلا بعد عشاء الآخرة ، للاشتغال بالعلم ، وقال لى مرة : كم تقول : إنى أحفظ بيت شعر ؟ فقلت : عشرة آلاف . فقال : بل ضعفها ، وشرع يعدد قصائد للعرب ، وكان إذا سرد الحديث يتعجب الإنسان ، وكان آية فى حفظ سرد مذاهب العلماء .

ومن نظمه :

ولقد جهدت بأن أصاحب أشقراً   فخذلت فى جهدى لهذا المطلب
تنبو الطباع عن اللئيم كما نبت   عن كل سم فى الأنام مجرب
فاحذر شناطاً فى الرجال وأشقراً   مع كويسح ، أوأعرج ، أو أحدب
أو غائر الصدغين ، خارج جبهة   أو أزرقاً بدراج ، غير محبب
هـذا مقالى خبرة بحقيقة   حقت ، وإن خالفت ذاك فجرب

= وأعاد علينا من بركته ، جمع الإمام الحافظ زين الدين أبى الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادى ، ثم الدمشقى الحنبلى رحمه الله تعالى . فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وثمانمائة تجاه الكعبة الشريفة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد أبى حامد بن حسين بن على المالكى البكرى ، الخليلى . غفر الله تعالى له ولوالديه ولمحبيه ولجميع المسلمين . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

نظم قول الشافعي في هؤلاء الجماعة .

وله مصنفات ، منها « الفائق » في الفقه ، مجلد كبير ، وكتاب في « أصول الفقه » مجلد كبير ، لم يتمه ، وصل فيه إلى أوائل القياس ، و « الرد على ألكيا الهراسي » كتب فيه مجلدين ، وشرح من «المنتقى» للشيخ مجد الدين ، قطعة في أوله ، سماه « قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام » و « تنقيح الأبحاث في رفع التيمم للأحداث » مجلد صغير ، و « مسألة المناقلة » مجلد صغير ، وله مجاميع كثيرة ، فيها فنون شتى .

والحمد لله أولا وآخراً ، وظاهراً و باطناً .

وصلى الله على خير خلقه محمد ، وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيراً ، إلى يوم الدين .

وكان الفراغ من كتابة هذه الطبقات المنيفة ، ظهر يوم الأربعاء ، الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ هجرية .

بقلم الفقير راجي غفران الذنوب والمساوى ، محمد عبده بن محمد الخضراوى .

ويليه ملحق فيه تراجم الحنابلة الذين ذكرهم السيوطي في بغية الوعاة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجلال السيوطى فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة مانصه :

١ - علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني ، أبو الحسن ويعرف بالفرزدقي ، نسبة إلى جده .

وكان إماماً فى النحو واللغة ، والتصريف والتفسير . حنبلى المذهب . رحل إلى البلاد . وأقام بغزنة مدة ، وصادف بها قبولا . وأقرأ ببغداد مدة النحو واللغة ، وحدث بها عن جماعة من شيوخ المغرب .

قال هبة الله السقطى : كتبت عنه أحاديث ، فعرضتها على بعض المحدثين فأنكرها ، وقال : أسانيدها مركبة على متون موضوعة ، فاجتمع جماعة من المحدثين ، فأنكروا عليه ، فاعتذر ، وقال : وهمت فيها .

قال ابن عبد الغافر : وردَ ابنُ فضال نيسابور ، فاجتمعت به فوجدته بحراً فى علمه ، ما عهدت فى البلد ولا فى القرى مثله . وكان شديداً على كل شافعى .

صنف « إكسير الذهب » فى النحو ، و « العوامل والهوامل » وشرح « عنوان الأدب » وشرح « معانى الحروف » ، « العروض » و « شجرة الذهب فى معرفة أئمة الأدب » .

مات ثانى عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

ومن شعره :

وإخوان حسبتهم دروعا فكانوها ، ولكن للأعادى

الأبيات المشهورة . رحمه الله تعالى .

٢ - علي بن هبة الله بن جعفر بن محمد بن دلف بن القاسم بن عيسى المعروف بابن ماكولا .

وكان أبوه وزير جلال الدولة ابن بويه ، وعمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر قاضي القضاة ببغداد . وكان حافظاً عالماً متقناً . وكان يقال عنه : الخطيب الثاني .

وقال ابن الجوزى : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ، ويقول : يحتاج إلى دين .

صنف كتاب « المختلف والمؤتلف » جمع فيه بين كتب الدارقطنى وعبد الغنى ، والخطيب ، وزاد عليهم زيادات كثيرة . وله « كتاب الوزراء » وكان نحويا شاعرا ، صحيح النقل ، ما كان فى البغداديين فى زمانه مثله إلا أبا طالب ابن غيلان ، وأبا بكر بن بشران ، وأبا القسم بن شاهين ، وأبا الطيب الطبرى .

وسافر إلى الشام والسواحل ، وديار مصر ، والجزيرة والثغور والجبال . ودخل بلاد خراسان ، وما وراء النهر ، وجبال فى الآفاق .

ولد بعكبرا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وتوفى سنة خمسة وثمانين وأربعمائة .

قال الحميدى : وخرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك ، فقتلوه بجرجان ، وأخذوا ماله وهربوا ، وطاح دمه هدرًا .

ومن شعره :

تجنبت أبواب الملوك لأننى علمت بما لم يعلم الثقلان
رأيت سهيلا لم يحد عن طريقه من الشمس إلا فى مقام هوان

انتهى من فوات الوفيات لابن شاكر .

٣ ـ زياد بن على بن هرون ، أبو القاسم الجيلى ، الفقيه ، نزيل بغداد . وسمع بها من أبى مسلم عمر بن علي الليثى البخارى ، وحدث عنه بكتاب « التنوير » لابن خزيمة ، سمعه منه أبو الحسن بن الزاغونى ، وأبو الحسن بن الأبنوسى . ورواه عنه .

وذكر هبة الله السقطى : أن زياداً الفقيه الجيلى توفى فى طاعون سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . رحمه الله .

٤ – محمد بن إبراهيم بن ثابت أبو عبد الله ، العلامة الزاهد المصرى السكيزانى ، الواعظ الأديب من كبار الحنابلة ، وأهل الأثر . وله كتاب مشهور

توفى فى المحرم – وقيل : فى ربيع – سنة اثنين وستين وخمسمائة . ودفن عند الشافعى ، ثم نبش ودفن فى موضع آخر .

انتهى من تاريخ السلطان ابن رسول المسمى بنزهة العيون فى أخبار الطوائف والقرون .

٥ – محمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى الفتح ، أبو جعفر الطرسوسى الحنبلى، مسند أصبهان .

ولد سنة اثنتين وخمسمائة .

وسمع من جماعة ، وعنه روى آخرون .

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

٦ – أبو الفتوح عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن الخضير ابن كليب ، مسند الآفاق الحرانى ، ثم البغدادى ، الحنبلى التاجر .

ولد فى صفر سنة خمسمائة .

وسمع من أبى القاسم بن بنان وغيره ، وسماعاته صحيحة . وكان محباً للرواية ، صبورا على المحدثين .

سكن دمياط مدة ، وحج سبع مرات . وروى عنه جماعة ، يقال : إنه تسرى بمائة سرية .

توفى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وفى تاريخ اليافعى ما نصه : وفيها – أى سنة ست وتسعين وخمسمائة –

مات أبو الفتوح عبد المنعم بن أبي الفتح الحراني الأصل ، البغدادي المولد ، الحنبلي .
كان تاجراً . وله السماعات العالية في الحديث ، وانتهت إليه الرحلة حتى ألحق الصغار بالكبار ، وتوحد في وقته ببغداد . ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

وكان صحيح الذهن والحواس ، وتسرى مائة وأربعين جارية

انتهى من تاريخ ابن رسول .

٧ - إسماعيل بن تراب بن علي بن وكاس الحنبلي القطان أبو عبد الله
سمع من أبي غالب بن البنا ، وغيره . روى عنه ابن خليل والضياء ، وطائفة .
وتوفي سنة ستمائة . رحمه الله تعالى .

٨ - عبد الرحمن بن عبد الغني بن محمد ، أبو القاسم الغساني الحنبلي .
أسمعه والده من فوشكين الرضواني ، وعلي بن عبد العزيز السماك ، وغيرهما .
وتوفي سنة ستمائة وأربعة عشر . قاله الذهبي في « المشتبه » .

٩ - محمد بن عماد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى ، أبو عبد الله الخزرجي ، الحراني ، الحنبلي المسند ، الصدوق ، التاجر السفار .

ولد سنة اثنين وأربعين وخمسمائة .

وسمع ببغداد والثغر ومصر طائفة كثيرة ، وعنه أخذ عدة كثيرة .

وتوفي بالثغر في حدود اثنين وثلاثين وستمائة . رحمه الله تعالى .

١٠ - محمود بن إبراهيم بن سنان بن إبراهيم بن عبد الوهاب ، الحافظ الكبير أبي عبد الله بن منده ، أبو الوفا الأصبهاني ، مسند أصبهان

ولد سنة خمسين وخمسمائة .

وسمع منه جماعة . وروى عنه آخرون .

وتوفى -وقيل قتل- بإصبهان فى رمضان سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، انتهى من تاريخ ابن رسول .

١١ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار أبو محمد ، رضى الدين المقدسى الإمام الصالح المقرىء

كان شيخا صالحاً عابداً خيرا . حدث عن يحيى الثقفى وغيره . وعنه روى ابن الأمين على بن سكينة .

ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

وتوفى سنة خمسة وثلاثين وستمائة . رحمه الله تعالى اه من تاريخ ابن رسول .

١٢ - على بن عبد الله بن الحسين بن على بن منصور ، أبوالحسن، الشيخ الصالح المعمر ، رحلة وقته ، ابن المعز الأزجى ، الحنبلى المقرئ النجار .

ولد سنة خمس وأربعين وخمسمائة .

وسمع من جماعة كثيرة بالإجازة . وعنه روى الدمياطى ، وآخرون .

حدث ببغداد ودمشق والحجاز ومصر . وكان شيخا صالحاً ، عابداً مجتهداً ، كثير التلاوة ، والذكر .

توفى فى نصف ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة . رحمه الله تعالى اه من تاريخ ابن رسول .

١٣ - برهان الدين نصر بن أبى الفتح بن على الحضرمى ، إمام مقام الحنابلة بمكة المشرفة .

قال ابن عربى صاحب الفتوحات المكية فى إجازته للسلطان غازى بن أيوب : قرأت عليه « سنن أبى داود » وغيرها ، وأجاز لى بمكة اه . ذكره العياشى المغربى فى رحلته الكبرى ، وهى فى مجلدين . رحمه الله تعالى .

١٤ ــ عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة ، الشيخ المسند أبو محمد ، عماد الدين الجاعيلى المقدسى ، الصالحى ، الحنبلى ، المقرىء ، المؤدب .

ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

وسمع بدمشق من يحيى الثقفى ، وغيره . وعنه روى الدمياطى وطائفة . وكان صحيح السماع ، ثقة فاضلا .

توفى فى ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة . رحمه الله تعالى اهـ من تاريخ ابن رسول

١٥ ــ محمد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة ، أبو عبد الله الفقيه الإمام المسند شمس الدين أبو عبد الله .

سمع من يحيى الثقفى ، وغيره .

وكان دينا صالحاً ، عفيفا ، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى .

قتله التتار سنة ثمان وخمسين وستمائة فى جمادى الأولى . رحمه الله تعالى . اهـ من تاريخ ابن رسول .

١٦ ــ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار أبو محمد ، رضى الدين المقدسى الإمام الصالح المقرئ .

كان شيخا صالحاً ، عابداً خيراً ، حدث عن يحيى الثقفى وغيره . وعنه روى ابن الأمين على بن سكينة .

ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة . رحمه الله تعالى . اهـ من تاريخ ابن رسول .

١٧ - علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن منصور ، أبو الحسن ، الشيخ الصالح المعمر ، رحلة وقته ، ابن المعمر الأزجي ، الحنبلي المقرئ ، النجار ولد سنة خمس وأربعين وخمسمائة .

وسمع من جماعة كثيرة . وروى الكثير بالإجازة . وعنه روى الدمياطي وآخرون .

حدث ببغداد ، ودمشق ، والحجاز ، ومصر .

وكان شيخا صالحاً ، عابداً مجتهداً ، كثير التلاوة والذكر .

توفي في نصف ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة . رحمه الله تعالى اه . من تاريخ ابن رسول .

١٨ - إسماعيل بن أحمد بن الحسين ، رشيد الدين أبو الحسن العراقي الحيائي بدار المطعم ، الحنبلي ، ابن الإمام المقرئ .

ولد بعد السبعين والخمسمائة :-

وسمع من أبيه وغيره . وعنه أخذ الدمياطي وغيره . وكان حافظا للقرآن ، لا بأس به .

وتوفي في سنة اثنتين وخمسين وستمائة اه . من تاريخ ابن رسول .

١٩ - عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن سعد المقدسي ، بن الناصح . الصحراوي الحنبلي ، أبو محمد .

ولد في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وسمع من الخشوعي ، وغيره . وعنه أخذ ابن الجهاز وطائفة .

وتوفي في رمضان سنة سبعين وستمائة رحمه الله . اه من تاريخ ابن رسول .

٢٠ - عبد اللطيف بن الصيقل النجيب ، أبو الفرج ، مسند الديار المصرية .

أخذ عن ابن كليب ، وابن معطوش ، وابن الجوزي ، وابن أبي المجد ، وولي مشيخة دار الحديث الكاملية .

ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائه . رحمه الله تعالى . اه . من حسن المحاضرة

٢١ ـ يحيى بن عبد الرحمن بن نجم الصالحى ، الحنبلى ، أبو زكريا ، بن ناصح الدين ، الفقيه المسند الأنصارى ، يعرف بالحافظ اليغمورى .

ولد فى حدود الستمائة .

وسمع الكثير بدمشق ، والموصل ، والثغر ، ومصر ، وعنى بالحديث ، وشارك فى الأدب والتاريخ ، أخذ عنه طائفة كثيرة .

وتوفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة رحمه الله تعالى اه . من تاريخ ابن رسول .

٢٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن سلامة بن أبى معروف ، أبو العباس بن زين الدين الدمشقى ، الحنبلى ، الحداد ، ثم الخياط الدلال ، الشيخ المقرئ المعمر ، مسند وقته ، ابن إمام الحنابلة سلامة .

ولد فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وسمع من أبى اليمن الكندى . وحدث عنه ، وانفرد فى الدنيا بإجازات عالية من أبى جعفر الطرسوسى وغيره . وروى الكثير .

حدث عن الدمياطى ، وجماعة ، وكان شيخاً جليلا متيقظاً ، خيراً سليما ، متواضعاً ، من أهل الرباط الناصرى ، وعمر دهراً . قيل : إنه أضر قبل موته .

توفى فى يوم عاشوراء سنة ثمان وسبعين وستمائة . انتهى . من تاريخ ابن رسول

٢٣ ـ عبد الرحمن بن عبد الملك بن يوسف بن قدامة ، الشيخ أبو محمد ، كمال الدين الجماعيلى ، المقدسى ، الصالحى .

كان شيخاً صالحاً ، ورعاً حفيظاً على الرواية .

سمع حضوراً من ابن طبرزد ، وحنبل ، وعدة . وأجاز له آخرون . وأخذ عنه ابن العطار ، وجماعة

توفى فى جمادى الأولى سنة ثمانين وستمائة رحمه الله تعالى اهـ تاريخ ابن رسول

٢٤ ـ عبد العزيز بن الحسين بن الحسن، مجد الدين أبو محمد الدارى، ثم المصرى الحنبلى ، الشيخ الرئيس .

ولد بمصر سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

وأخذ بها و ببغداد من طائفة ، وعنه روى آخرون .

حدث بدمشق ومصر . وكان ديناً متعبداً ، كثير الصدقة ، محترماً ، فى الدولة

توفى بدمشق سنه ثمانين وستمائة . رحمه الله تعالى اهـ من تاريخ ابن رسول

٢٥ ـ إسماعيل بن إسماعيل بن أخو سلين ، أبو محمد ، عماد الدين ، العدل الفقيه ، البعلى الحنبلى .

سمع الشيخ موفق الدين . وعنه روى ابن الخباز وخلق كثير .

توفى فى ذى القعدة سنة اثنين وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى اهـ من تاريخ ابن رسول .

٢٦ ـ عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصقر الحرانى ، عز الدين ، أبو العز ، مسند الوقت .

ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

وسمع من أبى حامد ، و يوسف بن كامل . وأجاز له ابن كليب ، وكان آخر من روى عن أكرم شيوخه .

استوطن مصر إلى أن مات بها سنة ست وثمانين وستمائة .

٢٧ ـ أبو محمد عبد المنعم بن النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل الحرانى ، الشيخ نجم الدين .

ولد سنة ثمان وستمائة .

وسمع من ابن تيمية وغيره .

وتوفى بالإسكندرية فى شعبان سنة إحدى وتسعين وستمائة رحمه الله تعالى اه من تاريخ ابن رسول .

٢٨ ـ نصر الله بن محمد بن عباس بن حامد ، أبو الفتح ، ناصر الدين الصالحى ، الرجل الصالح ، المسند السكاكيني .

ولد سنة سبعة عشر وستمائة .

وسمع من طائفة كثيرة . وعنه أخذ آخرون . وكان فاضلا عالماً .

توفى فى شوال سنة خمس وتسعين وستمائة رحمه الله تعالى .

٢٩ ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد بن وريدة ، أبو الفرج ، الإمام المقرئ بقية المعمرين ، مسند العراق ، كمال الدين البغدادى ، الحنبلى البزار ، الملقب بالقويزة ، ويعرف بابن المكسر .

ولد سنة ستمائة .

وسمع من زيد السبع ، وغيره ، وتلا بالسبع على آخرين .

توفى فى سنة سبع وتسعين وستمائة اه من تاريخ ابن رسول .

٣٠ ـ محمد بن على بن أحمد بن خطيل ، أبو عبد الله ، شمس الدين الصالحى الحنبلى المسند المعمر ، يعرف بابن الواعظى .

ولد سنة عشر وستمائة .

وسمع من طائفة كثيرة . وروى الكثير ، وتفرد فى وقته .

وتوفى سنة تسع وتسعين وستمائة . رحمه الله تعالى اه من تاريخ ابن رسول .

٣١ ـ عائشة بنت المجد عيسى بن العلامة موفق الدين بن قدامة ، أم محمد المقدسية الصالحية ، العفيفة الحرة .

ولدت سنة إحدى عشرة وستمائة .

وسمعت من جدها وغيره ، وكانت ثقيلة السمع .

وتوفيت فى شعبان سنة سبع وتسعين وستمائة . رحمها الله تعالى . اه من تاريخ ابن رسول .

٣٢ – أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة أبو عبد الله ، عز الدين بن العماد المقدسى ، الصالحى الحنبلى .

ولد سنة اثنتى عشرة وستمائة .

وسمع من موسى بن عبد القادر وغيره . وتفرد ، وروى الكثير . وكان شيخاً حسناً ديناً ، طيب الأخلاق مقصودا بالزيارة ، قاسى شدائد عظيمة فى زمن التتار .

توفى فى ثالث محرم سنة سبعمائة . رحمه الله تعالى .

٣٣ – إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو بن موسى بن عميرة بن العز المرداوى ، المقدسى الصالحى الحنبلى ، يعرف بابن المنادى ، أبو الفداء ، عز الدين

ولد سنة عشرة وستمائة .

وسمع من الشيخ الموفق ، وغيره . وحدث بالصحيح وغيره

وكان صالحاً ، كثير التلاوة ، متواضعاً ، حسن السيرة ، أصيب فى فتنة التتار فى أهله وماله ، وضعف حاله ، و برد وجاع ، فالله يؤجره .

توفى فى جماد الثانية سنة سبعمائة .

وقال الحافظ ابن حجر : توفى بعد السبعمائة .

٣٤ – عبد الله بن عمر بن أحمد بن عمر المقدسى ، تقى الدين ، خطيب زملكا .

روى عنه إبراهيم بن خليل . وكان ديناً ، خيراً ، صالحاً .

مات بقرية « زملكا » من غوطة دمشق فى رجب سنة إحدى وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

ذكره الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة .

وفيها توفى أيضا : —

٣٥ — داود بن حمزة بن أحمد بن عمر ناصر الدين .

ذكره الحافظ فى الدرر أيضا .

٣٦ — عبد الرحمن بن عبد الغنى ابن تيمية ، الحرانى الأصل ، جمال الدين أبو القاسم .

مات هو وأبوه أوائل سنة إحدى وسبعمائة . قاله الحافظ ابن حجر فى الدرر . رحمهما الله تعالى .

٣٧ — زينب ابنة سليمان خطيب بيت لهيا ابن إبراهيم بن رحمة ، أم الخير المسندة المعمرة ، تعرف ببنت الأسعردى .

سمعت « الصحيح » من أبى عبد الله بن الزبيدى ، تفردت بالراوية عن جماعة . وأجاز لها خلق كثير .

توفيت بمصر فى ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة . رحمها الله تعالى . اه من تاريخ ابن رسول .

وفيها أيضا توفى : —

٣٨ — أبو بكر بن البدر على بن عمر بن محمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر

قال البرزالى : كان رجلا جليلا ، جيداً .

مات فى شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة .

وفيها أيضا توفى : —

٣٩ ـ عبد الله بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق، بن الشيخ عبد القادر الجيلانى

ذكره الحافظ ابن حجر فى الدرر ، وقال : ولد سنة خمسين وستمائة .

وتوفى سنة سبع وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٤٠ ـ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن راجح ، نجم الدين بن عماد الدين المقدسى ، سبط الشيخ شمس الدين بن أبى عمر .

قال فى الدرر الكامنة : ولد سنة ستين تقريبا .

واشتغل ، وسمع ، ثم حصل له انحراف ، وساء مزاجه ، فكان يقف فى الطرقات ، وينشد أشياء مفيدة ، ويتكلم بجد وهزل . وله تلامذة فى ذلك الحال، ثم يثوب إليه عقله ، ثم يعود لحالته . وقيل : كان سبب ذلك أكل الحشيش . فمات سنة عشرة وسبعمائة . رحمه الله .

٤١ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسى .

قال فى الدرر الكامنة : سمع من ابن النجيب الحرانى، وغيره ، وحدث يسيراً .

ومات فى شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وهو ولد القاضى شمس الدين . رحمهما الله تعالى .

٤٢ ـ فاطمة ابنة عباس أبى الفتح ، أم زينب الواعظة ، الزاهدة العابدة ، الشيخة الفقيهة ، العالمة المسندة المفتية ، الخائفة الخاشعة ، السيدة القانتة ، المرابطة المتواضعة ، الديِّنة العفيفة ، الخيرة الصالحة ، المتقنة المحققة الكاملة ، الفاضلة المتفننة البغدادية ، الواحدة فى عصرها ، والفريدة فى دهرها ، المقصودة فى كل ناحية .

كانت جليلة القدر ، وافرة العلم ، تسأل عن دقائق المسائل ، وتتقن الفقه إتقانا بالغاً . أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، حتى برعت . كانت إذا أشكل عليها أمر سألت ابن تيمية عنه ؟ فيفتيها ، ويتعجب منها ومن فهمها ، ويبالغ فى الثناء عليها .

وكانت مجتهدة ، صوّامة قوّامة ، قوّالة بالحق ، خشنة العيش ، قانعة باليسير ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، انتفع بها خلق كثير ، وعلا صيتها ، وارتفع محلها ، وقيل : إنها جاوزت الثمانين .

توفت ليلة عرفة سنة أربع عشرة وسبعمائة . رحمها الله تعالى ورضى عنها آمين . اه . من تاريخ ابن رسول .

٤٣ ـ إبراهيم بن أحمد بن خاتم أبو إسحاق ، الإمام الفقيه الزاهد العابد ، بركة الوقت ، شمس الدين البعلبكى .

سمع من جماعة كثيرة .

وتوفى فى صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٤٤ ـ أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الشيخ العماد إبراهيم ابن عبد الواحد المقدسى .

ولد سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وتوفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

٤٥ ـ أحمد بن محمد بن أبى القاسم بن بدران الدشتى ، شهاب الدين الانتهى الكردى .

ولد بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة .

وتوفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وستمائة .

٤٦ ـ عبد الواحد بن أبي القاسم بن عبد الغنى بن فخر الدين بن محمد ابن تيمية أبو البركات الحرانى ، التاجر ، الشيخ الصالح المعمر ، شرف الدين .

ولد سنة ثلاثين وستمائة .

وتفرد فى وقته .

وتوفى سنة اثنتى عشرة ، وسبعمائة . رحمه الله تعالى . اهـ من تاريخ ابن رسول

٤٧ – ست الوزراء أم عبدالله ابنة عمر بن أسعد بن منجا ، الشيخة الصالحة ، المسندة المعمرة ، التنوخية الدمشقية .

ولدت سنة أربع وعشرين وستمائة .

وسمعت من أبيها وغيره ، وتفردت فى وقتها ، وروت الكثير بمصر ودمشق ، وتزوجت بأربعة ، وحجت مرتين . وكانت طويلة الروح على المحدثين ، دينة طيبة الأخلاق .

وسمع منها جماعة كثيرة .

وتوفيت فى شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة رحمها الله تعالى . اهـ . من تاريخ السلطان ابن رسول .

٤٧ – فاطمة بنت عبد الرحمن بن عمر المرادية ؛ أم محمد ست القرى ، أخت الشيخ عز الدين .

عمرت دهراً طويلا . وأخذ عنها جماعة .

وتوفيت فى ربيع الأول سنة سبع عشرة وسبعمائة ، رحمها الله تعالى اهـ . من تاريخ ابن رسول .

٤٨ – أبو محمد عيسى بن عبد الرحمن بن معالى المسند المعمر الرحلة ، شرف الدين المقدسى ، ثم الصالحى ، الصحراوى ، المطعم السمسار فى العقار .

ولد فى سنة خمس وعشرين وستمائة . وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وسبعمائة ببغداد رحمه الله تعالى ، انتهى . من تاريخ ابن رسول .

٤٩ – عبد الرحيم بن عبد المحسن بن حسن بن ضرغام ، الفقيه العدل ، كمال الدين الكنانى المصرى المنشاوى .

ولد سنة سبع وعشرين وستمائة .

وتوفى فى ربيع الآخر ، سنة عشرين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى . اهـ . من تاريخ ابن الرسول .

٥٠ ـ أبو بكر أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى ، الصالحى ، ابن زين الدين .

ولد بكفر بطنا سنة خمس وعشرين وستمائة .

وسمع من جماعة كثيرة ، منهم : الحافظ الضياء ، والناجح وغيرهما ، حج ثلاث حجج .

وكان عابداً ذاكراً متنفلاً ، ذا بهجة وجلالة ، ثم بعد ذلك عمى ، وثقل سمعه وانقطع ، وتفرد عنه أكثر المحدثين .

وكان جيد الإنصاف والفهم ، عاش ثلاثا وتسعين سنة .

وتوفى فى ليلة الجمعة تسع وعشرين رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة ، رحمه الله تعالى اهـ . من تاريخ ابن رسول .

٥١ ـ يحيى بن الصاحب الأديب البليغ ، شمس الدين محمد بن سعد ابن عبد الله بن مفلح ، سعد الدين أبو زكريا ، الشيخ الصالح العالم المعمر ، مسند وقته المقدسى الصالحى الحنبلى .

ولد فى ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

وروى الكثير .

وتوفى فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . رحمه الله تعالى اهـ من تاريخ ابن رسول .

ثم ذكر : ـ

٥٢ ـ أحمد بن على بن الزبير بن سليمان ، شمس الدين أبو العباس الحنبلى ، القاضى العدل المعمر .

ولم يذكر زيادة عن هذا فى ترجمته ولا ذكر ولادته ولا وفاته .

ثم قال : ـ

٥٣ ـ أحمد بن إبراهيم بن عمر المقدسى ، تقى الدين بن العز ، قال ابن حجر فى الدرر الكامنة :

ولد فى شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وسمع من جماعة ، منهم : محمد بن عبد الهادى . كتب عنه الذهبى فى معجمه وعز الدين بن جماعة فى رحلته ، وحدثنا عنه .

مات فى جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة .

قال ابن الوردى : وفى سنة تسع عشرة وسبعمائة توفى الفقيه الصالح : ـ

٥٤ ـ شهاب الدين أحمد بن هلال الزرعى الحنبلى ، والد القاضى برهان الدين بدمشق .

وقال أيضا : توفى : ـ

٥٥ ـ عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافى بن عوض السعدى ، المصرى ، تاج الدين أبو القاسم .

ولد سنة خمسين وستمائة .

وتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

وكان كثير الكتابة جداً . كتب خمسمائة مجلد . رحمه الله تعالى اهـ . من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، للحافظ ابن حجر رحمه الله .

٥٦ ـ أحمد بن سليمان بن حمزة المقدسى ، ابن القاضى تقى الدين .

قال فى الدرر : ولد فى شعبان سنة اثنتين وستين وستمائة .

وحدث بصحيح مسلم .

ومات فى شوال سنة ثلاثة وثلاثين وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

حدث عنه البرهان الشامى بالإجازة .

قال ابن الوردى : وفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة : توفى الشيخ :ــ

٥٧ ـ سيف الدين يحيى بن أحمد بن أبي نصر ، محمد بن عبد الرزاق الجيلى بحماة . وكان شهما سخيا . رحمه الله .

وفى سنة خمس وثلاثين مات المحدث الرئيس العالم :ــ

٥٨ ـ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن طرخان الحنبلى .

سمع من ابن عبد الدائم ، وغيره . وكان بديع الخط ، وكتب الطباق . وله نظم رائق اه .

٥٩ ـ محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلى ، شمس الدين أبو الكرم ، ابن أبى الفضل البخارى ، ويعرف بالحبالى ، بمهملة وتحتانية خفيفة ، نسبة إلى «الحبال» بلدة بسنجار ، نزلها جده الأعلى عبد العزيز فى حدود الثمانين وخمسمائة .

ولد المذكور سنة إحدى وخمسين وستمائة .

وتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . رحمه الله . اه .

بآخر نسخة الشيخ المحترم ، جامع الفضائل والمكارم الشيخ محمد بن حسين ابن عمر نصيف ـ متع الله بحياته ـ مانصه :

هذا آخر ما وجدته بهامش الأصل لنسخة « طبقات ابن رجب » المنقول عنه هذه النسخة ، ثم إنى وجدت رسالة فى أسماء كتب مذهب الإمام أحمد ، لجامعها العلامة الفاضل ، مولانا الشيخ عبد الله بن على بن حميد ، مفتى الحنابلة سابقاً بمكة المشرفة ، سماها : « الدر المنضد فى أسماء كتب مذهب الإمام أحمد[1] » فأحببت إلحاقها بهذه الطبقات إتماما للفائدة ، والله ولى التوفيق . اه . كاتبه

---

(١) الرسالة المذكورة فى ذيل «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لجد المؤلف

بلغ تصحيحا ومقابلة على نسخة مخطوطة بتاريخ سنة ١٣٤٤ ، وهي بخط ناسخ هذه النسخة ، وكلاهما منقول عن نسخة خطية قديمة ، يرجع عهد كتابتها إلى القرن التاسع تقريبا .

وقد بذلنا غاية جهدنا بالتصحيح والمقابلة ، وكان ذلك بمساعدة الأخ عبدالله ابن مطلق الفهيد .

وكان تمام التصحيح في يوم الاثنين الموافق ٢٤ محرم سنة ١٣٥١

وكتبه سليمان بن عبد الرحمن الصنيع

تم بحمد الله طبع الجزء الثانى من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة للامام شيخ الإسلام أبى الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادى تغمده الله برحمته . و بتمامه كمل الكتاب . والحمد لله وحده .

وذلك بمطبعة السنة المحمدية فى غرة رمضان المبارك سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ١٤ من شهر مايو سنة ١٩٥٣ م .

وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبى : محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس

الجزء الثانى من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة

وفيات المائة الثامنة :

ملحق تراجم الحنابلة :